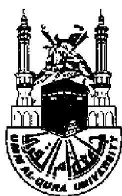
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية
مكة المكرمة



رسالة موصى بطبعها

رقم (٢٤)



الإمام محمد بن يحيى الذهلي محدثاً
مع تحقيق الجزء المنتقى من زهرياته

إعداد
سليمان بن سعيد بن مريزن العسيري

الجزء الأول

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

ح) جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

العسيري ، سليمان بن سعيد بن مريزن

الإمام محمد بن يحيى الذهلي محدثاً مع تحقيق الجزء المنتقى من زهرياته - مكة المكرمة .

١٣٣٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٥ - ١٣٦ - ٠٣ - ٩٩٦٠

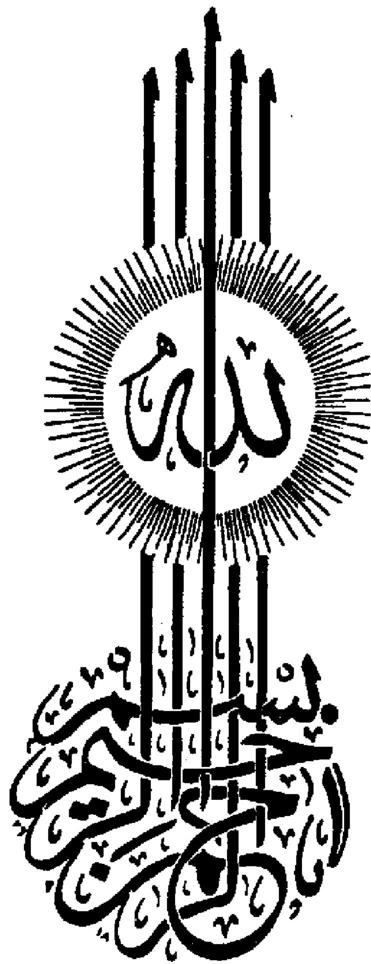
١ - الذهلي ، محمد بن يحيى ، ت ٢٥٨ هـ ٢ - الحديث - مصطلح أ - العنوان

ديوي ٢٣٧,٦ ١٧ / ٠٤٥٨

رقم الايداع : ٠٤٥٨ / ١٧

ردمك : ٥ - ١٣٦ - ٠٣ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولـــى


بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا العمل رسالة ماجستير بعنوان (الإمام محمد بن يحيى الذهلي محدثاً مع تحقيق الجزء المنتقى من زهرياته)
كلية الدعوة وأصول الدين بمكة المكرمة : قسم الدراسات العليا الشرعية فرع الكتاب والسنة .

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق

قال أبو طاهر السِّلَفِيْ في مدحه لأئمة الحديث :

وكالذُّهلي شمس الشرق عدلٍ

يعدلــه المعــادي والموالــي

سير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٢

مقدمـــــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده رسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1].

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونسآءً واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾[2].﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[3].

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة.[4]

الحمد لله . اللهمّ ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا ، وهديتنا وعلمتنا ، وأنقذتنا وفرّجت عنا .

لك الحمد بالإيمان ، ولك الحمد بالإسلام ،ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة ، كبتّ عدونا ، وبسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وجمعت فرقتنا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً ، و لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث ، أو سر أو علانية ، أو خاصة أو عامة ، أوحي أو ميت ، أو شاهد أو غائب . لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت .

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢).

(٢) سورة النساء آية (١).

(٣) سورة الأحزاب آية (٧٠، ٧١)

(٤) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، من حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/ ٥٩٢.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ، ومن اقتفى أثرهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين . . . أما بعد .

فقد كانت بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منَّة كبرى ، ونعمة تترى أسداها الله تبارك وتعالى للبشرية كافة ، وهي مع ذلك حجته عليهم إلى قيام الساعة . قال تعالى : ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾[١] . وقال ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم** ﴾[٢] .

فأشرقت الأرض بهذا النور ، واستيقظت البشرية من سباتها العميق ، وتحررت من ربقة الأهواء ، وانتعشت بالحق ، وسرت فيها روح الجدّ والعمل والإبداع ، فَسَعِدَت وأسعدت . وضمن ﷺ لها استمرار ذلك بحفاظها على ركيزتين أساسيتين متعاضدتين . القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

وقد تكفَّل عز وجل بحفظ كتابه فقال : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[٣]فلم يكن لأعداء الله من سبيل إلى الطعن والتشكيك في هذا المصدر السماوي المصون . ولما كانت السنة تالية للقرآن في الأهمية ، وكَلَ سبحانه تبيان هذا الكتاب إلى حبيبه ومصطفاه من خلقه محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾[٤] . فكانت سنته ﷺ مبينة للكتاب ، و شارحة له ، وموضحة لمعانيه ، ومفسرة لمبهمه ، ومقيدة لمطلقه ، ومفصلة لمجمله ، فهي كالشرح للكتاب . . . ولولا السنة المطهرة لتعطل جانب عظيم من الدين .

---

(١) سورة الأحزاب آية (٤٥ ـ ٤٦) .
(٢) سورة البقرة آية (١١٩) .
(٣) سورة الحجر آية (٩) .
(٤) سورة النحل آية (٤٤) .

وحين أدرك أولئك المتسللون عظيم قدرها، وسلامة منهجها، وشموله لجميع مناحي الحياة، توجهت سهامهم إليها تكذيباً وتشكيكاً وتوهيناً، فتكسرت سهامهم على النصال وباءت محاولاتهم بالخسران والوبال.

وقد عرف الرعيل الأول للسنة مكانتها السامقة وأهميتها الكبيرة، فرعوها حق رعايتها، وأودعوا حبَّها سويداء قلوبهم. وانصبت جهودهم على المحافظة التامة على ميراث النبوة، قولاً وفعلاً وتقريراً ووصفاً.

وبدأت تلك الجهود من عهد كبار الصحابة، كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فاستوثقوا من الأخبار، وشدَّ غيرهم الرحال إلى الآفاق لطلب حديث واحد، وعظموا جميعاً حديث رسول الله ﷺ، وغلّظوا على من عارضه ولو كان أقرب الناس. فضربوا بذلك أروع الأمثلة للحفاظ على تراث نبينا ﷺ غضاً طرياً كما صدر عنه فجرحوا وعدَّلوا، وقبلوا وردوا. ومن بعدهم حمل التابعون وأتباعهم هذا التأصيل لمنهج الحفاظ على السنة النبوية. وكوَنوا على مدى عدة أجيال نتائج كبرى، وثروة ضخمة، وأسماء لامعة، ومواقف خالدة، وجماعة مباركة، أصبح حديث رسول الله ﷺ اسماً لهم، ولقب تشريف يعتزون به.

فاسمهم المحدثون، وصناعتهم حديث رسول الله ﷺ يحفظونه ويبينون معانيه، ويتفقهون به، ويتأدبون بأدبه، ومن ثمَّ ينخلونه نخلاً من روايات الكذابين، وأوهام المغفلين، فتتبعوا الطرق، وبينوا العلل، ودرسوا الأسانيد، وعرَّفوا بالرواة واحداً واحداً، جرحاً وتعديلاً بأنزه الطرق وأبعدها عن المداهنة وأقربها للصحة. وتفننوا في التصنيف على الموطآت والمسانيد والصحاح والعلل . . . . . الخ.

وقد شرفت عصور الأمة الإسلامية الأولى بشخصيات من هذا النمط، كانت لهم الجهود الواضحة من الحفظ والمدارسة، والرحلة والمتابعة للحديث وعلومه، وتركوا آثاراً باقية إلى هذه الساعة وإلى ما يشاء الله.

والإمام محمد بن يحيى الذهلي (١٧٢ - ٢٥٨) أحد رجال الحديث ونقاده، واسم لامع في فترة نضوج التأليف فيه، والتقعيد لشتى فنونه ومطالبه، وهي ما يسمى بالعصر الذهبي للسنة. وإمام فحلٌ من فحول المنهج العَقدي السلفي الصافي في المشرق الإسلامي (نيسابور) ، بل كان موسوماً بالتشدُّد في السنة.

ومع شهرة هذا الإمام في مجالي العقيدة والحديث النبوي الشريف، إلا أنني لم أعهد أحداً قام بتعريف الأمة به وبجهوده في الحفاظ على سنة المصطفى ﷺ. الأمر الذي حدا بي أن أخُصَّه بدراسة وافية للحصول على الدرجة العلمية «الماجستير».

كان هذا هو السبب العام لاختيار هذه الأطروحة. أما الأسباب المباشرة أو الخاصة فسأوجزها في العنوان التالي :

أسباب اختيار الموضوع

تمكّن حب الحديث النبوي الشريف وأهله في قلبي، في تلك الليالي المباركة في المسجد الحرام ، في حلقة الشيخ علي بن محمد الهندي حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية، والتي شرح فيها صحيح الامام البخاري رحمه الله تلك الفترة من دراستي بالجامعة، وازداد حبِّي لهذه الشخصيات السامقة حين قرأت ترجمة الحافظ الإمام الخطيب البغدادي (ت٤٦٣)، ووقفت على معاني الهمة والعمل الدؤوب لما قرأ صحيح البخاري في خمسة أيام على كريمة بنت أحمد المروزيه بالمسجد الحرام ، فَشُغُفْتُ بقراءة تراجم المحدثين وعلماء الأمة .

ولما كنت أقرأ ترجمة الإمام البخاري في آخر كتاب هدي الساري ، مقدمة فتح الباري لابن حجر، وقفت على وحشته مع الإمام محمد يحيى الذهلي

بسبب مسألة اللفظ، فآلمني كثيراً ما حصل بينهما، فسألت الشيخ الهندي عن الإمام الذهلي، فأثنى عليه كثيراً، ونوّه بكتابه الزهريات وشهرته بين علماء الأمة، فكانت تلك بداية العلاقة بذلك الإمام الجهبذ رحمه الله، وتبلورت تلك العلاقة إلى رغبة مُلحّة في التعرف على هذه الشخصية لأمور :

الأول : محاولة الوقوف على حقيقة (مسألة اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أم لا ؟ وآثارها على المحدثين) والتي كانت سبباً في فرقة الإمامين على فضلهما وعلمهما . فأفردت لها فصلاً كاملاً، تتبعاً ودراسة وتحليلاً .

الثاني : لما اقتربت من شخص الإمام الذهلي بالإطلاع على ترجمته في المصادر المختلفة، وجدته علماً بارزاً ، وإماماً من أئمة الدين، وأميراً من أمراء المؤمنين في الحديث لا يقل في مكانته عن أئمة عصره أحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، وابن معين، والبخاري وسواهم. فكان ذلك سبباً في متابعة ترجمته وأخباره العلمية بعد تأكدي من أنه لم يدرس دراسة وافية على النحو الذي انتهجته في هذه الرسالة .

الثالث : اشتهر الإمام الذهلي بأنه من نقاد الحديث الذين أُثِرَتْ عنهم أقوال في الجرح والتعديل ، وفي معرفة علل الحديث وبالأخص علَل حديث الزهري ، فكان من الواجب تسجيل جهوده تلك خصوصاً، وإسهاماته العظيمة في علم الحديث عموماً ، لكي تجمع في مكان واحد فتضاف بعد دراستها وتنظيمها إلى إسهامات علماء هذه الأمة المجيدة .

عوائق ومصاعب البحث :

ما من شك أن إنشاء موضوع لا تتوفر مصادر مادته العلمية التي يستمد منها الباحث مادة بحثه ، وإبراز وحدة متكاملة من المعلومات عن شخص تفصل بيننا وبينه آماد بعيدة وقرون متطاولة، مع دراسة شاملة لجهوده في الفنون التي برّز فيها . . . ما من شك أنه تعيقه عوائق وتكتنفه مصاعب .

وموضوع الإمام الذهلي محدثاً، قد عاقني في سبيل إنجازه على الصورة التي أرتضيتها أمور أُجْمِلُ متفرقها في الأمرين التاليين :-

الأول : هو عدم وجود مصنفاته رحمه الله وبالأخص (الزهريات)، و (علل حديث الزهري)، ودفن أبي عمرو المستملي لما يقرب من ألفي جزء من تصانيفه بعد وفاته بأمر منه! ! ممّا كان حائلاً دون التمتع بإستقراء جهود الذهلي الحديثية، على الوجه الذي يليق بمكانته التي أشار إليها الأئمة السالفين والخالفين .

فلم يكن أمامي إلا التشمير عن ساعد الجد والغوص في بطون الكتب، فأمضيت أوقاتاً طويلة في جرد ما أمكنني جرده (من كتب الحديث وشروحها) كالكتب الستة باستثناءصحيح مسلم[1]، وسنن الدارمي ، وسنن الدارقطني والعلل له ، والسنن الكبرى والصغرى للإمام البيهقي وشعب الإيمان له ، ودلائل النبوة له، وكتب ابن خزيمة وسواها. وكتب التراجم كتهذيب التهذيب، وتاريخ بغداد ، وثمانية أجزاء من سير أعلام النبلاء، والتجريح والتعديل للباجي، وميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان لابن حجر، والضعفاء للبخاري، والضعفاء والمتروكين للنسائي، والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستي، والإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي.

ورجعت لفهارس بعض الكتب مما يدل على المطلوب فيها، واستنبطته كالثقات لابن حبان، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، وشرح علل الترمذي لابن رجب، والضعفاء لأبي زرعة وأجوبته على أسئلة البرذعي، وتحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج لابن الملقن .

ثم عرجت على كتب (المصطلح وعلوم الحديث) مثل موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي، والسابق واللاحق له، والجامع لأخلاق الراوي

(١) لأنه لم يرو عن الذهلي في مصنفاته ، بسبب مسألة اللفظ . انظر تفصيل ذلك ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ .

وآداب السامع له أيضاً ، وتقييد العلم له ، والكفاية له ، والإلماع للقاضي عياض ، ومعرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري ، ومقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح للعراقي ، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر ، ثم الموضوعات لابن الجوزي ، والفوائد المجموعة للشوكاني ، والمراسيل لأبي داود ، وبغية الملتمس في سباعيات حديث مالك بن أنس ، وأجزاء من التمهيد لابن عبد البر .

ويعض كتب (العقيدة) كالبعث والنشور للبيهقي ، واللالكائي في شرح أصول إعتقاد أهل السنة . ومسألة العلو والنزول لابن القيسراني . وكتب أخرى في فنون مختلفة كتاريخ جرجان للسهمي ، ومختصر قيام الليل للمروزي ، وتعظيم قدر الصلاةله ، وكتاب العظمة لأبي الشيخ ، والتنكيل للشيخ المعلمي .

وغير ذلك مما لا أستطيع حصره ، أو مما لم أجرده كله لظني بعدم وجود ما يخص الإمام رحمه الله تعالى فيه . فتحصل لي بعد ذلك من المعلومات القيمة ، والنكات المفيدة ، فرائد وقلائد ألبسته حلية المحدثين ، وكسته نبل العلماء العاملين ، وبوأته منازل أفراد الأمة القلائل الذين يشار إليهم بالبنان .

الثاني : الأمر الآخر الذي استوقفني مدة لابأس بها ، هو أمر فني يتعلق بكيفية عرض ما تحصَّل من معلومات ومسائل . ولم يكن الأمر الذي توَخَّيْته مجرد سرد لما احتوته بطاقات البحث ، وإنما رغبت في عرض جهود الإمام الذهلي عرضاً يبرز إمامته وجهبذته ، من خلال عطائه الشامل في علوم الحديث ، وبالتالي يتبين لنا مدى تضلعه المعرفي في هذا العلم ، وإلمامه بشتى أساسياته وأنواعه وفنونه ، ومدى ترابطها مع بعضها بعضاً .

لذا فإني قد استلهمت في تقسيم الباب الثالث وهو صلب الرسالة والذي تناول الإمام الذهلي محدثاً ، المنهج الذي اتبعه العلاّمة فضيلة الدكتور محمد محمد السماحي رحمه الله تعالى في كتابه المبتكر ، الفريد في ترتيبه

« **المنهج الحـديث في علوم الحـديث** » بأقسامه الثلاثة، قسم مصطلح الحديث، وقسم الرواة، وقسم الرواية.

حيث جعل كل قسم وحدة موضوعية تكمل الوحدة التي تليها، وهو بذلك قد ترسم الترتيب المنطقي لعلوم الحديث، والذي ابتدأه الحافظ ابن حجر في النخبة وشرحها وفارق فيه تقسيمات المتقدمين .

وقـد تمثل هذا المنهج الحديث واستفاد منه الدكتور نور الدين عتر في كتابه « منهج النقد في علوم الحديث » وزاده بياناً وإيضاحاً وترتيباً وإن كان لم يشر إلى ذلك، وسيأتي ذكره لمزايا هذا المنهج الذي أصَّله العلاّمة السماحي في مكانه عند التمهيد للباب الثالث .

ونظراً لدقة الدكتور العتر في الترتيب، وحسن تمثله لفكرة وابتكار شيخه السماحي الموسعة، فإني قد أنزلت فصول ومباحث الباب الثالث على غرار تقسيمه مع إضافات حتمتها منهجية البحث .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أُنوِّه بأن ما عثرت عليه من جهود للذهلي لاتستغرق جميع مسمَّيات وفنون مصطلح الحديث، ولكن أكثرها، كما سيلاحظ هناك تكرار لبعض المعلومات، يكون لذكرها في الموضع الآخر مناسبة مختلفة أو نكتة مفيدة .

هذا وقد قسمت الرسالة إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وثلاثة ملاحق . أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وعوائقه وخطة البحث فيه .

وأما **الباب الأول** : فقد تناولت فيه عصر الإمام الذهلي وحياته الشخصية وجعلته في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر الإمام الذهلي وتحته المباحث التالية :

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الدينية .

المبحث الثالث : الحالة الإجتماعية .

المبحث الرابع : الحالة العلمية .

الفصل الثاني : ترجمة الإمام الذهلي وتحتها المباحث التالية :

المبحث الأول : اسمه وكنيته ونسبته إلى ذهل .

المبحث الثاني : موطنه نيسابور ، و مولده .

المبحث الثالث : أسرته .

المبحث الرابع : وفاته .

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن صفاته الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة وتحتها المباحث التالية :

المبحث الأول : صفاته الخَلْقيَّة ومظهره .

المبحث الثاني : صفاته الخُلُقيَّة ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : أدبه وصبره ووفرة عقله .

المطلب الثاني : تواضعه واعترافه لغيره بالفضل .

المطلب الثالث : ميله إلى الوعظ والتذكير بالله .

المطلب الرابع : ورعه وتقواه .

وأما **الباب الثاني** فقد تناولت فيه حياته العلمية والإجتماعية والفكرية .

وفيه تمهيد وأربعة فصول .

الفصل ا لأول : تحدثت فيه عن عوامل بروز شخصيته العلمية ، ويشمل المباحث التالية :

المبحث الأول : بيَّنت فيه أثر الدوافع الإجتماعية في زمانه، وما أوتيه من مواهب ذاتية في شخصيته.

المبحث الثاني : بيَّنت فيه أهمية الرحلة في طلب العلم، ومرتبة الإمام الذهلي في طبقات الراحلين إلى الآفاق، ثم سَلْسلْت خط رحلاته وعدد مرات خروجه من نيسابور إستنباطاً من أقوال العلماء.

المبحث الثالث : أشرت فيه إلى أهمية التتلمذ على الشيوخ في العلم والفضل، وبيَّنت أثرهم في بناء شخصيات طلابهم، أردفت كل ذلك بتراجم فيها بعض التوسع عن عشرة من كبار مشايخه، وسردت الباقين في الملحق الأول من ملاحق الرسالة.

المبحث الرابع : أشرت فيه إلى أهمية بناء العلاقة بين الشيوخ وطلبتهم على المودة والحرص على تعلم العلم، ثم ترجمت لعشرة من أقرب تلاميذه إليه، وسردت الباقين في الملحق الثاني من ملاحق الرسالة.

الفصل الثاني : تناولت فيه بالدراسة مكانة الإمام الذهلي العلمية والإجتماعية وآثاره، ويشمل هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول : عُنيتُ فيه ببيان مكانته العلمية في المشرق خصوصاً، وفي بقية البلاد عموماً، وكونه أحد كبار نقاد الأخبار والرجال.

المبحث الثاني : عرّجت فيه على آثار الإمام الذهلي العلمية، وتصنيف ابن حبان له فيمن أمعنوا في الكتابة، وبيان فداحة الخسارة بدفنه ما يقارب ألفي جزء من كتبه، ثم عدَّدْت ما عرف منها كالزهريات والعلل والجزء، مع وصفها وبيان أهميتها.

المبحث الثالث : بيَّنت فيه مكانة الإمام الذهلي رحمه الله الإجتماعية داخل نيسابور وخارجها، وكونه من ذلك الرعيل الذي جمع بين العلم

والعمل الدؤوب من أجل صلاح المجتمع، وصونه من أيدي العابثين، ثم ذكرت ثناء العلماء عليه وجميل ذكرهم له.

الفصل الثالث: عُنيتُ فيه ببيان حياة الإمام الذهلي الفكرية، وهي وقفة لازمة عند دراسة أي شخصية مهمة لمعرفة أبعادها ومنطلقاتها، ويشمل هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: عقيدة الإمام الذهلي: وقد توصلت فيه إلى أنه سلفي العقيدة، متبع للسنة، بل موصوف بالتشدد فيها... بَلْهَ أنَّه كان من كبار الأئمة الذين يستشهد بأقوالهم ومواقفهم في قضايا الاعتقاد.

المبحث الثاني: بيَّنت فيه إتجاهه الفقهي، ومن خلال استعراض وتحليل جهوده الفقهية يتضح أنه كان من الأئمة المجتهدين، بعيداً في منهجه عن التقليد والمتابعة، كما سيأتي في عباراته.

الفصل الرابع: بسطت فيه القول في مسألة اللفظ بالقرآن، وما وقع بين الإمامين الذهلي والبخاري بسببها، وأثرها في صفوف المحدثين. وهي مسألة تعتبر ربيبة لمسألة خلق القرآن، وقد بذلت فيها غاية جهدي، استقصاءً، وجمعاً، وتحليلاً، وتوجيهاً، وذلك لأن الإمام الذهلي طرف أساسي ومهم فيها، فكان لابد من عرضها عرضاً علمياً، وتحليلها بحياد بغية إظهار الحق في أمر أساء كثير من المتأخرين عرضه وتوجيهه.

ويشتمل هذا المبحث المهم على تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: بينت فيه أن الخلاف في مسألة اللفظ كائن بين أهل الحديث.

المبحث الثاني: عرّفت فيه بأول من أثار المسألة.

المبحث الثالث: ألقيت فيه الضوء على المسألة، ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول : تعريف اللفظ واللفظية .

المطلب الثاني : مقالة الإمام أحمد ومراده بها .

المطلب الثالث : نشأة القضية وسبب الإشتباه .

المبحث الرابع : عرض تفصيلي لما حصل بين الإمامين الذهلي والبخاري من وحشة ، ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : مبررات الحديث عن هذه الوحشة .

المطلب الثاني : عرض الأحداث .

المطلب الثالث : إعتذارات العلماء عنهما وتوجيهاتهم لما حدث .

المبحث الخامس : أثرها في صفوف المحدثين .

وأما **الباب الثالث** فقد أفردته بتفصيل أثر الإمام الذهلي في الحديث وعلومه .

ويعتبر هذا الباب صلب الموضوع وأهم أبواب الرسالة ، لأنه يعرِّف بشخصية الإمام الذهلي كإمام وعالم ترك آثاراً جليَّة ، وقَعَّدَ قواعد واضحةً في معرفة الحديث النبوي ومصطلحه ، في فترة تعتبر مبكرة في تاريخ هذا العلم ، كما أنني قسمت هذا الباب التقسيم المنطقي الذي يبرز شمولية علم الإمام الذهلي لأغلب مفردات علم المصطلح ، ويُبَيِّن حُسن صناعته في علوم رواة الحديث ونقدهم ، وعلوم روايته ، وكذا معاييره النقدية في القبول والرد للأحاديث ، وأخيراً إلمامه بعلوم الإسناد والمتن كلاً على حدة ، وختمت الباب بجهوده في العلوم المشتركة بينهما وبراعته في علم العلل الذي اشتهر به .

وقد اشتمل هذا التقسيم على تمهيد وخمسة فصول .

الفصل الأول : أثره في علوم الرواة . وتحته المباحث التالية :

المبحث الأول : العلوم المعرفة بأحوال الرواة . ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : صفة من تقبل روايته ومن ترد .

المطلب الثاني : عرضت فيه آثاره في الجرح والتعديل، وكذا منهجه فيه .

المطلب الثالث : معرفته بالاختلاط .

المطلب الرابع : معرفته بالوحدان .

المبحث الثاني : العلوم المعرفة بأشخاص الرواه . ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : علوم الرواه التاريخية . ويشمل النقاط التالية :

أولاً : معرفته بتاريخ وفيات الرواة ، ثانياً : معرفته بطبقات الرواة . ثالثاً : معرفته بالاخوة والاخوات . رابعاً : معرفته برواية الآباء عن الأبناء . خامساً : معرفته برواية الأبناء عن الآباء .

المطلب الثاني : علوم أسماء الرواة ويشمل :

أولاً : معرفته بأسماء ونعوت الرواة المختلفة . ثانياً : معرفته بالأسماء والكناة . ثالثاً : معرفته بالمهمل من أسماء الرواة . رابعاً : معرفته بالمتفق والمفترق . خامساً : معرفته بالمؤتلف والمختلف . سادساً : معرفته بالمتشابه المقلوب . سابعاً : معرفته بألقاب المحدثين. ثامناً: معرفته بأوطان الرواوة . تاسعاً : معرفته بمصطلح الموالي من العلماء والرواة .

المبحث الثالث : إهتمام الإمام الذهلي بسماعات الرواة وإمكان اللقاء بينهم، ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : أهمية السماعات عند المحدثين .

المطلب الثاني : نماذج من اهتمام الإمام الذهلي بالسماعات .

المبحث الرابع : المفاضلة والتمييز ، والموازنة بين الرواة والأسانيد، ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : مفاضلته وتمييزه بين الرواة .

المطلب الثاني : مفاضلته وموازنته بين الأسانيد .

المبحث الخامس : معرفته بشئون الرواة الخاصة، ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : معرفته بمقدار ماعند الرواة من الحديث .

المطلب الثاني : معرفته بمن تدور عليهم أحاديث الرواة .

المطلب الثالث : معرفته بأقارب الرواة .

المطلب الرابع : متفرقات في أخبار الرواة الخاصة .

الفصل الثاني : أثر الإمام الذهلي في علوم رواية الحديث .

وقد عقدت هذا الفصل لإبراز جانب الرواية عند الإمام رحمه الله من حيث آدابها أيام الطلب وأيام الأداء والعطاء، وعرجت على آثاره في أنواع الأداء والتحمل . ثم بيَّنْت آثاره في كتابة الحديث وقواعدها . وأخيراً ضربت نماذج من روايته للحديث وأفضت في بيان منهجه في الرواية إذ هو المقصود من هذا الباب، ويشمل هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الأول : أثره في آداب طالب الحديث من خلال التزامه بها .

المبحث الثاني : أثره في آداب المحدث من خلال اتصافه بها .

المبحث الثالث : أثره في أنواع الآداء والتحمل .

المبحث الرابع : أثره في كتابة الحديث .

المبحث الخامس : أثره في رواية الحديث، ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : انتخبت عشرة نماذج من رواياته من عشرة كتب مختلفة لأشهر تلاميذه . وأشرت إلى ذكر بقيتها في الملحق الثالث من ملاحق الرسالة مرتباً كتب أصحابها حسب الأهمية . وقد نافت رواياته فيها على أربعمائة وألف « ١٤٠٠ » رواية .

المطلب الثاني : سجَّلت فيه أبرز خصائص منهج الإمام الذهلي في رواية الحديث . ويشمل النقاط التالية :

أ ـ خصائص منهج الإمام الذهلي في الرواية .

ب ـ مقارنته ومعارضته بين الروايات .

جـ ـ المقارنة والمعارضة بين رواياته وروايات غيره .

د ـ لطائف روايات الإمام الذهلي .

الفصل الثالث : أثر الإمام الذهلي في علوم الحديث من حيث القبول والرَّد .

ويعتبر هذا الفصل مرحلة منطقية تالية لعلوم الرواة وعلوم الرواية وهو يُعْنَى ببيان شروط سلامة انتقال الحديث من راو لآخر ، من خلال المعرفة التامةبأحوال الرواة وقواعد الرواية . وجعلت تحتهً المباحث التالية :

المبحث الأول : معرفته بالصحيح وما يتفرع عنه . ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريفه للخبر المقبول المحتج به .

المطلب الثاني : تصحيحه للأحاديث .

المطلب الثالث : حكمه بأصح ما في الباب .

المطلب الرابع : معرفته بأصح أسانيد اليمنيين .

المبحث الثاني : وصفه لأحاديث الرواة بالحسن ومراده بذلك .

المبحث الثالث : تضعيفه للأحاديث واصطلاحاته في ذلك .

الفصل الرابع : أثر الإمـام الذهلي في علوم كلٍ من المتن والسند ، وتحته المباحث التالية :

المبحث الأول : أثره في علوم المتن . ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : أثره في علوم المتن من حيث قائله . ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ معرفته بالحديث المرفوع .

ب ـ معرفته بالحديث الموقوف .

المطلب الثاني : أثره في علوم المتن من حيث درايته ويشتمل على بيانه لغريب الحديث .

المبحث الثاني : أثره في علوم السند . ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : أثره في علوم السند من حيث الاتصال ، ويشتمل على معرفته بالمصطلحات التالية :

أ ـ المسند . ب ـ المعنعن .

جـ ـ النازل . د ـ المزيد في متصل الأسانيد .

المطلب الثاني : أثره في علوم السند من حيث الانقطاع ، ويشتمل على معرفته بالمصطلحات التالية :

أ ـ المنقطع . ب ـ المرسل .

جـ ـ المعضل . د ـ المدَلَّسْ .

الفصل الخامس : أثر الإمام الذهلي في العلوم المشتركة بين المتن والسند ، وتحته المباحث التالية :

المبحث الأول : معرفة الإمام الذهلي بالعلوم الناشئة من عدم تعدد الرواة . وهي إشارته للحديث الفرد والغريب .

المبحث الثاني : معرفة الإمام الذهلي بالعلوم الناشئة من تعدد الرواة مع اتفاقهم ، ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : معرفته بالمشهور والمستفيض .

المطلب الثاني : معرفته بالمتابعات .

المبحث الثالث : معرفة الإمام الذهلي بالعلوم الناشئة من تعدد الرواة مع اختلافهم ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : معرفته بالشاذ والمحفوظ .

المطلب الثاني : معرفته بالمنكر .

المطلب الثالث : معرفته بالمدْرَج .

المطلب الرابع : معرفته بالمصَحَّف .

المطلب الخامس : معرفته بعلل الحديث .

وأما **الباب الرابع** فقد عقدته لدراسة وتحقيق المخطوط المنتقى من زهرياته

وعنوانه : **منتقى من منتخب أحاديث الزهري للذهلي**

وتحته تمهيد **وقسمان** :

تناولت في **القسم الأول** :وصف النسخة الخطية (الجزء) وعَيَّنْتُ منتقيه وكاتبه، ثم ذكرت سند المنتقي إلى الإمام الذهلي وكتابه الزهريات ثم تراجم رجال السند، وأخيراً سرد السماعات والقراءات المثبتة في أول الجزءوآخره.

وبَيَّنْت في **القسم الثاني :** منهجي في التحقيق ثم النص المحققّ .

وبعد استعراض أبواب الرسالة الأربعة ختمتها بخاتمة تُبَيِّنْ أهم النتائج التي توصَّلت إليها من خلال البحث .

خاتمة الرسالة : وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

وقد ألحقت بالرسالة ثلاثة ملاحق كانت على النحو التالي :

الملحق الأول : مسرد بأسماء شيوخه .

الملحق الثاني : مسرد بأسماء تلاميذه .

الملحق الثالث : جداول بعدد رواياته في عشرة كتب منتقاة، مع بيان ما رُوِيَ منها من طريق الزهري. مع أسماء شيوخه .

منهج البحث الذي انتهجته.

اعتمدت في إعداد هذا البحث على التتبع والاستنباط من الكتب المؤلفة - في مختلف الفنون- المعاصرة للإمام الذهلي واللاحقة له ، ذلك لأن كتبه إلى الآن في عداد المفقود، ماعدا المنتقى من زهرياته الموجود في المكتبة الظاهرية والذي أرفقته بهذه الرسالة دراسة وتحقيقاً في الباب الرابع .

فرجعت لكتب الحديث وجلّ أصحابها من تلامذته كالبخاري وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن الجارود والمروزي وابن خزيمة وسواهم، واستعرضت كتب شروح الحديث وكثير منها اشتمل على معلومات من كتبه إبّان وجودها بينهم تلك الأيام.

ثم جردت كتب التواريخ والرجال، وبحثت في كتب العقيدة والمصطلح، وحاولت العثور على كل ما يثري البحث بأي معلومة ذات قيمة علمية من جميع المصادر الممكنة، بغية الوقوف على أحوال وأخبار الإمام الذهلي الشخصية والعلمية.

هذا وقد اتبعت المنهج التالي في كتابة هذه الرسالة :

١- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن الكريم ببيان اسم السورة ورقم الآية.

٢- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني الموافق للمصحف الشريف.

٣- خرجت الأحاديث النبوية من كتب السنّة المشهورة بذكر الكتاب والباب والصفحة، مع بيان الحكم على أغلبها، أما أحاديث المخطوط فقد بيّنت مكانة كل حديث من الصحة والحسن والضعف.

٤- عزوت أقوال العلماء في الجرح والتعديل ومختلف العلوم والأشعار إلى مواضعها في المصادر المختلفة.

٥- ترجمت للأعلام الواردين في الرسالة تراجم تختلف طولاً وقصراً حسب مكانة كل مترجم وما يتعلق به، وحسب مكان ذكره، واعتمدت على أكثر

من مرجع في الغالب، وقد أترك ترجمة بعض الأعلام في أول مكان يذكرون فيه، إلا أنه سيترجم لهم فيما بعد بتوسع، كما هو الحال في تراجم أشهر مشايخه وتلاميذه، وسواهم. كما أني قد تجاوزت الترجمة لأصحاب الكتب الستة وإن كانوا جميعاً قد تتلمذوا عليه، لشهرتهم في الأمة، ورغبة في إظهار سواهم من كبار تلامذته.

٦- بيّنت معاني الكلمات الغريبة الواردة في الرسالة.

٧- ضبطت ما قد يشكِل من الكلمات والأسماء.

٨- قمت بتعريف البلدان، والأمكنة والبقاع، والمصطلحات العلمية واللغوية، والمدارس، والفرق والمذاهب، باختصار حسب الأهمية.

٩- استعملت الرموز لعدد من المصادر لكثرة تكرارها في الرسالة، وليس ذلك مطرداً في كل موضع (*).

(*) ت الكبير = التاريخ الكبير.
ت الصغير = التاريخ الصغير.
ت ت = تهذيب التهذيب.
ت = تقريب التهذيب. (وأكثر ما ترد في الباب الرابع «المخطوط»).
التقريب = تقريب التهذيب.
الكامل = الكامل في ضعفاء الرجال.
المجروحين = المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين.
الجامع = الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.
الإكمال = الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب.
الإلماع = الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع.
المحدث الفاصل = المحدث الفاصل بين الراوي والواعي.
النهاية = النهاية في غريب الحديث والأثر.
اللباب = اللباب في تهذيب الأنساب.
السير = سير أعلام النبلاء.
الخلاصة = خلاصة تذهيب تهذيب الكمال.
اللسان = لسان العرب.
الإصابة = الإصابة في تمييز الصحابة.
ص = الصفحة.
ط = الطبعة.

١٠ - رتبت المصادر والمراجع بالترتيب الهجائي، وبيَّنت ما يوجد من معلومات عن تاريخ الطبعة والناشر والمحقق.

١١ - وضعت عدداً من الفهارس العلمية (فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الآثار، و فهرس الأشعار، و فهرس الأسماء ويشمل الأعلام والأمكنة والبقاع والفرق والألفاظ الغريبة، وفهرس المصادر والمراجع ، وختام كل ذلك بيان محتويات الرسالة) التي تيسر للقارئ الرجوع لأي معلومة في الرسالة.

وبعد هذه الإلماحة عن هذا الجهد المتواضع في خدمة السنة النبوية ورجالها والذي أرجو أن يسهم في تعريف الأمة بجبل من العلم والفضل والمنهج السَّلفي القويم ، في زمن طوت صحائف النسيان فيه المشهور مع المغمور من كبار علماء ونبلاء الأمة .

أتوجه لله الحنَّان المنَّان ، فاطر السماوات والأرض، فالق الإصباح والنوى. بأجزل حمد الحامدين، وشكر الشاكرين على عونه وتوفيقه لإتمام هذه الرسالة، وأسأله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، كما أدَّخر ثوابها لمقام والديَّ اللذين كان لهما أبلغ الأثر في التوجيه للخير والعلم .

وبعدهما أزجي عاطر الثناء والشكر والعرفان للمعلِّم المربي القدوة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور (**سليمان الصادق البيرة**) المشرف على هذه الرسالة. على توجيهاته العلمية القيمة ، وارشاداته التَرْبويَّة في العلم وفي الحياة، سواء في بيته ومكتبه أو الجامعة والحرم، مع تركيزه على أهمية بر الوالدين في سلوك فجاج الحياة بنجاح وتوفيق. فلن أكافي كثرة إحسانه ومتابعته لي ولزملائي، بالعلم والتربية والقدوة، إلا أن أتوجه لله تبارك وتعالى بأن يجزيه خير الجزاء ويثيبه وافر الثواب، وأن يبارك له في علمه وماله وأهله، وأن يمطر شآبيب رحمته على والديه، ويختم لنا وله ولوالدينا بجنته وغفرانه. . آمين .

وأتقدم بعد ذلك بعظيم الشكر والإمتنان والعرفان لمناقشي هذه الرسالة ، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / عبد الله بن علي الغامدي رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية سابقاً على قبوله المناقشة بالرغم من كثرة مشاغله العلمية، وعلى حسن معاملته إبَّان اضطلاعه بمهام الرئاسة، وسعادة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد ولد سيدي كريم أستاذ الحديث وعلومه في كلية التربية بالطائف على قبوله المناقشة أيضاً وتجشمه قراءتها .

ولا يفوتني شكر جامعة أم القرى بمكة المكرمة ممثلة في معالي مديرها الدكتور راشد الراجح، على إتاحة فرصة مواصلة الدراسات العليا لي ولزملائي، كما أشكر عمادة كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها السابق الدكتور علي بن نفيع العلياني الذي عاصر بداية هذا الموضوع، وبداية عملي الوظيفي بالكلية، وخلفه الأخ الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، وسعادة رئيس قسم الكتاب والسنة وأعضاء هيئة التدريس فيه .

كما أعمِّم شكري وتقديري لكل من ساهم باظهار هذه الأطروحةبهذا الثوب القشيب من أشقائي وأفراد أسرتي وأساتذتي وزملائي الأفاضل، وهم كثير لا يسعني تخصيص بعضهم بالشكر ، فللجميع دعوة خالصة بأن يتمَّ نعمه عليهم، وييسر أمورهم، لقاء حرصهم ومساعدتهم .

هذا ولله الحمد أولاً وآخراً على فضله وجوده ونعمه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه، وأتباعهم ، ومن اقتفى آثارهم إلى يوم الدين .

الباب الأول

عصر الإمام الذهلي وحياته الشخصية

وتحته الفصول التالية :

الفصل الأول : عصر الإمام الذهلي .

الفصل الثاني : ترجمة الإمام الذهلي .

الفصل الثالث : صفاته الخَلقيّة والخُلُقيّة .

الفصل الأول

عصر الإمام الذهلي

وتحته المباحث التاليـة :

المبـــحث الأول : الحالة السياسية .

المبــحث الثــاني : الحالة الدينية .

المبــحث الثــالث : الحالة الإجتماعية .

المبـــحث الرابع : الحالة العلمية .

أولاً : الحالة السياسية :

قامت الدوله العباسية سنة ١٣٢هـ. وتوالى الخلفاء العباسيون بعد أبي العباس السفاح[1]، وكانت شخصية كل خليفة عباسي تطبع عصره بطابع خاص .

فقد كان الخليفة العباسي يقوم على رأس الحكومة باعتباره مصدر كل السلطات، والملجأ الأخير في كل شئون الدولة . وأصبحت خصائص الخليفة الدينية والعقلية والخلقية والنفسية هي التي تحدد إتجاهاته السياسية والحضارية .

كانت الدولة الإسلامية حين وفاة الرشيد[2](١٩٣هـ) قد بلغت أوج قوتها الإقتصادية. ويتضح ذلك من مقارنة ميزانية الدولة في عهد الرشيد بالعهود الأخرى سواء كانت سابقة أم لاحقة. وقد اتصف عصر الرشيد بالاستقرار في أنحاء الدولة المترامية الأطراف .

لذلك كانت الدولة الإسلامية كلها في عصر الرشيد إذا استثنينا الأندلس وبعض المغرب وحدة متكاملة تخضع خضوعاً تاماً للخليفة في بغداد، وهو الذي يعيِّن ولاتها، وإليه يجبى خراجها، ويدعى له على المنابر، وتضرب السكة باسمه ونحو ذلك من مظاهر السلطان.

لقد حقق الله للرشيد هذا العصر الذهبي للدولة الاسلامية لعدة أسباب من أهمها، العدل والتقوى، والحزم في الإدارة.

ولكن هل كتب لهذه الحاله أن تدوم؟ وهل ظلت الدولة الإسلامية قوية موحدة؟ إن دوام الحال كان موقوتاً بعهد الرشيد فحسب !!

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أول الخلفاء العباسيين. توفي سنة ١٣٦ . سير أعلام النبلاء ٦/ ٧٧، للإمام الذهبي . تحقيق شعيب الأرناؤوط ومجموعة من الباحثين.

(٢) هو هارون ابن المهدي محمد أبو جعفر الخليفة العباسي، كان من أنبل الخلفاء، ذا حج وجهاد. توفي سنة١٩٣ . السير ٩/ ٢٨٦.

فقد أصيبت الدولة الاسلامية بعد قليل من خلافة ابنه الأمين[1] بنكسة خطيرة، فلم يلبث أن تشب نزاع حاد بين الأمين وأخيه المأمون،[2] وشغل كل منهما بحرب الآخر، مما ترتب عليه نقصان في ميزانية الدولة وعجز في إيراداتها وفتن وقلاقل[3].

ومنذ عهد المأمون والدولة الإسلامية آخذة في الإنحدار عن الذروة التي بلغتها زمن الرشيد، وقد استمر هذا الإنحدار في العهود التالية ولكن ببطء شديد حتى انتهى إلى غايته عند منتصف القرن الثالث الهجري، وذلك نتيجة للفساد السياسي والارتباك الاقتصادي الذي تردَّت فيه الخلافه العباسية في ذلك الحين.

وجاء المعتصم[4] الذي خلف المأمون سنة ٢١٨هـ وفي عهده تبرز ظاهرة خطيرة كان لها أبعد النتائج السيئه بالنسبة لمستقبل الدولة الاسلامية وهي إدخال عنصر جديد بالجيش وهو العنصر التركي.

ومن الإنصاف أن نقرر أن المعتصم وإن كان قد مكن للأتراك في البلاد، إلا أنهم كانوا في أول أمرهم قوة للدولة، وكان انتصارهم الكبير الذي حققوه في وقعة عمورية سنة ٢٢٣هـ، فقد كانت القيادة العليا في يد الأتراك وعلى رأسهم

---

(١) هو أبو عبد الله محمد ابن الرشيد هارون، كان ذا قوة وشجاعة وأدب وفصاحة، ولكنه سيئ التدبير مفرط التبذير، مع صحة إسلام ودين، قتل في المحرم سنة ١٩٨. سير أعلام النبلاء ٣٣٤/٩.

(٢) هو عبد الله بن هارون الرشيد سيترجم له بتوسع عند الحديث عن مسألة اللفظ بالقرآن، انظر ص ٢٩٥.

(٣) الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص٤٦٠، تأليف د. محمد ضياء الدين الريِّس.

(٤) هو محمد بن هارون أبو إسحاق. كان ذا قوة وبطش وشجاعة وهيبة، لكنه نزر العلم. تابع أخاه المأمون في امتحان الأمة بخلق القرآن. غزا عمّورية. وبنى سامراء. توفي سنة ٢٢٧هـ. المعارف ص٣٩٢، للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق د. ثروت عكاشة. السير ٢٩٠/١٠.

أشناس[1]. وجاء الواثق[2] الذي خلف أباه المعتصم (٢٢٧ - ٢٣٢هـ) بعهد منه وفي عهده زاد نفوذ الأتراك لكثرة ماكان على عاصمة الخلافة من بلادهم - بلاد ماوراء النهر - وبما أبدوا من بسالة في حروبهم، وبما تزاوجوا وتناسلوا[3].

ولما توفي الواثق اجتمع كبار الدولة وأختير جعفر[4] ابن المعتصم ولقب بالمتوكل على الله، وكان اختياره بإشارة الأتراك وذلك في سنة ٢٣٢هـ.

ونظراً لازدياد نفوذ الأتراك، فقد حاول المتوكل محاولة يائسة للحد من سلطانهم، فقد دبر مكيدة لقتل زعيمهم « إيتاخ» ولكنه باء بالفشل.

وفي الوقت الذي أراد فيه المتوكل التخلص من الأتراك حتى يعيد للدولة العباسية سيرتها الأولى كان ابنه المنتصر يتابعهم.

فدبر القواد الأتراك مؤامرة للتخلص من المتوكل، وبالفعل تم قتله، ومعه وزيره الفتح بن خاقان الذي مات هو الآخر دفاعاً عنه.[5]

وكان مقتل المتوكل بهذه الصورة سنة ٢٤٧هـ على أيدي الأتراك إيذاناً بل إعلاناً مدوياً ببدء عهد جديد، فمنذ مقتله انتقلت السلطة إلى أيدي قادة الأتراك،

---

(١) ظهر الإسلام ١/ ٦، للدكتور أحمد أمين.

(٢) هو هارون ابن المعتصم بالله. قاتل أحمد بن نصر الخزاعي في فتنة خلق القرآن. توفي سنة ٢٣٢. المعارف ص ٣٩٣. السير ١٠/ ٣٠٦.

(٣) تاريخ الخلفاء، للإمام جلال الدين السيوطي ص ٣٨٥، تحقيق قاسم الرفاعي ومحمد العثماني.

(٤) هو جعفر ابن المعتصم أبو الفضل العباسي. بويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق، وهو الذي أحيا السنَّة وأمات التجهم ولكنه كان فيه نصب ظاهر وانهماك على اللذات. مات سنة ٢٤٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢/ ١١٤، لابن العماد الحنبلي.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٣٣٦-٣٣٧ للإمام محمد بن جعفر الطبري، مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤/ ١٢٠-١٢٢، لعلي بن الحسين المسعودي.

وضاعت هيبة الخلافة، وأصبح الأتراك يستطيعون أن يولوا من شاءوا أو يعزلوه أو يقتلوه وأصبح الخليفه يقنع بالسكة والخطبة فقط.[1]

وبعد قتل المتوكل ولّى الأتراك المنتصر[2] (٢٤٧ - ٢٤٨هـ)ثم بعد قليل أجبروه على أن يخلع من العهد أخويه المعتز[3] والمؤيد[4]. ولم تطل مدته أكثر من ستة شهور.

وبعد وفاته إجتمع قادة الأتراك وعلى رأسهم بغا الكبير، وبغا الصغير، وأتامش وحولوا الخلافة من ولد المتوكل إلى ولد المعتصم، فبايعوا أحمد[5] ابن المعتصم فلقب بالمستعين سنة ٢٤٨هـ، وقد بلغت الأمور في عهد المستعين درجة جعلت بعض الشعراء يصف حالة الضعف التي وصلت إليها الخلافة في زمنه فيقول:

خليفة في قفص　　　بين وصيف وبغا

يقـول ماقالا له　　　كما تقول الببغاء[6]

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص٢٢٠، تأليف محمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقي.

(٢) هو محمد ابن المتوكل على الله الهاشمي، كان وافر العقل، راغباً في الخير، قليل الظلم، باراً بالعلويين، كان يتهم بأنه واطأ على قتل أبيه، فما أمهل. مات مسموماً سنة ٢٤٨. شذرات الذهب ١٢/ ١١٨، السير ٤٢/ ١٢.

(٣) هو محمد وقيل الزبير ابن المتوكل جعفر. استخلف وهو ابن عشرين سنة، وكانت خلافته ثلاث سنين ونيّف. مات بعد أن ضربه الأتراك وخلعوه، ومنعوه الطعام والشراب سنة ٢٥٥. شذرات الذهب ٢/ ١٣٠، السير ١٢/ ٥٣٢.

(٤) هو إبراهيم ابن المتوكل ابن المعتصم، عقد له أخوه المعتز بولاية العهد ثم خلعه وحبسه، ثم أخرج ميتاً، فقيل أجلس في الثلج حتى مات برداً. وذلك في رجب سنة ٢٥٢. تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٤١٤، السير ١٢/ ٣٣٣.

(٥) هو أبو العباس أحمد ابن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد. كان متلافاً للمال، مبذراً، إختلت الخلافة بولايته، واضطربت الأمور. خلع ثم قتل ذبحاً بالسكين سنة ٢٥٢. تاريخ بغداد ٥/ ٨٤ للخطيب البغدادي. السير ١٢/ ٤٦.

(٦) ظهر الإسلام ١/ ١٢.

ووجد التحاسد طريقه بين صفوف الأتراك في عهد المستعين، فكانت المؤامرات والدسائس، والقتل والسلب والنهب، وقام الأتراك بمؤامرة على الخليفة نفسه، فما أن علم المستعين بهذه المؤامرة حتى اتفق مع أحد قواده على ترك سامراء والتوجه إلى بغداد سنة ٢٥١هـ[١]

وظل المستعين مقيماً في بغداد بعيداً عن سامراء التي تركزت فيها قوة الأتراك، فقام الأتراك بإخراج المعتز والمؤيد من السجن، فبايعوا المعتز بالخلافة ولأخية بولايه العهد.

وهكذا أصبحت بغداد مع المستعين، وسامراء مع المعتز، ثم تمكنوا من محاصرة بغداد، ودبر الأتراك إغتيال المستعين ونجحوا في ذلك سنة ٢٥٢. [٢]

ولم تكن الخلافة أسعد حظاً في عهد المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥هـ) الذي جاء به الأتراك خلفاً للمستعين، فقد كان في يدهم كالأسير إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه، ،وإن شاءوا قتلوه.

ولعل في تلك المحاورة التي جرت بين بعض المقربين للمعتز مأيظهر وضع الخليفة والخلافة في ظل تسلط الأتراك، قال ابن طباطبا: « لما جلس المعتز على سرير الخلافة قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم: أنظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته فقالوا: فكم تقول إنه يعيش وكم يملك؟ قال مهما أراد الأتراك فلم يبق في المجلس إلا من ضحك[٣]

---

(١) مروج الذهب ٢/٤٠٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ١٤٥ للعلامة عز الدين ابن الأثير ، تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٨ للدكتور : حسن إبراهيم حسن.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٢٠ لابن طباطبا.

وكانت أحوال الجيش في عهد المعتز على أسوأ مايكون، فالأتراك أصحاب السلطات والنفوذ، وهم فيما بينهم مختلفون، لأنه لاتجمعهم قيادة واحدة، ولاحيلة للخليفة إلا مراعاة جانبهم حيناً، وإعمال الحيل والدسائس حيناً آخر، وهذا شأن من سلب سلطانه، وحرم نفوذه.(١)

وكان المعتز يخاف الأتراك ويخشى بأسهم، ولايأمن جانبهم ومع ذلك لم يسلم من شرهم، فدخل عليه بعضهم فجروه من رجله وتناولوه ضرباً، فخرج وقميصه ملوث بالدم، ثم أقاموه في الشمس يرفع رجلاً ويضع أخرى من شدة الحر ثم خلعوه وبعد الخلع أُسْلِمَ إلى من يعذبه، ومنع الطعام والشراب ثلاثة أيام حتى مات(٢)

أما المهتدي ابن الواثق فقد ولي الخلافة بعد قتل أخيه المعتز سنة ٢٥٥هـ، وظهرت الثورات في خلافته، فثارت العامة في بغداد، كما أذكى العلويون(٣) نار الثورة في كثير من البلدان الاسلامية ثم بدأت ثورة الزنج(٤) التي هددت الدولة العباسية زهاء أربع عشرة سنة (٢٥٥ - ٢٧٠).

كما شق الخوارج عصا الطاعة في الموصل. ثم ثار أحمد بن عيسى ابن الشيخ في بلاد الشام، وكان المهتدي(٥) كغيره من الخلفاء الذين جاءوا بعد المتوكل ألعوبة في أيدي الأتراك.

---

(١) الدويلات الإسلامية في المشرق ص٢٥ للدكتور: محمد علي حيدر.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٤٢٩-٤٣٠.

(٣) العَلَويون بفتح العين المهملة واللام المخففة. وهم أناس ينسبون إلى علي ابن أبي طالب. انظر الأنساب ٤/ ٢٢٩، للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني. تعليق عبد الله عمر البارودي.

(٤) الزنج: بفتح الزاي والنون الساكنة، وهم أقوام أتي بهم من سواحل إفريقية. وكانوا يسكنون سباخ البصرة، إلتقوا على رجل من بلاد فارس كان أجيراً فادعى أنه من سلالة علي ابن أبي طالب ودعا الناس إلى طاعته. وكان للزنج حروب وفتن أشغلوا بها الأمة. الأنساب ٣/ ١٧٠، البداية والنهاية ١١/ ١٨ للحافظ ابن كثير، ضبط وتصحيح هيئة بإشراف الناشر.

(٥) هو محمد ابن الواثق هارون ابن المعتصم أبو إسحاق. كان عادلاً صالحاً متعبداً بطلاً شجاعاً، خليقاً للإمارة لكنه لم يجد معيناً ولا ناصراً. وكان يحب الإقتداء بطريقة عمر بن عبد العزيز. قتل سنة ٢٥٦. البداية والنهاية ١١/ ١٧، السير ١٢/ ٥٣٥.

وليس أدل على ما وصل إليه الخليفة من الضعف، ومابلغته الخلافة من الوهن والانحلال من هذه العبارة التي رواها الطبري :

«رفع المهتدي يديه إلى السماء ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : اللهم إني أبرأ إليك من فعل موسى بن بغا وإخلاله بالثغر، وإباحته العدو، فإني قد أعذرت فيما بيني وبينه. اللهم تول كيد من كايد المسلمين، اللهم أنصر جيوش المسلمين حيث كانوا، اللهم إني شاخص بنيتي واختياري إلى حيث نكب المسلمون فيه، ناصراً ودافعاً، اللهم فأجُرني بنيتي إذ عدمت صالح الأعوان، ثم انحدرت دموعه يبكي»(١)

وسرعان مااجتمعت كلمة الأتراك على قتل الخليفة، فثاروا عليه، ثم أسروه، وخلعوه، ولم يكتفوا بذلك. بل عذبوه حتى الموت في رجب سنة ٢٥٦هـ(٢)

وقد وصف المسعودي الخليفة المهتدي في هذه العبارات « . . . وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأظهر العدل، وكان يحضر كل جمعة إلى المسجد الجامع ويخطب ويؤم بهم، فثقلت وطأته على العامة والخاصة بحمله إياهم على الطريق الواضحة، فاستطالوا خلافته، وسئموا أيامه، وعملوا الحيلة حتى قتلوه»(٣)

هذا فيما يخص أوضاع خلفاء الدولة العباسية وأحوال حاضرة الخلافة وماحولها من البلاد. أما فيما يتعلق بأحوال المشرق. من الدولة العباسية، وبالأخص بلاد خراسان موطن الإمام الذهلي ومسقط رأسه، فإنا نجد أن هذه البلاد الشاسعة قد خضعت خلال هذه الفترة لأسرة قوية تتمتع بنفوذ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٤٤١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٤٧٤. تاريخ الخلفاء ص ٢٤٢.

(٣) مروج الذهب ٢/ ٤٣١.

كبير وهي الأسرة الطاهرية. وتنتسب هذه الأسرة لطاهر بن الحسين[1] الذي كان من كبار قادة الدولة العباسية في خراسان. ولما تفاقم النزاع بين الأخوين الأمين والمأمون، كان طاهر بن الحسين هو القائد الأول في جيش المأمون، وتمكن من قتل علي بن عيسى قائد الأمين سنة ١٩٥هـ.

وتقدم طاهر إلى بغداد، وكان المأمون قد كافأه بعد أن استقر في الخلافة بأن أسند إليه ولاية الجزيرة، وولاية شرطة بغداد[2]. ثم بعد ذلك أسند إليه ولاية خراسان سنة ٢٠٥هـ، واتخذ نيسابور حاضرة لدولته، وبعد ذلك استطاع طاهر أن يؤسس أول إمارة شبه مستقلة عن الخلافة العباسية[3].

ثم خلف طاهر بن الحسين بعد وفاته ابنه طلحة سنة ٢٠٧[4]. ثم خلف عبدالله بن طاهر أخاه طلحة سنة ٢١٣هـ، وقد اتسع ملكه حتى شمل الري[5] وكرمان[6] علاوة على خراسان نفسها، وكذلك الأراضي التي تقع شرقيها حتى الحدود الهنديه[7].

---

(١) هو طاهر بن الحسين الخزاعي وقيل مولاهم الملقب ذا اليمينين. كان شجاعاً ممدحاً. وهو الذي قتل الأمين. ولاه المأمون خراسان فلما تمكن خطب لنفسه وخرج على المأمون فأصبح يوم السبت ميتاً. كان ذلك عام ٢٠٧هـ. السير ١٠/١٠٨، شذارت الذهب ٢/١٦.

(٢) الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ص٧ للدكتور: عصام عبد الرؤوف الفقي.

(٣) المصدر السابق وانظر تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ٧٩ د. محمد جمال الدين سرور.

(٤) الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ص ٧.

(٥) سيأتي التعريف بها قريباً عند ترجمة حيكان ابن الذهلي ص ٧٠.

(٦) كَرْمان بفتح الكاف وربما كسرها، ولاية مشهورة، وناحية معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٣/ ١١٦٠ تأليف صفي الدين البغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٩١، تأليف محمد بن المنعم الحميري، تحقيق د. إحسان عباس.

(٧) الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ص ٧، ٨.

وتوفي عبدالله بن طاهر سنة (٢٣٠هـ) والذي كان يمثل العقد الذهبي في أسرة بني طاهر، فقد كان رحمه الله مشهوراً بمحبته لأهل العلم مع الورع والتقوى، ثم تولى بعده ابنه طاهر بن عبدالله الذي توفي سنة ٢٤٨هـ، ثم محمد بن طاهر من سنة (٢٤٨- ٢٥٩هـ). وهو آخر حكام الطاهريين، وكان هذا الحاكم مشهوراً بالمجون والخلاعة، فاختلت عرى الدولة، وتفاقمت الثورات، وازدادت الاضطرابات في تلك الناحية، فاستنجد أهل خراسان بالأمير يعقوب بن الليث الصفَّار لإعادة الأمن والطمأنينة إلى بلادهم، فوجد الأمير الصفاري الفرصة مواتية، فزحف بجيشه إلى نيسابور سنة ٢٥٩هـ، وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته وبذلك زالت الدولة الطاهرية [١] وكان ذلك بعد وفاة الإمام الذهلي رحمه الله بسنة واحدة. [٢]

ثانياً: الحالة الدينية:

زخر العصر العباسي الثاني (مابعد سنة ٢٣٢هـ) بكثير من الحركات الدينية التي كان لها أثر بعيد في تاريخ هذا العصر.

فقد قام الشيعة بحركات ثورية كان من أثرها انتزاع كثير من بلاد الدولة العباسية، وانتشار المباديء الشيعية وخاصة مبادىء الإسماعيلية بين القرامطة في سواد الكوفة وفي البحرين، وفي شمال العراق، وفي بلاد اليمن.

ولم تخل بلاد الفرس من دعاة الإسماعيلية في هذا العصر، وتكللت جهود الإسماعيلية بقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ثم في مصر، وامتداد رقعتها إلى فلسطين والشام، وإلى بلاد الحجاز وغيرها، وخطب للفاطميين في الموصل وبغداد حيناً من الدهر.

---

(١) الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ص ٨،٧.

(٢) توفي الإمام الذهلي سنة ٢٥٨. وسيأتي تفصيل ذلك ص ٨٢.

على أن المهم في هذه المرحلة التي نحن بصددها هو خروج تيار المعتزلة، ووضوح مذهبهم، والنتائج المترتبة على ذلك .

لقد نشطت تعاليم المعتزلة في العصر العباسي الأول، وبلغت قمة نشاطها في عصر المأمون الذي وافقهم على القول بخلق القرآن، واستخدم نفوذه في سبيل إقرار هذه العقيدة في أذهان الناس ، وأصبح مذهب الاعتزال بذلك مذهب الدولة بفعل إقرار الخلفاءالعباسيين ، وسار المعتصم على سياسة أخيه المأمون في حمل الناس على القول بخلق القرآن .

واقتدى الواثق بأبيه المعتصم وعمه المأمون في انتصاره للمعتزلة، وشدَّد في فرض آرائهم الدينية على الناس، وبلغ به الأمر أن جعل إطلاق أسرى المسلمين في بلاد الدولة البيزنطية وافتدائهم مقصوراً على الذين يقولون بخلق القرآن، واعتبار من سواهم خارجين على الاسلام لايحل افتداؤهم من أيدي الروم. [1]

قال الكندي: " لما استخلف الواثق ورد كتابه على محمد ابن أبي الليث، قاضي مصر ، بامتحان الناس أجمع، فلم يبق أحد من فقيه ولامحدث ولا مؤذن ولا معلم حتى أخذ بالمحنة، فهرب كثير من الناس وملئت السجون ممن أنكر المحنة، وأمر ابن أبي الليث بالاكتتاب على المساجد لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق، فكتب ذلك على المساجد بفسطاط مصر، ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي من الجلوس في المساجد وأمرهم أن لايقربوها "[2]، وثار أهل بغداد ضد الواثق، وتزعمهم أحمد بن نصر الخزاعي [3] وأنكروا القول بخلق

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٢٨٥. الحدود الإسلامية البيزنطية تأليف فتحي عثمان ٢/ ٢١٨.

(٢) الولاة وكتاب القضاة لمحمد بن يوسف الكندي، تهذيب وتصحيح رفن كست ص ٤٥١ .

(٣) هو الإمام الكبير الشهيد، أبو عبد الله، أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، كان أماراً بالمعروف، قوالاً بالحق. قتله الواثق بيده لامتناعه عن القول بخلق القرآن، ونصب رأسه في بغداد، وبدنه في سامراء ست سنين، وكان ذلك عام ٢٣١. تاريخ بغداد ٥/ ١٧٣، السير ١١/ ١٦٦، شذرات الذهب ٢/ ٦٩.

القرآن، ودعوا إلى عزل الواثق، ولكن الواثق نجح في إخماد الثورة والقبض على أحمد بن نصر ، وحملوه إلى الواثق في سامراء وقتله بيده.

ثم أمر بصلب جثته في الجانب الشرقي من سامراء، ثم في الجانب الغربي، وعلق على أذنه رقعة مكتوب عليها « هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر بن مالك ممن قتله الله على يدي عبدالله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين، بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه، وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق، فأبى إلا المعاندة والتصريح . . . الخ»[1]

ولما تولّى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٥هـ بدأ عصر جديد متميز، ورأى العدول تماماً عن سياسة أسلافه المأمون والمعتصم والواثق.

فأول مابدأ به أن نهى الناس عن الجدال في القرآن وغيره وأنزل أحمد بن نصر الخزاعي من خشبته ودفعه إلى أوليائه، وسلطه الله على القاضي أحمد ابن أبي دؤاد، فصادر أمواله ونكّل به، وقد أنشد الشاعر أبو العتاهية بعد التنكيل بابن أبي دؤاد[2] ثلاثة أبيات وجهها إلى القاضي، وهي :

لو كنت في الرأي منسوباً إلى رَشَد	وأن عزمك عزماً فيه توفيق
لكان في الفقه شغل لو قنعت به	عن أن تقول كلام الله مخلوق
ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم	ماكان في الفرع لولا الجهل والموق[3]

ولاشك أن موقف المتوكل من قضية خلق القرآن، والرجوع عنها وعن مذهب المعتزلة يعتبر شجاعة وجرأة منه. فقد أصبح التمسك بالقضية والمذهب يصور هيبة الدولة والخليفة.

(١) تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٢٨٣

(٢) هو القاضي الكبير، أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي الجهمي، عدو أحمد بن حنبل، كان داعية إلى خلق القرآن، شاخ ورمي بالفالج ومات سنة (٢٤٠). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/ ٨١ لأبي العباس ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، السير ١١/ ١٦٩.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٣١٤.

وقد أخذ مذهب المعتزلة في الضعف منذ بداية العصر العباسي الثاني، وفي المقابل قوي مذهب أهل السنة وارتفعت مكانة أتباعه، وأظهر المتوكل الميل إلى المحدثين، وأجزل لهم العطاء وأكرمهم.

وجلس أبو بكر ابن أبي شيبة [(١)] في جامع الرصافة فاجتمع حوله ثلاثون ألف مسلم، وجلس أخوه [(٢)] في جامع المنصور فاجتمع حوله نفس العدد، وتوجه الجميع بالدعاء للمتوكل، وأثنوا عليه، وعظموا قدره. [(٣)]

وقد صدق إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة حين يقول: الخلفاء ثلاثة، أبو بكر الصديق قاتل المرتدين حتى استجابوا له، وعمر بن عبدالعزيز رد مظالم بني أمية، والمتوكل محى البدع وأظهر السنة. [(٤)]

ثالثا: الحالة الاجتماعية:

ظهر في الدولة الاسلامية في القرن الثالث الهجري بجانب الفرس والعرب، عنصر الأتراك، وكان له أثر كبير في الحياة السياسية والاجتماعية في ذلك العصر.

ولم يكن للأتراك مدنية وحضارة قديمة، بل كانوا أشبه بالبدو... ولذلك أطلق عليهم الجاحظ أعراب العجم، ويعني بالأعراب البدو، وكان كل جنس من هذه الأجناس يصبغ البلاد التي يحكمها بطابعه الخاص.

---

(١) هو عبد الله بن محمد ابن القاضي أبي شيبة الإمام العلم أبو بكر العبسي مولاهم الكوفي، قال العجلي: كان أبو بكر ثقة، حافظاً للحديث، مات سنة (١٣٥). السير ١١/ ١٢٢، تقريب التهذيب ص ٣٢٠ للحافظ ابن حجر العسقلاني. بتحقيق محمد عوامة

(٢) هو الإمام الحافظ الكبير المفسِّر، أبو الحسن، عثمان بن محمد ابن أبي شيبة، صاحب التصانيف، وأخو الحافظ أبي بكر، قال ابن نعيم: ثقة مأمون، الجرح والتعديل ٦/ ١٦٦ لابن أبي حاتم الرازي تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، السير ١١/ ١٥١.

(٣) تاريخ الخلفاء ص ١٣٨ للسيوطي، مطلع العصر العباسي الثاني ١٩٩-٢٠٣ للدكتورة نادية حسني صقر.

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ١٧٠ للخطيب.

ومن العناصر التي تكاثر عددها في العصر العباسي الرقيق الأبيض من الأتراك والديلم والأكراد، وكانت قصور الخلفاء والأمراء والعظماء والأغنياء تؤوي الكثير من الرقيق وعلى الأخص الجواري الذين كانوا من أجناس متنوعة، تختلف في الطباع والعادات واللغات.

وكانت هناك أسواق للرقيق ببعض المدن الكبيرة، وقد اشتهرت سمرقند بأنها أكبر سوق للرقيق الأبيض فكان يأتي إليها رقيق تركستان وماوراء النهر.[1]

ومن العناصر التي دخلت الدولة الاسلامية وكان لها تأثير في الحياة الاجتماعية، الروم، فقد أدت الحروب المتواصلةبين المسلمين والبيزنطيين إلى أسر عدد كبير من الروم واسترقاق كثير منهم، فانتشر المماليك الروم تبعاً لذلك من رجال ونساء وغلمان في بيوت الخلفاء والأغنياء.

بل إن بعض الخلفاء في هذا العصر من كانت أمه رومية، نذكر من بينهم: المنتصر بالله ابن المتوكل، والمعتز بالله، والمقتدر بالله.

كذلك كثر في هذا العصر الزنج، وكانوا يجلبون إلى الدولة الإسلامية من سواحل افريقيا الشرقية ولا أدل على كثرتهم وخطرهم من ثورتهم التي قاموا بها قرب البصرة، وكلفت الدولة العباسية كثيراً من الأموال والدماء[2].

وقد ظهر في الدولة الاسلامية نوع من الشرف لايزال باقياً إلى عصرنا هذا، وذلك في أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته بصفه عامة.

وكانوا يأخذون بوصفهم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم راتباً معيناً من الحكومة الإسلامية وقد حرمت عليهم الصدقة ومواليهم[3]. وكان لهم نقيب[4] في كل مدينة من المدن الكبيرة مثل بغداد وواسط والبصرة والأهواز.

---

(١) الحضارة الإسلامية ١/١٢٨-١٣٠ تأليف آدم ميتز، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٤٧٧، مروج الذهب ٤/ ١٤٦.

(٣) رسائل الجاحظ ص١٧ لعمرو بن بحر أبو عثمان البصري الجاحظ، شرح وتعليق عبدأ. مهنا.

(٤) الأحكام السلطانية ص٩٢ لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، صححه محمد حامد الفقي.

ومن بين الطوائف الدينية التي انتشرت في نواحي الدولة الاسلامية وأطرافها وداخلها أهل الذمة من اليهود والنصارى ، فبلغ عدد اليهود في العراق حوالي سنة ٥٨١ مايقارب الستمائة ألف ، على حسب تقدير الرحالة بنيامين التطيلي [١] .

كما كان في بغداد وحدها في أوئل القرن الرابع الهجري مابين أربعين وخمسين ألفاً من النصارى .

وقد قام أهل الذمة في البلاد الإسلامية بجميع الأعمال التي تدر عليهم الأرباح الوافرة ، فاشتغلوا بالصيرفه والتجارة وامتلكوا الضياع ، كما نبغ بعضهم في الطب [٢] .

ويقول المقدسي عن الشام : إن أكثر الجهابذة والصياغين والصيارفة والدباغين بهذا الإقليم يهود ، وأكثر الأطباء والكتبة نصارى » [٣] .

ومن المظاهر الاجتماعية الملفتة للنظر في ذلك العصر ترف الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة ، فقد كانوا ينعمون هم ومن يلوذ بهم من الأدباء والعلماء بشتى أنواع النعم ، فقصور الخلفاء أشبه بمدن كبيرة لاتساعها . وكانت تشتمل على دور واسعة وقاعات ذات قباب وبساتين .

فمثلاً قصر المتوكل المعروف بالعروس ، أنفق عليه ثلاثين ألف ألف درهم ، والجعفري عشرة آلاف ألف درهم ، والبرج عشرة آلاف ألف درهم [٤] .

وكان لإمعان الخلفاء والأمراء والوزراء في الترف وحرصهم على امتلاك الثروات الكبيرة في هذا العصر أثره في ظهور طبقتين متميزتين .

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق ص١٧٨ .

(٢) كتاب الخراج ص٦٩ لأبي يوسف القاضي .

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٨٣ للمقدسي المعروف بالبشاري .

(٤) معجم البلدان ٥/ ١٥-١٦ تأليف ياقوت الحموي .

الأولى : تشمل الخليفة ورجال دولته وأهليهم وأتباعهم، وهم عدد قليل بالنسبه لسائر أفراد الأمة.

والثانية: تشمل العلماء والأدباء والتجار والصناع والمزارعين وعامة الناس.

وهناك جماعة من العامة، أطلق عليهم العيَّارون والشطار،[(١)] تميزت حركاتها بالطابع الثوري، وبخاصة ضد السلطة الحاكمة وأصحاب الأموال وكانت تضم بين صفوفها مختلف الأجناس والطوائف فضلاً عن أرباب الحرف المختلفة، وكان لهذه الجماعة تنظيمات عسكرية، فلكل عشرة منهم عريف، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب، وعلى كل عشرة نقباء قائد، وعلى كل عشرة قواد أميراً[(٢)].

ومع أن بعض العيارين يحمل روح الفتوة ومبادئها، فإن انهيار الوضع الإجتماعي والإقتصادي والسياسي في العراق، جعل الكثير من العاطلين والأشقياء ينضمون إلى صفوف العيارين الأمر الذي صبغ حركتهم بصبغة العدوان. وقد وصفهم مسكويه بقوله: «إن العيارين أهل شغب وحملة سلاح»[(٣)].

وإذا أمعنا النظر في أحوال الإمام الذهلي بتلك الحقبة المترفة. نجد أنه يصنف في الطبقة الثانية وهم العلماء والتجار والصناع وعامة الناس... وهؤلاء متفاوتون في الغنى والفقر. والذي يظهر أنه كان على جانب من اليسر والاكتفاء يدل على ذلك ما ذكر من إنفاقه على العلم والرحلة فيه قال: إرتحلت ثلاث رحلات، وأنفقت على العلم مائة وخمسين ألفاً»[(٤)].

---

(١) قال ابن منظور الإفريقي في لسان العرب: رجل عَيَّار كثير المجيء والذهاب في الأرض. (١/ ٦٢٢). والشطار جمع شاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثاً. (١/ ٤٠٨) والمعنى أنهم جماعة تميزت بالحركة والمناوأة والثورية.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٣١٥.

(٣) تجارب الأمم ١/ ٦٩ لأبي علي أحمد بن محمد (مسكويه)، بإعتناء د. ف آمدروز.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩.

كما إنه لم يكن ممن يتزلف إلى الحكام والأمراء والوزراء لينال من صلاتهم وجوائزهم، بل كان منصرفاً إلى العلم وأهله، والعبادة والترفع عن الدنيا والاغترار بها. يظهر ذلك من روايته عن مشايخه أشعار الزهد والرقائق كما سيأتي في صفاته الخلقية. وفي الوقت ذاته لم يكن ممن يهملون الاعتناء بالمظهر الخارجي من النظافة والرتابة، تعللاً بالزهد واحتقار الدنيا. بل كان حسن الاعتناء بنفسه مظهراً لنعمة الله عليه، متواضعاً للخلق، باذلاً لهم الخير والمعروف.

رابعاً: الحالة العلمية

بالرغم من تقلب الأوضاع السياسية، وكثرة المذاهب والفرق الدينية، وقيام الثورات والقلاقل والفتن.... فإن الأحوال العلمية لم تتأثر بشيء من ذلك.

بل إن الفترة الزمنية التي عاشها الإمام الذهلي ١٧٢-٢٥٨ هـ تمثل فترة إزدهار ونضوج الثقافة الإسلامية، وذلك نتيجة لحرية الحركة والتنقل بين شتى أصقاع البلاد الإسلامية، ولتشجيع الخلفاء للعلم والعلماء، وللتمازج الكبير بينها وبين الثقافات الأخرى. وكذا فإن حركة الترجمة إلى اللغة العربية أخذت نشاطاً علمياً واسع النطاق بصرف النظر عن إيجابياتها وسلبياتها.

فقد كانت بغداد قبلةً للعلم، وأهلُه يؤمونها من كل ناحية وصقع.. ينهلون من أهل الفضل والعلم كأحمد بن حنبل إمام أهل السنُّة والجماعة وسواه [(١)] من فطاحلة العلوم، ولم تكن باقي مدن العراق أقل حظاً من بغداد. فالبصرة والكوفة وواسط كانت جميعها تزخر بالحركة العلمية والنشاط الفكري والرحلة.

وقد كان الخلفاء العباسيين سبباً مباشراً وقوياً في تنشيط الحركة العلمية بالرغم من انصراف بعضهم إلى اللهو واللذات، إلا أن نهمهم بالعلم وتشجيع

(١) انظر رحلات الذهلي إلى بغداد والبصرة والكوفة وواسط وسواها من المدن والبلدان وأسماء من لقيهم ونهل من علومهم. ص ١١٨-١٤٣ في مبحث الرحلات العلمية.

أهله أصبح أمراً يميزهم عن غيرهم. فقد أسس الرشيد "بيت الحكمة"، وتابع المأمون عمل أبيه وطوّره وزوده بأنواع المصنفات من أكبر خزائن الكتب.

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن عصر الذهلي العلمي - أن نلمح إلى الحركة الدائبة في الترجمة والتأليف، فقد تميزت خلافة المأمون بازدهار الترجمة من اللغات الأجنبية كاليونانية، والفارسية، إلى العربية.[(١)]

أما السنّة النبوية وعلومها فقد لاقت أوج الاهتمام بها و الحفاظ عليها في ذلك العصر - الذي سمي بالعصر الذهبي- وكان للإمام الذهلي شرف المشاركة في تلك الحقبة بالتصانيف، والتقعيدات المهمة لأصول العلم والمناظرة، وإثراء آداب العالم والمتعلم بمعان غالية ومواقف نبيلة. شأن العلماء الذين توافرت هممهم على الارتقاء بالعلوم الدينية والشرعية إلى مكانتها التي أرادها الله ويلغها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. محافظة وبياناً وتأصيلاً واعتزازاً. . ومالم يقم العلماء بذلك فمن يسد هذه الثغرات المهمة ؟

لذا فإن الحالة العلمية قد ازدهرت في تلك الفترة على أيدي نخبة كريمة من أهل الفضل والدين والعلم. . . كانت أسماؤهم وما زالت نجوماً تتلألأ في سماء هذه الأمة المجيدة. . ومن استعراض الصفحات الآتية في ترجمة الإمام الذهلي وأحواله العلمية ورحلاته وتصانيفه نقف على كثير من المعاني التي ذكرتها، وعلى الأسماء اللامعة من مشايخه وأقرانه وتلاميذه الذين نهضوا جميعاً بالعلم وانتفعوا به.

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام٢/ ٦٧، ٣٤٦. بتصرف يسير للحافظ الذهبي، تحقيق د. بشار معروف، وشعيب الأرناؤوط، د. صالح مهدي عباس.

الفصل الثانـي

ترجمـة الإمام الذهلي

وتحته المباحث التاليـة :

المبـحث الأول : اسمه وكنيته ونسبته إلى ذهل .

المبـحث الثاني : مولده وموطنه نيسابور .

المبـحث الثالث : أسرتـــه .

المبـحث الرابع : وفاتـــه .

ترجمة الإمام الذهلي*

المبحث الأول

اسمه وكنيته ونسبته إلى ذهل

هو الإمام محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب، أبو عبد الله الذهلي النيسابوري، رحمه الله تعالى.

---

* اعتمدت في ترجمة الإمام الذهلي وما سيأتي من بيان أحواله الشخصية والعلمية والاجتماعية والفكرية إلى أكثر من المصادر التالية:

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧(٨/ ١٢٥).

(٢) الثقات لابن حبان المتوفى سنة ٣٥٤ (٩/ ١١٥).

(٣) رجال صحيح البخاري للكلاباذي المتوفى سنة ٣٩٨ (٢/ ٦٨٧).

(٤) معرفة علوم الحديث للحاكم المتوفى سنة ٤٠٥ (ص٧٣).

(٥) الإرشاد للخليلي المتوفى سنة ٤٤٦ (٢/ ٨١٠).

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ (٣/ ٤١٥).

(٧) السابق واللاحق للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ (ص٣٢١).

(٨) موضّح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ (٢/ ٣٧٧).

(٩) التعديل والتجريح للباجي المتوفى سنة ٤٧٤ (٢/ ٦٨٨).

(١٠) الجمع بين الصحيحين لابن القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧ (٢/ ٤٦٥).

(١١) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى المتوفى سنة ٥٢٦ (١/ ٣٢٧).

(١٢) المعجم المشتمل لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ (ص ٢٧٩).

(١٣) فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة لابن خير الإشبيلي المتوفى٥٧٥ (ص٢٠٣).

(١٤) المنتظم لابن الجوزي المتوفى سنة٥٩٧ (١٢/ ١٤٧).

(١٥) المعلم بأسماء شيوخ البخاري ومسلم لابن خلفون المتوفى سنة٦٣٦- (٢/ لوحة رقم ٣٣) مخطوط مصور على الميكروفيلم بمعهد إحياء التراث بجامعة أم القرى برقم٩٣٢ من نسخة محفوظة بالمكتبة الازهرية تحت رقم١٣٦.

(١٦) وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ (٥/ ١٩٥).

....

(١٧) تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢ (٢٦/ ٦١٧).
(١٨) طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي الدمشقي المتوفى سنة٧٤٤ (٢/ ٢٠٩).
(١٩) تاريخ الإسلام للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ حوادث السنين من(٢٥١-٢٦٠) (ص٣٣٧).
(٢٠) سير أعلام النبلاء للذهبي المتوفى سنة٧٤٨ (١٢/ ٢٧٣).
(٢١) تذكرة الحفاظ للذهبي المتوفى سنة٧٤٨ (٢/ ٥٣٠).
(٢٢) العبر فى خبر من عبر للذهبي المتوفى سنة٧٤٨ (١/ ٣٧١).
(٢٣) تذهيب التهذيب للذهبي المتوفى سنة٧٤٨ (٤/ لوحة رقم ٩) مخطوط مصور على الميكروفيلم بمعهد إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم٧٧٩ من نسخة محفوظة بالمكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم٣٣٥.
(٢٤) الكاشف للذهبي المتوفى سنة٧٤٨ (٣/ ١٠٧).
(٢٥) المعين فى طبقات المحدثين للذهبي المتوفى سنة٧٤٨ (ص١٤٩).
(٢٦) الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي المتوفى سنة٧٦٤ (٥/ ١٨٦).
(٢٧) مرآة الجنان لليافعي المتوفى سنة٧٦٨ (٢/ ١٦٩).
(٢٨) البداية والنهاية لابن كثير المتوفى سنة٧٧٤ (١١/ ٣١).
(٢٩) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة٨٥٢ (٩/ ٤٥٢).
(٣٠) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة٨٥٢ (ص٥١٢).
(٣١) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي المتوفى سنة٨٧٤ (٣/ ٣٨).
(٣٢) المقصد الأرشد فى ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح المتوفى سنة٨٨٤ (٢/ ٥٣٤).
(٣٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ للسخاوي المتوفى سنة٩٠٢ (ص٢٩٨).
(٣٤) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي المتوفى سنة (١٢٠٥) (٧/ ١٢٥).
(٣٥) شذرات الذهب لابن العماد المتوفى سنة (١٠٨٩) (٢/ ١٣٨).
(٣٦) نسيم الرياض فى شرح الشفاء للقاضي عياض للعلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي (٢/ ٨٤)
(٣٧) تراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار للسهارنفوري (٤/ ٧٩).
(٣٨) هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة (١٣٣٩) (٦/ ١٦).
(٣٩) الرسالة المستطرفة للكتاني المتوفى سنة (١٣٤٥) (ص١١٠).
(٤٠) الأعلام للزركلي المتوفى سنة (١٣٩٦) (٨/ ٣).
(٤١) تاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سزكين (١/ ٢٦١).
(٤٢) معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله المتوفى سنة (١٣٩٦) (١٢/ ١٠٥).
(٤٣) معجم الأعلام لبسام عبد الوهاب الجابي (ص٨٠٧).

وشذّ صاحبا موسوعة رجال الكتب التسعة [1] فقالا : أبو عبدالله ، أبوعلي ولم أعثر مع طول التتبع على من كناه بأبي علي غيرهما والأول هو المشهور .

ولم أر خلافاً بين العلماء في نسبه الذي يصل إلى جده الرابع ذؤيب ، غير أن بعضهم ينسبه إلى جده الثالث فارس كما فعل أبو داود في سننه[2] وكذلك أبو يعلى الخليلي [3] في الإرشاد [4] قالا : محمد بن يحيى بن فارس .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام البخاري كان يبهمه [5] في جامعه الصحيح فيذكره باسمه المجرد هكذا «محمد» أو ينسبه إلى جده عبدالله ، أو إلى والد جده خالد .

---

(١) انظر موسوعة رجال الكتب التسعة (٣/ ٤٨٢) تصنيف د. عبد الغفار البنداري، سيد كسروي حسن .

(٢) انظر سنن أبي داود (١/ ٢٦٨ ، ٣٢٨) (٥/ ٢٧٨) للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني ومعه كتاب معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق د. عزت الدّعاس، وعادل السيد .

(٣) هو الخليل بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل أبو يعلى الخليلي الحافظ القزويني ، كان حافظاً ذكياً ، فريد عصره في الفهم والذكاء ، توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة . الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (٣/ ١٧٤) تأليف الأمير ابن ماكولا ، تحقيق العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني . التقييد لمعرفة الرواة والسنن والأسانيد (١/ ٣١٩) لأبي بكر ابن نقطة، تنقيح محمد عظيم الدين .

(٤) انظر الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢/ ٨١٠) لأبي يعلى الخليلي القزويني، تحقيق د. محمد سعيد بن عمر إدريس .

(٥) وذلك بسبب الوحشة التي وقعت بينهما على إثر الخلاف في مسألة اللفظ بالقرآن ، والتي كان من أسوأ نتائجها إفتراق الشيخين ، وقد قلت يبهمه (بقصد يخفي اسمه الكامل) إعتياضاً عن لفظ (يدلسه) لعظَمه في حق إمام صنعة الحديث رحمه الله ، وكان الحافظ ابن منده قد وصف البخاري بالتدليس . فقال: أخرج البخاري: قال فلان وقال لنا فلان، وهو تدليس. وقد ردّ الحافظ ابن حجر على كلام ابن منده فقال: ولم يوافق ابن منده على ذلك، والذي يظهر أنه يقول فيما لم يسمع قال، وفيما سمع لكن لا يكون على شرطه، أو موقوفاً، قال لي أوقال لنا ، وقد عرفت ذلك بالاستقراء من صنيعه ، (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ص٤٤) . =

قبيلة ذهل*

ذكر علماء النسب بطوناً عدة كلها تنتسب إلى ذهل [1]، والذي يعنينا هنا هو معرفة البطن الذي ينتسب إليه الإمام محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله .

وقد اختلف العلماء في تعيين (ذهل) الذي يعود إليه نسبه ، أهو ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، أم هو ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ؟ وذهل الأول هو عم

= كما ردَّ كلام ابن منده أيضاً سبط ابن العجمي ، فقد نقل عن شيخه العراقي قوله : ولم يوافق عليه ، وقوله في النكت على ابن الصلاح : وهو مردود عليه ولم يوافقه عليه أحد فيما علمته . والدليل على بطلان كلامه أنه ضم مع البخاري مسلماً في ذلك ، ولم يقل مسلم في صحيحه بعد المقدمة عن أحد من شيوخه قال فلان وإنما روى عنهم بالتصريح فهذا يدلك على توهين كلام ابن منده . (التبيين لأسماء المدلسين ص٤٩) . وانظر التأنيس بشرح منظومة الذهبي في أهل التدليس ، تأليف عبد العزيز الغُماري، ص ١٠٨ .

ويقول السخاوي بعد ذكره تدليس الشيوخ : ويقرب من هذا ما يقع للبخاري في شيخه الذهلي ، فإنه تارة يقول محمد ولا ينسبه وتارة محمد بن عبد الله فينسبه إلى جده وتارة محمد بن خالد فينسبه إلى والد جده ، ولم يقل في موضع محمد بن يحيى . . . ثم قال في بيان سبب ذلك في الذهلي خاصة : على أنه قد قيل في فعل البخاري في الذهلي إنه لما كان بينهما ما عرف في محله بحيث منع الذهلي أصحابه من الحضور عند البخاري ، ولم يكن ذلك بمانع للبخاري من التخريج عنه لوفور ديانته وأمانته ، وكونه عذره في نفسه بالتأويل غير أنه خشي من التصريح به أن يكون كأنه بتعديله إياه صدَّقه على نفسه فأخفى اسمه والله أعلم بمراده . فتح المغيث١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ . وستعرض لبيان هذه الوحشة في الفصل الرابع من الباب الثاني .

* ضبط الإمام السمعاني هذا الإسم بضم الذال المعجمة وسكون الهاء وفي آخرها اللام ، الأنساب ٣/ ١٨ . وقد ذكر ابن دريد إشتقاق اسم ذهل فقال : إشتقاقه من قولهم : ذهلت نفسي عن كذا وكذا ، أي سكتت عنه ، فأنا ذاهل ، (الإشتقاق ص ٣٤٩) لابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون . وقال الزبيدي : الذهول (السلوّ وطيب النفس عن الإلف) . والذهلول بالضم (الفرس الجواد الرقيق) تاج العروس ٧/ ٣٣١ .

(١) وقد سرد هذه البطون أبو العباس القلقشندي في كتابه (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) ص٢٣٨ ، وذكر منهم ستة بطون ، وأوصلها عمر رضا كحالة في كتابه (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة) ١/ ٤٠٥ إلى تسعة بطون منتشرة في العدنانيين والقحطانيين ، ولكل منهم صقع في جزيرة العرب يسكنونه .

ذهل الثاني كما هو واضح في النسب . ولا ضير في هذا الخلاف لأن أصل نسبهما يتحد في ثعلبة ، والذي يعود في سلالته إلى بكر بن وائل [١] .

وقد ذكر الفيروز آبادي الإمامين يحيى ابن الذهلي وأحمد بن حنبل من سلالة ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة فقال : (ذهل بن شيبان قبيلة منها يحيى الحافظ والإمام أحمد على الصحيح)[٢] ، وتابعه في ذلك الزبيدي مبيناً وشارحاً فقال : (ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة قبيلة من بكر بن وائل ، منها يحيى بن محمد بن يحيى الحافظ إمام أهل الحديث بنيسابور ووالده[٣] محمد بن يحيى من الحفاظ أيضاً ، وقد ذكره المصنف في ح ي ك[٤] .

وسلف هذين في نسب الإمام أحمد إلى ذهل بن شيبان ، العباس بن محمد الدوري[٥] وأبو بكر عبد الله ا بن أبي داود[٦] ، قال العباس : (وكان أحمد بن

---

(١) وهذا نسبه كاملاً : ثعلبة بن عكابه بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، أخي مضر بن نزار وهما من العدنانيين أي العرب المستعربة (تاريخ بغداد ٤/ ٤١٣ معجم قبائل العرب ١/ ٤٠٥-٤٠٦) ، وانظر نسب عدنان وقحطان ص٢٤ ، ٢٥ ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد . تحقيق عبد العزيز الميمني .

(٢) القاموس المحيط ٣/ ٣٧٩ . للعلامة محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، إعتناء الشيخ نصر الهوريني .

(٣) في الكتاب خطأ مطبعي (وولده) والصحيح ما أثبتُّه لأن محمد بن يحيى والد يحيى بن محمد بن يحيى وليس ولده . ويزيد ذلك بياناً قوله : وقد ذكره المصنف (أي الفيروزآبادي) في ح ي ك . يعني ذكر يحيى في باب حيكان وهو لقبه .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس ٧/ ٣٣١ لمحمد مرتضى الزبيدي .

(٥) هو العباس بن محمد بن حاتم بن واقد الدُّوري أبو الفضل البغدادي ، سمع الحسين الجُعْفي ، وأبا النضر ، وكان من أئمة الحديث توفي يوم الثُلاثاء بالعشي لخمس عشرة خلت من صَفَر سنة إحدى وسبعين ومائة . تهذيب الكمال في أسماء الرجال١٤/ ٢٤٩ للحافظ أبي الحجاج المزي ، تحقيق د. بشار عوّاد معروف . العبرفي خبر من غبر ١/ ٣٩١ للذهبي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني .

(٦) هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبو بكر السجستانيْ من جلّة المحدثين وفقهائهم ثقة . صاحب التصانيف ، توفى سنة ست عشرة وثلاثمائة ، السير ١٣/ ٢٢١ ، الفهرست ص ٢٢٨ لابن النديم أبو الفرج الوراق ، تحقيق رضا المازندراني . وسيترجم له بتوسع ضمن تلاميذ الذهلي .

حنبل رجلاً من العرب من بني ذهل بن شيبان)[١]. وخالفهما في ذلك الخطيب البغدادي وقال: (إنما كان من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة)[٢].

وعلى كل فإن هذه القبيلة قد أنجبت من العلماء والفضلاء والكرماء من سارت بأخبارهم الركبان وقد أشار إلى ذلك الإمام السمعاني[٣] فقال: هذه النسبة إلى قبيلة معروفة وهو (ذهل ابن ثعلبة، وإلى ذهل بن شيبان) كان منها جماعة كثيرة من العلماء والكبراء منهم أبو المغيرة سماك بن حرب الذهلي[٤]، والأمير أبو الهيثم خالد بن أحمد الذهلي[٥]. .)[٦].

وبعد أن تحدَّد إنتساب الإمام محمد بن يحيى الذهلي إلى هذه القبيلة العريقة، يبقى أن نعرف هل هو منها أصالة أو ولاءً؟.

وفي واقع الأمر أن الدكتور ناجي معروف قد تعرض لهذه المسألة[٧] ورجع إلى عدد من كتب التراجم والمخطوطات النفيسة في أخبار علماء المشرق . . .

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤/ ٤١٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هو تاج الإسلام الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، صاحب المصنفات، بحر في علم الأنساب توفي عام (٥٦٢) السير (٢٠/ ٤٥٦)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ٢/ ١٠٤٠ تأليف عبد الحي الكتاني، باعتناء د. إحسان عباس.

(٤) هو سمَاكْ بن حرب بن أوس بن خالد أبو المغيرة الذهلي، كان فصيحاً مفوَّهاً، مات سنة ثلاث وعشَرين ومائة، الطبقات ص١٦١ للإمام خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري. سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٥.

(٥) هو خالد بن أحمد بن حماد من بني ذهل بن شيبان أبو الهيثم الأمير ولي أمارة مرو وهراة من بلاد خراسان. ثم ولي أمارة بخارى وسكنها وله بها آثار مشهورة كان يحضر حفاظ الحديث إلى حضرته ويمشي معهم إلى أبواب المحدثين ليسمع منهم. ثم حصل بينه وبين البخاري وحشة فأخرجه من بخارى فكان سبباً لزوال ملكه، توفي عام ٢٦٩ وقيل ٢٧٠. تاريخ بغداد ٨/ ٣١٤.

(٦) الأنساب ٣/ ١٨.

(٧) في كتابه عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية.

وأثبت عروبة أعداد وفيرة جداً من العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية كنيسابور وسمرقند وخلافها ومن هؤلاء الإمام الذهلي ، ودليله في ذلك قوي وهو دليل منهجي سار عليه المحدثون في تراجمهم للرجال ، فقد ذكر أنهم قد اعتادوا أن يذكروا كلمة مولى في نسب المترجم له إذا لم يكن عربي الأصل . وكان الحاكم النيسابوري أقرب المترجمين زماناً إلى الذهلي ولم يذكر هذا التمييز .

قال الدكتور : (واكتفى الحاكم(١) بقوله : (الذهلي) فقط وهو ممن يذكرون كلمة (مولى) في ترجمة الشخص إذا لم يكن عربياً (٢) . وقال أيضاً : وكذلك قال في ترجمته ليوسف بن يحيى وهو أخو محمد بن يحيى فقد ذكر كلمة (الذهلي) مجردة من كلمة الولاء أيضاً ، وكذلك ذكره ابن الأثير في كامله (٣)، وابن كثير في البداية والنهاية(٤) . . . . . . (إلخ)

وذكر قبل ذلك (انفراد الخطيب البغدادي بقوله أنه مولى (٥) وتابعه في ذلك الذهبي. (٦)) (٧) .

---

(١) الحاكم : هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه أبو عبدالله المعروف بابن البيِّع . كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ . له عدة مصنفات في علوم الحديث ولد سنة ٣٢١ وتوفي بنيسابور سنة ٤٠٥ . ولفظ البيِّع يطلق على من يتولّى البياعة والتوسط في الخانات بين البائع والمشتري . تاريخ بغداد ٥/ ٤٧٣ ، الأنساب ١/ ٤٣٢ .

(٢) إستقى الدكتور هذه المعلومة عن الحاكم من تاريخه المشهور (تاريخ نيسابور) الورقة ١٦ أ والورقة ١٨ ب أنظر (١/ ١٤٩) . والمعروف أن معظم هذا السفر مفقود إلا أجزاء متناثرة في إيران . وانظر معرفة علوم الحديث ص٧٣ ، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري .

(٣) الكامل في التاريخ للعلامة عز الدين ابن الأثير (٧/ ٢٥٨ طبعة دار صادر) .

(٤) (١١/ ٣١) .

(٥) تاريخ بغداد (٣/ ٤١٥) .

(٦) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٣٠) للحافظ الذهبي، تصحيح الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني.

(٧) عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الأعجمية (١/ ١٤٩) .

ولكـن ذلك لـم يكن مطـرداً عن الذهبي فقـد جـرده من الـولاء في كتبه الأخـرى قـال فـي تذهيب التهذيب : محمــد بن يحيـى بن عبد الله بن خالد بن فـارس بن ذؤيب الذهلي أبو عبد الله النيسابوري الحافظ أحد الأعلام [(١)] .

ويبدو أن ما توصل إليه الحاكم - وهو بلدي الذهلي -كان نتيجة لتتبعه حقيقة ذلك النسب عن مشايخه قال : سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول : سألت أبـا بكـر محمد بن رجاء فقلت : محمد بن يحيى صليبة كان أو مولى ؟ قال : لا صليبة ولا مولى . كان جدهم فارس مولى لابن معاذ . وكان معاذ بن مسلم بن رجاء رهينة عند معاوية ابن أبي سفيان، رهنه عنده أبوه، ثم ارتد، فأراد معاوية قتل ابنه رجاء، وكان عنده القعقاع بن شور الذهلي[(٢)]، فاستوهبه من معاوية، فوهبه منه، فأطلقه، فهذا كان النسب[(٣)] .

وكأنَّ الحاكم أبا عبد الله لـم يكنْ على قناعة من هذه القصة التي حكاها، أو أنه كان يمتلك دليلاً جعله يذكر الذهلي بدون ولاء .

وأجدني في نهاية الأمر أميل لما ذكره الحاكم وتبعه عليه ابن الأثير وابن كثير وغيرهما وذلك لأمرين : (أ) كونه بلديُّه من نيسابور (ب) كونه أقرب زماناً

---

(١) تذهيب التهذيب (نسخة مصورة على الميكروفيلم الجزء الرابع لوحة رقم ٩) في معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم (٧٧٩) تراجم الرجال . وهي مصورة من النسخة المحفوظة بالمكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم (٣٣٥) .

(٢) هو القعقاع بن شور بن عمرو بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني وهو من الأجواد والأسخياء يضرب به المثل في حسن المجالسة والمعاشرة وإتيان الجليس بالشيء النفيس، قال أبو عبيدة : (وكان من جلساء معاوية . . . الخ). انظر شرح مقامات الحريري البصري للأديب العلامة أبي العباس الشريشي ٢/ ١٨٥ . بإعتناء محمد عبد المنعم خفاجي . وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ١/ ٣٠٦ تصحيح أحمد زكي، لسان الميزان ٤/ ٧٥٧ . لابن حجر العسقلاني .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٧ .

ممن خالفوه في ذلك وهذا من مسوغات الترجيح عند اختلاف المحدثين في أخبار الرجال.

ومما يستأنس به في هذا الموضع متابعة الحافظ بن حجر (للدوري وابن أبي داود) فيما ذكراه من نسبه إلى بني ذهل بن شيبان بدون ولاء. قال في تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: (الذهلي) واضحٌ، منهم محمد بن يحيى الحافظ من ذهل بن شيبان ومنها أحمد بن حنبل على الصحيح.[1].

(١) ٢/٥٨٣.

المبحث الثاني
مولده، وموطنه نيسابور

لم تسعفنا المصادر بتحديد دقيق لتاريخ ولادة العلامة الحافظ الإمام محمد ابن يحيى الذهلي إلا أن الإمام الذهبي ألمح إلى أن ولادته بعد السبعين ومائة، فقال: مولده سنة بضع وسبعين ومائة[(١)].

والمتتبع لبعض أخباره يستطيع وضع إحتمال قريب جداً لتاريخ ولادته. فإذا كان الذهلي قد توفي رحمه الله سنة ثمان وخمسين ومائتين (٢٥٨) [(٢)]على ما قاله تلميذه ابن الشرقي[(٣)] وعلى ما صوَّبه الخطيب البغدادي في تاريخه[(٤)]، وعلى ما قال محمد بن موسى الباشاني: مات الذهلي يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين[(٥)]، وإذا كان عمره حين توفي ستاً وثمانين سنة، كما ذكر الذهبي في سيره قال: (وبخط أبي عمرو المستملي[(٦)]: عاش ستاً وثمانين سنة)[(٧)]

فتكون ولادة الذهلي على وجه التقريب سنة إثنتين وسبعين ومائة (١٧٢هـ) والله أعلم.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٧٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٤.

(٣) الإمام العلامة الثقة، حافظ خراسان، أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري ابن الشرقي سمع الذهلي، وأحمد بن يوسف السلمي، وحدث عنه ابن عقدة، وأبو أحمد الحاكم السير ١٥/ ٣٧، وستأتي ترجمته مفصلة ص ١٨٣.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٤.

(٦) هو الحافظ العالم الزاهد مُجاب الدعوة أبو عمرو أحمد بن المبارك المستملي النيسابوري. ستأتي ترجمته مفصلة ضمن تراجم أشهر تلاميذه.

(٧) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٤.

بلدة نَيْسَابُور*

من المستحسن أن نلمح إلماحة سريعة إلي مدينة نيسابور التي ولد فيها الذهلي ونشأ، وفي مغانيها ومساجدها دَرَجْ، وبين حلق العلم والدرس فيها طاف.

هذه المدينة هي إحدى مدن خراسان الكبرى (هراة، ومرو، وبلخ، ونيسابور)[1]. والعجم أو العامة يسمونها نشاوور[2]. قال ياقوت: وهي مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء[3]. قيل فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب على يد الأحنف بن قيس[4] ثم انتقضت في أيام عثمان بن عفان فأرسل إليها ابن خالته عبد الله بن عامر[5] ففتحها

* ضبط السمعاني اسمها فقال: بفتح النون وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفتح السين المهملة وبعد الألف ياء منقوطة بواحدة، وفي آخرها الراء. (الأنساب ٥/ ٥٥٠).

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص٣٦٢ للقزويني.

(٢) معجم البلدان ٥/ ٣٣١، مراصد الإطلاع ٣/ ١٤١١.

(٣) معجم البلدان ٥/ ٣٣١.

(٤) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التابعي، الأمير، الكبير، العالم النبيل، أبو بحر التميمي، قدم على عمر بفتح تستر. قال أبو أحمد الحاكم: هو افتتح مرو الرّوذ، يضرب بحلمه وسؤدده المثل، ومن حكمه قوله: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من دنيء، وبرٌ من فاجر، وحليم من أحمق. قال الفسوي. مات الأحنف سنة٦٧. أخبار أصبهان ١/ ٢٢٤ لأبي نعيم الأصبهاني، ويسمى أيضاً تاريخ أصبهان. السير ٤/ ٨٦.

(٥) هو عبد الله بن عامر بن (كُرَيْز) انظر ضبط الاسم في الأنساب للسمعاني (٥/ ٦١) بن ربيعة الأمير أبو عبد الرحمن القرشي، افتتح إقليم خراسان، وقتل كسرى في ولايته، وأحرم من نيسابور شكراً لله، وعمل السقايات بعرفة، وكان سخياً شجاعاً وصولاً لقومه وقرابته محبباً فيهم رحيماً. قدم على معاوية فزوجه بابنته هند، وتوفي قبله سنة ٥٩. فقال معاوية: عين نفاخر وعين تباهي بعده. الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٤٤ القسم المتمم لتابعي أهل المدينة، تحقيق د. زياد منصور، نسب قريش ١٤٧, ١٤٨ لأبي عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، اعتناء وتصحيح إ. ليفي بروفنسال، والسير ٣/ ١٨.

ثانية وبنى بها جامعاً[(١)] لذا فهي أقدم في الوجود في حوزة المسلمين من بغداد. ولكن لم ترتفع أعلامها في العلم إلا بعد بغداد دار الرياسة والعلم في آن واحد[(٢)].

وقد تتبّع الإمام الذهبي مسيرتها العلمية المباركة، وانتعاشها على بعدها النسْبي عن مواقع الحركة السياسية والعلمية في العراق، وبلاد الشام، ومصر. وكَان انتعاشها على يد طبقة مشايخ الذهلي، ثم طبقته ومن بعدهم حتى خربّها التتار. قال الذهبي: (ونيسابور) دار السُّنَّة والعوالي، صارت بإبراهيم بن طهمان[(٣)]، وحفص بن عبد الله[(٤)]، ثم يحيى بن يحيى[(٥)]، وابن راهويه[(٦)]،

---

(١) معجم البلدان ٥/ ٣٣١، الأنساب ٥/ ٥٥٠، مراصد الإطلاع ٣/ ١٤١١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٣٢٤ لتاج الدين السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح الحلو، وموارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد. تأليف د. أكرم ضياء العمري ص٢٦٩.

(٣) هو إبراهيم بن طهمان بن شعبة الإمام، قال صالح جزره: ثقة، حسن الحديث، يميل شيئاً إلى الإرجاء في الإيمان، وقال أبو زرعة: كنت عند أحمد بن حنبل فذكر إبراهيم بن طهمان، وكان متكئاً من علة، فجلس، وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فَيُتكأ. مات سنة ثلاث وستين ومائة (تاريخ بغداد ٦/ ١٠٥). طبقات خليفة ص ٣٢٣. (سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٨) الفهرست لابن النديم ص ٢٨٤.

(٤) هو حفص بن عبد الله بن راشد الحافظ أبو سهل السلمي قاضي نيسابور، كان يقضي بالأثر، ولا يقضي بالرأي ألبته مات لخمس بقين من شعبان سنة تسع ومائتين، الجرح والتعديل ٣/ ١٧٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٨٥.

(٥) هو يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن أبو زكريا التميمي النيسابوري شيخ الإسلام، وعالم خراسان روى عن الليث بن سعد وابن أبي الزناد، وعنه البخاري ومسلم والذهلي، مات سنة ٢٢٦. وسأترجم له بتوسع في مشايخ الذهلي. التاريخ الكبير ٨/ ٣١٠ للإمام البخاري، عني بتصحيحه جماعة من علماء دائرة المعارف العثمانية منهم العلامة عبد الرحمن المعلمي. والسير ١٠/ ٥١٢.

(٦) هو إسحاق بن إبراهيم بن هاني أبو يعقوب النيسابوري، شيخ الشرق، وسيد الحفاظ، ولد سنة ٢١٨، قال أبو نعيم: كان إسحاق قرين أحمد، وكان للآثار مثيراً، ولأهل الزيغ مبيراً.
طبقات الحنابلة ١/ ١٠٨ لابن أبي يعلى، الفهرست ص٢٨٦، السير ١١/ ٣٥٨.

ومحمد بن رافع[1] وعبد الرحمن بن بشر[2]، وعبد الله بن هاشم[3]، والذهلي، وأحمد بن يوسف[4]، ومسلم، وإبراهيم ابن أبي طالب[5]، وأبي عبد الله البوشنجي[6]، ثم بابن خزيمة[7]، وأبي العباس السراج[8]،

---

(١) هو محمد بن رافع بن سابور الإمام الحافظ أبو عبد الله القشيري مولاهم النيسابوري، ولد سنة نيف وسبعين ومائة في أيام مالك الإمام. قال مسلم والنسائي: ابن رافع ثقة مأمون، وقال جعفر بن أحمد: ما رأيت في المحدثين أهيب من محمد بن رافع. توفي سنة ٢٤٥، وصلى عليه محمد بن يحيى الذهلي. الجرح والتعديل ٧/ ٢٤٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥١٠.

(٢) هو عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران، أبو محمد العبدي النيسابوري، المحدث الحافظ. ولد بعد الثمانين ومائة. واعتز به أبوه، وارتحل به، وطال عمره، وتفرد. عقد له مسلم مجلس إملاء بعد وفاة الذهلي. توفي سنة ٢٦٠ وصلى يحيى ابن الذهلي بالناس على قبره في خلق كثير. تاريخ بغداد ١٠/ ٢٧٢، السير ١٢/ ٣٤٠.

(٣) هو عبد الله بن هاشم بن حيّان، الامام الحافظ المتقن النيسابوري، قال صالح جزره: ثقة، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين. الجرح والتعديل ٥/ ١٩٦، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٢٨.

(٤) هو أحمد بن يوسف بن خالد أبو الحسن السلمي النيسابوري، يلقب بحمدان، من خواص يحيى بن يحيى، ومن المصاهرين له، قال الدارقطني: ثقه نبيل. الجرح والتعديل: ٢/ ٨١، سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٢٨٤.

(٥) هو إبراهيم ابن أبي طالب الإمام، الزاهد شيخ نيسابور، قال محمد بن يعقوب: إنما أخرجت مدينتنا هذه من رجال الحديث ثلاثة: محمد بن يحيى، ومسلم بن الحجاج، وإبراهيم ابن أبي طالب. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٤٧.

(٦) هو محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي أبو عبد الله البوشنجي، شيخ أهل الحديث في عصره، ولد سنة ٢٠٤، سمع بمصر والحجاز والكوفة والبصرة وبغداد والشام، حدث في البلاد، روى عنه البخاري وابن خزيمة وغيرهما. توفي سنة ٢٩١. وصلى عليه ابن خزيمة ودفن بنيسابور. السير ١٣/ ٥٨١، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد ومصطفى ابنا عبد القادر عطا ١٣/ ٢٩.

(٧) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري الحافظ الحجة. ولد سنة ٢٢٣. يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، لُقب بإمام الأئمة، كانت له عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه، واتباعه السنة. طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٠٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠. وسيترجم له بتوسع ضمن تلاميذ الذهلي ص١٧٨.

(٨) هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران أبو العباس الثقفي النيسابوري السراج، قال الخطيب: كان من الثقات الأثبات، عُني بالحديث، وصنف كتباً كثيرة، وقال إسماعيل بن نجيد: رأيت أبا العباس السراج يركب حَمارة، وعياش المستملي بين يديه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقول: يا عياش! غير كذا، إكسر كذا.. توفي سنة ٣١٣ بنيسابور. تاريخ بغداد ١/ ٢٤٨، السير ١٤/ ٣٨٨.

وابن الشرقي، وخلائق. وما زال يرحل إليها إلى ظهور التتار. وآخر شيوخها المؤيد الطوسي(١). ثم مضت كأن لم تكن(٢).

قال ياقوت: عهدي بها كثيرة الفواكه والخيرات، وأكثر شرب أهلها من قُني تجري تحت الأرض ينزل إليها في سراديب مهيأة لذلك فيوجد الماء تحت الارض وليس بصادق الحلاوة(٣).

ومن سنن الله في خلقه أن لاتدوم الدنيا على حال، بل يدفع الله الناس بعضهم ببعض لأمر يريده سبحانه. وقد تعرضت خراسان جميعها ومن ضمنها نيسابور لهجمات شرسة أولها هجمة الغُز(٤) في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، حيث أسروا السلطان سنجر، وملكوا أكثر خراسان، وقدموا نيسابور فقتلوا كل من وجدوا واستصفوا أموالهم حتى لم يبق فيها من يعرف، وخربوها،

---

(١) هو المؤيد بن محمد الطوسي النيسابوري، مسند خراسان، ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائه، وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام سنة (٦١٧) انظر ص٣٤٦. ، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٠٤، غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٢٥ لأبي الخير محمد بن محمد الجزري. باعتناء ج. برجستراس.

(٢) الأمصار ذوات الآثار ص ٧٢ للإمام الذهبي باعتناء عبدالقادر ومحمود الأرناووط.

(٣) معجم البلدان ٥/ ٣٣١.

(٤) الغز: أمة عظيمة من الترك، وهم نصارى كانوا في طاعة سلاطين بني سلجوق إلى زمن سنجر ابن ملكشاه، ولهم مدينة من الحجارة والخشب والقصب، ولهم بيت عبادة، ولهم تجارات إلى الهند والصين، ومأكولهم البر ولحم الغنم وملبوسهم الكتان والفراء. وكان سبب هجومهم على خراسان أن السلطان سنجر بعث إليهم من يستوفي الخراج منهم. فتجاوز الجابي للخراج الرسم والعادة فضربه ملكهم وكان اسمه طوطي بك، فمات الجابي، فبعث إلى السلطان يعتذر، فقبل عذره، ولكن حاشيته أرادت النهب والسلب وأغروا السلطان بهم حتى خرج في عساكره إليهم فتضرعوا وتذللوا. فلان السلطان وأبى أصحابه. فلما أيسوا تأهبوا للقتال، وركبوا برجالهم ونسائهم على المسلمين حملة واحدة. وكشفوهم كشفاً قبيحاً وهزموهم. وأخذوا السلطان ودخلوا خراسان وخربوها. -آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص٥٨٧ بتصرف يسير.

وأحرقوها وتقلبت أحوالها حتى عادت أعمر بلاد الله وأحسنها وأكثرها خيراً وأهلاً وأموالاً ، . وبقيت على ذلك حتى خرج التتار [1] مما وراء النهر سنة ثماني عشرة وستمائة وقدموا نيسابور وقد تحصن أهلها ، فدخلوها وقتلوا كل من كان فيها من كبير وصغير وامرأة وصبي ثم خربوها حتى ألحقوها بالارض واستخرجوا دفائنها وأذهبوها [2] وكان عهد الإمام الذهلي بها من أزهى عهود ها في العلم وتدوين الحديث والإستقرار والعطاء .

---

(١) جيل عظيم من الترك ، أشبه شئ بالسباع في قساوة القلب وفظاظة الخلق، وصلابة البدن ، وغلظ الطبع وحبهم الخصومات وسفك الدماء وتعذيب الحيوان . وقد بيّن القزويني أن خروجهم من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم. آثار البلاد وأخبار العباد ص٥٨١ . وقد أخرج الحديث الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد والسير، باب قتال الترك (٣/ ٣٠٦) فساق سنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجانّ المُطَرَّقة . . . الخ»

(٢) معجم البلدان ٥/ ٣٣٢ -مراصد الإطلاع ٣/ ١٤١٢ .

المبحث الثالث
أسرتـــــه

طبَّقت شهرة الإمام الذهلي وابنه يحيى الآفاق، فقد كانت له مكانة جليلة مهيبة في نيسابور نظراً لسطوع نجمه فيها، وتقدّمه على أقرانه في العلوم والفتيا، وحلق العلم، التي كان يؤمها فطاحلة العلماء كالإمام البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبي داود وسواهم.

ولكن المصادر والمراجع بخلت علينا بأخبار من كان له الفضل في تربية الإمام الذهلي وتنشئته هذه التنشئة البارعة سواءً من والديه أو أجداده أو أعمامه أو أخواله شأنه في ذلك شأن غيره من فطاحلة العلماء . . . فلم نعثر مع طول البحث عمن يمتُّون بصلة للإمام الذهلي سوى الآتية تراجمهم :

١ - أخوه يوسف بن يحيى الذهلي . ذكر ذلك أبو عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور ونقله إلينا من المخطوطة الدكتور/ ناجي معروف حيث قال : وكذلك قال (يعني الحاكم) في ترجمته ليوسف بن يحيى وهو أخو محمد بن يحيى فقد ذكر كلمة (الذهلي) مجردة من كلمة الولاء[1] .

٢ - ابنه يحيى بن محمد الذهلي الإمام العالم الحافظ الشهيد وسأترجم له بتوسع بعد ذكر بقية الأسرة.

٣- ابنة ابنه يحيى ولا نعلم عنها شيئاً سوى أن جدّها الإمام محمد بن يحيى الذهلي هو الذي ولي خطبة نكاحها بأبي علي الحيكاني المعدل[2] .

٤ - نسيب الذهلي وزوج ابنة ابنه العدل الثقة أبو علي، محمد بن أحمد بن محمد بن زيد بن حيكان الحيكاني النيسابوري . قال السمعاني : وإنما عرف بأبي

---

(١) عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية ١/ ١٤٩، ونقل في الحاشية الموضع في المخطوطة (الورقة ١٦أ، والورقة ١٨ب).

(٢) الأنساب ٢/ ٣٠١، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٢٠.

علي حيكان لأنه ختن أبي زكريا يحيى بن محمد بن يحيى الشهيد على ابنته، وكان من أهل العلم والفضل والعدالة، سمع أبا عبد الله محمد بن يحيى الذهلي وأبا الأزهر أحمد بن الأزهر العبدي[1]، وصهره أبا زكريا يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي، سمع منه الحاكم أبو عبد الله (محمد بن عبد الله) الحافظ وقال: سمعت الأستاذ أبا الوليد يذكر فضل أبي علي وتقدمه في السن والعدالة، وقال: توفي غرة جمادى الأولى من سنة أربعين وثلاثمائة[2].

---

(١) هو أحمد بن الأزهر بن منيع بن سليط الإمام الحافظ الثبت النيسابوري، حدث عنه رفيقاه محمد ابن رافع، ومحمد بن يحيى. كانت له رحلة واسعة إلى الحجاز واليمن والشام والكوفة والبصرة وخراسان، مات سنة ٢٦١. السير ١٢/ ٣٦٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٢٠، الأنساب ٢/ ٣٠١.

ترجمة يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي (حيكان)*

هو الإمام يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب أبو زكريا الذهلي النيسابوري[(١)]. قال الذهبي: الحافظ، المجوّد، الشهيد. وقال: قال الحاكم: هو إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة وابن إمامها، وأمير المُطَّوِّعة بخراسان بلا مدافعة (يعني الغزاة). قال: وكان يسكن دار أبيه، ولكل منهما فيها صومعة وآثار لعبادتهما، والسكّة والمسجد منسوبان إلى حيكان[(٢)].

(أ) شيوخه:

شارك الإمام يحيى بن محمد أباه في كثير من شيوخه، وبالأخص شيوخ العراق. فقد اهتم به في صغره فرحل به إلى الآفاق، وأسمعه العلماء، وكانت له رحلات إلى الرّي[(٣)] وبغداد، والبصرة، والكوفة، والحجاز.

---

* انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٩/ ١٨٦، تاريخ بغداد ١٤/ ٢١٧-٢١٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦١٦-٦١٨، ميزان الإعتدال في نقد الرجال (٤/ ٤٠٧) للحافظ الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، فتحية علي البجاوي. العبر ١/ ٣٨٤، البداية والنهاية ١١/ ٤٢، تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ١١/ ٢٧٦، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٣/ ٤٣ لابن تغري بردي، تعليق محمد شمس الدين. ، الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية ٣/ ٦٠٠.
وحَيْكَانْ: بفتح الحاء المهملة وبعدها الياء الساكنة المنقوطة باثنتين وفتح الكاف وفي آخرها نون. لقب يحيى بن محمد بن يحيى. انظر الأنساب للسمعاني ٢/ ٣٠١، ونزهة الألباب في الألقاب لابن حجر العسقلاني ١/ ٢٢٥ تحقيق عبد العزيز السديري.

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٢١٧.

(٢) السير ١٢/ ٢٨٥.

(٣) الرّي: مدينة مشهورة من أمهات البلاد، كثيرة الفواكه والخيرات، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً وليس بعد بغداد في المشرق مدينة أعمر منها إلا نيسابور، ويخترقها نهر (روذة)، والنسبة إليها (الرازي) على غير قياس. معجم البلدان ٣/ ١١٦، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٢٧٨.

فقد سمع بنيسابور من: يحيى بن يحيى، وأحمد بن عمرو الحَرَشي[1]، وابن راهويه وسواهم وبالرَّي من إبراهيم بن موسى الفرَّاء[2]، ومحمد بن عبدالله ابن أبي جعفر.

وببغداد من علي بن الجعد[3]، والحكيم بن موسى[4]، والقواريري[5]، وسواهم. وبالبصرة: من سليمان بن حرب[6]، ومسدد [7] والربيع بن يحيى[8] وسواهم.

---

(١) أحمد بن عمرو الحَرَشي: قال ابن حبان: من أهل البصرة، يروي عن إسماعيل بن عليَّه، روى عنه محمد بن يحيى الذهلي. الثقات ٨/ ٢١. والحرشي بفتح الحاء والراء المهملتين، انظر الأنساب ٢/ ٢٠٣.

(٢) هو أحمد بن موسى الفرَّاء الحافظ المجود أبو إسحاق التميمي الرازي المعروف بالصغير، كان أحمد يقول عنه: هو كبير في العلم والجلالة مات بعد العشرين ومائتين. . السير ١١/ ١٤٠ - تهذيب التهذيب ١/ ١٤٨.

(٣) هو علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي ولد سنة ١٣٤، سمع من شعبة وابن أبي ذئب وحدث عنه البخاري وابن معين وسواهما. قال أبو زرعة: كان صدوقاً في الحديث. الجرح والتعديل ٦/ ١٧٨، السير ١٠/ ٤٥٩.

(٤) هو الحكم بن موسى ابن أبي زهير، أبوصالح القنطري. نسائي الأصل، سمع إسماعيل بن عياش، وعبد الله بن المبارك وحدث عنه أحمد بن حنبل وابن المديني قال يحيي بن معين: ثقة. مات سنة ٣٢. تاريخ بغداد ٨/ ٢٢٦ والقنطري بفتح القاف وسكون النون نسبة إلى قنطرة البَرَدَان. الأنساب ٤/ ٥٥١.

(٥) هو عبيد الله بن عمر بن ميسرة الإمام الحافظ أبوسعيد الجُشمي مولاهم، كان ثقة صدوقاً مكثراً من الحديث سمع أبا عوانة الوضاح وسفيان بن عيينة، وعنه أبو قدامة السرخسي والرازيان. توفي سنة ٢٣٥. والقواريري نسبة إلى القوارير، وهي عمل القارورة وبيعها. الأنساب ٤/ ٥٥٦، السير ١١/ ٤٤٢.

(٦) هو سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي الواشحي أبو أيوب البصري. قال النسائي ثقة مأمون، وقال يحيي بن أكثم: عاقل في نهاية الستر والصيانة. والواشحي بفتح الواو وكسر الشين نسبة إلى واشح بطن من الأزد، ولي قضاء مكة مدة توفي سنة ٢٢٤. اللباب في تهذيب الأنساب (٣/ ٣٤٧) لابن الأثير الجزري. ، تهذيب التهذيب ٤/ ١٥٧.

(٧) هو مسدد بن مسرهد بن مسربل أبو الحسن الأسدي البصري أحد أعلام الحديث، حدث عن وكيع وحماد بن زيد، وعنه البخاري والذهلي. قال بن معين: ثقة ثقة. مات سنة ٢٢٨. السير ١٠/ ٥٩١.

(٨) هو الربيع بن يحيى الأشناني، قال أبو حاتم مع تعنته: ثقة، ثبت. وأما الدارقطني فقال: ضعيف يخطي كثيراً، مات سنة ٢٢٤. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (١/ ٣٠٥) للإمام الذهبي، تحقيق عزت عطية، موسى الموشي. ميزان الإعتدال ٢/ ٢٣٣. والأُشْنَاني: بضم الألف وسكون الشين، نسبة إلى بيع الأشنان وشرائه، الأنساب ١/ ١٧٠

وبالكوفة: من سعيد بن منصور[١]، وإبراهيم بن محمد الشافعي[٢]، ومحرز بن سلمة[٣] وغيرهم.

(ب) تلاميذه:

كان لحيكان مكانة علمية كبرى في نيسابور وما حولها. وقد تتلمذ عليه عدد من الأئمة كابن خزيمة، ومحمد بن إسحاق السراج، وإبراهيم ابن أبي طالب. ومحمد بن صالح بن هانئ، ومحمد بن يعقوب ابن الأخرم، وأبي حامد ابن الشرقي، وابن أبي حاتم، ومن تلامذته الإمام المحدث محمد بن يزيد ابن ماجه، روى عنه في سننه في باب الأذنان من الرأس من كتاب الطهارة، على ماذكره الحافظ ابن حجر وأيَّدَ قوله بأنه وجد ذلك في نسخة صحيحة عتيقة جداً. وفي بعض النسخ محمد بن يحيى بدلاً من يحيى بن محمد بن يحيى فالله تعالى أعلم[٤]. وعلى كلٍ فتتلمذ ابن ماجه عليه ممكن جداً.

(جـ) مكانته عند أبيه:

كان الإمام الذهلي يحب ابنه يحيى كثيراً، ويعتني بتربيته علمياً، وإجتماعياً، وقيادياً، وقد آتت هذه التربية ثمارها. فأصبح (حيكان) المُقدَّم في نيسابور بعد وفاة والده في حِلَق العلم والفتوى، وصار رئيساً مُطاعاً ذا تأثير إجتماعي وقيادي كبير.

---

(١) هو سعيد بن منصور بن شعبة أبو عثمان الخراساني المكي المجاور. قال أبو حاتم: هو ثقة من المتقنين الأثبات ممن جمع وصنف. وكان من أوعية العلم. المعجم المشتمل لابن عساكر ص١٢٩، السير ١٠/٥٨٦.

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن العباس الإمام المحدث أبو إسحاق القرشي المطلبي المكي، ابن عم الإمام الشافعي. قال النسائي والدارقطني (ثقة) مات سنة ٢٣٨. السير ١١/ ١٦٥.

(٣) هو محرز بن سلمة بن يزداد المكي. روى عن مالك ونافع بن عمر. وعنه ابن ماجه وابن أبي عاصم. ذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة ٢٣٤. الثقات ٨/ ١٩٢، تهذيب التهذيب ١٠/ ٥١.

(٤) انظر تهذيب التهذيب ١١/ ٢٤٢.

ولا أدلَّ على شدة حبه له من قوله الذي رواه عنه أبو أحمد الحاكم[1] عن شيوخه، قال: قد رأيت العلماء وأولادهم، ولم أر مثل ابني يحيى. وقوله الذي رواه ابن الشرقي قال: سمعت الذهلي ذكر ابنه فقال: أبو زكريا والد[2].

ولا غَرْوَ في مدح الذهلي لابنه وثنائه عليه فيبدو أنه كان على جانب كبير من التقوى والدين والزهادة[3]. وقد سبقت الإشارة قبل قليل إلى مكان عبادته في دار أبيه.

وكان الذهلي يحث ابنه يحيى على حضور مجالس المناظرة، ويتابع نشاطه ومشاركاته فيها. قال أبو عبد الله الحاكم: قال مكي بن عبدان[4]: وافى داود ابن علي الأصبهاني[5] نيسابور أيام إسحاق بن راهويه فعقدوا له مجلس النظر، وحضر مجلسه يحيى ابن الذهلي ومسلم بن الحجاج، فجرت مسألة تكلم فيها يحيى، فزبره[6] داود قال: أسكت يا صبي. ولم ينصره مسلم. فرجع إلى أبيه،

---

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الكرابيسي أبو أحمد محدث خراسان العلامة الثبت، كان من بحور العلم مقدم في معرفة شروط الصحيح والأسامي والكنى. مات سنة ٣٧٨. الوافي بالوفيات ١/ ١١٥، هدية العارفين ٢/ ٥٠.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٦١٧.

(٣) قال الخليلي في الإرشاد ٢/ ٨١٠: ومن زهده يخرجه السلمي في مقامات الأولياء.

(٤) هو مكي بن عبدان بن محمد بن بكر المحدث الثقة أبو حاتم التميمي النيسابوري، سمع الذهلي ومسلم، قال أبو علي النيسابوري: ثقة مأمون مقدم على أقرانه من المشايخ، السير ١٥/ ٧٠.

(٥) هو داود بن علي بن خلف أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأصبهاني لأن أمه أصبهانية، مولى أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر. قال مسلمة بن قاسم: كان داود من أهل الكلام والحجة واستنباط فقه الحديث، صاحب أوضاع، ثقة إن شاء الله تعالى. وقال الخطيب: ... في كتبه حديث كثير، لكن الرواية عنه عزيزة جداً. وقال محمد بن الحسين بن صبيح: سمعت داود الأصبهاني يقول: القرآن محدث، ولفظي بالقرآن مخلوق. ولما أظهر مقالته بنيسابور كتب الذهلي إلى أحمد يخبره بها فامتنع عن مقابلته. وقد وصفه الذهبي بأنه من أوعية العلم، له ذكاء خارق. السير ١٣/ ٩٧، لسان الميزان ٢/ ٥١٧، طبقات المفسرين ١/ ١٧١ للحافظ الداوودي، مراجعة لجنة من العلماء.

(٦) الزَّبرُ: الزجر والإنتهار، وبابه نصر. مختار الصحاح ص ١١٣ للرازي.

وشكا إليه داود، فقال أبوه : ومن كان ثمَّ؟ قال : مسلم، ولم ينصرني!!. قال : قد رجعت عن كل ما حدثته به. فبلغ ذلك مسلماً فجمع ماكتب عنه في زنبيل، وبعث به إليه، وقال: لا أروي عنك أبداً!!.

قال أبو عبد الله : علَّقت[1] هذه الحكاية عن طاهر بن أحمد عن مكي، وقد كان مسلم يختلف بعد هذه الواقعة إلى محمد بن يحيى وانما انقطع عنه من أجل قصة البخاري[2].

فهذه الحكاية - مع أنها معلقة - إلا أن فيها دلالة على العلاقة الحميمة بين الذهلي وابنه يحيى، لسماعه شكواه، وتأييده إياه في المشاركة في مسائل العلم في مجالس النظر والإملاء حتى مع صغر سنه.

ومن ثقة الذهلي بابنه وبعلمه مناظرته إياه في مسائل العلم. قال أبو إسحاق المزكي: حدثني أبو علي الحسن بن محمد وغيره أن محمد بن يحيى الذهلي، وابنه يحيى إختلفا في مسألة فقال أحدهما للآخر: إجعل بيننا حكماً، فرضيا بابن خزيمة، فقضى ليحيى على أبيه. قال المزكي: كان يحيى له موضع من العلم والحديث[3].

---

(١) الحديث المعلق: صورته أن يحذف من أول الإسناد واحد فأكثر، وكأنه مأخوذ من تعليق الجدار لقطع الإتصال، واستعمله بعضهم في حذف كل الإسناد كقولهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوقال ابن عباس أو عطاء أو غيره. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ٢١٩) للحافظ السيوطي، تحقيق د. عبد الوهاب عبد اللطيف، ويظهر أن الحاكم استعمل هذا المصطلح ليبين ضعف الحكاية.

(٢) السير ١٢/ ٥٧١، وقصة البخاري هي الوحشة التي حصلت بينه وبين الذهلي بسبب مسألة اللفظ، وكان مسلم طرفاً وسطاً فيها حتى ترك في آخر أمره الاثنين ولم يروعنهما. انظر ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣ من هذه الرسالة.

(٣) السير ١٢/ ٢٩٣، الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ٣/ ٦٠١.

(د) مكانته العلمية:

خلف يحيى بن محمد الذهلي أباه في الحرص على استمرار المسيرة العلمية بنيسابور والمشرق عموماً، فقد كان له مجلس إملاء وتدريس، ولشهرته صار لقبه (حيكان) علماً على السكة والمسجد في ناحيته تلك.

وحدّد أحد تلامذته آخر مجالس إملائه الحديث قبل استشهاده بفترة وجيزة، قال محمد بن صالح بن هانئ: حضرنا آخر مجلس للإملاء عند يحيى ابن محمد الشهيد في شهر رمضان من سنة ٢٦٧هـ[١].

وحيكان لم يكن مشهوراً بالتصنيف كوالده. لذلك فإن معظم رواياته وآثاره العلمية قد طويت وإن كان بعضها محفوظاً في مصنفات المتأخرين، فقد روى البيهقي في سننه الكبرى عنه في ثلاثة وستين موضعا[٢]، ونقل عنه الخطيب البغدادي تعريفاً للحديث الصحيح، قال أبو عمرو المستملي: سمعت يحيى بن محمد بن يحيى يقول: (لا يكتب الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يرويه ثقة عن ثقة حتى يتناهى [الخبر] إلى النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة، ولا يكون فيهم رجل مجهول، ولا مجروح، فإذا ثبت الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة وجب قبوله والعمل به وترك مخالفته)[٣].

ونقل عنه كذلك مشاركته في وفيات العلماء قال: ذكر يحيى بن محمد النيسابوري أن إبراهيم بن طهمان مات سنة ١٥٨[٤].

---

(١) السير ١٢/ ٢٨٨.

(٢) انظر على سبيل المثال: في السنن الكبرى للبيهقي جـ٣/ ٣١١، ٣٥٦، جـ٤/ ٢٩، ٥٣، ٦٢، ١٥٧، جـ٥/ ١٨، ١٩، ٣٥، ٥٥. جـ٦/ ١٤٥، ١٥٢، ٢٨٥. جـ٧/ ٢٧، ٧٤، ٣٠٢. جـ٨/ ١٤٤، ١٥٤. وانظر وجاداته في ٥/ ٦٣، ٣٣٥، ٦/ ٢٨٥.

(٣) الكفاية في علم الرواية ص٥٦ باب معرفة الخبر المتصل للخطيب البغدادي، مراجعة أ. عبدالحليم محمد، أ. عبد الرحمن محمود.

(٤) السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد للخطيب أحمد بن علي البغدادي (١/ ١٣٠) تحقيق د. محمد مطر الزهراني.

وكان ينقل عن مشايخه كأحمد بن حنبل(١) وعلي ابن المديني(٢) بعض آثارهم، ومنهجهم في الرواية(٣).

(هـ) مكانته الإجتماعية في نيسابور:

بالإضافة إلى منزلة الشهيد يحيى بن محمد الذهلي الدينيةوتصدره للإفتاء بعد والده ومنزلته العلمية أيضاً، فقد كانت له مكانة جليلة في نفوس أهلها مما جعله يسود عليهم ويتقدمهم في حل أمورهم، ويرأسهم في الغزوات والثورات، مما سبَّب قتله كما سيأتي.

قال الحاكم: "هو إمام نيسابور . . . . . وأمير المُطَّوِّعة بخراسان بلا مدافعة، يعني الغزاة"(٤).

وقال أيضاً: "لما ورد الخجستاني(٥) نيسابور صادف يحيى بن محمد سائداً ومعيناً ومقدماً على الغزاة وكانت الطاهرية قد رفعت من شأنه فلم يجسر أحمد

---

(١)، (٢) سيُترجم لهما بتوسع في تراجم مشايخ والده في الباب الثاني.

(٣) انظر نقله عن شيخه أحمد الكلام على حديث واهي. في التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني (١/ ٢٣٥) تحقيق د. شعبان محمد، وانظر نقله عن شيخه علي تفضيل الرواية من أصل الكتاب. في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢/ ١٢ تحقيق د. محمود الطحان.

(٤) السير ١٢/ ٢٨٥.

(٥) هو أحمد بن عبد الله الخجستاني بضم الخاء والجيم وسكون السين، نسبة إلى خجستان من جبال هراة (معجم البلدان: ٢/ ٣٤٧)، جبار عنيد، ظالم، متمرد، خرج عن طاعة صاحب خراسان يعقوب الصفار، وتملك نيسابور، وأظهر الإنتماء إلى الطاهرية وجعل رافع بن هرثمة أتابكة(أ)، وجرت له ملاحم، قال الطبري: ومن عتوه وجوره أنه دخل نيسابور في شوال من عام ٢٦٧ فأساء السيرة في أهلها، وهدم دور آل معاذ بن مسلم، وضرب من قدر عليه منهم واقتطع ضياعهم (تاريخ الطبري ٥/ ٥٤٥) ومن جوره ما رواه الحاكم قال: سمعت أبي يقول: لما قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني -الذي إستولى على البلاد- الإمام حيكان بن الذهلي، أخذ في الظلم والعسف وأمر بحربة ركزت على رأس المربعة (ب)وجمع الأعيان، وحلف: إن لم يصبوا الدراهم حتى يغيب رأس الحربة، فقد أحلوا دماءهم، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم، =

معه أن يتمكن من رياسة نيسابور أو يستبد بشيء من الأشياء يعني فلذلك أقدم على قتله[1].

(و) خروجه على الخجستاني:

لما تسلط الخجستاني واستبد بالأمر سبع سنين[2] في نيسابور وسواها. وأعمل سيفه في الناس، واستأثر بأموالهم بغير حق، وهدم دورهم ومساكنهم، وأخاف نساءَهم وأطفالهم، ﴿ **استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله** ﴾[3]. اجتمع العلماء وأصحاب الرأي والغزاة وعموم الناس على حيكان على أن يقودهم للتخلص من الخجستاني.

= فخص تاجر بثلاثين ألف درهم، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم، فحملها إلى أبي عثمان[جـ] وقال: أيها الشيخ قد حلف هذا كما بلغك، ووالله لا أهتدي إلا إلى هذه، قال: تأذن لي أن أفعل فيها ما ينفعك؟ قال نعم، ففرقها أبو عثمان وقال للتاجر: أمكث عندي. ومازال أبو عثمان يتردد بين السكة والمسجد ليلته حتى أصبح، وأذن المؤذن، ثم قال لخادمه اذهب إلى السوق، وانظر ماذا تسمع، فذهب ورجع فقال: لم أرَ شيئاً، فقال: اذهب مرة أخرى، وهو في مناجاته يقول: وحقك لا أقمتُ مالم تفرج عن المكروبين، قال: فأتى خادمه الفرغاني يقول: وكفى الله المؤمنين القتال، شُقَّ بطن أحمد بن عبد الله، فأخذ أبو عثمان في الإقامة (السير ١٤/ ٦٥). قال الذهبي بعد سرد القصة: (بمثل هذا يعظم مشايخ الوقت) وكان ابن شيخنا قد انتدب لحربه لشدة عسفه وظلمه، ثم تقلل العامة عنه كعادة العوام وقتله بعد ذلك عام ٢٦٧هـ. انظر تاريخ الطبري ٩/ ٥٤٤، ٥٥٢، ٥٥٧، ٥٩٩، ٦٦٠، ٦١٢. معجم البلدان ٢/ ٣٤٧. الكامل في التاريخ ٧/ ٢٩٦، ٣٠٤. اللباب ١/ ٤٢٤.

(أ) الأتابك: من ألقاب أمير الجيوش وأتابك العساكر بمثابة القائد العام للجيش. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي جـ٦/ ٥, ٣٥.

(ب) المرْبعة: هي العصا التي يأخذ رجلان بطرفيها ليحملا الحمل على الدابة. الإفصاح في فقه اللغة صَ ٦١٢لعبد الفتّاح الصعيدي، وحسين يوسف.

(جـ) هو سعيد بن إسماعيل أبو عثمان الحيري، ولد سنة ٢٣٠ هـ بالري، كان مُجاب الدّعوة ومجمع العباد والزهاد وله أقوال مأثورة توفي سنة ٢٩٨هـ. انظر السير ١٤/ ٦٢.

(١) تهذيب التهذيب ١١/ ٢٤٣.

(٢) السير ١٣/ ٩٦.

(٣) سورة فاطر آية: ٤٣.

قال أبو العباس السراج : كان يحيى بن محمد أخرجه الغزاة وجماعة من أصحاب الحديث ، وأصحاب الرأى وأركبوه دابة ، وألبسوه سيفاً ، قال المزكي : بلغني أنه سيف خشب ، وقاتلوا سلطان نيسابور ، يقال أحمد بن عبد الله -خارجي غلب على البلد- وكان ظالماً غشوماً ، وكان الناس أو أكثرهم مجتمعين عليه مع يحيى ، فكانت الدَّبرة [١] على العامة ، وهرب يحيى إلى رستاق [٢] ، يقال له بُسْت ، فَدُلَّ عليه أحمد بن عبد الله وجيءَ به ، ويقال إنه لما أسلمه جموعه انهزم وانضم إلى حمّالين ، وتنكر ثم عُرف فقبض عليه [٣] ، ويقال إن عامة من كان معه من الرؤساء ، إنقلبوا عليه لما وافقه أحمد [٤] .

قال الحاكم : سمعت أبا علي محمد بن زيد العدل ، ختن يحيى على ابنته ، قال : دخلنا على أبي زكريا بعد أن رُدَّ من الطريق ، وهو في الحبس ، فقال لنا : اشترك في دمي خمسة نفر : العباسان ، وابن ياسين ، وبشرويه ، وأحمد بن نصر اللَّباد [٥] .

(ز) إستشهاده :

قال الحاكم : سمعت أبا بكر أحمد بن إسحاق ، سمعت نوح بن أحمد ، سمعت أحمد بن عبد الله الخجستاني يقول : دخلت على حيكان في محبسه الذي كنت حبسته فيه على أن أضربه خشبات وأخلي سبيله ، وما كنت عازماً على قتله ، فلما قربت منه ، مددت يدي إلى لحيته ، فقبضت عليها ، فقبض على

---

(١) الدَّبرة : بفتحتين الهزيمة في القتال وهي إسم من الإدبار . مختار الصحاح ص٨٣ .

(٢) الرُستاق : كلمة فارسية معربة وتستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم ويقال (الرُّزْدَاق) قال ابن فارس : الرزدق السطر من النخل والصف من الناس . وقيل هو السواد والجمع . مختار الصحاح ص١٠٢ ، المصباح المنير ص٨٦ لأحمد الفيومي المقري .

(٣) السير ١٢/ ٢٨٧ .

(٤) السير ١٢/ ٢٩٣ .

(٥) السير ١٢/ ٢٨٧ .

خصيتيَّ حتى لم أشك أنه قاتلي، فذكرت سكيناً في خُفِّي، فجردت السكين، وشققت بطنه(١).

وفي رواية أبي العباس السراج أنه لما قُبض عليه أتاه الخجستاني وقال: ألم أحسن إليك ألم أفعل، ألم أفعل؟ وكان يحيى فوق جميع البلد، فقال: أكرهت على ذلك، واجتمعوا عليَّ. قال: فردَّ عليه الجماعة، أو من حضر منهم، وقالوا ليس كما قال، فأخذه أحمد فقتله. يقال إنه بنى عليه. قال: ويقال: إنه أمر بجر خصييه حتى مات «رحمه الله رحمة واسعة»(٢). وكان ذلك في جمادى الآخرة*. سنة ٢٦٧.

(ح) تأثر الناس لفقده، وندم الخجستاني على قتله:

لقد ترك استشهاد حيكان-رحمه الله- أثراً بالغاً في نفوس الناس لما له من محبة وقدر.

قال الحاكم: سمعت أبا عبد الله الأخرم يقول: ما رأيت مثل حيكان، لارحم الله قاتله(٣).

وقال محمد بن عبد الوهاب الفراء: لا نستطيع أن نشكر يحيى نحن ولاأعقابنا، رجل جعل نحره لنا ونحن مطمئنون نعبد ربنا(٤).

ومن محبيه أبي عمر المستملي الذي وصّاه الذهلي بدفن ألفي جزء من كتبه قال: رأيت يحيى بن محمد رضي الله عنه في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: فما فعل بالخجستاني؟ قال: هو في تابوت من نار، والمفتاح بيدي(٥).

---

(١) السير ١٢/٢٨٧.
(٢) السير ١٢/٢٩٣.
* تعارض كون قتله في جمادى الآخرة رواية محمد بن صالح بن هانئ أن آخر مجلس للإملاء عقده حيكان كان في شهر رمضان من السنة نفسها. انظر السير ١٢/٢٨٨.
(٣) السير ١٢/٢٩٣.
(٤) تذكرة الحفاظ ٢/٦١٧.
(٥) السير ١٢/٢٨٧.

ويدل على بالغ التأثر : ما صار إليه أبو عمرو المستملي بعد مقتل حيكان من ترك التنعم بالدنيا من لبس القطن وغيره، وشدة بأسه وشجاعته على الخجستاني وترويعه إياه على جريمته في عالم نيسابور. قال الحاكم: سمعت محمد بن صالح ابن هانئ يقول: لما قُتل حيكان ترك أبو عمرو المستملي اللباس القطني، وكان يلبس في الشتاء فرواً بلا قميص، وفي الصيف مسحاً، وكان مجلسه ومبيته في مسجد الأدميين على رأس سكة الحسين بن موسى بنيسابور، إذ سمع الناس يقولون: قد أقبل الخجستاني، فخرج المستملي وعليه الفرو، فتقدم فأخذ عنان أحمد ثم قال: يا ظالم قتلت الإمام ابن الإمام العالم ابن العالم؟؟!! فارتعد الخجستاني، ونفرت دابته، فتقدم الرَّجالة لضربه، فصاح الخجستاني. . دعوه . . دعوه. فرجع المستملي ودخل المسجد رحمه الله تعالى.

قال محمد بن صالح: فبلغني عن أبي حاتم نوح أنه قال: قال الخجستاني: والله ما فزعت قط من أحد فزعي من صاحب الفروة، ولقد ندمت لما نظرت إليه من إقدامي على قتل حيكان[1].

(ط) تأثر الحالة العلمية بعد استشهاده:

وقد تأثرت الحالة العلمية بفقده كثيراً وتأخرت سنين، فقد هلع الناس من الخجستاني وخافوا ولم يعقد مجلس إملاء بعد حيكان ست سنوات.

قال صالح جزرة في رسالته إلى ابن أبي حاتم واصفاً أحوال نيسابور: إن أخبار الدين وعلم الحديث دون سائر العلوم اليوم مجفوٌ مطروح، وحماله وأهل الكتابة به في شغل التي دهمتهم وتواترت عليهم عند مقتل أبي زكريا، وقد مضى هو وأبوه لسبيلهما ولم يخلفا مثلهما ولزم كلٌّ خاصة نفسه، ومرقت طائفة ممن كانوا يظهرون السنة. . . إلخ[2].

---

(١) السير ١٢/٢٨٨.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/٦١٧.

ويحكي محمد بن صالح بن هانئ منع الخجستاني لمجالس الإملاء بعد قتله حيكان . . وعودة الإملاء بعد زمن قال : لما قتل يحيى ابن الذهلي منع الناس من حضور مجالس الحديث من جهة أحمد الخجستاني ، فلم يجسر أحد يحمل المحبرة إلى أن ورد السَّريُّ بن خزيمة[1] ، فقام الزاهد أبو عثمان الحيري ، وجمع المحدثين في مسجده ، وعلَّق بيده محبرة وتقدمهم ، إلى أن جاء إلى خان محمش ، فأخرج السَّري وأجلس المستملي ، فحزرنا مجلسه زيادة على ألف محبرة ، فلما فرغ قَاموا وقبَّلوا رأس أبي عثمان ، ونثر الناس عليهم الدراهم والسكر سنة ٢٧٣[2] .

---

(١) هو السَّري بن خزيمة بن معاوية الأبيوردي . محدث نيسابور ، حدث عنه أبو بكر بن خزيمة وابن الشرقي . قال الحاكم : هو شيخ فوق الثقة وذكر أنه ورد نيسابور سنة ٢٧٠ ، وهو أول من أملى بنيسابور بعد قتل حيكان بتشجيع أبي عثمان الحيري بعد إنقطاع ، توفي سنة ٢٧٥ ، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٥ .

(٢) السير ١٤/ ٦٤ .

المبحث الرابع
وفاة الإمام الذهلي رحمه الله تعالى

إختلفت الأقوال في تاريخ وفاة الإمام الذهلي - رحمه الله تعالى - فقد قال الخليلي: أنه مات سنة ست وخمسين[1] وقال: محمد بن حبان[2] مات سنة ٢٥٧[3] والصحيح أنه مات سنة ثمان وخمسين ومائتين كما سنذكره مُدعَّماً عن تلامذته ومعاصريه. وقد حرر ذلك الإمام الخطيب البغدادي قال: أنبأنا السمار، حدثنا الصفار حدثنا ابن قانع: أن محمد بن يحيى النيسابوري مات سنة إثنتين وخمسين ومائتين.. قال ابن قانع: وقيل سنة ست وخمسين. أخبرني الحسين ابن علي الطناجيري حدثنا عمر بن أحمد الواعظ قال سمعت عبدالله بن محمد ابن زياد النيسابوري[4] يقول: مات محمد بن يحيى النيسابوري سنة سبع وخمسين ومائتين. قلت (يعني الخطيب) وبلغني أن وفاته كانت في إحدى الربيعين من السنة، وقد بلغ ستاً وثمانين سنة وكل هذه الأقوال وهم، والصواب

---

(١) الإرشاد ٢/ ٨١١.

(٢) هو محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي التميمي. الحافظ الجليل الإمام، صاحب الصحيح والثقات، سمع النسائي وابن خزيمة والسراج وعنه الحاكم والزوزني، قال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ من عقلاء الرجال، وقال الخطيب: كان ثقة نبيلاً فهماً. توفي سنة ٣٥٤. الأنساب ١/ ٣٤٨، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٣١، السير ١٦/ ٩٢.

(٣) الثقات ٩/ ١١٥ للإمام ابن حبان البستي، تصحيح محمد عبد الرشيد.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل النيسابوري صاحب التصانيف شيخ الإسلام، تفقه بالمزني والربيع وسمع من الذهلي وعنه الدارقطني، وابن شاهين، كان معروفاً بحفظ الأسانيد والمتون ومعرفة الزيادات في الألفاظ، واختلاف الصحابة. توفي سنة ٣٢٤. تاريخ بغداد ١٠/ ١٢٠، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨١٩. وسيترجم له بشيء من التوسع ضمن تراجم تلاميذه.

ما أخبرنا هبة الله بن الحسن الطبري عن محمد بن نعيم قال : سمعت عبد الله بن أحمد الشيباني يقول : سمعت أبا حامد الشرقي يقول : مات الذهلي سنة ٢٥٨ (١).

وأيّد الذهبي قول الخطيب بذكر الذهلي في وفيات سنة ثمان وخمسين ومائتين، فبعد ترجمته للإمام أحمد بن الفرات أبو مسعود (٢) قال توفى في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائتين ثم سرد من مات معه من الأعلام في هذه السنة فذكر واحداً وعشرين عالماً منهم الذهلي رحمهم الله (٣)، وذكره ابن الجوزي في وفيات سنة ٢٥٨ وحدد ذلك في ربيع الآخر وهو ابن ست وثمانين سنة (٤). وقال ابن عبد الله الهادي : (مات في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين، وهو في عشر التسعين) (٥).

وهذه أقوال تلاميذه ومعاصريهم . قال ابن الشرقي : مات سنة ثمان وخمسين ومائتين . وقال محمد بن موسى الباشاني : مات الذهلي يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين . وقال يعقوب بن محمد الصيدلاني : يوم الإثنين لأربع بقين من ربيع الأول (٦).

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٠، تذهيب التهذيب (مخطوط جـ٤ لوحة ١٠)، مكتبة إحياء التراث بجامعة أم القرى . الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ٥/ ١٨٧ .

(٢) هو أحمد بن الفرات بن خالد الضبّي الرازي أبو مسعود، أقام يحدث بأصبهان خمساً وأربعين سنة، قال أحمد بن حنبل : ما تحت أديم السماء أحفظ لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي مسعود الرازي . توفى سنة ٢٥٨ . وقد قارب الثمانين . أخبار أصبهان ١/ ٨٢، السير ١٢/ ٤٨٠ .

(٣) السير ١٢/ ٤٨٦ .

(٤) المنتظم ١٢/ ١٤٧ .

(٥) طبقات علماء الحديث ٢/ ٢١١ للإمام محمد بن عبد الهادي الدمشقي، تحقيق أكرم البوشي ورفيقه .

(٦) السير ١٢/ ٢٨٤، تراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار ٤/ ٨٠ تأليف محمد أيوب السهارنبوري

ولما توفي الذهلي تقدم في الصلاة عليه أمير خراسان محمد بن طاهر[1]، في ميدان الحسين، وخَلَفَه في مشيخة البلد ولده حيكان[2].

وكانت جنازته مشهودة حضرها جم غفير من الناس. قال الحاكم: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب[3] يقول: رأيت جنازة محمد بن يحيى والناس يعدون بين يديها وخلفها، ولي ثمان سنين[4]. رحمه الله رحمةً واسعة وجمعنا معه في فردوسه. . . آمين.

---

(١) هو محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر آخر حكام الدولة الطاهرية، البداية والنهاية ١٠/ ٢٨٩.

(٢) السير ١١/ ٢٨٥.

(٣) هو محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري ابن الأخرم الإمام الحافظ، ولد سنة ٢٥٠، سمع من يحيى ابن الذهلي بعد أن فاته مجلس الذهلي، وهو على حفظه وعلمه لم يرحل، مات سنة ٣٤٤. طبقات الفقهاء الشافعية ١/ ٢٨٩ لأبي عمرو بن الصلاح، تحقيق محيي الدين علي نجيب، السير ١٥/ ٤٦٦.

(٤) السير ١٢/ ٢٧٥.

الفصل الثالث

صفاتـــه الخَلْقية والخُلُقية

وتحته مبحثـــــــان :

المبـحث الأول : صفاته الخَلْقيّة ومظهره .

المبـحث الثاني : صفاته الخُلُقيّة .

المبحث الأول
صفاته الخَلْقيّة ومَظْهَرُه

لم نعثر مع كثرة التتبع على أوصاف الإمام الذهلي الخَلْقيَّة الدقيقة شأنه في ذلك شأن أكثر العلماء. إذ أن إهتمام معاصريهم من طلبة العلم وغيرهم كان منصباً على أخبارهم العلمية، ورواياتهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقهم، وما يتَّسمون به من ورع وتقوى وعبادة، وغيرها من الأمور التي تعتبر أهم مقوماتهم الشخصية.

ومع ذلك فقد تحصَّل من الأخبار ما يعطينا تصوراً عاماً عن شخصه الذي تميز بالإهتمام البالغ بنظافة اللباس وحسنه، كما ذكرت إلماحة إلى حسن وجهه وشيبه.

قال أبو العباس الدغولي[1]: سمعت صالح بن محمد[2] الحافظ يقول: دخلت الرَيَّ، وكان فَضْلَك [3] يذاكرني حديث شعبة، فألقى عَلَيَّ لشعبة، عن عبد الله بن صُبَيْح، عن ابن سيرين، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله

(١) قال الذهبي في السير: الإمام العلامة الحافظ المجود شيخ خراسان أبو العباس محمد بن عبدالرحمن بن محمد السرخسي الدغولي، قال الحاكم: أقام بنيسابور مستفيداً على محمد بن يحيى الذهلي، وعبد الرحمن بن بشر وأقرانهما سنين وكتب بالعراق والحجاز... إلخ. وعنه أبو حاتم بن حبان وأبو أحمد ابن عدي. انظر السير ١٤/ ٥٥٧.

(٢) هو الإمام صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب أبو علي البغدادي الملقب جَزَرَة. مولده سنة ٢٠٥. سمع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وحدَّث عنه مسلم خارج الصحيح وخلف الخيام، وكان صدوقاً ثبتاً ذا مزاح ودعابة، مشهوراً بذلك، توفي ٢٩٣، وله ٨٩ سنة. انظر السير ١٤/ ٢٣.

(٣) هو الإمام الحافظ المحقق أبو بكر الفضل بن العباس الرازي، صاحب التصانيف، روى عن عيسى بن ميناقالون، وعبد العزيز الأويسي. حدث عنه أبو عوانه ومحمد بن جعفر الطبري. مات رحمه الله في صفر سنة ٢٧٠، وكان من أبناء السبعين. السير ١٢/ ٦٣٠، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٦٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٠.

عليه وسلم: "هذا خالي فليُرني إمرؤ خاله"[1] فلم أحفظ، فقال فَضْلَك: أنا أُفيدُكَهُ، إذا دخلت نيسابور (ترى شيخاً حسن الشيب، حسن الوجه، راكباً حماراً مصرياً، حسن اللباس) فإذا رأيته فاعلم أنه محمد بن يحيى . . . إلخ[2].

وقال الحاكم: سمعت محمد بن أحمد بن زيد وهو عدل رضي يقول: سمعت محمد بن يحيى الذهلي، وكنت واقفاً على رأسه، بعد الفراغ من المجلس، وبيدي قلم، فنقطت نقطة على ثوبه، فرفع إليَّ رأسه فقال: أتراني أحبك بعد هذا!![3] ولعل هذا من باب المزاح ولكن فيه ما يشير إلى الإعتناء باللباس ونظافة المظهر الخارجي ورتابته وإنْ خَلقَت الثياب ورثَّتْ، ولا يرد هنا الغلو والإسراف لما فيه من المباهاة والتعالي على الغير والمخالفة لداعي الإيمان، بعدم الخلود للدنيا وزينتها.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب سعد ابن أبي وقاص (٥/ ٦٠٧) من طريق مجالد بن سعيد الهمداني، وهو ليس بالقوي، عن عامر الشعبي عن جابر بن عبد الله بمثله، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من طريق مجالد، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب سعد ابن أبي وقاص (٣/ ٤٩٨) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦/ ٧٣) وذلك لأنه نظر إلى متابعة اسماعيل ابن أبي خالد، عند الحاكم، وقد سبقه الحاكم و الذهبي.

(٢) السير ١٢/ ٢٧٧.

(٣) السير ١٢/ ٢٨٢.

المبحث الثاني
صفاته الخُلُقيَّة ويشمل المطالب التالية
المطلب الأول أدبه وصبره ورجاحة عقله

كان الإمام الذهلي - رحمه الله تعالى - على جانب كبير من الأدب مع العلماء، والصبر على ما يصدر منهم حتى وإن كان الحق معه. . . ولعمرو الحق إنها لصفة عزيزة. . . وإنَّ وجودها في صفوف طلبة العلم لهو المطلب الأسمى. . . لما تتركه من أثر جميل في نفس المعلم وبالأخص إذا وقع على خطئه. . . ولما فيها من الأناة والحلم والتروي الذي تُحمد عاقبته دائماً.

وهذه رواية وقعت للإمام الذهلي مع شيخه الإمام أحمد بن حنبل تدلنا على ما كانا يتمتعان به - رحمهما الله - من الأدب الجم وضبط النفس.

روى أبو العباس الدغولي[1] قال سمعت محمد بن يحيى قال: لما رحلت بابني إلى العراق صحبني جماعة من الغرباء[2]، فسألوني: أيُّ حديث عن أحمد بن حنبل أغرب؟ فكنت أقول: إذا دخلنا عليه، سألته عن حديث تستفيدونه. فلما دخلنا سألته عن حديث يحيى بن سعيد، عن عثمان بن غياث، عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر، عن ابن عمر عن عمر حديث الإيمان فقال: ياأبا عبد الله، ليس هو عندي عن يحيى بن سعيد فخجلت، وقمنا، فأخذ أصحابنا يقولون: إنه ذكر الحديث غير مرة ثم لم يعرفه أحمد، وأنا ساكتٌ لا أجيبهم وقال: ثم قدمنا بغداد فدخلنا على أحمد، فرحب بنا، وسأل عنا ثم قال: أخبرني ياأبا عبدالله: أي حديث استفدت عن مسدَّد، عن يحيى بن سعيد: فذكرت له حديث الإيمان. فقال أحمد: حدثناه يحيى بن سعيد، ثم أخرج كتابه

---

(١) سبقت ترجمته ٨٧.

(٢) الغرباء: سيأتي التعريف بهم في الحديث عن علو همته وتفانيه في الطلب ص ١١٥.

وأملى علينا. فسكت محمد بن يحيى، ولم يقل: سألناك عنه. فتعجب أصحابه من صبره، قال: فأخبر أحمد بأنه كان سأله عن الحديث قبل خروجه إلى البصرة. فكان أبو عبد الله إذا ذكره يقول: محمد بن يحيى العاقل[1]. وصَدَق على الذهلي جواب الأعرابي لما سئل «من الأديب العاقل؟ قال: الفطن المتغافل»[2]. فما أحوجنا دائماً وأبداً إلى الأدب مع الغير. لاسيما مع والدينا ومشايخنا و أرباب الفضل علينا. فإن ذلك لا يورث إلا خيراً.. فقد كان الإمام أحمد بن حنبل بعد هذه الحادثة يُجل الذهلي ويقوم له في مجلسه ويدنيه منه ويأمر بنيه وأصحابه أن يكتبوا عنه. كما سيأتي معنا في الثناء عليه. وقد بيَّن مكانة الذهلي هذه وسمو قدره العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي في كتابه نسيم الرياض حين ترجم له فقال: محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد الإمام الحافظ الجليل القدر...[3]

وكان الذهلي يبادل شيخه الثناء والإحترام فقد كان يقول « قد جعلت أحمد ابن حنبل إماماً فيما بيني وبين ربي عز وجل.[4]

المطلب الثاني
تواضعه واعترافه لغيره بالفضل

كان الإمام الذهلي جم التواضع، متجرداً لله في علمه، يأخذ عن الصغير والكبير... ويعترف لغيره بالصواب... وبهذا يكمل علم الإنسان وتربو محاسنه. ولعل هذه الطرفة مع ابنه يحيى تعكس صورة من تواضعه قال أبو

(١) السير ١٢/ ٢٧٨. تذهيب التهذيب ٤/ لوحة ٩ مخطوط.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣٥٥ للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان.

(٣) نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض، تأليف العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي، وبهامشه شرح الشفا لعلي القاري، طبعة دار الفكر.

(٤) السير ١٢/ ٢٨٢.

اسحاق المزكي : حدثني أبو علي الحسن بن محمد وغيره أن محمد بن يحيى الذهلي وابنه يحيى إختلفا في مسألة فقال أحدهما للآخر : اجعل بيننا حكماً ، فرضيا بابن خزيمة ، فقضى ليحيى على أبيه ، ثم قال المزكي : كان يحيى له موضع من العلم والحديث[1] .

وكان إذا سئل عن مسألة في بعض الأحيان يقول : «سلوا أبا عبد الله المروزي»[2] . مع أنه كان يصغره بنحو ثلاثين سنة إعترافاً لغيره بالعلم ، إلى غير ذلك من الروايات والتي سنعرض لها في ثنائه على العلماء واعترافه لهم بالتقدم والسبق والفضائل المتعدده .

وهذه طرفة تبين التجرد لله في العلم وخفض الجناح للحق من أي امرىء كان . . .

قال أبو حامد ابن الشرقي : سمعت محمد بن يحيى الذهلي ، وأملى حديثاً ، فردّ عليه الجارودي»[3] ، فزبره محمد بن يحيى ، فلما كان المجلس الثاني ، قال الذهلي : ها هنا أبو بكر؟ قال : نعم ، قال : الصواب ما قلت ، فإني رجعت إلى كتابي ، فوجدته على ما قلت[4] فلله دَرُّ الطالب في حلمه وصبره وإن كان شيخه مخطئاً . . . ولله دَرُّ المُعَلِّم الذي دفعه الإخلاص لله في العلم أن يعترف بخطئه أمام الناس ويقر المحق على قوله . . . أسأل الله أن يرزقنا التحلي بصفات الصالحين ، والتواضع للخلق في غير مذلة .

(١) السير ١٢/ ٢٩٣ . تاريخ بغداد ١٤/ ٢١٨ ، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٧٦ .

(٢) هو شيخ الإسلام محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ولد ببغداد سنة ٢٠٢ يقال أنه أعلم الأئمة باختلاف العلماء على الإطلاق . كان هو المقدم والمفتي بعد وفاة الذهلي بنيسابور ، فقد أقرَّ له بذلك حيكان وغيره السير ١٤/ ٣ . وسيترجم له بتوسع ضمن تلاميذه .

(٣) الامام الاوحد صدر خراسان أبو بكر محمد بن النضر بن سلمة الجارودي النيسابوري سمع اسحاق بن راهويه وابن أبي الشوارب . وحدث عنه ابن خزيمة وأبو حامد ابن الشرقي . قال ابن أبي حاتم : سمعت منه بالريِّ ، وهو صدوق من الحفاظ توفي سنة ٢٩١ . السير ١٣/ ٥٤١ .

(٤) السير ١٣/ ٥٤٣ .

المطلب الثالث

ميله إلى الوعظ والرقائق والتذكير بالله

كان الإمام الذهلي - رحمه الله تعالى - من ذلك الرعيل[1] المبارك الذي جمع بين محاسن صفات العلماء فلا للتصوف والإنقطاع عن الدنيا في كيانه مكاناً، ولا للعقلانية البحتة وجفاف الروح مكاناً فيه كذلك، بل نلمس في شخصه - رحمه الله - ذلك التوازن بين شتى مطالب الكيان البشري. فبينما يجيل فكره وعقله في ميادين المعرفة والعلم والحفظ والفهم والمدارسة. نجده في المقابل يطلق للروح شفافيتها، وعلوّها، وتطلعها إلى رحمة الله، وابتغاء مرضاته، فيعظ الناس، ويذكرهم بالله، وينشد للناس ما استلطفه من زهديات ورقائق مشايخه، ونجده أخيراً يجمع بين العلم واستشعار الأمانة فيه والخوف من الله فيقوم بحق المجتمع المسلم وصيانته عن الدسائس والبدع، ومساعدة المبتلين في دين الله كما سيأتي في مكانته العلمية.

ومن وعظه للناس وترهيبهم من المعصية. ما نقله الحسين بن محمد الفقيه قال: سمعت محمد بن يحيى يقول: تقدم رجل إلى عالم، فقال علمني وأوجز. قال: لأوجزنَّ لك. أما لآخرتك فإن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه قل لقومك: لو كانت المعصية في بيت من بيوت الجنة لأوصلت إليه الخراب، وأما لدنياك فإن الشاعر يقول:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ... وكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت ... يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال السراج: سمعت محمد بن يحيى: خرجت مع وهب بن جرير[2] إلى مكة، فلما بلغناها، أصابتنا شدة فسمعت وهباً يقول:

---

(١) الرعيل: القطعة المتقدمة من الخيل، قال ابن سيده: وقد يكون من الخيل والرجال. لسان العرب ٢٨٧/١١.

(٢) هو وهب بن جرير بن حازم أبو العباس الأزدي البصري، ولد بعد الثلاثين ومائة، أمر أحمد بن حنبل بالكتابة عنه، وأكثر عنه في (مسنده) مات سنة ٢٠٦، طبقات ابن سعد ٢٩٨/٧، السير ٤٤٢/٩.

إن الذي نجّاك من بطن ذمة ومن سيول في بطون مفعمة

لقادر على أن يستتم نعمه(١)

وقال الذهلي أيضاً: سمعت أبا مسهر(٢) ينشد:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار المقام نصيب

فإن تعجب الدنيا رجالاً فإنه متاع قليل والزوال قريب(٣)

وينقل - رحمه الله تعالى - حادثة لعلي ابن أبي طالب بجوار الكعبة. قال: بينما علي كرم الله وجهه يطوف بالكعبة، إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة ينادي: يا من لا يشغله سمع عن سمع، يامن لا يغلطه السائلون، يا من لا يتبرم بإلحاح الملحين، أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك. قال له علي رضي الله عنه: دعاؤك هذا؟ قال: نعم، قال: سمعته، قال: نعم. . . الخ(٤).

المطلب الرابع
ورعه وتقواه

كان الإمام العلامة الذهلي من أهل الورع والتقوى والعفاف والستر حتى فيما أحلّ الله له.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٢.

(٢) هو عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى أبو مسهر الغساني الدمشقي، روى عن مالك الموطأ وغيره، قال ابن وضاح: كان فاضلاً وقال ابن معين: ثقة، مولده سنة أربعين ومائة، ووفاته سنة ٢١٨. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك١/ ٤١٦، للقاضي عياض، تحقيق د. أحمد بكير محمود. تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨١، وسيترجم له بتوسع في مشايخ الذهلي.

(٣) السير ١٠/ ٢٣٦.

(٤) مفتاح السعادة ومصباح الريادة ٣/ ١٣٨. تأليف أحمد مصطفي طاش كبري زاده.

قال أبو العباس الأزهري: سمعت خادمة محمد بن يحيى، وهو على السرير يُغَسَّل، تقول: خدمته ثلاثين سنة وكنت أضع له الماء، فما رأيت ساقه قط، وأنا ملك له[1].

كما كان وقافاً عند حدود الله معظماً لحديث رسول الله.

قال البرذعي[2]: وقرأت على محمد بن يحيى حديث عكراش بن ذؤيب [3]فلما بلغ آخر الحديث قوله (هكذا الوضوءمما غيرت النار) لم يقرأه عليَّ، وقال أستعظم أن أحدث مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهابه[4].

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩، السير ١٢/ ٢٧٩، تذهيب التهذيب ٤/ لوحة ١٠ مخطوط.

(٢) هو سعيد بن عمرو بن عمّار الأزدي أبو عثمان البَرْذَعي. نسبة إلى بلد في أقصى أذربيجان. رحال جوال. مصنف، سمع الفلاس ومسلم، وعنه الحسن بن عياش الميانجي. توفي سنة ٢٩٢، معجم البلدان ١/ ٣٧٩، السير ١٤/ ٧٧.

(٣) هو عكراش بن ذؤيب بن حرقوص بن جعدة أبو الصهباء التميمي. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين. بعثه بنو مُرَّة بصدقات أموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد الجمل مع عائشة، مات سنة ١١٠. أسد الغابة٤/ ٦٩. المعارف لابن قتيبة ١٣٤، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٢٩.

(٤) الضعفاء لأبي زرعة وأجوبته على أسئلة البرذعي ٢/ ٧٤٨، تحقيق د. سعدي الهاشمي، والحديث ضعيف الإسناد وقد رواه الترمذي قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك ابن أبي السَّوِيَّة أبو الهذيل قال: حدثني عبيد الله بن عكراش عن أبيه عكراش ابن ذؤيب قال: (بعثني بنو مُرَّة بن عبيد بصدقات أموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدمت عليه المدينة فوجدته جالساً بين المهاجرين والأنصار، قال: ثم أخذ بيدي فانطلق بي إلى بيت أم سلمة فقال: هل من طعام؟فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والوَذْر (قال ابن الأثير: أي كثيرة قطع اللحم، والوَذْرَة بالسكون: القطعة من اللحم، النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٧٠). فأقبلنا نأكل منها، فخبطت بيدي في نواحيها وأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه، فقبض بيده اليسرى على يدي اليمنى ثم قال: يا عكراش كل من موضع واحد فإنه طعام واحد، ثم أتُينا بطبق فيه ألوان التَّمر أو الرطب، شك عبيد الله، فجعلت آكل من بين يديَّ وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق، قال: يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد، ثم أُتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ =

والذي يظهر لي أن خوف الإمام الذهلي من التحديث بهذا الجزء من الحديث يأتي من وجهين. الوجه الأول: مخالفته لحديث جابر "كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مسته النار"[1].

ومخالفته لما استقر عليه الإجماع على أنه لا وضوء مما مسَّت النار[2].

الوجه الثاني: إطلاق الراوي لفظ الوضوء بتلك الهيئة المخالفة لما عرف عنه صلى الله عليه وسلم من صفة الوضوء للصلاة. والمراد هو «غسل اليد» كما ذكر ابن شاهين قال: وقد روى عكراش صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث صفة الوضوء مما مست النار، لأن العرب عندها أن غسل اليد هو الوضوء[3]. وفي إسناد الحديث من لا يُعتمد عليه.

= يديْه ومسح ببَلَلِ كفَّيْه وجهه وذراعيه ورأسه، وقال: يا عكراش هذا الوضوء مما غيَّرت النار).

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث العلاء بن الفضل، وقد تفرد العلاء بهذا الحديث، أنظر السنن كتاب الأطعمة (باب ما جاء في التسمية على الطعام ٤/ ٢٤٩). وأخرجه الإمام محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه عن محمد بن بشار مختصراً ٢/ ١٠٨٩. وفي إسناد الحديث العلاء بن الفضل. قال عنه ابن حبان: كان ممن ينفرد بأشياء مناكير عن أقوام مشاهير. لايعجبني الإحتجاج بأخباره التي انفرد بها. فأما ما وافق فيه الثقات فإن اعتبر بذلك معتبر لم أر بذلك بأساً. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ٢/ ١٨٣ للحافظ ابن حبان البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد. وقال العباس بن عبد العظيم: وضع العلاء بن الفضل حديث عبيدالله ابن عكراش عن أبيه. انظر تهذيب التهذيب ٧/ ٣٤، ٨/ ١٦٩.

وفي الإسناد عبيد الله بن عكراش قال البخاري: لا يثبت حديثه، وقال أبو حاتم: شيخ مجهول. وقال ابن حزم: عبيد الله بن عكراش ضعيف جداً. التاريخ الكبير ٥/ ٣٩٤، الجرح والتعديل ٥/ ٣٣٠، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٤.

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه في الطهارة ١/ ١٣٣، والنسائي في الطهارة كذلك ١/ ١٠٨، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الترمذي ١/ ١٢١، وذكر الحافظ ابن حجر أن ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما صححا الحديث، فتح الباري ١/ ٣١١.

(٢) بتصرف من فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/ ٣٧٢ للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز وإخراج محب الدين الخطيب. كتاب الوضوء باب من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق.

(٣) ناسخ الحديث ومنسوخه ص ٧٦ للحافظ ابن شاهين، تحقيق سمير الزهيري.

الباب الثاني

حياته العلمية والإجتماعية والفكرية

وتحته تمهيد وأربعة فصول :

الفصل الأول : عوامل بروز شخصيته العلمية .

الفصل الثاني : مكانته العلمية والإجتماعية وآثاره .

الفصل الثالث : حياته الفكرية .

الفصل الرابع : بسط القول في مسألة اللفظ بالقرآن وماوقع بين الإمامين الذهلي والبخاري بسببها ، وأثرها في صفوف المحدثين .

الفصل الأول

عوامل بروز شخصيته العلميـة

و شمل المباحث التاليـــــــة :

المبـحث الأول : الدوافع الإجتماعية والمواهب الذاتية .

المبـحث الثاني : الرحلات العلمية .

المبـحث الثالث : مشايخـــــه .

المبـحث الرابع : تلاميذه .

تمهيد

من المتعارف عليه إذا برزت في مجتمع من المجتمعات شخصية لامعة ذات صفات يشاد بها - سواء في السياسة والحكم، أو العلم والتعليم، أو ما سوى ذلك - أن تحاط تلك الشخصية بالدراسة والعناية لمعرفة عوامل ظهورها.

ونيسابور مع أنها كانت بعيدة نسبياً في موقعها الجغرافي عن منابع العلم الأولى - كالمدينة، ومكة، والبصرة، والكوفة، وصنعاء، ودمشق - حيث ترعرع العلم على أيدي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعهم والتابعين لهم، إلا أنه أصبح لها فيما بعد شأناً عظيماً قبل مولد الذهلي بزمن.

وأضحت منارة المشرق قاطبة، وقد سبقت الإشارة إلى أنها دار السنة والعوالي، وأنها انتعشت بطبقة إبراهيم بن طهمان، وحفص بن عبد الله، ثم بطبقة يحيى ين يحيى وابن راهويه، ثم بطبقة الذهلي الذي نشأ في أجواء علمية قوية، ومنهج سلفي قويم.

وهذا بلا شك عامل قوي من عوامل بروز الإمام الذهلي وتشدده في منهج السلف، وهو عامل اجتماعي.

وهناك عامل شخصي، وهو أن الإمام الذهلي كان ذا همة عالية ساقته إلى الحركة الدؤوبة والرحلة وبذل الجهد والمثابرة.

وإنَّ عالماً كالإمام الذهلي طار صيته في البلاد، ورحل إليه طلبة العلم، وعرف بتشدده في قضايا العقيدة، وجمع مواهب حسن المناظرة، وحسن التقييد، والأدب بين يدي العلماء، لابد أنه قد تلقى تربية وعناية من جهات أسرية أوقريبة، تشرف على متابعة توجهه العلمي، ذلك التوجه الذي أحله مثل مكانة مالك في المدينة، وأحمد في بغداد، ولكن المصادر لم تبين من ذلك شيئاً، كما هو مطرد في غالب تراجم العلماء، إلا ما كان من أحد الحضور في حلق

العلم عند مشايخه، والذي حثه على الرحلة وقد بلغ مبلغاً يحسن فيه أن يرحل ويستفيد من غير مشايخ بلده، وذلك لما رأى عليه علامات النبوغ.

ومن خلال فصول ومباحث هذا الباب نصحب الإمام الذهلي في حياته العلمية، وحياته الفكرية والإجتماعية، لنرى علماً من أعلام أمتنا المجيدة الذين بذلوا الغالي والنفيس، والوقت والجهد بما يعود عليهم وعلى أمتهم بالخير والسؤدد، كل ذلك حفظاً للدين، وترسيخاً لثوابته، وتعميماً لشموله، ووقوفاً عندما يجب الوقوف عنده، وبياناً لما ينبغي بيانه، علماً وعملاً وهداية.

المبحث الأول
الدوافع الإجتماعية والمواهب الذاتية
المطلب الأول
الدوافع الإجتماعية

إنَّ اهتمام سلفنا الصالح بأبنائهم تربيةً وتنشئةً وتوجيهاً أمر بات معلوماً بالضرورة للقاصي والداني، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، فالأمة أجمع تمجد العلم وتقدمه على المال، والخلود للدَّعَة والرَّاحة. وإدراكهم هذا لأهمية التربية والتعليم والانضباط؛ جعلهم يدفعون أبناءهم من قبل السابعة للمساجد والكتاتيب، لحفظ القرآن الكريم، وتعلم الحساب، ثم الإنضمام لحلق العلم، والمثول بين يدي مشايخ البلد، بعد معرفة آداب طلب العلم على اختلاف أنواعها.. وتقييد العلم عنهم بالأسانيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وتابعيهم.

ويتولى ذلك كما سبقت الإشارة إليه الأبوان أو أحدهما.. أو أحد الأقارب، أو أهل الخير من العلماء وخلافهم.

ولم تفصح لنا المصادر عمن باشر توجيه الذهلي في صغره إلى العلم، وحضور مجالسه، وقد اشتهر عنه كما سيأتي جمال الخط وقوة الحفظ وهذه أمور لا تتوافر الهمم عليها إلا في الصغر لما تحتاجه من صبر وتفرغ وتمرس.. وإن ولادة الذهلي في بيئة مثل نيسابور إرتفعت أعلام العلم فيها قبله بأمد وظللتها السنة النبوية واتسم أهلها بشدة الدفاع عنها. كما قال الذهبي: «وكانت السنة قائمة الدولة بالأندلس وخراسان، وقلَّ أمرها وضعف بمصر والشام والمغرب والعراق، وما ذاك إلا لظهوردولة الشيعة و العبيدية..»[1] لابد أن تطبعه

(١) رسالة "ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ص١٩٦ ضمن أربع رسائل حققها الشيخ أبو غدة".

بطابعها، وأن تفتح أمامه آفاق المعرفة، وأبواب العلم كغيره ممن سبقه أو لحقه من أهل تلك الناحية. . وأمضى الذهلي صباه وهو ينهل من مشايخ نيسابور - مثل يحيى بن يحيى وابن راهويه- العلوم ويُسَود دفاتره بمختلف الفنون، ويشاء الله أن يجمعه لقاء مع علي بن سلمة اللَّبَقي[1] في أحد مجالس شيخهما يحيى بن يحيى النيسابوري، فيلفت نظره جمال خط الذهلي وحسن تقييده، ويلمح فيه علامات النبوغ، والصدق في الطلب، والشباب الناضر فقد قارب الذهلي آنذاك الخامسة والعشرين من عمره. . فيسديه نصيحة غالية لاقت منه قلباً عقولاً. . وهمة عالية. . ورغبة جموحاً.

قال الحاكم: قال محمد بن صالح بن هاني. سمعت محمد بن النضر الجارودي يقول: بلغني أن محمد بن يحيى كان يكتب في مجلس يحيى بن يحيى، فنظر علي بن سلمة اللبقي إلى حسن خطه وتقييده فقال: يا بني ألا أنصحك؟ إن أبا زكريا يحدثك عن سفيان بن عيينة[2] وهو حي، وعن وكيع[3]

---

(١) هو علي بن سلمة اللَّبَقيْ النيسابوري، روى عن ابن عليَّة وزيد بن الحباب، وعنه ابن ماجه وابن خزيمة، قال ابن زهير: أنا حملت أصول علي بن سلمة إلى محمد بن إسماعيل فانتخبت منها، وأنا ذهبت معه حتى سمعنا منه، وقال أبو حاتم السلمي: سمعت مسلم بن الحجاج يوثق علي بن سلمة. تهذيب التهذيب ٧/ ٢٨٧. و اللَّبَقيْ، بفتح اللام والباء الموحدة، انظر الأنساب ٥/ ١٢٧.

(٢) هو سفيان بن عيينة ابن أبي عمران الهلالي مولاهم أبو محمد كوفي سكن مكة، ثقة، ثبت في الحديث، وكان يُعَد من حكماء الحديث، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لضاع علم الحجاز. كان عالماً ناقداً، وزاهداً عابداً. توفي أول رجب سنة ١٩٨. تاريخ الإمام الحافظ يحيى بن معين ٢/ ٢١٦، تحقيق د. أحمد نور سيف. تاريخ الثقات للعجلي ص١٩٤ تقدمة المعرفة للجرح والتعديل لابن أبي حاتم، تحقيق الشيخ عبدالرحمن المعلمي، ص٣٢، المنتظم ١٠/ ٦٦.

(٣) هو وكيع بن الجراح بن عدي بن فرس أبو سفيان الرؤاسي، قال علي ابن المديني: وكيع من الثقات، وقال العجلي: ثقة عابد صالح، من حفاظ الحديث. وكان ابن عيينة يجله ويقول: إني لآنس بك وأنت في الكوفة. توفي سنة ١٩٧. تاريخ الثقات ص ٤٦٤ للإمام العجلي، بترتيب أبي بكر الهيثمي، وتعليق د. عبد المعطي قلعجي، تقدمة الجرح والتعديل ص ٢١٩، المنتظم ١٠/ ٤٢.

وهو حي بالكوفة، وعن يحيى بن سعيد[1] وجماعة أحياء بالبصرة، وعن عبدالرحمن بن مهدي[2] وهو حي بأصبهان. فاخرج في طلب العلم ولا تضيع أيامك. فعمل فيه قوله فخرج إلى أصبهان، فسمع من عبد الرحمن بن مهدي، والحسين بن حفص[3]، ثم دخل البصرة وقد مات يحيى، فكتب عن أبي داود (هو الطيالسي) وأقرانه.. وأطال المقام بها، حتى مات سفيان بن عيينة[4].

وتتوالى من ذلك اللقاء رحلات الذهلي إلى الآفاق، وتتسع مداركه، وتتنوع مشاربه حتى عُدَّ في طبقات الراحلين إلى الأقطار كما سيأتي بيانه.

وما علم علي بن سلمة - رحمه الله تعالى - ماذا سيكون للذهلي من شأن حين أسداه نصحه؟! وحثه على الرحلة واغتنام الليالي والأيام في الرحلة ولقاء الأكابر وتحصيل العالي من الأسانيد. وكأن لسان حاله يقول: (لعل الله أن ينفع بك..) فقد أصبح له شأناً عظيماً وذكراً كبيراً، ونظم اسمه في سلك العلماء الأفذاذ، والجهابذة[5] الكبار، وصار عمدة علماء عصره قاطبة. في حديث

(١) هو يحيى بن سعيد بن فروخ أبو سعيد التميمي مولاهم البصري الأحول القطان. أمير المؤمنين في الحديث، قال أحمد بن حنبل إليه المنتهى في التثبت، وقال ابن المديني: ما رأيت أعلم بالرجال من يحيى بن سعيد، قال: ما رأيت أحداً أنفع للإسلام وأهله من يحيى بن سعيد القطان. توفى في صفر سنة ١٩٨هـ. تاريخ الثقات ص ٤٧٢. تقدمة المعرفة للجرح والتعديل ص٢٣٢، السير ٩/ ١٧٥، شذرات الذهب ١/ ٣٥٥.

(٢) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان أبو سعيد العنبري الإمام الناقد المجود، قال الشافعي: لا أعلم له نظيراً في هذا الشأن وقال ابن المديني: كان علم عبد الرحمن في الحديث كالسحْر، وقال أحمد: عبد الرحمن ثقة خيار صالح ملم، من معادن الصدق. توفى في جمادى الآخرة سنة ١٩٨ - تاريخ الثقات ص٢٩٩، السير ٩/ ١٩٢، شذرات الذهب ١/ ٣٥٥.

(٣) هو الحسين بن حفص بن الفضل أبو محمد الهمداني الأصبهاني، أصله كوفي، وكانت إليه رئاسة أصبهان وقضاؤها وأمر الفتوى، قال أبو حاتم: محله الصدق.. وقال أبو نعيم: وجه الناس وزينهم وكان دخله كل سنة مائة ألف درهم، وكانت جوائزه وصلاته دارة على المحدثين وأهل العلم. أخبار أصبهان ١/ ٢٧٤، السير ١٠/ ٣٥٦.

(٤) السير ١٢/ ٢٧٦.

(٥) الجهابذة جمع جِهبذ وهو النقّاد الخبير. القاموس المحيط ١/ ٣٥٢.

الزهري[1] كما سيأتي بيانه بشهاداتهم وثنائهم، ومرجع من بعدهم[2] قروناً متطاولة لتجويده جمع حديثه واستخراج علله، ويظهر لي أن الناصح والمنصوح قد صدقا الله في القول والعمل، فجعل سبحانه من وراء تلك الكلمات خيراً كثيراً ونفعاً عظيماً.

وهكذا تكون أمة الإسلام أمة تعاون وبر وصدق ونصحٍ ورحمةٍ من الكبير، وسماعٍ واحترامٍ من الصغير ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهري. أحد الأعلام. انظر ترجمته بتوسع في مبحث آثاره تحت عنوان مدى اهتمام الإمام الذهلي بالإمام الزهري وزهرياته ص ٢٣٥.

(٢) كالبيهقي في مواضع كثيرة من سننه، وابن حجر في شرحه لصحيح البخاري، وستأتي الإشارة إلى ذلك في موضعه المناسب ص ٢١٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠.

المطلب الثاني
المواهب الذاتية

يمتن المولى على من يشاء من عباده بما يشاء من نعم وفضائل، وذلك ليبتلي الصابرين ويزيد حمد الحامدين . . . كما قال تعالى ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾[1] ومن حمد الله وشكره على نعمه استعمالها فيما يرضيه .

والإمام الذهلي قد منَّ عليه المولى عز وجل بنعم إدّخر شكرها باستغلالها فيما يرضي منعمها، ويعود عليه بالنفع والسداد والذكر الحسن . و ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾[2] ومن ذلك :

(أ) موهبة جمال الخط وحسن التقييد

جمال الخط وتجويده نعمة تستحق الشكر، لأنه مما يسُّر كل امرئ ينسب إليه . ولأهمية هذا الفن، وعظيم أثره عقد له الخطيب البغدادي باباً في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع[3] . نقل فما اهتمام السلف من الصحابة ومن تبعهم بالاعتناء به وتوضيحه ومن ذلك ما فسَّر به ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿ أو أثارةٍ من علم ﴾[4] قال جودة الخط[5] .

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

(٢) سورة الجمعة آية : ٤ .

(٣) وهو الباب الرابع عشر (باب تحسين الخط وتجويده) ١/ ٢٥٩ بتحقيق الدكتور محمد الطحان .

(٤) سورة الأحقاف آية : ٤ .

(٥) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ١٠٨ : قوله تعالى : (أو أثارة من علم) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم (أو أثارة من علم) قال الخط، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ولفظه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الخط فقال ؟ : هو أثارة من علم، وفي رواية في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (أو أثارة من علم) قال : جودة الخط، ورجال أحمد للحديث المرفوع رجال الصحيح . وقال الإمام أحمد في مسنده : حدثني يحيى عن سفيان ثنا صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس ، قال سفيان : لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أثارة من علم قال الخط . المسند (١/ ٢٢٦) .

وقال حنبل بن إسحاق[١]: رآني أحمد بن حنبل وأنا أكتب خطاً دقيقاً فقال: لا تفعل!! أحوج ما تكون إليه يخونك[٢]. وللخط الحسن أوصاف وعلامات يعرفها الخطاطون أهل هذا الشأن، وقد أثر عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك وصايا وتعليمات لكاتبه عبيد الله ابن أبي رافع[٣]، وبيَّن بعض كتاب المقتدر[٤]. متى يجوز أن يوصف الخط بالجودة؟ فقال: إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألف ولامه، وتفتحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنقاشه، ولم تختلف أجناسه. أسْرَعَ إلى العيون بصُوره، وإلى العقول بثمره، قدرت فصوله، واينعت وصوله، وبَعُدَ عن حيل الورَّاقين وعن تصنع المتصنعين كان حينئذ كما قلت في حسن الخط:

إذا ما تجلَّلَ قرطاسَهُ ... وساوره القلم الأبْرَشُ

تضمَّنَ من خطِّه حُلَّةً ... كنقش الدنانير بل أنقش

حروف تعيد لعين الكليل نشاطاً، ويقرؤها الأخفش[٥][٦]

---

(١) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني ابن عم الإمام أحمد وتلميذه. كان فقيراً ثقة ثبتاً، قرأ أحمد عليه وعلى ابنيه صالح وعبد الله المسند بتمامه، كان يتفرد ويغرب في مسائله عن أحمد. السير ١٣/ ٥١، النجوم الزاهرة ٣٥/ ٨١، شذرات الذهب ٢/ ١٦٣.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٦١.

(٣) هو عبيد الله ابن أبي رافع المدني مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان كاتب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وحضر معه وقعة الخوارج بالنهروان، قال يحيى بن معين: ثقة، وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث. تاريخ يحيى بن معين ٢/ ٣٨٢، وطبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٠٤.

(٤) هو الخليفة العباسي جعفر ابن المعتضد بالله أحمد ابن أبي طلحة بويع بعد أخيه المكتفي سنة ٢٩٥، وهو ابن ثلاث عشرة كان جيد العقل والرأي ولكنه كان يؤثر اللعب والشهوات، قُتِل سنة ٣٢٠. تاريخ بغداد ٧/ ٢١٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٤.

(٥) الأخفش، هو ضعيف البصر خلقةً، أو الذي يبصر بالليل دون النهار. مختار الصحاح ص ٧٦.

(٦) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٦٣.

وقد اشتُهرَ عن الإمام الذهلي جمال الخط، وحسن التقييد ولعل أول من انتبه لذلك عليّ بن سلمة اللبقي كما سبق ذكره. الأمر الذي جعله يتوسم في الذهلي مخايل النجابة. وينصحه باستغلال هذه الموهبة في الرحلة والكتابة عن العلماء في الآفاق.

ويحكي لنا ابن الصلاح[1] - رحمه الله - في كتابه طبقات الفقهاء الشافعية عندما ترجم لمحمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني[2] أنه كان يحكي بخطه خط محمد بن يحيى الذهلي[3].

وهذا الأمر يصور لنا مدى إعجاب طلبة العلم بخط الذهلي وجودته حتى نقله ابن الصلاح في أخبار الرجال وقد استغل الإمام الذهلي هذا التمكن فسخره في العلم، فقيد عن مشايخه قلائد علومهم وشوارد فهومهم، وأكثر من التلقي والكتابة عنهم حتى «صنفه ابن حبان فيمن أمعنوا في الكتابة»[4].

(ب) موهبة الحفظ وسعة الإدراك

لا شك أن قوة الحفظ، وسعة الإدراك والفهم من أكبر النعم التي يوليها الله سبحانه عباده. والإمام الذهلي قد أوتي حافظة قوية مع إتقان بارع فيما يحفظه كما قال عنه ابن حبان: "كان متقناً من الجماعين للحديث والمواظبين عليه"[5] وقد قال الإمام الزهري: " لا يولد الحافظ إلا كل أربعين سنة" فعلق

---

(١) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشَّهْرَزوري الفقيه الشافعي، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وعلوم الحديث. وُلِدَ سنة٥٧٧ . كَرَّرَ جميع المهذب ولم يطر شاربه، ثم صار معيداً عند العماد بن يونس. قال ابن الحاجب: إمام ورع وافر العقل، حسن السمت، متبحر في الأصول والفروع، توفى سنة ٦٤٣ . وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٣، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٨٢.

(٢) سبقت ترجمته ص ٨٤.

(٣) طبقات الفقهاء للشافعية ١/ ٢٨٩.

(٤) المجروحين من المحدثين ١/ ٥٧.

(٥) الثقات ٩/ ١١٥.

على قوله الإمام السيوطي قائلاً: فإن صح كان المراد رتبة الكمال في الحفظ والإتقان". ونقل معاني الحفظ عند الأئمة، فابن مهدي يقول: "الحفظ الإتقان": وأبو زرعة يقول: "الإتقان أكثر من حفظ السرد". وسأل النَسَفي صالح بن محمد: يحيى بن معين هل يحفظ؟ قال: لا، إنما كان عنده معرفة، قال: قلت: فعلي ابن المديني كان يحفظ قال: نعم ويعرف.

ولذا بيَّن لنا السيوطي أن من يوصف بالحفظ والإتقان " ينبغي أن يجمع المتون والأسانيد، ومعرفة علوم الحديث كلها، ومعرفة الصحيح من السقيم، والمعمول به من غيره، واختلاف العلماء واستنباط الأحكام وما سوى ذلك.. "[1]

وهذه شهادات الأئمة له بأنه من الحفاظ ويعقبها شهاداتهم له بالإتقان وتمام الضبط.

قال ابن الجوزي: كان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ المتقنين[2]، وقال ابن خلكان[3]: كان أحد الحفاظ الأعيان[4]. وقال ابن عبد الهادي[5]: شيخ الإسلام وحافظ نيسابور[6]، وقال الذهبي: الإمام العلامة الحافظ البارع[7]،

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١/ ٤٩ للحافظ السيوطي، تحقيق د. عبدالوهاب عبد اللطيف.

(٢) المنتظم ١٢/ ١٤٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان بن باول البرمكي الإربلي الشافعي. روى عنه البرزالي والمزي، وكان فاضلاً بارعاً متقناً، حسن الفتاوي، بصيراً بالعربية، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس توفى سنة ٦٨١. فوات الوفيات ١/ ١٠٠ تأليف محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٩٩.

(٤) وفيات الأعيان ٥/ ١٩٥.

(٥) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي أبو عبد الله المقدسي المقرئ المحدث الناقد النحوي له توسع في العلوم وذهن سيَّال وله محفوظات وتآليف وتعاليق مفيدة. لازم ابن تيمية والمزي مدة. توفى سنة ٧٤٤. وفيات الأعيان ١/ ٤٥٧، شذرات الذهب ٦/ ١٤١.

(٦) طبقات علماء الحديث ٢/ ٢٠٩.

(٧) السير ١٢/ ٢٧٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٠، الكاشف ٣/ ١٠٧.

وقال ابن حجر: الحافظ[1]، وقال ابن تغري بردي[2]: كان حافظ عصره.[3]

والإمام الذهلي كان على كثرة حفظه وقوته غاية في الضبط والإتقان والتمييز والنقد لجميع المرويات، وسائر الرواة، وقد شهد له الإمام ابن حبان بالإمعان في الحفظ وهو لفظ يدل على المبالغة فقال: "... ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الإنتقاد في الأخبار، وانتقاء الرجال في الأثار جماعة منهم: محمد بن يحيى الذهلي. و... و... و... في جماعة من أقرانهم أمعنوا في الحفظ وأكثروا في الكتابة.."[4].

وشهد له ابن تيمية وناهيك بشهادته بأنه من حكام الحديث ونقاده وحفاظه العارفين بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال نقلة الأخبار. فقد ميَّز بين علماء التفسير الذين لا يعتنون غالباً بتمحيص المرويات، وبين علماء الحديث فقال: "... وليس لأحدهم من الخبرة بالأسانيد مالأئمة الحديث كشعبة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وإسحاق، ومحمد بن يحيى الذهلي... و... و... وأمثال هؤلاء من أئمة الحديث ونقاده وحفاظه الذين لهم خبرة ومعرفة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأحوال من نقل العلم والحديث.. الخ"[5].

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥٢.

(٢) هو جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأمير سيف بن تغري بردي الحنفي الإمام العلامة. انتفع بابن حجر وسمع كثيراً من كتب الحديث، وحبب إليه علم التاريخ فلازم مؤرخي عصره. توفي سنة ٨٧٤. شذرات الذهب ٧/ ٣١٧.

(٣) النجوم الزاهرة ٣/ ٣/ ٣٨.

(٤) المجروحين ١/ ٥٧.

(٥) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٧/ ٣١٠) للإمام ابن تيمية الحرَّاني، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

ويدل على سعة حفظه ما ذكره زنجويه قال: كنت أسمع مشايخنا يقولون: الحديث الذي لا يعرفه محمد بن يحيى لا يعبأ به[1]. ففي هذا القول إشارة إلى تمام معرفته وإحاطته بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه أصبح مقياساً لذلك فما عرفه أخذ به، وما لم يعرفه يترك.

ولا يفوتنا التنبيه إلى أنه كان مفتي نيسابور والمقدم فيها ومعلوم أن الفتيا تحتاج لحفظ المتون واستحضار الأحكام الفقهية وأقوال الصحابة والتابعين، قال السبكي في ترجمة محمد بن نصر المروزي[2]: "... كان هو المفتي و المقدم، بعد وفاة محمد بن يحيى.."[3].

(ج) علو الهمّة والتفاني في الطلب

علوّ الهمة من صفات الكمال التي ينبل بها الرجال، وتتعب بها الأجساد، ويحصل بها المراد، وصدق الشاعر حيث قال:

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الأجساد[4]

والإمام الذهلي من ذلك الطراز الفريد من الرجال الأفذاذ الذين طابت حياتهم بمكابدة الليل والنهار، وقطع الفيافي والقفار، طلباً للعلم، وتحصيلاً للفوائد، واقتناصاً للفرائد، واكتساباً لمعالي الأخلاق وكريمها. كل ذلك لا يتأتى إلا بالإخلاص والصبر ورجاحة العقل وطول الوقت.

---

(١) السير ١٢/ ٢٨٠.

(٢) سبقت ترجمته ص٤٦.

(٣) طبقات الشافعية ٢/ ٢٤٧.

(٤) من قصيدة للمتنبي يمدح بها سيف الدولة ومطلعها (أين أزمعت أي هذا الهمام) انظر ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري ٣/ ٣٤٣.

فقد تكللت مواهب حسن الخط وقوة الحفظ لديه منذ صغره، بنفس عصامية وجدت من يوجهها لاستجماع العمر وحفظه بالرحلة والتحصيل، فاستحالت شعلة لا تنطفي من النشاط والمتابعة والسؤال والكتابة.

فبعد أن نهل من علماء بلده نيسابور، وعلَّ[1] من معينهم، توجه لما جاورها من مدن خراسان، ثم وسَّع رحلته إلى العراق والشام، ثم تاقت همته إلى مكة ومصر وصنعاء، والذهاب إليها في تلك الفترة مخاطرة لا يقدم عليها المرء لوحده لكثرة قطاع الطرق، فكان ينتظر الوفد في الحج ليصحبهم إلى مكة، وقد فاته بسبب ذلك لقاء سفيان بن عيينة.

قال الذهبي: ما كان يمكنه لقيُّه، فإن سفيان مات في وسط السنة (أي سنة ١٩٨ أول ذهابه إلى البصرة) ولا كان يمكنه المسير إلى مكة إلا مع الوفد.[2]

وأما رحلات اليمن، فكانت بصحبة جلة علماء نيسابور وبغداد كما سيأتي في رحلاته.

وكان مما يزيد همته في الطلب: فوات الأعيان اللذين كان يمكنه لقيهم لو استعجل لقاءهم.

يقول عن نفسه: " . . . ولما دخلت البصرة استقبلتني جنازة يحيى بن سعيد على باب البصرة[3]" لذا تراه يطيل المكوث فيها ويروي عن أبي داود الطيالسي وأقرانه، ويكرر الرحلة إليها حتى قال أحمد بن محمد الأزهري: لمحمد بن يحيى ثماني عشر رحلة إلى البصرة[4].

---

(١) علَّ: العلل الشرب الثاني، يقال: عَلَلٌ بعد نهل، وعَلَّهُ: سقاه السقية الثانية. مختار الصحاح ١٨٩.

(٢) السير ١٢/ ٢٧٦.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩، السير ١٢/ ٢٨٣.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩.

وكان من منهجه رحمه الله تعالى إذا دخل بلداً من البلدان ألا يقنع بمجرد لقاء المشايخ وأهل العلم ورواية ما تيسَّر. بل يكثر عنهم وينوع الطرق ويقيد عن ثقاتهم فيحفظ ما قيَّد، ويحرص على الرواية حتى من الضعفاء ليستحضر أمامه كل ما يريد. ثم ينقده ويميز صحيحه من سقيمه لذا نراه يمتنع عن رواية بعض ما كتبه أو رواه في أول أمره، ثم تبين له فيه مانع من روايته.

فقد وصفه الذهبي بالاكثار عن عبد الرزاق في اليمن قال: « . . . وباليمن من عبد الرزاق فأكثر»[1] ومن استعراض مروياته عن مشايخه يتضح إكثاره عنه حتى إنه ما كان يدعه في ليلة وداعه بين المغرب والعشاء وقد انتهى وقتها الإملاء والسماع. وذلك يبين ما حظى به الذهلي من محبة وأثرة عند عبد الرزاق وقد عرف عنه التبرم من بعض الطلبة، والتمنع من الرواية[2].

قال الذهلي: «حدثني عبد الرزاق بين المغرب والعشاء على السراج ليلة الوداع»[3].

ويصور لنا نهمه في طلب العلم وتقييده حتى من الضعفاء ذلك الإلحاح على إبراهيم بن الحكم بن أبان[4] من مشايخه باليمن فتمنع عليه ولم يحدثه حتى روى الحديث من شيخ أوثق منه[5].

---

(١) السير ١٢/ ٢٧٤.

(٢) انظر تشفع طلبته بامرأته كي يحدثهم، السير ٩/ ٥٦٧.

(٣) المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ للإمام عبد الله بن علي بن الجارود، باعتناء لجنة من العلماء. ص ٣٦٦.

(٤) هو إبراهيم بن الحكم بن أبان أبو إسحاق العدني، قال البخاري: سكتوا عنه، وقال الجوزجاني: (ساقط). تهذيب الكمال ٢/ ٧٤.

(٥) التوحيد وإثبات صفات الرب ١/ ٤٨١ لابن خزيمة، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان.

وكما يلح على الضعفاء، نراه يجهد بإلحاحه مع الثقات وذلك لنكتة في حديث ما توجب الحرص على روايته، وهذا حماد بن مسعدة [1] أحد شيوخ الذهليّ يتمنع عن الرواية له. . . وبعد جهد يحدثه. . . ويصور الذهلي هذه المعاناة فيقول: «. . . حدثني حماد بهذا الحديث [2] بعد جهد» والنكتة في هذا الإلحاح أن حماد بن مسعده قد انفرد عن عبيد الله بن موهب [3] بالحديث. ورواية الأفراد عن الثقات تعتبر من معالي الأمور التي يرحل إليها. ولذا حصل الإمام الذهلي على وسام فخر وثناء من ابن عدي حيث قال: «وهذا الحديث جوّد إسناده محمد بن يحيى» [4].

ولعلّ السبب في بركة علم الإمام الذهلي - وانتشار ذكره وشهرته عند الجهابذة الكبار - ذلك التواضع الذي لم يصدّه عن الأخذ عمن يصغره، وذلك البذل والنصح، وتلك الصحبة والإفادة للغرباء [5] الذين لا يمكنهم طول الإقامة والثواء بغير بلدهم.

---

(١) هو حماد بن مسعدة أبو سعيد التميمي الحافظ. حدث عن هشام بن عروة وابن عون، وعنه ابن راهويه وأحمد. قال ابن حبان: من خيار أهل البصرة مات سنة ٢٠٢. مشاهير علماء الأمصار ص ٦٢ للإمام محمد بن حبان البستي، تصحيح م. فلايشهمر.

(٢) والحديث هو ما رواه النسائي في سننه الصغرى، كتاب الطلاق، باب (٢٨) ٦/ ١٦١ وابن ماجه في العتق، باب من أراد عتق رجل وامرأته، ٢/ ٨٤٦، كلاهما من طريق عبيد الله بن موهب عن القاسم بن محمد. قال: كان لعائشة غلام وجارية، قالت: فأردت أن أعتقهما فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ابدئي بالغلام قبل الجارية. اللفظ للنسائي، وأخرجه من طريقه ابن عدي في ترجمة ابن موهب، الكامل ٤/ ٣٢٨.

(٣) هو عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب المدني. قال النسائي: ليس بذاك وقال أبو حاتم: صالح الحديث وروى الكوسج عن ابن معين: ثقة. الكامل في ضعفاء الرجال ٤/ ٣٢٨ للإمام أحمد بن عبد الله بن عدي الجرجاني، باعتناء د. سهيل زكار، يحيى مختار، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٩.

(٤) نفس المصدرين السابقين.

(٥) الغرباء: جمع غريب وهو البعيد عن وطنه، والغربة النزوح عن الوطن. لسان العرب ١/ ٦٣٩ وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم في الايمان (٢٣٢) ١/ ١٣٠ من طريق أبي هريرة مرفوعاً: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» وجاء وصفهم في الحديث الذي رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠) ١/ ١٩ (فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والمراد بهم هنا من يرحل ويغترب عن وطنه لطلب الحديث من الآفاق إحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وانظر ماساقه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث من أحاديث وصية النبي صلى الله عليه وسلم =

وقد عُلم أن العلم لا يناله مستح ولا مستكبر، وأن المرء لن يتمكن فيه حتى يأخذه عمن هو فوقه وعمن هو مثله، وعمن هو دونه. وقد أدرك الإمام الذهلي ذلك فنجده لا يأنف أن يطلب العلم بصدق وإخلاص من أقرانه في الطلب وإن صغروا عنه سناً.

قال أبو أحمد الحاكم: «كان محمد بن يحيى الذهلي يستعين بعربية أبي بكر الجارودي[1] ويبيته عنده[2].

ويتواضع لقرينه الإمام البخاري لما ورد نيسابور قبل نشوب مسألة اللفظ بينهما، وقد ناف عمره على الخامسة والسبعين فيسأله أمام جموع الناس عن الأسامي والكنى وعلل الحديث والبخاري يصغره بنحو عشرين سنة.

قال أبو حامد الأعشى: «رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان[3] ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث...»[4]. وهكذا طلب العلم لا يتوقف عند سن معينة، أو عن جماعة مخصوصة.

ولما رحل الذهلي بابنه يحيى من نيسابور إلى بغداد صحبه جماعة من الغرباء، فلم يردَّهم أو يعنفهم بل استشعر فضل الله عليه بمعرفة مسالك العلم وأهله، فبذل لهم الصحبة، ووعدهم بالإفادة عن أحمد بن حنبل وغيره من مشايخ بغداد والبصرة. فكانوا في الطريق يسألونه: أي حديث عند أحمد أغرب؟ فيقول: إذا دخلنا عليه، سألته عن حديث تستفيدونه.. الخ» وفي ثنايا قصته[5] مع أحمد صور من التحمل في سبيل الله، من إنكار الإمام أحمد لذلك

= باكرام أصحاب الحديث ص ٢١، ٢٢، ومعظمها عن أبي سعيد الخدري، وفيها ضعف شديد بسبب أبي هارون العبدي.

(١) سبقت ترجمته ص ٩١.

(٢) السير ١٣/ ٥٤٢.

(٣) هو سعيد بن مروان بن علي أبو عثمان، بغدادي سكن نيسابور، سمع سليمان بن حرب، والقَعْنَبي. وعنه محمد بن نعيم ويعقوب بن يوسف الشيباني. توفي سنة ٢٥٢ وصلى عليه الذهليّ. تاريخ بغداد ٩/ ٩١.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٢/ ٣١، السير ١٢/ ٤٥٥. طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٢٩.

(٥) سبق ذكرها ٨٩.

الطريق من حديث عمر في الإيمان. والصبر على همس الغرباء وقولهم: إنه ذكر الحديث غير مرة فلم يعرفه أحمد. . وهو ساكت لا يجيبهم ولما عاد بهم مرة أخرى أقّر الإمام أحمد بروايته ذلك الطريق. . فلم يته الذهلي ولم ينبه شيخه لذلك النسيان، فازداد إعجاب أولئك الغرباء بخلقه وتعجبهم من صبره. ولما أخبر أحمد بذلك لقبَّه بالعاقل. وإعجاب الآخرين يحتاج إلى صبر لأن النفس إذا اهتزت له فرحاً. بدأ الضعف يدبُّ إليها، والرياء يصيبها. وعليه فإن المرء بحاجة دائمة إلى تعاهد نفسه وتقويم صفاته.

وإن كان الذهلي قد جاب البلاد، ودوَّن ما رواه وسمعه من مشايخه وأقرانه ومن هم دونه فإن انتخاب ما رواه وانتقاه، ومراجعة ما دونه وحفظه، يحتاج لأوقات وهمة وصبر لأن المرء إذا بدأ بالتحديث فيجب عليه أن يعلم ما يحدث به، فيضبطه، ويصوّبه لذا أطلق المحدثون هذه المقولة: «إذا كتبت فقمش، وإذا حدثت ففتش» (١).

ويروي لنا حيكان ما كان يبذله والده الإمام من جهد، ومتابعة، وتصحيح، وهو يصنف في دار كتبه. فيقول: «دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة، وهو في بيت كتبه، وبين يديه السّراج، وهو يصنف، فقلت يا أبت، هذا وقت الصلاة ودخان هذا السراج بالنهار، فلو نَفَّسْت عن نفسك. قال: يا بني، تقول لي هذا وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين» (٢)!!

رحم الله الإمام الذهلي . . فقد وجَّه ابنه وقعَّد لطلبة العلم قاعدة صلبة. . من التفاني والصبر وتجاهل المتاعب والمشاغل. . من أجل الحفاظ على ميراث النبوة. والله تعالى أعلم.

(١) هذه المقولة أثرت عن أبي حاتم الرازي. انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي. ٢/ ٢٢٠. ومعنى قمّش أي أكتب كل ما تجده من دون تمحيص، وأما إذا أردت أن تحدث الناس ففتش عن صحة الأحاديث

(٢) السير ١٢/ ٢٧٩، تذهيب التذهيب ٤/ لوحه ٩ مخطوط.

المبحث الثاني
الرحلات العلمية

كانت الرحلة في طلب العلم من المعالم البارزة ـ كالإسناد وغيره ـ لهذه الأمة المجيدة فقد كان أهل العلم وهم صفوتها يجوبون أصقاع الأرض إحياءً لهذه السنة التي سنهّا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . لما تفرقوا في مختلف البلاد إبَّان الفتوحات الإسلامية وتفرَّق معهم العلم الذي نهلوه من مشكاة النبوَّة ومعينها الصافي .[1]

لذا نراهم ـ عليهم رضوان الله ـ يرحلون الأيام والشهور، لطلب حديث واحد فاتهم سماعه من النبى صلى الله عليه وسلم، أو لإتمام ضبطه، أو للسماع من الصحابة المكثرين عنه الملازمين له صلى الله عليه وسلم.

فهذا الصحابي الجليل جابر بن عبدالله [2] - يبتاع بعيراً ويشد عليه رحله ويسير شهراً إلى الشام متحملاً عناء السفر ليلتقي بالصحابي عبدالله بن أُنَيْس [3] - ويسمع منه حديثاً واحداً. . . قال جابر : . . . . حتى قدمت الشام

---

(١) ضرب الخطيب البغدادي المثال لرحلة الأمم السابقه في طلب العلم بموسى عليه السلام ورحلته إلى الخضر، وبأمر الله لداود عليه السلام بأن يتأهب للطلب بنعلين من حديد حتى تنخرق، وعصاً من حديد حتى تنكسر، أنظر الرحلةفي طلب الحديث ص ٨٦, ٩٧ للخطيب البغدادي، تحقيق د. نور الدين عتر.

(٢) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي أبو عبدالله، أحد المكثرين عن النبى صلى الله عليه وسلم له ولأبيه صحبة . وكان له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، مات سنة٧٤ وله ٩٤ سنة. الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٥ للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق د. طه محمد.

(٣) هو عبد الله بن أُنَيْس الجهني أبو يحيى المدني، كان أحد من يكسر أصنام بني سلمة من الأنصار، صلّى إلى القبلتين، ودخل مصر، وخرج إلى أفريقية، مات بغزة من أرض الشام سنة٥٤ . الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٤/ ٧٧)تحقيق د. باسم الجوابره، الإصابة٦/ ١٥ .

فإذا عبدالله بن أُنَيْس ، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابراً على الباب فرجع إليَّ الرسول فقال : جابر بن عبدالله . فقلت : نعم . فخرج إليَّ فاعتنقته واعتنقني قال : قلت : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه أنا منه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يحشر الله تبارك وتعالى العباد عراة غرلاً[1] -بهماً[2] - . . . »[3]

وهذا أبو أيوب الأنصاري[4] ـ رضي الله عنه يرحل إلى عقبة بن عامر[5] ـ رضي الله عنه في مصر ويسأله عن حديث في ستر المسلم[6] لم يبق أحد سمعه

---

١) غرلاً : الغرل جمع أغرل وهو الأقلف، والمراد غير مختتنين والواحد أغرل . مشارق الأنوار على صحاح الآثار٢/ ١٣٢ للقاضي عياض بن موسى اليحصبي . النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٦٢ للإمام مجد الدين المبارك ابن الأثير، تحقيق طاهر الزواوي، محمود الطناحي .

(٢) بهماً : البهم جمع بهيم، وهو في الأصل الذي لايخالط لونَه لون سواه، يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض . الفائق في غريب الحديث ١/ ١٣٧ للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي البجاوي، محمد أبو الفضل . النهاية ١/ ١٦٧ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٤٩٥ ، والإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الأدب المفرد ، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي (باب المعانقة ص ٣٣٧) وانظر جامع بيان العلم وفضله ١/ ٩٣ ، الرحلة في طلب الحديث ص١١١ . وأخرجه الحاكم في مستدركه٢/ ٤٣٧ ، ٤٣٨ وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) هو خالد بن زيد بن كليب . من بني مالك بن النجار أبو أيوب الأنصاري . نزل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، وأخذ ذات مرة من لحية الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال له : لايصيبك السوء ياأبا أيوب . توفي في غزاة القسطنطينية سنة ٥٢ . الإصابة ٣/ ٥٦ .

(٥) هو عقبة بن عامر بن عبْس الجهني روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، كان قارئاً عالماً بالفرائض . . والفقه، فصيح اللسان شاعراً كاتباً، أحد من جمع القرآن، كان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق، جمع له معاوية إمرة مصر وخراجها و الصلاة، ثم عزله، الإصابة ٧/ ٢١ .

(٦) الحديث رواه أبو عبدالله الحميدي في مسنده١/ ١٨٩ بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي . برقم ٣٨٤ عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ستر مؤمناً في الدنيا على خزيَة ستره الله يوم القيامة » وانظر مسند الإمام أحمد ٤/ ١٥٣ ، وجامع بيان العلم ١/ ٩٣ ، والرحلة في طلب الحديث ص ١٢١ . وفي إسناد الحديث كما رواه الإمام الحميدي أبا سعد الأعمى، وعند أحمد سمعت أبا سعيد، فذكره بكنيته الأخرى، قال ابن حجر في تعجيل المنفعة ص٤٨٨ : أبو سعد المكي ويقال أبو سعيد الأعمى : ذكره أبو أحمد فيمن لم يعرف اسمه، وقال المزي : لم أقف على روايته، فالحديث على هذا ضعيف .

غيرهما. فسمعه منه ثم ودعّه وركب راحلته وانصرف إلى المدينه وماحلّ رحله.[1]

وهكذا يكون فعل هذين الصحابيين وغيرهما تقعيداً للأمة في أهمية الرحلة ورسماً لطريقها، لذا نرى أجيال التابعين وأتباعهم قد سلكوا ذات الطريق فاتسعت الرحلة في عهودهم، وقويت هممهم في تحصيل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذا سعيد بن المسيب يقول: «إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد»[2]

وهذا عبيدالله بن عدي بن الخيار[3] - يقول: «بلغني حديث عن عليٍّ خفت إن مات ألا أجده عند غيره، فرحلت حتى قدمت العراق...»[4]

ويرحل الحسن البصري إلى «كعب بن عُجْرَة»[5] - ليسأله عن فدائه لما حلق رأسه وهو محرم وقد أصابه القمل في رأسه وآذاه، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يحلق ويفتدي. فأجابه أن فداءه شاة[6]

(١) الرحلة في طلب الحديث ص ١١٨.

(٢) الرحلة في طلب الحديث ص ١٢٨، جامع بيان العلم وفضله ١/ ٩٤.

(٣) هو عبيدالله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل القرشي قال ابن حبان: له رؤية. وله رواية عن عمر وعثمان وعلي والمقداد، كان من فقهاء قريش وعلمائهم، وقال العجلي: تابعي، ثقة من كبار التابعين، توفي سنة ٩٥، الإصابة ٧/ ٢٢٣.

(٤) ساق الخطيب البغدادي خبر هذه الرحلة في كتابه الرحلة في طلب الحديث ص١٢٩ من طريق أيوب بن سويد، كما رواه البخاري من طريق أبي جحيفة قال: سألت علياً... الخ. انظر الجامع الصحيح، كتاب الديات، باب العاقلة ٨/ ٥٧.

(٥) هو كعب بن عُجْرَة بن أمية البلوي حليف الأنصار، قال البخاري مدني له صحبة يكنى أبا محمد، شهد عمرة الحديبية ونزلت فيه قصة الفدْيَة وهي مخرجة في الصحيحين، قطعت يديه في بعض المغازي، ثم سكن الكوفة، الاصابة ٨/ ٢٩٥.

(٦) ساق خبر هذه الرحلة الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث ص ١٤٣ بإسناد غريب، وأخرجه أيضاً ابن مردويه من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عجره عن أبان بن صالح عن الحسن البصري أنه سمع كعب بن عجرة يقول: ... فذبحت شاة. انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٣٣، ولكن أصل حديث كعب بن عجرة موجود في صحيح البخاري، كتاب المحَصَّر، باب الإطعام في الفدية ٢/ ٢٥٣.

وقد يسمع أحدهم الحديث من رواية فيحتاج إلى ضبطه وتوثيقه ثانية فيرحل إليه كما فعل المغيرة بن مقسم [1] - حين اكترى حماراً وصار إلى القادسية ليلاقي عمارة بن القعقاع [2] - فاستثبت منه ماسمعه سابقاً [3]

ويقول الشعبي [4] - : « لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لايضيع » [5]

قال أبو حاتم بن حبان مادحاً فرسان هذا العلم وهم الراحلون إلى الأقطار لطلبه : « فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين ، وهدَوهم إلى الصراط المستقيم . الذين آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الديار والأوطان في طلب السنن في الأمصار ، وجمعها بالوجل والأسفار ، والدوران في جميع الأقطار ، حتى إن أحدهم ليرحل في الحديث الواحدالفراسخ البعيدة ، وفي الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يُدْخل مُضلّ في السنن شيئاً يُضل به ، وإن

---

(١) هو المغيرة بن مُقْسِمْ ، أبو هشام الضبي مولاهم الإمام الثقة الكوفي الأعمى ، يلحق بصغار التابعين ، حدّث عن مجاهد ، والنخعي ، وعنه شعبة والثوري ، قال ابن معين : ثقة مأمون ، مات سنة ١٣٣ - طبقات خليفة ص ١٦٥ ، السير ٦/ ١٠ .

(٢) هو عمارة بن القعقاع بن شُبْرُمَة ، (الضَّبِّي) ، الكوفي ، أكثر عن أبي زرعة البجلي وروى عن أخنس بن خليفة ، روى عنه السفيانان ، وشريك ، وثقه ابن معين ، السير ٦/ ١٤٠ . والضبي بفتح الضاد ، وكسر الباء المشددة . الأنساب ٤/ ١٠ .

(٣) الرحلة في طلب الحديث ص ١٤٥ . وكان عمارة بن القعقاع قد روى حديثاً عن إبراهيم عن علقمة بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وتمرُّ به الفتية من قريش فلا يتغير لونه ، وتمر الفتية من أهل بيته فيتغير لونه . . . الخ وقد ساق الخطيب الحديث من طريقين كلاهما ضعيف جداً لوجود محمد بن المهلب الحراني ، في الطريق الأول . وقد كان يضع الحديث (انظر الكامل لابن عدي ٦/ ٢٩٥ . ومحمد بن إبراهيم بن زياد ، وقد قال عنه الدار قطني : دجال يضع الحديث ، الضعفاء والمتروكون ص ٣٥٢ .

(٤) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، ولد في خلافة عمر ، وأدرك خمسمائه من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال عاصم بن سليمان : مارأيت أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي ، قال خليفة : مات سنة ١٠٤ - طبقات خليفة (١٥٧) السير ٤/ ٢٩٤ .

(٥) جامع بيان العلم ص ٩٥ .

فعل فهم الذابون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الكذب، والقائمون بنصرة الدين»(١)

وقد استشعر هؤلاء الجهابذة أنهم هم المعنيون بحفظ ميراث النبوة لاغيرهم، فلم ينتظروا من يجمع لهم السنن ويستوثق لهم الأخبار، بل تركوا الراحة والدّعة، ونشطوا لهذا العمل الجليل، وتركوا من أجله أولادهم، وأنفقوا فيه أموالهم لدرجه الإفلاس.

قال موسى بن داود: «أفلس الهيثم بن جميل (٢) في طلب الحديث مرتين»(٣)

وتزداد أهمية الرحلة في طلب العلم كلما تأخَّرَ الزمان وكثر الوسطاء بين الرسول صلى الله عليه وسلم والراوين عنه.. لقوة إحتمال الغفلة والنسيان والوهم، بل والوضع والكذب في رواة الأسانيد... لذا تسابقوا رحمهم الله لطلب عوالي الحديث، واشتغلت قلوبهم بالأشواق إليها وإلى العلماء مهما بعدت الديار.

قال وكيع رحمه الله: «كنت أرى ابن عون(٤) - في النوم من شوقي إليه، وأنا أختلف إلى الأعمش (٥) -، فلما مات الأعمش رحلت إليه فسمعت منه».

---

(١) المجروحين ١/ ٢٧.

(٢) هو الهيثم بن جميل الإمام الثبت أبو سهل الأنطاكي، حدث عن الليث ومالك، وعنه ابن حنبل ويوسف بن مسلم، قال الدار قطني: ثقة حافظ، توفي سنة ٢١٣هـ، تاريخ بغداد (١٤/ ٥٦) تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٦٥.

(٣) الرحلة في طلب الحديث ص ٢٠٥.

(٤) هو عبد الله بن عون بن أرطبان، الإمام القدوة أبو عون المزني مولاهم، حدث عن الشعبي، وابن سيرين، وعنه سفيان وشعبة، قال ابن مهدي: ما كان بالعراق أعلم بالسنة من ابن عون، توفي سنة (١٥١)، السير ٦/ ٣٦٤.

(٥) هو سليمان بن مهران أبو محمد الأسْدي الكاهلي مولاهم الكوفي، شيخ المقرئين والمحدثين، روى عن النخعي وزر بن حُبَيْشْ وعنه أبو إسحاق السَّبيعي وشعبة، وكان على إمامته مدلساً، توفي سنة ١٤٨ بالكوفة، التبيين لأسماء المدلسين ص٣١ لسبط ابن العجمي الشافعي، تحقيق يحيى شفيق. السير ٦/ ٢٢٦. وانظر ضبط السَّبيعي في الأنساب٣/ ٢١٨.

وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين اتسعت الرحلة وكثر الراحلون الأمر الذي أحدث إزدهاراً مُطَّرِداً، وحركة علمية مُرَشَّدةً وقوية. والإمام محمد بن يحيى الذهلي أحد أعلام الحديث، الذين عاشوا في هذين القرنين وكانت له رحلات واسعة ولقاءات كثيرة بأساطين الرواية والدراية في العالم الاسلامي آنذاك. . . . ولكثرة رحلاته صنَّفه الرَّامَهُرْمُزِيْ ضمن طبقات الراحلين إلى الأقطار فقال:

الطبقة الرابعة:

«محمد بن يحيى النيسابوري، جمع بين العراق ومصر واليمن والشام»(١)

ووصفه ابن حبان «بأنه ممن أفرطوا في الرحلة»(٢)

وقال الذهبي « وله رحلة واسعة»(٣)

وذكر عن نفسه عدد مرات خروجه لطلب العلم، ومقدار ماأنفق من المال.

قال: «إرتحلت ثلاث رحلات، وأنفقت على العلم مائة وخمسين ألفاً»(٤)

وكانت سنه حين بدأ الرحلة تناهز الخامسة والعشرين ،وكان آنذاك قد نهل من علوم مشايخ نيسابور وارتوى ولم يكن بدٌ من ارتحاله لطلب العوالي ولقاء الأئمة ،كما قال ابن الصلاح: (وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره» (٥) .

---

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص ٢٣٢ للإمام الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب.

(٢) المجروحين ١/ ٥٧.

(٣) تذهيب التهذيب ٤/ لوحه٩ مخطوط.

(٤) تاريخ بغداد٣/ ٤١٩، تذهيب التهذيب ٤/ لوحة١٠ مخطوط، السير١٢/ ٢٨٣، الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي٥/ ١٨٦.

(٥) علوم الحديث ص ٢١٠ المعروف (بمقدمة ابن الصلاح) للإمام الحافظ أبي عمرو بن الصلاح، باعتناء د. الطباخ.

وكان الإمام علي بن سلمة اللبقي كما سبق ذكره هو الذي حرَّص الذهلي وشجَّعه على اغتنام الليالي والأيام بالرحلة في طلب العلم ولقاء الأكابر الأحياء الذين يروي عنهم مشايخه بنيسابور [1].

وهذا استعراض رحلاته وخط سيره وبعض من روى عنهم في المدن التي دخلها على سبيل المثال لا الحصر، وقد حاولت بيان خط سيره حسب التسلسل الزمني لتلك الرحلات المباركه. . . استنباطاً من كلام محمد بن النضر الجارودي[2]، والإمام الذهبي اللذين بيَّناها بحروف العطف مثل الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، وثمَّ الدالة على الترتيب والتراخي. [3] - الأمر الذي يدل على وقوفهما على زمانها بدقة. واستنتاجاً من التواريخ التي بينها المحدثون كالإمام أحمد، والمؤرخون كالإمام الذهبي وسواهما. وقد سبق قوله عن نفسه: «. . . . ارتحلت ثلاث رحلات»

وخرجت من كل ذلك بتصور تقريبي لهذه الرحلات الثلاث وأرجو أن يكون قريباً من الصواب.

الرحلة الأولى: من نيسابور إلى أصبهان ثم الري ثم البصرة ثم الكوفة ثم واسط وآخرها بغداد.

الرحلة الثانية: من بغداد إلى اليمن ثم مكة ثم المدينة.

الرحلة الثالثة: بعد تصنيف الزهريات، خرج من نيسابور ليعرضها على علماء العراق مثل علي ابن المديني وأقرانه ثم واصل رحلته إلى مصر ليذاكر أحمد بن صالح المصري الزهريات ثم رحل إلى الشام ثم الجزيرة.

---

(١) انظر ص ١٠٤ من هذه الرسالة.

(٢) سبقت ترجمته ص ٩١.

(٣) السير ١٢/ ٢٧٦، وانظر شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٣٠٢، ٣٠٣ لابن هشام: تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد.

ولا شك أنه قد تخلّل هذه الرحلات الثلاث الكبرى رحلات متعددة لكل بلد من تلك البلدان كما أنه جلس للتحديث في بعضها .

وأبدأ عرض ذلك ببلده نيسابور الذي شرع بطلب العلم فيه .

١ - طلبه العلم في نيسابور

كانت نيسابور في عهد الإمام الذهلي المنافس الأول لبغداد في العلم والعلماء، وقد سمَّاها الإمام الذهبي « دار السنَّة والعوالي » لتشدد أهلها في السنَّة وتحصيلهم عالي الأسانيد، وقد زاد من أهميتها في زمن الذهلي إنتقال دار الحكم والإمارة لخراسان من بلخ ومرو إليها حتى إنتهاء الدولة الطاهرية (بعد وفاة الذهلي بسنة واحدة) مما جعلها محط أنظار التجار . فعمرت واشتهر رجالها بالعلم وكانت كما قال الحميري : فيها من الأئمة والعلماء والسادة والكبراء خلق لم يجتمع في سواها .[1]

وقد سمع الإمام الذهلي فيها من الحفصين، حفص بن عبدالله، وحفص بن عبد الرحمن، والحسين بن الوليد، وعلي بن إبراهيم البناني، ومكي بن إبراهيم، وعلي بن الحسن بن شقيق، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن يحيى النيسابوري . وبقي الذهلي يطلب فيها العلم على جلّة علمائها من صباه حتى عام ١٩٧هـ حيث بدأ رحلاته وجولاته فيما حولها من المدن .

٢- رحلته إلى أصبهان[2] .

تعتبر أصبهان من المدن المشهورة بالعلم والأثر، ولذا ذكرها الإمام الذهبي في الأمصار ذوات الآثار فقال : « وأصبهان التي كانت تضاهي بغداد في علوٍّ

(١) الأمصار ذوات الآثار ص٢٠٥ للحافظ الذهبي، تحقيق محمود الأرناؤوط، الروض المعطار ص٥٨٨ .

(٢) أصبهان مدينة عظيمة من أعلام المدن وأعيانها وهي إسم لإقليم كبير . وهي لفظ معرّب من (سباهان) بمعنى الجيش فيكون إسمها مدينة الجيش . مراصد الإطلاع ١/ ٨٧ . ويبدو أنها =

الإسناد وكثرة الحديث »[1] وقد روى الذهلي فيها عن الحسين بن حفص، وعبدالرحمن بن مهدي كما ذكر الحاكم، وتعقبه الذهبي رحمه الله قائلاً : وأحسبه لقيه بالبصرة فإنه يقول «أي الذهلي» : قدمت البصرة فاستقبلتني جنازة يحيى بن سعيد القطان، وكانت في صفر من سنة ثمان، وعاش بعده عبدالرحمن خمسة أشهر فأكثر عنه، وهو أقدم شيخ له وأجلهم .[2]

ولا تعارض يذكر بين روايته عن شيخه عبدالرحمن في أصبهان وروايته عنه بالبصرة فإن لقاءه إيَّاه في أصبهان كان سنة ١٩٧هـ ولعله كان مقيماً بها آنذاك ثم عاد إلى بلده البصرة فلازمه الذهلي وأخذ عنه ثانية . وقد كان من المتبع والمتعارف عليه في تلك العهود أن الشيخ إذا علا مقداره في العلم يحدث في كل بلد يدخله إذا شاء .

= أول البلدان التي رحل إليها بدليل قصته مع اللَّبقي التي نقلها الحاكم عن محمد بن صالح بن هانئ عن الجارودي وفي آخرها قال : « . . . فعمل فيه قوله فخرج إلى أصبهان فسمع من . . . » السير ١٢/ ٢٧٦ولعلَّ رواية الجارودي أقرب من قول الذهبي : « ارتحل سنة ٩٧هـ سنة موت وكيع، فكتب بالرَّي . . وكتب بأصبهان » السير ١٢/ ٢٧٣ لأن رواية الجارودي فيها التصريح بخروجه مباشرة إلى أصبهان، وقول الذهبي فيه التصريح بسنة الإرتحال وكتابته في البلدين مع قربهما، والأمر سهل، ولا يترتب عليه كبير عمل .

(١) الأمصار ذوات الآثار ص١١٥ .

(٢) السير ١٢/ ٢٧٤ .

٣- رحلته إلى الرَّيّ:

مدينة الرَّيِّ من ديار العلم التي خرج منها كبار العلماء والأئمة كأبي زرعة[١]، وأبي حاتم[٢]، وإبنه[٣]، صاحب الجرح والتعديل، ومثل ابن وارة[٤] رحمهم الله أجمعين، قال الإمام الذهبي: صارت دار علم بجرير بن عبدالحميد[٥] وأمثاله. وقد رحل إليها الإمام الذهلي رحمه الله تعالى وحدث بها عن شيخه يحيى بن الضُّرَيْس[٦]، وقد وردها الذهلي مرَّة أخرى وجلس للتحديث بها وقرأ عليه ا بن أبي حاتم الرازي بحضرة أبيه وأبي زرعة[٧]

---

(١) هو عبيدالله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ محدث الرَّي، طلب الحديث وهو حدث ورحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وغيرها. قال ابن أبي شيبة: ما رأيت أحفظ من أبي زرعة، توفي سنة ٢٦٤، طبقات الحنابلة ١/ ٣٢٤، السير ١٣/ ٦٥

(٢) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الغطفاني، كان من بحور العلم، طَّوف البلاد، قال اللالكائي: كان أبو حاتم إماماً حافظاً متثبتاً، السير ١٣/ ٢٤٧، البداية والنهاية ١١/ ٥٩.

(٣) عبدالرحمن العلامة الحافظ يكنى أبا محمد، قال أبو الحسن الخطيب: كان قد كساه الله نوراً وبهاءً، يسرّ من نظر إليه. رحل به أبوه قبل أن يحتلم، قال الذهبي: كان بحراً لا تكدره الدلاء، توفي سنة ٣٢٧هـ، السير ١٣/ ٢٦٣ - البداية والنهاية ١١/ ١٩١.

(٤) هو محمد بن مسلم بن عثمان أبو عبدالله الرازي الحافظ المجودقال الذهبي: كان يضرب به المثل في الحفظ، على حمق فيه وتيه، وقال عبدالمؤمن بن أحمد: كان أبو زرعة لا يقوم لأحد، ولا يجلس أحداً في مكانه، إلا ابن وارة توفي سنة ٢٦٧هـ. طبقات الحنابلة ١/ ٣٢٤، السير ١٣/ ٢٨.

(٥) هو جرير بن عبد الحميد بن يزيد أبوعبدالله الضبي الكوفي، نزل الريّ، ونشر بها العلم، قال ابن سعد: كان ثقة كثير العلم، يرحل إليه، مات سنة (١٨٨) السير ٩/ ٩.

(٦) هو يحيى بن الضريس بن يسار، قاضي الرّي، أبو زكريا البجلي، قال ابن معين: ثقة. توفي في ربيع الأول سنة (٢٠٣) السير ٩/ ٤٩٩.

(٧) الجرح والتعديل: ٩/ ١٨٦.

٤- رحلته إلى البصرة

ويظهر أن الإمام الذهلي قد تريَّث في الرَّي وأصبهان وأكثر عن مشايخها ثم توجَّه تلقاء البصرة والتي كانت مركزاً هاماً وحيوياً ارتفعت أعلام العلم والفضل فيها قبل بغداد بآماد . فقد انتعشت بكبار الصحابة كأبي موسى الأشعري وعتبة بن غزوان الذي اختطها، وعمران بن الحصين وخاتمتهم خادم الرسول صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك . . . وما زال العلم بها يزدهر وينمو على يدي التابعين كالحسن البصري وابن سيرين ومن تبعهم إلى رأس المئة الثالثة . ثم تناقص شأنها جداً »[١]

وكانت الآمال تحدو الإمام الذهلي للقاء شيخ البصرة وإمامها الكبير يحيى ابن سعيد القطان والذي حثه على السماع منه علي بن سلمة اللَّبقي ويروي رحمه الله لنا أنه أدركه ولكن محمولاً على الأكتاف قال : . . . ولما دخلت البصرة استقبلتني جنازة يحيى القطان على باب البصرة، وذلك في صفر سنة ١٩٨هـ[٢]، وكان لوفاة القطَّان ذلك الأثر الكبير على الذهلي وهو في طليعة رحلاته العلمية الأمر الذي شحذ همته للتلقي عن غيره من علمائها . فلازم عبدالرحمن بن مهدي وأكثر عنه والذي وافته منيَّته بعد القطان بأربعة أشهر في جمادى الآخرة سنة ١٩٨هـ[٣] رحمهما الله وكان الذهلي قد روى من مناقبه العلمية جودة حفظه وكثرته، قال : ما رأيت في يد عبدالرحمن بن مهدي كتاباً قط . . . . »[٤]، ولما فاته ابن مهدي أيضاً أمعن في لقاء كبار مشايخها فروى عن محمد بن بكر

---

(١) الأمصار ذوات الآثار بتصرف يسير ص٤٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩، السير ١٢/ ٢٨٣، تهذيب التهذيب ٩/ ٥١٥ .

(٣) مشاهير علماء الأمصار ص١٦٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٠ .

(٤) السير ١٢/ ٢٨٣

الباب الثاني

حياته العلمية والاجتماعية والفكرية

وتحته تمهيد وأربعة فصول :

الفصل الأول : عوامل بروز شخصيته العلمية .

الفصل الثاني : مكانته العلمية والإجتماعية وآثاره .

الفصل الثالث : حياته الفكرية .

الفصل الرابع : بسط القول في مسألة اللفظ بالقرآن وماوقع بين الإمامين الذهلي والبخاري بسببها ، وأثرها في صفوف المحدثين .

الفصل الأول

عوامل بروز شخصيته العلميـة

و شمل المباحث التاليـــــــة :

المبـحث الأول : الدوافع الإجتماعية والمواهب الذاتية .

المبـحث الثاني : الرحلات العلمية .

المبـحث الثـالث : مشايخــــه .

المبـحث الرابع : تلاميذه .

تمهيد

من المتعارف عليه إذا برزت في مجتمع من المجتمعات شخصية لامعة ذات صفات يشاد بها - سواء في السياسة والحكم، أو العلم والتعليم، أو ما سوى ذلك - أن تحاط تلك الشخصية بالدراسة والعناية لمعرفة عوامل ظهورها.

ونيسابور مع أنها كانت بعيدة نسبياً في موقعها الجغرافي عن منابع العلم الأولى - كالمدينة، ومكة، والبصرة، والكوفة، وصنعاء، ودمشق - حيث ترعرع العلم على أيدي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعهم والتابعين لهم، إلا أنه أصبح لها فيما بعد شأناً عظيماً قبل مولد الذهلي بزمن.

وأضحت منارة المشرق قاطبة، وقد سبقت الإشارة إلى أنها دار السنة والعوالي، وأنها انتعشت بطبقة إبراهيم بن طهمان، وحفص بن عبد الله، ثم بطبقة يحيى بن يحيى وابن راهويه، ثم بطبقة الذهلي الذي نشأ في أجواء علمية قوية، ومنهج سلفي قويم.

وهذا بلا شك عامل قوي من عوامل بروز الإمام الذهلي وتشدده في منهج السلف، وهو عامل اجتماعي.

وهناك عامل شخصي، وهو أن الإمام الذهلي كان ذا همة عالية ساقته إلى الحركة الدؤوبة والرحلة وبذل الجهد والمثابرة.

وإنَّ عالماً كالإمام الذهلي طار صيته في البلاد، ورحل إليه طلبة العلم، وعرف بتشدده في قضايا العقيدة، وجمع مواهب حسن المناظرة، وحسن التقييد، والأدب بين يدي العلماء، لابد أنه قد تلقى تربية وعناية من جهات أسرية أوقربية، تشرف على متابعة توجهه العلمي، ذلك التوجه الذي أحله مثل مكانة مالك في المدينة، وأحمد في بغداد، ولكن المصادر لم تبين من ذلك شيئاً، كما هو مطرد في غالب تراجم العلماء، إلا ما كان من أحد الحضور في حلق

العلم عند مشايخه، والذي حثه على الرحلة وقد بلغ مبلغاً يحسن فيه أن يرحل ويستفيد من غير مشايخ بلده، وذلك لما رأى عليه علامات النبوغ.

ومن خلال فصول ومباحث هذا الباب نصحب الإمام الذهلي في حياته العلمية، وحياته الفكرية والإجتماعية، لنرى علماً من أعلام أمتنا المجيدة الذين بذلوا الغالي والنفيس، والوقت والجهد بما يعود عليهم وعلى أمتهم بالخير والسؤدد، كل ذلك حفظاً للدين ، وترسيخاً لثوابته، وتعميماً لشموله، ووقوفاً عندما يجب الوقوف عنده، وبياناً لما ينبغي بيانه، علماً وعملاً وهداية .

المبحث الأول
الدوافع الإجتماعية والمواهب الذاتية
المطلب الأول
الدوافع الإجتماعية

إنَّ اهتمام سلفنا الصالح بأبنائهم تربيةً وتنشئةً وتوجيهاً أمر بات معلوماً بالضرورة للقاصي والداني، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، فالأمة أجمع تمجد العلم وتقدمه على المال، والخلود للدَّعَة والرَّاحة. وإدراكهم هذا لأهمية التربية والتعليم والانضباط ؛ جعلهم يدفعون أبناءهم من قبل السابعة للمساجد والكتاتيب، لحفظ القرآن الكريم، وتعلم الحساب، ثم الإنضمام لحلق العلم، والمثول بين يدي مشايخ البلد، بعد معرفة آداب طلب العلم على اختلاف أنواعها. . وتقييد العلم عنهم بالأسانيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وتابعيهم.

ويتولى ذلك كما سبقت الإشارة إليه الأبوان أو أحدهما. . أو أحد الأقارب، أو أهل الخير من العلماء وخلافهم.

ولم تفصح لنا المصادر عمن باشر توجيه الذهلي في صغره إلى العلم، وحضور مجالسه، وقد اشتهر عنه كما سيأتي جمال الخط وقوة الحفظ وهذه أمور لا تتوافر الهمم عليها إلا في الصغر لما تحتاجه من صبر وتفرغ وتمرس. . وإن ولادة الذهلي في بيئة مثل نيسابور إرتفعت أعلام العلم فيها قبله بأمد وظللتها السنة النبوية واتسم أهلها بشدة الدفاع عنها. كما قال الذهبي: « وكانت السنة قائمة الدولة بالأندلس وخراسان، وقلَّ أمرها وضعف بمصر والشام والمغرب والعراق، وما ذاك إلا لظهوردولة الشيعة و العبيدية. . »[1] لابد أن تطبعه

(١) رسالة "ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ص١٩٦ ضمن أربع رسائل حققها الشيخ أبو غدة".

بطابعها، وأن تفتح أمامه آفاق المعرفة، وأبواب العلم كغيره ممن سبقه أو لحقه من أهل تلك الناحية . . وأمضى الذهلي صباه وهو ينهل من مشايخ نيسابور - مثل يحيى بن يحيى وابن راهويه- العلوم ويُسَود دفاتره بمختلف الفنون، ويشاء الله أن يجمعه لقاء مع علي بن سلمة اللَّبَقي[1] في أحد مجالس شيخهما يحيى بن يحيى النيسابوري، فيلفت نظره جمال خط الذهلي وحسن تقييده، ويلمح فيه علامات النبوغ، والصدق في الطلب، والشباب الناضر فقد قارب الذهلي آنذاك الخامسة والعشرين من عمره. . فيسديه نصيحة غالية لاقت منه قلباً عقولاً . . وهمة عالية . . ورغبة جموحاً.

قال الحاكم: قال محمد بن صالح بن هاني. سمعت محمد بن النضر الجارودي يقول: بلغني أن محمد بن يحيى كان يكتب في مجلس يحيى بن يحيى، فنظر علي بن سلمة اللبقي إلى حسن خطه وتقييده فقال: يا بني ألا أنصحك؟ إن أبا زكريا يحدثك عن سفيان بن عيينة[2] وهو حي، وعن وكيع[3]

---

(١) هو علي بن سلمة اللَّبَقيْ النيسابوري، روى عن ابن عليَّة وزيد بن الحباب، وعنه ابن ماجه وابن خزيمة، قال ابن زهير: أنا حملت أصول علي بن سلمة إلى محمد بن إسماعيل فانتخبت منها، وأنا ذهبت معه حتى سمعنا منه، وقال أبو حاتم السلمي: سمعت مسلم بن الحجاج يوثق علي بن سلمة. تهذيب التهذيب ٧/ ٢٨٧. و اللَّبَقيْ، بفتح اللام والباء الموحدة، انظر الأنساب ٥/ ١٢٧.

(٢) هو سفيان بن عيينة ابن أبي عمران الهلالي مولاهم أبو محمد كوفي سكن مكة، ثقة، ثبت في الحديث، وكان يُعَد من حكماء الحديث، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لضاع علم الحجاز. كان عالماً ناقداً، وزاهداً عابداً. توفى أول رجب سنة ١٩٨. تاريخ الإمام الحافظ يحيى بن معين ٢/ ٢١٦، تحقيق د. أحمد نور سيف. تاريخ الثقات للعجلي ص١٩٤ تقدمة المعرفة للجرح والتعديل لابن أبي حاتم، تحقيق الشيخ عبدالرحمن المعلمي، ص٣٢، المنتظم ١٠/ ٦٦.

(٣) هو وكيع بن الجراح بن عدي بن فرس أبو سفيان الرؤاسي، قال علي ابن المديني: وكيع من الثقات، وقال العجلي: ثقة عابد صالح، من حفاظ الحديث. وكان ابن عيينة يجله ويقول: إني لآنس بك وأنت في الكوفة. توفى سنة ١٩٧. تاريخ الثقات ص ٤٦٤ للإمام العجلي، بترتيب أبي بكر الهيثمي، وتعليق د. عبد المعطي قلعجي، تقدمة الجرح والتعديل ص ٢١٩، المنتظم ١٠/ ٤٢.

وهو حي بالكوفة، وعن يحيى بن سعيد[1] وجماعة أحياء بالبصرة، وعن عبدالرحمن بن مهدي[2] وهو حي بأصبهان. فاخرج في طلب العلم ولا تضيع أيامك. فعمل فيه قوله فخرج إلى أصبهان، فسمع من عبد الرحمن بن مهدي، والحسين بن حفص[3]، ثم دخل البصرة وقد مات يحيى، فكتب عن أبي داود (هو الطيالسي) وأقرانه. . وأطال المقام بها، حتى مات سفيان بن عيينة[4].

وتتوالى من ذلك اللقاء رحلات الذهلي إلى الآفاق، وتتسع مداركه، وتتنوع مشاربه حتى عُدَّ في طبقات الراحلين إلى الأقطار كما سيأتي بيانه.

وما علم علي بن سلمة - رحمه الله تعالى - ماذا سيكون للذهلي من شأن حين أسداه نصحه؟! وحثه على الرحلة واغتنام الليالي والأيام في الرحلة ولقاء الأكابر وتحصيل العالي من الأسانيد. وكأن لسان حاله يقول: (لعل الله أن ينفع بك. .) فقد أصبح له شأناً عظيماً وذكراً كبيراً، ونظم اسمه في سلك العلماء الأفذاذ، والجهابذة[5] الكبار، وصار عمدة علماء عصره قاطبة. في حديث

(١) هو يحيى بن سعيد بن فروخ أبو سعيد التميمي مولاهم البصري الأحول القطان. أمير المؤمنين في الحديث، قال أحمد بن حنبل إليه المنتهى في التثبت، وقال ابن المديني: ما رأيت أعلم بالرجال من يحيى بن سعيد، قال: ما رأيت أحداً أنفع للإسلام وأهله من يحيى بن سعيد القطان. توفي في صفر سنة ١٩٨هـ. تاريخ الثقات ص ٤٧٢. تقدمة المعرفة للجرح والتعديل ص٢٣٢، السير ٩/ ١٧٥، شذرات الذهب ١/ ٣٥٥.

(٢) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان أبو سعيد العنبري الإمام الناقد المجود، قال الشافعي: لا أعلم له نظيراً في هذا الشأن وقال ابن المديني: كان علم عبد الرحمن في الحديث كالسحْر، وقال أحمد: عبد الرحمن ثقة خيار صالح ملم، من معادن الصدق. توفي في جمادى الآخرة سنة ١٩٨. تاريخ الثقات ص٢٩٩، السير ٩/ ١٩٢، شذرات الذهب ١/ ٣٥٥.

(٣) هو الحسين بن حفص بن الفضل أبو محمد الهمداني الأصبهاني، أصله كوفي، وكانت إليه رئاسة أصبهان وقضاؤها وأمر الفتوى، قال أبو حاتم: محله الصدق. . وقال أبو نعيم: وجه الناس وزينهم وكان دخله كل سنة مائة ألف درهم، وكانت جوائزه وصلاته دارة على المحدثين وأهل العلم. أخبار أصبهان ١/ ٢٧٤، السير ١٠/ ٣٥٦.

(٤) السير ١٢/ ٢٧٦.

(٥) الجهابذة جمع جهبذ وهو النقّاد الخبير. القاموس المحيط ١/ ٣٥٢.

الزهري[١] كما سيأتي بيانه بشهاداتهم وثنائهم، ومرجع من بعدهم[٢] قروناً متطاولة لتجويده جمع حديثه واستخراج علله، ويظهر لي أن الناصح والمنصوح قد صدقا الله في القول والعمل، فجعل سبحانه من وراء تلك الكلمات خيراً كثيراً ونفعاً عظيماً.

وهكذا تكون أمة الإسلام أمة تعاون وبر وصدق ونصح ورحمة من الكبير، وسماعٍ واحترامٍ من الصغير ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهري. أحد الأعلام. انظر ترجمته بتوسع في مبحث آثاره تحت عنوان مدى اهتمام الإمام الذهلي بالإمام الزهري وزهرياته ص ٢٣٥.

(٢) كالبيهقي في مواضع كثيرة من سننه، وابن حجر في شرحه لصحيح البخاري، وستأتي الإشارة إلى ذلك في موضعه المناسب ص ٢١٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠.

المطلب الثاني
المواهب الذاتية

يمتن المولى على من يشاء من عباده بما يشاء من نعم وفضائل، وذلك ليبتلي الصابرين ويزيد حمد الحامدين . . . كما قال تعالى ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾[1] ومن حمد الله وشكره على نعمه استعمالها فيما يرضيه.

والإمام الذهلي قد منَّ عليه المولى عز وجل بنعم إدّخر شكرها باستغلالها فيما يرضي منعمها، ويعود عليه بالنفع والسداد والذكر الحسن. و ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾[2] ومن ذلك:

(أ) موهبة جمال الخط وحسن التقييد

جمال الخط وتجويده نعمة تستحق الشكر، لأنه مما يسُّر كل امرئ ينسب إليه. ولأهمية هذا الفن، وعظيم أثره عقد له الخطيب البغدادي باباً في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع[3]. نقل فما اهتمام السلف من الصحابة ومن تبعهم بالاعتناء به وتوضيحه ومن ذلك ما فسَّر به ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿ أو أثارةٍ من علم ﴾[4] قال جودة الخط[5].

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٣٥.

(٢) سورة الجمعة آية: ٤.

(٣) وهو الباب الرابع عشر (باب تحسين الخط وتجويده) ١/ ٢٥٩ بتحقيق الدكتور محمد الطحان.

(٤) سورة الأحقاف آية: ٤.

(٥) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ١٠٨ : قوله تعالى: (أو أثارة من علم) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم (أو أثارة من علم) قال الخط، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ولفظه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الخط فقال ؟ : هو أثارة من علم، وفي رواية في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (أو أثارة من علم) قال : جودة الخط، ورجال أحمد للحديث المرفوع رجال الصحيح. وقال الإمام أحمد في مسنده : حدثني يحيى عن سفيان ثنا صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس، قال سفيان: لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أثارة من علم قال الخط. المسند (١/ ٢٢٦).

وقال حنبل بن إسحاق[1]: رآني أحمد بن حنبل وأنا أكتب خطاً دقيقاً فقال: لا تفعل!! أحوج ما تكون إليه يخونك[2]. وللخط الحسن أوصاف وعلامات يعرفها الخطاطون أهل هذا الشأن، وقد أثر عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك وصايا وتعليمات لكاتبه عبيد الله ابن أبي رافع[3]، وبيَّن بعض كتاب المقتدر[4]. متى يجوز أن يوصف الخط بالجودة؟ فقال: إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألف ولامه، وتفتحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنقاشه، ولم تختلف أجناسه. أسْرَع إلى العيون بصُوره، وإلى العقول بثمره، قدرت فصوله، واينعت وصوله، وبَعُدَ عن حيل الورَّاقين وعن تصنع المتصنعين كان حينئذ كما قلت في حسن الخط:

إذا ما تجلَّلَ قرطاسَهُ ... وساوره القلم الأبْرَشُ

تضمَّنَ من خطِّه حُلَّة ... كنقش الدنانير بل أنقش

حروف تعيد لعين الكليل نشاطاً، ويقرؤها الأخفش[5][6]

---

(١) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني ابن عم الإمام أحمد وتلميذه. كان فقيراً ثقة ثبتاً، قرأ أحمد عليه وعلى ابنيه صالح وعبد الله المسند بتمامه، كان يتفرد ويغرب في مسائله عن أحمد. السير ١٣/ ٥١، النجوم الزاهرة ٣٥/ ٨١، شذرات الذهب ٢/ ١٦٣ . .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٦١.

(٣) هو عبيد الله ابن أبي رافع المدني مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان كاتب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وحضر معه وقعة الخوارج بالنهروان، قال يحيى بن معين: ثقة، وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث. تاريخ يحيى بن معين ٢/ ٣٨٢، وطبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٠٤.

(٤) هو الخليفة العباسي جعفر ابن المعتضد بالله أحمد ابن أبي طلحة بويع بعد أخيه المكتفي سنة ٢٩٥، وهو ابن ثلاث عشرة كان جيد العقل والرأي ولكنه كان يؤثر اللعب والشهوات، قُتل سنة ٣٢٠. تاريخ بغداد ٧/ ٢١٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٤.

(٥) الأخفش، هو ضعيف البصر خلقةً، أو الذي يبصر بالليل دون النهار. مختار الصحاح ص ٧٦.

(٦) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٦٣.

وقد اشتُهِرَ عن الإمام الذهلي جمال الخط، وحسن التقييد ولعل أول من انتبه لذلك عليّ بن سلمة اللبقي كما سبق ذكره. الأمر الذي جعله يتوسم في الذهلي مخايل النجابة. وينصحه باستغلال هذه الموهبة في الرحلة والكتابة عن العلماء في الآفاق.

ويحكي لنا ابن الصلاح[1] ـ رحمه الله ـ في كتابه طبقات الفقهاء الشافعية عندما ترجم لمحمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني[2] أنه كان يحكي بخطه خط محمد بن يحيى الذهلي[3].

وهذا الأمر يصور لنا مدى إعجاب طلبة العلم بخط الذهلي وجودته حتى نقله ابن الصلاح في أخبار الرجال وقد استغل الإمام الذهلي هذا التمكن فسخره في العلم، فقيد عن مشايخه قلائد علومهم وشوارد فهومهم، وأكثر من التلقي والكتابة عنهم حتى «صنفه ابن حبان فيمن أمعنوا في الكتابة»[4].

(ب) موهبة الحفظ وسعة الإدراك

لا شك أن قوة الحفظ، وسعة الإدراك والفهم من أكبر النعم التي يوليها الله سبحانه عباده. والإمام الذهلي قد أوتي حافظة قوية مع إتقان بارع فيما يحفظه كما قال عنه ابن حبان: "كان متقناً من الجماعين للحديث والمواظبين عليه"[5] وقد قال الإمام الزهري: " لا يولد الحافظ إلا كل أربعين سنة " فعلق

---

(١) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشَّهْرَزوري الفقيه الشافعي، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وعلوم الحديث. وُلِدَ سنة ٥٧٧. كَرَّرَ جميع المهذب ولم يطر شاربه، ثم صار معيداً عند العماد بن يونس. قال ابن الحاجب: إمام ورع وافر العقل، حسن السمت، متبحر في الأصول والفروع، توفي سنة ٦٤٣. وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٣، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٨٢.

(٢) سبقت ترجمته ص ٨٤.

(٣) طبقات الفقهاء للشافعية ١/ ٢٨٩.

(٤) المجروحين من المحدثين ١/ ٥٧.

(٥) الثقات ٩/ ١١٥.

على قوله الإمام السيوطي قائلاً: فإن صح كان المراد رتبة الكمال في الحفظ والإتقان". ونقل معاني الحفظ عند الأئمة، فابن مهدي يقول: "الحفظ الإتقان": وأبو زرعة يقول: "الإتقان أكثر من حفظ السرد". وسأل النَسَفي صالح بن محمد: يحيى بن معين هل يحفظ؟ قال: لا، إنما كان عنده معرفة، قال: قلت: فعلي ابن المديني كان يحفظ قال: نعم ويعرف.

ولذا بيَّن لنا السيوطي أن من يوصف بالحفظ والإتقان " ينبغي أن يجمع المتون والأسانيد، ومعرفة علوم الحديث كلها، ومعرفة الصحيح من السقيم، والمعمول به من غيره، واختلاف العلماء واستنباط الأحكام وما سوى ذلك.. "[1]

وهذه شهادات الأئمة له بأنه من الحفاظ ويعقبها شهاداتهم له بالإتقان وتمام الضبط.

قال ابن الجوزي: كان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ المتقنين[2]، وقال ابن خلكان[3]: كان أحد الحفاظ الأعيان[4]. وقال ابن عبد الهادي[5]: شيخ الإسلام وحافظ نيسابور[6]، وقال الذهبي: الإمام العلامة الحافظ البارع[7]،

---

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١/ ٤٩ للحافظ السيوطي، تحقيق د. عبدالوهاب عبد اللطيف.

(٢) المنتظم ١٢/ ١٤٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان بن باول البرمكي الإربلي الشافعي. روى عنه البرزالي والمزي، وكان فاضلاً بارعاً متقناً، حسن الفتاوي، بصيراً بالعربية، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس توفى سنة ٦٨١. فوات الوفيات ١/ ١٠٠ تأليف محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٩٩.

(٤) وفيات الأعيان ٥/ ١٩٥.

(٥) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي أبو عبد الله المقدسي المقرئ المحدث الناقد النحوي له توسع في العلوم وذهن سيَّال وله محفوظات وتآليف وتعاليق مفيدة. لازم ابن تيمية والمزي مدة. توفى سنة ٧٤٤. وفيات الأعيان ١/ ٤٥٧، شذرات الذهب ٦/ ١٤١.

(٦) طبقات علماء الحديث ٢/ ٢٠٩.

(٧) السير ١٢/ ٢٧٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٠، الكاشف ٣/ ١٠٧.

وقال ابن حجر: الحافظ[1]، وقال ابن تغري بردي[2]: كان حافظ عصره.[3]

والإمام الذهلي كان على كثرة حفظه وقوته غاية في الضبط والإتقان والتمييز والنقد لجميع المرويات، وسائر الرواة، وقد شهد له الإمام ابن حبان بالإمعان في الحفظ وهو لفظ يدل على المبالغة فقال: " . . . ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الإتقاد في الأخبار، وانتقاء الرجال في الآثار جماعة منهم: محمد بن يحيى الذهلي. و . . . و . . . و . . . في جماعة من أقرانهم أمعنوا في الحفظ وأكثروا في الكتابة. . "[4].

وشهد له ابن تيمية وناهيك بشهادته بأنه من حكام الحديث ونقاده وحفاظه العارفين بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال نقلة الأخبار. فقد ميَّز بين علماء التفسير الذين لا يعتنون غالباً بتمحيص المرويات، وبين علماء الحديث فقال: " . . . وليس لأحدهم من الخبرة بالأسانيد مالأئمة الحديث كشعبة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وإسحاق، ومحمد بن يحيى الذهلي . . . و . . . و . . . وأمثال هؤلاء من أئمة الحديث ونقاده وحفاظه الذين لهم خبرة ومعرفة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأحوال من نقل العلم والحديث. . الخ"[5].

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥٢.

(٢) هو جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأمير سيف بن تغري بردي الحنفي الإمام العلامة. انتفع بابن حجر وسمع كثيراً من كتب الحديث، وحبب إليه علم التاريخ فلازم مؤرخي عصره. توفي سنة ٨٧٤. شذرات الذهب ٧/ ٣١٧.

(٣) النجوم الزاهرة ٣/ ٣/ ٣٨.

(٤) المجروحين ١/ ٥٧.

(٥) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٧/ ٣١٠) للإمام ابن تيمية الحرَّاني، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

ويدل على سعة حفظه ما ذكره زنجويه قال: كنت أسمع مشايخنا يقولون: الحديث الذي لا يعرفه محمد بن يحيى لا يعبأ به[1]. ففي هذا القول إشارة إلى تمام معرفته وإحاطته بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه أصبح مقياساً لذلك فما عرفه أخذ به، وما لم يعرفه يترك.

ولا يفوتنا التنبيه إلى أنه كان مفتي نيسابور والمقدم فيها ومعلوم أن الفتيا تحتاج لحفظ المتون واستحضار الأحكام الفقهية وأقوال الصحابة والتابعين، قال السبكي في ترجمة محمد بن نصر المروزي[2]: "... كان هو المفتي و المقدم، بعد وفاة محمد بن يحيى.."[3].

(ج) علو الهِمَّة والتفاني في الطلب

علوّ الهمة من صفات الكمال التي ينبل بها الرجال، وتتعب بها الأجساد، ويحصل بها المراد، وصدق الشاعر حيث قال:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجساد[4]

والإمام الذهلي من ذلك الطراز الفريد من الرجال الأفذاذ الذين طابت حياتهم بمكابدة الليل والنهار، وقطع الفيافي والقفار، طلباً للعلم، وتحصيلاً للفوائد، واقتناصاً للفرائد، واكتساباً لمعالي الأخلاق وكريمها. كل ذلك لا يتأتى إلا بالإخلاص والصبر ورجاحة العقل وطول الوقت.

---

(١) السير ١٢/ ٢٨٠.

(٢) سبقت ترجمته ص٤٦.

(٣) طبقات الشافعية ٢/ ٢٤٧.

(٤) من قصيدة للمتنبي يمدح بها سيف الدولة ومطلعها (أين أزمعت أي هذا الهمام) انظر ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري ٣/ ٣٤٣.

فقد تكللت مواهب حسن الخط وقوة الحفظ لديه منذ صغره، بنفس عصامية وجدت من يوجهها لاستجماع العمر وحفظه بالرحلة والتحصيل، فاستحالت شعلة لا تنطفي من النشاط والمتابعة والسؤال والكتابة.

فبعد أن نهل من علماء بلده نيسابور، وعلَّ[1] من معينهم، توجه لما جاورها من مدن خراسان، ثم وسَّع رحلته إلى العراق والشام، ثم تاقت همته إلى مكة ومصر وصنعاء، والذهاب إليها في تلك الفترة مخاطرة لا يقدم عليها المرء لوحده لكثرة قطاع الطرق، فكان ينتظر الوفد في الحج ليصحبهم إلى مكة، وقد فاته بسبب ذلك لقاء سفيان بن عيينة.

قال الذهبي: ما كان يمكنه لقيُّه، فإن سفيان مات في وسط السنة (أي سنة ١٩٨ أول ذهابه إلى البصرة) ولا كان يمكنه المسير إلى مكة إلا مع الوفد.[2]

وأما رحلات اليمن، فكانت بصحبة جلة علماء نيسابور وبغداد كما سيأتي في رحلاته.

وكان مما يزيد همته في الطلب: فوات الأعيان اللذين كان يمكنه لقيهم لو استعجل لقاءهم.

يقول عن نفسه: " . . . ولما دخلت البصرة استقبلتني جنازة يحيى بن سعيد على باب البصرة[3]" لذا نراه يطيل المكوث فيها ويروي عن أبي داود الطيالسي وأقرانه، ويكرر الرحلة إليها حتى قال أحمد بن محمد الأزهري: لمحمد بن يحيى ثماني عشر رحلة إلى البصرة[4].

---

(١) علَّ: العلل الشرب الثاني، يقال: عَلَلٌ بعد نهل، وعَلَّهُ: سقاه السقية الثانية. مختار الصحاح ١٨٩.

(٢) السير ١٢/ ٢٧٦.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩، السير ١٢/ ٢٨٣.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩.

وكان من منهجه رحمه الله تعالى إذا دخل بلداً من البلدان ألا يقنع بمجرد لقاء المشايخ وأهل العلم ورواية ما تيسَّر . بل يكثر عنهم وينوع الطرق ويقيد عن ثقاتهم فيحفظ ما قيَّد، ويحرص على الرواية حتى من الضعفاء ليستحضر أمامه كل ما يريد. ثم ينقده ويميز صحيحه من سقيمه لذا نراه يمتنع عن رواية بعض ما كتبه أو رواه في أول أمره، ثم تبين له فيه مانع من روايته.

فقد وصفه الذهبي بالاكثار عن عبد الرزاق في اليمن قال: « . . . وباليمن من عبد الرزاق فأكثر»[1] ومن استعراض مروياته عن مشايخه يتضح إكثاره عنه حتى إنه ما كان يدعه في ليلة وداعه بين المغرب والعشاء وقد انتهى وقتها الإملاء والسماع. وذلك يبين ما حظى به الذهلي من محبة وأثرة عند عبد الرزاق وقد عرف عنه التبرم من بعض الطلبة، والتمنع من الرواية[2].

قال الذهلي: «حدثني عبد الرزاق بين المغرب والعشاء على السراج ليلة الوداع»[3].

ويصور لنا نهمه في طلب العلم وتقييده حتى من الضعفاء ذلك الإلحاح على إبراهيم بن الحكم بن أبان[4] من مشايخه باليمن فتمنع عليه ولم يحدثه حتى روى الحديث من شيخ أوثق منه[5].

---

(١) السير ١٢/ ٢٧٤.

(٢) انظر تشفع طلبته بامرأته كي يحدثهم، السير ٩/ ٥٦٧.

(٣) المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ للإمام عبد الله بن علي بن الجارود، باعتناء لجنة من العلماء. ص ٣٦٦.

(٤) هو إبراهيم بن الحكم بن أبان أبو إسحاق العدني، قال البخاري: سكتوا عنه، وقال الجوزجاني: (ساقط). تهذيب الكمال ٢/ ٧٤.

(٥) التوحيد وإثبات صفات الرب ١/ ٤٨١ لابن خزيمة، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان.

وكما يلح على الضعفاء، نراه يجهد بإلحاحه مع الثقات وذلك لنكتة في حديث ما توجب الحرص على روايته، وهذا حماد بن مسعدة [1] أحد شيوخ الذهليّ يتمنع عن الرواية له. . . وبعد جهد يحدثه. . . ويصور الذهلي هذه المعاناة فيقول: «. . . حدثني حماد بهذا الحديث [2] بعد جهد» والنكتة في هذا الإلحاح أن حماد بن مسعده قد انفرد عن عبيد الله بن موهب [3] بالحديث. ورواية الأفراد عن الثقات تعتبر من معالي الأمور التي يرحل إليها. ولذا حصل الإمام الذهلي على وسام فخر وثناء من ابن عدي حيث قال: «وهذا الحديث جوّد إسناده محمد بن يحيى» [4].

ولعلّ السبب في بركة علم الإمام الذهلي - وانتشار ذكره وشهرته عند الجهابذة الكبار - ذلك التواضع الذي لم يصدّه عن الأخذ عمن يصغره، وذلك البذل والنصح، وتلك الصحبة والإفادة للغرباء [5] الذين لا يمكنهم طول الإقامة والثواء بغير بلدهم.

---

(١) هو حماد بن مسعدة أبو سعيد التميمي الحافظ. حدث عن هشام بن عروة وابن عون، وعنه ابن راهويه وأحمد. قال ابن حبان: من خيار أهل البصرة مات سنة ٢٠٢. مشاهير علماء الأمصار ص ٦٢ للإمام محمد بن حبان البستي، تصحيح م. فلايشهمر.

(٢) والحديث هو ما رواه النسائي في سننه الصغرى، كتاب الطلاق، باب (٢٨) ٦/ ١٦١ وابن ماجه في العتق، باب من أراد عتق رجل وامرأته، ٢/ ٨٤٦، كلاهما من طريق عبيد الله بن موهب عن القاسم بن محمد. قال: كان لعائشة غلام وجارية، قالت: فأردت أن أعتقهما فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ابدئي بالغلام قبل الجارية. اللفظ للنسائي، وأخرجه من طريقه ابن عدي في ترجمة ابن موهب، الكامل ٤/ ٣٢٨.

(٣) هو عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب المدني. قال النسائي: ليس بذاك وقال أبو حاتم: صالح الحديث وروى الكوسج عن ابن معين: ثقة. الكامل في ضعفاء الرجال ٤/ ٣٢٨ للإمام أحمد بن عبد الله بن عدي الجرجاني، باعتناء د. سهيل زكار، يحيى مختار، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٩.

(٤) نفس المصدرين السابقين.

(٥) الغرباء: جمع غريب وهو البعيد عن وطنه، والغربة النزوح عن الوطن. لسان العرب ١/ ٦٣٩ وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم في الايمان (٢٣٢) ١/ ١٣٠ من طريق أبي هريرة مرفوعاً: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» وجاء وصفهم في الحديث الذي رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠) ١/ ١٩ (فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والمراد بهم هنا من يرحل ويغترب عن وطنه لطلب الحديث من الآفاق إحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وانظر ماساقه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث من أحاديث وصية النبي صلى الله عليه وسلم =

وقد عُلم أن العلم لا يناله مستح ولا مستكبر، وأن المرء لن يتمكن فيه حتى يأخذه عمن هو فوقه وعمن هو مثله، وعمن هو دونه. وقد أدرك الإمام الذهلي ذلك فنجده لا يأنف أن يطلب العلم بصدق وإخلاص من أقرانه في الطلب وإن صغروا عنه سناً.

قال أبو أحمد الحاكم: «كان محمد بن يحيى الذهلي يستعين بعربية أبي بكر الجارودي[1] ويبيته عنده[2]».

ويتواضع لقرينه الإمام البخاري لما ورد نيسابور قبل نشوب مسألة اللفظ بينهما، وقد ناف عمره على الخامسة والسبعين فيسأله أمام جموع الناس عن الأسامي والكنى وعلل الحديث والبخاري يصغره بنحو عشرين سنة.

قال أبو حامد الأعشى: «رأيت محمد بن إسماعيل في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان[3] ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث...»[4]. وهكذا طلب العلم لا يتوقف عند سن معينة، أو عن جماعة مخصوصة.

ولما رحل الذهلي بابنه يحيى من نيسابور إلى بغداد صحبه جماعة من الغرباء، فلم يردَّهم أو يعنفهم بل استشعر فضل الله عليه بمعرفة مسالك العلم وأهله، فبذل لهم الصحبة، ووعدهم بالإفادة عن أحمد بن حنبل وغيره من مشايخ بغداد والبصرة. فكانوا في الطريق يسألونه: أي حديث عند أحمد أغرب؟ فيقول: إذا دخلنا عليه، سألته عن حديث تستفيدونه.. الخ» وفي ثنايا قصته[5] مع أحمد صور من التحمل في سبيل الله، من إنكار الإمام أحمد لذلك

= باكرام أصحاب الحديث ص ٢١، ٢٢، ومعظمها عن أبي سعيد الخدري، وفيها ضعف شديد بسبب أبي هارون العبدي.

(١) سبقت ترجمته ص ٩١.

(٢) السير ١٣/ ٥٤٢.

(٣) هو سعيد بن مروان بن علي أبو عثمان، بغدادي سكن نيسابور، سمع سليمان بن حرب، والقَعْنَبي. وعنه محمد بن نعيم ويعقوب بن يوسف الشيباني. توفي سنة ٢٥٢ وصلى عليه الذهلي. تاريخ بغداد ٩/ ٩١.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٢/ ٣١، السير ١٢/ ٤٥٥. طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٢٩.

(٥) سبق ذكرها ٨٩.

الطريق من حديث عمر في الإيمان . والصبر على همس الغرباء وقولهم : إنه ذكر الحديث غير مرة فلم يعرفه أحمد . . وهو ساكت لا يجيبهم ولما عاد بهم مرة أخرى أقّر الإمام أحمد بروايته ذلك الطريق . . فلم يته الذهلي ولم ينبه شيخه لذلك النسيان ، فازداد إعجاب أولئك الغرباء بخلقه وتعجبهم من صبره . ولما أخبر أحمد بذلك لقبَّه بالعاقل . وإعجاب الآخرين يحتاج إلى صبر لأن النفس إذا اهتزت له فرحاً . بدأ الضعف يدبُّ إليها ، والرياء يصيبها . وعليه فإن المرء بحاجة دائمة إلى تعاهد نفسه وتقويم صفاته .

وإن كان الذهلي قد جاب البلاد ، ودوَّن ما رواه وسمعه من مشايخه وأقرانه ومن هم دونه فإن انتخاب ما رواه وانتقاه ، ومراجعة ما دونه وحفظه ، يحتاج لأوقات وهمة وصبر لأن المرء إذا بدأ بالتحديث فيجب عليه أن يعلم ما يحدث به ، فيضبطه ، ويصوّبه لذا أطلق المحدثون هذه المقولة : «إذا كتبت فقمش ، وإذا حدثت ففتش» [(١)] .

ويروي لنا حيكان ما كان يبذله والده الإمام من جهد ، ومتابعة ، وتصحيح ، وهو يصنف في دار كتبه . فيقول : « دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة ، وهو في بيت كتبه ، وبين يديه السّراج ، وهو يصنف ، فقلت يا أبت ، هذا وقت الصلاة ودخان هذا السراج بالنهار ، فلو نَفَّسْتَ عن نفسك . قال : يا بني ، تقول لي هذا وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين» [(٢)] !!

رحم الله الإمام الذهلي . . فقد وجَّه ابنه وقعَّد لطلبة العلم قاعدة صلبة . . من التفاني والصبر وتجاهل المتاعب والمشاغل . . من أجل الحفاظ على ميراث النبوة . والله تعالى أعلم .

---

(١) هذه المقولة أثرت عن أبي حاتم الرازي . انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي . ٢/ ٢٢٠ . ومعنى قمِّش أي أكتب كل ما تجده من دون تمحيص ، وأما إذا أردت أن تحدث الناس ففتش عن صحة الأحاديث

(٢) السير ١٢/ ٢٧٩ ، تذهيب التذهيب ٤/ لوحه ٩ مخطوط .

المبحث الثاني
الرحلات العلمية

كانت الرحلة في طلب العلم من المعالم البارزة ـ كالإسناد وغيره ـ لهذه الأمة المجيدة فقد كان أهل العلم وهم صفوتها يجوبون أصقاع الأرض إحياءً لهذه السنة التي سنهَّا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . لما تفرقوا في مختلف البلاد إبَّان الفتوحات الإسلامية وتفرَّق معهم العلم الذي نهلوه من مشكاة النبوَّة ومعينها الصافي .[1]

لذا نراهم ـ عليهم رضوان الله ـ يرحلون الأيام والشهور، لطلب حديث واحد فاتهم سماعه من النبى صلى الله عليه وسلم، أو لإتمام ضبطه، أو للسماع من الصحابة المكثرين عنه الملازمين له صلى الله عليه وسلم .

فهذا الصحابي الجليل جابر بن عبدالله [2] – يبتاع بعيراً ويشد عليه رحله ويسير شهراً إلى الشام متحملاً عناء السفر ليلتقي بالصحابي عبدالله بن أُنَيْس[3] – ويسمع منه حديثاً واحداً . . . قال جابر : . . . . حتى قدمت الشام

(١) ضرب الخطيب البغدادي المثال لرحلة الأمم السابقه في طلب العلم بموسى عليه السلام ورحلته إلى الخضر، وبأمر الله لداود عليه السلام بأن يتأهب للطلب بنعلين من حديد حتى تنخرق ، وعصاً من حديد حتى تنكسر، أنظر الرحلةفي طلب الحديث ص ٨٦ ,٩٧ للخطيب البغدادي، تحقيق د. نور الدين عتر.

(٢) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي أبو عبدالله، أحد المكثرين عن النبى صلى الله عليه وسلم له ولأبيه صحبة . وكان له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، مات سنة٧٤ وله ٩٤ سنة. الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٥ للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق د. طه محمد.

(٣) هو عبد الله بن أُنَيْس الجهني أبو يحيى المدني، كان أحد من يكسر أصنام بني سلمة من الأنصار، صلّى إلى القبلتين، ودخل مصر، وخرج إلى أفريقية، مات بغزة من أرض الشام سنة٥٤ . الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٤/ ٧٧)تحقيق د. باسم الجوابره، الإصابة٦/ ١٥ .

فإذا عبدالله بن أُنَيْس ، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابراً على الباب فرجع إليَّ الرسول فقال : جابر بن عبدالله. فقلت : نعم. فخرج إليَّ فاعتنقته واعتنقني قال : قلت : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه أنا منه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يحشر الله تبارك وتعالى العباد عراة غرلاً[1] -بهماً[2] - . . . »[3]

وهذا أبو أيوب الأنصاري[4] ـ رضى الله عنه يرحل إلى عقبة بن عامر[5] ـ رضى الله عنه في مصر ويسأله عن حديث في ستر المسلم[6] لم يبق أحد سمعه

---

(١) غرلاً: الغرل جمع أغرل وهو الأقلف، والمراد غير مختتنين والواحد أغرل . مشارق الأنوار على صحاح الآثار٢/ ١٣٢ للقاضي عياض بن موسى اليحصبي. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٦٢ للإمام مجد الدين المبارك ابن الأثير، تحقيق طاهر الزواوي، محمود الطناحي.

(٢) بهماً: البهم جمع بهيم، وهو في الأصل الذي لايخالط لونه لون سواه، يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض. الفائق في غريب الحديث ١/ ١٣٧ للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي البجاوي، محمد أبو الفضل. النهاية ١/ ١٦٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٤٩٥ ، والإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الأدب المفرد ، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي (باب المعانقة ص ٣٣٧) وانظر جامع بيان العلم وفضله ١/ ٩٣، الرحلة في طلب الحديث ص١١١ . وأخرجه الحاكم في مستدركه٢/ ٤٣٧ ، ٤٣٨ وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) هو خالد بن زيد بن كليب. من بني مالك بن النجار أبو أيوب الأنصاري. نزل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، وأخذ ذات مرة من لحية الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال له: لايصيبك السوء ياأبا أيوب. توفي في غزاة القسطنطينية سنة ٥٢ . الإصابة ٣/ ٥٦ .

(٥) هو عقبة بن عامر بن عبْس الجهني روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، كان قارئاً عالماً بالفرائض. . والفقه، فصيح اللسان شاعراً كاتباً، أحد من جمع القرآن، كان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق، جمع له معاوية إمرة مصر وخراجها و الصلاة، ثم عزله، الإصابة ٧/ ٢١ .

(٦) الحديث رواه أبو عبدالله الحميدي في مسنده١/ ١٨٩ بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. برقم ٣٨٤ عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ستر مؤمناً في الدنيا على خزيَة ستره الله يوم القيامة » وانظر مسند الإمام أحمد ٤/ ١٥٣، وجامع بيان العلم ١/ ٩٣، والرحلة في طلب الحديث ص ١٢١ . وفي إسناد الحديث كما رواه الإمام الحميدي أبا سعد الأعمى، وعند أحمد سمعت أبا سعيد، فذكره بكنيته الأخرى، قال ابن حجر في تعجيل المنفعة ص٤٨٨ : أبو سعد المكي ويقال أبو سعيد الأعمى: ذكره أبو أحمد فيمن لم يعرف اسمه، وقال المزي: لم أقف على روايته، فالحديث على هذا ضعيف.

غيرهما. فسمعه منه ثم ودعّه وركب راحلته وانصرف إلى المدينه وماحلّ رحله.(١)

وهكذا يكون فعل هذين الصحابيين وغيرهما تقعيداً للأمة في أهمية الرحلة ورسماً لطريقها، لذا نرى أجيال التابعين وأتباعهم قد سلكوا ذات الطريق فاتسعت الرحلة في عهودهم، وقويت هممهم في تحصيل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذا سعيد بن المسيب يقول: «إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد»(٢)

وهذا عبيدالله بن عدي بن الخيار(٣) - يقول: «بلغني حديث عن عليٍّ خفت إنْ مات ألا أجده عند غيره، فرحلت حتى قدمت العراق ...»(٤)

ويرحل الحسن البصري إلى «كعب بن عُجْرَة»(٥) - ليسأله عن فدائه لما حلق رأسه وهو محرم وقد أصابه القمل في رأسه وآذاه، فأذن له النبى صلى الله عليه وسلم أن يحلق ويفتدي. فأجابه أن فداءه شاة(٦)

---

(١) الرحلة في طلب الحديث ص ١١٨.

(٢) الرحلة في طلب الحديث ص ١٢٨، جامع بيان العلم وفضله ١/ ٩٤.

(٣) هو عبيدالله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل القرشي قال ابن حبان: له رؤية. وله رواية عن عمر وعثمان وعلي والمقداد، كان من فقهاء قريش وعلمائهم، وقال العجلي: تابعي، ثقة من كبار التابعين، توفي سنة ٩٥، الإصابة ٧/ ٢٢٣.

(٤) ساق الخطيب البغدادي خبر هذه الرحلة في كتابه الرحلة في طلب الحديث ص١٢٩ من طريق أيوب بن سويد، كما رواه البخاري من طريق أبي جحيفة قال: سألت علياً ... الخ. انظر الجامع الصحيح، كتاب الديات، باب العاقلة ٨/ ٥٧.

(٥) هو كعب بن عُجْرَة بن أمية البلوي حليف الأنصار، قال البخاري مدني له صحبة يكنى أبا محمد، شهد عمرة الحديبية ونزلت فيه قصة الفديَة وهي مخرجة في الصحيحين، قطعت يديه في بعض المغازي، ثم سكن الكوفة، الاصابة ٨/ ٢٩٥.

(٦) ساق خبر هذه الرحلة الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث ص ١٤٣ بإسناد غريب، وأخرجه أيضاً ابن مردويه من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عجره عن أبان بن صالح عن الحسن البصري أنه سمع كعب بن عجرة يقول: ... فذبحت شاة. انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٣٣، ولكن أصل حديث كعب بن عجرة موجود في صحيح البخاري، كتاب المحَصَّر، باب الإطعام في الفدية ٢/ ٢٥٣.

وقد يسمع أحدهم الحديث من رواية فيحتاج إلى ضبطه وتوثيقه ثانية فيرحل إليه كما فعل المغيرة بن مقسم [1] - حين اكترى حماراً وصار إلى القادسية ليلاقي عمارة بن القعقاع [2] - فاستثبت منه ماسمعه سابقاً [3]

ويقول الشعبي [4] - : « لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لايضيع » [5]

قال أبو حاتم بن حبان مادحاً فرسان هذا العلم وهم الراحلون إلى الأقطار لطلبه : «فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين ، وهدَوهم إلى الصراط المستقيم . الذين آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الديار والأوطان في طلب السنن في الأمصار ، وجمعها بالوجل والأسفار ، والدوران في جميع الأقطار ، حتى إن أحدهم ليرحل في الحديث الواحدالفراسخ البعيدة ، وفي الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يُدْخل مُضِلّ في السنن شيئاً يُضل به ، وإن

---

(١)هو المغيرة بن مُقْسم ، أبو هشام الضبي مولاهم الإمام الثقة الكوفي الأعمى ، يلحق بصغار التابعين ، حدّث عن مجاهد ، والنخعي ، وعنه شعبة والثوري ، قال ابن معين : ثقة مأمون ، مات سنة ١٣٣ - طبقات خليفة ص ١٦٥ ، السير ٦/ ١٠ .

(٢) هو عمارة بن القعقاع بن شُبْرُمَة ، (الضَّبِّي) ، الكوفي ، أكثر عن أبي زرعة البجلي وروى عن أخنس بن خليفة ، روى عنه السفيانان ، وشريك ، وثقه ابن معين ، السير ٦/ ١٤٠ . والضبي بفتح الضاد ، وكسر الباء المشددة . الأنساب٤/ ١٠ .

(٣) الرحلة في طلب الحديث ص ١٤٥ . وكان عمارة بن القعقاع قد روى حديثاً عن إبراهيم عن علقمة بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وتمرُّ به الفتية من قريش فلا يتغير لونه ، وتمر الفتية من أهل بيته فيتغير لونه . . . الخ وقد ساق الخطيب الحديث من طريقين كلاهما ضعيف جداً لوجود محمد بن المهلب الحراني ، في الطريق الأول . وقد كان يضع الحديث (انظر الكامل لابن عدي٦/ ٢٩٥ . ومحمد بن إبراهيم بن زياد ، وقد قال عنه الدار قطني : دجال يضع الحديث ، الضعفاء والمتروكون ص٣٥٢ .

(٤) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي ، ولد في خلافة عمر ، وأدرك خمسمائة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال عاصم بن سليمان : مارأيت أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي ، قال خليفة : مات سنة ١٠٤ - طبقات خليفة (١٥٧) السير ٤/ ٢٩٤ .

(٥) جامع بيان العلم ص ٩٥ .

فعل فهم الذابون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الكذب، والقائمون بنصرة الدين»(١)

وقد استشعر هؤلاء الجهابذة أنهم هم المعنيون بحفظ ميراث النبوة لاغيرهم، فلم ينتظروا من يجمع لهم السنن ويستوثق لهم الأخبار، بل تركوا الراحة والدّعة، ونشطوا لهذا العمل الجليل، وتركوا من أجله أولادهم، وأنفقوا فيه أموالهم لدرجه الإفلاس.

قال موسى بن داود: «أفلس الهيثم بن جميل (٢) في طلب الحديث مرتين»(٣)

وتزداد أهمية الرحلة في طلب العلم كلما تأخَّرَ الزمان وكثر الوسطاء بين الرسول صلى الله عليه وسلم والراوين عنه.. لقوة إحتمال الغفلة والنسيان والوهم، بل والوضع والكذب في رواة الأسانيد... لذا تسابقوا رحمهم الله لطلب عوالي الحديث، واشتغلت قلوبهم بالأشواق إليها وإلى العلماء مهما بعدت الديار.

قال وكيع رحمه الله: «كنت أرى ابن عون(٤) - في النوم من شوقي إليه، وأنا أختلف إلى الأعمش (٥) -، فلما مات الأعمش رحلت إليه فسمعت منه».

---

(١) المجروحين ١/ ٢٧.

(٢) هو الهيثم بن جميل الإمام الثبت أبو سهل الأنطاكي، حدث عن الليث ومالك، وعنه ابن حنبل ويوسف بن مسلم، قال الدار قطني: ثقة حافظ، توفي سنة ٢١٣هـ، تاريخ بغداد (١٤/ ٥٦) تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٦٥.

(٣) الرحلة في طلب الحديث ص ٢٠٥.

(٤) هو عبد الله بن عون بن أرطبان، الإمام القدوة أبو عون المزني مولاهم، حدث عن الشعبي، وابن سيرين، وعنه سفيان وشعبة، قال ابن مهدي: ما كان بالعراق أعلم بالسنة من ابن عون، توفي سنة (١٥١)، السير ٦/ ٣٦٤.

(٥) هو سليمان بن مهران أبو محمد الأسْدي الكاهلي مولاهم الكوفي، شيخ المقرئين والمحدثين، روى عن النخعي وزر بن حُبَيْشْ وعنه أبو إسحاق السَّبيعي وشعبة، وكان على إمامته مدلساً، توفى سنة ١٤٨ بالكوفة، التبيين لأسماء المدلسين ص ٣١ لسبط ابن العجمي الشافعي، تحقيق يحيى شفيق. السير ٦/ ٢٢٦. وانظر ضبط السَّبيعي في الأنساب ٣/ ٢١٨.

وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين اتسعت الرحلة وكثر الراحلون الأمر الذي أحدث إزدهاراً مُطَّرداً، وحركة علمية مُرَشَّدةً وقوية. والإمام محمد بن يحيى الذهلي أحد أعلام الحديث، الذين عاشوا في هذين القرنين وكانت له رحلات واسعة ولقاءات كثيرة بأساطين الرواية والدراية في العالم الاسلامي آنذاك. . . . ولكثرة رحلاته صنَّفه الرَّامَهُرْمُزِيْ ضمن طبقات الراحلين إلى الأقطار فقال:

الطبقة الرابعة:

«محمد بن يحيى النيسابوري، جمع بين العراق ومصر واليمن والشام»[1]

ووصفه ابن حبان «بأنه ممن أفرطوا في الرحلة»[2]

وقال الذهبي « وله رحلة واسعة»[3]

وذكر عن نفسه عدد مرات خروجه لطلب العلم، ومقدار ماأنفق من المال.

قال: «إرتحلت ثلاث رحلات، وأنفقت على العلم مائة وخمسين ألفاً»[4]

وكانت سنه حين بدأ الرحلة تناهز الخامسة والعشرين ،وكان آنذاك قد نهل من علوم مشايخ نيسابور وارتوى ولم يكن بدٌّ من ارتحاله لطلب العوالي ولقاء الأئمة ،كما قال ابن الصلاح: (وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره» [5] .

---

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص ٢٣٢ للإمام الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب.

(٢) المجروحين ١/ ٥٧.

(٣) تذهيب التهذيب ٤/ لوحه٩ مخطوط.

(٤) تاريخ بغداد٣/ ٤١٩، تذهيب التهذيب ٤/ لوحة١٠ مخطوط، السير١٢/ ٢٨٣، الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي٥/ ١٨٦.

(٥) علوم الحديث ص ٢١٠ المعروف (بمقدمة ابن الصلاح) للإمام الحافظ أبي عمرو بن الصلاح، باعتناء د. الطباخ.

وكان الإمام علي بن سلمة اللبقي كما سبق ذكره هو الذي حرَّص الذهلي وشجَّعه على اغتنام الليالي والأيام بالرحلة في طلب العلم ولقاء الأكابر الأحياء الذين يروي عنهم مشايخه بنيسابور [١].

وهذا استعراض رحلاته وخط سيره وبعض من روى عنهم في المدن التي دخلها على سبيل المثال لا الحصر، وقد حاولت بيان خط سيره حسب التسلسل الزمني لتلك الرحلات المباركه... استنباطاً من كلام محمد بن النضر الجارودي[٢]، والإمام الذهبي اللذين بيَّناها بحروف العطف مثل الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، وثمَّ الدالة على الترتيب والتراخي.[٣] - الأمر الذي يدل على وقوفهما على زمانها بدقة. واستنتاجاً من التواريخ التي بينها المحدثون كالإمام أحمد، والمؤرخون كالإمام الذهبي وسواهما. وقد سبق قوله عن نفسه: «.... ارتحلت ثلاث رحلات»

وخرجت من كل ذلك بتصور تقريبي لهذه الرحلات الثلاث وأرجو أن يكون قريباً من الصواب.

الرحلة الأولى: من نيسابور إلى أصبهان ثم الري ثم البصرة ثم الكوفة ثم واسط وآخرها بغداد.

الرحلة الثانية: من بغداد إلى اليمن ثم مكة ثم المدينة.

الرحلة الثالثة: بعد تصنيف الزهريات، خرج من نيسابور ليعرضها على علماء العراق مثل علي ابن المديني وأقرانه ثم واصل رحلته إلى مصر ليذاكر أحمد بن صالح المصري الزهريات ثم رحل إلى الشام ثم الجزيرة.

---

(١) انظر ص ١٠٤ من هذه الرسالة.

(٢) سبقت ترجمته ص ٩١.

(٣) السير ١٢/ ٢٧٦، وانظر شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٣٠٢، ٣٠٣ لابن هشام: تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد.

ولا شك أنه قد تخلّل هذه الرحلات الثلاث الكبرى رحلات متعددة لكل بلد من تلك البلدان كما أنه جلس للتحديث في بعضها .

وأبدأ عرض ذلك ببلده نيسابور الذي شرع بطلب العلم فيه .

١ - طلبه العلم في نيسابور

كانت نيسابور في عهد الإمام الذهلي المنافس الأول لبغداد في العلم والعلماء، وقد سمّاها الإمام الذهبي « دار السنّة والعوالي » لتشدد أهلها في السنّة وتحصيلهم عالي الأسانيد، وقد زاد من أهميتها في زمن الذهلي إنتقال دار الحكم والإمارة لخراسان من بلخ ومرو إليها حتى إنتهاء الدولة الطاهرية (بعد وفاة الذهلي بسنة واحدة) مما جعلها محط أنظار التجار . فعمرت واشتهر رجالها بالعلم وكانت كما قال الحميري : فيها من الأئمة والعلماء والسادة والكبراء خلق لم يجتمع في سواها .[1]

وقد سمع الإمام الذهلي فيها من الحفصين، حفص بن عبدالله، وحفص بن عبد الرحمن، والحسين بن الوليد، وعلي بن إبراهيم البناني، ومكي بن إبراهيم، وعلي بن الحسن بن شقيق، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن يحيى النيسابوري . وبقي الذهلي يطلب فيها العلم على جلّة علمائها من صباه حتى عام ١٩٧ هـ حيث بدأ رحلاته وجولاته فيما حولها من المدن .

٢- رحلته إلى أصبهان[2] .

تعتبر أصبهان من المدن المشهورة بالعلم والأثر، ولذا ذكرها الإمام الذهبي في الأمصار ذوات الآثار فقال : « وأصبهان التي كانت تضاهي بغداد في علوٍّ

(١) الأمصار ذوات الآثار ص٢٠٥ للحافظ الذهبي، تحقيق محمود الأرناؤوط، الروض المعطار ص٥٨٨ .

(٢) أصبهان مدينة عظيمة من أعلام المدن وأعيانها وهي إسم لإقليم كبير . وهي لفظ معرّب من (سباهان) بمعنى الجيش فيكون إسمها مدينة الجيش. مراصد الإطلاع ١/ ٨٧ . ويبدو أنها =

الإسناد وكثرة الحديث »[1] وقد روى الذهلي فيها عن الحسين بن حفص، وعبدالرحمن بن مهدي كما ذكر الحاكم، وتعقبه الذهبي رحمه الله قائلاً : وأحسبه لقيه بالبصرة فإنه يقول «أي الذهلي» : قدمت البصرة فاستقبلتني جنازة يحيى بن سعيد القطان، وكانت في صفر من سنة ثمان، وعاش بعده عبدالرحمن خمسة أشهر فأكثر عنه، وهو أقدم شيخ له وأجلهم .[2]

ولا تعارض يذكر بين روايته عن شيخه عبدالرحمن في أصبهان وروايته عنه بالبصرة فإن لقاءه إيَّاه في أصبهان كان سنة ١٩٧ هـ ولعله كان مقيماً بها آنذاك ثم عاد إلى بلده البصرة فلازمه الذهلي وأخذ عنه ثانية . وقد كان من المتبع والمتعارف عليه في تلك العهود أن الشيخ إذا علا مقداره في العلم يحدث في كل بلد يدخله إذا شاء .

= أول البلدان التي رحل إليها بدليل قصته مع اللَّبقي التي نقلها الحاكم عن محمد بن صالح بن هانئ عن الجارودي وفي آخرها قال : « . . . فعمل فيه قوله فخرج إلى أصبهان فسمع من . . . » السير ١٢/ ٢٧٦ ولعلَّ رواية الجارودي أقرب من قول الذهبي : « ارتحل سنة ٩٧هـ سنة موت وكيع، فكتب بالرَّي . . وكتب بأصبهان » السير ١٢/ ٢٧٣ لأن رواية الجارودي فيها التصريح بخروجه مباشرة إلى أصبهان، وقول الذهبي فيه التصريح بسنة الإرتحال وكتابته في البلدين مع قربهما، والأمر سهل، ولا يترتب عليه كبير عمل .

(١) الأمصار ذوات الآثار ص١١٥ .

(٢) السير ١٢/ ٢٧٤ .

٣- رحلته إلى الرَّيّ:

مدينة الرَّيِّ من ديار العلم التي خرج منها كبار العلماء والأئمة كأبي زرعة[١]، وأبي حاتم[٢]، وإبنه[٣]، صاحب الجرح والتعديل، ومثل ابن وارة[٤] رحمهم الله أجمعين، قال الإمام الذهبي: صارت دار علم بجرير بن عبدالحميد[٥] وأمثاله. وقد رحل إليها الإمام الذهلي رحمه الله تعالى وحدث بها عن شيخه يحيى بن الضُّرَيْس[٦]، وقد وردها الذهلي مرَّة أخرى وجلس للتحديث بها وقرأ عليه ا بن أبي حاتم الرازي بحضرة أبيه وأبي زرعة[٧]

---

(١) هو عبيدالله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ محدث الرَّي، طلب الحديث وهو حدث ورحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وغيرها. قال ابن أبي شيبة: ما رأيت أحفظ من أبي زرعة، توفي سنة ٢٦٤، طبقات الحنابلة ١/ ٣٢٤، السير ١٣/ ٦٥

(٢) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الغطفاني، كان من بحور العلم، طَّوف البلاد، قال اللالكائي: كان أبو حاتم إماماً حافظاً متثبتاً، السير ١٣/ ٢٤٧، البداية والنهاية ١١/ ٥٩.

(٣) عبدالرحمن العلامة الحافظ يكنى أبا محمد، قال أبو الحسن الخطيب: كان قد كساه الله نوراً وبهاءً، يسرّ من نظر إليه. رحل به أبوه قبل أن يحتلم، قال الذهبي: كان بحراً لا تكدره الدلاء، توفي سنة ٣٢٧هـ، السير ١٣/ ٢٦٣ - البداية والنهاية ١١/ ١٩١.

(٤) هو محمد بن مسلم بن عثمان أبو عبدالله الرازي الحافظ المجودقال الذهبي: كان يضرب به المثل في الحفظ، على حمق فيه وتيه، وقال عبدالمؤمن بن أحمد: كان أبو زرعة لا يقوم لأحد، ولا يجلس أحداً في مكانه، إلا ابن وارة توفي سنة ٢٦٧هـ. طبقات الحنابلة ١/ ٣٢٤، السير ١٣/ ٢٨.

(٥) هو جرير بن عبد الحميد بن يزيد أبوعبدالله الضبي الكوفي، نزل الريّ، ونشر بها العلم، قال ابن سعد: كان ثقة كثير العلم، يرحل إليه، مات سنة (١٨٨) السير ٩/ ٩.

(٦) هو يحيى بن الضريس بن يسار، قاضي الرّي، أبو زكريا البجلي، قال ابن معين: ثقة. توفي في ربيع الأول سنة (٢٠٣) السير ٩/ ٤٩٩.

(٧) الجرح والتعديل: ٩/ ١٨٦.

٤- رحلته إلى البصرة

ويظهر أن الإمام الذهلي قد تريَّث في الرَّي وأصبهان وأكثر عن مشايخها ثم توجَّه تلقاء البصرة والتي كانت مركزاً هاماً وحيوياً ارتفعت أعلام العلم والفضل فيها قبل بغداد بآماد . فقد انتعشت بكبار الصحابة كأبي موسى الأشعري وعتبة بن غزوان الذي اختطها، وعمران بن الحصين وخاتمتهم خادم الرسول صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك . . . وما زال العلم بها يزدهر وينمو على يدي التابعين كالحسن البصري وابن سيرين ومن تبعهم إلى رأس المئة الثالثة . ثم تناقص شأنها جداً ،[1]

وكانت الآمال تحدو الإمام الذهلي للقاء شيخ البصرة وإمامها الكبير يحيى ابن سعيد القطان والذي حثه على السماع منه علي بن سلمة اللَّبقي ويروي رحمه الله لنا أنه أدركه ولكن محمولاً على الأكتاف قال : . . . ولما دخلت البصرة استقبلتني جنازة يحيى القطان على باب البصرة، وذلك في صفر سنة ١٩٨هـ[2] ، وكان لوفاة القطَّان ذلك الأثر الكبير على الذهلي وهو في طليعة رحلاته العلمية الأمر الذي شحذ همته للتلقي عن غيره من علمائها . فلازم عبدالرحمن بن مهدي وأكثر عنه والذي وافته منيَّته بعد القطان بأربعة أشهر في جمادى الآخرة سنة ١٩٨هـ[3] رحمهما الله وكان الذهلي قد روى من مناقبه العلمية جودة حفظه وكثرته، قال : ما رأيت في يد عبدالرحمن بن مهدي كتاباً قط . . . . »[4]، ولما فاته ابن مهدي أيضاً أمعن في لقاء كبار مشايخها فروى عن محمد بن بكر

---

(١) الأمصار ذوات الآثار بتصرف يسير ص٤٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩ ، السير ١٢/ ٢٨٣ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٥١٥ .

(٣) مشاهير علماء الأمصار ص١٦٣ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٠ .

(٤) السير ١٢/ ٢٨٣

أشهر شيوخه وتلاميذه :

حدث عن ابن جريج[1]، ومالك بن أنس، وإسماعيل بن عياش الحمصي، وسفيان الثوري[2]، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك[3]، ومعمر بن راشد وسواهم.

وحدث عنه، أحمد بن صالح المصري، وأحمد بن حنبل وأبو خيثمة زهير ابن حرب، وسفيان بن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وهما من شيوخه، وعبدبن حميد[4]، وعلي ابن المديني، ووكيع بن الجراح.

ثناء العلماء عليه :

قال ابن رجب: إليه كانت الرحلة في زمانه في الحديث، حتى قيل: إنه لم يرحل إلى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مارحل إلى عبدالرزاق[5].

وقال أحمد بن صالح المصري: قلت لأحمد بن حنبل: رأيت أحداً أحسن حديثاً من عبدالرزاق؟ قال: لا[6].

قال الذهبي: كان يقول: جالست معمراً سبع سنين[7].

---

(١) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل، مات سنة ١٥٠، التقريب ص ٣٦٣.

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبدالله الكوفي أحد الأئمة الأعلام، قال الخطيب البغدادي: كان الثوري إماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين. مجمعاً على إمامته مع الإتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفي، بالبصرة سنة ١٦١هـ، التقريب ص ٢٤٤، خلاصة التذهيب ص ١٤٥.

(٣) ستأتي ترجمته في ترجمة عبدالرحمن بن مهدي، بعد صفحات.

(٤) هو عبد بن حميد بن نصر الكشي أبو محمد، قيل اسمه عبدالحميد، ثقة حافظ مات سنة ٢٤٠، التقريب ص ٣٦٨.

(٥) شرح علل الترمذي ٢/ ٧٥٢.

(٦) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٧٩.

(٧) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٤.

وقال أيضاً : كان من أوعية العلم(١) .

وقال أحمد بن حنبل : إذا اختلف أصحاب معمر فالحديث لعبدالرزاق(٢) .

وقال البخاري : عبدالرزاق ماحدث من كتابه فهو أصح(٣) .

وقال هشام بن يوسف : كان عبدالرزاق أعلمنا وأحفظنا(٤) .

صلة الذهلي بشيخه عبد الرزاق :

رحل الذهلي إلى شيخه عبدالرزاق في صنعاء ، وتكبَّد مشاق الرحلة ، وتقلب الأجواء ، وقلة الظهر ، وبعد المسافة على وعورة الجبال ، لينهل ويغترف من علومه ، وقد رحل إليه مرتين ، وكان في إحداهما مع مشايخ العراق ونيسابور . أحمد بن حنبل وابن معين وإسحاق وعلي ابن المديني ، فالتقى الفحول ، وتآلفت الهمم عند إمام العصر ، فأكثروا عنه على تمنعه أحياناً ، ولكن الذهلي قد استأثر بجملة وافرة من أحاديثه ، وخصَّه بالانفراد ليلة الوداع وحدثه كثيراً قال الذهلي : حدثني عبدالرزاق بين المغرب والعشاء على السراج ليلة الوداع»(٥) .

وقد كان الإمام الذهلي متمكناً في الرواية عن عبدالرزاق ، وكانت أصوله موثقة من لفظ الشيخ وكتابه ، كما كان عارفاً بأصول شيخه فيميز ماكان منها وما زيد فيها أو لُقنَه بعد اختلاطه . حدَّث ذات مرة مؤكداً لذلك قال : « ثنا عبدالرزاق ، كتبتَه من كتابه»(٦) وطلبه البرذعي حديثاً عن عبدالرزاق كان في كتابه عنه فامتنع وقال : لم يكن هذا في أصل عبدالرزاق»(٧) .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) السير ٩/ ٥٦٦ .

(٣) التاريخ الكبير ٦/ ١٣٠ .

(٤) تهذيب الكمال ١٨/ ٥٨ .

(٥) منتقى ابن الجارود ص ٣٦٦ .

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٢٧ .

(٧) أسئلة البرذعي لأبي زرعة ملحق بكتاب أبي زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية مع تحقيق كتابه الضعفاء ٢/ ٧٤٨ ، تحقيق د. سعدي الهاشمي .

وهذا وإن كان مطرداً عن الذهلي في رواياته عن جميع مشايخه، إلا أن كثرة روايته عن عبدالرزاق مع التحصيل والانتقاء من الأصول بعد الإختلاط، دلّ على نهمه بحديث هذا الشيخ وتقديره لعلمه. والله أعلم.

وفاتـــه:

قال ابن سعد: مات باليمن في النصف من شوّال [سنة ٢١١هـ][١].

٦ - عبدالرحمن بن مهدي (*)

نسبه ومولده:

هو عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن الإمام الناقد المجود. أبو سعيد العنبري البصري اللؤلؤي[٢].

ولد سنة [١٣٦هـ] في محرم [٣].

أشهر شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ على هشام الدستوائي[٤]. وإسماعيل بن مسلم[٥]، ومالك بن أنس، وعبدالعزيز بن الماجشون[٦]، وحماد بن سلمة[٧]، وشعبة، وحماد بن زيد[٨]، وسفيان بن عيينة، ويزيد بن زريع[٩].

---

(١) الطبقات الكبرى ٥/ ٥٤٨.

(*) مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٧. المعارف ٥١٣، مقدمة الجرح والتعديل ١/ ٢٥١. تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٠، تهذيب الكمال: ٨٢٠، العبر ١/ ٣٢٦-٣٢٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩. الكاشف ٢/ ١٨٧، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٧٩، النجوم الزاهرة ٢/ ١٥٩، الخلاصة ٢٣٥، شذرات الذهب ١/ ٣٥٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٢. (٣) التاريخ الكبير ٥/ ٣٥٤- التاريخ الصغير ٢/ ٢٥٩.

(٤) هو هشام ابن أبي عبدالله سنْبرَ أبو بكر البصري الدستوائي، ثقة ثبت، وقد رُمي بالقدر، مات ١٥٤هـ، التقريب ص ٥٧٣.

(٥) هو أبو محمد إسماعيل بن مسلم العبدي البصري، ثقة من السادسه. التقريب ص ١١٠.

(٦) هو عبدالعزيز بن عبدالله ابن أبي سلمة الماجشون. ثقة فقيه مصنف مات سنة ١٦٤هـ، التقريب ص ٣٥٧.

(٧) هو أبو سلمة حماد بن سلمه بن دينار البصري، ثقة عابد. أثبت الناس في ثابت، مات سنة ١٦٧، التقريب ص١٧٨.

(٨) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل ثقة ثبت فقيه مات ١٧٩هـ، التقريب ص ١٧٨.

(٩) هو يزيد بن زريع البصري. ثقة ثبت من الثامنة، مات سنة ١٨٢هـ، التريب ص ٦٠١.

حدث عنه ابن المبارك[١]، وأحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، ويحيى ابن معين، وإسحاق بن راهويه، وعبيدالله بن عمر القواريري، وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال أحمد بن حنبل: هو أفقه من يحيى القطان، وأثبت من وكيع[٢]، وقال ابن المديني: لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني لم أر مثل عبد الرحمن[٣].

وقال أيوب ابن المتوكل: كنا إذا أردنا أن ننظر إلى الدين والدنيا ذهبنا إلى دار عبدالرحمن بن مهدي[٤].

وقال نعيم بن حماد: قلت لعبد الرحمن بن مهدي: كيف تعرف الكذاب؟ قال كما يعرف الطبيب المجنون[٥].

وقال أحمد بن حنبل: إذا حدث عبدالرحمن بن مهدي عن رجل فهو حجة[٦].

وقال أيوب ابن المتوكل أيضاً: كان حماد بن زيد إذا نظر إلى عبدالرحمن ابن مهدي في مجلسه تهلَّلَ علمه[٧].

صلة الذهلي بشيخه عبد الرحمن:

كان ابن مهدي من أوائل شيوخ الذهلي عند دخوله العراق وتلقيه عن مشايخه في مختلف المدن. وقد ذكر الذهبي أنه التقى به أولاً في أصبهان أول

---

(١) هو عبدالله بن المبارك أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم شيخ الإسلام وعالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، مات في رمضان سنة ١٨١. ثقات ابن حبان٧/ ٥٧، السير ٨/ ٣٧٨.

(٢) شذرات الذهب ١/ ٣٥٥.

(٣) تقدمه الجرح والتعديل ١/ ٢٥١، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣١.

(٤) السير ٩/ ١٩٤.

(٥) تقدمة الجرح والتعديل ١/ ٢٥٢.

(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٣.

(٧) السير ٩/ ٢٠١.

خروجه للرحلة في طلب الحديث، ثم يمّم وجهة تلقاء العراق فبدأ بالبصرة. وعند بابها استقبلته جنازة يحيى بن سعيد القطان فلازم خَلَفَهُ فيها عبدالرحمن بن مهدي خمسة شهور فأكثر عنه جداً، وبعدها انتقل إلى رحمة الله[1].

وقد وصف الإمام الذهبي عبدالرحمن شيخ الذهلي بأنه«أقدم شيخ له وأجلهم»[2].

وفاتـــه:

قال ابن سعد: توفي بالبصرة في جمادى الآخرة [سنة١٩٨هـ][3].

٧ - أحمد بن صالح المصري [*].

نسبه ومولده:

هو أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر الحافظ المقريء المعروف بابن الطبري[4].

ولد سنة ١٧٠هـ في مصر[5].

---

(١) بتصرف السير ١٢/ ٢٧٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطبقات الكبرى ٧/ ٢٩٧، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٨.

(*) مصادر ترجمته:

السير١٢/ ١٦٠، خلاصة تذهيب الكمال ص ٧، تذكره الحفاظ٢/ ٤٩٥. طبقات الحنابلة ١/ ٤٨، تهذيب الكمال ١/ ٣٤٠. تاريخ بغداد ٤/ ١٩٥، التاريخ الكبير٢/ ٦، الجرح والتعديل ٢/ ٥٦. ميزان الإعتدال١/ ١٠٣، طبقات الشافعية ٢/ ٦. شذرات الذهب ٢/ ١١٧، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٩٣.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ١٩٥، تهذيب الكمال١/ ٣٤٠.

(٥) طبقات الشافعيه الكبرى ٢/ ٦.

أشهر شيوخه وتلاميذه:

حدث عن سفيان بن عيينة، وعبدالرزاق بن همام، ويحيى بن حسان، وعبد الله بن وهب[1]، وحرمي بن عمارة[2]، وعنبسة بن خالد الأَيْلي[3]، وأبي نُعَيْم الفضل بن دكين الكوفي[4]، ومحمد بن إسماعيل ابن أبي فديك[5]، وعن خلق سواهم.

وحدث عنه: البخاري[6] وأبو داود[7] وأبو زرعة الرازي. وأبو زرعة الدمشقي[8]، وعثمان بن سعيد الدارمي[9]، ومحمود بن غيلان المروزي[10]، وصالح بن محمد جزرة. وسواهم.

---

(١) هو عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الفقية ثقة حافظ عابد سنة ١٩٧، التقريب ص ٣٢٨.

(٢) هو حرمي بن عمارة ابن أبي حفصة العتكي أبوروح صدوق يهم، مات سنة ٢٠١، التقريب ص ١٥٦.

(٣) هو عنبسة بن خالد بن يزيد الأموي مولاهم الأَيْلي ابن أخي يونس بن يزيد صدوق مات سنة ١٩٨، التقريب ص ٤٣٢ والأيلي نسبة إلى أيلة بلدَة على ساحل بحر القلزم مما يلي ديار مصر، الأنساب ١/ ٢٣٧.

(٤) سيترجم له بتوسع في ص١٧٤.

(٥) هو محمد بن اسماعيل بن مسلم ابن أبي فديك الدِّيْلي مولاهم المدني أبو إسماعيل صدوق، مات سنة ٢٠٠هـ، التقريب ص ٤٦٨ والديلي بكسر الدال نسبة إلى بني الديل بن هداد من الأزد، الأنساب٢/ ٥٢٨.

(٦) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبدالله البخاري. جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث. مات سنة ٢٥٦هـ، التقريب ص ٤٦٨.

(٧) هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدي السجستاني أبو داود. ثقة حافظ. مصنف السنن وغيرها، مات سنة ٢٧٥هـ، التقريب ٢٥٠.

(٨) هو عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان النصري أبو زرعه الدمشقي. ثقة حافظ مصنف، مات سنة ٢٨١، التقريب ص ٣٤٧.

(٩) هو عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الدارمي، أحد أئمة الدنيا، الإمام الحافظ الناقد. توفي سنة ٢٨٠، الثقات ٨/ ٤٥٥، السير ١٣/ ٣١٩.

(١٠) هو محمود بن غيلان العدوي مولاهم، أبو أحمد المروزي، نزيل بغداد. ثقة من العاشرة مات سنة ٢٣٩، التقريب ص ٥٢٢.

ثناء العلما عليه :

قال محمد بن عبدالله بن نمير : إذا جاوزت الفرات فليس أحد مثل أحمد بن صالح .

وقال يعقوب بن سفيان : كتبت عن ألف شيخ وكسر ، حجتي فيما بيني وبين الله رجلان : أحمد بن صالح ، وأحمد بن حنبل[(١)] . وقال أبو زرعة الدمشقي : سألني أحمد بن حنبل . من خلفت بمصر؟ قلت : أحمد بن صالح . فسُر بذكره ، ودعا له[(٢)] .

قال الذهبي : الرجل حجة ثبت لاعبرة بقول من نال منه ، ولكنه كما قال الخطيب : كان فيه الكبر وشراسة الخلق . نال النسائي جفاء منه في مجلسه . فذلك الذي أفسد بينهما[(٣)] .

وقال البخاري : أحمد بن صالح ثقة صدوق ، مارأيت أحداً يتكلم فيه بحجة ، وكان أحمد بن حنبل ، وعلي ، وابن نمير يثنون على أحمد بن صالح . كان علي يقول : سلوا أحمد فإنه أثبت[(٤)] .

وقال العجلي : أحمد بن صالح مصري ثقة ، صاحب سنة[(٥)] .

وقال ابن عدي : أحمد بن صالح من حفاظ الحديث ، وخاصة لحديث الحجاز ، ومن المشهورين بمعرفته[(٦)] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٩٦ .

(٢) ميزان الاعتدال ١/ ١٠٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٩٦ . وقال في ميزان الإعتدال١/ ١٠٣ : أحد الأعلام ، آذى النسائي نفسه بكلامه فيه وقد علقت في ص٤٦١ بما يسلط الضوء على حقيقة ما بينهما وسلامة أحمد بن صالح من تلك الطعون .

(٤) السير ١٢/ ١٦٢ .

(٥) الثقات : ص ٤٨ ، تاريخ بغداد ٤/ ٢٠١ .

(٦) السير ١٢/ ١٦٦ .

صلة الذهلي بشيخه أحمد :

إرتحل الذهلي إلى شيخه أحمد بن صالح في مصر والذي كان على جانب كبير من معرفة حديث الزهري، فقصده الذهلي لينهل من علومه، ويستفيد من تضلعه في التصنيف. فلما عرض [كتاب الزهريات] على شيخه علي ابن المديني وقال له: أنت وارث الزهري، دخل مصر فتدارس مع شيخه أحمد كتابه. فانتقده في ضم عدة أحاديث ضعيفة إلى ماهو أقوى منها، فجعل على ماستدركه شيخه علامة، ثم أخرج عللها. وقد انتفع الذهلي بعلم شيخه أحمد بن صالح وروى عنه الكثير واستفاد من تقييمه وتوجيهاته[1]. رحمهما الله.

وفاتـــه:

توفي يوم الإثنين لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ٢٤٨هـ بمصر[2].

٨ - عبد الأعلى بن مُسْهِرْ بن عبد الأعلى[*]

نسبه ومولده:

هو عبدالأعلى بن مُسْهِرْ بن عبدالأعلى بن مُسْهِرْ، أبو مسهر الغساني الدمشقي الفقية[3].

مولده: قال عن نفسه: ولدت سنة ١٤٠[4].

---

(١) راجع ماكتب عن عناية الذهلي بالزهري والزهريات ص ٢٤٠، في مبحث آثاره.

(٢) طبقات الحنابله ١/ ٤٩.

(*) مصادر الترجمة السير ١٠/ ٢٢٨. الكاشف ٢/ ١٤٧، رجال صحيح مسلم ١/ ٤٤٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨١، التاريخ الكبير ٦/ ٧٣، تهذيب الكمال ٦/ ٣٦٩، شذرات الذهب ٢/ ٤٤، الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٤٧٣، تاريخ بغداد ١١/ ٧٢، الجرح والتعديل ٦/ ٢٩، التقريب ص ٣٣٢.

(٣) تهذيب الكمال ١٦/ ٣٦٩، السير ١٠/ ٢٢٨. وقد ضبط العلامة محمد طاهر الهندي (مُسْهِراً) بضم الميم وسكون السين وكسر الهاء. المغني في ضبط أسماء الرجال ص٢٣١.

(٤) رجال صحيح مسلم ١/ ٤٤٦.

أشهر شيوخه وتلاميذه:

حدث عن: مالك بن أنس، وإسماعيل بن عياش، وبقية بن الوليد، وسفيان ابن عيينة، وسعيد ابن أبي عَرُوبة[1]، وسعيد بن عبدالعزيز التنوخي[2]، وعبّاد ابن عبّاد الخوّاص[3]. وإسماعيل بن عبدالله بن سماعة[4]. وخلق غيرهم.

وحدث عنه: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني[5]، وأحمد بن صالح المصري، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن يوسف السلمي، وإسحاق الكَوْسَج[6]، ومحمد بن ادريس الرازي، ويحيى بن معين[7]، وسواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا مسهر، ماكان أثبته، وجعل يطريه[8]، وقيل لأبي داود: إن أبا مسهر كان متكبراً في نفسه.

(١) هو سعيد ابن أبي عروبة مهران اليشكري مولاهم أبو النضر البصري، ثقة حافظ كثير التدليس، مات سنة ١٥٦هـ، التقريب ص ٢٣٩.

(٢) هو سعيد بن عبدالعزيز التنوخي الدمشقي، ثقة إمام سوّاه الإمام أحمد بالأوزاعي، مات سنة ١٦٧، اختلط بأخره، والتنوخي بفتح التاء وضم النون نسبة إلى تنوخ عدة قبائل تآزرت فسميت تنوخا، التقريب ص ٢٣٨، الأنساب ١/ ٤٨٤.

(٣) هو عبّاد بن عبّاد الرَّملي الأُرْسُوفي أبو عتبة الخواص. صدوق يهم من التاسعة. التقريب ص ٢٩٠. والأُرسُوفي بضم الألف والسين نسبة إلى أُرْسُوف مدينة على ساحل بحر الشام. الأنساب ١/ ١١٢.

(٤) هو اسماعيل بن عبدالله بن سماعة العدوي مولى آل عمر الرملي، ثقة من الثامنة، التقريب ص ١٠٨.

(٥) هو إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزجاني، ثقة حافظ رمي بالنصب مات سنة ٢٥٩هـ، التقريب ص٩٥.

(٦) هو إسحاق بن منصور بن بَهْرَام الكَوْسَجُ أبو يعقوب المروزي، ثقة ثبت مات سنة ٢٥١هـ، التقريب ص١٠٣. والكوسج بفتح الكاف والسين، نسبة إلى سكّة بمرو يقال لها: كوى إسحاق كوسة. الأنساب (٥/ ١٠٧).

(٧) هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني. مولاهم أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، مات سنة ٢٣٣ بالمدينة، التقريب ص ٥٩٧.

(٨) السير ١٠/ ٢٣١.

فقال : كان من ثقات الناس، رحم الله أبا مسهر، لقد كان من الإسلام بمكان، حمل على المحنة فأبى، وحمل على السيف فمد رأسه، وجرد السيف فأبى أن يجيب، فلما رأوا ذلك منه حمل إلى السجن فمات[١] .

وقال الجوهري : رأيت أبا مسهر عبدالأعلى ببغداد، وكان أبيض الرأس واللحية، وكان لايخضب، حبس في المحنة حتى مات ببغداد في الحبس[٢] .

وقال الذهبي : من أجل العلماء وأفصحهم وأحفظهم[٣] .

وقال محمد بن سهل بن عسكر : مارأيت رجلاً كان أعلم بالمغازي وأيام الناس من أبي مسهر[٤]، وقال يحيى بن معين : منذ خرجت من بغداد إلى أن رجعت لم أر مثل أبي مسهر[٥] .

كان قوالاً بالحق لايخاف في الله لومة لائم . فلما وافى المأمون دمشق ونزل بدير مرّان . وبنى القبه فوق الجبل، فكان بالليل يأمر بجمر عظيم، فيوقد ويجعل في طسوت كبار، تدلى بسلاسل وحبال . فتضيء لها الغوطة، فيبصرها بالليل . وكان لأبي مسهر حلقة في الجامع بين العشاءين . فبينا هو ليلة، إذ قد دخل الجامع ضوء عظيم، فقال أبو مسهر : ماهذا؟ قالوا : النار التي تدلى من الجبل لأمير المؤمنين حتى تضيء الغوطة . فقال : ﴿ **أتبنون بكل ريع آيه تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون** ﴾[٦] فحمل كلامه إلى المأمون فحقدها عليه، فامتحنه في بغداد بالقول بخلق القرآن[٧] .

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٧٤ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٧٥ .
(٣) الكاشف ٢/ ١٤٧ .
(٤) رجال صحيح مسلم ١/ ٤٤٦ .
(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨١ .
(٦) الشعراء [١٢٨- ١٢٩].
(٧) السير ١٠/ ٢٣٤ .

صلة الذهلي بشيخه عبد الأعلى :

التقى الذهلي أثناء رحلته إلى الشام بعدد من مشايخه في فلسطين وأنطاكية وحمص، كما سبق ذكره في رحلاته، وكان من أشهر شيوخه فيها أبو مسهر عبدالأعلى الذي التقى به في دمشق، وحدث عنه الكثير في جامع بني أمية قبل أن يبتلى رحمه الله بفتنة خلق القرآن، والتي سيق على إثرها إلى بغداد وسجن فيها حتى مات .

وفاتـــــه :

سجنه المأمون نحواً من مائة يوم. وجاءه الأجل فمات في سنة ٢١٨هـ[(١)] .

٩ ـ علي ابن المَدِينيْ (*).

نسبه ومولده :

هو علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم البصري أبو الحسن المعروف بابن المَدِيني[(٢)] .

ولد علي سنة ١٦١ بالبصرة[(٣)] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨١.

(*) مصادر ترجمته :

المعجم المشتمل لابن عساكر ص ١٩٣، المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/ ٢١٠، الضعفاء الكبير للعقيلي ٣/ ٢٣٥، التاريخ الكبير ٦/ ٢٨٤، التاريخ الصغير ٢/ ٣٣٣، شذرات الذهب ٢/ ٨١، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤١، تقدمة الجرح والتعديل ١/ ٣١٩، تاريخ بغداد ١١/ ٤٥٨، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٤٥، البداية والنهاية ١٠/ ٣١٢، تهذيب الكمال ٢١/ ٥، التقريب ص ٤٠٣، الفهرست ص٢٨٦.

(٢) السير ١١/ ٤١ . والمديني بفتح الميم وكسر الدال والنون نسبة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، الأنساب ١/ ٢٣٥.

(٣) السير ١١/ ٤٣.

أشهر شيوخه وتلاميذه :

الأسود بن عامر شاذان، وحَرَمي بن عمارة، وسعيد بن عامر، وسفيان بن عيينة، وأبو عاصم الضحاك بن مخلد، وعبدالله بن وهب، وعبدالرحمن بن مهدي، وعبدالرزاق بن همام، وعلي بن عاصم، وأبو نعيم الفضل بن دكين.

وحدث عنه :

البخاري، وأبو داود، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وأحمد بن حنبل ـ وهو من أقرانه ـ وسفيان بن عيينة ـ وهو من شيوخه ـ وحنبل بن إسحاق، وأبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، ومحمد بن عبدالرحيم صاعقه(١).

ثناء العلماء عليه :

قال أبو حاتم : كان علي علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل(٢)، وقال عبدالرحمن بن مهدي : علي ابن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة حديث ابن عيينة(٣).

وقال يحيى بن سعيد القطان : يلومونني في حب علي ابن المديني وأنا أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني(٤).

وقال النسائي : كأن الله خلق علي ابن المديني لهذا الشأن(٥) [يعني علم الحديث].

---

(١) هو محمد بن عبد الرحيم ابن أبي زهير البغدادي، البزاز، أبو يحيى، ثقة حافظ، توفي سنة ٢٥٥، التقريب ص ٤٩٣. والبزاز نسبة إلى من يبيع البز وهو الثياب، الأنساب ١/ ٣٣٨.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٤٥٨.

(٣) تهذيب الكمال ٢١/ ١٢.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦٠، السير ١١/ ٤٥.

(٥) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦١.

وكان رحمه الله إذا قدم بغداد، تصدر الحلقة وجاء يحيى وأحمد بن حنبلُ والمعيطي والناس يتناظرون، فإذا اختلفوا في شيء تكلم فيه علي[١].

وقال البخاري : مااستصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي ابن المديني[٢].

وكان سفيان بن عيينة إذا أستثبت أو سئل عن شيء يقول : لو كان حية الوادي [٣][يقصد علي ابن المديني] وقدكان سفيان بن عيينة يسميه : حية الوادي.

صلة الذهلي بشيخه علي ابن المديني :

كان علي ابن المديني أحد تلك الرفقة المباركة التي التقى بها الذهلي عند عبدالرزاق في صنعاء، مع أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسحاق. فشارك شيخه في شيوخه بل أكثر مع الاعتناء بالتحصيل، ولما ألّف زهرياته عرضها على ابن المديني الذي أبدى إعجابه الشديد به وبمصنَّفه فقال: أنت وارث الزهري[٤].

وقال مرة أخرى مثنياً عليه في غَيْبته : كفى محمد بن يحيى جمع حديث الزهري[٥].

كما كان الذهلي على صلة قوية بشيخه علي. استفادة منَ علمه وبالأخص بروزه في علم العلل واستنارة بتوجيهه ونصحه. والله اعلم.

وفاتـــه :

قال الحارث بن محمد : مات بسامرّاء في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين[٦].

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦٢، تهذيب الكمال ٢١/ ١٦.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٤٦٣.

(٣) تهذيب الكمال ٢١/ ١٠.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٣١٧.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٣١٨.

(٦) السير (١١/ ٥٩).

١٠- الفضل بن دُكَيْن (*)

نسبه ومولده :

أبو نُعَيْم الفضل بن عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي الطلحي القرشي مولاهم الكوفي الملائي الأحول مولى آل طلحة بن عبيد الله[١].

ولد سنة ثلاثين ومائة[٢].

أشهر شيوخه وتلاميذه :

حدث عن جرير بن عبدالحميد، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشعبه بن الحجاج. وسواهم.

حدث عنه أحمد بن حنبل، و البخاري، و إسحاق بن راهويه، وأبوخيثمة، و زهير بن حرب، وعباس بن محمد الدوري، وأبو بكر ابن أبي شيبة، وعَبْد بن حميد، وأبو زرعة الرازي، وغيرهم.

ثناء العلماء عليه :

قال حنبل بن إسحاق : قال أبو نعيم : كتبت عن نيف ومائه شيخ ممن كتب عنه سفيان[٣] وقال أيضاً: نظر ابن المبارك في كتبي فقال مارأيت أصح من كتابك[٤].

(*) مصادر ترجمته : السير١٠/ ١٤٢، تهذيب الكمال٢٣/ ١٩٧، الجرح والتعديل٧/ ٦١، شذرات الذهب١/ ٤٦، تاريخ بغداد١٢/ ٣٤٦، طبقات خليفه ص ١٧٢. التاريخ الكبير ٧/ ١١٨. المعارف لابن قتيبة ص ٥٢٦.

(١) السير ١٠/ ١٤٢، تهذيب الكمال ٢٣/ ١٩٧. ودُكَيْن لقب لوالده عمرو، يقال كان اسم لكلب كانت حاضنته تفزعه به. نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر١/ ٢٦٤، ونُعيم بالتصغير لنَعيم، انظر المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم للعلامة محمد بن طاهر الهندي ص٢٩٨.

(٢) تهذيب الكمال ٢٣/ ٢١٧، التاريخ الكبير ٧/ ١١٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٨، السير١٠/ ١٤٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٨.

وقال أحمد بن حنبل : شيخان كان الناس يتكلمون فيهما ويذكرونهما وكنا نلقى من الناس في أمرهما ما الله به عليم قاما لله بأمر لم يقم به كبير أحد، عفان، وأبو نعيم[١]. وقال أيضاً : نزاحم به سفيان[٢]. وقال أحمد بن صالح : مارأيت محدثاً أصدق من أبي نعيم[٣]. وقال يعقوب بن سفيان : أجمع أصحابنا أن أبا نعيم غاية في الإتقان والحفظ وأنه حجة[٤].

وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن أبي نعيم . . . فقال : ثقة كان يحفظ حديث الثوري ومسعر حفظاً جيداً . . . كان يأتي بحديث الثوري عن لفظ واحد لايغيره وكان لايلقن وكان حافظاً متقناً[٥].

صلة الذهلي بشيخه أبي نعيم :

حدَّث الذهلي- عن شيخه أبي نعيم.[٦] وروى عنه بالمكاتبة شيئاً كثيراً وكان معظمه في الوفيات، وقد كان رحمه الله من أعلم الناس بالشيوخ وأنسابهم وبالرجال[٧]. وقد نقل إلينا الإمام الكَلاَبَاذي[٨] في كتابه رجال صحيح البخاري بعض ماكتبه أبو نعيم لتلميذه الذهلي وعدته «٥٦» رواية. يقيدها بقوله . . . وفيما كتب إليَّ أبو نعيم [٩]، وهذه المكاتبة إن دلَّت على شيء فانما تدل

(١) السير ١٠/ ١٤٩، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٩- وعفَّان هو ابن مسلم الباهلي، أبو عثمان الصَّفَّار البصري ثقة ثبت. من كبار العاشرة، انظر التقريب ص ٣٩٣ .

(٢) السير ١٠/ ١٥١ .

(٣) السير ١٠/ ١٤٧ .

(٤) المعرفة والتاريخ ٢/ ٦٣٣، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٥٣ .

(٥) الجرح والتعديل ٧/ ٦٢ . تهذيب الكمال ٢٣/ ٢١٢ .

(٦) السير ١٠/ ١٤٥ .

(٧) السير ١٠/ ١٤٧ .

(٨) هو أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي الإمام الحافظ الأوحد أبي نصر قال عنه الحاكم : حسن الفهم والمعرفة، توفي في جمادى الآخرة ٣٩٨، انظر السير ١٧/ ٩٤ . وكَلاباذ نسبة إلى محلة كبيرة في بخارى، الأنساب ٥/ ١١٤ .

(٩) انظر جميع هذه الروايات سواء منفردة عن أبي نعيم أو مضمومه إلى أخذه مشافهه عن شيخه يحيى بن بكير- في مطلب معرفته بتواريخ الرواة والوفيات في الفصل الأول من الباب الثالث، من ص ٥٠٤ إلى ٥٠٨ .

على الثقة والمحبه المتبادلة بين الشيخ وتلميذه، وعلى الحركة العلمية المرَّشدة في تلك الحقبة المباركة.

وفاتـــه:

توفي أبو نعـيـم رحـمـه الله سنة ٢١٩هـ[1] بالكوفـة ليلة الثـلاثاء سلخ شعبان[2].

---

(١) طبقات خليفة ص ١٧٢، التاريخ الكبير ٧/ ١١٨.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٥٦، التهذيب ٢٣/ ٢١٨.

المبحث الرابع
تلاميذه

كان الإمام الذهلي من الأئمة الذين وثق الناس بعلمهم واستناروا بآرائهم. لذا فقد كانوا يرحلون إليه سواء كان في نيسابور أو بغداد أو البصرة أو حيثما كان وجوده.

ولقد كان لمجالسه العلمية ومجالس الإملاء والمناظرة التي كان يعقدها في كثير من البلدان التي يزورها، أثر بعيد في التعريف بشخصيته العلمية. كما قد أكسبته رحلاته العلمية مكانة ثقافية واجتماعية كبرى. وهذا التفوق العلمي العالي الذي حازه الإمام الذهلي كان مدعاة لكثرة تلامذته ونبوغ أعداد كبيرة منهم. ويكفي للدلالة على ذلك أن الإمام مسلماً رحمه الله لم يكن يفرط في مجالس الإمام الذهلي العلمية منذ أن عرفه، حتى بعد نشوب مسألة اللفظ بين الذهلي والبخاري مع مخالفته لشيخه في مذهبه.

وقد أسعفتنا المصادر بأسماء عدد لا بأس به، كان منهم الأئمة الستة البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ومنهم أمثال ابن الجارود والمروزي وابن خزيمة. وأئمة آخرون كان لعلمهم ومصنفاتهم ومواقفهم أكبر الأثر في إرساء دعائم الدين والذود عن حياضه.

ولم أترجم لأحد من أصحاب الكتب الستة لشهرتهم ومعرفة الأمة بهم جميعاً وإن نظرة عابرة إلى تراجم مشايخه أولئك وتلامذته هؤلاء لتدل أبلغ دلالة على أهمية طلب العلم على الشيوخ الذين هم بمثابة جامعة تجمع شتى العلوم مع المنهج التربوي السليم للتلميذ، والقدوة والتوجيه.

وسأسرد أسماء من وجدت من تلاميذه في ملحق الرسالة الثاني. بينما أترجم هنا لطائفة منهم نقف من خلال أخبارهم وأحوالهم على مكانتهم الكبيرة.

١ - محمد بن إسحاق بن خزيمة (*).

نسبه ومولده:

هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة أبو بكر السلمي النيسابوري الحافظ الحجة إمام الأئمة[١]. ولد سنة ٢٢٣هـ[٢].

أشهر شيوخه وتلاميذه:

سمع من إسحاق بن راهوية، ومحمود بن غيلان، وعلي بن حجر[٣]، وأحمد بن إبراهيم الدورقي[٤]، وأخيه يعقوب[٥]، ومحمد بن رافع، وهارون ابن إسحاق الهمداني[٦].

حدث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين[٧]، وأحمد بن المبارك

(*) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٣/ ٨٣١، الجرح والتعديل ٧/ ١٩٦، ثقات ابن حبان ٩/ ١٥٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠، طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٠٩، السير ١٤/ ٣٦٥، البداية والنهاية ١١/ ٤٩، شذرات الذهب٢/ ٢٦٢، المعين في طبقات المحدثين ص ١٦١، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ص٢٠ للعلامة محمد بن جعفر الكتاني باعتناء حفيدة محمد المنتصر الكتاني.

(١) السير ١٤/ ٣٦٥.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠.

(٣) هو علي بن حجر بن إياس السعدي أبو الحسن المروزي، نزيل بغداد، ثم مرو، ثقة حافظ، مات سنة ٢٤٤هـ وقد قارب المائة. التقريب ص ٣٩٩، والتهذيب ٧: ٢٥٩.

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد الدورقي البكري البغدادي أبو عبدالله، ثقة حافظ، مات سنة ٢٤٦هـ، التقريب ص ٧٧، تهذيب التهذيب١/ ٩.

(٥) يعقوب بن إبراهيم بن كثير الدورقي أبو يوسف ثقة مات سنة ٢٥٢ وله ست وثمانون سنة وكان من الحفاظ، التقريب ص ٦٠٧.

(٦) هارون بن إسحاق بن محمد بن مالك الهَمْدَاني أبو القاسم الكوفي، صدوق، مات سنة ٢٥٨هـ، التقريب ٥٦٨.

(٧) انظر السير ١٤/ ٣٦٦.

المستملي، وإبراهيم ابن أبي طالب، وأبو حاتم البستي، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم[١]، [أحد شيوخه]، وأبو العباس الدغولي[٢].

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام الخليلي: إتفق في وقته أهل الشرق أنه إمام الأئمة[٣]. وقال ابن حبان: كان رحمه الله أحد أئمة الدنيا علماً وفقهاً وحفظاً وجمعاً واستنباطاً حتى تكلم في السنن بإسناد لانعلم سبق إليها غيره من أئمتنا مع الإتقان الوافر والدينٍ الشديد إلى أن توفي رحمه الله[٤].

وقال الدار قطني: كان ابن خزيمة إماماً ثبتاً، معدوم النظير[٥].

وقال الذهبي: أكثر وجوّد وصنّف واشتهر اسمه، وانتهت إليه الإمامه والحفظ في عصره بخراسان[٦]، وقال أيضاً: ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه، وإتباعه السّنّة[٧].

وقال ابن كثير: كان بحراً من بحور العلم، طاف البلاد، ورحل إلى الآفاق في الحديث وطلب العلم، فكتب الكثير وصنف وجمع، وكتابه الصحيح من أنفع الكتب وأجلها، وهو من المجتهدين في دين الإسلام[٨].

---

(١) محمد بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين المصري الفقية أبو عبدالله، ثقة، مات سنة ٢٦٨، التقريب ص٤٤٨، وطبقات علماء الحديث ٢/ ٢٣٠.

(٢) سبقت ترجمته ص٤٢.

(٣) الارشاد ٣/ ٨٣١.

(٤) الثقات ٩/ ١٥٦.

(٥) السير ١٤/ ٣٧٢.

(٦) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢١.

(٧) السير ١٤/ ٣٧٤.

(٨) البداية والنهاية ١١/ ١٤٩، وجدير بالذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية سئل عن أصحاب الكتب الستة وابن خزيمة وسواهم هل كانوا مجتهدين أم مقلدين ؟ فأجاب بأنهم على مذهب أهل الحديث، ليسوا مقلدين لواحد بعينه من العلماء، ولا هم من الأئمة المجتهدين على الاطلاق .. إلخ . مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٠

صلة ابن خزيمة بشيخه الذهلي :

كان ابن خزيمة أحد من لازم الإمام الذهلي كثيراً، ونهل من علمه وفضله وتأثر بأخلاقه وحسن معاملته. . . ويصوِّر ذلك لنا أبلغ تصوير ذلك الكَمُّ الهائل من رواياته عنه في كتابيه التوحيد والصحيح[1] . . كما كان ابن خزيمة شديد المحبة لشيخه الذهلي. . دلَّ على ذلك دعواته له حتى في أثناء سياق الأسانيد ورواية الحديث وهي مواضع تخلو غالباً من مثل هذه المشاعر. . . فقد ساق عنه إسناداً قال فيه: حدثنا محمد بن يحيى- أسكنه الله جنته- قال: ثنا يزيد. . . الخ[2]، كما أنه كان ينقل عنه كثيراً من أحواله وأقواله الفقهيه سيأتي عرضها في ثنايا البحث.

وفاتـــه :

ضبط الذهبي وفاته في ثاني ذي القعدة سنة ٣١١، وقد عاش ٨٩ سنه[3].

٢ - محمد بن النضر الجارودي[*]

نسبه :

هو محمد بن النضر بن سلمة بن الجارود بن يزيد العامري الجارودي أبو بكر النيسابوري[4].

---

(١) انظر سرد مواضع تلك الروايات في ملاحق رواياته.

(٢) التوحيد ١/ ٤٨١.

(٣) السير ١٤/ ٣٨٢.

(*) الإرشاد ٣/ ٨٤٧، الأنساب ٢/ ٨، الجرح والتعديل ٨/ ١١٠، طبقات علماء الحديث٢/ ٣٨٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٧٣، اللباب ١/ ٢٤٩، تهذيب الكمال١٦/ ٥٥٣، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٣، خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٦١، التقريب ص ٥١٠، شذرات الذهب ٢/ ٢٠٨، السير ١٣/ ٥٤١.

(٤) تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٥٤، السير ١٣/ ٥٤٢، الجرح والتعديل ٨/ ١١١ والجارودي نسبة إلى جده الجارودي، انظر اللباب ١/ ٢٤٩.

أشهر شيوخه وتلاميذه:

روى عن أحمد بن إبراهيم الدورقي، وأحمد بن حفص السلمي، ومحمد ابن رافع النيسابوري ومحمد بن الصبَّاح الجَرْجَرَائي[1]، ومحمد بن عبدالملك ابن أبي الشوارب[2].

وروى عنه النسائي، وأبو حامد ابن الشرقي، وابن أبي حاتم، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال الحاكم: كان شيخ وقته، وعين علماء عصره حفظاً وكمالاً ومروءة ورئاسة، وكانت رحلته مع مسلم[3].

وقال ابن العماد: كان يتولى أمور مسلم بن الحجاج، وكان مسلم يعتمد عليه في جميع أسبابه، وكان إمام وقته[4]، وقال السمعاني: كان من المتعصبين للحديث والذا بين عن أهل نحلته، وله في ذلك أخبار مدونة[5].

وقال ابن أبي حاتم: سمعت منه بالري، وهو صدوق من الحفاظ[6]، وقال السمعاني: والجارود جد أبيه صاحب أبي حنيفة[7]، وقال الحاكم: كان أبوه

---

(١) هو محمد بن الصبَّاح الجَرْجَرَائي الأموي مولاهم أبو جعفر التاجر، وثقه أبو زرعة، مات سنة ٢٤٠هـ، ونسبته هذه إلى جَرْجَرايا. بلدة قريبة من دجلة، خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٤١، اللباب ١/ ٢٧٠.

(٢) هو محمد بن عبدالملك ابن أبي الشوارب الأموي، البصري، صدوق من كبار العاشرة، مات سنة ٢٤٤هـ، التقريب ص ٤٩٤.

(٣) طبقات علماء الحديث ٢/ ٣٨٩، تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٥٥.

(٤) شذرات الذهب ٢/ ٢٤٩.

(٥) الأنساب ٢/ ٨٠

(٦) الجرح والتعديل ٨/ ١١١.

(٧) الأنساب ٢/ ٨.

وجدُّه والجارود جد أبيه كلهم رأييون وأبو بكر حديثي مُحكَّم في المذهب[١].

وقال: كان رفيق مسلم في الرحلة[٢]

صلة الجارودي بشيخه الذهلي:

كان أبو بكر الجارودي من أوثق طلبة العلم صلة بالإمام الذهلي وأوسعهم صدراً وتواضعاً للعلم وأهله: فقد كان ذات مرة في مجلس شيخه الذهلي. وفي أثناء المجلس حدث الذهلي بحديث أخطأ فيه فردَّ عليه الجارودي فزبره[٣]، فلما كان المجلس الثاني قال الذهلي: هاهنا الجارودي؟ قال له: نعم قال: الصواب ماقلته، فاني رجعت إلى كتابي فوجدته على ما قلت[٤].

وهذا يبين لنا ماكانا عليه من صفاء وخدمة للعلم... وقد كان أبوبكر الجارودي من أصحاب الذهلي وجيرانه، قال السمعاني: وكان منزله بالقرب من منزل محمد بن يحيى الذهلي فنشأ معه وفي صحبته[٥]. وكان بينهما ماهو أكبر من ذلك من رفع الكلفة ودوام الألفة، فقد كان الجارودي يبيت عند شيخه الذهلي، ويعينه عند تصنيفه للكتب في ضبط مايلتبس من قواعد اللغة العربية.

قال أبو حامد ابن الشرقي: كان الجارودي يبيت عند محمد بن يحيى، وكان ابن يحيى يستعين بعربيته في مصنفاته[٦]، ولذا قال أبو حامد: كان الجارودي ثبتاً عند محمد بن يحيى[٧].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) طبقات علماء الحديث ٢/ ٣٨٩، السير ١٣/ ٥٤٢.

(٣) سبق بيان معنى الكلمة ص ٧٣.

(٤) الأنساب ٢/ ٨، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٣.

(٥) الأنساب ٢/ ٨.

(٦) المصدر السابق.

(٧) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٣.

وهذه الصور من المحبة والتلاحم والتعاون تشير في غير مالبس إلى جانب من سماحة هذا الدين وعظمة رجاله الذين يتتبعون سيرة وأخلاق صفوة الخلق صلى الله عليه وسلم.

وفاته:

قال ابن عبدالهادي: مات في ربيع الأول سنة ٢٩١هـ، رحمه الله[١].

٣ - أبو حامد ابن الشرقي[*]

نسبه ومولده:

هو أحمد بن محمد بن حسن أبو حامد النيسابوري ابن الشرقي[٢].

مولده: قال السمعاني في الأنساب: كانت ولادته سنة ٢٤٠هـ، في شهر رجب[٣].

أشهر شيوخه وتلاميذه:

سمع عبدالرحمن بن بشر، ومسلم بن الحجاج وأبا الأزهر أحمد بن الأزهر، وأحمد بن يوسف السلمي، وأحمد بن حفص بن عبدالله[٤]، وأبو حاتم، والعباس بن محمد الدُّوري وسواهم.

---

(١) طبقات علماء الحديث ٢/ ٣٩٠.

(*) الأنساب ٣/ ٤١٩، طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٤٠، ميزان الإعتدال ١/ ١٥٦، السير ١٥/ ٣٧، تذكرة الحفاظ ٣/ ٤١٩، تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٦، البداية والنهاية ١١/ ١٨٨، لسان الميزان ١/ ٣٣٥، المنتظم ١٣/ ٣٦٧، العبر ٢/ ٢٤، شذرات الذهب ٢/ ٣٠٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٠.

(٢) السير ١٥/ ٣٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٠، وقيل ابن الشرقي لأنه يسكن الجانب الشرقي بنيسابور، الأنساب ٣/ ٤١٩.

(٣) الأنساب ٣/ ٤١٩.

(٤) هو أحمد بن حفص بن عبدالله بن راشد السلمي النيسابوري، صدوق، مات سنة ٢٥٨هـ، التقريب ص ٧٨.

روى عنه أبو العباس بن عقدة، وأبو أحمد العسّال[1]، وأبو أحمد بن عدي[2]، وأبو أحمد الحاكم، وزاهر بن أحمد السَّرْخَسِي[3]، وخلق سواهم .

ثناء العلماء عليه :

ساق الخطيب البغدادي بسنده إلى أحمد بن الحسين بن علي التميمي أنه سمع محمد بن إسحاق بن خزيمة - ونظر إلى أبي حامد ابن الشرقي فقال : حياة أبي حامد تحجز بين الناس والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] .

وقال السمعاني : كان في الحج يكتب في الطريق ويكتب عنه[5] .

وقال أبو عبدالله الحاكم : هو واحد عصره حفظاً وإتقاناً ومعرفة[6] .

وقال ابن كثير : كان حافظاً كبير القدر كثير الحفظ، كثير الحج، رحل إلى الأمصار، وجاب الأقطار وسمع الكبار[7]، وقال ابن العماد : هو الحافظ البارع الثقة المصنف[8] .

---

(١) هو محمد بن أحمد بن ابراهيم أبو أحمد القاضي الأصبهاني العسّال، ثقة مأمون، توفي سنة ٣٦٠هـ، السير ١٦/ ٦ .

(٢) هو عبدالله بن عدي بن عبدالله، أبو أحمد الجرجاني، صاحب كتاب الكامل في الضعفاء، مات سنة ٣٦٥هـ، السير ١٦/ ١٥٤ .

(٣) هو زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى أبو علي السَّرْخَسِيْ، فقيه خراسان، شيخ القراء والمحدثين، مات سنة ٣٨٩هـ، السير ١٦/ ٤٧٦ . والسَّرْخَسِيْ نسبة إلى بلدة قديمة من خراسان، الأنساب٣/ ٢٤٤ .

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٧، الموضوعات للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ١/ ٤٥، باعتناء عبد الرحمن عثمان، الطبقات الكبرى للشافعية٣/ ٤١ .

(٥) الأنساب ٣/ ٤١٩ .

(٦) السير ١٥/ ٣٧ .

(٧) البداية والنهاية ١١/ ١٨٨ .

(٨) شذرات الذهب ٢/ ٣٠٦ .

وقال أحمد بن عدي: لم أر أحفظ ولا أحسن سرداً من أبي حامد ابن الشرقي، كتب جمعه لحديث أيوب السختياني، فكنت أقرأ عليه من كتابه، ويقرأ معي حفظاً من أوله إلى آخره[1]. وقال الدار قطني: ثقة مأمون إمام[2].

صلة أبي حامد بشيخه الذهلي:

تلقى أبو حامد ابن الشرقي من شيخه الذهلي العلم، وتأثر بأدبه وأخلاقه، وكان مطّلعاً على أحواله وعلاقاته بأهل العلم وطلبته، فقد نقل لنا جلوس صالح جزره عند شيخه الذهلي وقراءته عليه كتابه «الزهريات»[3]. كما كان عارفاً بمكانة شيخه في ناحيته الكبرى خراسان، قال: ماأخرجت خراسان مثل محمد ابن يحيى[4].

وهكذا نلمح مدى قرب ابن الشرقي من شيخه، ومعرفته لفضله.

وفاته:

توفي أبو حامد ابن الشرقي في شهر رمضان سنة ٣٢٥.[5].

٤ - محمد بن اسحاق السرّاج (*)

نسبه ومولده:

هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران، أبو العباس السَّراج مولى ثقيف[6]، ولد أبو العباس سنة ٢١٦هـ[7] وقال ابن الجوزي سنة ٢١٨[8].

---

(١) السير ١٥/ ٣٩.
(٢) لسان الميزان ١/ ٣٣٥.
(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٢.
(٤) السير ١٢/ ٢٨٤.
(٥) المصدر السابق ١٥/ ٤٠.
(*) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٣/ ٨٢٨، السير ١٤/ ٣٨٨، الجرح والتعديل ٧/ ١٩٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٣١، المنتظم ١٣/ ٢٥٢، الفهرست ص ١٧٣، البداية والنهاية ١١/ ١٥٣، تاريخ بغداد ١/ ٢٤٨، طبقات الشافعيه الكبرى ٣/ ١٠٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤١، الأنساب ٣/ ٢٤١، شذرات الذهب ٢/ ٢٦٨، العبر ١/ ٤٦٧ - الرسالة المستطرفة ص ٧٥.
(٦) تاريخ بغداد ١/ ٢٤٨ والسَّرَّاج نسبة إلى عمل السرج الذي يوضع على الفرس. كان من أجداده من يعمل السروج. انظر الأنساب ٣/ ٢٤١.
(٧) السير ١٤/ ٣٨٩.
(٨) المنتظم ١٣/ ٢٥٢.

أشهر شيوخه وتلاميذه:

سمع من إسحاق بن راهويه، ومحمد بن الصبَّاح الجَرْجَرَائي، ويعقوب الدَّوْرَقي، ومحمد بن رافع، وعقبة بن مكرَم[(١)]، وداود بن رُشيد[(٢)]، والحسن بن عيسى بن ماسَرْجِس[(٣)] وسواهم.

وحدث عنه البخاري ومسلم: خارج الصحيحين، وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم البستي، وأبو أحمد بن عدي، وأبو أحمد الحاكم، وأبو العباس ابن عقدة، وخلق غيرهم.

ثناء العلماء عليه:

قال الخطيب البغدادي: كان من المكثرين الثقات الصادقين الأثبات عني بالحديث، وصنَّف كتباً كثيرة وهي معروفة مشهورة.[(٤)] وقال السبكي: كان شيخاً مسنداً صالحاً، سعيداً، كثير المال....... وكان يركب حماره، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[(٥)]. وقال ابن كثير: كان يعدُّ من مجابي الدعوة[(٦)].

وقال الصَّعلوكي: حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق الأوحد في فنه، الأكمل في وزنه، وكنا نقول في مكاتبنا: السَّراج كالسراج.[(٧)]وقال أبو بكر

---

(١) هو عقبة بن مكرم العمّي، أبو عبد الملك البصري، ثقة مات في حدود سنة ٢٥٠، التقريب ص ٣٩٥.

(٢) هو داود بن رشيد، الهاشمي مولاهم، الخوارزمي، ثقة من العاشره مات سنة ٢٣٩، التقريب ص١٩٨.

(٣) هو الحسن بن عيسى بن ماسَرْجِسْ أبو علي النيسابوري ثقة من العاشره مات سنة ٢٤٠، التقريب ص١٦٣. وماسَرْجِسْ بفتح السين وسكون الراء وكسر الجيم، المغني في ضبط أسماء الرجال ص٢٢٠.

(٤) تاريخ بغداد ٢٤٨/١.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٠٨.

(٦) البداية والنهاية ١٥٣/١١.

(٧) الأنساب ٣/ ٢٤١.

المزكي: سمعت السَّراج يقول: نظر محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب التاريخ تصنيفي، وكتب منه بخطه أطباقاً قرأتها عليه. (١) وقال أبو حامد الفقيه: سمعت أبا العباس يوماً يقول لبعض من حضر- وأشار إلى كتب على منضدة- قال: هذه سبعون ألف مسألة لمالك مانفضت التراب عنها منذ كتبتها. (٢) وقد ذكر أبو عبدالله الحاكم أنه ممن أفرد الإخوة والأخوات بتصنيف مستقل فقال: وهو علم برأسه عزيز وقد صنَّف أبو العباس السَّراج رحمه الله فيه كتاباً. (٣)

وقال إسماعيل بن نجيد: رأيت أبا العباس السَّراج يركب حماره، وعباس المستملي بين يديه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقول: ياعباس! غير كذا، اكسر كذا. (٤)

صلة السراج بشيخه الذهلي:

تلقى أبو العباس علم الحديث عن شيخه الذهلي وعن غيره، ولكن علاقته بالذهلي كانت متميزه بالود والإحترام.. كما كان الذهلي مقدراً للسَّراج علمه وفضله، فقد كان طلبة العلم يكتبون عنه في مجلس الذهلي، وهو يكتب عن شيخه، وفي هذا يقول عن نفسه بعد وفاة الذهلي بعقود: في سنة ثلاث وثلاثمائة كتبوا عني في مجلس محمد بن يحيى منذ نيف وستين سنة. (٥)

وفاته:

توفي في ربيع الآخر سنة ٣١٣ وله سبع وتسعون سنة. (٦)

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٥٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٣٢.
(٢) تاريخ بغداد ١/ ٢٥١.
(٣) معرفة علوم الحديث ص ١٥٣.
(٤) السير ١٤/ ٣٩٤.
(٥) تاريخ بغداد ١/ ٢٥٠.
(٦) طبقات الشافعيه الكبرى ٣/ ١٠٩.

٥ - صالح جزرة (*)

نسبه ومولده :

هو صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب بن حسان أبو علي الأسدي البغدادي الملقب جزرة . ولد سنة ٢٠٥هـ ببغداد . (١)

أشهر شيوخه وتلاميذه :

سمع من أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي ابن المديني ، وعلي بن الجعد(٢) ، وأبي بكر ابن أبي شيبة ، ومحمد بن عبدالله بن نمير ، وأحمد بن صالح المصري ، والحكم بن موسى ، وخلق سواهم .

سمع منه مسلم بن الحجاج ، ومحمد بن محمدبن صابر ، (٣) وخلف بن محمد الخيام (٤) وأحمد بن سهل(٥) ، وأبو النضر محمد بن محمد الفقيه(٦) ، والهيثم بن كليب الشاشي (٧) ، وسواهم .

(*) تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤١ ، البداية والنهاية ١١/ ١٠٢ ، شذرات الذهب ٢/ ٢١٦ ، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٩ ، المنتظم ١٣/ ٥٢ ، طبقات علماء الحديث ٢/ ٣٤٨، العبر ١/ ٤٢٥ ، نزهة الألباب في الألقاب ١/ ١٧٠ .

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٢، السير ١٤/ ٢٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٢ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٧١ .

(٣) هو الشيخ المسند أبو عمرو محمد بن محمد بن صابر البخاري المؤذن، توفي سنة ٣٧٧، السير ٣٢٨/١٦.

(٤) هو الشيخ المحدث أبو صالح خلف بن محمد بن إسماعيل البخاري الخيام، كان بندار الحديث بما وراء النهر سنة٣٦١، السير ١٦/ ٧٠.

(٥) هو الحافظ الإمام المتقن أبو العباس أحمد بن سهل بن بحر النيسابوري، توفي سنة ٢٨٢، السير ٥١٥/١٣.

(٦) هو الإمام الحافظ الفقيه أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف الطوسي، شيخ الشافعية بخراسان، مات سنة ٣٤٤، السير ١٥/ ٤٩٠.

(٧) هو الإمام الحافظ الثقة الرحال، أبو سعيد، الهيثم بن كليب بن سريج الشاشي التركي، مات بسمرقند سنة ٣٣٥، السير ١٥/ ٣٥٩.

ثناء العلماء عليه :

قال الدار قطني : كان ثقة حافظاً عارفاً [(١)] . وقال الخطيب : كان حافظاً عارفاً من أئمة الحديث ، وممن يرجع إليه في علم الآثار ، ومعرفة نقلة الأخبار رحل كثيراً ، ولقي المشايخ بالشام ومصر وخراسان [(٢)] .

وقال الإدريسي : ما أعلم بعصر صالح بالعراق ولا بخراسان في الحفظ مثله ، دخل ما وراء النهر فحدث مدة من حفظه ، وما أعلم أخذ عليه خطأ فيما حدث ، رأيت ابن عدي يفخم أمره ويعظمه [(٣)] . وقال ابن العماد : رحل إلى الشام ومصر والنواحي وصنَّف وجرَّح وعدَّل وكان صاحب نوادر ومزاح [(٤)] ، وقال ابن الجوزي : كان صدوقاً أميناً من الحفاظ الثقات [(٥)] وقد قيل في سبب تسميته أنه كان يقرأ على محمد بن يحيى الذهلي الزهريات ، فلما بلغ حديث عائشة أنها كانت تسترقي من الخرزة ، قال : من الجزرة ، فلقب بجزرة . وقد استدرك الخطيب على ناقل الخبر وهو أبو حامد ابن الشرقي فقال : هذا غلط لأن صالحاً لقب جزرة قديماً في حداثته ، وكان سبب ذلك ما ذكره عن نفسه قال : قدم علينا بعض الشيوخ من الشام ، وكان عنده عن جرير بن عثمان فقرأت أنا عليه حدثكم جرير بن عثمان . قال : كان لأبي أمامة خرزة ، يرقي بها المريض ، فصحفت الخرزة . فقلت : كان لأبي أمامة جزرة وإنما هو خرزة [(٦)] وذكر ابن حجر في ذلك قصة أخرى وهي أنه كان في الكتَّاب فأهدى الصبيان للمؤدب هدايا ، فكانت هديته هو جزرة فلقب بها [(٧)] .

---

(١) السير ١٤/ ٢٤ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٢ .

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٢ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٢ .

(٤) شذرات الذهب ٢/ ٢١٦ .

(٥) المنتظم ١٣/ ٥٢ .

(٦) تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٣ ، السير ١٤/ ٢٥ .

(٧) نزهة الألقاب ١/ ١٧٠ .

صلة صالح بشيخه الذهلي :

ورد صالح جزرة نيسابور سنة ٢٥٣ - قبل وفاة الذهلى بخمس سنوات فلازمه وأكثر عنه وقرأ عليه الزهريات[(١)]، وقد عرف صالح جزرة بخفة الظل، وحلو الدعابة. . . فبعد أن توفي الذهلي جلس في مجلسه محدث كان يصحِّف، فكأنه تذكر مكانة الذهلي وأيامه. فأرسل إلى أبي حاتم في الرّى يخبره بما حصل: قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول لأبي زرعة: حفظ الله أخانا صالح بن محمد، لا يزال يضحكنا شاهداً وغائباً، كتب إليَّ يذكر أنه مات محمد ابن يحيى الذهلي، وجلس للتحديث شيخ يعرف بمحمد بن يزيد محمش، فحدَّث أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ياأبا عمير، ما فعل البعير؟»[(٢)].

وفاته :

توفي الإمام صالح جزرة رحمه الله فى آخر سنة ٢٩٣هـ[(٣)].

٦ - محمد بن نصر المروزى [(*)]

نسبه ومولده :

هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزى الفقيه أبو عبد الله الحافظ أحد علماء الأمة، وعقلائها وعبادها.[(٤)]

---

(١) أنظر السير ١٤/ ٣١، تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٢.

(٢) ولفظة البعير محرفة عن النُّغَيْرْ. انظر السير ١٤/ ٢٧. ولفظ الحديث كما أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب (٨١) الانبساط إلى الناس (٧/ ١٣٣) ومسلم في كتاب الآداب باب (٥) استحباب تحنيك المولود. . . الخ٣/ ١٦٨٩ كليهما من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير؟» واللفظ للبخاري.

(٣) السير ١٤/ ٣١.

(*) تاريخ بغداد ٣/ ٣١٥، طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٤٦، السير ١٤/ ٣٣، البداية والنهاية ١١/ ١٠٢، المنتظم ١٣/ ٥٤، العبر ١/ ٤٢٦، شذرات الذهب ٢/ ٢١٦، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٢، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٩٢ للإمام محيي الدين بن شرف النووي، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٩، طبقات علماء الحديث ٢/ ٣٦٠، مفتاح السعادة ٣/ ٢٨٢، الرسالة المستطرفة ص ٤٦.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٣١٥، السير ١٤/ ٣٣، طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٤٦.

ولد سنة ٢٠٢هـ ببغداد ، ونشأ بنيسابور ، وسكن سمرقند وكان أبوه مروزياً[(١)] .

أشهر شيوخه وتلاميذه :

سمع من يحيى بن يحيى النيسابوري ، وإسحاق بن راهوية ، وأبي قدامة السرخسي[(٢)] وعبيد الله بن معاذ العنبري[(٣)] ، وابن أبي الشوارب ، ومحمد بن بشار (بندار)[(٤)] وخلق روى عنه محمد بن يعقوب بن الأخرم النيسابوري ، وأبو العباس السراج ، وأبو حامد ابن الشرقي ، وخلق سواهم .

(ثناء العلماء عليه) :

قال الحاكم : إمام عصره بلا مدافعة في الحديث[(٥)] وقال الخطيب : كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في ا لأحكام[(٦)] وقال ابن حزم : أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن ، وأضبطهم لها ، وأذكرهم لمعانيها ، وأدراهم بصحتها ، وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه ، وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتمّ منها في محمد بن نصر المروزي[(٧)] .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٤٦ .

(٢) هو عبيدالله بن سعيد بن يحيى أبو قدامة السَّرْخَسي مولى بني يشكر ، ثقة مأمون سُنِّي ، توفي سنة ٢٤١ ، المعجم المشتمل ص ١٨٠ ، التقريب ص ٣٧١ .

(٣) هو عبيدالله بن معاذ أبو عمرو العنبري البصري ، مات سنة ٢٣٧ . المعجم المشتمل ص ١٨١ .

(٤) هو محمد بن بشار بن عثمان بن داود العبدي البصري يكني أبا بكر ولقبه بندار ، مات سنة ٢٥٢ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٢/ ٤٣٥ ، نزهة الألباب في الألقاب ١/ ١٣٣ . وانظر معنى(بندار) في ص١٣٨ .

(٥) السير ١٤/ ٣٣.

(٦) تاريخ بغداد ٣/ ٣١٥.

(٧) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٤٧ .

وقال النووي: هو الامام البارع العلامة في فنون العلم[1]، وقال ابن العماد: أحد الأعلام كان رأساً فى الفقه، رأساً فى الحديث، رأساً فى العبادة ثقة عدلاً خيراً[2]، وقال ابن عبد الحكم: كان محمد بن نصر المروزي عندنا إماماً فكيف بخراسان[3] قال محمد بن يعقوب الحافظ: ما رأيت أحسن صلاة من أبي عبد الله محمد بن نصر وكان يقرأ، وكان الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم فلا يذبه عن نفسه، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيئته فى الصلاة. كان يضع ذقنه على صدره وينتصب كأنه خشبة[4].

صلة أبي عبد الله المروزي بشيخه الذهلي:

من يطالع كتابَي أبى عبد الله محمد بن نصر «تعظيم قدر الصلاة» و«قيام الليل» يدرك مدى الصلة الوثيقة بينه وبين شيخه الذهلي.. فلا يكاد القارئ يمرُّ بصفحتين أو ثلاث إلا ويجد له رواية أو أكثر، بل إن رواياته عنه فى كتاب «تعظيم قدر الصلاة، مثلت ما يقارب ربعه... وسيأتى سردها جميعاً مسلسلة بالأرقام مع كتاب قيام الليل[5] فى ملحق مرويات الامام الذهلي.

كما كان الامام الذهلي يبادل تلميذه محمد بن نصر المحبَّة والتقدير والاعتراف بالفضل والعلم. فكان إذا سئل عن مسألة وهو مفتي نيسابور قال: «سلوا أبا عبد الله المروزي»[6] كما أقرله بالفتوى فى نيسابور حيكان ابن الذهلي بعد وفاة أبيه، وهذا من بر الأبناء بالأبآء، فانفاذ عهدهما وصلة وتقدير صديقهما من أكبر معانى البر والطاعة.

(١) تهذيب الأسماء واللغات١/ ٩٣.
(٢) شذرات الذهب ٢/ ٢١٦.
(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣١٩.
(٤) المنتظم ١٣/ ٥٥.
(٥) انظر أرقام الروايات في كلا الكتابين في ملحق روايات الذهلي. ص ١١٥٧ ـ ١١٧٢، ص١١٧٣ ـ ١١٧٥.
(٦) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٢، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦.

قال الذهبي: وكان وقت مقامه بنيسابور هو المقدم والمفتى بعد وفاة محمد بن يحيى، فإن حيكان- يعنى ولد محمد بن يحيى- ومن بعده أقروا له بالفضل والتقدم.[1]

وفاته:

قال ابن العماد: سكن سمرقند إلى أن توفي بها سنة ٢٩٤هـ[2]

٧ ـ عبد الله بن محمد بن زياد النيسابورى (*)

نسبه ومولده:

هو عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل أبو بكر النيسابورى الفقيه[3].

ولد سنة ٢٣٢هـ[4]

أشهر شيوخه وتلاميذه:

سمع من أحمد بن يوسف السلمى، وأبي زرعة الرازى، وأحمد بن الأزهر، وأحمد بن حفص، وعباس بن محمد الدوري، وسواهم. وعنه ابن عقدة[5]

---

(١) السير ١٤/ ٣٦.

(٢) شذرات الذهب ٢/ ٢١٧.

(*) مصادر ترجمته:
المنتظم ١٣/ ٣٦٣، تاريخ بغداد ١٠/ ١٢٠- السير ١٥/ ٦٥، البداية والنهاية ١١/ ١٨٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨١٩، طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣١٠، طبقات علماء الحديث ٣/ ٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٢٤، طبقات الشافعية ١/ ١١١ لأبي بكر تقي الدين ابن قاضي شهبه الدمشقي، باعتناء د. عبد العليم خان، العبر ٢/ ٢٢، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨١٩، شذرات الذهب٢/ ٣٠٣.

(٣) شذرات الذهب ٢/ ٣٠٢.

(٤) طبقات الشافعيه الكبرى ٣/ ٣١٠.

(٥) سبقت ترجمته ص ١٣٠.

وأبو علي النيسابوري[1] والدارقطني[2] وابن شاهين[3]، وحمزة بن محمد الكناني[4] وسواهم من كبار الأئمة.

ثناء العلماء عليه:

قال الدار قطني: لم نر في مشايخنا أحفظ منه للأسانيد والمتون، وكان أفقه المشايخ، جالس المزني، والربيع، وكان يعرف زيادات الألفاظ والمتون[5]، وقال أيضاً: ما رأيت أحداً أحفظ من أبي بكر النيسابوري[6] وقال الحاكم: كان إمام عصره من الشافعية بالعراق، ومن أحفظ الناس للفقهيات واختلاف الصحابة[7] وقال ابن بطَّة: كنّا نحضر مجلس ابن زياد وكان يحزر من يحضره من أصحاب المحابر ثلاثين ألفاً[8] وقال الذهبي: قد كان أبو بكر من الحفاظ المجوِّدين(٩) وقال الخطيب: كان حافظاً متقناً، عالماً بالفقه، ثقة[10]

---

(١) هو الحسين بن علي بن يزيد بن داود أبو علي النيسابوري، أحد النقاد، توفي ٣٤٩، السير ١٦/ ٥١.

(٢) هو علي بن عمر بن أحمد أبو الحسن الدار قطني الإمام الجليل الحافظ صاحب المصنفات، توفي سنة٣٨٥، طبقات الشافعية ٣/ ٣٦٢. والدار قطني نسبة إلى دار القطن محلة كبيرة ببغداد. الأنساب ٢/ ٤٣٨.

(٣) هو الشيخ العالم الحافظ عمر بن أحمد بن عثمان أبو حفص ابن شاهين البغدادي، ثقة، توفي ٣٨٥، السير ١٦/ ٤٣١.

(٤) حمزة بن محمد بن علي بن العباس أبو القاسم الكناني الإمام الحافظ محدث الديار المصرية، سنةتوفي ٣٥٧، السير ١٦/ ١٧٩.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢١.

(٦) السير ١٥/ ٦٦.

(٧) تذكرة الحفاظ ٣/ ٨١٩.

(٨) البداية والنهاية ١١/ ١٨٦، العبر ٢/ ٢٠١، طبقات الشافعيه الكبرى ٣/ ٣١٠، شذرات الذهب ٢/ ٣٠٢.

(٩) السير ١٥/ ٦٢.

(١٠) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢١، طبقات علماء الحديث ٣/ ٥.

صلة ابن زياد بشيخه الذهلي :

وقد كان ابن زياد على قدر كبير من العلم والفقه، وحسن إيراد الحديث حتى أصبح رأساً في معرفة زيادات المتون والإعتناء بطرقها . . وقد أخذ عن الذهلي في نيسابور ثم استوطن بغداد وحدث بها عن الذهلي أيضاً لما وردها[1] . . . وجمع عنه وعن غيره حتى فاق أقرانه وذاعت تصانيفه .

وفاتــــه :

توفي ابن زياد رابع ربيع الآخر سنة (٣٢٤هـ) [2] .

٨ - ابن الجارود (*)

نسبه ومولده :

هو عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري الامام الحافظ الناقد المجاور بمكة[3] مصنف كتاب المنتقى في الاحكام .[4] وقد ولد ابن الجارود في حدود سنة ٢٣٠هـ[5]

أشهر شيوخه وتلاميذه :

سمع من اسحاق الكَوْسَجْ، ويعقوب الدورقي، وأحمد بن الأزهر، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، والحسن بن محمد

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢٠ .

(٢) طبقات الشافعيه الكبرى ٣/ ٣١٢ .

(*) مصادر ترجمته

السير ١٤/ ٢٣٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٩٤، طبقات علماء الحديث ٢/ ٤٦٨، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٢/ ٥٧٠ لإسماعيل باشا البغدادي، باعتناء محمد شرف الدين والمعلم رفعت الكليسي . ، هدية العارفين ١/ ٤٤٤ . الرساله المستطرفة ص ٢٥ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٩٤، السير ١٤/ ٢٣٩، طبقات علماء الحديث ٢/ ٤٦٨ .

(٤) الرسالة المستطرفة ص ٢٥ .

(٥) السير ١٤/ ٢٣٩ .

. الزعفراني[1]، وعبد الله بن هاشم الطوسي، وعلي بن خشرم[2]، وعبد الرحمن ابن بشر بن الحكم. وحدث عنه أبو حامدا بن الشرقي، ويحيى بن منصور القاضي[3]، ودَعْلَجْ السِّجْزِيْ[4] وأبو القاسم الطبراني[5]، وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال ابن عبد الهادي: هو الحافظ الإمام المسند[6] وقال الذهبي: كان من أئمة الأثر[7]وقال أيضاً: أثنى عليه الحاكم والناس [8] وقال في موضع آخر: كان من العلماء المتقنين المجودين[9].

صلة ابن الجارود بشيخه الذهلي:

كان ابن الجارود من المكثرين في الرواية عن الإمام محمد بن يحيى الذهلي وفي كتابه «المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في

---

(١) هو الحسن بن محمد بن الصباح أبو علي البغدادي الزعفراني. قال النسائي ثقة، توفي ٢٦٠، السير ١٢/ ٢٦٢.

(٢) هو علي بن خشرم بن عبدالرحمن بن عطاء أبو الحسن المروزي ابن أخت بشر الحافي، توفي سنة ٢٥٧، السير ١١/ ٥٥٢.

(٣) هو يحيى بن منصور بن عبدالملك أبو محمد، قاضي نيسابور، كان غزير الحديث، مات سنة ٣٥١، السير١٦/ ٢٨.

(٤) هو دَعْلَجْ بن أحمد بن دَعْلَجْ المحدث الحجة الفقية أبو محمد السجستاني البغدادي التاجر، توفي سنة ٣٥٣، السير ١٦/ ٣٠. ودعلج بفتح الدال واللام بينهما ساكنة. المغني في ضبط أسماء الرجال ص١٠١، والسجزي نسبة إلى سجستان على غير قياس كما قال ابن ماكولا، انظر الإكمال ٤/ ٥٥٠، والأنساب ٣/ ٢٢٣.

(٥) هو سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الشامي الطبراني محدث الإسلام، صاحب المعاجم الثلاثة، توفي سنة ٣٦٠، السير ١٦/ ١١٩.

(٦) طبقات علماء الحديث ٢/ ٤٦٨.

(٧) السير ١٤/ ٢٤٠.

(٨) المصدر السابق.

(٩) تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٩٤.

الأحكام»(١) ما يعادل ثلث أحاديث المصنَّف والبالغ عددها ١١١٤ حديثاً روى عن شيخه الذهلي منها أسانيد كثيرة جداً وقد حصرتها في جدول خاص في ملحق مرويات الإمام الذهلي مع بيان مشايخه فيها وقد علّق العلماء على هذا الكتاب وبينوا منزلته من الصحة. فقال ابن عبد الهادى: كتاب «المنتقى» مجلد في السنن، وهر نظيف الأسانيد(٢) وقال الحافظ الذهبي: كتاب «المنتقى» في السنن مجلد واحد في الأحكام، لا ينزل فيه عن رتبة الحسن أبداً، إلا في النادر في أحاديث يختلف فيها إجتهاد النقاد(٣). وذكر الكتاب الكتاني في رسالته(٤) واسماعيل باشا(٥).

وفاتــه:

توفى رحمه الله سنة ٣٠٧هـ(٦).

٩ - عبد الله ا بن أبي داود السجستاني(*)

نسبه ومولده:

هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق، أبو بكر ابن أبي داود الأزدي السجستاني(٧). ولد بإقليم سجستان سنة ٢٣٠(٨).

---

(١) شرح الكتاب أبو عمرو الأندلسي واعتنى بأحاديثه أبو إسحاق الحويني الأثري وخرجها وسمّى تخريجه«غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود» نشرته دار الكتاب العربي في مجلدين.

(٢) طبقات علماء الحديث ٢/ ٤٦٩.

(٣) السير ١٤/ ٢٣٩.

(٤) الرسالة المستطرفة ص ٢٥.

(٥) هدية العارفين ١/ ٤٤٤، وايضاح المكنون ٢/ ٥٧٠.

(٦) تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٩٤.

(*) تاريخ بغداد ٩/ ٤٦٤، وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٥، المعين في طبقات المحدثين ص ١٦١. السير ١٣/ ٢٢١، ميزان الإعتدال ٣/ ١٤٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٦٧، العبر في خبر من غبر ١/ ٤٧١، طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣٠٧، لسان الميزان ٣/ ٣٦٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٠، الفهرست ص ٢٨٨، الكامل في الضعفاء ٤/ ٢٦٥، شذرات الذهب ٢/ ٢٧٣.

(٧) تاريخ بغداد ٩/ ٤٦٤.

(٨) طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٣٦.

أشهر شيوخه وتلاميذه :

سمع من أبيه، وأحمد بن الازهر، واسحاق الكوسج، ومحمد بن عبد الله المُخَرِّمي[(١)] ويعقوب الدورقي، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، وأحمد بن صالح المصري، والحسن بن عرفة، وروى عنه أبو الحسن الدارقطني، وأبو أحمد الحاكم، وأبو عبد الله ابن بطّة[(٢)]، وابن حبان، وابن أبي حاتم . وسواهم .

ثناء العلماء عليه :

قال ابن أبي يعلى: رحل به والده من سجستان، فطوف به شرقاً وغرباً، وأسمعه من علماء ذلك الوقت سمع بخراسان، والجبال، وأصبهان، وفارس، والبصرة، وبغداد، والكوفة، والمدينة، ومكة، والشام، ومصر، والجزيرة، والثغور، واستوطن بغداد، وصنف المسند، والسنن، والتفسير، والقراءات، . . . . وكان فهما عالماً حافظاً[(٣)] وقال السبكي: الحافظ ابن الحافظ أحد الأجلاء[(٤)] وقال ابن خلّكان: كان من أكابر الحفاظ ببغداد عالماً متفقاً عليه إمام ابن إمام[(٥)] وقال ابن الجوزي: وصنف الكتب، وكان عالماً فهماً من كبار الحفاظ، نصب له السلطان منبراً فحدث عليه، وكان في وقته مشايخ وعلماء، لكنهم لم يبلغوا في الإتقان ما بلغ .[(٦)] وقال ابن حجر: وقد كان أبو بكر من كبار الحفاظ والأئمة الأعلام[(٧)] وقال الذهبي: كان من بحور العلم بحيث إن بعضهم فضّله على أبيه[(٨)] وقد اعتذر بعض من ألف في الضعفاء عن إيراده في

(١) هو محمد بن عبد الله بن المبارك أبو جعفر القرشي مولاهم البغدادي المُخَرِّمي، قال الدارقطني: كان حافظاً ثقة، توفي ٢٥٤، السير ١٢/ ٢٦٥ . والمخرمي بضم الميم وفتح الخاء وتشديد الراء المكسورة نسبة إلى المخرم محلة ببغداد، الأنساب ٥/ ٢٢٣ .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ابن بطة مصنف كتاب «الإبانة» العابد الفقيه، توفي سنة ٣٨٧، السير ١٦/ ٥٢٩ .

(٣) طبقات الحنابلة ٢/ ٥١ .

(٤) طبقات الشافعيه الكبرى ٣/ ٣٠٧،

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٥ .

(٦) المنتظم ١٣/ ٢٧٥ .

(٧) لسان الميزان ٣/ ٣٦٦ .

(٨) السير ١٣/ ٢٢٣ .

كتابه مثل ابن عدي حيث قال: لولا ما شرطنا والا لما ذكرته[1].. ويكفي ما سبق من ثناء الأئمة عليه وبيان مكانته ومنزلته .

صلة عبد الله بشيخه الذهلي :

كان أبو بكر ابن أبي داود ممن خالط الإمام الذهلي عن قرب واستفاد من علمه، واطلع على تمكنه من علم الحديث وعلله، ومعرفته التامَّة بالرجال وأحوالهم حتى وصفه «بأمير المؤمنين في الحديث» وهي شهادة من إمام عالم متقن عارف بأئمة هذا الشأن، نقل الذهبي في سيره قال: قال ابن أبي داود: «حدثنا محمد بن يحيى، وكان أمير المؤمنين في الحديث»[2]. وهو لقب يدل على معرفة ملقبه بمن لقبه، ومدى استحقاقه إياه علماً ورواية وخلقاً وفضلاً .

وفاته :

مات ابن أبي داود في ذي الحجة سنة (٣١٦هـ)[3] .

١٠ـ أحمد بن المبارك أبو عمرو المستملي[*]

نسبه ومولده :

هو أحمد بن المبارك أبو عمرو المستملي النيسابوري يلقب بحكمويه العابد .[4]

---

(١) الكامل ٤/ ٢٦٦، ميزان الإعتدال ٣/ ١٤٧، لسان الميزان ٣/ ٣٦٤. وسيأتي في ص ٢١٢ مزيد من كلام الإمام الذهبي في الثناء عليه، وتوجيه ما قيل فيه.

(٢) السير ١٢/ ٢٨١، تذهيب التهذيب ٤/ لوحه ٩ مخطوط .

(٣) العبر ١/ ٤٧١، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٠.

(*) المنتظم ١٢/ ٣٧٤، البداية والنهاية ١١/ ٧٧، العبر ١/ ٤٠٩، السير ١٣/ ٣٧٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٤، شذرات الذهب ٢/ ١٨٦، طبقات علماء الحديث ٢/ ٣٥١، النجوم الزاهرة ٣/ ١٢٨.

(٤) تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٤.

أشهر شيوخه وتلاميذه:

سمع من قتيبة بن سعيد[١] واسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وسهل ابن عثمان العسكري[٢] وسريج بن يونس[٣]، وعبيد الله القواريري. وعنه سعيد ابن اسماعيل الحيرى، وأبو حامد ابن الشرقي، وزنجويه بن محمد[٤] ومحمد بن يعقوب ابن الأخرم، ومحمد بن داود الزاهد.[٥]

ثناء العلماء عليه:

قال ابن الجوزي: «وكان راهب أهل عصره يصوم النهار ويحيي الليل واستملى على المشايخ ستاً وخمسين سنة»[٦] وقال ابن العماد: «كان مع سعة روايته راهب عصره مجاب الدعوة»[٧] وقال الذهبي «الحافظ العالم، الزاهد، العابد، المجاب الدعوة .... وكتب الكثير وما زال يعالج هذا الفن حتى توفي»[٨].

---

(١) هو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف أبو رجاء الثقفي البَغْلاني، مولى الحجاج بن يوسف، مات سنة ٢٤٠، المعجم المشتمل ص ٢١٨. والبغلاني بفتح الباء وسكون الغين، نسبة إلى بغلان بلدة بنواحي بلخ، الأنساب ١/ ٣٧٦.

(٢) هو سهل بن عثمان أبو مسعود العسكري الإمام الحافظ المجود الثبت، مات سنة ٢٣٥، السير ١١/ ٤٥٤.

(٣) هو سريج بن يونس أبو الحارث المروزي الإمام الحافظ، قال الذهبي: كان رأساً في السنة، مات سنة ٢٣٥، السير ١١/ ١٤٦.

(٤) هو زنجويه بن محمد بن الحسن النيسابوري اللَّبَّادْ، الزاهد العابد الثقة، توفي سنة ٣١٨، السير ١٤/ ٥٢٢. واللباد بفتح وتشديد اللام والباء نسبة إلى بيع اللُّبود وعملها، الأنساب ٥/ ١٢٤.

(٥) هو محمد بن داود بن سليمان النيسابوري أبو بكر الزاهد، قال الذهلي: حسن المعرفة، من أوعية العلم توفي ٣٤٢، السير ١٥/ ٤٢٠.

(٦) المنتظم ١٢/ ٣٧٤.

(٧) شذرات الذهب ٢/ ١٨٦.

(٨) السير ١١/ ٣٧٣-٣٧٤.

وقال أيضاً : «وكان من علماء الحديث استملى من سنة ثمان وعشرين إلى أواخر أيامه . . . . كان أبو عمرو يصوم النهار، ويحيي الليل» [١] ووصفه الإمام ابن عبد الهادى في طبقاته بـ«الحافظ القدوة الزاهد المجاب الدعوة قال: وكان من علماء الحديث . » [٢]

صلة المستملي بشيخه الذهلي :

كان أبو عمرو المستملي يُكنُّ لشيخه الذهلي وابنه حيكان حباً وتقديراً كبيرين، بل كان من المقربين إليه حال وفاته فقد قال: «دفنت من كتب محمد بن يحيى بعد وفاته ألفي جزء» [٣] والذى يظهر أن ذلك بوصية من الذهلي نفسه [٤].

كما كان ينقل أخباره ونشاطه العلمي إلى الإمام أحمد قال «أتيت أحمد بن حنبل، فقال: من أين أنت؟ قلت: من نيسابور. قال: أبو عبد الله محمد بن يحيى له مجلس؟ قلت: نعم . قال: لو أنه عندنا لجعلناه إماماً في الحديث. . . » [٥]

ومما يدّل على عظيم محبته للذهلي وابنه لوعته وحزنه عقب استشهاد يحيى بن محمد (حيكان) وتغير حاله ووقوفه في وجه المعتدي الظالم الخجستاني وأخذه بعنانه وزبره إياه : يا ظالم قتلت الإمام ابن الإمام، العالم ابن العالم . . . !! [٦] . . . وهذه اللوعة على الذهلي وابنه تدلُّ على مكانتيهما في نفوس الناس وفي نفس المستملي. رحم الله الجميع .

وفاتـــه :

قال الذهبي : « مات محدث نيسابور أبو عمرو في جمادى الآخرة سنة ٢٨٤هـ . [٧]

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٤ .
(٢) طبقات علماء الحديث ٢/ ٣٥١.
(٣) السير ١٢/ ٢٧٨.
(٤) انظر تحليل هذا الأمر في ص ٢٢٥ .
(٥) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣١ .
(٦) السير ١٢/ ٢٨٨.
(٧) السير ١٣/ ٣٧٥.

الفصل الثاني

مكانته العلمية والاجتماعية وآثاره

وتحته المباحث التاليـــة :

المبـحث الأول : مكانتـه العلميـة بين نقاد الأخـبـار والرجال .

المبـحث الثاني : آثـــــاره .

المبـحث الثالث : مكانته الإجتماعية بين معاصريه وثناء العلماء عليه .

المبحث الأول
مكانته العلمية بين نقاد الأخبار والرجال

لقد شَرُفَت العصور الأولى للأمَّة الاسلامية بشخصيات فَذَّة، كانت لها الجهود الواضحة في الرحلة والمتابعة، والحفظ والمدارسة للحديث وعلومه، وتركت آثاراً باقية إلى هذه اللحظة، وإلى ما يشاء الله تعالى. سواءً في معرفة الحديث ومتونه وأسانيده وسائر ما يطرأ عليهما مما يترتب عليه قبوله أوردّه. أو في معرفة الرواة وما يتصل بأسمائهم وبلدانهم، وطلبهم للعلم، وجرحهم وتعديلهم، وولادتهم ووفياتهم.

وتفننوا في التصنيف على الموطآت[1] والمسانيد[2] والصحاح والعلل[3] . . الخ وهم طبقات متوالية. كل طبقة تأخذ عن سلفها وتبلغ من يخلفها.

والإمام محمد بن يحيى الذهلي أحد رجال الحديث ونقاده، واسم لامع في فترة نضوج التأليف في الحديث، والتقعيد والتأصيل لشتى فنونه. وهي ما يسمى بالعصر الذهبي[4] للسنَّة.

---

(١) الموطآت: جمع موطأ. والموطأ لغة: المسهَّل المهيأ. وفي الإصطلاح: «هو الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية ويشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة» انظر أصول التخريج ودراسة الأسانيد د. محمود الطحان ص ١٣٥ وفيه معنى الموطأ وسبب تسميته بذلك.

(٢) قال الكتاني: المسانيد، جمع مسند، وهي الكتب التي موضوعها جعل حديث كل صحابي على حدة، صحيحاً كان أو حسناً أو ضعيفاً، مرتبين على حروف الهجاء في أسماء الصحابة، أو على القبائل، أو السابقة في الإسلام أو الشرافة النسبية. الرسالة المستطرفة ص ٦٠.

(٣) قال العلامة صديق خان: ومنهم من رتب على العلل بأن يجمع في كل متن طرقه واختلاف الرواة فيه بحيث يتضح ارسال مايكون متصلاً، أو وقف مايكون مرفوعاً أو غير ذلك. الحطَّة في ذكر الصحاح الستة ص ٦٣.

(٤) سميت تلك الفترة بالعصر الذهبي للحديث لأنها مثلت قمة العطاء العلمي، سواء في انتشاره في البلدان والآفاق، أو جمعه وتدوينه، أو ظهور المصنفات والمؤلفات المتنوعة المؤصلة. مع بروز شخصيات علمية وصلت بهذا العلم إلى مرتبة عالية وشأو بعيد في تصحيحه =

وقد كان لتتلمذه على كبار المحدثين الذين استفاضت شهرتهم، وعُلمت بالضرورة إمامتهم ولرحلته الواسعة، ونصبه في طلب العلم، والمسآءلة فيه الأثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية، وإبرازه محدثاً وناقداً ومصنفاً يحتل مكانة مرموقة ضمن ذلك الحشد المبارك من العلماء. الذين جمعوا بين صفاء العقيدة، والعلم والعمل، ومخالطة طلبة العلم، بل وعوام الناس، والوقوف على مشكلاتهم العلمية والإجتماعية.

وقد كانت الفترة التى عاشها الذهلي ١٧٢-٢٥٨هـ تمثل حلقة مهمة ومتوسطة بين حلقات تخريج النقاد المشهورين، والمصنفين المرموقين، ومعظمهم من شيوخه وتلاميذه. **فمن الشيوخ** أمثال عبد الرحمن بن مهدى (توفي سنة ١٩٨هـ)، وعبد الرزاق (٢١١) وأبى عاصم النبيل (٢١١)، وأبي اليمان (٢١٢)، وأبى مسهر (٢١٨) ويحيى بن يحيى (٢٢٤)، ويحيى بن معين(٢٣٣)، وعلي ابن المديني(٢٣٥) وإسحاق بن راهويه (٢٣٨)، وأحمد بن حنبل(٢٤١).

ومن التلاميذ:

أمثال البخارى(٢٥٦)، ومسلم(٢٦١)، وأبي داود (٢٧٥)، والترمذي (٢٧٩) والنسائي (٣٠٣)، وابن ماجه(٢٧٣)[1]، وابن خزيمة (٣١١)، وعبد الله ابن سليمان بن الأشعث(٣١٦)، وأبي عمرو المستملي(٢٨٤)، وأبي العباس السَّراج (٣١٣) وسواهم.

= وتضعيفه ومعرفة رجاله، ومعانيه. وقد تحدث الحافظ ابن الأثير عن مبدأ الجمع والتأليف وانتشار علم الحديث وبيّن عصور نشأته حتى القرن الثالث، فقال فيه: ثم انتشر جمع الحديث وتدوينه، وسطره في الأجزاء والكتب، وكثر ذلك وعظم نفعه إلى زمن الإمامين البخاري ومسلم، ..... ثم ازداد انتشار هذا النوع من التصنيف والجمع والتأليف.... فكان ذلك العصر خلاصة العصور في تحصيل هذا العلم، وإليه المنتهى، ثم من بعده نقص ذلك الطلب بعد، وقلّ ذلك الحرص، وفترت تلك الهمم... الخ مقدمة جامع الأصول من أحاديث الرسول، بتصرف يسير ١/١٦-١٧.

(١) لم أترجم لأصحاب الكتب الستة لشهرتهم في الأمة، وترجمة للباقين زيادة في التعريف بهم.

ومن يتابع سيرة الإمام الذهلي العلميَّة . . يلمس مدى إخلاصه وتفانيه في جمع سنة إمام المرسلين صلى الله عليه وسلم والحفاظ عليها، وقد شهد له العلماء وجهابذة النقاد في مختلف العصور بالإمامة في العلم وخلعوا عليه من بالغ الأمانة والثقة، وعلو الكعب في مختلف الميادين، وهو إلى جانب ذلك قد تقدم على مشايخه و بزَّ أقرانه في جمع حديث محمد بن شهاب الزهري والاعتناء به . . حتى اعتبروه متخصصاً فيه وفي معرفة رواته وطبقاتهم، وحديثه وعلله . . . واكتفوا بالإشارة إلى تقدمه في ذلك وسبقه لهم .

وهذا أوان بيان العلماء لطبقته بين معاصريه من أشهر مشايخه وتلاميذه . وطبقته بين العلماء ذوي الرحلة إلى الاقطار، وشهادات أشهر العلماء وكبار النقاد في مختلف العصور له بما يسلط الأضواء على مكانته المرموقة المشار إليها . وفي ذيل ذلك إشارة إلى مجالسه العلمية العامرة

أولاً: طبقته بين معاصريه بالنسبة لأحد العلماء المشهورين :

قال الحاكم : أصحاب اسحاق (يعني) ابن راهويه عندنا ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : محمد بن يحيى . . . ثم سرد جماعة متهم ابنه يحيى (حيكان) .

الطبقة الثانية : مسلم بن الحجاج . . . وسرد جماعة .

الطبقة الثالثة : خاتمتهم أبو العباس السرّاج .[1]

ثانيا : طبقته بين معاصريه بالنسبة لمشايخ الامام البخاري :

ذكر الإمام الذهبى في سيره طبقات شيوخ الإمام البخارى . فكان الامام الذهلي في الطبقة الخامسة والأخيرة منهم لأنه من أقرانه المتقاربين في السن

(١) السير ١١/ ٣٧٠.

والشيوخ. قال: (. . . . ثم الطبقة الخامسة: وهو محمد بن يحيى الذهلي الذي روى عنه الكثير ويدلسه، ومحمد بن عبد الله المخرمي، ومحمد بن عبدالرحيم صاعقة، وهؤلاء هم من أقرانه)(١).

ثالثاً: طبقته بين العلماء الراحلين إلى الأقطار:

لم يكن الشيخ يعرف مقداره عند المحدثين حتى يعلموا أنه قد رحل في طلب العلم وكلما توسعت رحلته كلما زاد مقداره وعلت منزلته. وذلك لجمعه عوالي الأسانيد وكبار الشيوخ وغير ذلك، وقد اعتنى بعض المحدثين ببيان أسماء الراحلين إلى الأقطار. ومنهم الإمام القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي. قال في كتابه المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: «. . . . الطبقة الرابعة . . . محمد بن يحيى النيسابوري . . . جمع بين العراق ومصر واليمن والشام»(٢).

رابعاً: شهادات معاصريه:

حظي الإمام الذهلي رحمه الله تعالى بمنزلة رفيعة، وثقة غالية من معاصريه، وهذا ثناء أئمة النقاد وسادة علماء الجرح والتعديل من مشايخه أحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني. بتقدمه في علم الحديث والاعتناء الفائق بحديث الزهري.

١ - ثناء الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١) عليه واعتداده بعلمه وإظهار فضله.

قال أبو عمرو المستملي: أتيت أحمد بن حنبل. فقال: من أين أنت؟ قلت: من نيسابور. قال: أبو عبد الله محمد بن يحيى له مجلس؟قلت: نعم. قال: لو أنه عندنا لجعلناه إماماً في الحديث. (٣) وناهيك بتلك الثقة الكبيرة من إمام النقاد

---

(١) السير ١٢/ ٣٩٦.

(٢) المحدث الفاصل ص ٢٣٠.

(٣) السير ١٢/ ٢٨٠، تاريخ بغداد ٣/ ٤١٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣١.

أن يجعل الذهلي إماماً بحضرته وقد صدق رحمه الله وترجم قوله ذلك لما ورد الذهلي العراق فقرأ عليه لابنيه صالح وعبد الله.[١]

وكان يوصي طلبة العلم بملازمته حيثما حلّ بنيسابور أو غيرها . . وفي إحدى رحلاته إلى البصرة طال مكثه بها، فجاء عبد الرحيم الجوزجاني إلى الإمام أحمد فقال: (إني أريد البصرة وقد عرفت أصحاب الحديث وما بينهم. فقال إذا قدمت فسلْ عن محمد بن يحيى النيسابوري، فإذا رأيته فالزمه، ثم قال: ما قدم علينا أحد أعلم بحديث الزهري منه).[٢]

وكما كان الإمام أحمد مقدراً للذهلي مكانته في الحديث الشريف. كان مقدماً لقوله في الجرح والتعديل مصدقاً له فيما يبينه له من إحداثات المبتدعة في بلده .

وكان داود بن علي الأصبهاني[٣] صديقاً لصالح بن أحمد فكلمه أن يتلطف له في الاستئذان على أبيه، فأتى صالح أباه فقال له: رجل سألني أن يأتيك؟ قال: ما اسمه؟ قال: داود. قال: من أين هو؟ قال: من أهل أصبهان. قال: أي شيء صناعته؟ قال: وكان صالح يروّغ عن تعريفه إياه، فما زال أبو عبدالله (رحمه الله) يفحص عنه حتى فطن، فقال: «هذا قد كتب إليّ محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني. قال: يا أبت إنه ينتفي من هذا وينكره، فقال أبو عبد الله أحمد: محمد بن يحيى أصدق منه لا تأذن له في المصير إليّ»[٤] فقبول الامام أحمد لنقده واعتماده عليه دليل الثقة الكبيرة بعلمه ومنهجه في نقد الرجل إما على سبيل الرواية أو بيان الإعتقاد .

---

(١) الإرشاد ٢/ ٨١٠.

(٢) تذهيب التهذيب ٤/ لوحه ٩ مخطوط .

(٣) سبقت ترجمته ص ٧٣ .

(٤) الضعفاء لأبي زرعه وأجوبته على أسئلة البرذعي ٢/ ٥٥١، تاريخ بغداد ٨/ ٣٧٣.

٢ - وهذا جهبذ النقاد وإمام الحديث يحيى بن معين (٢٣٣) يُسأل لم لا تجمع حديث الزهري؟

فيقول: كفانا محمد بن يحيى ذلك[١] ويوجه ابن سافري سؤلاً موحداً للثنائي المعروف بالرحلة والتربع على عرش الإمامة في معرفة الرجال ونقد الأخبار. قال: قلت لأحمد بن حنبل، نكتب عن محمد بن يحيى؟ قال: اكتبوا عنه فإنه ثقة. ثم قال: قلت ليحيى بن معين: نكتب عن محمد بن يحيى؟ قال: اكتبوا عنه فإنه ثقة ماله يريد أن يحدث!!»[٢].

٣ - ومن شيوخه الإمام الحافظ الناقد علي ابن المديني (٢٣٤)

الذى خلع على الذهلي وسام وراثة الزهري في علمه وهذه مزية تدل على التبحر مع التمكن . . . رآه مرة فقال له: «أنت وارث الزهري»[٣] وكأن ابن المدينى رحمه الله قد وقف على عمل الذهلي في الزهريات فرأى أنه كفى ووفَّى قال عنه ذات يوم: «كفى محمد بن يحيى جمع حديث الزهري»[٤]

ومن كان هذا قدره عند شيوخه، فبالأحرى أن يكون أقرانه وتلاميذه أكثر تقديراً له ومعرفة بعلمه لكثرة مخالطته والجلوس إليه. قال زنجويه: كنت أسمع مشايخنا يقولون: «الحديث الذى لا يعرفه محمد بن يحيى لا يعبأبه»[٥] وفي هذا إشارة لحفظه لأغلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بصحيحه وسقيمه.

وقد عاب أبو زرعة الرازي[٦] قرين الذهلي على الإمام مسلم حدَّتَه وعدم مداراته للذهلي والاستفادة من علومه لمَّا لَمَّحَ الذهلي بغضبه منه حينَ أتاه خبر

---

(١) السير ١٢/ ٢٨٠ .

(٢) السير ١٢/ ٢٨٣ .

(٣) المصدر السابق، تاريخ بغداد ٣/ ٤١٧ .

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٨ .

(٥) السير ١٢/ ٢٨٠.

(٦) سبقت ترجمته ص ١٢٧ .

متابعته البخارى في مسألة اللفظ فقال في مجلسه : من قال بمثل ما قال البخاري فلا يحل له أن يحضر مجلسنا . . ! فخرج مسلم وأرسل كل ما كتب عن الذهلي على ظهر حمّال إلى بابه وقاطعه فقال أبو زرعة : « هذا ليس له عقل لو دارى محمد بن يحيى لصار رجلاً !! (1)

ويسأل أخص تلامذته وأقربهم منه أبو حامد ابن الشرقي ، لمَ لَمْ ترحل إلى العراق ؟ فقال : وما أصنع بالعراق وعندنا من بنادرة (2) الحديث ثلاثة (الذهلي ، وأبو الأزهر ، وأحمد بن يوسف السلمى) ويفتخر ابن الشرقي بأئمة خراسان أجمع ويجعل الذهلي على رأس خمسة منهم قال : إنما أخرجت خراسان من أئمة الحديث خمسة : الذهلي ، والدارمي ، والبخاري ، ومسلم ، وابراهيم ابن أبي طالب»(3) .

بل يقدّمه عليهم واجهة خراسان وأوحد علمائها فيقول : «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن يحيى»(4) ومعلوم أن خراسان رقعة واسعة تضم أربع كور كل كورة تضم عدة مدن .

ويقول عبد الرحمن بن يوسف : «كان محمد بن يحيى من أئمة العلم»(5) وقد مرّ بنا في ترجمة ابنه يحيى ما قاله أبو عمرو المستملي للخجستاني بعد قتله

---

(1) تذهيب التهذيب ٤/ لوحه ٩ مخطوط .

(2) البنادرة : واحدهم بندار . . . والبندري ، والمتبندر ، والمبندر ، هو كثير المال ، لسان العرب ٤/ ٨١ ، وبنادرة الحديث : أي المكثرين منه . . . وقد لقب بهذا اللقب محمد بن بشار لكونه مكثراً في الحديث ، قال عنه الفلكي : كان بندار الحديث ، انظر ترجمته ص ١٩١ ، راجع فتح المغيث شرح ألفية الحديث للحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، تحقيق وتعليق الأستاذ محمود ربيع ص ٣٩٧ ، وكذلك فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ، للإمام محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، تحقيق علي حسين علي ٤/ ٢٢٤ ، وانظر نزهة الألباب في الألقاب ١/ ١٣٣ .

(3) السير ١٣/ ٥٥٠ .

(4) المصدر السابق ١٢/ ٢٨٤ .

(5) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٩ .

يحيى قال بعد أن أخذ بتلابيبه : يا ظالم قتلت الإمامَ ابنَ الإمامِ العالمَ ابنَ العالمِ ؟؟!!!

وقال صالح جزره : «لما خرجت من الرَّي قلت لفضلك عمن أكتب بنيسابور؟ قال : اكتب عن محمد بن يحيى فإنه من قرنه إلى مقدمه فائدة» (١).

خامساً : تلقيب عبد الله ابن أبي داود(٣١٦) للذهلي بأمير المؤمنين في الحديث.

وقد توالى الإقرار للإمام الذهلي بالنبوغ والحفظ والذكاء والتمكن في العلم حتى عُدَّ في أمراء المؤمنين في الحديث . وهو لقب لا يوصف به إلا القليل من العلماء .

قال تلميذه أبو بكر ابن أبي داود(٢) : «حدثنا محمد بن يحيى، وكان أمير المؤمنين في الحديث»(٣) وقد بين الشيخ عبد الفتاح أبو غدة قيمة هذا اللقب عند العلماء فقال : «وهذا اللقب : (أمير المؤمنين في الحديث) هو أعلى ألقاب الرواية عندهم، والمقصود منه أن الموصوف به ذروة أو رأس الذروة في علماء زمانه في علمه الذي مهر فيه»(٤)

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٤١٧ .

(٢) سبقت ترجمته ص ١٩٧ ومعلوم أن مثل هذه الألقاب الفخمة إذا صدرت ممن هو أهل لاصدارها وكان من أهل العلم والمعرفة برجال الحديث . فإن الملقب تزداد مكانته سمواً ومنزلته أهمية وهذا الإمام الذهبي ينقل لنا شيئاً من أهلية الإمام عبدالله ابن أبي داود لمثل ذلك قال : كان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضّله على أبيه . وقال : صنف السنن والمصاحف، وشريعة المقاريء والناسخ والمنسوخ، والبعث وأشياء . ونقل عن أبي بكر الخلال قوله عنه : كان ابن أبي داود إمام أهل العراق ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والاتقان مابلغ هو، وقد أتهم رحمه الله بأمور من مشايخ عصره ومن أبيه . وقد وجهها الإمام الذهبي ودفعها عنه ونقل دعاءه على متهميه مع جلالتهم وتحقق الدعاء، راجع ترجمته في السير١٣/ ٢٢١ .

(٣) السير ١٢/ ٢٨١، وتذهيب التهذيب ٤/ لوحه ٩ مخطوط .

(٤) أمراء المؤمنين في الحديث ملحق بتحقيقه لجواب الحافظ المنذري عن أسئلة الجرح والتعديل ص ١٠٤ .

وقد أفرد أمراء المؤمنين في الحديث بالكتابة الإمام أبو علي الحسن البكري[1] في كتابه التبيين لذكر من يسمى بأمير المؤمنين، وأغفل في كتابه عدداً منهم استدركه عليه الإمام الحافظ ابن الملقن[2] في شرحه لصحيح البخارى المسمى «التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح» حيث قال بعد أن ساق من سمّاهم: هذا مجموع ما ذكره في تأليفه، وأغفل [الإمام أبا عبد الله محمد بن يحيى الذهلي. وأبا نعيم الفضل بن دكين، . . .][3] الخ ما استدركه عليه ونقل هذا اللقب أيضاً الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي في منظومته هديَّة المستغيث في أمراء المؤمنين في الحديث وذكر فيها ستة عشر إماماً من ضمنهم الإمام الذهلي قال:

وابن دكين الفضل الألمعي كذا ابن يحيى الحافظ الذهلي.[4]

وجمع الشيخ أبو غدة أسماء من لقبوا بهذا اللقب وبلغ بهم ستة وعشرين إماماً من بينهم الإمام الذهلي فقال: ١٨- وممن لُقب به أبو عبد الله محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري.[5]

---

(١) هو الإمام المحدث أبو علي الحسن بن محمد ابن الشيخ أبي الفتوح القرشي البكري النيسابوري، قال ابن الحاجب: «كان إماماً عالماً، لسناً فصيحاً، مليح الشكل إلا أنه كان كثير البهت كثير الدعاوي، توفي سنة ٦٥٦هـ، السير ٢٣/ ٣٢٦.

(٢) هو سراج الدين أبو جعفر عمر ابن أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري الأندلسي المعروف بابن الملقن، قال ابن حجر: كان موسعاً عليه في الدنيا مديد القامة حسن الصورة يحب المزاح والمداعبه مع ملازمة الاشتغال والكتابة، مات سنة ٨٠٤هـ، شذرات الذهب ٧/ ٤٤.

(٣) التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح(لوحه رقم٩) مخطوط مصور عن الأصل الموجود في مركز الملك فيصل للأبحاث بالرياض تحت رقم [٣١٢] والمخطوط يحقق في جامعة أم القرى.

(٤) هدية المستغيث في أمراء المؤمنين في الحديث ص ٢٤. للشيخ محمد الشنقيطي، اعتنى به وعلق عليه رمزي دمشقية.

(٥) أمراء المؤمنين في الحديث ص ١١٣. تأليف عبد الفتاح أبو غدة.

سادساً: شهادة الإمام الناقد الدارقطني[1] (٣٨٥) له بسعة العلم

قال السلمي: سألت الدارقطني: من تقدم من محمد بن يحيى وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي[2]؟ فقال: محمد بن يحيى، ومن أحب أن ينظر ويعرف قصور علمه عن علم السلف. فلينظر في «علل حديث الزهري» لمحمد بن يحيى»[3].

سابعاً: شهادة أبي حاتم بن حبان البستي[4] المتوفى (٣٥٤)

قال رحمه الله بعد أن سرد ست طبقات من المحدثين المشهورين بالتمحيص والتنقيب والتثبت في الأخبار والرجال: «ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الانتقاد في الأخبار وانتقاء الرجال في الآثار جماعة منهم: محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد ابن إسماعيل الجعفي البخارى، ومسلم بن الحجاج النيسابورى، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في جماعة من أقرانهم أمعنوا في الحفظ، وأكثروا في الكتابة، وأفرطوا في الرحلة، وواظبوا على السنة والمذاكرة والتصنيف والمدارسة، حتى أخذ عنهم من نشأ بعدهم من شيوخنا هذا المذهب، وسلكوا هذا المسلك. حتى إن أحدهم لو سئل عن عدد الأحرف في السنن لكل سنة منها عدَّها عداً. ولو زيد فيها ألف أو واو لأخرجها طوعاً ولأظهرها ديانة ولولاهم لدرست الآثار واضمحلت الأخبار، وعلا أهل الضلالة والهوى. وارتفع أهل البدع والعماء، فهم لأهل البدع قامعون، بالسنن شأنهم واضعون .... الخ ما ذكر من المديح»[5]

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٩٤ .

(٢) هو الدرامي سبقت ترجمته ص ١٥١ .

(٣) السير ١٢/ ٢٨٤ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٨٢ .

(٥) المجروحين ١/ ٥٧ .

ثامناً: إستشهاد الإمام البيهقي[1](٤٥٨) بجهود الذهلي واعتماد أقواله.

١ - أشار الدكتور نجم عبد الرحمن خلف في إحدى دراساته الضافية للسنن الكبرى للحافظ البيهقي . إلى أن الذهلي أحد الأئمة الأعلام الذين احتفظت السنن الكبرى بأقوالهم في فنون شتى من علم الحديث . وقد بيَّن أنه :

أ- من النقاد الذين اعتمد البيهقي أقوالهم في الجرح والتعديل.

وضرب مثالا لذلك [2] بما رواه بسنده إلى أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «تعاد الصلاة في مقدار الدرهم من الدم»[3] ومن بين رجال الاسناد «روح بن غطيف» ثم قال البيهقي : «وفيما بلغني عن محمد بن يحيى الذهلي قال«أخاف أن يكون هذا موضوعاً وروح هذا مجهول»[4] .

ب ـ من النقاد الذين اعتمد عليهم الإمام البيهقي في نقد المتون أو النقد العام .

وضرب مثالاً لذلك . [5] بما رواه البيهقي بسنده إلى معمر عن يحيى ابن أبي كثير عن ضمضم بن جوس عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خروج الإمام يوم الجمعة للصلاة (يعني) يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام»[6]

ثم قال البيهقي : وهذا خطأ فاحش فإنما رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب من قوله غير مرفوع ، ورواه ابن أبي ذئب

---

(١) البيهقي هو الحافظ العلامة ، الثبت أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي ، قال الذهبي ، بورك له في علمه ، وصنف التصانيف النافعة ، توفي ودفن في بيهق سنة ٤٥٨ ، السير١٨/ ١٦٣ .

(٢) في كشف مواضع الصناعة الحديثية في السنن الكبرى للإمام البيهقي ، ص ٤١ .

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ٢/ ٤٠٤ . وقد بينت مدى نكارة هذا الحديث ، وكلام عدد من الأئمة عليه واتفاقهم على أنه موضوع ، في الفصل الثالث من الباب الثالث ، مبحث معرفته بالضعيف ، فليراجع .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٤٠٥ .

(٥) في كشف مواضع الصناعة الحديثية في السنن الكبرى ، ص ٢٥ .

(٦) السنن الكبرى ٣/ ١٩٣ .

ويونس عن الزهري عن ثعلبة ابن أبي مالك، ورواه مالك عن الزهري فميز كلام الزهري من كلام ثعلبة كما ذكرنا وهو المحفوظ عند محمد بن يحيى الذهلي[1].

وعند جردي للسنن الكبرى للبيهقي رحمه الله وجدت أنه يروي أحاديث كثيرة من طريق الإمام الذهلي ومن طريق ابنه يحيى (حيكان) - ووجدته كما ذكر فضيلة الدكتور نجم قد اعتمد على أقوال الإمام الذهلي في نقد الرجال[2] والمتون وأمور أخرى تتصل بالصناعة الحديثية.

ومن المستحسن أن أسجل هنا عدد ما وجدت من أسانيد للذهلي وابنه يحيى وما نقل البيهقي عنه من صناعة حديثية. وذلك على سبيل محاولة الإستقصاء وأرجو أن يكون قريباً من الكمال.

فقد بلغت أسانيد البيهقي إلى الإمام الذهلي ما يقارب (٩٤) إسناداً وبلغت أسانيده إلى ابنه يحيى (حيكان) ما يقارب (٦٣) إسناداً. أما ما نقله عنه من فوائد منوعة في الجرح والتعديل أونقد المتون وسواها فقد بلغ (١٩) فائدة.

وفي هذا إلماحة كبرى لمكانة الإمام الذهلي وقيمة مروياته للحديث ودرايته بعلومه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قال فضيلة الدكتور: ومن هؤلاء النقاد الذين احتفظت السنن الكبرى بأقوالهم في الجرح والتعديل: أبو داود السجستاني، وأبو داود الطيالسي. وأبو زرعة الرازي، وأبو بكر ابن خزيمة، وابن المبارك، وابن المديني، وابن مهدي، وإبراهيم الحربي، والجوزجاني، وأحمد بن حنبل، والترمذي، والحاكم، والحميدي، والدار قطني، والدرامي، والشافعي، وشعبة، وعبدالرزاق الصنعاني، وعمرو الفلاس، ومالك، والذهلي. الخ» الصناعة الحديثية في السنن الكبرى. ص١٦٢.

تاسعاً: ثناء ابن تيمية(٧٢٨) على الذهلي بأنه من أئمة الحديث ونقاده وحكامه وحفاظه العارفين بأحوال الرواة

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عند تعليقه [١] على ما يورده المفسرون من الأحاديث الموضوعة في تفاسيرهم كالثعلبي [٢] والبغوي[٣] على ما فيهما من الخير والصلاح: مجرد رواية هؤلاء لا توجب ثبوت الحديث باتفاق أهل العلم بالحديث، فإن في كتب هؤلاء من الأحاديث الموضوعة ما اتفق أهل العلم على أنه كذب موضوع ...... والثعلبي وأمثاله لا يتعمدون الكذب، بل فيهم من الصلاح والدين ما يمنعهم من ذلك، لكن ينقلون ما وجدوه في

---

(١) ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا التعليق القيم والثناء البالغ على أهل الحديث في معرض رده على شيخ الرافضة أبي منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلّي الشيعي المتوفى سنة ٧٢٦، عندما ألف كتابه « منهاج الإستقامة في إثبات الإمامة» فحمل طائفة من أهل السنة والجماعة هذا الكتاب إلى شيخ الاسلام وبينوا له أنه أهم كتب الرافضة المقررة لمذاهبهم الباطلة وطلبوا منه بيان مافيه من الضلال والانحراف، فأجابهم إلى ذلك رحمه الله، وكتب « منهاج السنة» الذي حققه د. محمد رشاد سالم في ٩ مجلدات. وللوقوف على ترجمة ابن مطهر انظر [البداية والنهاية١٤/ ١٢٥] و[لسان الميزان٢/ ٣٨٦ تحت اسم الحسين بن يوسف و[هدية العارفين] ١/ ٢٨٤، و[الأعلام لخير الدين الزركلي ٢/ ٢٢٧]، وكان هذا الرافضي قد استشهد بحديث موضوع فيه مايؤيد مذهبه في الإمامة وأن علي هو الوصي والوارث والخليفة بعد الرسول وقد ردّ ابن تيمية هذا الحديث بوجوه كثيرة، وبيّن أن الثعلبي والواحدي والبغوي وإن أوردوه في تفاسيرهم فإنهم قد أوردوا مايناقضه من الأحاديث الصحيحة، وهذا منهج أغلب المفسرين يوردون كل مايبين سبب النزول صحيحاً أو ضعيفاً أو موضوعاً- أنظر هذا الحديث ورد ابن تيمية له في منهاج السنة ٧/ ٢٩٧.

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، كان أوحد زمانه في علم القرآن، قال ابن الأثير يقال له الثعلبي، والثعالبي لقب لا نسب. له كتاب التفسير الكبير، توفي في المحرم سنة ٤٢٧. اللباب ١/ ٢٣٨، السير ١٧/ ٤٥٣، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٦٦.

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد بن الفرّاء أبو محمد البغوي الشافعي المفسِّر، صاحب التصانيف كـ «شرح السنة»، و «معالم التنزيل»... كان سيداً إماماً عالماً، زاهداً قانعاً باليسير، توفي في شوال سنة ٥١٦، بمرو الروذ، السير ١٩/ ٤٣٩، طبقات المفسرين للداودي ١/ ١٦١، طبقات الشافعية لأبي بكرابن هداية الحسيني ص ٢٠٠ تحقيق عادل نويهض.

الكتب، ويروون ما سمعوه، وليس لأحدهم من الخبرة بالأسانيد ما لأئمة الحديث كشعبة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين، وإسحاق، ومحمد بن يحيى الذهلي والبخارى، ومسلم، وأبي داود، والنسائي، وأبي حاتم، وأبي زرعة الرازيين، وأبي عبدالله بن مندة، والدارقطني، وأمثال هؤلاء من أئمة الحديث ونقاده وحكامه وحفاظه الذين لهم خبرة ومعرفة تامة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأحوال من نقل العلم والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين [وتابعيهم] ومن بعدهم من نقلة العلم .

وقد صنفوا الكتب الكثيرة في معرفة الرجال الذين نقلوا الآثار وأسماءهم، وذكروا أخبارهم وأخبار من أخذوا عنهم مثل . . . . الخ[1]

عاشراً : شهادة الإمام ا بن ناصر الدين الدمشقي[2] (٨٤٢) له بأنه من النقاد المهرة الذين قبل قولهم في الجرح والتعديل :

وقال الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي : والكلام في الرجال ونقدهم يستدعي أموراً في تعديلهم وردهم، منها أن يكون المتكلم عارفاً بمراتب الرجال، وأحوالهم في الانحراف والاعتدال ومراتبهم من الأقوال والأفعال، وأن يكون من أهل الورع والتقوى، مجانباً للعصبية والهوى، خالياً من التساهل، عارياً عن غرض النفس بالتحامل، مع العدالة في نفسه والاتقان، والمعرفة بالأسباب التى يجرح بمثلها الإنسان، وإلا لم يقبل قوله فيمن تكلم، وكان ممن اغتاب وفاه بمحرم .

وإذا نظرنا في طبقات النقاد من كل جيل، الذين قبل قولهم في الجرح والتعديل، رأيناهم أئمة بما ذكر موصوفين، وعلى سبيل نصيحة الأمة متكلمين

(١) منهاج السنة ٧/ ٣١٠.

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد القيسي الدمشقي الشافعي المعروف بابن ناصر الدين، ولد بدمشق ونشأ بها، أتقن فن الحديث واشتهر به، وصنف تصانيف، توفي سنة ٨٤٢، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٨/ ١٠٣ للإمام شمس الدين السخاوي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢/ ١٩٨ للعلامة محمد بن علي الشوكاني.

كمن كان في المائة وستين من الهجرة، وما قاربها من السنين في طبقة النقاد المهرة، مثل . . . [ثم سرد ما يقارب الثلاث طبقات . . ثم قال . .] . . وبعدهم: طبقة البخاري محمد بن إسماعيل . وقبيل الثلاثمائة بقليل: كمحمد بن يحيى الذهلي، وعبد الله الدارمي، وأحمد بن الفرات وأبي زرعة عبيد الله ابن عبدالكريم وابن خالته أبي حاتم الرازيين، وخلق من الأثبات .(١)

حادي عشر : مجالس الإمام الذهلي العلميّة :

وبعد . . . فمن كانت هذه رتبته بين جموع أئمة العلم والفضل . . . لابد أن يكون له منبر يتسابق إليه الناهلون من علمه من شتى البقاع، ويرتفع منه صوت الحق . . ببيان أحوال المبتلين في دين الله . . . وفتوى الناس بما يبين لهم دينهم ويرشدهم لصلاح أمورهم .

وإذا زاحمت قوة السلطان في بغداد جلالة العلم، وهيبة العلماء، أمثال الإمام أحمد، ويزيد بن هارون، فإن الإمام الذهلي قد انفرد بمجالسه العلمية وشخصيته الفذة وعلمه الغزير بالمهابة والجلالة في نيسابور(٢) . فلم يكن لسلطان السياسة بها كبير أثر يذكر .

وكان جلُّ وقت الإمام الذهلي لطلبة العلم وعموم الناس . . وكانت مجالسه عامرة بهم، وإليها يقصد الراحلون في طلب العلم . . وكانت تعقد في «مسجد الذهلي» الذي يحمل لقبه .(٣)

---

(١) الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر ص ٣٩. تأليف الحافظ محمد ابن أبي بكر ابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق زهير الشاويش.

(٢) قال الإمام الذهبي: إنتهت إليه رئاسة العلم والعظمة، والسؤدد ببلده، كانت له جلالة عجيبة بنيسابور، من نوع جلالة الإمام أحمد ببغداد ومالك بالمدينة، انظر السير ١٢/ ٢٧٤.

(٣) لعل هذه التسمية أطلقت عليه لأنه بناه هو أو ابنه وليس لديَّ دليل على ذلك ولكن الإمام الذهلي كان ميسور الحال فقد ذكر عن نفسه أنه انفق في طلب العلم مائة وخمسين ألفاً ومن كان هذا حاله فهو قادر على بناء المساجد ويذكر الإمام الذهبي في السير ١٢/ ٢٨٥ «أن المسجد والسكة منسوبان لابنه يحيى [حيكان] فتكون النسبة حينئذ إليه والله أعلم.

قال الحاكم في ترجمة أحمد بن هارون البرديجي البرذعي[1] : قدم على محمد بن يحيى الذهلي فاستفاد وأفاد وكتب عنه مشايخنا في ذلك الوقت. وقد قرأت بخط أبي عمرو المستملي سماعه من أحمد بن هارون البرديجي في مسجد «الذهلي» سنة خمس وخمسين ومائتين.[2]

وكان مشايخه وأقرانه يوصون طلابهم بالتوجه إلى مجالس الذهلي لاقتناص عواليه وأفراده من الروايات التى جمعها في رحلاته الواسعة. واختبار مدى حفظه وتيقظه قال صالح بن محمد الحافظ: دخلت الرى، وكان فضلك يذاكرني حديث شعبة، فألقى عليّ لشعبة عن عبد الله بن صبيح عن ابن سيرين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خالي فليرني إمرؤ خاله» فلم أحفظ، فقال فضلك: أنا أفيدكه، إذا دخلت نيسابور، ترى شيخاً حسن الشيب، حسن الوجه، راكبا حماراً مصرياً، حسن اللباس، فإذا رأيته فاعلم أنه محمد بن يحيى[3]. فسله عن هذا، فهو عنده عن سعيد بن واصل عن شعبة، فلما دخلت نيسابور استقبلني شيخ بهذا الوصف، فقلت: يشبه أن يكون، فسألت عنه فقالوا: هو محمد بن يحيى فتبعته إلى أن نزل، فسلمت عليه وأخبرته بقصدي إياه، فنزلت مسجده، وكتبت مجلساً من أصوله، فلما خرج وصلى قرأته عليه، ثم قلت: حدثكم سعيد بن عامر، عن شعبة؟ فذكرت الحديث، فقال لي: يافتى، من ينتخب هذا الإنتخاب، ويقرأ هذه القراءة، يعلم أن سعيد بن عامر لا يحدث

---

(١) الإمام الحافظ نزيل بغداد. ولد بعد الثلاثين ومائتين أو قبلها، حدث عن أبي سعيد الأشج وعلي ابن إشكاب، وعنه أبو بكر الشافعي وأبو القاسم الطبراني. قال الدار قطني: ثقة مأمون جبل. وقال الخطيب: كان ثقة فاضلاً فهماً حافظاً، قال أبو الشيخ الأصبهاني: مات سنة إحدى وثلاث مائة ببغداد. أنظر تاريخ بغداد ٥/ ١٩٤. سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٢٢. والبرديجي بفتح الباء وسكون الراء ثم الدال المكسورة، نسبة إلى بردج بليدة بأقصى أذربيجان، الأنساب ١/ ٣١٤.

(٢) السير ١٤/ ١٢٤.

(٣) وفي تاريخ بغداد ٣/ ٤١٧. «فهو محمد بن يحيى فاكتب عنه فإنه من قرنه إلى مقدمه فائدة».

عن شعبة بمثل هذا الحديث. فقلت: نعم أيها الشيخ، حدثكم سعيد بن واصل؟ فقال: نعم»[1].

وهكذا نرى الذهلي يواصل عطاءه دونما كلل أو ملل سواء للجموع المتكاثرة في حلق العلم أو للآحاد الذين يرحلون لطلب العلم، مع سعة الصدر لهم ولأسئلتهم وللإمتحان الذي يرفضه ويعاقب عليه بعض المحدثين كما سيأتي بيانه في آداب المحدث من الباب الثالث.

ولم تكن مجالس الإمام الذهلي رحمه الله مجرد حلَق علْم لتلقيح الفهوم فحسب.... بل كانت إلى ذلك منهلاً عذباً يتزود منه طلبَة العلْم أخلاق العلماء .. وهنا يروى لنا أبو حامد ابن الشرقي صورة من صور تواضع شيخه الذهلي أمام الجموع لما عَنَّفَ أحدهم على مقاطعته إياه أثناء الإملاء. قال: وسمعت محمد بن يحيى الذهلي وأملى حديثاً، فرد عليه الجارودي، فزبره محمد بن يحيى، فلما كان المجلس الثاني، قال الذهلي: ها هنا أبو بكر؟ قال: نعم. قال: الصواب ما قلت فإني رجعت إلى كتابي فوجدته على ما قلت.[2]

وقد نالت مجالس الإمام الذهلي شهرة واسعة لكثرة من يحضرها ولتميزهم بصدق الطلب والصلاح حتى إن المبتلين في دين الله كانوا يرسلون الرسائل إلى الذهلي ليقرأ شكواهم ويبين أحوالهم في مجلسه الذي يغصّ بأهل الحديث.

قال أبو عمرو المستملي: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقرأ علينا كتاب البويطي[3] إليه، وإذا فيه «والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل

---

(١) السير ١٢/ ٢٧٧.

(٢) السير ١٣/ ٥٤٣.

(٣) هو الإمام الجليل أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي المصري، أكبر أصحاب الشافعي المصريين، كان إماماً عابداً زاهداً، فقيهاً، جبلاً من جبال العلم والدين، كان ممن امتحن بمسألة خلق القرآن فلم يجب فسجن حتى مات سنة ٢٣١، طبقات الشافعيه للسبكي ٢/ ١٦٢، السير ١٣/ ٥٨. طبقات الشافعيه لابن قاضي شهبة ١/ ٧١.

الحديث، لعلَّ الله يخلصني بدعائهم، فإني في الحديد، وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة فضجَّ الناس بالبكاء، والدعاء له»[1]

وكانت مجالس المناظرة تعقد بينه وبين غيره من أهل العلم، ويُنْقَل عنه في ذلك آدابٌ لها وقع لطيف على نفوس من تجردوا لربهم في طلب العلم، كما كان يعقد فيها بعض أصول المناظرة العلمية النموذجية ومن ذلك ما ذكره صاحب مفتاح السعادة ومصباح الريادة قال: (وكان محمد بن يحيى إذا توجه عليه الإشكال، ولم يحضره الجواب، يقول: ما ألزمته لازم وأنا فيه ناظر ﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾[2])[3]

ولذا كان العلماء وعامة الناس ينظرون إلى مجالس الذهلي بعين الحرص والإجلال، وكانوا يجتهدون في إحضار أبنائهم إليها، بل إن من يتقاعس منهم في ذلك يحرَّصْ ويُؤَنَّبْ. ترجم أبو عمرو بن الصلاح لمحمد بن يعقوب الشيباني[4] فقال: «. . . . توفي الذهلي وعمره ثمان سنوات وكان والده يجتهد أن يحضره مجلسه فلم يفعل إلى أن مات. وحمله إلى جنازته فصلّى عليه فقيل لأبيه: «فوَّت ابنك محمد بن يحيى فلا تفوته سائر الشيوخ فحمل إلى السعدي وحيكان وأمثالهم وكان يحكي بخطه خط الذهلي. »[5].

تصدر الإمام الذهلي للإفتاء ومشيخة البلد.

والإفتاء مكانة علمية واجتماعية كبرى، والمتصدي له ينبغي أن يكون على جانب كبير من العلم وحسن سماع السؤال وحسن فهمه وحسن الجواب عليه . . مع معرفة تامة بثوابت وشمول قضايا الدين . .

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٦٥.
(٢) سورة يوسف، آيه ٧٦.
(٣) مفتاح السعادة ١/ ٣٤.
(٤) سبقت ترجمته ص ٨٤.
(٥) طبقات الفقهاء الشافعيه ١/ ٢٨٩.

والإمام الذهلي كان قد تصدر مع علمه الغزير مشيخة نيسابور ومنصب الإفتاء فيها . . وبقي يفتي الناس حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ٢٥٨هـ . فخلفه في ذلك ابنه يحيى . قال الإمام الذهبي في ترجمة حيكان مدللاً لذلك : «المحدث الحافظ الشهيد أبو زكريا يحيى ابن الحافظ الكبير محمد بن يحيى الذهلي إمام نيسابور ، ومفتيها بعد أبيه»[1] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/٦١٦ .

المبحث الثاني
آثـاره

إن الذي يميز الشخصيات العلمية البارزة في تاريخنا المجيد آثارها التي خلفتها وراءها . سوآء كانت تلك الآثار المصنفات التي تشهد بسبقهم العلمي وجهادهم ونصبهم ، أو أولئك التلاميذ الذين ملأوا الدنيا عبيراً وشذىً فواحاً من جميل ثنائهم على مشايخهم ، وبيانهم لأحوالهم العامة والخاصة . أو كانت تلك الآثار مواقف خالدة تثبت الحق وتبطل الباطل .

والإمام الذهلي رحمه الله تعالى ترك آثاراً في جميع ما ذكر . . . والذي نعنى ببيانه هنا هو مصنفاته وقد أشار إلى كثرتها أحمد بن سيار المروزى [(١)] حيث وصفه قائلاً : «كان ثقة كتب الكثير ودون الكتب» [(٢)] وقد سبقت شهادة أبي حاتم ابن حبان له «بأنه أحد الذين أكثروا في الكتابة ، وواظبوا على المذاكرة والتصنيف» [(٣)] .

والحديث عن مصنفات الإمام الذهلي فيه عدد من العوائق . . أبرزها أن معظم مؤلفاته ومدوناته قد دُفنت بعد وفاته . . . وقد دفنها تلميذه أبو عمرو المستملي . وعندما يسمع المرء بعدد الأجزاء التي واراها التراب من جهود هذا الحَبْر الجهبذ تنتابه الحسرة و يدركه الألم لفوات ما فيها من علم قضى في جمعه السنين ، وارتحل في طلبه إلى أبعد الأوطان .

قال أبو عمرو المستملي : «دفنت من كتب محمد بن يحيى بعد وفاته ألفي جزء» [(٤)] .

---

(١) هو أحمد بن سيار بن أيوب بن عبدالرحمن أبو الحسن المروزي، الإمام الكبير الحافظ الحجة عالم مرو، مات في ربيع الآخر سنة ٢٦٨هـ، الجرح والتعديل ٢/ ٥٣، السير ١٢/ ٦٠٩ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥٤ .

(٣) المجروحين من المحدثين ١/ ٥٧ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٧٨ .

وبيّن أبو عبد الله الحاكم أن الإمام الذهلي من قلائل العلماء الذين دفنوا كتبهم قال: «إسحاق بن راهويه، وابن المبارك، ومحمد بن يحيى، هؤلاء دفنوا كتبهم»(١).

ومن عوائق بيان مصنفاته رحمه الله أن الذي بقي منها ولم يدفن أو رواه عنه تلامذته يعتبر الآن في عداد المفقود. وحسبي هنا أن أسوق أسماء مصنفاته

---

(١) طبقات الشافعية، للسبكي ٢/ ٨٨، وسواء كان الذي دفنها هو الذهلي نفسه أو تلميذه المستملي فإن ذلك يوضح أنه كان لايرى بذلك بأساً، وقد ساق الخطيب البغدادي في تقييد العلم تحقيق يوسف العش ص ٦١ أخبار جماعة من العلماء وصَّوْا بدفن أو حرق أو غسل أو محو كتبهم بعد وفاتهم، وعلل ذلك بخوفهم من أن تصير إلى من ليس من أهل العلم، فلا يعرف أحكامها، ويحمل جميع مافيها على ظاهره، وربما زاد فيها ونقص فيكون ذلك منسوباً إلى كاتبها في الأصل[أ. هـ] وساق الخطيب بأسانيده أن طاووس بن كيسان كان يأمر باحراق الكتب، وكذلك عبيدة، وعن شعبة أنه أوصى ولده أن يغسل كتبه ثم يدفنها، وكذلك أبو قلابة أوصى أن تدفع كتبه لأبي أيوب إن كان حياً وإلا فلتحرق، وقال إبراهيم بن هاشم: دفنَّا لبشر بن الحارث ثمانية عشر مابين قمطر وقوصرة، وقال أحمد بن حنبل: «لاأعلم لدفن الكتب معنى» قال الخطيب: «لامعنى له إلا ماذكرته والله أعلم» تقييد العلم ص ٦٣.

وقال الأثرم لأبي عبدالله الإمام أحمد: دفن دفاتر الحديث؟ قال: أرجو أن لايكون به بأس. وكان معظم توجيه الإمام أحمد رحمه الله أن لا تدفن الكتب بل تترك ينتفع بها الناس. فقد سأله أبو طالب عن محو كتب الحديث فقال: سبحان الله تمحى السنة والعلم! وسأله مرة أخرى فقال: ما ترى في دفن العلم إذا كان الرجل يخاف أن ليس له خلف يقوم به ويخاف عليه الضيعة؟ قال: لا يدفن ولعل ولده ينتفع به، عبيدة أوصى أن تدفن، الثوري لم يكن له ولد ولعل غير ولده ينتفع به، قال: يباع؟ قال: لا يباع العلم ولكن يدعه لولده ينتفع به أو غير ولده ينتفع به. وسأله مرة المروذي عمن أوصى أن تدفن كتبه، قال: ما يعجبني دفن العلم. «الآداب الشرعية والمنح المرعية للإمام محمد بن مفلح المقدسي ٢/ ١١٥ بتصرف يسير» ولم أعثر على تعليل وسبب لدفن الإمام الذهلي كتبه إلا أن يكون ما ذكره الخطيب آنفاً. وعليه فإنه لما أحسَّ بدنو أجله دفن ما استطاع دفنه وأوصى تلميذه المستملي بدفن الباقي بعد أن روى ما فيها لطلاب العلم وأهله في الأقطار... فدونوه عنه وتحملوه بالطرق التي يراها.. وقد توافرت همم تلامذته ومن يرحل إليه من كل حدب وصوب على أن يسمعوا منه «الزهريات» «وعلل حديث الزهري» وبعض الأجزاء الحديثية وما سوى ذلك، ويدونوها ويرووها لمن خلفهم.. لذا فإنها بقيت آماداً طويلة واستشهد بما فيها العلماء ورَوَوْها وأشاروا إليها في مصنفاتهم كما سيأتي بيانه.

التي ذكرها المتأخرون ووثقوا نسبتها إليه، أو ذكرتها فهارس المخطوطات وكتب التراجم .

١- الزهريات :

وهي مصنف كبير ضمّنه الأحاديث التي رواها الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله وقد ظل يجمعها زمناً طويلاً وتعب فيها، وجوّدها، واعتنى بها. حتى طار ذكرها في الآفاق . ونال بها شهرة بين مشايخه وأقرانه وتلاميذه في نيسابور وفي الأقطار الأخرى . وسيأتي الحديث عن الإمام الزهري ومكانته العلمية وقيمة إختيار الإمام الذهلي لهذا العَلَمْ والإعتناء بحديثه ورجاله، وإجماع المتقدمين والمتأخرين على أهمية هذا العمل ووجاهته وقد وثّق نسبة هذا المصنف له عدد من العلماء والمترجمين منهم الحافظ ابن حجر رحمه الله الذى ذكره مراراً وتكراراً في شرحه لصحيح البخارى المسمى بـ«فتح الباري» وفي تغليقه للمعلقات[١] الموجودة في صحيحه أيضاً والمسمى بـ«تغليق التعليق» وإن كثرة إحالات الحافظ ابن حجر إليه واختلاف الطرق المستشهد بها تدل على أنه يمتلك منه نسخة، وهذا يعني أنه بقي إلى وقت متأخر، ولا نعرف عن مصيره بعد عصر ابن حجر شيئاً، ولم تذكر فهارس المخطوطات الآن وجوده من عدمه .[٢] وهذه بعض إحالات الحافظ ابن حجر إلى الزهريات . قال في فتح البارى :

أ- قوله في أثناء الإسناد (وقال الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد الخ) وصله الذهلي في (الزهريات) عن أبى صالح عن الليث .[٣]

---

(١) سبق تعريف الحديث المعلق ص ٧٤.

(٢) الحديث عن كتاب الزهريات الأصل بتمامه، ولكن وصل إلينا منه ثلاثه وثلاثين حديثاً انتقاها من الأصل الإمام الحافظ محمد بن عبدالرحيم المقدسي وجعلها جزءاً حديثياً تاماً، وقد قمت بدراسته وتحقيقه وتخريج أحاديثه والحكم عليها في الباب الرابع من هذه الأطروحه.

(٣) كتاب الزكاة باب أخذ العناق في الصدقه ٣/ ٣٢٢.

ب- قوله (تابعه أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب) وصله الذهلي في (الزهريات) عن أصبغ [1]

جـ- . . . . وهذه الطريق وصلها الذهلي في (الزهريات) [2] وقد نافت إحالات الحافظ ابن حجر في الفتح والتغليق لهذا السفر العظيم وسواه على عشرين إحالة سأشير إليها تباعاً في آخر الحديث عن إهتمامه بحديث الزهري . وجدير بالذكر أن هذا المصنف كان يسمى بـ(حديث الزهري) أيضاً . وكان العلماء يستعملون الإسمين في آن واحد في مصنفاتهم . من ذلك قول ابن حجر في تغليق التعليق : وأما حديث إسحاق الكلبي ، فقال الذهلي في حديث الزهرى : ثنايحيى بن صالح الوحاظي ، ثنا إسحاق به[3] وقال عن نفس الموضع في فتح الباري : وأما متابعة إسحاق الكلبي ، فوصلها الذهلي في الزهريات ، عن يحيى بن صالح ، عنه[4] و ممن نسب الزهريات إليه علامة المغرب الكتاني [5] : قال : « . . . . وأحاديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، لأبي عبدالله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي . . . الخ وهي المسماة بالزهريات»[6] ومنهم خير الدين الزركلي قال : « . . . . انتهت اليه مشيخة العلم بخراسان . واعتنى بحديث الزهري فصنفه وسماه «الزهريات» في مجلدين»[7]

---

(١) كتابا الوصايا باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ٥/ ٣٨٣ .

(٢) كتاب الطلاق باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق ٩/ ٣٥٧ .

(٣) تغليق التعليق على صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ٤/ ٣٦ ، تحقيق الدكتور سعيد القزقي .

(٤) فتح الباري ٦/ ٤٧٤ .

(٥) هو محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي ، أبو عبدالله : مؤرخ ، محدث ، مكثر من التصنيف ، رحل إلى الحجاز مرتين وهاجر إلى المدينة بأهله ، وانتقل إلى دمشق ، كان مولده عام ١٢٧٤ بفاس وتوفي بها في عام ١٣٤٥ ، الأعلام ٦/ ٧٢ ، وقد ترجم له حفيده محمد المنتصر في مقدمة تحقيقه لكتابه المشهور [الرسالة المستطرفة] .

(٦) الرسالة المستطرفة ص ١١٠ .

(٧) الأعلام ٧/ ١٣٥ .

٢ ـ علل حديث الزهري :

وهو ثاني أهم كتبه، لأنه كالميزان لكتابه الأول (الزهريات) الذى حاول فيه استقصاء جميع حديث الزهري . . وطبعي أن يكون هناك طرق فيها ضعفاء، وروايات لا تخلو من علة فجاء كتاب العلل منَقحاً ومبيناً لكل ذلك . . ويبدو أنه صنفه بعد الزهريات بفترة طويلة بدليل ما رواه الامام الخليلى بسنده إلى الذهلي قال: «لَمّا جمعت حديث الزهري عرضت على علي ابن المديني فنظر فيه، فقال: أنت وارث الزهري . فبلغ ذلك أحمد بن صالح المصري - وذاكرته في أحاديث الزهري- فقال: أنت الذى سمّاك علي ابن المديني وارث الزهري ؟!! قلت: نعم قال: بل أنت فاضح الزهري!! قلت لِمَ؟ . قال: لأنك أدخلت في جمعك أحاديث للضعفاء عن الزهري، فلما تبحرت في العلم، ضربت على الأحاديث التى أشار إليها، وبينت عللها»[١] فقد أفادتنا هذه الرواية أنه جمع الزهريات أولاً وبقي زمناً حتى ذاع صيتها والثناء عليه، ثم التقى بالإمام أحمد بن صالح الذى عرّفه بالروايات الضعيفة . . . وبعد تبحره في العلم واتقانه معرفة العلل . بين عللها ونقحها .

وقد وثق نسبته إليه الإمام الحافظ أبو علي الغسَّاني الجيَّاني[٢] والذي يظهر أنه كان يمتلك منه نسخة لكثرة إشارته إليه في كتابه تقييد المهمل وتمييز المشكل[٣]

(١) الإرشاد ١/ ٤١٠ .

(٢) هو الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي الغساني المعروف بالجيَّاني، إمام عصره في الحديث، قال الإمام الذهبي: الحافظ المجود، الحجة الناقد، محدث الأندلس، وقال ابن فرحون: رحل إليه الناس من كل قطر ومكان، ولم يكن له رحلة. توفي سنة ٤٩٨ . السير ١٩/ ١٤٨، الديباج المذهب ١/ ٣٣٢.

(٣) الكتاب مخطوط بجامعه أم القرى (تحت رقم ٨١٤) في مكتبة الميكروفيلم بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مصور عن النسخة الموجودة بمكتبة جامع المكناسي بالرباط تحت رقم (٢٣٧) حديث.

ومن ذلك قوله: « وذكر محمد بن يحيى الذهلي في العلل قال: سمع الزهري من . . . الخ. »[1] وقوله: « . . . . وأنصُّ ألفاظهم فيه على حسب ما ذكره محمد ابن يحيى الذهلي في كتاب العلل لحديث الزهري. . . الخ. »[2]

وممن وَثَّق نسبته إليه ابن خير الإشبيلي[3] حيث قال: ومن كتب علل الحديث والتواريخ ومعرفة الرجال وغير ذلك مما يتصل به، كتاب علل حديث الزهري، تأليف محمد بن يحيى الذهلي، حدثني به أبو بكر محمد بن أحمد بن أحمد بن طاهر رحمه الله، قال: «نا» به أبو علي الغساني، قال: نابه حكم بن محمد بن حكم الجذامي عن أبي محمد عبد الرحمن بن عمر النحاس المصري عن أبي محمد عبد الله بن جعفر المعروف بابن الورد عن عبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف عن محمد بن يحيى الذهلي، مؤلفه. »[4]

ومنهم الحافظ ابن حجر حيث قال: «ورواية عثمان بن عمر موصولة في كتاب«علل حديث الزهري»[5] ويظهر أن ترتيبه لكتاب العلل كان على مسانيد

---

(١) انظر الجزء المطبوع منه «التنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيحين» قسم البخاري: الجزء الخامس والسادس من التقييد نفسه ص ١٧١ تحقيق محمد صادق آيدن الحامدي. وقد بين المحقق في المقدمة ص ٤٦ أن علل الزهري للذهلي من المصادر الرئيسة للجياني في كتابه [التقييد].

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٤٣.

(٣) هو محمد بن خير بن عمر بن خليفه أبو بكر الإشبيلي الإمام الحافظ، شيخ القراء. تصدر بإشبيلية للإقراء والإسماع وحمل الناس عنه كثيراً، وكان مقرئاً مجوداً ومحدثاً متقناً أديباً نحوياً لغوياً واسع المعرفة رضياً مأموناً، لما مات بيعت كتبه بأغلى الأثمان لصحتها. توفي سنة ٥٧٥. بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس تأليف أحمد بن يحيى الضبي (ص ٦٥ ترجمة ١١٢) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٦٦.

(٤). فهرسة مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف ص٢٠٣ للعلامة أبو بكر محمد بن خير الأموي الاشبيلي، باعتناء فرنسشكة زيدين وخليان ربارة.

(٥) فتح الباري ٩/ ٩٨.

الصحابة وذلك استنباطاً من قول الحافظ ابن حجر في النكت الظراف، عندما علّق على كلام الحافظ المزي[1] في تحفة الأشراف عند حديث محمد بن عبدالله بن عباس عن أبيه وفيه «تخيير النبى صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً»[2] قال: «ذكره الذهلي عن يزيد بن عبدربه عن بقية في **(ترجمة)** «محمد بن علي بن عبد الله بن عباس» ووقع في السند (محمد بن عبد الله بن عباس)[3].

٣ - جزء محمد بن يحيى الذهلي (الجزء) *

هذا المصنف يأتي في المرتبة الثالثة من مصنفات الإمام الذهلي المسماة المشهورة .

وقد بقي هذا المصنف الحديثي أيضا إلى زمن الحافظ ابن حجر رحمه الله الذي أشار إليه كثيراً في الفتح والتغليق، والمعجم المفهرس . ورواه من طريقين إلى سبط السلفي ومنه إلى الإمام الذهلي رخمه الله .

وهذه بعض إشارات الحافظ ابن حجر إلى الجزء . أثنيها بذكر سنده الموصول إلى مصنفه وكل ذلك يمثل توثيقاً لنسبة هذا الجزء للإمام الذهلي .

---

(١) هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين أبو الحجاج المزي، كتب الكثير ورواه مع السّمت الحسن والاقتصاد والتواضع والحلم، توفي سنة ٧٤٢هـ، معجم الشيوخ الكبير للذهبي ٢/ ٣٨٩، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة .

(٢) انظر تخريج الحديث بتمامه في حاشية الحديث رقم [١٢] من الجزء المنتقى من أحاديث الزهري في الباب الرابع .

(٣) النكت الظراف على الأطراف ٥/ ٢٣٢ للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الصمد شرف الدين .

(*) هذا المصنَّف ذكره باسم [جزء محمد بن يحيى الذهلي] الحافظ ابن حجر في المعجم المفهرس [١٢٣-ب] كما ذكره محقق الكتاب في المجمع المؤسس للمعجم المفهرس [١/ ٣٤٣] . وذكره فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ١/ ٢٠٧ بعنوان [الجزء] وأشار إلى وجوده في القاهرة تحت رقم [٢] ١/ ١٠٨، حديث ١٥٥٩ .

(١) قال في الفتح : (وقال ابن رجاء) هو عبد الله البصري الغداني وهو أحد شيوخ البخاري وقد وصله محمد بن يحيى الذهلي . قال : حدثنا عبد الله ابن رجاء ورويناه عاليا من طريقه في الجزء المشهور المروي عنه من طريق السلفي . . .)[١]

(٢) وقال أيضاً : (. . . . . ووقع لنا بعلو في جزء الذهلي وسياقه أتم مما في البخاري)[٢] .

(٣) وقال في التغليق عند ذكر حديث " لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء " [٣]وقد وقع لنا موافقة عالياً جداً : قرأته على أبي بكر بن ابراهيم بن العز (قلت له) : أخبركم عبد الله بن الحسين أن عثمان بن علي (ابن خطيب القرافة) ، أخبره : عن الحافظ أبي طاهر السلفي . أنا مكي بن منصور ، أنا أحمد بن الحسين القاضي ، ثنا محمد بن أحمد الميداني ثنا محمد بن يحيى الذهلي . . . . . [٤] الخ

وهذا الطريق أحد إسناديه إلى سبط السلفي[٥] في رواية هذا الجزء كما سيأتي الآن .

---

(١) فتح الباري ٢/ ٥٣ .

(٢) فتح الباري ٣/ ٢٧٣ وانظر كذلك ٤/ ١٥١ ، ٨/ ٥١٨ .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجمعة ، باب السواك يوم الجمعة ١/ ٢٤١ ، والإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب السواك ١/ ٢٢٠ ، كلاهما من حديث أبي هريرة بنحوه وفي آخره (مع كل صلاة) .

(٤) تغليق التعليق ٣/ ١٦٠ .

(٥) هو الشيخ المسند المعمر أبو القاسم عبدالرحمن بن مكي بن عبدالرحمن جمال الدين الطرابلسي الإسكندراني سبط الحافظ أبي طاهر السلفي ، سمع من جده كثيراً سمع من عبدالمجيد بن دليل ، وخلف بن بشكوال وتفرد ورحل إليه الطلبة ، وحدث عنه المنذري ، وابن دقيق العيد ، توفي بمصر ليلة رابع شوال سنة ٦٥١ ، السير ٢٣/ ٢٧٨ ، وانظر شذرات الذهب ٥/ ٢٥٣ .

(٤) إسناد الحافظ ابن حجر في روايته جزء الذهلي .

هذا الجزء رواه ابن حجر من طريقين إلى سبط السلفي ثم يتحد السند الى الذهلي .

الطريق الأول : بسماعه من شيخه أحمد بن الحسن بن محمد المقدسي [(١)] باجازته من زينب بنت الكمال [(٢)] باجازتها من سبط السلفي ، بسماعه من جده أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي [(٣)]

قال : أخبرنا مكي بن منصور الكرجي[(٤)] قال أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد ابن الحسن الحيري[(٥)] ، قال : اخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن معقل الميداني[(٦)] عن الذهلي [(٧)] .

(١) هو أحمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن زكريا المقدسي السويداوي شهاب الدين ابن المحدث بدر الدين . تفقه على مذهب الشافعي ، وكان خيراً محباً للحديث وأهله ، مات سنة ٨٠٤ . إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني ٥ / ٢٦ ، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس ١ / ٢٩٩ للحافظ ابن حجر ، تحقيق د . يوسف مرعشلي . لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ص ٢٠٢ للحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي .

(٢) هي الشيخه الصالحه المسندة المعمرة أم عبدالله زينب ابنة الشيخ كمال الدين أحمد بن عبدالرحيم المقدسية كانت سهلة التسميع ، محبة لأهل الحديث ، كريمة النفس ، وطال عمرها ، توفيت ليلة الإثنين جمادى الأولى سنة ٧٤٠هـ ، الوفيات ١ / ٣١٦ .

(٣) هو الإمام العلامة المحدث أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني الجرواني ، وسِلَفه بكسر المهملة لقب لجده أحمد أي « الغليظ الشفة » . كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، قالَ ابن النجار : حافظ ، متقن ، مشهور ، رحّال . توفي سنة ٥٧٦هـ . ذيل تاريخ بغداد ١٥ / ١١٩ ، تكملة الإكمال لابن نقطة ٣ / ٣٣٩ ، السير ٢١ / ٥ .

(٤) هو مكي بن منصور بن محمد بن علاّن أبو الحسن الكرجي ، طال عمره ، وتفرد ، وارتحل الطلبة إليه ، مات سنة ٤٩١هـ . السير ١٩ / ٧١ ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٣ / ١٢٠٩ لابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد علي النجار .

(٥) هو أحمد ابن أبي علي الحسن بن أحمد بن محمد الحَرَشي الحيري . أبو بكر ، مسند خراسان . كان بصيراً بالمذهب فقيه النفس . مات سنة ٤٢١ في رمضان ، والحيري نسبة إلى الحيرة ، محلة مشهورة بنيسابور . معجم البلدان ٢ / ٣٣١ ، السير ١٧ / ٣٥٦

(٦) هو محمد بن أحمد بن محمد بن معقل أبو علي النيسابوري الميداني من أهل محلة تعرف بميدان ابن زياد سمع من محمد بن يحيى الذهلي جزءاً واحداً ، وهو الذي تفرد به سبط السِّلفي . مات فجأة في رجب سنة ٣٣٦ . الأنساب ٥ / ٤٢٩ ، السير ١٥ / ٣٩٠ .

(٧) المجمع المؤسس ١ / ٣٤٣ ، ٤٨٦ .

الطريق الثاني : بسماعه من شيخه أبي بكر بن إبراهيم بن العز المقدسي [1]

بسماعه من مشايخه الثلاثة ، أبي محمد عبد الله بن الحسين ابن أبي التائب[2] وأبي بكر محمد بن عنتر [3] ، وزينب بنت يحيى بن عبد العزيز بن عبدالسلام [4]

بسماع الأول من عثمان بن علي[5] ابن خطيب القرافة ، وإجازة الآخرين من سبط السلفي و بسماعه واجازة عثمان من السلفي .

قال : أخبرنا مكي بن منصور الكرجي قال أخبرنا القاضي أبو بكر احمد ابن الحسن الحيري ، قال : أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن معقل الميداني . عنه . [6]

وممن وثق نسبة هذا الجزء إلى الذهلي الإمام أبو سعد عبد الكريم السمعاني [7] فقد ذكره في معجمه الكبير عند ترجمته لشيخه أبو الفضل الأُشْنَاني [8] وهذا الجزء من جملة مسموعاته عنه .

(١) هو أبو بكر بن إبراهيم بن العز محمد بن العز إبراهيم المقدسي، مسند الصالحية المعروف بالفرائضي كان عسراً في التحديث . توفي أيام حصار دمشق بالتتار سنة ٨٠٣هـ، المجمع المؤسس ١/ ٤٧٩ .

(٢) هو عبد الله بن حسين ابن أبي التائب بدر الدين الأنصاري الدمشقي الشاهد ، سماعه صحيح لكنه لين تفردبأشياء . توفي سنة (٢٣٥) عن ما يقارب تسعين سنة . شذرات الذهب ٦/ ١١٠ .

(٣) هو أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عنتر الدمشقي، المعمِّر مات عن ثلاث وتسعين سنة (٧٣٨) . روى الكثير باجازة السبط . شذرات الذهب ٦/ ١١٧

(٤) هي زينب بنت يحيى بن عبدالعزيز بن عبدالسلام أم عمر السلميَّة الدمشقية توفيت سنة ٧٣٥ . مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٤/ ٢٩١ للإمام عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة٢/ ٢١٥ للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق .

(٥) هو عثمان بن علي بن عبدالواحد القرشي الدمشقي الناسخ أبو عمرو ابن خطيب القرافة، له إجازة خاصة من السِّلفي روى بها الكثير . توفي في ثالث ربيع الآخر سنة ٦٥٦هـ. السير ٢٣/ ٣٤٧- شذرات الذهب ٥/ ٢٧٨ .

(٦) المجمع المؤسس ١/ ٤٨٦ .

(٧) سبقت ترجمته ص ٥٨ .

(٨) هو محمد بن بنيمان بن يوسف ابن أبي بكر بن سعد أبو الفضل المؤذن المؤدب الأشناني من أهل همذان . كان صدوقاً ثقة . التحبير في المعجم الكبير للسمعاني ٢/ ١٠١ ، والأُشْنَاني بضم الألف وسكون الشين : نسبة إلى الأشنان الذي تغسل به الثياب، وإلى بيعه وشرائه، الأنساب ١/ ١٧٠ .

قال : " وجزء محمد بن يحيى الذهلي بروايته عن مكي بن علان ، عن أبي بكر الحيري عن أبي علي الميداني ، وغير ذلك . [1]

٤- كتاب : التوكل :

ذكره اسماعيل باشا البغدادي [2] ونقله عنه عمر رضا كحالة[3] ولم يبين هل هو موجود أم مفقود ؟

هذا ما عثرت على اسمه ونسبته ووصفه من آثار ومصنفات الإمام الذهلي . أما ما دُفِن منها فلم أقع على شيئ من أسمائها أو العلوم التي تناولتها .

---

(١) التحبير في المعجم الكبير ١/ ١٠٢ لأبي سعد السمعاني، تحقيق منيرة ناجي سالم.

(٢) هدية العارفين ٦/ ١٦ .

(٣) معجم المؤلفين ١٢/ ١٠٥ .

مدى إهتمام الإمام الذهلي بالإمام ابن شهاب الزهري وزهرياته وعللها

كلما يطلق اسم الامام الذهلي رحمه الله يسبق إلى الذاكرة إسم الإمام العلامة المحدث ابن شهاب الزهري وأحاديثه المسماة بالزهريات ، وعللها .

وأصبح الإمام الذهلي رحمه الله كالوصي المسئول مسئولية مباشرة عن هذا العلم الشامخ وأحاديثه وأحواله .

وهذه عجالة نقف فيها على شخصية الإمام الزهري رحمه الله ومكانته العلمية ومدى عناية الإمام الذهلي بتراثه العلمي .

إن اختيار الإمام الذهلي للامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري للدراسة والمتابعة الدقيقة لاحواله وشيوخه وتلاميذه وعلمه من بين ذلك الحشد المبارك من علماء الأمة كان نابعا من معرفة تامة بالعلم وأهله .

فالإمام الزهري الذي (ولد سنة ٥٠ على الراجح وتوفي سنة ١٢٤)[(١)] من جلّة التابعين فقد روى عن ابن عمر [(٢)] وجابر بن عبد الله[(٣)] ، وسهل بن سعد [(٤)] أنس بن مالك[(٥)] ، والسائب بن يزيد[(٦)] ، ومحمود بن الربيع [(٧)] ،

(١) تاريخ مدينة دمشق « ترجمة الزهري » ص ٣٧ ، ٣٨ ، النصوص رقم ١١ ، ١٤ ، للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر ، مصور من النسخة المخطوطة بالمكتبة الظاهرية ، باعتناء محمد بن رزق بن الطرهوني .

(٢) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي ، أبو عبدالرحمن ، أحد المكثرين من الصحابة وأشد الناس إتباعاً للأثر . مات سنة ٧٣ أسد الغابة ٣/ ٣٤٠ ، التقريب ص ٣١٥ .

(٣) سبقت ترجمته ص ١١٨ .

(٤) هو سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي ، أبو العباس . له ولأبيه صحبة . مات سنة ٨٨ ، أسد الغابة ٢/ ٤٧٢ ، التقريب ص ٢٥٧ .

(٥) هو خادم الرسول صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك بن النضر الأنصاري مات سنة ٩٣ وقد جاز المئة ، أسد الغابة ١/ ١٥١ . التقريب ص ١١٥ .

(٦) هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي . صحابي صغير ، حُجَّ به وهو ابن سبع سنين ، وولاه عمر سوق المدينة . مات سنة ٩١ أسد الغابة ٢/ ٣٢١ ، التقريب ص ٢٢٨ .

(٧) هو محمود بن الربيع بن سراقة الأنصاري الخزرجي ، أدرك الرسول وهو صغير عقل مجة مجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ، أسد الغابة ٥/ ١١٦ .

وسمع كثيرا من سعيد بن المسيب[1] إمام التابعين وفي هذا يقول : (مست ركبتي ركبة سعيد بن المسيب ثماني سنين) [2].

وكان جريئاً في طلب العلم . روى إبراهيم بن سعد عن أبيه قال " ما سبقنا ابن شهاب من العلم بشئ إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد وكنا تمنعنا الحداثة[3] وعن أبي الزناد[4] قال : كنت أطو ف أنا والزهري ومعه الألواح والصحف فكنا نضحك به[5] ولازم عبيد الله بن عبد الله[6] فكان يخدمه ويتلقى عنه العلم .

يقول عن نفسه : كنت أخدم عبيد الله بن عبد الله حتى كنت أستقي له الماء المالح وإن كان ليسأل الجارية : من بالباب ؟ فتقول له : غلامك الأعمش ، تظن أني غلاما له . [7]

وعن أبي الزناد قال : كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس "[8]

وقال عن نفسه " ما استودعت قلبي شيئا قط فنسيته " [9]

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، قال ابن المديني : لاأعلم في التابعين أوسع علماً منه . وقال ابن حجر : إتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل . توفي بعد التسعين، التقريب ص ٢٤١ .

(٢) السير ٥/ ٣٣٢، تاريخ مدينه دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، [ترجمة الزهري ص ٥٣] بعناية شكر الله نعمة الله قوجاني .

(٣) السير ٥/ ٣٣٢ .

(٤) هو عبدالله بن ذكوان أبو عبدالرحمن القرشي المدني الإمام الفقيه الحافظ المفتي، قال أبو حاتم : ثقة فقيه، صالح الحديث، توفي سنة ١٣٠، السير ٥/ ٤٤٥ .

(٥) السير ٥/ ٣٣٢ .

(٦) هو عبيد الله بن عبدالله بن عتبة الإمام الفقيه، مفتي المدينه وعالمها، أحد الفقهاء السبعة، توفي سنة ٩٩، السير ٤/ ٤٧٥ .

(٧) تاريخ مدينه دمشق ص ٥٥ .

(٨) المصدر السابق ص ٥٨ .

(٩) المصدر السابق ص ٧٣ .

وقال عمر بن عبد العزيز : عليكم بابن شهاب هذا فانكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه . (١)

وكان يحث الناس على ذكر أسانيد أحاديثهم فيقول : يا أهل الشام مالي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم ؟!(٢) كما كان يؤكد على إلتزام السنة ومتابعتها ويحبب الناس فيها فيقول : الإعتصام بالسنة نجاة . ويقول : أمِرُّوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت . (٣)

وقد اشتهر بغزارة علمه ، ونهمه في الطلب ، وصار أعجوبة زمانه في الحفظ وتقعيد علوم الرواية ، وتثبيت معالمها ، قال الإمام مالك : أول من أسند الحديث ابن شهاب ، وقال: بقي ابن شهاب وماله في الدنيا نظير . (٤)

وقد استشعر الحافظ الإمام ابن شهاب خطورة وضع الاحاديث وفشوها بسبب الخلافات السياسية والمذهبية الأمر الذي حداه إلى كتابة الأحاديث والحفاظ عليها .

فقد قال : لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا ولا أذنت في كتابه . (٥)

وقد اجتمعت في حياة الإمام ابن شهاب الزهري العلمية عدة أمور كانت سبباً في تميزه على غيره من العلماء السابقين واللاحقين واستحق أن تتوافر جهود كثير منهم لجمع حديثه والاعتناء به .

ومن تلك الامور :

---

(١) المصدر السابق ص ١١٠ ، السير ٥/ ٣٣٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٩١ .

(٣) السير ٥/ ٣٣٧ .

(٤) تقدمة الجرح والتعديل ص ٢٠ .

(٥) تقييد العلم ص ١٠٨ .

١) أنه أول من استجاب لطلب[(١)] الخليفة عمر بن عبد العزيز، فدون له السنن في دفاتر، ثم وزع الخليفة على كل أرض له عليها سلطان دفترا، وأجمع العلماء على أنه كان أول من دون السنة.

٢) تفرد ابن شهاب بسنن لولاه لضاعت قال الليث بن سعد[(٢)] قال لي سعيد بن عبد الرحمن: يا أبا الحارث لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن، وقال الإمام مسلم: «وللزهري نحو من تسعين حديثا يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا يشاركه فيه أحد باسانيد جياد».

٣) كان ممن يحرص على ذكر الإسناد، ويحث العلماء وطلاب العلم على التزامه، سمع الزهري إسحاق بن عبد الله بالمدينة يحدث فيقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك: قاتلك الله يا ابن أبي فروه ما أجرأك على الله!! أسند حديثك، تحدثونا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة ".

٤) كان الزهري يشجع طلاب العلم على دراسة الحديث وينفق على بعضهم قال له أحدهم: لا مال عندي حتى أطلب العلم، فقال له: اتبعني وأكفيك نفقتك "[(٣)].

---

(١) تحدث د. محمد عجاج الخطيب في كتابه «السنة قبل التدوين ص ٣٢٨-٣٣٢» في مبحث «خدمة عمر بن عبدالعزيز للسنه»أنه كتب إلى عامله على المدينة أبو بكر بن عمرو بن حزم أن أكتب إليَّ بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، وبحديث عَمْرة فإني خشيت دروس العلم، وذهابه، وفي رواية أخرى، والقاسم بن محمد، فكتبه له، وكذلك أمر ابن شهاب الزهري وغيره بجمع السنن فلم يكن ابن شهاب هو الوحيد الذي جمع الحديث، ولكنه أول من أسرع في جمعه وتدوينه قبل وفاة الخليفة عمر بن عبدالعزيز، فرأى الخليفه ثمار دعوته متحققه على يدي ابن شهاب الزهري الذي قال: : «أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً» وكان يفخر بذلك ويقول «لم يدون هذا العلم أحد تدويني» ١. هـ بتصرف.

(٢) هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهَمْي، أبو الحارث المصري، ثقة ثبت من السابعة توفي سنة ١٧٥، التقريب ص ٤٦٤.

(٣) استقيت هذه الأمور الأربعة من كتاب السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب ص ٤٩٤.

ومما يستغرب من شدة حرص الإمام الزهري رحمه الله تعالى على العلم ما ذكره سعد بن إبراهيم[١] لما سئل بم فاقكم الزهري ؟ قال : " كان يأتي المجالس من صدورها ، ولا يأتيها من خلفها ، ولا يبقى في المجلس شاباً إلا ساءله ولا كهلاً إلا ساءله ولا فتى إلا ساءله ، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يبقى فيها شابًا إلا ساءله ولا كهلاً إلا ساءله ولا فتى إلا ساءله ولا عجوزاً إلا ساءلها ولا كهلة إلا ساءلها ، حتى يحاول ربّات الحجال " [٢].

أضف إلى ذلك ما ذكره الخليلي في الإرشاد " فعند ذكره علماء المدينة قال : ونبتديء بالمدينة لانها بيت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وبها قبره والفقهاء الذين صار إليهم الفتيا بعد الصحابة من أهل المدينة على ما اتفق عليه الزهري وأقرانه أنهم : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير بن العوام[٣] ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . [٤] وعبد الرحن بن الحارث بن هشام[٥] ، وعلقمة بن وقاص [٦] ومنهم من يضيف إليهم عبد الملك بن مروان[٧] ، وعمر بن عبد العزيز ، وقبيصة بن

(١) هو سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، كنيته أبو إسحاق ، مات بالمدينة سنة ١٢٧ ، الثقات لابن حبان ٤/ ٢٩٨ .

(٢) المحدث الفاصل للرامهرمزي ص ٣٦٠ .

(٣) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبدالله ثقة فقيه مشهور ، مات سنة ٩٤هـ على الصحيح . التقريب ص٣٨٩ .

(٤) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري النَّجَّاري ، ثقة عابد ، مات سنة ١٢٠ ، التقريب ص٦٢٤ .

(٥) عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو محمد المدني له رؤية كان من كبار التابعين مات سنة٤٣ ، التقريب ص ٣٣٨ .

(٦) علقمة بن وقاص الليثي المدني ، ثقة ثبت أخطأ من زعم أن له صحبة ، مات في خلافة عبدالملك ، التقريب ص ٣٩٧ .

(٧) عبدالملك بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية الخليفة الفقيه ولد سنه ٢٦ ومات سنة ٨٦ عن نيف وستين سنة ، السير ٤/ ٢٤٦ .

ذؤيب[1] ، وكان بها من العلماء مثل : سالم بن عبد الله[2] وأقرانه : لكن الفتيا إلى من قد ذكرنا .

ثم إن أبا بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري حفظ علم هؤلاء كلهم، كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق : عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه .[3]

فإذا كان الزهري قد حفظ علم هؤلاء كلهم فهو جدير بأن يوصف بأنه موسوعة علمية نادرة بل كنز من كنوز العلم يجب أن تحاط جهوده بالعناية والبحث والتنقيح والاستقصاء والجمع .

ومن هنا كانت عناية الذهلي بجمع الزهريات واستقصائها وشهرته بها التي طبقت الآفاق حتى صار يدعى (بالزهري) وبالذهلي . من ذلك قول تلميذه أبي حامد ابن الشرقي« حدثنا محمد بن يحيى الزهري»[4] وقال له علي ابن المديني : أنت وارث الزهري »[5]

وقال محمد بن سعيد بن منصور حدثنا أبي قلت ليحيى بن معين . لم لا تجمع حديث الزهري ؟ فقال : كفانا محمد بن يحيى ذلك .[6]

---

(١) قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي أبو سعيد المدني، من أولاد الصحابة مات سنة بضع وثمانين، التقريب ص ٤٥٣ .

(٢) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي أبو عمر، أحد الفقهاء السبعة كان ثبتاً عابداً فاضلاً كان يشبه بأبيه، في الهدي والسمت مات سنة ١٠٦هـ، التقريب ص ٢٢٦ .

(٣) الإرشاد ١/ ١٨٦ .

(٤) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ٣/ ٣٥٧- ويجدر هنا التنبيه على شخص آخر للتمييز بين الإسمين وهو «محمد بن يحيى الزهري أبو غزية، وهو من تلاميذ الإمام مالك». انظر لسان الميزان ٤/ ٣٥٠، وانظر أيضاً السير ١٢/ ٢٧٤ .

(٥) السير ١٢/ ٢٨٣- تاريخ بغداد ٣/ ٤١٧ .

(٦) السير ١٢/ ٢٨٠ .

فهذا اعتراف من علم من أعلام الإسلام بتقدم الذهلي وكفايته وكفاءته لجمع حديث الزهري .

وساق الخطيب بسنده إلى أحمد بن محمود بن مقاتل قال: سمعت رجلاً قال لمحمد بن يحيى : جودت في الزهري فقال : وأي شيء لم أجوِّد »[1] ويصوِّر تجويده هذا مدى معرفته التامة بالرواة عن الزهري ومقدار تفاوتهم في الخطأ عنه حيث قال : لم يرو أحد عن الزهري إلا أخطأ في حديثه إلا مالك بن أنس .[2]

وقال الخطيب : حدثوني عن فضلك الرازي أنه قال: حدثني من لم يخطيء في حديث قط - محمد بن يحيى الذهلي - وقال علي ابن المديني : كفى محمد بن يحيى جمع حديث الزهري .[3]

وقال الدارقطني : " من أحب أن ينظر ويعرف قصور علمه عن علم السلف فلينظر في (علل حديث الزهري) لمحمد بن يحيى "[4]

وقد كان الامام الجليل أحمد بن حنبل يوصي طلبة العلم بملازمة الذهلي ويبين لهم إحرازه لقصب السبق بين العلماء في جمع ومعرفة حديث الزهري، فقد ساق الحاكم سنده إلى أبي عبد الرحيم الجوزجاني[5] قال: قلت لأحمد بن حنبل : إني أريد البصرة وقد عرفت أصحاب الحديث وما بينهم ، فقال : إذا قدمت فسل عن محمد بن يحيى النيسابوري ، فإذا رأيته فالزمه ، ثم قال ما قدم علينا أحد أعلم بحديث الزهري منه ولا أصح كتاباً منه »[6] .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٧ .

(٢) تاريخ الاسلام ص ٣٤٣ حوادث [٢٥١-٢٦٠].

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٨ .

(٤) السير ١٢/ ٢٨٤ .

(٥) هو محمد بن أحمد بن الجراح الجوزجاني ، قال الخلال : هو ثقة ، رجل جليل القدر ، كان أبو عبدالله يكاتبه . طبقات الحنابلة ١/ ٢٦٢ .

(٦) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٧ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣١ ، السير ١٢/ ٢٨١ .

وقال مرة أخرى : ما قدم علينا رجل أعلم بحديث الزهري من محمد بن يحيى .[1]

وأصبح الإمام الذهلي لاعتنائه بحديث الزهري وتجويده إياه كالمدخل والمرجع الأهم في هذا الباب .

وقال شيخه إبراهيم بن موسى الرازي[2] من أراد الزهري لم يستغن عن محمد بن يحيى .[3]

وقد استفاد أهل العلم من كتابي الإمام الذهلي " الزهريات " و " علل حديث الزهري " ومن أوائلهم قرينه الإمام البخاري رحمه الله تعالى : قال الحافظ ابن حجر في تعليقه على حديث أخرجه البخاري عن محمد عن أحمد ابن أبي شعيب : قوله (حدثني محمد حدثنا أحمد ابن أبي شعيب) ثم سرد أقوال العلماء في احتمال أن يكون محمد بن النضر النيسابوري، أو محمد بن إبراهيم البوشنجي ، ومنهم أبو علي الغساني الذي قال : هو الذهلي ، وأيد ذلك أن الحديث في " علل حديث الزهري للذهلي " عن أحمد ابن أبي شعيب، والبخاري يستمد منه كثيراً وهو يهمل نسبه غالباً .[4]

وكان ابن عمرويه أبو بكر البزار[5] أحد رواة العلل الموثقين اللذين يعتمد على سماعهم لها قال أبو محمد المعدل : سألت محمد بن إسحاق بن خزيمة عن

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٧ .

(٢) هو إبراهيم بن موسى يزيد بن زاذان التميمي، أبو إسحاق الرازي الفرّاء المعروف بالصغير، كان الإمام أحمد ينكر على من يقول له الصغير، ويقول : هو كبير في العلم والجلالة، مات في حدود سنة (٢٣٠هـ) تهذيب الكمال ٢/ ٢١٩. السير ١١/ ١٤٠ . .

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥٥ .

(٤) فتح الباري ٨/ ٣٤٢-٣٤٣، عند شرحه للحديث في كتاب التفسير باب[وعلى الثلاثة الذين خلفوا] . .

(٥) هو محمد بن عمرو بن سليمان بن عبدالرحمن أبو بكر البزار المعروف بابن عمرويه . سمع إسحاق الكوسج ومحمد بن رافع وحدث عنه أبو العباس بن عقدة وأبو علي النيسابوري- كان تاجراً كثير الورود إلى بغداد والإقامة بها . توفي سنة ٣٠٤، تاريخ بغداد ٣/ ١٣١ . والبزار بفتح الباء والزاي المشددة، وفي آخرها الراء نسبة لم يخرج الدهن من البزر أو يبيعه، الأنساب ١/ ٣٣٦ .

محمد بن عمرويه وروايته للعلل عن محمد بن يحيى فوثقه ، وأحالنا في سماعها عليه .(١)

وممن كان يقرأ الزهريات على الإمام الذهلي الإمام صالح جزره (٢) فقد نقل أبو حامد ابن الشرقي(٣) أنه كان يقرأ على محمد بن يحيى الزهريات فلما بلغ حديث عائشة أنها كانت تسترقي من الخرزة قال : من الجزرة فلقب بجزرة .(٤)

وكان صالح جزرة قد ورد نيسابور (سنة ثلاث وخمسين ومئتين) قبل وفاة الذهلي بخمس سنوات ولازمه وأخذ عنه الكثير .(٥)

وكان الذهلي إلى جانب معرفته بحديث الزهري عارفاً بمشايخه وما يرويه عنهم من أحاديث .

قال الذهلي : (أبو حميد مولى مسافع (٦) عن أبي هريرة وروى عنه الزهري حديث [لتنتقن كما ينتقى التمر](٧)

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٣١ .

(٢) صالح جزرة سبقت ترجمته ص ١٨٨ .

(٣) أبو حامد سبقت ترجمته ص ١١٦ .

(٤) قال الخطيب بعد أن ساق هذه الرواية[هذا غلط لأن صالحاً لقب جزره في حداثته، وبين السبب الحق أنه جاءهم بعض الشيوخ من الشام . وكان عنده عن جرير بن عثمان فقرأصالح عليه حدثكم جرير بن عثمان : كان لأبي أمامة خرزه يرقي بها المريض . فصحف الخرزه، فقال : كان لأبي أمامة جزره، وإنما هو خرزه، تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٢ .

(٥) السير ١٤/ ١٣ .

(٦) أبو حميد مولى مسافع قيل : هو عبد الرحمن بن سعد المقعد وإلا فمجهول، التقريب ص٦٣٥ .

(٧) السير ٥/ ٣٤٥، والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب شدة الزمان حديث رقم ٤٠٣٨(٢/ ١٣٤٠) بإسناده من طريق أبي حميد مولى مسافع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَتُنْتَقَوُنَّ كما ينتقى التمر من أغفاله . فليذهبن خياركم، وليبقين شراركم . فموتوا إن استطعتم» وقد أشار لصحة الحديث المناوي في فيض القدير ٥/ ٣٣٥، وأورده الألباني في صحيح ابن ماجه ص٣٢٤ وذكر أنه صحيح إلا قوله : « فموتوا إن استطعتم» .

وكذلك على معرفة تامة بطبقات أصحاب الزهري والرواة عنه ومنهم ابن أخي الزهري محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب الزهري[1] - قال الذهبي : " وثقه أبو داود وقال ابن معين وأبو حاتم : ليس بالقوي وفي رواية الدارمي عن ابن معين : ضعيف وجعله محمد بن يحيى الذهلي مع أسامه بن زيد الليثي[2] وا بن إسحاق[3] وفليح "[4]

وقد حصل الذهلي على نسخة شعيب ابن أبي حمزة[5] عن الزهري مع عدد من الائمة والعلماء كلهم عن أبي اليمان[6] عن شعيب عن الزهري .

قال الخليلي في الارشاد عند ترجمته لشعيب ابن أبي حمزة : ونسخة شعيب عن الزهري رواها أبو اليمان الحكم بن نافع البهراني الحمصي ، وروى عن أبي اليمان أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي ابن المديني ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، و أبو حاتم الرازي ، و أبوإسماعيل الترمذي[7] ، وعبد الكريم الدّيْرعاقولي[8] ، وآخر من روى عنه ، علي بن محمد بن عيسي الحكّاني الهروي .[9]

(١) محمد بن عبدالله بن مسلم ابن أخي الزهري الإمام الثقة العالم أبو عبدالله المدني حدث عن عمه كثيراً قتل سنة ١٥٧هـ، السير ٧/ ١٩٧ .

(٢) أسامه بن زيد الليثي مولاهم أبو زيد المدني صدوق يهم مات سنة ١٥٣هـ، التقريب ص ٩٨ .

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي مولاهم المدني إمام المغازي صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر، قال ابن المديني عن سفيان عن الزهري قال : لا يزال بالمدينة علم ما بقي ابن اسحاق . السير٧/ ٣٣. مات سنة ١٥٠ ، التقريب ص ٤٦٧ .

(٤) فليح بن سليمان ابن أبي المغيرة بن حنين الخزاعي المدني الحافظ أحد أئمة الأثر واسمه عبدالملك وقد غلب عليه اللقب حتى جهل الاسم مات سنة ١٦٨هـ، السير ٧/ ٣٥١.

(٥) شعيب ابن أبي حمزة الإمام الثقة المتقن الحافظ أبو بشر الأموي مولاهم مات سنة ١٦٢هـ السير ٧/ ١٨٧ .

(٦) أبو اليمان الحكم بن نافع، سبقت ترجمته ١٤٢ .

(٧) هو محمد بن إسماعيل بن يوسف أبو إسماعيل السلمي الترمذي، الإمام الحافظ الثقة مات سنة ٢٨٠هـ [له ترجمه في السير ١٣/ ٢٤٢، التقريب ٤٦٨ ، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٠٨ ، شذرات الذهب ٢/ ١٧٦ ، تاريخ بغداد ٢/ ٤٢].

(٨) هو أبو يحيى عبدالكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران الدّيْرعاقُولي ثم البغدادي القطان، رحل وحصل وجمع وكان أحد الثقات المأمونين توفي سنة ٢٧٨هـ[له ترجمه في السير١٣/ ٣٣٥، تاريخ بغداد ١١/ ٧٨، شذرات الذهب ٢/ ١٧٢] . والدير عاقولي بفتح الدال المشددة نسبة إلى قرية كبيرة من بغداد . الأنساب ٢/ ٥٢٤ .

(٩) هو الشيخ المحدث الثقة مسند هراة أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الخزاعي الهروي الحكّاني، توفي سنة ٢٩٢هـ[ترجمته في السير ١٣/ ٤٥٤].

وكون الذهلي يحصل على نسخة من حديث الزهري - بواسطة شعيب ابن أبي حمزة الذي وصفه الخليلي بانه مكثر عن الزهري ، وأيضا ذكر أنه كاتب الزهري - فان ذلك يعني أن جمعه للزهريات بأصول وسماع موثقين .

أما عدة أحاديث الزهري عامة فقد قال ابن حجر : (قال البخاري عن علي ابن المديني : له نحو ألفي حديث وقال الآجري عن أبي داود : جميع حديث الزهري كله ألفا حديث ومائتا حديث ، النصف منها مسند وقدر مائتين له عن غير الثقات ، أما ما اختلفوا فيه فلا يكون خمسين حديثا والاختلاف عندنا ما تفرد به قوم على شيء . . . . . الخ .[1]

ولعدم وجود الزهريات كتاب الذهلي بين أيدينا فإننا لا نستطيع الجزم بعدد الأحاديث المروية فيها عن الزهري ، ولكن من المعلوم أن الذهلي لشدة اهتمامه بجمع الزهريات لم يترك أي حديث روي عن الزهري إلا دونه ، دل على ذلك انتقاد الإمام أحمد بن صالح المصري له بعد ما ذاكره الزهريات لأنه استغرق في الجمع والتدوين كل الطرق حتى روايات الضعفاء ثم أرشده لبيان عللها . قال الذهلي : لما جمعت حديث الزهري ، عرضت على علي بن المديني ، فنظر فيه ، فقال : " أنت وارث الزهري ، فبلغ ذلك أحمد بن صالح المصري فلما دخلت مصر قال لي أحمد بن صالح المصري - وذاكرته في أحاديث الزهري - أنت الذي سماك علي ابن المديني وارث حديث الزهري ؟؟ قلت " نعم . قال : بل أنت فاضح الزهري !!

" قلت : لم ؟ قال : لأنك أدخلت في جمعك أحاديث للضعفاء عن الزهري ، فلما تبحرت في العلم ضربت علي الاحاديث التي أشار إليها وبينت عللها .[2]

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٩٦ .

(٢) الإرشاد للخليلي ١/ ٤١٠ .

ومن هذه الحادثة نستفيد عدة امور منها :

١ – شهرة الذهلي بهذا الجمع بين العلماء وطلبة العلم في الآفاق .

٢ – كتابته للزهريات مبكراً قبل ذهابه لمصر والتقائه بأحمد بن صالح إلا أن تكون رحلة أخرى فان رحلته لمصر كانت بعد ذهابه إلى اليمن ثم قفوله حاجا ثم مروره بعد الحج على مصر والشام وغيرها .

٣ – أخلاق الذهلي وتواضعه للعلماء وقبوله الانتقاد واعترافه بالقصور في العلم ثم حزمه وحذفه لاحاديث الضعفاء وبيان عللها لما تمكن من العلم .

٤ – كتب الزهريات أولا ثم بيَّن عللها .

٥ – أهم ما في ذلك أن نسبة الأحاديث الضعيفة أصبحت بعد التمحيص قليلة جداً ، الأمر الذي يجعل هذا المصنف المشهور بعد إخراج علله في عداد كتب الصحاح ، ويستأنس هنا بقول الإمام أحمد بن حنبل قبل صفحات[1] أنه لم يقدم عليه أحد أعلم بحديث الزهري من الذهلي ، ولا أصح كتاباً منه » .

ويبدو أن الذهلي لم يكتف في الزهريات بذكر الأحاديث فقط بل يزيدها بياناً وشرحًا إن أحتيج إليه ويتكلم على أسانيدها وطبقات أصحاب الزهري ، والكتاب على هذا كبير يقع في مجلدين كما ذكر الذهبي في تذهيبه بعد أن سماه (مسنداً) قال : ومسند الزهري لمحمد بن يحيى في نحو مجلدين[2] وكما ذكره الكتاني[3] والزركلي . [4]

---

(١) انظر ص ٢٤١ .

(٢) تذهيب التهذيب ٤/ لوحه ١٠ مخطوط ، ولانستطيع الجزم بمراد الذهبي من تسميته الكتاب [مسنداً] فقد يريد أنه صُنف على مسانيد الصحابه . و هذا لم يصرح به أحد . إلا أن يكون ماذكره الحافظ ابن حجر في النكت الطراف ٥/ ٢٣٢ من أن الذهلي [ذكر حديث تخيير النبى صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً] في علله عند ترجمة محمد بن علي بن عبدالله بن عباس . فقد تكون الزهريات أصلاً مرتبة على المسانيد . أو يكون مراده كونها أسندت بالرجال إلى الزهري . والله أعلم .

(٣) الرسالة المستطرفة ، ص ١١٠ .

(٤) الأعلام للزركلي ٧/ ١٣٥ .

الجامعون للزهريات وعللها :

لقد توافرت همم ثلة مباركة من العلماء الأفذاذ على الاهتمام بحديث الزهري رحمه الله تعالى فمنهم من حفظه وذاكر به ومنهم من تتبع علله وبينها .

وهذه أسماء من وجدت منهم مرتبين حسب وفياتهم

١ - الإمام أحمد بن صالح المصري ت ٢٤٨ (١)

٢ - الإمام أبو موسى محمد بن المثنى الزمن ت ٢٥٢ . (٢)

٣ - الإمام محمد بن يحيى الذهلي ت ٢٥٨ . (٣)

٤ - الإمام أبو بكر محمد بن مهران النيسابوري الإسماعيلي ت ٢٩٥ . (٤)

٥ - الإمام محمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصفار ت ٣٣٩ . (٥)

٦ - الإمام محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤ . (٦)

٧ - الإمام أبو علي الحسين بن محمد الماسَرْجِسي ت ٣٦٥ . (٧)

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٦٥ وقال الذهبي في السير ١٢/ ١٦٣ : كان يذاكر بحديث الزهري، ويحفظه .

(٢) هو محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس العنزي أبو موسى البصري الزَّمِن، الحافظ ثقة ثبت، قال الإمام أحمد : رأيت جمع أبي موسى الزمنً في عامة ماجمع من حديث الزهري. . . الخ [انظر السير ١٢/ ١٦٧، التقريب ص ٥٠٥، الخلاصة ص ٣٥٥].

(٣) السير ١٢/ ٢٨٠.

(٤) هو محمد بن إسماعيل بن مهران النيسابوري المعروف بالإسماعيلي، الإمام الحافظ الرَّحال الثقة أبو بكر المتوفى سنة ٢٩٥، قال الكتاني : جمع حديث الزهري وجوده، السير ١٤/ ١١٧، تذكرة الحفاظ .

(٥) هو الإمام المحدث أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني الصفَّار الزاهد، قال الحاكم هو محدث عصره كان مجاب الدعوة توفي سنة ٣٣٩ قال الذهبي : وجمع وصنف في الزهريات، السير ١٥/ ٤٣٧ . والصَّفار بفتح الصاد وتشديد الفاء، نسبة لمن يبيع الأواني الصُّفْرية، الأنساب ٣/ ٥٤٦ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٨٢، قال الخطيب البغدادي : ومن الكتب التي تكثر منافعها، مصنفات ابن حبان البستي، وذكر منها كتاب« علل حديث الزهري» عشرون جزءاً. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٣٠٢ .

(٧) هو أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين الحافظ الماسَرْجِسي، وكان يوصف بسفينة عصره في كثرة الكتابة والسماع والرحلة، وكان من بيت الحديث، وكانَ مَسند أهل عصره، توفي سنة ٣٣٥ [الأنساب ٥/ ١٧١] قال الكتاني : [وأحاديث الزهري . . . لأبي علي الحسن بن محمد الماسرجسي، وقد زاد على الذهلي وجمع حديث الزهري جمعاً لم يسبقه إليه أحد، وكان يحفظه مثل الماء [الرسالة المستطرفة ص ١١١]. والماسرجسي بفتح الميم والسين وسكون الراء وكسر الجيم، نسبة إلى أحد أجداده، الأنساب ٥/ ١٧١ .

هذا ما اطلعت عليه من أسماء المهتمين بحديث الزهري وعلله وقد يفوت ذكر غيرهم ،ولكن الذي يميز عمل الإمام الذهلي من أعمال هؤلاء العلماء أو سواهم هو جمعه المجود للزهريات مع المعرفة التامة برواتها وأحوالهم قوة وضعفا وعلما وحفظا ، ثم بيانه عللها في مصنف منفرد، وتواتر طلبة العلم وتوافرهم على رواية الكتابين بالاسناد المتصل إلى الأجيال الخالفة وإشادة العلماء بجهوده واستشهادهم بها كالحافظ المزي والحافظ ابن حجر .[1]

(١) من ذلك استشهاد الحافظ المزي برواية للذهلي في زهرياته بيَّن فيها حال أحد رواتها . وذلك في مستهل جوابه عن ثلاثة أسئلة بعثها إليه تقي الدين السبكي من مصر وكان السؤال الأول عن حال [هلال بن رداد الطائي] فعرَّف المزي بهلال ثم ساق رواية الذهلي وكلامه عنه .
قال: قال محمد بن يحيى الذهلي في حديث الزهري : حدثني محمد بن مسلم الرازي، حدثني أبو القاسم بن هلال بن رداد الطائي . حدثنا أبي وكان من كتبة هشام، قال : سمعت ابن شهاب يقول . . . وذكر الحديث.
قال الذهلي: وكان هلال بن رداد الطائي أسوقهم للحديث باقتصاصه . . . الخ جواب المزي، انظر طبقات الشافعيه الكبرى ١٠/ ٤٠٤ .
ومن ذلك كثرة إحالات الحافظ ابن حجر على الكتابين والجزء المشهور . وهذا سرد بعضها :

م	كتب ابن حجر	إحالاته	كتب الذهلي
١	فتح الباري ٢/ ١٦٦	أما رواية عقيل فوصلها الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢	فتح الباري ٢ / ٥٣	حديث عبد الله بن رجاء وصله محمد بن يحيى الذهلي في الجزء المشهور	جزء الذهلي
٣	فتح الباري ٢ / ٣٣٦	قوله : (قال ابن أبي مريم) رويناه موصولاً في الزهريات لمحمد بن يحيى الذهلي .	الزهريات
٤	فتح الباري ٢ / ٣٤٢	أما رواية الليث فوصلها الذهلي في الزهريات .	الزهريات
٥	فتح الباري ٢ / ٥٧٩	ورواية يونس وصلها الذهلي في الزهريات عن أبي صالح .	الزهريات
٦	فتح الباري ٣/ ٢٢١	أما رواية إسحاق فوصلها الذهلي في الزهريات	الزهريات
٧	فتح الباري ٣/ ٢٧٣	ووقع لنا بعلو في جزء الذهلي وسياقه أتم مما في البخاري	جزء الذهلي
٨	فتح الباري ٣/ ٣٢٣	. . . وصله الذهلي في الزهريات عن أبي صالح عن الليث	الزهريات
٩	فتح الباري ٤ / ٩٨	ورواية عثمان بن عمر موصولة في كتاب «علل حديث الزهري» جمع الذهلي	علل حديث الزهري
١٠	فتح الباري ٤/ ١٥١	وقد وقع لنا بعلو في جزء الذهلي المروي من طريق السلفي	جزء الذهلي
١١	فتح الباري ٤/ ١٥٩	وقد وقع لنا بعلو في جزء الذهلي المروي من طريق السلفي	جزء الذهلي

م	كتب ابن حجر	إحالاته	كتب الذهلي
١٢	فتح الباري ٤/ ٢٥٦	قوله: (تابعه سليمان بن كثير عن الزهري) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٣	فتح الباري ٥/ ٥٦	قوله: (وقال الليث) هذا التعليق وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٤	فتح الباري ٥/ ٢٨٧	قوله: (رواه صالح وعقيل عن الزهري)طريقهما موصول في الزهريات للذهلي	الزهريات
١٥	فتح الباري ٥/ ١٨٧	طريق الليث عن يونس تعليقاً. وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٦	فتح الباري ٥/ ٢٠٨	أبو مروان لم يدرك هشام.. وطريقه وصلها الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٧	فتح الباري ٥/ ٣١١	قوله: (وقال الليث حدثني يونس) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٨	فتح الباري ٥/ ٣٢٤	قوله: (وقال الليث حدثني يونس) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
١٩	فتح الباري ٥/ ٣٨٣	قوله: (تابعه اصبغ عن ابن وهب...) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢٠	فتح الباري ٦/ ٤٧٤	وأما متابعة إسحاق الكلبي فوصلها الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢١	فتح الباري ٦/ ٥٧٣	وروى الذهلي في الزهريات من حديث أبي هريرة.. الخ	الزهريات
٢٢	فتح الباري ٦/ ٥٧٨	قوله: (وقال الليث حدثني يونس) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢٣	فتح الباري ٨/ ٣٤٥	وأما رواية يعقوب بن إبراهيم.. فرواها الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢٤	فتح الباري ٨/ ٣٩٢	قوله: (زاد يعقوب بن إبراهيم) وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢٥	فتح الباري ٨/ ٥١٨	وأما قصته المذكورة في الشهادة فوقعت لنا بعلو في جزء الذهلي	جزء الذهلي

ومما يبين اهتمامه البالغ بالزهريات وعللها، ورعايته الشاملة لها وتحريه كل ما يدله على ذلك، ثناؤه العاطر على أبي زرعة الرازي لما بلغه عنه بيان علة حديث من الزهريات كان الذهلي قد استنكره ولم تتبين له فيه علة .

قال ابن أبي حاتم : ذكر سعيد بن عمرو البرذعي قال : سمعت محمد بن يحيى النيسابوري يقول : لايزال المسلمون بخير ما أبقى الله عز وجل لهم مثل أبي زرعة ، وما كان الله عز وجل ليترك الأرض إلا وفيها مثل أبي زرعة يعلم الناس ما جهلوه، ثم جعل يعظم على جلسائه خطر ما حكي له من علة حديث ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم

م	كتب ابن حجر	إحالاته	كتب الذهلي
٢٦	فتح الباري ٨/ ٦٣٧	قوله : (وقال إسحاق بن راشد عن الزهري . . . .)وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢٧	فتح الباري ٩/ ٣٥٧	قوله : (رواه حجاج ابن أبي منيع عن جده) هذه الطريق وصله الذهلي في الزهريات	الزهريات
٢٨	فتح الباري ٩/ ٤٢٤	قوله : (وقال إبراهيم بن المنذر حدثني ابن وهب . .) وصله الذهلي في الزهريات .	الزهريات
٢٩	تغليق التعليق ٣/ ٢٠	قال الذهلي في الزهريات : حدثنا عبد الله بن صالح	الزهريات
٣٠	تغليق التعليق ٣/ ٢٥٩	وأما قول سفيان بن حسين ، فرواه الذهلي في حديث الزهري	حديث الزهري (الزهريات)
٣١	تغليق التعليق٣/ ٣٤٩	قال الذهلي في الزهريات : حدثنا عبد الله بن صالح	الزهريات
٣٢	تغليق التعليق ٣/ ٣٦٧	قال الذهلي في الزهريات : حدثنا أحمد بن شبيب	الزهريات
٣٣	تغليق التعليق ٣/ ٤٠٣	قال الذهلي في الزهريات : حدثنا عبد الله بن صالح	حديث الزهري (الزهريات)
٣٤	تغليق التعليق ٤/ ٣٦	وأما حديث إسحاق الكلبي فقال الذهلي في حديث الزهري	الزهريات
٣٥	تغليق التعليق ٤/ ٤٩٦	رواه الذهلي في الزهريات : عن أبي صالح عن الليث به	الزهريات

قال : « ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعه بغير سواك»[1] قال سعيد : وكنت حكيت له عن أبي زرعة أن محمد بن اسحاق اصطحب مع معاوية بن يحيى الصَّدَفي[2] من العراق إلى الري فسمع منه هذا الحديث في طريقه .

وقال (أي الذهلي) : لم أستفد منذ دهر علماً أوقع عندي ولا آثر من هذه الكلمة . ولو فهمتم عظيم خطرها لاستحليتموه كما استحليته وجعل يمدح أبا زرعة في كلام كثير .[3]

فقد دلت هذه الحكاية على حرص الذهلي الشديد على معرفة علل حديث الزهري ومحاولة بيان كل حديث من الصحة والإعلال فلما تبينت له علة هذا الحديث وهي تدليس محمد بن إسحاق المعروف بالتدليس لمعاوية بن يحيى الصفدي - وهو ضعيف تالف[4] - وروايته الحديث عن الزهري مباشرة فرح كثيرا وسرَّ بذلك رحمه الله تعالى .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٢٧٢ ، والحاكم في مستدركه ١/ ١٤٦ بسنده إلى الذهلي ، كلاهما عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن إسحاق قال : ذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم به بلفظ (فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفاً) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح عن شرط مسلم ولم يخرجاه .
وقد تعقَّبه النووي رحمه الله قائلاً : « وأنكروا ذلك على الحاكم وهو معروف عندهم بالتساهل في التصحيح . وسبب ضعفه أن مداره على محمد بن إسحاق وهو مدلس ولم يذكر سماعه والمدلس إذا لم يذكر سماعه لا يحتج به بلا خلاف كما هو مقرر لأهل هذا الفن » . المجموع شرح المهذب (١/ ٢٦٨) .

(٢) الصَّدَفي هو : معاوية بن يحيى الصَّدَفي ، أبو روح الدمشقي ، سكن الرَّي ، ضعيف ، من السابعة . وقال ابن حبّان : منكر الحديث جداً ، كان يشتري الكتب ويحدث بها ، ثم تغيَّر حفظه ، فكان يحدث بالوهم فيما سمع من الزهري وغيره . [المجروحين من المحدثين ٣/ ٣ ، الكامل في الضعفاء ٦/ ٣٩٩ ، التقريب ٥٣٨ ، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٩٧] .
والصَّدَفي بفتح الصاد والدال نسبة إلى الصَّدِف بكسر الدال ، وهي قبيلة من حمير سكنت مصر ، الأنساب ٣/ ٥٢٨ .

(٣) تقدمة الجرح والتعديل ١/ ٣٣٠.

(٤) انظر الكامل في الضعفاء ٦/ ٣٩٩- والتقريب ص ٥٣٨ .

وهكذا نجد أن الزهريات وعللها قد استحوذت على حيز كبير من اهتمامات الذهلي وكأنه كان يشعر بأنه مسئول مسئولية كاملة عن (حديث الزهري) وعلله حتى توفاه الله عام٢٥٨ .

وهنا يروي أحد طلبته اهتمام طلبة الحديث بجهود الذهلي الحديثية حيث استمر الكلام عنها حتى في المنام .

قال أبو عمرو احمد بن نصر الخفاف[١] : رأيت محمد بن يحيى بعد وفاته فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قلت : فما فعل بحديثك ؟ قال : كتب بماء الذهب ورفعت في عليين .[٢]

---

(١) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عمرو أحمد بن نصربن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف . قال الحاكم : سمعت أبا إسحاق المزكي ، سمعت السراج يقول : مارأيت أحفظ من أبي عمرو الخفاف ، كان يسرد الحديث سرداً حتى المنقطع والمرسل توفي في شعبان سنة تسع وتسعين ومئتين ، السير ١٣/ ٥٦٠ . والخفّاف بفتح الخاء وتشديد الفاء الأولى نسبة لعمل الخفاف التي تلبس ، الأنساب ٢/ ٣٨٧ .

(٢) السير ١٢/ ٢٧٨ . الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ٥/ ١٨٧ .

المبحث الثالث

مكانته الاجتماعية بين معاصريه وثناء العلماء عليه

امتاز كثير من العلماء بوفرة العلم والتفاني في طلبه حتى تناقل أخبارهم الناس وذاع صيتهم في كل مكان . . . . ولكن أخبارهم تلك سرعان ما طوتها صحف الأيام وسجلات التاريخ وأسدلت عليها ستائر النسيان إلا ما شاء الله من نتف أخبارهم وكثير أيضا بقي ذكره إلى زماننا وإلى ما يشاء الله .

وحديثنا عمن سارت الركبان بالثناء عليهم في علمهم وخلقهم ودفاعهم عن دينهم وتبيينهم الحق للناس وكان لهم التأثير البَيِّن في مجتمعاتهم . وإمامنا محمد بن يحيى الذهلي أحد هؤلاء الأعلام الذين زكّوا علمهم بالحركة الدائبة تعليماً وتوجيهاً وإحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل وحماية للمجتمع من بوائق المارقين والمبتدعة وتعاوناً مع العلماء الصادقين لنشر الخير واجتثاث جذور الشر على تعدد ألوانه . لذا نجد الإمام الذهبي رحمه الله قد شبهه في مهابته وجلالته بنيسابور بالإمامين أحمد بن حنبل في بغداد . . . . ومالك بن أنس في المدينة فقال : " كانت له مهابة عجيبة بنيسابور من نوع جلالة الامام احمد في بغداد ومالك في المدينة " (١)

وكان عهده في نيسابور عهد خير وبركة وعلم ونفع ولم تكن تقوم لأهل البدع في وجوده قائمة وهذه صورة من صور قيامه بحق المجتمع المسلم وتعاونه مع الإمام أحمد في بغداد وأبي زرعة في الري في التحذير من المتكلمين والمبتدعة .

قال سعيد بن عمرو البرذعي : كنا عند أبي زرعة الرازي فاختلف رجلان من أصحابنا في أمر داود الأصبهاني والمزني وهما فضل الرازي (٢) ، وعبدالرحمن بن خراش البغدادي (٣) ، فقال ابن خراش : داود كافر . وقال فضل :

(١) السير ١٢/ ٢٧٤ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) هو عبدالرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش المروزي ثم البغدادي الحافظ ، يوصف بالحفظ والمعرفة إلا أنه ينبز بالرفض ، توفي سنة ٢٨٣هـ [تاريخ بغداد ١٠/ ٢٨٠ ، المنتظم ١٢/ ٣٦٢ ، السير ١٣/ ٥٠٨ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٨٤ ، لسان الميزان ٣/ ٥٤٠] .

المزني جاهل ونحو من هذا الكلام فأقبل عليهم أبو زرعة يوبخهما وقال لهما : ما واحد منهما لكما بصاحب ثم قال : من كان عنده علم فلم يصنه ولم يقبض عليه والتجأ في نشره إلى الكلام فما في أيديكما منه شيء . ثم قال (أي أبو زرعة) : الشافعي رحمه الله لا أعلم أنه تكلم في كتبه بشيء من هذا الفضول الذي قد أحدثوه ولا امتنع عن ذلك إلا ديانة وصانه الله لما أراد أن ينفذ حكمته ثم قال : هؤلاء المتكلمون لا تكونوا منهم بسبيل فإن آخر أمرهم يرجع إلى شيء مكشوف ينكشفون عنه وإنه يموه أمرهم سنة أو سنتين ثم ينكشف فلا أرى لأحد أن يناضل عن أحد من هؤلاء فإنهم إن يهتكوا يوما قيل لهذا المناضل : أنت من أصحابه وإن طلبه يوماً طلبه هذا به ، لا ينبغي لمن يعقل أن يمدح هؤلاء ثم قال لي : ترى داود هذا ؟ لو اقتصر على ما يقتصر عليه أهل العلم لظننت أنه يكيد أهل البدع بما عنده من البيان والآلة ولكنه تعدى ، لقد قدم علينا من نيسابور فكتب إليَّ محمد بن رافع ، ومحمد بن يحيى وعمرو بن زرارة [1] ، وحسين بن منصور [2] ومشيخة نيسابور بما قد أحدث هناك فكتمت ذلك لما خفته عواقبه ولم أبد له شيئا من ذلك . فقدم بغداد وكان بينه وبين صالح بن أحمد حسنٌ فكلم صالحاً أن يتلطف له في الاستئذان على أبيه فاتى صالح أباه فقال له : رجل سألني أن يأتيك ؟ قال ما اسمه ؟ قال : داود ، قال من أين هو ؟ قال : من أهل أصبهان ، قال : أي شيء صناعته ؟ قال : وكان صالح يروّغ عن تعريفه إياه ، فما زال أبو عبد الله (رحمه الله) يفحص عنه حتى فطن فقال : " هذا قد كتب إليَّ محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني . قال : يا أبة إنه ينتفي

---

(١) عمرو بن زرارة بن واقد الكلابي أبو محمد النيسابوري، المحدث الإمام الثقة الثبت المتوفى سنة ٢٣٨هـ[له ترجمه في التاريخ الكبير ٦/ ٣٣٢، تقريب التهذيب ص ٤٢١، سير أعلام النبلاء ٤٠٦/١١].

(٢) الحسين بن منصور بن جعفر بن عبدالله السلمي أبو علي النيسابوري، ثقة فقيه، إمام حافظ، توفي سنة ٢٣٨هـ[انظر التقريب ص ١٦٨، السير ١١/ ٣٨٣].

من هذا وينكره فقال أبو عبد الله أحمد : محمد بن يحيى أصدق منه لا تأذن له في المسير إليّ "(1)

فانظر رحمك الله إلى هذه الثقة المتبادلة بين الإمام أحمد والإمام الذهلي واهتمامهما البالغ بما يدور في ساحة المجتمع وتواصيهما بالحق والدفاع عن حوزة الدين ومحاربة المبتدعين . وكذا مراسلته أبا زرعة في الري لذات الأمر رحمهم الله آمين . فبأمثال هؤلاء يكبر المشايخ وتعلو قيمتهم ويندحر الباطل ويهزم .

ونلمس في الإمام الذهلي رحمه الله تلك الغيرة على مسلمات وثوابت هذا الدين من العقيدة الصافية ولوازمها في المجتمع . ولذا فانه لا هوادة لديه تجاه أي محاولة للنيل من صفائها ونقائها فقد كان إمام طائفة المحدثين أهل الأثر في المشرق . وصلابة أهل الأثر في قضايا العقيدة أمر معلوم . . . . . ولم يكن للرأي البحث إليهم سبيلاً . بل كانوا يستعينون بالعقل والفهم على إدراك أمور الدين . . . . وقد كان لأهل الرأي في نيسابور شيخ يجتمع عليه الأحناف وكان يوازي الذهلي في مكانته عند أهل الحديث والأثر . قال صاحب الجواهر المضيَّة في ترجمته لمحمد بن يزيد بن عبد الله النيسابوري الملقب بـ (مَحْمشْ) : (شيخ أصحاب أبي حنيفة بنيسابور ، وبإزاء محمد بن يحيى الذهلي لأصحاب الحديث)(2) .

وقد كان الإمام أحمد شديد الإعجاب والمحبة والتوقير للامام الذهلي لمكانه في العلم ولدفاعه عن حياض الدين وقضايا العقيدة وتخلقه بأخلاق أهل

---

(1) الضعفاء لأبي زرعة وأجوبته على أسئلة البرذعي ٢ / ٥٥١ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٧٣، السير ١٣/ ١٠٣ ، لسان الميزان ٢/ ٥١٨ .

(2) الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية ٣/ ٣٩٩ تأليف عبدالقادر القرشي الحنفي وفيها أنه مات سنة ٢٥٩.

الأثر الذين هم أقرب الطوائف لهدي النبي صلي الله عليه وسلم . قال محمد سهل بن عسكر[1] : " كنا عند أحمد بن حنبل إذ دخل عليه محمد بن يحيى فقام إليه وقرب مجلسه وأمر بنيه وأصحابه أن يكتبوا عنه " [2].

وهذه صورة أخرى من صور اعتراف الإمام أحمد بمكانة الذهلي العلمية والاجتماعية نقلها الخليلي في الارشاد قال : إمام متفق عليه يقارن بأحمد واسحاق كتب عنه بالعراق أقرانه وقرأ عليه أحمد بن حنبل لا بنيه . . . . "[3]

ومن محبة الإمام أحمد له كان يكنيه إذا خاطبه وإذا تحدث عنه .

ذكر ذات مرة حديثاً فيه ضعف بحضرة أحمد بن حنبل فقال له : لا تذكر مثل هذا الحديث !!! فكأن محمد بن يحيى دخلته خجلة فقال له أحمد : إنما قلت هذا إجلالا يا أبا عبد الله " . [4]

وورد أبو عمرو المستملي بغداد فقدم على أحمد بن حنبل فقال له : من أين انت ؟ قال : من نيسابور .

قال : أبو عبد الله محمد بن يحيى له مجلس ؟ قلت : نعم قال : لو إنه عندنا لجعلناه إماما في الحديث " [5]

وقد تركت هذه الثقة والمحبة وذاك التبجيل والاحترام من إمام أهل السنة في نفس الذهلي آثراً كبيراً لذا نراه يشتد في ناحيته بالمشرق على المبتدعة وأضرابهم .

---

(١) هو محمد بن سهل بن عسكر بن عثمان بن دويد التميمي، أبو بكر البغدادي. أصله من خراسان. مات سنة إحدى وخمسين ومائتين. الثقات ٩/ ١٢٧ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٦، السير ١٢/ ٢٨٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣١ .

(٣) الإرشاد ٢/ ٨١٠.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٨ .

(٥) السير ١٢/ ٢٨٠.

وهذا يفسر لنا شدته وقيامه على الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في مسألة اللفظ بالقرآن مع أنه كان على الحق رحمه الله ولكن الإمام الذهلي ظن به الظنون لما خالفت إجابته ما استقر لديه من موقف الإمام أحمد في المسألة – ومن قوله فيها وزاد من ذلك إرسال أبي زرعة وأبي حاتم الكتب اليه وفيها ان البخاري قد قال باللفظ بالقرآن وسنعرض لهذه المسألة بتوسع في الفصل الرابع من هذا الباب .

وقد صور الامام الذهبي مكانة الذهلي الإجتماعية وشخصيته الصارمة فقال : كان الذهلي إمام خراسان بعد إسحاق بلا مدافعة وكان رئيسا مطاعاً عظيم الشأن[1]

وفي حين نجد الذهلي يهتم بما يطرأ على مجتمعه من مخالفات نجده يرتبط بمن حوله بروابط المحبة والألفة ويخالطهم ويتواضع لهم، ولذا كانت تأتيه الرسائل من خارج خراسان ليعرض أصحابها قضاياهم الخاصة ويطلبونه الرأي والمساعدة ومن ذلك رسالة البويطي[2] رحمه الله تعالى من السجن في بغداد والتي يبين فيها حاله من البلاء والمحنة لما سجن بسبب فتنة خلق القرآن وفيها يطلب الذهلي أن يعرض حاله على أهل الحديث ليدعوا له .

كما نجده يستقبل طلبة العلم ويحادثهم في المسجد وخارجه كما حدث له مع صالح جزره لما دخل نيسابور وسأله وكتب مجلساً من أصوله[3]، وكما حصل مع البرذعي حين أتاه يذاكره في الحديث أمام بيته، ويخبره بأحوال المحدثين ورواياتهم فيدخل بيته ويتأكد من الروايات في كتبه ويمليها عليه[4]. بل كان

(١) انظر (مختصر العلو للعلي الغفار)، للإمام الذهبي ص ٢٠٢، إختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني .

(٢) هو يوسف بن يحيى أبو يعقوب سبقت ترجمته ص ٢٢١ وقصته في طبقات الشافعية ٢/ ١٦٥، ومفتاح السعادة ٢/ ٢٨٠ .

(٣) السير ١٢/ ٢٧٧ .

(٤) أنظر قصته في خصائص منهجه في الرواية الفرع الأول : الاهتمام والتركيز على الرواية من الأصول .

رحمه الله يتلطف مع الجارودى ويبيته عنده ويستعين بعربيته[1] . وكان محباً لشيوخه وأقرانه حافظاً لهم وُدَّهم حتى بعد وفاتهم فيشهد جنائزهم بل يؤم المسلمين في الصلاة عليهم كما صلَّى على شيخه وقرينه محمد بن رافع[2] وعلى سعيد بن مروان [3]، وعلى سعيد بن محمد الجَرْمي[4] وسواهم .

وهكذا كان رحمه الله يجمع بين مهابة الشخصية والتواضع الجمّ حتى تمكن حبه من قلوبهم فانطلقت عبارات الثناء والافتخار به . فهذا أبو عوانة[5] يفتخر بمحمد بن يحيى الاسفراييني[6] ويتبعه بالذهلي ويقول : «محمد بن يحيانا [يعنى الإسفراييني]، ومحمد بن يحياكم، [يعنى الذهلي]»[7] ويسئل عنه صالح جزرة فيقول : «ما في الدنيا أحمق ممن يسأل عن محمد بن يحيى»[8] وتمضي الأيام والسنون بالإمام الذهلى وهو ينعم بالمحبة والتقدير بين تلاميذه وحيثما توجَّه، ويُسْمِعُ طلبة العلم والراحلين إليه مصنفاته وبالأخص «الزهريات وعللها» حتى توفَّاه الله يوم الإثنين لأربع بقين من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين

---

(١) أنظر الأنساب ٢/ ٨، وترجمة الجارودي مع تلاميذ الذهلي ص ١٨٠ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٦٥ .

(٣) سبقت ترجمته ١١٦ .

(٤) هو سعيد بن محمد بن سعيد أبو محمد وقيل أبو عبدالله الجَرْميْ الكوفي ، قال عنه يحيى بن معين لابأس به وقال عنه أبو داود ثقة . وسئل أحمد بن حنبل عنه فقال : صدوق توفي سنة ثلاثين ومئتين، تاريخ بغداد ٩/ ٨٧، السير ١٠/ ٦٣٧ . والجَرْميْ بفتح الجيم وسكون الراء نسبة إلى جرم وهي قبيلة باليمن، الأنساب ٢/ ٤٧ .

(٥) هو الإمام الحافظ الكبير الجوال أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الاصل الاسفراييني صاحب المسند الصحيح . قال الحاكم : أبو عوانه من علماء الحديث وأتباعهم . توفي سنة ست عشرة وثلاث مئة، السير ١٤/ ٤١٧ . والاسفراييني، بكسر الألف وسكون السين وفتح الفاء والراء نسبة إلى بليدة في نواحي نيسابور، الأنساب ١/ ١٤٣ .

(٦) سبقت ترجمته ص ١٣٧ .

(٧) السير ١٢/ ٣٦٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٤ .

(٨) السير ١٢/ ٢٨٤، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣١ .

. وهو ابن ست وثمانين سنة بعد عُمْر قضاه في مشيخة بلده وتعليم الناس الخير وإفادتهم . . . وحفظ جناب الدين من أهل الزيغ والهوى . وتترك وفاته لوعة في نفوس تلاميذه الذين عرفوه وخالطوه فأظهروا لوعتهم حتى في سياقهم الروايات عنه وهى مواطن تخلو غالباً من صيغ الترحم والدعاء. قال تلميذه إمام الأئمة ابن خزيمة: «حدثنا محمد بن يحيى الذهلي إمام عصره أسكنه الله الجنة مع محبيه»[1] وقال محمد بن نصر المروزي: «حدثنا محمد بن يحيى رحمه الله»[2] وقال صالح جزره في رسالته إلى أبي حاتم مبيناً حال الناس في نيسابور بعد مقتل يحيى ابن الذهلي: «. . . . وقد مضى هو وأبوه لسبيلهما ولم يخلقا مثلهما»[3].

وبوفاته فَقَدَتْ الأمة علماً من أعلامها الذين صنعهم هذا الدين وربَّاهم منهج سيد المرسلين . وطويت صفحة من صفحات تاريخ أمتنا المُشْرق . . طويت لا لتنسى . . . ولكن لتحفظ في سجِّل من خلَّد التاريخ أسماءهم، وضمَّهم إلى مواكب الهداة المعلمين.

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٤٨١.

(٢) قيام الليل ص ٢٣٠.

(٣) تذكرة الحفاظ ٢/ ٦١٧ .

الفصل الثالث

حياتــــه الفكريـــــة

وتحته المباحث التاليـــــة :

المبــحث الأول : عقيدة الإمام الذهلي .

المبــحث الثـاني : إتجاهه الفقهي .

المبحث الأول
عقيدة الإمام الذهلي

إن معرفة عقيدة أي شخص أمر له أهمية قصوى، لأن العقيدة أمرها عظيم، وفي الحيدة عنها خطر جسيم، وكذلك لأنها أساس ومعيار لكل ما يصدر عن الشخص من الأعمال والأقوال والتصرفات بل والنوايا القلبية، لذا جاء التركيز في العهد المكي على ترسيخها في المفاهيم وفي الواقع، لتكون قاعدة ثابتة لا يطرأ عليها التغيير..

وبهذا الترسيخ وبهذه الأهمية تلقى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاهيم العقيدة فحملوها في قلوبهم، وفي تعاملهم مع بعضهم، واعتزوا بها، حتى نشأت ناشئة زين لهم الشيطان أعمالهم، فحادوا عن هذه الثوابت، فبرزت الشيعة والخوارج أيام الخليفة علي ابن أبي طالب، وظهرت القدرية في أواخر عهد الصحابة، وبذر أهل الشقاق الذين لم يذوقوا طعم الإيمان ولم يتفيئوا في ظلال العقيدة الوارفة، بذور الفرقة والخلاف، فحذر منهم الصحابة وقاطعوهم وبدعوهم بل وكفروا أصنافاً منهم، وتبع التابعون ومن بعدهم الصحابة رضوان الله عليهم على هذا المنهج، وأحاطوا العقيدة بسياج منيع من الحفاظ والإهتمام، وضيقوا الخناق على من خرج عليها، ومن بدعوه أو رموه بمخالفة فهو الخاسر الهالك.

وإمامنا محمد بن يحيى الذهلي كان يعلم تلك الأهمية الكبرى للجهاد في سبيل الله الذي شرع ليكون فيصلاً بين الحق والباطل وليزيح الحواجز بين الناس في الدنيا وبين هذه العقيدة .

ولكنه تعلم من مشايخه وأساتذته أن الذب عن السنة المحمدية والحفاظ عليها جهاد كبير قد يفوق الجهاد بالسيف، لأن بقاء العقيدة واضحة بلجاء نقية

---

(١) السير ١٠/٥١٨.

أمام العالمين هو مهمة الأنبياء والمرسلين، وعندما تطمس أو يحال بين الناس وبينها تأتي مراحل الجهاد وتفرض في الواقع .

لذا لما سمع شيخه يحيى بن معين يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله، استعظم أن يفوق الجهاد أمر آخر، فقال لشيخه: الرجل ينفق ماله، ويتعب نفسه، ويجاهد فهذا أفضل منه!؟ قال: نعم بكثير (١) .

ولما لم يعقب على رأي شيخه دلّ سكوته على اقتناعه به، فنراه كما ذكر الأئمة شديد التمسك بالسنة وإظهارها .

ونراه دائماً مع أولئك الركب المبارك الذين شُهِدَ لهم بنقاء وصفاء العقيدة بل والإمامة فيها، ومن أولئك الفرسان الأشاوس الذين نافحوا عن حياضها بتقرير ما استقر عليه الاعتقاد، وبنسف قواعد المُحْدثينْ في هذا الاعتقاد، والمزعزعين لاستقراره، وذلك بإعلان كونهم قد خالفّوا وغيروا، ثم الأمر بهجرهم ومقاطعتهم حتى يتوبوا، وكذلك بمراسلة الأئمة والعلماء لمتابعة نشاطهم وتحركهم .

و لذلك وصفه الإمام ابن حبان بقوله: « كان متقناً من الجماعين للحديث والمواظبين عليه مع إظهار السنة وقلة المبالاة بمن خالفها» (٢) .

ويقول الذهبي: « . . . كان شديد التمسك بالسنة» (٣) .

وساق الإمام الحافظ أبو القاسم هبة الله اللالكائي أسماء عدد من الصحابة والتابعين ومن تبعهم في معظم النواحي والأصقاع، ممن رسم بالإمامة في السنة، والدعوة والهداية إلى طريق الإستقامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الإئمة .

---

(١) السير ١٠ / ٥١٨ .

(٢) الثقات ٩/ ١١٥ .

(٣) السير ١٢/ ٢٨٤ .

وكان الإمام الذهلي عاشر [1] أحد وعشرين إماماً من أهل خراسان فيهم ابن المبارك ونعيم بن حماد وإسحاق بن راهويه ومحمد بن نصر ويحيى بن يحيى وأبو قدامة السرخسي وسواهم رحمهم الله .

ونورد فيما يلي موافقته لاعتقاد السلف في عدة مسائل :

أولاً: إعتقاده أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية:

معلوم أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان يزيد وينقص ، وأن زيادته بالطاعة ونقصانه بالمعصية ، لذا عقد الإمام اللالكائي سياقاً إستشهد فيه بالأيات والأحاديث الدالة على ذلك ، وثنّى بأقاويل سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، ومن بَعْدَهم من علماء وأئمة الدين وذكر فيهم الذهلي . قال رحمه الله :

وبه قال : من الصحابة: . . . . وعدَّد منهم ستة عشر صحابياً .

قال : ومن التابعين : . . . . وعدَّد منهم ثمانية وعشرين تابعياً .

قال : ومن الفقهاء : مالك بن أنس و . . . و . . . . . و . . . . . و . . . وذكر ثلاثة عشر فقيهاً .

قال : ومن الطبقة الثالثة من البصريين : . . . . و . . . . و . . . . . و . . . وذكر من كبارهم سبعة .

قال : ومن يليهم :

أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو عبيد ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي ، ومحمد بن يحيى الذهلي ،

---

(١) شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٤٧ للإمام أبي القاسم هبة الله اللالكائي ، تحقيق د. أحمد سعد حمدان . وقد أورد الإمام الذهبي في سيره ثناء ابن راهويه على يحيى بن يحيى النيسابوري بأنه : «أصبح إمام أهل الشرق والغرب» فعقّب الذهبي بقوله : «قلت : لم يكن بخراسان بعده مثله إلا إسحاق ولا بعد إسحاق مثل الذهلي ، ولا بعد الذهلي كمسلم ولا بعد مسلم كمحمد بن نصر المروزي ، ولا بعد ابن نصر كابن خزيمة ، ولا بعده كأبي حامد ابن الشرقي ، ولا بعده كأبي بكر الصِّبغي» . السير ١٠/ ٥١٩ .

ومحمد بن أسلم الطوسي، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وأبو داود السجستاني... الخ.[1]

ونقل عنه محمد بن نعيم قوله: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص...»[2].

ومن اهتمام الإمام الذهلي البالغ بتقرير مثل هذه القضايا متابعته لها ونقله إياها عن مشايخه وسواهم ومن ذلك نقله عن سفيان الثوري والأوزاعي رحمهما الله.

١- قال أحمد بن سعيد الثقفي* : نا محمد بن يحيى الذهلي قال نا أبو أحمد الزبيري قال: سمعت سفيان يعني الثوري غير مرة يقول: «الإيمان يزيد وينقص...».

٢- وقال الثقفي أيضاً: نا محمد بن يحيى الذهلي قال نا فديك بن سليمان قال سئل الأوزاعي عن الإيمان فقال: «الإيمان يزيد وينقص، فمن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فهو صاحب بدعة»[3].

(١) شرح أصول إعتقاد أهل السنة ٥/ ٨٩٤. وانظر قول أبي بكر ابن أبي شيبة في كتابه (الإيمان) ضمن أربع رسائل بإسم (من كنوز السنة) تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: (الإيمان عندنا قول وعمل يزيد وينقص) ص٤٦. وانظر الإيمان ومعالمه وسننه، واستكماله، ودرجاته: لأبي عبيد القاسم بن سلام، ضمن أربع رسائل بإسم (من كنوز السنة) تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، باب (الزيادة في الإيمان والإنتقاص منه) ص٧٢، واستشهاده بأقوال سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس وأنهم يرون أن أعمال البر جميعاً من الزيادة في الإسلام مستشهداً لهم بالآيات القرآنية. وانظر كذلك عقيدة ابن بطَّة العكبري في (الإبانة الصغرى) الموافقة لعقيدة السلف (وهي أن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيده كثرة العمل والقول بالإحسان، وينقصه العصيان، وله أول وبداية ثم ارتقاء وزيادة بلا نهاية..) الإبانة الصغرى والمسمَّاة (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة) للإمام عبيد الله بن محمد ابن بطَّة العكبري، تحقيق د. رضا نعسان. ص١٧٧. وانظر تحفة الأحوذي للمباركفوري، شرح جامع الترمذي ٧/ ٣٥٤. بعناية عبد الرحمن محمد عثمان، وعبد الوهاب عبد اللطيف.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٩٠.

(*) لم أجد ترجمته.

(٣) شرح أصول إعتقاد أهل السنة ٥/ ٩٥٨.

ثانياً: عقيدته في استواء الله على العرش مع إحاطته وعلمه بكل ما في الكون.

يعتقد سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الأئمة المحدثين، والفقهاء، والمفسرين، وأهل اللغة، والزهاد، وأئمة أهل الكلام أن الله فوق سماواته على عرشه كما قال تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [(١)]. وقد فصل هذا الإعتقاد إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل فقال: « والماء فوق السماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش... » [(٢)]. ونقل الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة كاللالكائي [(٣)]، وابن القيم [(٤)]، والذهبي [(٥)].

وقد جاء التصريح في القرآن الكريم باستواء الله على العرش سبع مرات، وجمع في ذلك ما ينيف على خمسين حديثاً تصرح بذلك بما لا يدع لطالب الحق مجالاً للشك [(٦)].

ومع كل هذه البراهين وأقوال مئات ممن عقدت الأمة خناصرها عليهم ظهر هناك من ينفي استواءه سبحانه بل زاد الأمر خرقاً فقالوا: (ليس على العرش شيء سوى العدم، وإن الله ليس مستوياً على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يصعد إليه الكلم الطيب..)الخ [(٧)] وهم المعطلة والجهمية.

---

(١) سورة طه: الآية: ٥.

(٢) السنة للإمام أحمد ٧٤-٧٥، بتصحيح وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري.

(٣) شرح أصول إعتقاد أهل السنة ٢/ ٣٨٧ - ٤٠٢.

(٤) إجتماع الجيوش الإسلامية، وهو كتاب أفرده مؤلفه لبيان هذه المسألة وسرد فيها الأدلة من الكتاب والسنة. ونقل فيها أقوال سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم وأئمة الحديث والتفسير واللغة حتى الجن والنمل وحمر الوحش.

(٥) العلو للعلي الغفار، أفرده مؤلفه أيضاً لهذه المسألة ونقل فيه عن ثمانية وستين ومائة عالم من علماء السلف. وقد اختصره العلامة المحدث الألباني.

(٦) سيقت هذه الأحاديث في الكتابين السابقين وفي معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ الحكمي ١/ ١٠٩ عند حديثه على صفة العلو والفوقية.

(٧) إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن قيم الجوزية ص ٤٥.

وهنا يقرر الإمام الذهلي ما قرره الأئمة قبله من أن الله مستو على عرشه سبحانه عالياً على خلقه بائناً منهم، ومع ذلك هو معهم بعلمه يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم وسكناتهم، لا كما تدعي الحلولية والجهمية وسواهم أنه في كل مكان ولا يخلو منه مكان بذاته[1].

سئل الإمام محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله تعالى عن معنى آخر حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبد الله بن معاوية الغَاضري[2]. رضي الله عنه «. . . ليعلم العبد أن الله معه حيث كان»[3].

---

(١) وقد ناقشهم الإمام أحمد في عقيدتهم الباطلة فقال: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء. فقالوا: أي مكان؟ فقال: أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش، والأماكن القذرة ليس فيها منْ عظمة الرب شيء وقد أخبرنا أنه في السماء. قال تعالى: ﴿ءأمنتم من في السماء. .﴾ (الملك: آية: ١٦). وقال تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب. .﴾ (فاطر: آية: ١٠). وقال تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ (النساء: آية: ١٥٨).
وأفلس ما في عقولهم المظلمة من معان رخيصة بالية إذ فهموا من قوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات والأرض﴾ (الأنعام: آية: ٣). أنه في كل مكان في السماء وفي كل مكان في الأرض، فأتى على بنيانهم من القواعد وبين أن المعنى ما تهدي إليه الفطرة وهو (إله من في السموات، وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان فذلك قوله تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما﴾ (الطلاق: آية: ١٢). وضرب لذلك مثالاً قوياً: فقال: لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيء من خلقه. . أ. هـ بتصرف من الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل. من ١٣٥ - ١٣٧، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة.

(٢) هو عبد الله بن معاوية الغَاضري، من غَاضرة بن قيس. صحابي نزل حمص روى عنه جبير بن نفير، له حديث واحد. الطبقات الكبرى ٧/ ٤٢١. الآحاد والمثاني ٢/ ٣٠٠، الإصابة ٦/ ٢٢٠.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة باب في زكاة السائمة. (٢/ ٢٣٩). قال: قرأت في كتاب عبد الله بن سالم - بحمص عند آل عمرو بن الحارث الحمصي: عن الزبيدي قال: وأخبرني يحيى بن جابر عن جبير بن نفير عن عبد الله بن معاوية الغاضري مرفوعاً إلى قوله صلى الله عليه وسلم «. . . لم يأمركم بشَرِّه» بسند رجاله ثقات لكنه منقطع بين يحيى بن جابر وجبير بن نفير - وقد وصله البخاري في التاريخ الكبير ٥/ ٣١. والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٩٠. وابن حجر في الإصابة ٦/ ٢٢٠ كلهم عن يحيى بن جابر أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه أن أباه حدثه به وزاد. . «وزكى نفسه فقال رجل: وما تزكيته النفس؟ فقال: أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان». وكذا أورده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ٣٨.

فقال رحمه الله: «يريد أن الله علمه محيط بكل ما كان والله على العرش»[1].

ومن بيان الإمام الذهلي هذا لمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، نلمس تقريره لمعتقد سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في أمر استواء الله عز وجل على العرش استواءاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، ومع هذا الاستواء فعلمه جل شأنه محيط بكل شيء في السموات والأرض[2].

---

(١) مختصر العلو للعلي الغفار، للإمام الذهبي، ص٢٠١، وانظر معارج القبول للحكمي ١/ ١٥١.

(٢) قال أبو الحسن الأشعري بعد رجوعه لمذهب السلف .. ليس استواءه على العرش استيلاءً، كما قال أهل القدر، لأنه عز وجل لم يزل مستولياً على كل شيء، وأنه يعلم السر وأخفى من السر، ولا يغيب عنه شيء في السموات والأرض، حتى كأنه حاضر مع كل شيء، وقد دلَّ الله عز وجل على ذلك بقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾(الحديد: آية٤). وفسر ذلك أهل العلم والتأويل أن علمه محيط بهم حيث كانوا. رسالة إلى أهل الثغر ٢٣٤.

وقد نقل الإمام ابن تيمية أقوال عدد من أئمة السلف في هذا الصدد منهم الشيخ أبو نصر السجزي في كتابه الإبانة قال: «وأئمتنا كسفيان، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة وعبد الله بن المبارك، وفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي متفقون على أن الله سبحانه وتعالى بذاته على العرش وأن الله بكل مكان.

ومنهم أبو عمرو الطَّلَمَنْكي في كتابه (الوصول إلى معرفة الأصول قال: و أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (الحديد: آية: ٤) ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية ٢/ ٣٨، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. قال ابن تيمية (وليس معنى قوله ﴿وهو معكم..﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان. العقيدة الواسطية ص ١٢٩ - ١٣٠ مع شرحها للدكتور الفوزان.

وقال العلامة الألباني: (وأما قول العامة وكثير من الخاصة: الله موجود في كل مكان، أو في كل الوجود ويعنون بذلك ذاته، فهو ضلال بل مأخوذ من القول بوحدة الوجود، الذي يقول به غلاة الصوفية الذين لا يفرقون بين الخالق والمخلوق ويقول كبيرهم: كل ما تراه بعينك فهو الله!! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ٣٨.

ثالثاً: موقفه من الخوارج.

قال عن إسماعيل بن سميع[1]: «كان بيهسياً[2]، كان ممن يبغض علياً»[3].

وعند مراجعة أقوال العلماء في إسماعيل نجده في مرتبة الصدوق، وهناك من وثّقه كما سيأتي في مبحث الجرح والتعديل، ولكن الأئمة ومنهم الذهلي أشاروا إلى بدعته، وانتمائه لأبي الهيصم البيهسي. وهذا وفرقته خرجوا عن طريق السلف في عدة أمور. لذا زاده الذهلي بياناً وصنفه مع الخوارج على العموم وهم مبغضوا علي، وصنفه في الخصوص مع البيهسية منهم.

---

(١) هو إسماعيل بن سميع الحنفي أبو محمد الكوفي. بيّاع السابري. اشتهر بهذه النسبة لنوع من الثياب يقال لها السَّابريَّة. روى عن مالك بن عمير وأبي رزين وعنه شعبة والثوري. قال أحمد: ثقة، وتركه زائدة لمذهبه. وقال ابن معين: ثقة مأمون. وقال أبو نعيم: إسماعيل بيهسي جاور المسجد أربعين سنة لم ير في جمعة ولا جماعة وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: أما في الحديث فلم يكن به بأس. تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٦، الأنساب ٣/ ١٩٤.

(٢) البَيْهَسية إحدى فرق الخوارج وهم أتباع أبي بيهس الهيصم بن جابر، وكان الحجاج قد طلبه فهرب إلى المدينة، فطلبه بها عثمان بن حبان المزني فظفر به وحبسه. وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل. ومن عجائب أمره أنه كفر إبراهيم وميمون في إختلافهما في بيع الأمة. وبرئ من الواقفيَّة لقولهم إنا نقف فيمن واقع الحرام وهو لا يعلم أحلالاً واقع أم حراماً، قال: كان من حقه أن يعلم!!.

والإيمان عنده: هو أن يعلم كل حق وباطل، وأن الإيمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل، ومن فرق البيهسية قوم يقال لهم العونية. وهم فرقتان اجتمعتا على أن الإمام إذا كفر كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد. وقال بعض البيهسية: إن واقع الرجل حراماً لم يحكم بكفره حتى يرفع أمره إلى الإمام الوالي ويحده، وكل ماليس فيه حد فهو مغفور. وهم فرق كثيرة: منهم أصحاب التفسير. زعموا أن من شهد من المسلمين شهادة أخذ بتفسيرها وكيفيتها. ومنهم أصحاب السؤال ومن أقوالهم أن أطفال المؤمنين مؤمنين. الملل والنحل لأبي الفتح محمد ابن الشهرستاني ١/ ١٢٥، تحقيق محمد سيد كيلاني.

وقال ابن حجر العسقلاني: «أبو بيهس وهورأس فرقة من طوائف الخوارج من الصفرية وهو موافق لهم في وجوب الخروج على أئمة الجور، وكل من لا يعتقد معتقدهم عندهم كافر...» تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧.

(٣) تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧.

رابعاً : عقيدته في رؤية الله جل جلاله.

ذكر الإمام الحاكم أبو عبد الله الإمام الذهلي ضمن «فقهاء الإسلام أصحاب القياس والرأي والاستنباط والجدل والنظر» ومما استشهد به على فقهه في الحديث ما يلي :

قال : وسئل محمد بن يحيى عن اللفظة في الحديث هل رأيت الله؟ فيقول : ما ينبغي لأحد أن يرى الله تعالى، فقال : «هذا في الدنيا فأما في الآخرة فإن أهل الجنة ينظرون إلى الله تعالى بأبصارهم»[(١)] .

(١) الحاكم معرفة علوم الحديث ص٧٣ . وهذا الاستدراك والتقييد من الذهلي رحمه الله تعالى في الإطلاق بأنه لا ينبغي لأحد أن يرى ربه تعالى دليل فقهه وسلامة معتقده «فإنه لا يقول أحد برؤية الله عز وجل في الدنيا» ولكن في الآخرة فإن أهل السنة والجماعة يثبتون رؤية المؤمنين لله عياناً بياناً رؤية حقيقية ، وردَّت هذا الجهمية والمعتزلة والخوارج وسواهم، فما أحرى من لا يؤمن برؤية الكريم أن يحجب عنه، ويا لفداحة الخسارة، . انظر فتح الباري ١٣/ ٤٢٦، والتوحيد لابن خزيمة ١/ ٤٠٦.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات ذلك بالآية الكريمة ﴿وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (القيامة ٢٢/ ٢٣)

ويقول الله تعالى : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ (يونس آية : ٢٦) ، وقوله تعالى : ﴿كلا إنهم عن ربهم يؤمئذ لمحجوبون﴾ (المطففين ١٥) واستدلوا بأحاديث كثيرة منها ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده إلى جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا) . صحيح البخاري ٨/ ٢٢٦ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناظرة﴾،

ومنها ما استشهد به الحافظ محمد بن يحيى ابن أبي عمر العدني رحمه الله في كتابه الإيمان باب في كلام الله عز وجل ورؤيته يوم القيامة ص ٨٩، فقد ساق سنده إلى عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم . . . . . الخ) الحديث.

فالكلام مع الله عز وجل بدون ترجمان يقتضي أن يكون بالرؤية عقلاً وفطرة، وقد أورد الترمذي هذا الحديث في سننه وقال بعده «حدثنا وكيع يوماً بهذا الحديث عن الأعمش، فلما فرغ وكيع من هذا الحديث، قال : من كان ها هنا من أهل خراسان فليحتسب في إظهار هذا الحديث بخراسان لأن الجهمية ينكرون هذا» (سنن الترمذي كتاب صفة القيامة باب في القيامة ٤/ ٥٢٨). =

خامسا : عقيدته في القرآن الكريم ومواقفه الصلبة ممن غير وبدل من أصحاب الفرق .

لقد أحدثت فتنة القول بخلق القرآن صدعاً كبيراً في المجتمع الإسلامي آنذاك، وشتتت صفوف الأمة وذهب الناس فيها مذاهب شتى، فأولهم أهل السنة والجماعة الذين ذهبوا مذهب الحق، وأنه كلام الله منزل غير مخلوق ويتلوهم المعتزلة الذين أشعلوا هذه الفتنة، وادعوا أن القرآن مخلوق، ولم تثبت لهم في ذلك أي دعائم أو قواعد وجاء بعدهم الواقفية الذين يقفون فلا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ، وآخرهم اللفظية وسيأتي الكلام عنهم.

والإمام الذهلي رحمه الله من ذلك الركب المهتدي بهدي الكتاب والسنة فلا يصدر إلا عنهما، وقد أثر عنه في هذه المسائل مواقف صلبة قوية ترد كل ما أحدث وزيد، وتثبت ما استقر عند سلف الأمة من أمر هذه العقيدة التي لا تقبل التميع والإلتواء.

المسألة الأولى : قوله بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وتكفيره من قال إنه مخلوق.

شهد الإمام اللالكائي لخمسمائة وخمسين نفسًا أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي

= وقد ذكر ابن خزيمة في توحيده عدة أبواب يستهلها بتقرير منهج أهل السنة من ذلك قوله باب ٤٣ : «ذكر البيان أن الله عز وجل ينظر إليه جميع المؤمنين يوم القيامة برهم وفاجرهم وإن رغمت أنوف الجهمية المعطلة المنكرة لصفات خالقنا» (التوحيد ١/ ٤٠٦).

وفي باب(٤٤) بين أن رؤية المنافقين والفجار رؤية إمتحان قبل أن يوضع الجسر بين ظهراني جهنم، ورؤية المؤمنين رؤية فرح وسرور وتلذذ (١/ ٤٢٠)، وقد أطال رحمه الله في الاستشهاد لذلك من السنة.

وأورد اللالكائي عقيدة ابن جرير الطبري ومن جملة قوله : «وأما الصواب من القول لدينا في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وهو ديننا الذي ندين لله به وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة، فهو أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وانظر في ذلك تفسير ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى : ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ (سورة الأنعام: ١٠٣)

وانظر إثبات ابن تيمية لذلك في العقيدة الواسطية ص٧٩ وشرحها للدكتور صالح الفوزان.

السنين والأعوام بأنهم قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر.

وذكر إمامنا الإمام الذهلي وابنه في أول من ذكر من أهل نيسابور وبخارى وسمرقند. قال: يحيى بن يحيى النيسابوري، وأحمد بن النضر النيسابوري، ومحمد بن يحيى الذهلي.

... ثم ساق أسماء خمسة عشر عالماً وإماماً فيهم ابنه يحيى (حيكان)[1].

المسألة الثانية: قوله بأن الأمر في قوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾[2] هو القرآن الكريم.

نقل الإمام اللالكائي عن سعيد بن نصير أبو عثمان الواسطي أنه قال في مجلس خلف ابن هشام البزاز: «سمعت ابن عيينة يقول: ما يقول هذا الدويَّة[3]- يعني بشر المريسي؟.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٣١٠- وكان اللالكائي رحمه الله قد ساق للاستشهاد على هذه المقولة الخطيرة عدداً من آيات الكتاب العزيز تفسر أو تدل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ثم ثنى بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على ذلك، ثم ساق ما روي من اجماع الصحابة عليه أيضاً. ثم إجماع التابعين من مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة بأسمائهم، ثم أورد حشداً من أتباع التابعين على طبقاتهم المتفاوتة من شتى البلدان- ثم أقاويل جماعة منهم من الفقهاء المشهورين في عصر واحد ثم أقوال التابعين من أهل المدينة وعرج على الطبقات التي تليهم من مكة المكرمة، والبصرة، وواسط، والشطوط، وبغداد، وأهل الشام والثغور والعواصم وأهل مصر، وأهل الري ومن كور الجبال أهل أصبهان، وأهل خراسان وجماعة من البلخيين وأخيراً أهل نيسابور وبخارى وسمرقند» وبعد سياقهم أجمعين قال: وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم، لا ينكر عليهم أحد، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه. راجع كل ذلك في الجزء الأول من كتابه من ص٢١٦ -٣١٢.

(٢) سورة الأعراف آية (٥٠).

(٣) الدوية صفة للرجل المريض واللفظة من باب دوي يدْوَى دَوىً فهو دَو إذا هلك بمرض باطن. ورجل دَو بكسر الواو، أي فاسد الجوف من داء، وامرأة دَوِيَةٌ. وإن قلتَ: ورجل دوىً استوى فيه المذكّر والمؤنث. وقال ابن سيده: والدَّوى الأحمق. ودوي صدره أي ضغن. انظر لسان العرب ١٤/ ٢٧٩.

قالوا : يا أبا محمد ابن (أبي) عمران : القرآن مخلوق .

قال : فقد كذب . قال الله عز وجل : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فالخلق خلق الله والأمر القرآن الكريم .[1]

قال اللالكائي : «وكذلك قال أحمد بن حنبل ، ونعيم بن حماد ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وعبد السلام بن عاصم الرازي ، وأحمد بن سنان الواسطي ، وأبو حاتم الرازي»[2] .

المسألة الثالثة : حكمه على الواقفية[3]، وموقفه منهم.

قال محمد بن يحيى الذهلي : من وقف في القرآن فمحله محل من زعم أن القرآن مخلوق»[4] .

---

(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره : قال ابن عيينة : فرّق الله بين الخلق والأمر ، فمن جمع بينهما فقد كفر ، وفي تفرقته بين الخلق والأمر دليل على فساد قول من قال بخلق القرآن . الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٢٢) . وقال الإمام الشوكاني في تفسيره : الخلق : المخلوق ، والأمر : كلامه ، وهو كن . . . ، وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة في قوله ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ قال : الخلق ما دون العرش ، والأمر ما فوق العرش . وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي عنه قال : الخلق هو الخلق ، والأمر هو الكلام . فتح القدير ٢/ ١١٢-٢١٣ . والقرآن الكريم من كلام الله ، ولعل تخصيص ابن عيينه الأمر بالقرآن الكريم من باب التغليب في واقع الحال في تلك الفترة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية ، لتطاول الفرق المنحرفة على كتاب الله وتشكيكها في مصدره مع أنه محفوظ بكفالة الله .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٢١٩ عند سياقه ما ورد في القرآن من الآيات الدالة على عدم خلق القرآن .

(٣) الواقفية : هم الذين يقفون في القرآن فلا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق . انظر الرد على الجهمية للدارمي ص ١٦٧ وشرح اعتقاد أهل السنة ٢/ ٣٢٣-٣٢٩ .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٣٢٨ . - وقد ذكر اللالكائي ذلك عند سياقه ما روي في تكفير من وقف في القرآن شاكاً فيه : أنه غير مخلوق . وقد شدد السلف الصالح رضي الله عنهم في مسألة الوقف ، لأنها تدل على التميع في الاعتقاد ، وأغلبهم يتسترون بذلك بالقول بخلق القرآن كما قال عبد الله ابن أبي سلمة العمري المدني- نزيل بغداد ، لما سئل عمن يقول : أن القرآن غير مخلوق؟ فقال : إن الذي لا يقول : إنه غير مخلوق فهو يقول مخلوق إلا أنه جعل هذه سترة يستتر بها . شرح أصول الاعتقاد ١/ ٣٢٥ .

وهذه القضية واضحة بلجاء لمن صفت فطرته وطلب الحق ، لذا شدد الأئمة على الواقفة لأنهم يفتحون جبهة متوسطة غير واضحة .

وقال: «ومن وقف فقال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، فقد ضاهى الكفر»[1].

المسألة الرابعة: حكمه على اللفظية[2] وموقفه منهم.

نقل الإمام اللالكائي عن محمد بن أسلم الطوسي[3] قال: إن من قال بأن القرآن يكون مخلوقاً بالألفاظ فقد زعم أن القرآن مخلوق.

قال اللالكائي: وعن محمد بن يحيى الذهلي مثله: وقال: هو مبتدع وأمر بمباينته ومجانبته[4].

وقال في موضع آخر: ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم[5].

والذهلي هنا رحمه الله نراه قد شفع حكمه على اللفظي بالرادع والزاجر الفعلي وهو عدم المخالطة والمجالسة ووجوب المجانبة والمباينة.

وأختم حديثي عن عقيدته في القرآن الكريم وموافقته في ذلك لأعلام وأئمة الدين، ومواقفه من أصحاب المذاهب الشاذة الباطلة كالمخلوقية والواقفية واللفظية وسواهم؛ أختمه بنصين يبين فيهما بلسانه معتقده بصراحة تامة في هذه الأمور الخطيرة.

---

(١) السير ١٢/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٢) اللفظية: هم من يقولون لفظي بالقرآن مخلوق، ولا يريدون بذلك حركة المرء وتلاوته للقرآن وإنما يريدون الملفوظ وهو كلام الله تعالى وقد تسترت الجهمية بهذه المقولة لتبرز عقيدة خلق القرآن الباطلة، وذلك لما أخمدها الإمام أحمد رحمه الله.
وانظر الفصل الخاص بعرض هذه المسألة في هذه الرسالة وهي مسألة الاختلاف في اللفظ.

(٣) هو محمد بن أسلم بن سالم أبو الحسن الكندي الطوسي، سمع يزيد بن هارون، ويعلى بن عبيد، قال محمد بن رافع: دخلت على محمد بن أسلم فما شبهته إلا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات سنة ٢٤٢ بنيسابور. السير١٢/ ١٩٥.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٣٥٢.

(٥) السير ١٢/ ٤٥٥-٤٥٦.

النص الأول:

قال أبو حامد ابن الشرقي: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته، وحيث تصرف، فمن لزم هذا إستغنى عن اللفظ، وعما سواه من الكلام في القرآن، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، وخرج من الإيمان، وبانت منه إمرأته، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وجعل ماله فيئاً بين المسلمين ولم يدفن في مقابرهم ومن وقف، فقال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، فقد ضاهى الكفر، ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم.. الخ[1].

النص الثاني:

وقال محمد بن نعيم: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، وحيث تصرف ولا نرى الكلام فيما أحدثوا فتكلموا في الأصوات والأقلام، والحبر والورق، وما أحدثوا من المَتْليّ والَمُتْلَى والمُقْرِئ، فكل هذا عندنا بدعة، ومن قال أن القرآن محدث فهو عندنا جهمي، لا يشك فيه ولا يمترى»[2]

من النصوص السابقة نلمس مدى شدة الإمام الذهلي على المعتزلة ومن سار في فلكهم من المخالفين لمنهج السلف الصالح في الإعتقاد، مترسماً بذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه في الأخذ على أيدي المارقين ووصد جميع المنافذ عليهم.

وكان منهجه في هذا البيان يقوم على أمرين متلازمين؛ الأول: وهو قولي، البيان الصريح للمنهج الحق وتكفير أو تخطئة أو تبديع المخالفين حسب مخالفتهم.

---

(١) السير ١٢/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٢) السير ١٢/ ٢٨٩، قال الذهبي رحمه الله تعالى (كذا قال: المَتْليُّ والمُتْلَى، ومراده المَتْلي والتلاوة، والمُقرئ والقراءة). المصدر السابق١٢/ ٢٩٠.

و الثاني وهو فعلي، الأمر بالمجانبة والمباينة وما يتبع ذلك من طلاق أو إقامة حد القتل، وتفريق مال المخالف على المسلمين وكذا دفنهم بعيداً عن مقابر المسلمين إن كان ما أتوا به مخرجاً من الملة.

ومن هذا العرض الموجز لأقواله في بعض مسائل العقيدة ندرك مدى موافقته لسلف الأمة ـ من الصحابة والتابعين ومن تابعهم ـ في قضايا العقيدة. بل كان من أعلامهم الذين تذكر أقوالهم ويستشهد بمنافحتهم ودفاعهم عن حياضها.

المبحث الثاني

إتجاهـــه الفقهـــي

إنّ المتتبع لمسيرة الإمام الذهلي العلمية، الناظر في روايته ودرايته للحديث النبوي الشريف، ليدرك أنه لم يكن مجرد محدث تربع على عرش إمارة المؤمنين في الحديث في زمانه. بل كان مع ذلك علماً من أعلام المحدثين الفقهاء الذين أكدوا على منهجية العلم الصحيحة عند أسلافنا رحمهم الله الذين مزجوا دراية الحديث وروايته بفقهه واستنباط الأحكام الشرعية من نصوصه.

فقد ذكره أبو عبد الله الحاكم ضمن العلماء الذين كانت لهم معرفة وتعمق في فقه الحديث الذي هو ثمرة علوم مصطلح الحديث عموماً، وبه قوام الشريعة فقال: -

فأما فقهاء الإسلام أصحاب القياس والرأي والاستنباط والجدل والنظر فمعروفون في كل عصر وأهل كل بلد، ونحن ذاكرون بمشيئة الله في هذا الموضع فقه الحديث عن أهله ليستدل بذلك على أن أهل هذه الصنعة من تبحر فيها لايجهل فقه الحديث إذ هو نوع من أنواع هذا العلم.

ثم ذكر رحمه الله من أصحاب هذا الاتجاه المبارك محمد بن مسلم الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه، ثم محمد بن يحيى الذهلي رحمهم الله أجمعين. (١)

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ٦٣ ـ ٧٣ .

ومن استعراض المسائل الفقهية الآتية يتبين بوضوح وجلاء أن الإمام الذهلي كان من الأئمة المجتهدين، بعيداً عن مناهج التقليد في الفقه، مستنبطاً للأحكام من النصوص بما يؤدي إليه علمه، يدل على ذلك مثل عباراته التالية :

«نرى الوضوء من مس الذكر استحباباً لا إيجاباً بحديث عبد الله بن بدر...الخ»

ومثل عبارة [**«...من سمع هذا الحديث ثم لم يرفع يديه يعني إذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع فصلاته ناقصة..»**] وكذا بقية اطلاقاته الفقهية يشم منها روح الاستقلالية وإعمال العقل استنباطاً من النصوص الشرعية. وهذه بعض المسائل الدالة على ذلك :

المسألة الأولى: الوضوء «من مس الذكر»

أخرج ابن خزيمة حديثاً بسنده عن مروان عن بسرة بنت صفوان[(١)] أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ)[(٢)] وقد تعرض الإمام الذهلي لهذه المسألة فقال:**«نرى الوضوء من مس الذكر استحباباً لا إيجاباً بحديث عبد الله بن بدر عن قيس بن طلق[(٣)] عن أبيه عن النبي صلى الله عليه**

(١) هي بسرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد القرشية الأسدية، صحابية لها سابقة وهجرة، عاشت إلى خلافة معاوية، أسد الغابه ٧/ ٤٠، التقريب ص ٧٤٤.

(٢) الحديث أخرجه مالك في الطهارة باب الوضوء من مس الفرج ١/ ٤٢، وأبو داود في الطهارة باب الوضوء من مس الذكر ١/ ١٢٥، والترمذي في الطهارة باب الوضوء من مس الذكر ١/ ١٢٦، والنسائي في الطهارة باب الوضوء من مس الذكر ١/ ١٠٠. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، كما نقل عن البخاري قوله: وأصح شيء في هذا الباب حديث بسرة١/ ١٢٩. وأحمد والدارقطني وابن معين والبيهقي والحازمي وابن العربي، فيما حكاه الحافظ في تلخيص الحبير١/ ١٣١.

(٣) حديث قيس بن طلق عن أبيه بلفظ (الرجل يمس ذكره أعليه وضوء؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إنما هو بضعة منك) أخرجه الترمذي في الطهارة باب ماجاء في ترك الوضوء من مس الذكر ١/ ١٣١ والنسائي في الطهارة باب ترك الوضوء من ذلك ١/ ١٠١. وقد صححه عمرو ابن علي الفلاس وقال: هو عندنا أثبت من حديث بسرة، وروى عن ابن المديني أنه قال: هو عندنا أحسن من حديث بسرة، وصححه أيضا. ابن حبان والطبراني وابن حزم، وضعّفه الشافعي وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وابن الجوزي وادعى فيه النسخ ابن حبان والطبراني والحازمي. تلخيص الحبير١/ ١٣٤.

وسلم.[1] ، فالإمام الذهلي رحمه الله استدل على صرف الوجوب إلى الاستحباب في المسألة بحديث طلق بن علي المتقدم ذكره ، فتبين من ذلك أنه لم يقلد أحداً في القول بهذا بل اجتهد في المسألة وقال بما ترجّح عنده وهذا دليل على سعة علمه وفقهه وبلوغه شأواً عظيماً في درجات الاجتهاد وذلك من قوله «نرى» وهو دليل على اجتهاده الخاص والله أعلم. وقد نقل ابن خزيمة في صحيحه بسنده إلى مالك بن أنس قوله «أرى الوضوء من مس الذكر استحباباً لا أوجبه»[2] وذكر ذلك أيضاً عن الإمام أحمد عندما سئل عن الوضوء من مس الذكر فقال: «أستحبه ولا أوجبه»[3] ونقل عبد الله بن أحمد في مسائله عن أبيه في هذه المسألة قوله لما سئل عن ذلك «يعجبنى أن يتوضأمنه»[4] وقد ذهب إلى عدم نقض الوضوء بمس الذكر علي ابن أبي طالب، وابن مسعود، وعمار، وحذيفة، ومن التابعين الحسن وربيعة، ومن الأئمة الثوري وأبو حنيفة، وأصحابه. وذهب إلى أنه ناقض من الصحابة عمروابنه عبد الله وابن عباس وأبوهريرة وعائشة وسعد وغيرهم ، ومن التابعين عطاء و الزهري وابن المسيب ومجاهد، ومن الأئمة الشافعي وأحمد ومالك في المشهورعنه وغير هؤلاء .[5]

المسألة الثانية : رفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه .

قال ابن خزيمة: نا بندار، نا أبو داود، نا فليح بن سليمان، حدثني العباس ابن سهل الساعدي قال: إجتمع ناس من الأنصار فيهم سهل بن سعد

(١) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٣.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٢.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٣.
(٤) مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدالله ص ١٦، تحقيق زهير الشاويش.
(٥) نيل الاوطار ١/ ٣٠٠، نصب الراية لأحاديث الهداية ج١/ ٦٣ للعلامة جمال الدين الزيلعي الحنفي، المغني ج١/ ١٧٨، تهذيب سنن أبي داود ١/ ٦٣ للإمام ابن قيم الجوزية، النسخة المطبوعة مع مختصر سنن أبي داود للمنذري ومعالم السنن للخطابي، تحقيق محمد حامد الفقي. والجدير بالذكر أن للإمام أحمد في هذه المسألة روايتان ذكر ذلك عنه صاحب المغني في الموضع السابق.

الساعدي، وأبو حميد الساعدي، وأبو أسيد الساعدي فذكروا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حميد دعوني أحدثكم وأنا أعلمكم بهذا قالوا: فَحَدِّثْ. قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الوضوء، ثم دخل الصلاة وكبّر فرفع يديه حذو منكبيه، ثم ركع فوضع يديه على ركبتيه كالقابض عليها. فلم يصب رأسه ولم يقنعه ونحّى يديه عن جنبيه ثم رفع رأسه فاستوى قائماً حتى عاد كل عظم منه إلى موضعه، ثم ذكر بندار بقية الحديث. وقال في آخره: فقال القوم كلهم: هكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا أبو طاهر، نا أبو بكر قال سمعت محمد بن يحيى، يقول: **من سمع هذا الحديث ثم لم يرفع يديه يعني إذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع فصلاته ناقصة.** [1] هذا تأكيد من الإمام الذهلي رحمه الله على الإلتزام بسنن المصطفى صلى الله عليه وسلم وأن لا عذر لمن بلغه الحديث في ترك هذه السنن. وقد استدل هنا بثبوت التكبير في الركوع والرفع منه وسائر أفعال الصلاة عنه صلى الله عليه وسلم على نقصان صلاة المفرط في ذلك وهذا فقه عظيم منه رحمه الله إذ أنه لم يقل بنقض صلاته ولا بجواز ترك التكبير. بل كان قوله من الدقة والفقه بحيث يلزم المصلي بالإتيان بالسنن الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم لتتم صلاته بأركانها وسننها وهذا غاية في الفقه والعلم والله أعلم. ومما يؤيد ما ذهب إليه الإمام الذهلي في المسألة ما جاء في حديث المسيء عند الترمذي وجاء فيه (... وان أنتَقَصْتَ منه شيئاً فقد انتقصت من صلاتك)[2] الحديث. وقد بوب

---

(١) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٩٨. وكذا أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة١/ ٤٧١، والترمذي في سننه في أبواب الصلاة، باب١١٠، وقال: حسن صحيح٢/ ١٠٧، وأحمد في مسنده ٥/ ٤٢٤، والبغوي في شرح السنة٣/ ١٢، وابن الجارود ص١٠١، وزاد أبو داود وابن الجارود وغيرهما في آخره قالوا: صدقت هكذا كان يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) سنن الترمذي كتاب الصلاة باب (١١٠) ما جاء في وصف الصلاة ٢/ ١٠٠. وقال حديث حسن.

الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه لهذا فقال: «باب إتمام التكبير في الركوع» وساق حديث عمران بن حصين وفيه (فذكر أنه كان يكبر كلما رفع، وكلما وضع). قال الحافظ في شرحه: «لكن استقر الأمر على مشروعية التكبير في الخفض والرفع لكل مصل . . . . وعن أحمد وبعض أهل العلم بالظاهر يجب كله[1] . . . . قوله (كلما رفع وكلما وضع) هو عام في جميع الانتقالات في الصلاة لكن خص منه الرفع من الركوع بالاجماع فإنه شرع فيه التحميد[2] . بل قال الحافظ بعد ذلك عندما أورد دعوى ابن بطال الإجماع على أن من ترك التكبير فصلاته تامة قال: «وفيه نظر لما تقدم عن أحمد، والخلاف في بطلان الصلاة بتركه ثابت في مذهب مالك إلا أن يريد اجماعاً سابقاً»[3] وقد حكى مشروعية التكبير في كل خفض ورفع الترمذي . . . قال: (وعليه عامة الفقهاء والعلماء)[4] . . . . وقد اختلف القائلون بمشروعية التكبير فذهب جمهورهم إلى أنه مندوب فيما عدا تكبيرة الإحرام . . . . . واحتج الجمهور على الندبية بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمه المسيء في صلاته» قال الشوكاني: وأما الجواب بأنه صلى الله عليه وسلم لم يعلمه المسيء فممنوع، بل قد أخرج أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسيء بلفظ: «ثم يقول الله أكبر ثم يركع حتى يطمئن مفاصله» إلى قوله «فإذا فعل ذلك فقد تمت صلاته»[5] قال صاحب المغني رحمه الله: « وأكثر أهل العلم يرون أن يبتدىء الركوع بالتكبير وأن يكبر في كل خفض ورفع منهم ابن مسعود وابن عمر وجابر

(١) قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في تعليقه على الفتح عند هذا الموضع: «وهذا القول أظهر من حيث الدليل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حافظ عليه وأمر به وأصل الأمر للوجوب. وقد قال صلى الله عليه وسلم [صلوا كما رأيتموني أصلي] فتح الباري ٢/ ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فتح الباري ٢/ ٢٧١.

(٤) نيل الاوطار ٣/ ٩٦.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٩٧، ٩٨.

وأبو هريرة . . . ومالك والأوزاعي وابن جابر والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي وعوام العلماء من الأمصار» ثم نقل رحمه الله عن البخاري قوله : قال علي ابن المديني - وكان أعلم أهل زمانه : حق على المسلمين أن يرفعوا أيديهم لهذا الحديث . . . . . فصار كالتواتر الذى لا يتطرق إليه الشك . . . وعمل به الصحابة والتابعون وأنكروا على من لم يعمل به ، قال الحسن : رأيت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يرفعون أيديهم إذا كبروا وإذا ركعوا وإذا رفعوا رؤوسهم كأنها المراوح . قال أحمد : وقد سئل عن الرفع : إي لعمري ومن يشك في هذا كان ابن عمر إذا رأى من لا يرفع حصبه وأمره أن يرفع» اهـ [1] .

المسألة الثالثة : ما تراه الحائض بعد الطهر من الصفرة والكدرة وغيرها .

قال ابن ماجه «باب ما جاء في الحائض ترى بعد الطهر الصفرة والكدرة» . حدثنا محمد بن يحيى : ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان النحوي ، عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أم بكر أنها أخبرت أن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرأة ترى ما يريبها بعد الطهر قال : «إنما هي عرق أو عروق» . قال محمد بن يحيى : يريد بعد الطهر بعد الغسل . [2]

وهذا الذى أشار إليه الإمام محمد بن يحيى الذهلي - رحمه الله - في سياق الحديث إنما هو زيادة بيان وتوضيح للمسألة فإن ما تراه الحائض من الدم لا يكون

---

(١) المغني ١/ ٤٩٥ - ٤٩٨ .

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الطهارة وسننها باب ما جاء في الحائض ترى بعد الطهر الصفرة والكدرة ١/ ٢١٢ . قال البوصيري في مصباح الزجاجة١/ ٨٣ : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات . والحديث متفق عليه من غير هذا الوجه من حديث عائشة قالت : قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إني لا أطهر ، أفأدع الصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما ذلك عرق وليس بالحيضة ، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة ، فإذا ذهب قدرها فاغسلي عنك الدم وصلي» هذا لفظ البخاري في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب الاستحاضة١/ ٩١ ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب المستحاضة وغسلها وصلاتها١/ ٢٦٢ .

قال البيهقي في باب ما دل على أن صاع النبى صلى الله عليه وسلم كان عبارة عن خمسة أرطال وثلث . أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : قرأت بخط أبي عمرو المستملي . سمعت محمد بن يحيى يعني الذهلي يقول : استعرت من اسماعيل ابن أبي أويس صاع مالك بن أنس فوجدت عليه مكتوباً صاع مالك بن أنس معير على صاع النبى صلى الله عليه وسلم ولا أحسبني إلا عيرته بالعدس فوجدته خمسة أرطال وثلث .[١] يقول ابن قدامة -رحمه الله- في هذه المسألة : «وأما كون الصاع خمسة أرطال وثلث ففيه اختلاف»[٢] وقال في كتاب الطهارة : «والصاع : خمسة أرطال وثلث بالعراقي والمد ربع ذلك وهو رطل وثلث وهذا قول مالك والشافعي واسحاق . . . . . وقال أبو حنيفة : الصاع ثمانية أرطال لأن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد - وهو رطلان - ويغتسل بالصاع»[٣] وقال الزيلعي «لم نجد بين أهل العلم إلى يومنا هذا خلافاً في قدر الصاع إلا ما قاله الحجازيون والعراقيون فزعم الحجازيون أن الصاع خمسة أرطال وثلث وقال العراقيون : ثمانية أرطال فصح أن صاع النبي عليه السلام كان خمسة أرطال وثلث . . . . وبطل قول من زعم : أن الصاع ثمانية أرطال من غير دليل ثبت على صحته . »[٤] ونقل عن أبي حنيفة القول بأن الصاع ثمانية أرطال . وقال الحافظ ابن حجر : «قال بعض الفقهاء من الحنفية وغيرهم : إن الصاع ثمانية أرطال والصحيح الأول»[٥] ونقل عن الإمام النووي قوله أن الصاع خمسة أرطال وثلث وقال : «هذا هو الصواب المشهور» .[٦]

(١) البيهقي ٤/ ١٧١ .
(٢) المغني كتاب الزكاة ٢/ ٧٠٠ .
(٣) المغني كتاب الطهارة ١ / ٢٢٢ .
(٤) نصب الراية ٢/ ٤٢٨ .
(٥) فتح الباري ١/ ٣٦٤.
(٦) المجموع شرح المهذب [٦/ ١٢٨] للإمام شرف الدين النووي.

دم عرق أو استحاضة إلا بعد الطهر . وهو موافق لما ثبت من حديث أم عطية قالت : « كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئاً »(١) وهو ما بوب به الإمام البخاري رحمه الله قال : باب الصفرة والكدرة في غير أيام الحيض ، وساق حديث أم عطية .(٢) وقال صاحب المغني : «يعنى إذا رأت في أيام عادتها صفرة أو كدره فهو حيض ، وإن رأته بعد أيام حيضها لم يعتد به . نص عليه أحمد . وبه قال يحيى الأنصارى وربيعة ومالك والثوري والاوزاعي وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي واسحاق »(٣) ونسب هذا القول إلى الجمهور الشوكاني قال : «ويدل بمنطوقه أنه لا حكم للكدرة والصفرة بعد الطهر بمفهومه أنهما وقت الحيض حيض كما ذهب إليه الجمهور »(٤) وأما قوله : « بعد الغسل » فقد وافق ما رواه الدارمي من حديث أم عطية بزيادة «كنا لا نعتد بالكدرة والصفرة بعد الغسل شيئاً »(٥) وهو من فقه الإمام الذهلي رحمه الله فقد وافق بقوله روايات حديث أم عطية . قال ابن قدامه : «وحديث أم عطية إنما يتناول ما بعد الطهر والاغتسال ونحن نقول به »(٦)

فتبين من هذا صواب ما رآه الإمام الذهلي في توضيحه لمراد الحديث والله أعلم .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب في المرأة ترى الصفرة والكدرة بعد الطهر ١/ ٢١٥ . والحديث أصله في الصحيحين من حديث أم عطية بغير ذكر « بعد الطهر » .

(٢) صحيح البخاري كتاب الحيض « باب الصفرة والكدرة في غير أيام الحيض ، ١/ ٩٧ .

(٣) المغني ج١ / ٣٣٢ .

(٤) نيل الأوطار ج١/ ٤١٠ .

(٥) سنن الدارمي كتاب الطهارة باب « الكدرة اذا كانت بعض الحيض » ج١/ ٢٣٥ . للإمام عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق وفهرسة فواز زمرلي ، خالد العلمي .

(٦) المغني ج١/ ٣٣٣ .

وأخرج الدار قطني بسنده إلى الإمام مالك لمّا سئل عن صاع النبي صلى الله عليه وسلم قال «خمسة أرطال وثلث بالعراقي»[(١)] . وقال عثمان بن سعيد الدارمي سمعت علي ابن المديني يقول: عيَّرت صاع النبي عليه السلام فوجدته خمسة أرطال وثلث رطل بالتمر»[(٢)] قال ابن قدامة «وقد نص أحمد على أن الصاع خمسة أرطال وثلث من الحنطة . . . . قال أحمد: أخذت الصاع من أبي النضر . . . وقال: «هذا صاع النبي صلى الله عليه وسلم الذي يعرف بالمدينة»[(٣)] وتخصيص الإمام الذهلي الكيل بالعدس كان لنكتة لطيفة وهي أن للعدس خاصية جيدة عبّر عنها الإمام أحمد بقوله «فأخذنا العدس فعيرنا به وهو أصلح ما يكال به. لأنه لا يتجافى عن مواضعه فكلنا به ووزناه»[(٤)] وحزر الإمام الذهلي للصاع النبوى بذلك هو اختيار الائمة من قبله وهو الصواب . فتبين من ذلك مدى اهتمام الإمام الذهلي بما يتصل بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم الشرعية، ومحاولة اقتفاء أثره صلى الله عليه وسلم.

المسألة الخامسة: الإشتراط في الحج

قال الإمام ابن الجارود رحمه الله:

حدثنا محمد بن يحيى، قال حدثنا عبد الرزاق قال أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ضباعة[(٥)] بنت الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنها فقالت: (إني أريد الحج وأنا

(١) سنن الدار قطني كتاب زكاة الفطر ٢/ ١٥١، للإمام علي بن عمر الدارقطني، تصحيح السيد عبد الله هاشم المدني.

(٢) نصب الراية كتاب الزكاة ٢/ ٤٢٩.

(٣) المغني ٢/ ٧٠١، للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي.

(٤) المغني ٢/ ٧٠١.

(٥) ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب الهاشمية ابنة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت زوج المقداد بن عمرو، فولدت له عبدالله وكريمة روى عنها ابن عباس وجابر وأنس وعائشه وعروة والأعرج.
أسد الغابة ٧/ ١٧٨.

شاكية ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم . حجّي واشترطي إنّ محّلي حيث حبستني) .

حدثنا الحسن بن أحمد بن سليمان، قال قال محمد بن يحيى : حديث عبدالرزاق عندنا محفوظ في قصة ضباعة رضى الله عنها محتج به لمن أراد الشرط في الحج . [1] اختلف العلماء في مسألة الاشتراط في الحج فمن قائل بمشروعيتها ومنكر لذلك . قال الحافظ ابن حجر : « وصحّ القول بالاشتراط عن عمر وعثمان وعلي وعمار وابن مسعود وعائشة وأم سلمة وغيرهم من الصحابة ولم يصحّ انكاره عن أحد من الصحابة إلا عن ابن عمر ووافقه جماعة من التابعين ومن بعدهم من الحنفية والمالكية» [2] وقال أيضاً «ثم اختلف من قال به فقيل : واجب لظاهر الأمر . وهو قول الظاهرية وقيل مستحب وهو قول أحمد»[3] وهو قول الحنابلة . قال ابن قدامة«يستحب لمن أحرم بنسك أن يشترط عندإحرامه»[4] وقال النووي : «ففيه دلالة لمن قال : يجوز أن يشترط الحاج والمعتمر في إحرامه أنه إن مرض تحلل وهو قول عمر ابن الخطاب . . . . . . وأحمد واسحق وأبي ثور، وهو الصحيح من مذهب الشافعي»[5] قال الشوكاني «وأحاديث الباب تدل على أن من اشترط هذا الاشتراط ثم عرض له ما يحبسه عن الحج جاز له التحلل وأنه لا يجوز التحلل مع عدم الاشتراط»[6] ومن هذا يتضح أن الإمام الذهلي يحتج بحديث ضباعة على مشروعية الاشتراط في الحج والله أعلم .

---

(١) المنتقى لابن الجارود ص ١٧٢ . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ٦/ ١٤٩ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض٢/ ٨٦٧ .

(٢) فتح الباري ٤/ ٩ .

(٣) فتح الباري ٤/ ٩ .

(٣) المغني ٣/ ٢٨٢ .

(٤) شرح مسلم، للإمام محيي الدين النووي ٨/ ١٨٤ .

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ٦/ ٤٣ ، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق الأستاذان طه عبد الرؤوف، مصطفى الهواري .

الفصل الرابـــع

بسط القول في مسألة اللفظ بالقرآن وما وقع بين الإمامين الذهلي والبخاري بسببها، وأثرها في صفوف المحدثين

ويشمل تمهيد وخمسة مباحث :

المبـــحث الأول : الخلاف في مسألة اللفظ بين أهل الحديث .

المبحث الثاني : أول من آثار المسألة .

المبحث الثالث : إلقاء الضوء على مسألة اللفظ .

المبـــحث الرابع : عرض تفصيلي لما حصل بين الإمـامين الذهلي والبخاري .

المبحث الخامس : أثر مسألة اللفظ في صفوف المحدثين .

تمهيـــد

الحمد لله الذى لم يترك عباده هملاً، بل أرسل إليهم رسلاً، مبشرين بجنته لمن أطاع، ومنذرين من عقابه لمن أبى، وأكمل لهم الدين إلى يوم القيامة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[1] وأمرهم بالاعتصام بدينه، ونهاهم عن الفُرقة واتباع المضلين كما قال تعالى : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾[2].

وصلى الله وبارك على نبي الهدى نبينا محّمد الذي لم يفارق هذه الدنيا إلا وقد أقام الحجة على الإنس والجن وتركهم على بينة من أمر دينهم، نقية لا تشوبها شائبة، ولا يكدر صفاءها مكدر.

روى العرباض بن سارية[3] رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقيل : يارسول الله وعظتنا موعظة مودع . فاعهد إلينا بعهد . فقال : « عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً . وسترون من بعدي اختلافاً شديداً . فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والأمور المحدثات . فإن كل بدعة ضلالة»[4].

---

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٣) هو العرباض بن سارية السَّلَمي، يكنى أبا نجيح، سكن الشام، وتوفي سنة ٧٥، أسد الغابة ٤/ ١٩.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة باب (٥) في لزوم السنة ٥/ ١٣، ومحمد بن عيسى الترمذي في سننه المسماة بـ(الجامع) تحقيق وشرح وتصحيح الشيخ أحمد شاكر في كتاب العلم، باب (١٦) في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٥/ ٤٣، وابن ماجه في المقدمة باب «اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين» (٦) واللفظ له ورواه أحمد في مسنده ٤/ ١٢٦، ١٢٧، والدارمى في سننه المقدمة باب (١٦) في اتباع السنة ١/ ٥٧، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، في كتاب العلم ١/ ٩٥, ٩٦, ٩٧.

ومضى عهد النبوة السعيد، فحمل مشعل الهداية صحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، ففتحوا الممالك ونشروا دين اللّه وبلّغوه مشارق الأرض ومغاربها، وأروا البشرية من أنفسهم « جيلاً قرآنياً فريداً » [١] لايمكن أن يتكرر بمجموعه على مدى التاريخ لتأثرهم بشخصه صلى اللّه عليه وسلم ولصفاء منهج التلقي والتربية لديهم وهو (الكتاب والسنة) أولاً، ولطهارة نفوسهم وقوة إيمانهم وصدق إتباعهم رضوان اللّه عليهم أجمعين ثانياً [٢].

ومازال هذا شأن الناس حتى داخلهم من لبس ثوب الإسلام، وتجمل بأخلاقه، على قلب حقود، وصدر حسود، ونفس تأكلها نار العداوة لهذا الدين وأهله، فبذروا في الناس بذور الفتنة، وزينوا لهم العزوف عن الكتاب والسنة، وألقوا حبال الشيطان في المجتمعات الإسلامية كي تزلزل أركانها، ومن هذه الفتن نشأت بدع الخوارج [٣] والشيعة [٤] واعتقاداتهم الباطلة، وقد ظهرت هاتان الفرقتان في عام ٣٧هـ في منتصف خلافة علي ابن أبى طالب رضي الله عنه، وكانتا بمثابة حجر أساس لقيام وتتابع سلسلة من الفرق الضالة المنحرفة. ثم

---

(١) عنوان فصل من كتاب معالم في الطريق للأستاذ سيد قطب رحمه الله.

(٢) للوقوف على المزيد من صفات ذلك الركب المبارك يرجع إلى « تربية النبي صلى اللّه عليه وسلم لأصحابه » رسالة ماجستير في جامعة أم القرى قدمها الأخ الدكتور خالد القرشي، وإلى فصل « جيل قرآني فريد» من كتاب « معالم في الطريق » لسيد قطب، وإلى « نظرة إلى الجيل الفريد » من كتاب واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب.

(٣) الخوارج: « اصطلاح يطلق على الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضى اللّه عنه حين جرى التحكيم » الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٥.

(٤) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً رضى اللّه عنه وغالوا في محبته وقدموه على غيره من الخلفاء الراشدين وقد بين الحافظ ابن حجر مراتبهم فقال: « التشيع محبة علي وتقديه على الصحابه. فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه، ويطلق عليه رافضي وإلا فشيعي. فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض. وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو ». هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، تصحيح محب الدين الخطيب. ص ٤٥٩، الملل والنحل بتصرف ١/ ١٤٦.

ظهرت بدعتا القدرية[1] والمرجئة [2] وكل هذه الفرق الأربع كانت في عهد الصحابة رضي اللّه عنهم، وقد اشتد نكيرهم على أصحابها وتحذير الناس من مجالستهم والاغترار بأقوالهم. ثم توالت الفرق ففي مطلع القرن الثاني ١٠٠ - ١٥٠ هـ ظهر أربعة أشخاص من المبتدعة صار كل واحد منهم فيما بعد رأسا في الضلال.

[١] واصل بن عطاء [3] ت ١٣٠ هـ مؤسس فرقة المعتزلة.

[٢] الجعد بن درهم [4] ت ١٢٤ هـ وهو أول من قال بخلق القرآن، وأنكر كلام اللّه على الحقيقة، وأنكر أن اللّه اتخذ إبراهيم خليلاً، وأنكر استواء اللّه على العرش.

[٣] الجهم بن صفوان[5] ت ١٢٨ هـ الذى تبنى آراء الجعد بن درهم، من نفي الصفات والقول بخلق القرآن وزاد عليها.

---

(١) بيّن الشيخ حافظ الحكمي: أن مذهب القدرية هو «إضافة الفعل والانفعال إلى المخلوق» وأول من أحدثه معبد الجهني في آخر عهد الصحابة، الذين كفّروا منتحلي هذا المذهب ثم ورثه رؤوس المعتزلة الذين بالغوا وأنكروا علم اللّه وتقديراته وجعلوا العباد هم الخالقين لأفعالهم ولذا كانوا مجوس هذه الأمة / معارج القبول ١/ ٣٥٠.

(٢) المرجئة اسم يطلق على من يؤخرون العمل عن النية والعقد، ومن يعتقدون أنه لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. راجع الملل والنحل، ١/ ١٣٩.

(٣) هو واصل بن عطاء البصري الغزّال المتكلم البليغ: قال أبو الفتح الأزدي: رجل سوء كافر. وقال ابن حجر: كان من أجلاء المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة، وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل، ويقول: إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها، فلو شهد عندي علي وعائشة وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة. لسان الميزان ٦/ ٢٦١.

(٤) الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار، وهو أول من ابتدع بأن اللّه ما اتخذ ابراهيم خليلاً، ولاكلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على اللّه، قال المدائني: كان زنديقاً. قال ابن حجر: وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة، قتل بالعراق يوم النحر. سير أعلام النبلاء، ٩/ ٤٣٣ لسان الميزان ٢/ ١٠٥.

(٥) أبو محرز الراسبي أس الضلالة، ورأس الجهمية، كان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول: إن اللّه في الأمكنة كلها، وكان يقول: الإيمان عقد القلب، وإن تلفظ بالكفر. السير ٦/ ٢٦، لسان الميزان ٢/ ١٧٩.

[٤] مقاتل بن سليمان [(١)] وكان ظهوره رد فعل لغلو جهم في نفي الصفات، فغالى هذا في إثباتها حتى جسَّم .

ومن عام ١٥٠-٢٣٤هـ لم تظهر أي بدع جديدة ، وإنما تداخلت البدع بعد ذيوعها وكثرة أتباعها وانحصرت في أربع فرق كما ذكر يوسف بن أسباط وعبدالله بن المبارك [(٢)] .

(أ) الخوارج (ب) الشيعة (ج) المعتزلة [(٣)] (د) المرجئة .

فالشيعة تبنت المجسمة ، والمعتزلة تبنت القدرية وجزءاً من الجهمية، والجبرية دخلت في المرجئة وغيرها من الفرق [(٤)] . وأصبح لكل واحدة من هذه الفرق فرق صغرى تتفرع منها حتى كثر الابتداع والخروج على مفاهيم الدين الإسلامي ! وصدق صلى الله عليه وسلم حيث قال : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » قال أبو عيسى الترمذي : حديث حسن صحيح [(٥)] .

---

(١) هو مقاتل بن سليمان البلخي، أبو الحسن كبير المفسرين، قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة . قال وكيع : كان كذاباً، وقال أبو حنيفة « أتانا من المشرق رأيان خبيثان : جهم معطل، ومقاتل مشبه » السير ٧/ ٢٠١ .

(٢) انظر تقرير ذلك في درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية بتحقيق د . محمد رشاد سالم ٥/ ٣٠٢، ٧/ ١١٠ .

(٣) المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء الذى اعتزل مجلس البصري فسمي بذلك، وهو أول من صنف في علم الكلام والجدل مع أهل السنة ولهم خمسة أصول منها المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخالفوا أهل السنة في قضايا وأمور . ومن أسوأ أحوالهم اعتقاد خلق القرآن الذى تجهموا به . انظر عقائدهم في لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدّرة المضيَّة في عقيدة الفرقة المرضيَّة للعلامة محمد بن أحمد السَّفاريني ، بتعليقات الشيخ أبا بطين، والشيخ سليمان بن سحمان ١/ ١٢، ٧٦ .

(٤) توالي الفرق وتواريخ ظهورها استقيته بتصرف من مقدمة الدكتور أحمد سعد حمدان لتحقيقه كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي «١/ ٢٨، ٣٢» وانظر في نفس الموضوع على سبيل المثال : الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة باب شرح السنة (٥/ ٤)، والترمذي في جامعه كتاب الإيمان باب (١٨) ما جاء في افتراق الأمة، ٥/ ٢٦، وابن ماجه في كتاب الفتن باب (١٧) افتراق الأمم ٢/ ١٣٢١ ، وأحمد في مسنده ٢/ ٣٣٢، ٣/ ١٤٥ .

وقد لقيت المجتمعات الإسلامية ، من الفرق الضالة نصباً وعناءً كبيرين ، واضطراباً شتت الأمة ، ولم تلبث الأيام والليالي الحبالى بكل فجيعة !!إلا وتطرق بوابة الإسلام بألوان جديدة من الشرور والفتن وقد صوّر الإمام الذهبي هذه الفتن وتكالبها بعد وفاة الرشيد رحمه اللّه ثم اضطراب الأمور وضعف الدولة بخلافة أبنائه ومنهم المأمون (١) الذي قال في عهده : « نجم التشيع ، وأبدى صفحته ، وبزغ فجر الكلام ، وعُرِّبت حكمة الأوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لايلائم نور النبوة ، ولايوافق توحيد المؤمنين ، وقد كانت الأمة منه في عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة . . الخ (٢) . وكان المأمون قد شجع تعريب علوم اليونان وفلسفاتهم ، ومناهج النصارى وهرطقاتهم (٣) وفتح بذلك ألواناً من الشرور مازالت تعاني منها الأمة إلى هذا اليوم . . . . . (٤) ، فكان هذا العمل بمثابة هدية غالية للمعتزلة

---

(١) المأمون هو عبداللّه بن هارون الرشيد أبو جعفر ولد سنة ١٧٠هـ وتولى الخلافة بعد قتل أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر ، وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة ، وكانت له بصيرة بعلوم متعددة فقهاً وطباً وشعراً وفرائض وكلاماً ونحواً ، وغريب حديث وعلم النجوم وقد بدأ امتحان العلماء بخلق القرآن سنة ٢١٨هـ وهي السنة التي توفي فيها ، ومات على هذا القول وأوصى به إلى أخيه المعتصم . راجع تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٣ . والسير ١٠/ ٢٧٢ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٧٤

(٢) تذكرة الحفاظ ، للحافظ الذهبي ١/ ٣٢٨ باعتناء الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه اللّه .

(٣) الهرطقة : اصطلاح يطلقه النصارى على أي مخالفة لرأي الكنيسة سواء رأي ارتآه عالم في العلوم الكونية ، أو محاولة لفهم الكتاب المقدس لرجل غير كنسي ، أو انتقاد ما يتصل بالكنيسة ، أو مساعدة واحد من هؤلاء والرضا عن منهجه كل ذلك هرطقة : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ٢/ ٣٢٨ ، ٣٢٩ تأليف لويس غرديه/ ج قنواتي ، نقله للعربية د. صبحي الصالح ، مقارنة الأديان ، للدكتور أحمد شلبي (٢/ ٢١٥) الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة . ندوة الشباب المسلم ص٥٠٥ .

(٤) ومن هذه الشرور أن دراسة الاعتقاد أصبحت فيما بعد عن طريق علم الكلام الذي ضلل الأمة عن صفاء عقيدتها . انظر في ذلك ما كتبه السيد رشيد رضا في مبحث الإيمان باللّه تعالى وفيه اعتماد المسلمين في فهم عقيدتهم على الكتب الكلامية المصنفة . . . . . حتى ضعف التوحيد في القلوب وشابته شوائب الشرك الأصغر ثم الأكبر . . . . الخ » الوحي المحمدي ص١٥٠ .

الذين أولعوا بالمناهج العقلية والفلسفية . . . فباضوا وفرّخوا وكثر أتباعهم الذين لاتلائمهم مناهج السلف المعتمدة على النقل من الكتاب والسنة، ووجدوا بغيتهم في ضلالات وتمويهات ومناقشات العقلانيين كالمعتزلة وغيرهم . . . ومما ساعد على ذلك كثرة الأديان والأهواء في البلاد التي فتحها المسلمون، فمن الأديان: «اليهودية، والنصرانية المحرفتان، ومن لها شبهة كتاب كالمجوسية (١) ومن أهل المذاهب والأهواء الفلاسفة والصابئة (٢) الذين اتخذوا من حرّان (٣) موطناً لهم وهناك الهنود وآراؤهم، والصينيون وأوهامهم، إلى آخر ماغرقت فيه أم الأرض من تخبط وتيه قبل شروق شمس الإسلام عليها.

وأمعنت المعتزلة في الفساد وجعلت للعقل سلطاناً كسلطان الدين على الناس . . . فافسدوا عقيدة المسلمين بترهاتهم وجدالهم . . . . وساعدهم على ذلك انخداع مجموعة من الخلفاء والقضاة والولاة والوزراء بتدينهم وتزهدهم وسطوة ألسنتهم، وعمقهم في الجدال . . . . . فقد أقنعوا المأمون بفكرة « خلق القرآن » الباطلة.

قال الذهبي: « ولم تكن الجهمية يظهرون في دولة المهدي والرشيد والأمين فلمّا ولي المأمون كان منهم، وأظهر المقالة. روى أحمد بن إبراهيم

---

(١) دان الفرس بالمجوسية والثنوية وتفرع من هاتين الديانتين فرق أشهرها الزردشتية والمانوية. انظر تفصيل دياناتهم في الملل والنحل ١/ ٢٣٣، ٢٥٥.

(٢) قال الشهرستاني: الصبوة في مقابلة الحنيفية، وفي اللغة صبأ الرجل: إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة، ومدار مذهبهم على التعصب للروحانيين/ الملل والنحل ٢/ ٥.

(٣) حَرّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي على طريق الموصل والشام والروم، قيل سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها فعربت فقيل حَرّان، وكانت منازل الصابئة. معجم البلدان ٢/ ٢٣٥.

الدورقي عن محمد بن نوح أن الرشيد قال : بلغني أن بشر بن غياث المريسي [1] يقول : القرآن مخلوق، فلله علي إن أظفرنى به لأقتلنه، قال الدورقي : وكان متوارياً أيام الرشيد فلما مات الرشيد ظهر ودعا إلى الضلالة.

وكان المأمون قد اعتنق الفكرة من عام ٢١٢هـ وبقي ست سنوات متردداً في حمل الناس على ذلك ويراقب بقايا الأشياخ الذين يهابهم مثل يزيد بن هارون . حتى قوي عزمه على ذلك عام ٢١٨هـ [2] وحمل العلماء على القول بخلق القرآن . . . بكتابه [3] إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعى وهدد بالضرب والقتل لمن لم يجب وطارت الفتنة في البلاد. وبعد وفاة المأمون تولىّ الأمر من بعده المعتصم ثم الواثق، ثم جاء المتوكل الذى لم يتحمس لهذه الفتنة، بل أمر بهجرها ورفع ثقلها عن قلوب وأذهان المسلمين وكان ذلك في عام ٢٣٤هـ.

---

(١) المتكلم المناظر، كان من كبار الفقهاء، ونظر في الكلام، فقلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرّدَّ القول بخلق القرآن، وكان عين الجهمية في عصره، فمقته أهل العلم، وكفره عدَّه . مات في آخر سنة ثمان عشرة ومائتين، وقد قارب الثمانين، سير أعلام النبلاء ١٠/١٩٩ .

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص٣٠٨، وانظر اختباره يزيد بن هارون ص٣٠٩ وكانت حاشيته من المتكلمين أمثال ابن أبي دُؤاد أحد رؤوس المعتزلة، وأفصح الناس وأنطقهم وكان المأمون يعظمه ويقبل شفاعاته حتى دسّ له القول بخلق القرآن وحسنه وصيره يعتقده حقاً مبيناً، سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٣٦، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٣٧ .

(٣) ذكر نص الكتاب السبكي في طبقات الشافعية ٢/ ٣٨ وللوقوف على بقية الأحداث وبالأخص ثبات الإمام أحمد في هذه الداهية الدهياء والمصيبة الصماء منذ أن بدئت إلى أن أُنهيت، راجع مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٣٠٨، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٣٢) في ترجمته رحمه اللَّه، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٣٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٧٢ .

المبحث الأول

خلاف أهل الحديث في مسألة اللفظ *

الخلاف في اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق ؟ أمر اختص به أهل الحديث، خلافاً لقضية القول بخلق القرآن فإنها ذات طرفين كبيرين ومتناقضين منهجاً واعتقاداً.

---

* هذه المسألة نشأت بعد انتهاء فتنة القول بخلق القرآن بفترة وجيزة « وهي أسوأ نتائج تلك الفتنة التي قضى عليها المتوكل، والتي وقف فيها الإمام أحمد بن حنبل كالجبل الأشم مستعلياً بإيمانه على ترهات البشر مدافعاً عن الحق بعد مابقي وحيداً في الميدان، ولو أجاب تعريضاً أو تورية أومكرهاً لثُلم الإسلام ثَلماً عظيماً لأن القضية من أصول الدين وبيانها يحتاج لفهم وذكاء، وثبات على الحَق، فالحمدلله الذي ثبّت الحق وأبطل الباطل، ولو كره المجرمون.

والقول بخلق القرآن ليس من المباحث المندرجة في هذه الرسالة، فيكفي أن نشير إلى الكتب التي عُنيت ببيان الحق فيه وهي مؤلفة على منهجين متباينين.

الأولَ : منهج عرض العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين. وذلك بعدما انتبه سلفنا الصالح للخطر الداهم عليها . . فعرضوها ليثبتوا ماأراد الزائفون هدمه ومن هذه الكتب :

١ - السنة للإمام أحمد بن حنبل(٢٤١) مطبوع .

٢- السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠) طبع بتحقيق الدكتور محمد سعيد القحطاني في مجلدين .

٣ - السنة لأحمد بن هارون الخلال(٣١١) طبع بتحقيق الدكتور عطية الزهراني في ثلاثة أجزاء .

٤ - التوحيد للإمام ابن خزيمة(٣١١) طبع بتحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان في مجلدين .

٥ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي(٤١٨) طبع بتحقيق الدكتور أحمد سعد الغامدي في أربعة مجلدات . وانظر كلام ابن تيمية عنه في مجموع الفتاوى١٢/ ٤١٩ .

٦ - الإبانه الصغرى والكبرى لابن بطة العكبري(٣٨٧) وقد حقق الصغرى وجزء من الكبرى الدكتور رضا نعسان .

٧ - السنة لابن أبي عاصم النبيل(٢٨٧) وقد خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني وسماه «ظلال الجنه في تخريج السنة»/ المكتب الإسلامي . =

= ٨ - الإيمان لمحمد بن إسحاق بن منده(٣٩٥)طبع بتحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي في مجلدين . . . . وغيرها .

هذا على سبيل التمثيل لا على سبيل التنصيص والحصر ، وإلا فالكتب المؤلفة في هذا الباب كثيرة وهذا يدل على عناية علماء الأمة سالفين وخالفين بصفاء العقيدة .

الثاني : منهج الرد على الشبه والأباطيل بعد عرض الشبه ثم تفنيدها بالأدلة النقلية والعقلية . ومن هذه الكتب :

١ - الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل مطبوع بتحقيق وتعليق عبدالرحمن عميرة .

٢ - خلق أفعال العباد والرد على الجهمية والمعطلة للإمام محمدبن إسماعيل البخاري(٢٥٦) مطبوع ونشرته الدار السلفية بتعليق بدر البدر .

٣- الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدرامي (٢٨٠) مطبوع .

٤ - الرد على بشر المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي(٢٨٠)مطبوع بتصحيح وتعليق العلاّمة محمد حامد الفقي مجلد واحد .

٥ - الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمعطلة لعبدالله بن مسلم بن قتيبة(٢٧٦) طبع ضمن مجموعة عقائد السلف ص ٢٢١ باعتناء النشار والطالبي/ وطبع مستقلاً بتعليقات محمد زاهد الكوثري دون أن يذكر اسمه«نبه على ذلك الأستاذ حسام الدين القدسي وعدّ جملة من الكتب لم تعز إليه والقرائن تدل على أنها من أعماله ، وقد كشف خياناته وكذبه في ص ٧٥من كتاب التنكيل للمعلمي الطبعة الثانية المكتب الإسلامي ١٤٠٦هـ »، وطبع أخيرا بتحقيق محمود عمر .

٦ - الأسماء والصفات للبيهقي(٤٥٨) وهذا أيضاً بتعليقات الكوثري الذي تسلط على كتب السلف فأفسدها وتطاول على أصحابها وسأشير إلى أمثلة من ذلك بعد قليل انظر ص ٣٠١ حاشية(١) .

٧ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية اختصره محمد الموصلي .

٨ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم . مطبوع

اكتفي بتلك المجموعة كإشارة وإلا فجهود الغيورين على الدين كثيرة جداً وقد أشرت إلى المطبوع منها حسب علمي ومن أراد التوسع ومعرفة المخطوط فليراجع الرسالة المستطرفة ص ٣٧ باعتناء حفيده محمد المنتصر ، وكذلك الفتوى الحموية لابن تيمية ص ٢٨ بتقديم محمد عبدالرزاق حمزة ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، وتاريخ التراث العربي لسزكين ، للوقوف على المخطوطات في العالم ، وقد امتلأت كتب ورسائل ابن تيمية وابن القيم والذهبي ، ومن تقدمهم من السلف الصالح بما يسلط الأضواء على هذه الفتن والرد عليها . وكانت كل هذه الجهود منصبة على اتباع السنة والعمل بها وترك ماحدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء .

١ - أهل السنة والجماعة [١] ومنهجهم الاعتماد على الكتاب والسنة والاقتصار على النقل الصحيح.

٢ - الفرق الضالة من معتزلة وجهمية [٢] ومنهجهم الأخذ بسفسطة [٣] وتمويهات الفلاسفة، والإفراط في الاعتماد على العقل، وتعطيل وتأويل نصوص الوحيين.

وقد صور الإمام ابن قتيبة الدينوري [٤]- وهو أحد من عاصر المحنتين- حال المحدثين وفُرقتهم فقال: وكان آخر ماوقع من الاختلاف أمراً خص

---

(١) أهل السنة والجماعة وهم أتباع الرسول صلى اللّه عليه وسلم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم وتمسك بهداهم، (والسنة) هي طريقة الرسول وطريقة أصحابة، (والسنة) الحكمة، والمراد بها أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته، فمن أخذ بها وعدل عن غيرها من أقوال المبتدعة فهو من أهل السنة، (والجماعة) الطائفة من الناس المجتمعة والمراد بها الذين اجتمعوا على سنة رسول اللّه دون ماسواها، وهم الفرقة الناجية وهم أهل الكتاب والسنة، انظر الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة تأليف عبدالرحمن بن حمد الجُطَيْلي ص ٩ ، ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) الجهميَّة« أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي أس الضلالة ورأس الجهمية، الذي كان صاحب ذكاء وجدال، وكان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، وأن اللّه في كل مكان، قتله سَلْم بن أحوز عام ١٢٨هـ لإنكاره أن اللّه كلم موسى»، ويرى القاسمي أنه قتله لأمر سياسي وليس كذلك. راجع السير٦/ ٢٦، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص ١٦ .

(٣) السفسطة« قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته» انظر التعريفات للجرجاني ص١١٨ . ويحقق ابن تيمية رحمه اللّه القول في السفسطة« وأنها ليست كما ظن قوم أنها قول ومذهب عام لطائفة في كل حق، بل هي عارض لبني آدم في كثير من أمورهم، فكل من جحد حقاً وموه ذلك بباطل فهو مسفسط في هذا الموضع وإن كان مقراً بأمور أخرى وبّين أن أصل الكلمه معرب من (سوفسقيا) وأصبحت (سوفسطا) ومعناها يتضمن إنكار الحق وتمويهه بالباطل» بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية١/ ٣٢٤ وانظر حاشية درء تعارض العقل والنقل٢/ ١٥ .

(٤) هو العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حدث عن إسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني وحدث عنه ابنه أحمد وابن درستَويْه. قال الخطيب: كان ثقة فاضلاً، قال الذهبي: والرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين عنده فنون جمة وعلوم مهّمة، ومات فجأة سنة٢٧٦، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٠٠ .

بأصحاب الحديث الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين وبالاتباع قاهرين، يُدَاجُون بكل بلد ولايُدَاجَون[1]، ويُسْتَتَر منهم بالنحل ولايستترون ويصدعون بحقهم الناس ولايستغشون، لايرتفع بالعلم إلا من رفعوا، ولايتضع فيه إلا من وضعوا، ولاتسير الركبان إلا بذكر من ذكروا . . . . إلى أن كادهم الشيطان بمسألة لم يجعلها اللّه أصلاً في الدين ولافرعاً، في جهلها سعة، وفي العلم بها فضيلة، فنمى شرها، وعَظُمَ شأنها حتى فرقت جماعتهم، وشتت كلمتهم ووهّنت أمرهم، وأشمتت حاسديهم، وكفت عدوَّهم مؤنتهم بألسنتهم وعلى أيديهم فهو دائب يضحك منهم ويستهزىء بهم حين رأى بعضهم يكفر بعضاً ورآهم مختلفين وهم كالمتفقين، ومتباينين وهم كالمجتمعين، ورأى نفسه قد صار لهم سلماً بعد أن كان حرباً »[2] .

وبعد محنة الإمام أحمد بن حنبل، وخبوت نار الفتنة التي ذهب ضحيتها طوائف من العلماء مابين قتيل أو مثقل بالحديد حتى تأتيه المنية، ومابين عشرات من العلماء أجابوا بالتورية والتعريض أو الخوف وبقي في نفوسهم ندم وحسرة من ذلك، بقي لهذه الأحداث أسوأ الذكريات وأشنع النتائج . . . وكانت الأجواء مليئة بالتحفظ الشديد إزاء كل مايحدث من أقوال وآراء تخالف معتقد سلف الأمة .

---

(١) يداجون : مأخوذ من قولهم : داجى الرجل : أي ساتره بالعداوة وأخفاها عنه فكأنه أتاه في الظلمة، وداجاه أيضاً : عاشره وجامله، ويقال : داجيت فلاناً إذا ماسحته على مافي قلبه وجاملته . والمداجاة : المداراة، والمداجاة : المطاولة . لسان العرب لابن منظور١٤/ ٢٥٠، أساس البلاغة لجار الله الزمخشري ص ١٢٦، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، مختار الصحاح للرازي ص١٥٥، والمعنى أن أهل الحديث جمعوا صفات القوة والثبات فهم يَنْصرون ويَحْمون غيرهم ولايحتاجون لمن ينصرهم ويحميهم، وإن أرادوا المداراة والمجاملة مع غيرهم فعلوها ولايدَارَوْن ولايجاملون لوضوح وقوة منطلقاتهم .

(٢) الاختلاف في اللفظ ص ١١ بتعليق محمد زاهد الكوثري . وجدير بالأهمية أن نتبه ونحذر من تعليقاته وتحقيقاته إن جاز وصفها بذلك، فإنه وإن كان على جانب كبير من الاطلاع على =

ومع توالى الأيام نشأت مسألة كان الناس منها في عافية، فأصبحت بذرة من بذور الشقاق والوحشة بين علماء الحديث، وهى مسألة « اللفظ بالقرآن » هل هو مخلوق أم غير مخلوق ؟، والمسألة من الدقة والغموض بحيث إن تعيين المراد باللفظ والحكم عليه عسير يحتاج لتحفظ وبيان شديدين، فاختلفت أقوال العلماء كل بحسب مافهم من المسألة.

= كتب العلم، ودُرْبة على فنون الحديث إلا أنه استغل ذلك في الاستخفاف بسلفنا الصالح وكتبهم فشتمهم وتنقصهم، وأفسد كتبهم، ورمى كلام بعضهم ببعْض وحرَّف، ولفّق، وتجرأ على أفاضل الأمة بما يقشعر منه البدن، وتعلم مخالفته لمنهج السلف عليهم رضوان اللّه.

:- وسأكتفي في التمثيل لذلك بموضع واحد من تعليقه على الأسماء والصفات للبيهقي، ثم أُحيل القارىء برؤوس أقلام إلى مليء قد كفَّى ووفَّى: ألا وهو كتاب العلامة اليماني عبدالرحمن المعلمي. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني.

أولاً : استخفافه، وشتمه دون حياء لإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه اللّه في أمر هو منقبة له، لامذمة وهو أنه لايحسن علم الكلام ولايراه وذلك قوله كما في الأسماء والصفات للبيهقي ص٢٦٧ دار إحياء التراث: « إذا كان العطار لايحسن غير ماهو فيه فما تنكرون على فقيه راوى حديث أنه لايحسن الكلام!!» قال الكوثري معلقاً على قول ابن خزيمة: « وقد انصف عن نفسه حيث اعترف أنه يجهل علم الكلام، وكان الواجب على مثله أن لايخوض في علم الكلام فتزل له قدم، ومع هذا الجهل ألفّ كتاب التوحيد فأساء إلى نفسه ومن أهل العلم من قال عنه : « إنه كتاب الشرك ». ومن جملة مخازيه فيه استدلاله على إثبات الرجل لله تعالى بقوله سبحانه « ألهم أرجل يمشون بها »؟ وهذا غاية في السقوط وأسقط منه من يسعى في إذاعة كتابة هذا ولله في خلقه شئون... الخ»وحط الكوثري بعده على عبدالرحمن ابن أبي حاتم لما تابع صاحبه ابن خزيمة انظر ذلك في حاشية ص ٢٦٩، وأترك التعليق للقارىء الكريم وأحيله على كتاب ابن خزيمة« التوحيد وإثبات صفات الرب »١/ ٢٠٢ بتحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان ليقارن بين ماقاله الكوثري وبين ماكتبه وأراده ابن خزيمة من الآية الكريمة وقد بين أنه يريد إرغام أنوف المعطلة الجهمية الكافرين بصفات اللّه» ببيان أنهم أسوأ حالاً وكفراً من اليهود والنصارى والمجوس الذين هم كالأنعام، وهذا السوء الأسوأ يجعلهم عندهم كالانعام بل هم أضل، لأنهم بتعطيل صفات اللّه جعلوه عدماً.... » وقارن ذلك بما ذكره ابن كثير في تفسير الآية ص ١٩٥ من سورة الأعراف في تفسيره ٢/ ٢٧٧. وليس الأمر كما زعم الكوثري أنه يستدل بالآية على اثبات الرجل للّه، بل يكفي في اثبات الرجل له

سبحانه ماروا من الأحاديث الصحاح التي رواها البخاري ومسلم وغيرهما من وضع الرحمن قدمه في النار حتى تقول : قط قط . انظر التوحيد لابن خزيمة١/ ٢٠٧ .

ثانياً : إلماحات إلى تجنيه على أكابر فضلاء الأمة وردود المعلمي عليه فيها بالصفحات .

أ - شتمه للصحابي الجليل أنس بن مالك خادم رسول صلى عليه وسلم بأنه قد شاخ وكبر ، فخرف وروى عن النبي صلى عليه وسلم مالم يقله ولم يعمله ص ٦٠ , ٦٤ ، ص١٢٤ .

ب- إتهاماته للإمام أحمد بن حنبل : في ص ٣٦٦ حيث نفى عنه الغوص في الفقه والتمحيص! وانظر ص١٢٥ وفي ص ٣٦٧ اتهمه بالخطأ في اللغة والنحو ، وفي ص ٣٦٨ زعمه أنه تفقه أولاً على أبي يوسف ، وكان يستخرج الأجوبة الدقيقة من كتب محمد بن الحسن وفي ص ٣٧٠ زعم أن الإمام أحمد غير فقيه! مع قول الإمام الشافعي فيه : أنه أفقه أهل بغداد .

ج- طعونه المتنوعة في نسب وفصاحة وفقه الإمام الشافعي من ص ٦١٨/ إلى٦٥٦ .

د- بهته علي ابن المديني . بمسايرة ابن أبي دؤاد ص ٨٥٠ .

هـ- اتهامه محمد بن بشار (غندر) بالكذب وسرقة الحديث وهو ثقة جليل ص٦٦٠ .

و- قوله عن عبد الأعلى بن مسهر أبو مسهر الدمشقي : « إنه ممن أجاب في المحنة فترد روايته مطلقاً . . . . الخ أنظر ص ٥٣٦ .

ز- عندما ترجم الإمام البخاري في التاريخ الكبير للإمام أبي حنيفة وقال : كان(أبو حنيفة مرجئاً) سكتوا عنه ، وعن رأيه ، وعن حديثه . قال الكوثري : « إن إرجاءه محض السنة رغم تقولات جهلة النقلة . . . فالمعرض عنه إما خارجي يزكي مثل عمران بن حطان ، وحريز بن عثمان أو معتزلي قائل بالمنزلة بين المنزلتين» انظر ص٦٥٧ والرد عليه .

ح- قال عن صالح جزرة : « جزرة على سعة علمه في الحديث ، كان بذيء اللسان مداعباً أسوأ مداعبة . . » انظر كلام المعلمي ص ٤٩١ وتنسحب هذه المهزلة الجريئة التي لم يسبقه إليها أحد بهذا الكم وهذه الكيفية على فضلاء آخرين كابن أبي حاتم ص ٥٤٠ ، وابن بطة ص ٥٦١ ، وعثمان الدارمي ص٥٧٢ ، والدار قطني ص ٥٨٣ .

ويبدو أن هذه الوقفة قد طالت ، وماأطالها إلا أنّةٌ صعدت إلى شفتي ، فأبت إلا أن تسطر ، وهذا غيض من فيض مادونه المعلمي في طليعته ، ومحمد بهجة البيطار وعبد الرزاق حمزة وحسام الدين القدسي رحمهم تعالى في بيان حقيقته وكل ذلك في التنكيل للمعلمي فليراجع .

المبحث الثاني

أول مَنْ أثار المسألة

وكما أسلفنا، فقد كان المجتمع الإسلامى يشدد النكير على من يخوض في علم الكلام، أو يجيب في مسألة خلق القرآن بخلاف الحق الذي أثر عن إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد رحمه اللَّه، أو أي مسألة تتعلق بها لما رآه الناس من الفتنة في الدين والنفس.

حتى جاء حسين بن علي الكرابيسي [1] المتكلم، وفتق هذه القضية الجديدة، والتي حاول الإمام أحمد أن يقضي عليها في مهدها، ويقي المسلمين شرَّها، إلا أن الرجل شعَّبها.

قال الإمام الذهبى في ترجمة الكرابيسي: «وهو أول من فتق اللفظ» [2]

أما مبدأ الأمر: فهو جرأة هذا المتكلم، ومخالفته المنهج الحق الذى ثبّته الإمام أحمد رحمه اللَّه، بعد زوابع الجهمية والمعتزلة الباردة، والحق أقوى وأمضى. ويذكر العلماء في إثارتها روايتين بينهما تشابه كبير تجمعهما صفة العناد والتنمر على الإمام أحمد.

الرواية الأولى: والسبب فيها إخراج الكرابيسي لكتابه «المدلسين» الذي حط فيه على المحدثين وابن الزبير، فحذر منه الإمام، الأمر الذى أغضب الكرابيسي.

---

(١) هو الحسين بن علي الكرابيسي «نسبة إلى بيع الكرابيس وهي الثياب» اللباب لابن الأثير ٣/ ٨٨ كان إماماً جليلاً جامعاً بين الفقه والحديث، قال الخطيب: حديث الكرابيسي يعز جداً، وذلك أن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ، وهو كان يتكلم في أحمد، فتجنب الناس الأخذ عنه لهذا السبب، وقال السبكي: كان الكرابيسي من متكلمي أهل السنة، أستاذاً في علم الكلام.. الخ قال ابن رجب: كان يتسلط بعلل الحديث ليطعن ويشكك في غير حديث أهل الحجاز.... مات سنة ٢٤٨، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٨/ ٦٤، الثقات، لابن حبان ٨/ ١٨٩، السير، للذهبي ١٢/ ٧٩، ميزان الاعتدال، للذهبي ٢/ ٦٧، طبقات الشافعية، للسبكي ٢/ ١١٧.

(٢) السير ١٢/ ٨٠.

قال المروذي [١]: أول من أظهر مسألة اللفظ « حسين بن علي الكرابيسي » وكان من أوعية العلم، ووضع كتاباً في المدلسين، يحط على جماعة، فيه أن ابن الزبير من الخوارج، وفيه أحاديث يُقَوِّي به الرافضة. فأعلم أحمد فحذر منه، فبلغ الكرابيسي فتنمر، وقال: لأقولن مقالة حتى يقول ابن حنبل بخلافها فيكفر. فقال: لفظي بالقرآن مخلوق. قال المروذي في كتاب « القصص » فذكرت ذلك لأبي عبدالله أن الكرابيسي قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وأنه قال: أقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات إلا أن لفظي به مخلوق، ومن لم يقل: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو كافر. فقال أبو عبدالله: بل هو الكافر قاتله الله!! وأي شيء قالت الجهمية إلا هذا؟ وماينفعه، وقد نقض كلامُهُ الأخير كلامَهُ الأول ؟! ثم قال: أيش خبر أبي ثور أوافقه على هذا؟ قلت: قد هجره. قال: أحْسَنَ، لن يفلح أصحاب الكلام» [٢].

والرواية الأخرى: والسبب فيها أجوبته لسائل عن اللفظ بمايدل على عدم المبالاة بوجه الحق، وخالفه الإمام فيها، مما أغضبه.

قال أبو الطيب الماوردي: (جاء رجل إلى أبي علي الكرابيسي فقال: ماتقول في القرآن؟ فقال حسين الكرابيسي: كلام الله غير مخلوق، فقال له الرجل: فما تقول في لفظي بالقرآن؟ فقال له حسين: لفظك بالقرآن مخلوق! فمضى الرجل إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فعرفه أن حسيناً قال له: إن لفظه

(١) هو الإمام القدوه شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، كان أجل أصحاب الإمام أحمد، وكان يأنس به، وينبسط إليه" وهو الذي تولى إغماضه لما مات، وغسله" كان إماماً في السنة، شديد الاتباع له جلالة عجيبة ببغداد، خرج إلى الغزو فشيعه أهل بغداد إلى سامراء فجعل يردهم فلايرجعون، فحزروا بسامراء سوى من رجع، نحو خمسين ألفاً، فقيل له: يا أبا بكر احمد الله فهذا علم قد نشر لك، فبكى وقال: ليس هذا العلم لي، إنما هو لأبي عبد الله" سير أعلام النبلاء١٣/ ١٧٣.

(٢) السير ١١/ ٢٨٩.

بالقرآن مخلوق، فأنكر ذلك وقال: هي بدعة، فرجع الرجل إلى حسين الكرابيسي فعرفه إنكار أبي عبداللَّه أحمد بن حنبل لذلك وقوله هي بدعة.

فقال له حسين: تلفظك بالقرآن غير مخلوق، فرجع إلى أحمد بن حنبل فعرفه رجوع حسين وأنه قال تلفظك بالقرآن غير مخلوق! فأنكر أحمد بن حنبل ذلك أيضاً وقال هذا أيضاً بدعة، فرجع الرجل إلى أبي علي حسيْن الكرابيسي فعرفه إنكار أبي عبداللَّه أحمد بن حنبل وقوله هذا أيضاً بدعة فقال حسين: «إيش نعمل بهذا الصبي! إن قلنا مخلوق قال: بدعة وإن قلنا غير مخلوق قال: بدعة» فبلغ ذلك أبا عبداللَّه فغضب له أصحابه فتكلموا في حسين، وكان سبب الكلام في حسين والغمز عليه بذلك. (١)

ومهما يكن من سبب لإثارة المسألة، فإنَّ الكرابيسي قد ألقى أقوالاً مجملة مشتبهة تشتمل حقاً وباطلاً ليوقع الإمام أحمد بزعمه «في مأزق القول بخلافها» ولكن الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى كان أذكى بكثير وأبعد نجعة من مراد الكرابيسي، إذ إنه كان يعلم أن الحق في (كلا القولين متلبساً به الباطل) وللوقوف على الحق وفصله عن الباطل لابد من التفصيل في الجواب ومن هنا جاء تبديع الإمام أحمد للكرابيسي (فقال هذه بدعة) ومقصوده تكلمه في مسائل الكلام وجوابه الإجمالي عن مسالة اللفظ. (إما بالخلق أو عدمه) ولذا يقول تاج الدين السبكي: «... وهذا يدلك على مانقوله، من أن أحمد إنما أشار بقوله: «هذه بدعة» إلى الكلام في أصل المسألة، وإلا فكيف ينكر إثبات الشيء ونفيه!» (٢). وسنأتي بعد قليل على إيضاح هذه المعاني (٣).

وكان موقف الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى موقف العالم المستبصر، الذي بنى أقواله وأفكاره على منهج اللَّه. الثابت تجاه المستحدثات في المجتمع، مما

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٦٤، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٧٩.

(٢) طبقات الشافعية ٢/ ١١٩.

(٣) في المبحث الثالث المطلبين الثاني والثالث.

يلقيه أعداء الإسلام باسم الإسلام " كفتنة خلق القرآن " أو مما يصعب فهمه من الأمور العقائدية وغيرها " كمسالة اللفظ هذه " . . . فإن المجتمع احتار أيضاً في هذه المسالة، لجدتها وصعوبة تعيين المراد من اللفظ (هل هو صوت القارىء، أم المقروء المسموع وهو كلام اللّه؟) فكان طلبة العلم يقصدون الإمام أحمد ليرشدهم إلى الصواب ، ويبين لهم الحق.

قال أبو جعفر محمد بن الحسن بن هارون الموصلي : سألت أبا عبداللّه أحمد بن حنبل وقلت: « ياأبا عبداللّه أنا رجل من أهل الموصل والغالب على أهل بلدنا الجهمية وفيهم أهل سنة نفر يسير يحبونك وقد وقعت مسألة الكرابيسي، نطقي بالقرآن مخلوق، فقال لي أبو عبداللّه: إياك إياك إياك إياك وهذا الكرابيسي لاتكلمه ولاتكلم من يكلمه أربع مرات أو خمس مرات !!، قلت: ياأبا عبداللّه فهذا القول عندك وماتشعب منه يرجع إلى قول جهم؟ قال: هذا كله من قول جهم »[1].

وقال الفضل بن زياد : سألت أبا عبداللّه عن الكرابيسي وماأظهره فكلح وجهه ثم أطرق!! ثم قال : هذا قد أظهر قول جهم، قال تعالى ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾[2] فمن يسمع ؟ وقال النبي صلى اللّه عليه وسلم « فله الأمان حتى يسمع كلام اللّه » إنما جاءهم بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، تركوا آثار رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب »[3]. وقال أبو طالب[4]: سمعت أبا عبداللّه يعنى

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٥٦٥، الكامل في الضعفاء / ٢/ ٣٦٥.

(٢) التوبة آية ٦.

(٣) تاريخ بغداد٨/ ٦٦.

(٤) هو أحمد بن حميد، أبو طالب المشكاني صاحب أبي عبدالله أحمد بن حنبل، ،روى عن أحمدمسائل تفرد بها، قال أبو بكر الخلال: أبو طالب صحب أبا عبدالله قديماً إلى أن مات، وكان أبو عبدالله يكرمه ويقدمه، وكان رجلاً صالحاً فقيراً صبوراً على الفقر، فعلمه أبو عبدالله مذهب القنوع والاحتراف ومات قديماً بالقرب من موت أبي عبدالله. وقال ابن نافع: مات سنة أربع وأربعين ومائتين. طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٣٩.

أحمد بن حنبل يقول : « مات بشر المريسي، وخلفه حسين الكرابيسي[1] . فمن النصوص السابقة تبّين لنا مدى صلابة مواقف الإمام أحمد من الكرابيسي، ومن أي قضية تطرأ تخالف منهج السلف الصالح سواء: في المعتقد، أو طريقة التعامل معها، أو الفتوى فيها، كما حصل من الكرابيسي عندما سأله الرجل، فالإمام أحمد لم يقل بخلاف مقالة الكرابيسي حتى يقع في المحظور ولاغيره من الأئمة، لأنهم يعرفون وجه الحق في المسألة « وهو أن القراءة فعل من أفعال العباد، وأفعال العباد مخلوقة » ولكنهم كانوا حريصين على العقيدة من أن يكدر صفاءها أمرٌ يثير البلبلة في المجتمع لأن اللَّه لم يكلفهم ذلك، فيكفي ويسع الناس ماوسع سلفهم « من أن القرآن كلام اللَّه منزل غير مخلوق» ومن هنا جاء تحذير الإمام أحمد وغيره [2] من الكرابيسي ومن سار مساره، لأنهم يفتحون أبواباً من الجدل والشُقّة والخلاف، وهو ماحصل بالفعل، فقد اختلف الناس واحتاروا زمن الإمام أحمد رحمه اللَّه، وأثر عنه أقوال ومواقف فهمها من فهمها، وجهلها من جهلها، وتابعها بحذو القذة من تابعها. وازداد اختلاف الناس بعد وفاته، واشتد بنيسابور بين البخاري والذهلي « ويذكر ابن القيم رحمه اللَّه أن الاختلاف فيها استمر إلى زمانه » [3].

---

(١) تاريخ بغداد/ ٨/ ٦٦.

(٢) - منهم أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، ذكر اللالكائي عقيدته وفيها« . . . وترك النظر في كتب الكرابيسي ومجانبة من يناضل عنه من أصحابه، مثل داود الأصبهاني وأشكاله ومتبعيه . . . الخ » شرح أصول اعتقاد أهل السنة١/ ١٨٠ . ومنهم العلامة ابن رجب الحنبلي الذي كشف جوانب من كتابه «المدلسين» ومافيه من شرور فقال: وقد تسلط كثير ممن يطعن في أهل الحديث عليهم بذكر شيء من هذه العلل. وكان مقصوده بذلك الطعن في الحديث جمله والتشكيك فيه. أو الطعن في غير حديث أهل الحجاز، كما فعله حسين الكرابيسي في كتابه الذي سماه بكتاب المدلسين، وقد ذكر كتابه هذا للإمام أحمد فذمه ذماً شديداً، وكذلك أنكره عليه أبو ثور وغيره من العلماء. أهـ
شرح علل الترمذي ٢/ ٨٩٢ بتحقيق د٠همام، ٢/ ٨٠٦ بتحقيق د٠ العتر.

(٣) قال ابن قيم الجوزية مشيراً إلى استمرار الاختلاف في مسألة اللفظ إلى زمانه: « والحرب واقعة بين هذين الفريقين من بعد موت أحمد إلى الآن. . . . الخ» مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصار محمد الموصلي، ص ٤٤٠ .

المبحث الثالث

إلقاء الضوء على مسألة اللفظ واللفظية

المطلب الأوّل

تعريف اللّفظ واللفظيّة

اللفظ (أ) جاء في لسان العرب : « واللفظ واحد الألفاظ ، وهو في الأصل مصدر ، ولفظ بالشيء يلفظ لفظاً : تكلم ، وفي التنزيل العزيز ﴿ **مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾[1] . ولفظ بالكلام وتلفظت به أي تكلمت به »[2] .

(ب) وقال الفيروز أبادي : « لفظه رماه فهو ملفوظ ولفيظ وبالكلام نطق كتلفظ »[3] .

(ج) وقال ابن هشام : « والمراد باللفظ : الصوت المشتمل على بعض الحروف »[4] .[5]

---

(١) سورة ق آية ١٨ .

(٢) لسان العرب ٧/ ٤٦١ .

(٣) القاموس المحيط٢/ ٣٩٩ .

(٤) شرح قطر الندى وبل الصدى ص ١٣ .

(٥) ولم يجوّز الإمام أبو الحسن الأشعري أن نقول ' لفظت بالقرآن ، بل قرأت وتلوت ، وعلل ذلك بمايلي :

أولاً : «أن العرب اذا قال قائلهم : لفظت باللقمة من فمي ، معناه : رميت بها ، وكلام الله عز وجل لايقال يلفظ به» . الإبانه عن أصول الديانةص٨١ ، ومع صحة كلامه رحمه الله من حيث استعمال العرب لهذه الكلمة إلا أنه ورد في المعاجم أنه يراد باللفظ الكلام والنطق كما أشرت إليها آنفاً وَدَلَّتْ عليه الآية الكريمة . =

قال ابن تيمية رحمه اللّه تعالى : « واللفظ في الأصل مصدر لفظ يلفظ لفظاً، وكذلك التلاوة والقراءة مصدران، لكن شاع استعمال ذلك في نفس الكلام الملفوظ المقروء المتلو، وهو المراد باللفظ في إطلاقهم وهو نفس الحروف المنطوقة » [1].

واللفظية هم « من قالوا : لفظي بالقرآن مخلوق » .

وقد اشتهر عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي وجماعة أئمة الحديث « أن اللفظية جهمية »[2] وقال أئمة السنة : « من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع »، يعنون غير بدعيَّة الجهمية [3].

= ثانياً : «بأن قوماً قالوا : لفظنا بالقرآن : ليثبتوا أنه مخلوق، ويزينوا بدعتهم، وقولهم بخلقه، فدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم» الإبانة ص ٨٢ وكلامه هذا أيضاً صحيح، فإن بعض القائلين بأن اللفظ مخلوق تدرجوا به للقول بخلق القرآن، لذا جهمهم الإمام أحمد وجمعٌ من علماء السلف كما سيأتي معنا، ولكن بما أن الكلمة في أصلها اللغوي صحيحة، وقد تداولها علماء السلف منذ بزوغ هذه الفتنة دون نكير منهم، فلا بأس باستخدامها .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وإعداد عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ١٢/٣٠٦، ٥٦٧ .

(٢) كون الإمام أحمد يجهم اللفظية فإنه لايكاد يطلق القول بكفرهم كما يطلقه على المخلوقية القائلين بخلق القرآن كما قال ذلك ابن تيمية . راجع مجموع الفتاوى ١٢/٢٠٦ وسيمر بنا ذلك عند كلام ابن تيمية على اللفظ .

(٣) معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ١ / ٢٥٣، وانظر تعريف الإمام أحمد الذي نقله عنه البخاري ، مجموع الفتاوى ١٢/٣٦٦.

المطلب الثاني

مقالة الإمام أحمد " من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع " ومراده بها

انتشرت أقوال الكرابيسي في المجتمع الإسلامي، واشتهرت مواقفه المتأرجحة المتميعة في مسألة اللفظ، ووجدت فيها الجهمية بُغْيَتَها، وخبَّت في ذلك وَوَضَعَت، وقالت ومن تابعها قولة حَق وأرادت بها باطلاً، فقالوا: « لفظنا بالقرآن مخلوق » وأرادوا الملفوظ المسموع الذى هو كلام اللّه تعالى المنَزَّل . . . . وقد كان الجهمية يمثلون أغلبية السكان في بعض المدن كما في رواية أبي جعفر الموصلي السابقه ٣٠٧ وأهل السنة قلّة مما يشكل خلخلة وتهديداً لتلك النواحى.

وقد تنبه الإمام أحمد رحمه اللّه لمراد الجهمية، وأدرك ما في كلا القولين اللذين أطلقهما الكرابيسي من حق وباطل. . وأنه ستزل فيه أقدام، وتضل فيه عقول عن مظان الحق، لذا أطلق هذه المقوله: -

" من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع » (١)

وأصبحت هذه المقوله قاعدة في الذب عن المنهج الصحيح في هذه القضية، ليرتاد الناس السلامه في دينهم وسط زوبعة البدع المستحدثة.

---

(١) وقد تعجَّب ابن قتيبة الدينوري من مقولة مقاربة لهذه نسبت لأحمد وشك في نسبتها إليه، ونص هذه المقوله هو: «من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي والجهمي كافر، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلالة" الاختلاف في اللفظ ص ٤٦ وقد تكون هذه الصيغة لم تثبت عنه بالفعل، لأن فيها إطلاقاً بتكفير الجهمي القائل بخلق القراءة والجهميَّة كما سيمر بنا ثلاث فرق: =

قال الإمام ابن قيم الجوزية : « وهذا المنع من النفي والاثبات من كمال علمه باللغة وتحقيقه لهذا الباب » (١) .

وهذه توجيهات بعض العلماء لهذا المنع وكشفهم النقاب عن سرِّه :

أولاً : قال ابن تيمية رحمه اللّه : « لما ظهر القول بأن القرآن كلام اللّه غير مخلوق ، وأطفأ اللّه نار الجهمية المعطلة صارت طائفة يقولون : إن كلام اللّه الذي أنزله مخلوق ، ويعبرون عن ذلك باللفظ ، فصاروا يقولون : ألفاظنا بالقرآن

=(أ) المخلوقية « القائلين بخلق القرآن » .

(ب) الواقفية « الذين لايقولون مخلوق ولاغير مخلوق » .

(ج) اللفظية « القائلين بأن لفظهم وقراءتهم للقرآن مخلوقة » .

وتكفير الصنفين الأولين أمر يكاد يكون مستفيضاً عند جميع أئمة السنة ، أما اللفظية فإن ابن تيمية يقول : « وعامة كلام أحمد إنما هو يجهم اللفظية لايكاد يطلق القول بتكفيرهم كما يطلقه بتكفير المخلوقية» مجموع الفتاوى" ١٢/ ٢٠٦ . فإن كان هذا هو وجه استنكار ابن قتيبة لهذه المقولة وبتلك الصيغة ، فلا بأس بذلك فإني لم أجد من ذكرها غيره رحمه اللّه ، وإن كان مقصده أن الإمام أحمد لم يصدر منه تجهيم لمن يقول بخلق اللفظ ، ولاتبديع لمن يقول بعدم خلقه . وهذا هو الاقرب والدليل على ذلك قوله بعد ذلك « فكيف يتوهم على أبي عبداللّه مثل هذا القول وأنت تعلم أن الحق لايخلو من أن يكون في أحد الأمرين . . الخ » الإختلاف في اللفظ ص ٤٧ .

أقول : إن كان هذا مقصده رحمه اللّه فلا نسلم له به لاستفاضة هذا الموقف عن الإمام أحمد استفاضة لاتدع مجالاً للشك كما ذكر ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٣٧ .

ومن يتتبع بعض المواطن التي نسبت فيها هذه المقالة وهذا الموقف للإمام أحمد يدرك وجاهتها وما فيها من سد ذريعة لأمور خطيرة . وهذه بعض تلك المظان على سبيل المثال : - مجموع الفتاوى لابن تيمية١٢/ ٧٤ , ١٧٠ , ٢٦٣ ، ونسبها إليه أيضاً وذكر أنها الصواب عند جماهير أهل السنة في ١٢/ ٥٧٣ ، وبين أنها المنصوص عنه وعن أصحابه في ١٢/ ٢٣٨ ، ونقلها كذلك في الفتاوى١٢/ ٣٢٥ ، عن أبي بكر محمد بن هارون الخلال الذي اعتنى بعلم الإمام أحمد وجمع نصوصه وأقواله في جميع أبواب الدين .

وتوَّج بها ابن قيم الجوزية موقف البخاري وأحمد من تلك الزوبعة ، مختصر الصواعق المرسلة ، ص٤٤٠أهـ .

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٣٩ .

مخلوقة، أو تلاوتنا أو قراءتنا مخلوقة، وليس مقصودهم مجرد كلامهم، وحركاتهم بل يدخلون في كلامهم نفس كلام اللّه الذى نقرأ بأصواتنا وحركاتنا، وعارضهم طائفة أخرى، فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، فرد الإمام أحمد على الطائفتين وقال: « من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع »[1].

ثانياً : ومن أوضح هذه التوجيهات ماذكره شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني[2] معقباً على كلام الإمام محمد بن جرير الطبري [3] في كتابه الاعتقاد الذي صنفه في هذه المسألة وفيه بيّن متابعته التامّة لإمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل واعتبار أن قوله وموقفه فيه الغنى والشفاء لقيامه مقام الأئمة الأول، وبهذا نفى عن نفسه مارمى به من عدول عن السنة فبعد أن نقل الإمام الصابوني هذه المقولة من طريق محمد بن جرير

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/ ٦٥٥.

(٢) هو شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني نسبة إلى عمل الصابون وبيعه، انظر اللباب لابن الأثير ٢/ ٢٢٨، ولد سنة ٣٧٣هـ كان حافظاً، كثير السماع والتصانيف حريصاً على العلم، مجمع على أنه عديم النظير، وسيف السنة، ودافع البدعة، توفي سنة ٤٤٩، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور»تصنيف الإمام عبد الغافر الفارسي، وانتخاب إبراهيم بن محمد الصريفيني، ص١٣١، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد الإمام العالم المجتهد ولد سنة ٢٢٤هـ، كان ثقة، صادقاً، حافظاًرأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علاّمة في التاريخ وأيام الناس، له من الكتب المطبوعة، تاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار واختلاف الفقهاء، وجامع البيان في تفسير القرآن، كان قد وقع بينه وبين ابن أبي داود، وكان كل منهما لاينصف الآخر، وكانت الحنابلة حزب أبي بكر ابن أبي داود، فكثروا وشغبوا على ابن جرير ،وناله أذى، ولزم بيته ، وكان على منهج السلف في عقيدته، توفي سنة ٣١٠ هـ، راجع ترجمته في تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢-١٦٩، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧.

قال : «والذى حكاه عن أحمد رضي اللّه عنه وأرضاه أن اللفظية جهمية فصحيح عنه » وإنما قال ذلك لأن جهماً وأصحابه صرّحوا بخلق القرآن، والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن، « فأدرجوه في هذا القول ذي اللبّس لئلاّ يُعدُوا في زمرة جهم الذين هم شياطين الإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق، فلذلك سماهم الإمام أحمد جهمية وحكي عنه أيضاً أنه قال : اللفظية شر من الجهمية، وأما ماحكاه محمد بن جرير رحمه اللّه أن « من قال لفظي غير مخلوق فهو مبتدع » فإنما أراد به أن السلف الصالحين من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوى الحمق الذين أتوا بالمحدثات وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المثالات، وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام، فقال الإمام أحمد هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتدين أن يدعه « وكل بدعة مبتدعة » ولايتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على مقالة السلف المتبعة أن القرآن كلام اللّه غير مخلوق ولايزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه [1].

ثالثاً : قال ابن القيم رحمه اللّه في توجيه منع الإطلاقين : « والذى قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران » :-

(أ) الملفوظ نفسه وهو غير مقدور للعبد ولافعل له .

(ب) التلفظ به والأداء له وفعل العبد. فإطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الأول وهو خطأ، وإطلاق نفي الخلق عليه قد يوهم المعنى الثاني وهو خطأ، فمنع الإطلاقين " [2].

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث/ أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة ص١٠ تحقيق بدر البدر، وهي ضمن الرسائل المنيرية١/ ١٠٥ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٣٩ .

وهذا مما لاشك فيه من فقهه رحمه اللّه لواقعه ومجتمعاته آنذاك : فما أنْ استراحت النفوس من المصيبة الصَّماء فتنة خلق القرآن حتى انفتحت فتن أخرى فيها من الغموض والدِّقة ماقد يخفى على العلماء فضلاً عن عامّة الناس وطلبة العلم . فاكتفى رحمه اللّه بهذه القاعدة ، ليجنب الناس شروراً كثيرة في عقائدهم ، وليكتفوا بفهم « أن القرآن كلام اللّه غير مخلوق » ولايتجهموا باعتقاد أن اللفظ بالقرآن مخلوق ، فيدخلوا كلام اللّه ضمن اللفظ الذى هو فعل العبد فيقعوا في المحظور العظيم ، ولايبتدعوا ويضلوا باعتقاد « أن اللفظ غير مخلوق» لأن في ذلك عُدُولاً عن منهج السلف الصالح ، ويوهم أن أفعال العباد وأصواتهم غير مخلوقة .

قال ابن تيمية رحمه اللّه : (فلهذا منع أئمة السنة الكبار إطلاق هذا وهذا ، وكان هذا وسطاً بين الطرفين وكان أحمد وغيره من الأئمة يقولون : « القرآن حيث تصرف كلام اللّه غير مخلوق » فيجعلون القرآن نفسه حيث تصّرف غير مخلوق ، من غير أن يقترن بذلك ما يشعر بأن ألفاظ العباد وصفاتهم غير مخلوقه) [1] .

وهذا الذي أراده الإمام أحمد وهو تجنيب المسلمين الشقاق والفرقة ، ومحافظتهم على سلامة العقيدة ، قد وقع خلافه ، إذ نشأت طائفتان تعلقت إحداهما بأحد قوليه ونسبته إليه ، وتعلقت الأخرى بالقول الآخر وادّعت أن أحمد قاله ، وادّعاه الجميع فإنه بعد الفتنة أصبح إماماً وقدوة لجميع الطوائف ، وكان رحمه اللّه يغضب أشد الغضب إذا بلغه أن إحدى الطائفتين تنسب إليه أحد القولين . [2]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٦٥ .

(٢) ويروى عنه رحمه اللّه تعالى في ذلك قصص منها " موقفه من أبي طالب ، وابن شداد " وسيأتي سرد القصتين ص ٣٣٠ـ٣٣١ .

ومن الضروري والواجب أن أقرر هنا أن هذا الموقف من الإمام أحمد ليس هو خلاصة عقيدته في اللفظ بالقرآن، يتبين ذلك من آخر كلام ابن تيمية السابق وفحواه أن الإمام أحمد يعتقد أن ألفاظ العباد وصفاتهم مخلوقة.

وإنما هو «**أولاً**» وقفة حازمة ولازمة في مثل تلك الظروف والفتن التي تعصف بالأمة في صلب دينها، وقد استقر بالفطرة عند المجتمعات قبل هبوب هذه العاصفة أن كل ماله علاقة بالمخلوق فهو مخلوق، فلما نشأت هذه القضية أراد الإمام أحمد أن يثبت الناس على ما استقر لديهم، ويرسم لهم موقفاً لاتزل فيه الأقدام بعدم إطلاق القول بخلق اللفظ أو عدم خلقه لما في الجانبين من حق وباطل.

« **ثانياً** » ومن جهة أخرى فَإنَّ المجتمع ليس على شاكلة واحدة من سلامة العقيدة والرغبة في معرفة الحق واعتناقه، فإن فيه من يتربص بالمسلمين الدوائر، وفيه من تنطلي عليه شبه المعطلين، وفيه المريد للحق والخير، وأغلب هؤلاء يصعب عليه إدراك وجه الحق في مثل هذه القضية لدقتها وغموضها، ومنهم من يدركه ويتنكب عنه إلى الباطل، . . . فكان هذا الموقف الصارم منه رحمه اللّٰه سداً لباب الكلام في القضية لئلا يتذرع به إلى أقوال فاسدة ومعتقدات باطلة.

المطلب الثالث
نشأة القضية ... وسبب الاشتباه
ووجه الحق في ذلك

لبيان موضع الاشتباه وسببه . . نقتطف من أقوال أئمة الإسلام بعضَ مايوقفنا على ذلك، وقد عَيَّنْتُ واخترت اثنين ممن عُنُوا بالبيان المفصَّل أكثر من غيرهم، وراعيت في الاختيار البعد الزمني والإختلاف في الأسلوب : وهما الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (١) الذى عاصر الفتنتين وواكب الأحداث، والإمام تقي الدين ابن تيمية، ولعلَّ تأخره الزمني قد مكنه من هضم كتب السالفين، أضف إلى ذلك فرط ذكائه وروعة استنباطاته وتحليلاته مما يجعل المرء يحط رحال التطواف عند كنوزه ومكنوناته.

وسأشير في الهامش إلى جهود متضافرة كلّها هبَّت لإزالة الالتباس، وتقرير الصواب تركت إثباتها خوف الاسهاب والملال (٢).

أولاً : الإمام ابن قتيبة :

كان بيان الإمام ابن قتيبة لسبب الاشتباه موسعاً وعميقاً. . . ومؤيداً بالأدله. . . وكان حلُّه لرموز هذا الاشتباه واضحاً جلياً ومدعماً بالأمثلة :

قال رحمه اللّه بعد تصويره لحال أهل الحديث وتشانئهم وإكفار بعضهم بعضاً: «وليس مااختلفوا فيه ممايقطع الألفة ولا ممّا يوجب الوحشه لأنهم مجمعون

---

(١) سبقت ترجمته ص ٢٠٨.

(٢) مثل ماذكره الإمام الذهبي في مواضع كثيرة من ترجمته لأعلام النبلاء ومن ذلك ماقاله في ترجمة داود الأصبهاني في السير ١٣/ ١٠١، وانظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٤٣٥، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي، باب الفرق بين التلاوة والمتلو ص ٢٦٤، وانظر عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي إسماعيل الصابوني، ضمن الرسائل المنيرية ١/ ١٠٥، وقد حققها مستقلة بدر البدر، وانظر تعليقات السبكي في طبقات الشافعية عند ترجمته للبخاري والذهلي . . . الخ .

على أصل واحد وهو «القرآن كلام اللّه غير مخلوق » في كل موضع وبكل جهة، وعلى كل حال، وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه ولطف معناه فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه ولم يكن معهم آلة التمييز ولافحص النظارين ولاعلم أهل اللغة.

فاذا فكر أحدهم في القراءة وجدها قد تكون قرآناً لأن السامع يسمع القراءة وسامع القراءة سامع للقرآن وقال اللّه عز وجل﴿ **فاستمعو له** ﴾ (١) وقال﴿**حتى يسمع كلام الله**﴾(٢) ووجدوا العرب تسمي القراءة قرآناً، قال الشاعر في عثمان بن عفان رضي اللّه عنه:

ضحو بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا (٣)

أي تسبيحاً وقراءة وقال أبو عبيد يقال : قرأت قراءة وقرآناً بمعنى واحد فجعلها مصدرين لقرأت وقال تعالى ﴿ **وقرآن الفجر إنَّ قرآن الفجر كان مشهوداً** ﴾ (٤) أي قراءة الفجر فيعتقد من هذه الجهات أن القراءة هي القرآن غير مخلوق.

ويفكرآخر في القراءة فيجدها عملاً لأن الثواب يقع على عمل لا على أن قرآناً في الأرض، ويجد الناس يقولون : قرأت اليوم كذا وكذا سورة، وقرأت في تقدير فعلت كما تقول: ضربت وأكلت وشربت، ونجدهم يقولون : قراءة فلان أحسن من قراءة فلان، إنما يريدون أداء فلان للقرآن أحسن من أداء فلان، وقراءة فلان أصوب من قراءة فلان، وإنما يراد في جميع هذا العمل، لأنه لايكون قرآن أحسن من قرآن، فيعتقد من هذه الجهة أن القراءة عمل وأنها غير القرآن،

---

(١) سورة الأعراف ٢٠٤.

(٢) سورة التوبه ٠٦

(٣) من مرثية حسان بن ثابت في أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى اللّه عنهما، انظر شرح ديوان حسان بن ثابت، وضع وتصحيح عبدالرحمن البرقوقي ص ٤٦٣.

(٤) سورة الإسراء ٧٨.

وأن من قال « القراءة غير مخلوقة » فقد قال : إن أفعال العباد غير مخلوقة . . . فلما وقعت هذه البلية فزع الناس إلى علمائهم وذوي الرأي فيهم فاختلفوا عليهم . . . . (١).

ثم تطرق رحمه الله إلى أقوال في المسألة وزاد بياناً لهذه المعضلة وأثرها في المجتمع ثم عاد مرة أخرى ليبين وجه الحق والصواب فيها :-

قال : وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معنيين أحدهما عمل والآخر قرآن ، إلا أن العمل لايتميز من القرآن كما يتميز الأكل من المأكول ، فيكون المأكول المضوغ والمبلوع ، ويكون الأكل والمضغ والبلع ، والقرآن لايقوم بنفسه وحده كما يقوم المأكول بنفسه وحده ، وانما يقوم بواحدة من أربع : كتابة ، أو قراءة ، أو حفظ ، أو استماع .

فهو بالعمل [أ] في الكتابة قائم والعمل خط وهو مخلوق ، والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق .

وهو بالعمل [ب] في القراءة قائم والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن وهو مخلوق ، والمقروء قرآن وهو غير مخلوق .

وهو بالعمل [ج] بحفظ القلب قائم في القلب والحفظ عمل وهو مخلوق ، والمحفوظ قرآن وهوغير مخلوق .

وهو بالعمل [د] بالاستماع قائم في السمع والاستماع عمل وهومخلوق ، والمسموع قرآن وهو غير مخلوق(٢) .

---

(١) الاختلاف في اللفظ ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٢ .

ويزيدنا ابن قتيبة رحمه الله بياناً لهذه القضية وذلك بضرب الأمثلة فيقول :

فإن قال قائل : ما تقول في القراءة ؟ قلت : قرآن متصل بعمل، فإن قال : أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ قلت له : سألت عن كلمة واحدة تحتها معنيان، أحدهما مخلوق وهو العمل والآخر غير مخلوق وهو القرآن . فإن قال : فما شبه هذا؟ قلنا : رجلان نظرا إلى جمرة حمراء فقال أحدهما هي جسم وقال الآخر هي نار، وتجادلا في ذلك وشرّق الأمر بينهما حتى حلف كل واحد بالطلاق على ما قال ثم صارا إلى الفقيه فقالا : إنا اختلفنا في جمرة فقال أحدنا هى جسم وقال الآخر هى نار ، وتمارينا في ذلك حتى حلف كل منّا بالطلاق على ما ادعى ، فقال الفقيه لكل واحد منها : صدقت ولكن ذكرت شيئاً ذا معنيين بأحد معنييه فالجمرة مثل للقراءة لأنها اسم واحد يجمع معنيين الجسم والنار، كما أن القراءة تجمع معنيين، العمل والقرآن ولو كان أحد المختلفين قال هى جسم ونار قد جمع لها الصنفين، كما أن من قال القراءة عمل وقرآن قد جمع لها الصنفين [1].

ويضرب رحمه الله أمثلة أخرى بالنجم والأكل والقتل فيقول :

وكذلك لو اختلف اثنان في نجم فقال أحدهما هو نار وقال الآخر هو نور كانا جميعاً صادقين لأن النجم اسم ذو معنيين « نار ونور » وكذلك فلو اختلف اثنان في أكل الإنسان فقال أحدهما هو مضغ وقال الآخر هو بلع كانا جميعاً صادقين لأن أكل الإنسان اسم ذو معنيين . « مضغ وبلع »

وكذلك لو اختلفا في القتل فقال أحدهما هو جرح وقال الآخر هو موت لأن القتل اسم ذو معنيين « عمل وموت » ويزيل رحمه الله اشتباهاً قد يقع عند سماع المصدرين « القراءة واللفظ » بعد دخول اللام على الأول والباء على الثاني .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٣ .

ويقول : وقد بقيت بعدما بينت لطيفة قد يغلط في مثلها وهي أن السامع إذا سمع قائلاً يقول : « قراءتي للقرآن » « ولفظي بالقرآن » قراءة القرآن مفردة عن القرآن، واللفظ منفرد عن القرآن . توَهّم أن كل واحد منهما غير ممازج للقرآن وليس كذلك، وإنما قوله للقرآن " بالقرآن " تمييز للقرآن من غيره، لأن القارىء قد يقرأ غير القرآن . وهذا من أغمض ما مرَّ وأدقَّه - فتأمله وتدبره حتى تفهمه وسأزيده إيضاحاً . . . . . . كأن رجلاً يسمى محمدا قرأ. فسمعه رجل يقال له زيد، فقال لأخ له يقال له عبد اللّه : ما أحسن قراءة محمد، فقال عبداللّه ماذا قرأ ؟ فيقول زيد : القرآن، وكذلك لو قال : ما أحسن لفظ محمد فقال عبد اللّه وبماذا لفظ ؟ فيقول له زيد : بالقرآن . فالقرآن ههنا تمييز وتبيين وكل من القرآن واللفظ يجمع معنيين عملاً وقرآناً (١).

هذا مجمل ما ذكره ابن قتيبية نقلناه جملة وأطلنا في عرضه لأهميته وتسلسله .

(١) المصدر السابق ص ٥٤ .

ثانياً : تقّي الدين أحمد بن تيْميَّة

أما الإمام ابن تيمية رحمه اللّه فقد أطال النفس جداً في بيان أصل النزاع في قَضيَّتيْ خلق القرآن واللفظ به، وأزال الشُبَه وفَنَّد الأقوال، وأعاد وكررَّ حتى لم يبق فيها شاردة ولا واردة إلا بيّنها بأسلوبه المتميز [(١)].

وحتى لا يطول بنا مقام الاستشهاد بأقواله والتأليف بينها، لكثرتها وتناثرها وتنوع مطالبها وطولها إذ أن بعضها كان مجرد إجابة على سؤال رام فيها الاختصار فاضطره المقام إلى أن أصبحت رسالة أو كتاباً، وقد كان رحمه اللّه يدرك أهمية الاستقصاء والشمول في هذه القضايا المشكلة، وإنَّ اختزال بعض كلامه أو محاولة جمع ما تناثر من أقواله لهو تشويه لعلمه وما أراد بيانه للناس وإنَّ حاله كما قال المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم [(٢)]

فعزيمة ابن تيمية على قدره . . . . وما أُشَبِّهُهُ رحمه اللّه إلا بالبحر الذى ينتفع منه غالب الناس، باستخراج ما فيه من حلية ومتاع، ومَخْرِ عبابه لرؤية البلدان وتحصيل المنافع، وهكذا كان ابن تيميَّة بحراً في جميع العلوم يستقي منه جميع الناس حتى المخالفون، وموجاً هادراً على المستبدين من الغزاة والجامدين من الحكام والعلماء، لذا كان أوَّل من تجرأ بعد قرون متطاولة على كسر هذا الجمود والتقليد المذهبي، والابتداع العقائدي، والتقوقع، ومن كان هذا حاله وجب أن نرتفع إلى مقداره، ونأخذ من علمه قدراً يعيننا على فهم كل مراده . .

(١) وفي فتاويه كم كبير من بيان هذه المسألة حتى إن المجلد الثاني عشر يكاد يكون كله في بيانها وللوقوف على سائر كلامه في مجموع الفتاوي يرجع إلى المحتويات الإجمالية لـ « القرآن كلام اللّه حقيقة» فقد فهرس الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ذلك في ثلاث عشرة صفحة، انظر : ٣٦/ من ص٢١٧ إلى٢٣٠ .

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي ٣/ ٣٧٨، وشرحه التبيان في شرح الديوان لأبي البقاء العكبري .

لذا : فإني أنقل جزءاً كبيراً من نص كامل له عثرت عليه في كتابه درء تعارض العقل والنقل [(١)] وقد اخترته دون غيره من النصوص والرسائل لأمرين :

أولاً : لأنه أقصر نصوص ابن تيمية الجامعة المانعةعلى العموم في هذا الموضوع [(٢)] فإنه قد تَعرَّض فيه لنشوء الالتباس، وموارد النزاع، ووجه الحق في المسألة، وتسلسل ظهور الفهم الخاطيء ومن تبناه، وبيان مراد الطائفتين اللتين تنازعتا في موافقة الإمام أحمد لهما، ومخالفة بعض أتباعهم لهم إلى أقوال خطرة . . . ثم توارث التفرق في أتباع الطائفتين مع بيان أسماء بعض العلماء القائلين بكل قول، والمنشئين لكل طائفة . . . . الى غير ذلك .

ثانياً : الأمر الآخر الذى جعلني أنقل معظم النص أنه رحمه الله تملك زمام القضية عرضاً وروعة في البيان . . . مما لم أجده عند غيره بهذا الاستقصاء والشمول ووجازة العبارة . . فأثبَّته . . . وعملت عليه دراسة مقارنة . . من كتبه الأخرى . . وكتب غيره من العلماء لتفصيل ما أجمله . . أو تبيين ما أبهمه مما في بيانه زيادة إيضاح كقصة أبي طالب مع الإمام أحمد التى أشار إليها، أو ذكر ما أهمله من الأسماء لدى بعض الطوائف، أو سياق خلاصة مسائل جدَّت خلال

---

(١) تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم" وجدير بالذكر أن لهذا الكتاب أكثر من خمسة أسماء متقاربة العناوين أشار إليها جميعاً المحقق في مقدمته١/ ٤ " والكتاب مطبوع باسم " موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول" باعتناء عبدالرحمن الوكيل .

(٢) وللشيخ الإمام رسائل جامعة مانعة ولكنها طويلة يتعذر عرضها في هذا الموضع مثال ذلك : رسالة في مسألة اللفظ في مجموع الفتاوى١٢/ ٣٣٣-٤١٦ ، وقد تعرض فيها لأساس القضية من لدن تكذيب الأمم السابقة بأنبيائهم ورسالاتهم كقوم نوح، وكفر آخرين ببعض ماجاءت به الرسل كاليهود والنصارى، وكإيمان آخرين ببعض صفات الرسالة وكفر ببعض، كالصابئة والفلاسفة الذين فرخوا في دولة الإسلام أمثال القرامطة الباطنية من الإسماعيلية والنصيرية والخُرَّمِيَّة والمزدكية، وفروخ الجهمية الذين سببوا البلايا للأمة . . . ثم يستطرد ويأتي على شبهةالجهمية في كلام الله وأقوالهم والرد عليهم وبيان الحق في فتنَتَيْ الخلق واللفظ .

الأحداث ولم يبينها « كمسألة الحرف والصوت » . . أو تعليقات . . الخ مما أظن أنه يَسُد ثغرات قليلة في هذا النص . . . وابن تيمية لم يجرد قلمه لبيان قضية اللفظ لذاتها . . . ولو كان ذلك لما ترك مكانا للتعقيب . . وقد عَنْونْتُ لبعض المواطن المهمة بعنوان يبين ما تحتها وجعلته بين قوسين إلى يسار الصفحة . . . وكذلك جعلت أمامَ كل طائفة رمزاً بالحروف الأبجدية زيادة في الايضاح .

نص كلام ابن تيميّة على اللفظ :

قال رحمه اللّه تعالى : « وكذلك مسألة اللفظ (١) فانه لما كان السلف والأئمة متفقين على أن القرآن كلام اللّه غير مخلوق وقد علم المسلمون أن القرآن بلّغه جبريل عن اللّه إلى محمد صلى اللّه عليه وسلم وبلّغه محمد إلى الخلق ، وأن الكلام إذا بلغه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبَلّغ عنه ، بل هو كلام لمن قاله مبتدئاً ، لا كلام من بلّغه عنه مؤدياً . فالنبي صلى اللّه عليه وسلم اذا قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل إمرء مانوى » (٢) وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد حتى وصل إلينا ، كان من المعلوم أنّا إذا سمعناه من المُحَدِّث به إنما سمعنا كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الذى تكلّم به بلفظه ومعناه ، وإنما سمعناه من المبَلِّغ عنه بفعله وصوته ، ونفسُ الصوت الذى تكلم به النبي صلى اللّه عليه وسلم لم نسمعه ، وإنما سمعنا صوت المحدث عنه والكلام كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، لاكلام المُحَدِّث .

---

(١) كلام ابن تيمية رحمه اللّه هنا على مسألة اللفظ . . . أحد ثلاثة أمثلة ضربها في كتابه ليدلل على أن المتكلمين المبتدعة إنما ارتكزوا في أقوالهم وأفكارهم ومناقشاتهم على « عقليات مبتدعة بنيت على أقوال مشتبهة مجملة تشتمل على حق وباطل » وهذه الأمثلة هي : (أ)الكلام على الرؤية (ب)كلمة جبر (ج)اللفظ بالقرآن . . . . . ومن عرضنا واستشهادنا لكلامه وتحليلاته القيمة في هذه المسألة يتضح لنا ماتميز به رحمه اللّه تعالى من عبقرية فذة ، وذكاء مفرط ، واطلاع واسع ، وإلمام بالعلوم والمسائل حتى إنّه ليدع المرء يتفتق ذهنه بما غاب عنه وجهله ، وينشرح صدره للعلم الذي حازه من جعبة هذا الجهبذ الذي يَحقُ لأمتنا أن تفتخر بانتسابه إليها ، وكان كلامه على هذه « العقليات المبتدعة . . . إلخ» هو الوجه السابع عشر من جوابه التفصيلي بعد الجواب الإجمالي على قانون التأويل ومناقشته للقائلين به . . . من أمثال الفخر الرازي الذي مزج المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال . . . وقد كان الفخر وأتباعه قبل توبته قد جعل هذا القانون مرشداً فيما يستدل به من كتب اللّه ، وكلام أنبيائه ، ومالايستدل به ولذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء في صفات اللّه ظناً منهم أنها تعارض العقل . . . طالع درء تعارض العقل والنقل ١/ ٤ .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدءُ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/ ٣ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله صلى الله عليه وسلم ، إنما الأعمال بالنية ٣/ ١٥١٥ .

فمن قال إن هذا الكلام ليس كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان مفترياً، وكذلك من قال : إن هذا لم يتكلم به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وإنما أحدثه في غيره، أو إن النبي صلى اللّه عليه وسلم لم يتكلم به بلفظه وحروفه، بل كان ساكتاً أو عاجزاً عن التكلم بذلك، فعلَّم غيره مافي نفسه، فنظم هذه الألفاظ ليعبر بها عما في نفس النبي صلى اللّه عليه وسلم، أو نحو هذا الكلام - فمن قال هذا كان مفترياً، ومن قال : إن هذا الصوت المسموع صوت النبي صلى الله عليه وسلم، كان مفترياً.

فإن كان هذا معقولاً في كلام المخلوق ، فكلام الخالق أولى بإثبات مايستحقه من صفات الكمال، وتنزيه اللّه أن تكون صفاته وأفعاله هي صفات العباد وأفعالهم أو مثل صفات العباد وأفعالهم.

فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل المسموع من القارئين كلام اللّه، كما قال اللّه تعالى ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ (١) ليس هو كلاماً لغيره، لالفظه ولامعناه ولكن بلغَّه عن الله جبريل، وبلغَّه محمد رسول اللّه عن جبريل، ولهذا أضافه اللّه إلى كل من الرسولين، لأنه بلغَّه وأدَّاه، لا لأنه أحدث لالفظه ولامعناه، إذ لو كان أحدهما هو الذى أحدث ذلك لم يصح إضافة الإحداث إلى الآخر، فقال تعالى ﴿ **إنه لقول رسول كريم ، وماهو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولابقول كاهن قليلاً ماتذكرو ن، تنزيل من رب العالمين** ﴾ (٢) فهذا محمد صلى اللّه

---

(١) سورة التوبة آية ٦ .

(٢) سورة الحاقة آيه ٤٠ - ٤٣ .

عليه وسلم. وقال تعالى ﴿ **إنه لقول رسول كريم، ذي قوةٍ عند ذي العرش مكين، مطاعٍ ثمّ أمين**﴾ [(١)] فهذا جبريل عليه السلام.

وقد توعد اللّه تعالى من قال ﴿ **إن هذا إلا قول البشر** ﴾ [(٢)] فمن قال إن هذا إلا قول البشر فقد كفر، وقال بقول الوحيد الذى أوعده اللّه سقر، ومن قال: « إن شيئاً منه قول البشر» فقد قال ببعض قوله، ومن قال: « إنه ليس بقول رسول كريم، وإنما هو قول شاعر أو مجنون أو مفتر » أو قال: « هو قول شيطان نزل به عليه » ونحو ذلك، فهو أيضاً كافر ملعون.

(فرقٌ بين سماعنا كلام المتكلم منه، وبين سماعنا إياه من المبلغ عنه)

وقد عَلِمَ المسلمون الفرق بين أن يسمع كلام المتكلم منه أو من المبلغ عنه، وأن موسى سمع كلام اللّه من اللّه بلاواسطه، وأنّا نحن إنما نسمع كلام اللّه من المبلِّغين عنه، وإذا كان الفرق ثابتاً بين مَنْ سمع كلام النبي صلى اللّه عليه وسلم منه وبين من سمعه من الصاحب المبلِّغ عنه، فالفرق هنا أولى، لأن أفعال المخلوق وصفاته أشبه بأفعال المخلوق وصفاته.. من أفعاله وصفاته بأفعال اللّه وصفاته. ولماّ كانت الجهميَّة يقولون: « إن اللّه لم يتكلم في الحقيقة، بل خلق كلاماً في غيره » ومن أطلق منهم أن اللّه تكلم حقيقة، فهذا مراده، فالنزاع بينهم لفظي- كان من المعلوم أن القائل اذا قال: « هذا القرآن مخلوق » كان مفهوم كلامه أن اللّه لم يتكلم بهذا القرآن، وأنه ليس هو كلامه، بل خلقه في غيره [(٣)].

(معنى كلام المسلمين أن هذا القرآن كلام اللّه)

---

(١) سورة التكوير آية ١٩ - ٢٣.

(٢) سورة المدثر آية ٢٥.

(٣) مورد ومنبع الفتنة هو نظرة الجهمية إلى كلام اللّه، وأنه لايتكلم وبنوا على هذا التأصيل الفاسد بقيَّة آرائهم وأقوالهم المهتزة التي لاتتماسك أمام النصوص الشرعية والحجج العقلية السليمة كما سيأتي في بقية كلام ابن تيمية... فانظر إلى هذا التطاول السافر على ذات اللّه وصفاته عز وجل، وماهذا إلا إحدى بلايا وبوائق المناهج المنحرفة عن كتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم.

واذا فسَّر مراده بأني أردت أن حركات العبد وصوته والمداد مخلوق، كان هذا المعنى ـ وإن كان صحيحاً ـ ليس هو مفهوم كلامه، ولامعنى قوله، فإن المسلمين إذا قالوا: « هذا القرآن كلام اللّه » لم يريدوا بذلك أن أصوات القارئين، وحركاتهم قائمة بذات اللّه، كما أنهم إذا قالوا : « هذا الحديث حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم « لم يريدوا بذلك » أن حركات المحِّدث وصوته قامت بذات رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم . بل وكذلك إذا قالوا في إنشاء لبيد: « ألا كل شيء ماخلا اللّه باطل . . . . »

هذا شعر لبيد وكلام لبيد، لم يريدوا بذلك أن صوت المنشد هو صوت لبيد، بل أرادوا أن هذا القول المؤلف. لفظه ومعناه هو للبيد، وهذا منشد له، فمن قال: « إن هذا القرآن مخلوق » أو : « إن القرآن المنزل مخلوق » أو نحو هذه العبارات كان بمنزلة من قال : إن هذا الكلام ليس هو كلام اللّه ، وبمنزلة من قال عن الحديث المسموع من المُحَدِّث: إن هذا ليس هو كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وإن النبي صلى اللّه عليه وسلم لم يتكلم بهذا الحديث، بمنزلة من قال : إن هذا الشعر ليس هو شعر لبيد، ومعلوم أن هذا كله باطل.

ثمَّ إن هؤلاء صاروا يقولون [(١)] : هذا القرآن المنزل المسموع هو تلاوة القرآن وقراءته، وتلاوة القرآن مخلوقة، وقراءة القرآن مخلوقة، ويقولون: تلاوتنا

(١) هذه هي المرحلة الثانية من اضطرابات الجهمية وأقوالهم الخطرة وتطورها. . وانظر كيف استتروا بقولهم" لفظنا بالقرآن مخلوق" وهو قول مجمل مشتبه يحتاج لتفصيل بين الملفوظ" وهو كلام اللّه المنزل " وبين لفظ العبد أي" حركته وفعله" ثم يدخلون أحد جانبي الكلمة في دائرة الخلق وهو ما جهمهم عليه الإمام أحمد رحمه الله لأنهم تدرجوا باللفظ إلى خلق القرآن لما خافوا من سطوة أهل السنة.

للقرآن مخلوقة وقراءتنا له مخلوقة، ويدخلون في ذلك نفس الكلام المسموع، ويقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق، ويدخلون في ذلك نفس الكلام المسموع.

فأنكر الإمام وغيره من أئمة السنة هذا، وقالوا: اللفظية جهمية، وقالوا: افترقت الجهمية ثلاث فِرَق: فرقة قالت: القرآن مخلوق، وفرقة قالت: نقف فلا نقول مخلوق ولاغير مخلوق، وفرقة قالت: تلاوة القرآن واللفظ بالقرآن مخلوق (١).

(بداية وأصل الاضطراب والتخلخل في صفوف أهل

السنةوذلك باطلاق ألفاظ مجملة فيها حق وباطل) (٢)

فلما انتشر ذلك عن أهل السنة غلطت طائفه فقالت: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، وتلاوتنا له غير مخلوقة، فبدَّع الإمام أحمد هؤلاء، وأمر بهجرهم.

---

(١) نقل الدكتور محمد رشاد محقق الكتاب ١/ ٢٦٠. نصاً عن الإمام أحمد من كتابه السنة «ضمن مجموعة شذرات البلاتين ص ٤٩» فحوى الكلام السابق إلا أنه كفر جميع الفرق، ومن لم يكفرهم فهو مثلهم. " قلت " يُحْمَلُ تكفير الإمام أحمد للفرقة الثالثة وهم اللفظية القائلين بخلق التلاوة واللفظ . . . على أنهم يريدون بقولهم خلق القرآن. . . لأن ابن تيمية رحمه اللّه ذكر أن الإمام أحمد في عامة كلامه عن اللفظية إنما هو يجهمهم لايكاد يطلق القول بتكفيرهم كما يطلقه بتكفير المخلوقية . . . انظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٠٦ . . . وكان تجهيم الإمام أحمد لهم لمعرفته أن هناك من يقول قولهم ولايريد مرادهم كما حدث عند طوائف من أهل السنَّة وقد صرح بذلك رحمه اللّه تعالى فيما نقله عنه الإمام الذهبي رحمه اللّه قال: " قلت: الذي استقر عليه الحال، أن أبا عبد اللّه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع، وأنه قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي. فكان رحمه اللّه لايقول هذا ولاهذا. وربما أوضح، فقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريدبه القرآن فهو جهمي. سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٨٨.

(٢) لذا كان أمام الإمام أحمد أحد أمرين: إما التفصيل البالغ. . . . وهذا يصعب فرزه وفهمه خصوصاً على العامة وأنصاف المتعلمين، وإما منع الكلام في المسألة على أي حال حفاظاً على سلامة عقيدة الناس " وهذا من فقهه " ولكن الناس إن أمسكت ألسنتهم لم تمسك قلوبهم وإن أمسكت قلوبهم لم تمسك عقولهم. . فتشابهت عليهم الأمور وتكلموا فوقع الاضطراب الشديد حتى بين العلماء.

ولهـذا ذكر الأشعرى في مقالاته هذا عن أهل السنة وأصحاب الحديث فقال: [والقول باللفظ والوقف عندهم بدعة، من قال: اللفظ بالقرآن مخلوق فهو مبتدع عندهم، ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع].

وكذلك ذكر محمد بن جرير الطبري في « صريح السنة » أنه سمع غير واحد من أصحابه يذكر عن الإمام أحمد أنه قال: [من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع].

وصنَّف أبو محمد بن قتيبة في ذلك كتاباً، وقد ذكر أبو بكر الخلاَّل هذا في كتاب «السنة» وبسط القول في ذلك، وذكر ماصنفه أبو بكر المروزي في ذلك.

وذكر قصة أبي طالب (١) المشهورة (٢) عن أحمد التي نقلها عنه أكابر أصحابه، كعبد الله وصالح ابنيه والمروزى وأبى محمد فوران ومحمد بن إسحاق الصاغانى وغير هؤلاء.

(تسلسل ظهور طوائف أهل السنة وأتباعهم)

أ - طائفة تطلق لفظاً مجملاً ومرادهم صواب

---

(١) أبو طالب تقدمت ترجمته ص ٣٠٧.

(٢) القصة ساقها ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى قال: وقال أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل في " كتاب المحنة " تناهى إليَّ أنَّ أبا طالب حكى عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فأخبرت أبي بذلك فقال: من أخبرك؟ قلت: فلان، فقال: ابعث إلى أبي طالب، فوجهت إليه فجاء، وجاء فوران، فقال له أبي: أناقلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب وجعل يرتعد، فقال له: قرأت عليك: "قل هو الله أحد" فقلتَ لي: هذا ليس بمخلوق؟ قال له: فلم حكيت عني أني قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبلغني أنك وضعت ذلك في كتابك، وكتبت به إلى قوم، فإن كان في كتابك فامحه أشد المحو، واكتب إلى القوم الذين كتبت إليهم: أني لم أقل هذا وغضب، وأقبل عليه فقال: تحكي عني مالم أقل لك؟ فجعل فوران يعتذر له وانصرف من عنده وهو مرعوب، فعاد أبو طالب، فذكر أنه حك ذلك من كتابه وأنه كتب إلى القوم يخبرهم، أنه وَهِمَ على أبي عبد الله في الحكاية. مجموع الفتاوى١٢/ ٤٢٣. وقد روى القصة "الخلال في كتاب السنة" بصيغة مقاربة... وقد نقلها أيضاً رحمه الله في ١٢/ ٤٢٥. =

وكان أهل الحديث قد افترقوا في ذلك، فصار طائفة منهم يقولون « لفظنا بالقرآن غير مخلوق » ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق، وليس مرادهم صوت العبد، كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي، ومحمد بن داود المصيصي [(١)]، وطوائف غير هؤلاء [(٢)].

(ب ـ طائفة تابعه لهؤلاء يطلقون اللفظ المجمل ولكن مرادهم خطير.)

= وتروى قصة مماثلة في نفس هذا الباب عن رجل آخر هو ابن شداد، قال الخلال في السنة: حدثنا المروذي قال لي أبو عبد الله: قد غيظ قلبي على ابن شداد قلت: أيُ شيء حكى عنك؟ قال: حكى عني في اللفظ، فبلغ ابن شداد أن أبا عبد اللّه قد أنكر عليه فجاءنا حمدون بن شداد بالرقعة فيها مسائل، فأدخلتها على أبي عبد اللّه، فنظر فرأى فيها: إن لفظي بالقرآن غير مخلوق-مع مسائل فيها-فقال أبو عبد اللّه: فيها كلام ماتكلمت به، فقام من الدهليز فأخرج المحبرة والقلم، وضرب أبو عبد اللّه على موضع: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وكتب أبو عبد اللّه بخطه بين السطرين: القرآن حيث تصرف غير مخلوق، وقال: ماسمعت أحداً تكلّم في هذا بشيء وأنكر على من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق. مجموع الفتاوى١٢/٤٢٤.

(قلت) في هاتين القصتين دلالة على اللّبس في فهم المسألة حتى من أقرب الناس للإمام أحمد، وعدم تجهيمه لهذين دليل إدراكه أن هناك من يطلق اللفظ بالفَهم الخاطيء أو يطلقه ويروم تنزيه اللّه عن خلق كلامه.

(١) محمد بن داود أبو جعفر المصيصي روى عن حجاج بن منهال وأحمد بن حنبل، وعنه أبو داود والنسائي، وآخرون. قال الآجرى عن أبي داود: كان يتقد الرجال ومارأيت رجلاً أعقل منه، وقال الخلال: كان من خواص أحمد ورؤسائهم. تهذيب التهذيب ٩/ ١٣٦.

(٢) من أهم هؤلاء الإمام محمد بن يحيى الذهلي إن صحَّت نسبة هذا القول إليه أو تلفظه به فإني لم أجد نصاً واحداً عنه يبين ذلك فيما اطلعت عليه وعلى فرض قوله ذلك فيجب حمله على مراد أبي حاتم ومحمد المصيصي السابق وهو " أن القرآن المسموع غير مخلوق، مع عدم ادخالهم صوت العبد ضمن دائرة عدم الخلق " وقد ذكر نسبة هذا القول للذهلي الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى فقال: والقول بأن " اللفظ غير مخلوق " نُسب إلى محمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي، بل وبعض الناس ينسبه إلى أبي زرعه الرازي أيضاً، ويقول: إنه هو وأبو حاتم هجرا البخاري لما هجره محمد بن يحيى الذهلي... " مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٠٧ومما يؤكد أن هؤلاء جميعاً لايدخلون صوت العبد وفعله ضمن عدم الخلق كلام أبي نصر السجزي أحد أتباعهم وأعظم القائلين بأن اللفظ بالقرآن هو القرآن وهو غير مخلوق. "١٢/ ٤٢٩" وبالمقابل نجد أنَّ القول " بأن اللفظ مخلوق " نُسبَ أيضاً إلى البخاري.... وسيأتي الكلام على ذلك قريباً.

وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك أو يقف فيه، ففهم ذلك بعض الأئمة، فصار يقول: أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة، رداً على هؤلاء، كما فعل البخاري ومحمد بن نصر المروزي وغيرهما من أهل العلم والسنّة، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة، وأهواءٌ للنفوس حصل بسبب ذلك نوعٌ من الفرقة والفتنة، وحصل بين البخارى ومحمد ابن يحيى الذهلي في ذلك ماهو معروف[1].

وصار قوم مع البخارى كمسلم بن الحجاج ونحوه، وقوم عليه كأبي زرعة وأبي حاتم الرازيين وغيرهما. وكل هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث، وهم من أصحاب أحمد، ولهذا قال ابن قتيبة: إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ [2]. وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء وليس مرادهم بالتلاوة المصدر [3] ولكن الإنسان إذا تكلم

---

(١) تفصيل ماحدث بينهما سيأتي في المبحث الرابع.

(٢) ذكر ابن تيمية مسائل أخرى غير هذه تنازع فيها المحدثون ويظهر أنها من الاختلاف في اللفظ، وهل هو مخلوق أم غير مخلوق، وتفرعت عنه وهذه المسائل هي (أ) مسألة الإيمان وهل هو مخلوق. (ب)مسألة نور الإيمان. (ج)والهدى. مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/ ٤٣١. ويقول في ذلك ابن تيمية: "وكلام الإمام أحمد في "التلاوة والإيمان والقرآن" من نمط واحد وهو منع الإطلاق لمافيه من الذريعة، مجموع الفتاوى. ١٢/ ٣٦٣.
ويقول ابن قتيبة: " وذهب قوم من متحلي السنة إلى أن الإيمان غير مخلوق خوفاً من أن يلزمهم أن يقولوا: لا إله الا اللّه " مخلوق اذ كانت رأس الإيمان فركبوها شنعاً. . . : الخ" الاختلاف في اللفظ ص ٥٤. وقد تعرض باستفاضة لمسألة خلق الإيمان الأخ الأستاذ موسم العتيبي في رسالة نال بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى قسم العقيدة وعنوانها" الإمام محمد بن نصر المروزي وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف".

(٣) المصدر هو " فعل العبد وحركته بالقرآن" وهؤلاء قولهم خطير. قال ابن القيم: " والذين قالوا التلاوة هي المتلو، فليست حركات الانسان عندهم هي التلاوة، وإنما أظهرت التلاوة وكانت سبباً لظهورها، وإلا فالتلاوة عندهم هي نفس الحروف والأصوات وهي قديمة" . . . أ. هـ، انظر مختصر الصواعق المحرقة ص ٤٣٦. ولعل هذا الفريق هو نفس الطائفة السابقة (ب)عبّروا عن رأيهم بأن التلاوة هي المتلو.

بالكلام فلابدّ له من حركة، ومما يكون عن الحركة من أقواله التي هي حروف منظومة ومعان مفهومة، والقولُ والكلام يراد به تارة المجموع فتدخل الحركة في ذلك، ويكون الكلام نوعاً من العمل وقسماً منه، ويراد به تارة مايقترن بالحركة ويكون عنها، لانفس الحركة، فيكون الكلام قسيماً للعمل، ونوعاً آخر ليس هو منه، ولهذا تنازع العلماء في لفظ العمل المطلق، هل يدخل فيه الكلام؟ على قولين معروفين لأصحاب أحمد وغيرهم، وبنوا على ذلك ما إذا حلف لايعمل اليوم عملاً، فتكلم هل يحنث «أم لا»؟ على قولين، وذلك لأن لفظ الكلام قد يدخل في العمل وقد لايدخل [(١)].

فالأول : كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: [لاحسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار، فقال رجل: لو أن لي مثل مالفلان لعملت فيه مثل مايعمل فلان] أخرجاه في الصحيحين [(٢)] فقد جعل فعل هذا الذى يتلوه آناء الليل والنهار عملاً، كما قال: « لعملت فيه مثل مايعمل فلان ».

---

(١) من الأمثلة على ذلك خلاف ماسيذكره ابن تيمية. ماذكره ابن قتيبة " . . . عن اللفظ والقراءة بالقرآن/ أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معنيين أحدهما عمل والآخر قرآن. . إلا أن العمل لايتميز عن القرآن . . . الخ كلامه " الاختلاف في اللفظ ص ٥٢ .

قلت: فمن حلف أنها قرآن فهو صادق، ومن حلف أنها عمل فهو بار.

ويقول ابن تيمية رحمه الله " ولما كان الكلام لايكون إلا بحركة وفعل تنشأ عنه حروف ومعاني صار الكلام يدخل في إسم الفعل والعمل، تارة باعتبار الحركة والفعل، ويخرج عنه تارة باعتبار الحروف والمعاني " مجموع الفتاوى ١٢/ ٤١٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب إغتباط صاحب القرآن ٦/ ١٣١ بنحوه، ورواه مسلم بلفظ مقارب في كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ١/ ٥٥٨، بترقيم وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

والثاني : كما في قوله تعالى : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ [(١)] **وقوله تعالى ﴿ وماتكون في شأن وماتتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنّا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه** ﴾ [(٢)].

جـ- (طائفة يقولون : إن التلاوة هى المتلو

ويقصدون الفصل بين كلام الله وحركة العبد)

فالذين قالوا « التلاوة هي المتلو » من أهل العلم والسنة قصدوا أن التلاوة هي « القول والكلام المقترن بالحركة » [(٣)] وهى الكلام المتلو .

د ـ (طائفة يقولون : إن التلاوة غير المتلو ، وفصلوا

أفعال العباد المخلوقة عن كلام الله غير المخلوق)

وآخرون قالوا : بل التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء ، والذين قالوا من أهل السنة والحديث بذلك أرادوا أن أفعال العباد ليست هي كلام الله ، ولا أصوات العباد هي صوت الله وهذا الذى قصده البخاري وهو مقصود صحيح .

سبب تعدد هذه الأقوال والطوائف

وسبب ذلك أن لفظ : « التلاوة ، والقراءة ، واللفظ » مجمل مشترك : يراد به المصدر ، ويراد به المفعول .

فمن قال : « اللفظ ليس هو الملفوظ ، والقول ليس هو المقول » وأراد باللفظ والقول المصدر ، كان معنى كلامه أن الحركة ليست هى الكلام المسموع ، وهذا صحيح .

ومن قال : « اللفظ هو الملفوظ ، والقول هو نفس المقول » وأراد باللفظ والقول مسمّى المصدر ، صار حقيقة مراده أن اللفظ والقول « المراد به الكلام

---

(١) سورة فاطر آيه ١٠ .

(٢) سورة يونس آيه ٦١ .

(٣) بمعنى أن التلاوة عندهم هي " كلام اللّه المسموع من العبد + حركة العبد بفيه تالياً قارئاً للقرآن .

المقول الملفوظ » هو الكلام المقول. الملفوظ، وهذا صحيح . فمن قال : « اللفظ بالقرآن، أو القراءة، أو التلاوة، مخلوقة» أو : « لفظي بالقرآن أو تلاوتي » دخل في كلامه نفس الكلام المقروء المتلو، وذلك هو كلام اللّه تعالى . وإن أراد بذلك مجرد فعله وصوته كان المعنى صحيحاً ، لكن إطلاق اللفظ يتناول هذا وغيره . ولهذا قال الامام أحمد في بعض كلامه : " من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي " [1] احترازاً عمّا إذا أراد به فعله وصوته . وذكر اللالكائي " أن بعض من كان يقول ذلك رأى في منامه كأن عليه فروة ورجل يضربه، فقال له لا تضربني، فقال : إني لا أضربك، وإنما أضرب الفروة، فقال : إن الضرب إنما يقع ألمه عليَّ، فقال : هكذا إذا قلت : " لفظي بالقرآن مخلوق " وقع الخلق على القرآن . ومن قال : "لفظي بالقرآن غير مخلوق، أو تلاوتي" دخل ذلك في المصدر الذى هو عمله، وأفعال العباد مخلوقة، ولو قال: " أردت به أن القرآن المتلو غير مخلوق، لا نفس حركاتي " قيل له : لفظك هذا بدعة، وفيه إجمال وإيهام، وإن كان مقصودك صحيحاً " كما يقال للأول إذا قال : أردت أنَّ فعلي مخلوق: « لفظك أيضاً بدعة، وفيه إجمال وإيهام، وإن كان مقصودك صحيحاً" فلهذا منع أئمة السنة الكبار إطلاق هذا وهذا، وكان هذا وسطاً بين الطرفين [2] . وكان أحمد وغيره من الأئمة يقولون : القرآن حيث تصرَّف كلام اللّه غير

---

(١) قال البيهقي رحمه اللّه بعد نقله هذه الجملة " هذا تقييد حفظه عنه ابنه عبداللّه وهو قوله " يريد به القرآن" فقد غفل عنه غيره ممن حكى في اللفظ خلاف ماحكينا حتى نسب إليه ماتبرأ منه . الأسماء والصفات ص ٢٦٦ .

(٢) قال ابن تيمية رحمه اللّه : " ولهذا يوجد كثيراً في كلام السلف والأئمة النهي عن اطلاق موارد النزاع بالنفي والإثبات، وليس ذلك لخلو النقيضين عن الحق، ولاقصور أو تقصير في بيان الحق، ولكن لأن تلك العبارة من الألفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل، ففي إثباتها حق وباطل، وفي نفيها نفي حق وباطل فيمنع من كلا الإطلاقين الخ«درء تعارض العقل والنقل ١/ ٧٦».

مـخلوق ، فيجعلون القرآن نفسه حيث تصرف غير مخلوق، من غير أن يقترن بذلك ما يشعر أن ألفاظ العباد وصفاتهم غير مخلوقة[1]. وصارت كل طائفة من النفاة والمثبتة في مسألة التلاوة تحكي قولها عن أحمد، وهم كما ذكر البخاري في كتاب « خلق الأفعال » وقال : إنّ كل واحدة من هاتين الطائفتين تذكر قولها عن أحمد، وهم لا يفقهون قوله لدقة معناه .

(توارث أتباع الطائفتين ما وجدوا مشايخهم عليه)

هـ - (بعض أتباع أبي حاتم الرازي القائلين بأن اللفظ غير مخلوق)

ثم صار ذلك التفرق موروثاً في أتباع الطائفتين [2] فصارت طائفة تقول : إن اللفظ بالقرآن غير مخلوق، موافقة لأبي حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي وأمثالهما كأبي عبد الله بن منده [3] وأهل بيته، وأبي عبدالله بن حامد [4] ، وأبي نصر السجزي [5]، وأبي إسماعيل الأنصاري

---

(١) مفهوم كلام أحمد والأئمة « أن مايقترن بالقرآن من قراءة أو تبليغ أو غيره ابتداء من جبريل وتثنية بمحمد صلى الله عليه وسلم وانتهاء بسائر التالين للقرآن» فهو مخلوق لأنه من أفعال الخلق، أما القرآن فهو كلام الله غير مخلوق في كل هذه المراحل .

(٢) انظر قول ابن القيم في استمرار الفرقة من بعد أحمد إلى زمانه ص ٣٠٨ نهاية المبحث الثاني .

(٣) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبدالله الأصبهاني . حافظ من أولاد المحدثين كتب بالشام ومصر وخراسان واختلط في آخر عمره، قال : طفت الشرق والغرب مرتين، فلم أتقرب إلى كل مذبذب، ولم أسمع من المبتدعين حديثاً واحداً، توفي سلخ ذي القعدة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني٢/ ٣٠٦. طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى ٢/ ١٦٧ .

(٤) هو الحسن بن حامد بن علي بن مروان ، أبو عبدالله البغدادي الوراق، صاحب التصانيف وعالم ماوراء النهر، كان كثير الحج، فعوتب في كثرة سفره وحجه مع كبر سنه . فقال : لعل الدرهم الزيف يخرج من الدراهم الجيدة . وقد أفاض القاضي ابن أبي يعلى في وصف تصانيفه وشروحه وقراءته عليها . وجانب من فقهه، توفي راجعاً من مكة بقرب واقصة سنة ٤٠٣هـ. طبقات الحنابلة٢/ ١٧١، تذكرة الحفاظ٣/ ١٠٧٨ .

(٥) هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي« نسبة إلى قرية وائل بسجستان» أحد الحفاظ، وشيخ الحرم، ومصنف « الإبانه الكبرى» في أن القرآن غير مخلوق، رحل في طلب العلم إلى الحجاز ، والشام والعراق وخراسان، توفي بمكة، في المحرم سنة ٤٤٤ هـ ، اللباب ٣/ ٣٥٢، السير١٧/ ٦٥٤ .

[1]، وأبي يعقوب الفرات الهروي وغيرهم [2].

و- (طائفة تقول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق
من غير دخول في مذهب ابن كُلاَّب)

وقومٌ يقولون نقيض هذا القول، من غير دخول في مذهب ابن كُلاَّب – مع اتفاق الطائفتين على أن القرآن كله كلام اللّه ، لم يُحْدث غيُره شيئاً، ولاخَلَق منه شيئاً في غيره لا حروفه ولامعانيه مثل حسينَ الكرابيسي وداود بن علي الأصبهاني [3] وأمثالهما [4].

---

(١) هو شيخ الإسلام، أبو إسماعيل عبداللّه بن محمد بن علي الأنصاري الهروي من ذرية أبي أيوب الأنصاري رضي اللّه عنه، ولد سنة ٣٩٦هـ، قال عبدالغافر : كان إماماً كاملاً في التفسير حسن السيرة في التصوف ، قائماً بنصر السنة والدين، من غير مداهنة ولامراقبة لسلطان ولاغيره، وقال ابن طاهر : سمعته يقول بهراة: « عرضت على السيف خمس مرات لايقال لي : ارجع عن مذهبك ، ولكن يقال لي : اسكت عمن خالفك، فأقول: لاأسكت» تذكرة الحفاظ، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٤٩، إيضاح المكنون ١/ ٣٣٠.

(٢) مثل« أبو العلاء الهمداني، وأبي الفرج المقدسي» مجموع الفتاوى١٢/ ٣٦١.

(٣) في ذكر قصة داود بن علي هنا لَبْسٌ وإشكال، إذ إنه من أشهر القائلين في خراسان بحدوث القرآن حتى كتب فيه الذهلي وجماعة من الأئمة إلى أحمد بن حنبل ببغداد يخبرونه بما أحدث، وامتنع عن مقابلته . والذي يظهر من استقراء النصوص أن كلام ابن تيمية هذا عن الكرابيسي والأصبهاني وأنهم يقولون بأن اللفظ مخلوق، وكلام اللّه غير محدث ولاحالٌ في شيء. . . «إنما هو على أساس مبدأ أمرهما . . . ثم طرأت على الأصبهاني فكرة حدوث القرآن . . . وهذا أمر وارد» . فإن المتتبع لاحوال الرجال يجد أن الواحد منهم قد يقضي حياته بين المذاهب والفرق . . كحال أبي الحسن الأشعري من اعتزال إلى مذهب ابن كُلاَّب إلى استقرار على مذهب السلف . . والعبره في الأعمال بخواتيمها . «راجع كلام ابن تيمية عن الكرابيسي والأصبهاني تلميذه وانهما أول من قال بخلق التلاوة»، مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٧٣.

(٤) من أمثالهما القائلين بأن اللفظ بالقرآن مخلوق. . . أبو الحسن الأشعري- وربما وقع منه ذلك في فترة الاعتزال التي دامت أربعين سنة- وأبو بكر الباقلاني، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو ذر الهروي، والقاضي عبد الوهاب المالكي " مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٦٤. وافترى بعض الناس على البخاري أنه كان يقول هذا القول وجعله من اللفظية مما أوقع بينه وبين الذهلي المنسوب هو أيضاً للقول المناقض ، والذي أُنبِّه إليه في هذا المقام في لُجة الأحداث وتضارب الأقوال - أن الرؤية الصحيحه للصواب قد عَشِيَتْ مما سبب إقحام مثل البخاري في غمرة اللفظية، ومثل الذهلي في الطرف المناقض ، وذلك إمَّا من جَاهل لايتقن فهم الأمور، أو من مغرض يتربص بالمؤمنين الدوائر، فالبخاري ينتفي من كل ذلك، والذهلي لم أجد في كلامه مايدل على مانسب إليه . ويكفي امتداح ابن تيمية لهما قال: وكان الإثبات هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم ومحمد ابن يحيى الذهلي وغيرهم من العلماء الخ ، انظر درء تعارض العقل والنقل٢/ ٩.

ز- (طائفة ممن ينتسب لأهل السنة تابعوا ابن كُلاَّب

(وتولد عن هذه طائفة «ح»)

(ح)" طائفة تقول إن اللّه لايتكلم بصوت " هذه الطائفة ظهرت بعد ظهور ابن كُلاَّب وأتباعه وقد تأثرت ببعض أقوالهم وأفكارهم فقالوا: « إن اللّه لم يتكلم بصوت» وهذه القضية أضيفت إلى البلايا التي مُنِيَتْ بها الأمَّة وواجهها سلفنا رحمهم اللّه- وفيها جدال كبير وكتب ورسائل- وحتى نَفْهَمَ مُراد هؤلاء ووجه الحق في ذلك فإني أختصر رسالة صغيرة قوامُها صفحة للإمام عبد اللّه بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين ضمن مجموعة رسائل كتبها على منهج السلف لما هداه اللّه إليه بعد تحرجه زماناً من تعسفات وتأويلات مشايخه . . . وهذا بعض رسالته«قال: وأما مسألة الحرف والصوت. . . فإن اللّه قد تكلم بالقرآن المجيد وبجميع حروفه فقال تعالى " الم " وقال " المص " وقال " ق والقرآن المجيد " وكذلك جاء في الحديث« فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ» . . . فهؤلاء مافهموا من كلام اللّه تعالى الا مافهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: إن قلنا بالحروف فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللهوات« اللهوات: جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم وتجمع على لَهَوات ولَهيَّات، ولهي. . . . الخ . لسان العرب ١٥/ ٢٦٢» وكذلك إذا قلنا بالصوت أدى ذلك إلى الحلق والحنجرة عملوا في هذا من التخبط. . . . ثم يقول. . . : والتحقيق هو أن اللّه تعالى قد تكلم قادراً والقادر لايحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات وكذلك له صوت كما يليق به يُسْمع ولايفتقر ذلك الصوت المقدس إلى الحلق والحنجرة، كلام اللّه تعالى كما يليق به، وصوته كما يليق به ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات، فإنهما في جناب الحق تعالى لايفتقران إلى ذلك ، وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الإنسان به من التعسف والتكلف بقوله هذا عن ذلك. . . . فإن قيل: فهذا الذي يقرأه القارىء هو عَيْن قراءة اللّه تعالى وعين تكلمه هو؟ قلنا لابل القارىء يؤدي كلام اللّه تعالى والكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مؤدياً مبلغاً. . . الخ كلامه، وهذه المسائل ضمن مجموعة الرسائل المنيرية١/ ١٧٥ باسم رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت.

وقال الإمام أبو بكر ابن العربي عند تفسيره لآية **﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء الايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾** الاسراء آيه ١٢ قال: « . . . . وترتيب القول هاهنا أنه ليس يستحيل أن يكون للجمادات- فضلاً عن البهائم- تسبيح بكلام، وإن لم نفقهه نحن عنها، اذ ليس من شرط قيام الكلام بالمحل عند أهل السنة- هيئة آدمية- ولاوجود بلَّة ولارطوبة، وإنما تكفي له الجوهرية أو الجسمية خلافاً للفلاسفة واخوتهم من القدرية الذين يرون الهيئة الأدمية والبلَّة والرطوبة شرطاً في الكلام. . . . ثم ذكر أن للباري تعالى نقض العادة وخرقها . وضرب أمثلة بحنين الجذع، وتسبيح الحصى، وتسليم الحجر . . . الخ أحكام القرآن لأبي بكر محمد ابن العربي، تحقيق علي البجاوي ٣/ ١٢١٥، فإذا كان هذا جائزاً في المخلوقات غير العاقلة فإنه في ذات اللّه أولى وأعظم وأحرى أن يتكلم سبحانه بدون بلَّة أو رطوبة أو جوارح ومتى شاء سبحانه كلاماً يليق بجلاله وعظيم سلطانه » .

وعن هذه طائفة « ط »

وحدث مع هذا من يقول بقول ابن كُلاَّب : إن كلام اللّه معنى واحد قائم بنفس المتكلم وهو الأمر بكل ماأمر به والنهي عن كل مانهى عنه ، والإخبار بكل ما أخبر به ، وإنه إن عُبِّر عنه بالعربية كان هو القرآن ، وإن عُبِّر عنه بالعبريَّة كان هو التوراة [1]. وجمهور الناس من أهل السنة والمعتزلة وغيرهم أنكروا ذلك ، وقالوا : إن فساد هذا معلوم بصريح العقل فإن التوراه إذا عُرِّبت لم تكن هي القرآن ، ولامعنى : ﴿ **قل هو اللّه أحد** ﴾ هو معنى ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ وكان يوافقهم على إطلاق القول بأن التلاوة غير المتلو وأنها مخلوقه ، من لايوافقهم على هذا المعنى ، بل قصده إن التلاوة هي أفعال العباد وأصواتهم .

(ط) طائفة تقول إن القرآن الذي بين أيدينا عبارة وحكاية عن كلام اللّه . . . . وتدعو الحاجة هنا إلى بيان أقوال طائفة انبثقت من هذه الطائفة الأخيرة " التي نفت الحرف والصوت " عن اللّه ، لأن صفاته قديمة لازمة لذاته ، وعلى ذلك فكلامه قديم لازم له في ذاته ولا يتكلم بمشيئته وإرادته فاضطروا لقول « إن القرآن الذي تكلم اللّه به كلامٌ نفسيٌ هو قديم وأما الذي بين أيدينا فهو عبارة وحكاية لذلك . . . . الخ » وقد اشتد انكار العلماء على هؤلاء - وقد عقد ابن القيم لهذه المسألة فصلاً في مختصر الصواعق ص٤٤٣ - ٤٥٠ . وذكر الإسفراييني إنكار أحمد لهذا " لوامع الأنوار البهية " ١/ ١٣٩ ، وقد سئل ابن تيمية عن حروف القرآن وهلَ هي مخلوقة فكتب فيها فتوى مختصرة في مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٧١ ، وممن أنكر ذلك الإمام محمد بن يحيى الذهلي مع ثلة من علماء السلف . انظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٢١ .

(١) من هؤلاء أبو العباس القلانسي [وهو أحمد بن عبد الرحمن بن خالد من معاصري أبي الحسن الأشعري ، واعتقاده موافق لاعتقاده في الإثبات ، انظر تبيين كذب المفترى لأبي علي بن الحسن ابن عساكر ص ٣٩٨] وأبو الحسن الأشعري - ولعل هذه مرحلته الثانية بعد تركه الإعتزال - والحارث المحاسبي ، راجع درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٦ لابن تيمية - وللوقوف على آراء وأقوال الكلابيةراجع على سبيل المثال مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٦٦ - ٣٧٦ . وابن كلاب هو [أبو محمد عبد اللّه بن سعيد بن كلاب القطان البصري - قال الذهبي : كان أقرب المتكلمين لأهل السنة ، كان يقول بأن القران قائمٌ بالذات بلا قدرة ولامشيئة ، وهذا ما سُبِقَ إليه أبداً ، قاله في معارضة من يقول بخلق القرآن] . سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٤ . وقال ابن تيمية . . . " وابن كلاب هذا كان قد نبغ في أواخر عصر الإمام أحمد وهو من متكلمة الصفاتية وطريقته يميل فيها الى مذهب أهل الحديث والسنة ، ولكن فيها نوع من البدعة ، لكونه أثبت قيام الصفات بذات اللّه ولم يثبت قيام الأمور الإختيارية بذاته . وقد أنكر الإمام أحمد والأئمة هذا المذهب الذي أحدثه ابن كلاَّب ويحذرون من أصحابه . . الخ " مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٦٦ . وانظر مختصر الصواعق المحرقة ص٤٥٠ فصل مهم .

(*) وصار أقوام يطلقون القول بأن التلاوة غير المتلو، وأن اللفظ بالقرآن مخلوق فمنهم من يعرف أنه موافق لابن كُلاَّب، ومنهم من يعرف مخالفته له، ومنهم من لايعرف منه لاهذا ولاهذا، وصار أبو الحسن الأشعري ونحوه ـ ممن يوافق ابن كُلاَّب على قوله - موافقاً للإمام أحمد وغيره من أئمة السنة في المنع من إطلاق هذا وهذا، فيمنعون أن يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، وهؤلاء منعوه من جهة كونه يقال في القرآن: - إنه يلفظ أو لايلفظ وقالوا: اللفظ: الطرح والرمي ومثل هذا لايقال في القرآن . . . . . ووافق هؤلاء على التعليل بهذا طائفة ممن لايقول بقول ابن كُلاَّب في الكلام كالقاضي أبي يعلي وأمثاله. ووقع بين أبي نعيم الأصبهاني وأبي عبدالله بن مندة في ذلك ماهو معروف (1) وصنّف أبو نعيم في ذلك كتابه (الرَّد على اللفظية والحلولية) ومال فيه إلى جانب النفاة بأن التلاوة مخلوقة، كما مال ابن مندة إلى جانب من يقول إنها غير مخلوقة، وحكى كل منهما عن الأئمة مايدل على كثير من مقصوده، لاعلى جميعه، فماقصده كل منهما من الحق وجد فيه من المنقول الثابت عن الأئمة مايوافقه. وكذلك وقع بين أبي ذر الهروي (2) وأبي نصر السجزي، حتى

(*) من هنا الى قوله . . «في غير هذا الموضع» أذكره من باب إتمام الفائدة . . وليس هو من صلب مرادنا من كلامه رحمه الله، ويبقى من النص الكامل قدرٌ لا بأس به وسأذكر خلاصة أهم ما فيه في سطور.

(1) كان أبو عبد الله بن منده من الحنابلة القائلين بأن اللفظ بالقرآن غير مخلوق، وكان أبو نعيم الأصبهاني من الأشعرية القائلين بأن اللفظ مخلوق . . ووقع بينهما في هذه المسألة . . وقد زادت سطوة الحنابلة على أبي نعيم غفر الله للجميع . . انظر بعض ذلك في ترجمة أبي نعيم الأصبهاني / سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣ .

(2) هو عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري المالكي، أصله من هراة وتَمذهب بمذهب مالك، قال عبد الغافر الفارسي «كان أبو ذر زاهداً، ورعاً، عالماً سخياً، مشاراً إليه في التصوف» أخذ من أبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك من متكلمي أهل السنة ، ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/ ٦٩٦، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للشيخ أحمد المقري، تحقيق د. إحسان عباس، ٢/ ٢٧٥، الديباج المذهب لابن فرحون (٢/ ١٣٢).

صنف أبو نصر السجزي كتابه الكبير في ذلك المعروف بالإبانة ، وذكر فيه من الفوائد والآثار والانتصار للسنة وأهلها أموراً عظيمة المنفعة، لكنه نصر فيه قول من يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وأنكر على ابن قتيبة وغيره ماذكروه من التفصيل، ورجح طريقة من هجر البخاري، وزعم أن أحمد بن حنبل كان يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق ، وأنه رجع إلى ذلك.

وأنكر مانقله الناس عن أحمد من إنكاره على الطائفتين، وهي مسألة أبي طالب المشهورة. وليس الأمر كما ذكره، فإن الإنكار على الطائفتين مستفيض عن أحمدعند أخص الناس به من أهل بيته وأصحابه الذين اعتنوا بجمع كلام الإمام أحمد كالمروزي والخلاّل وأبي بكر بن عبد العزيز وأبي عبداللّه بن بطّة وأمثالهم، وقد ذكروا من ذلك مايعلم كل عارف له أنه من أثبت الأمور عن أحمد.

وهؤلاء العراقيون أعلم بأقوال أحمد من المنتسبين إلى السنة والحديث من أهل خراسان، الذين كان ابن مندة وأبو نصر إسماعيل الهروي وأمثالهم يسلكون حذوهم. ولهذا صنّف عبداللّه بن عطاء الإبراهيمي كتاباً فيمن أخذ عن أحمد العلم، فذكر طائفة منهم أبو بكر الخلال، وظن أنه أبو محمد الخلال شيخ القاضي أبي يعلي وأبي بكر الخطيب، فاشتبه عليه هذا بهذا.

وهذا كما أن العراقيين المنتسبين إلى أهل الاثبات من أتباع ابن كُلاَّب كأبي العباس القلانسي، وأبي الحسن الأشعري، وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري، والقاضي أبي بكر ابن الباقلاني، وأمثالهم، أقرب إلى السنة وأتبع لأحمد بن حنبل وأمثاله من أهل خراسان المائلين إلى طريقة ابن كُلاَّب، ولهذا كان القاضي أبو بكر ابن الطيب يكتب أجوبته أحياناً: محمد ابن الطيب الحنبلي، كما كان يقول الأشعري، إذ كان الأشعري وأصحابه منتسبين إلى أحمد بن حنبل وأمثاله من أئمة السنة. وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد بن حنبل وأهل

السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة، كابن عقيل[1] وصدقة بن الحسين [2]وابن الجوزي وأمثالهم.

وكان أبو ذر الهروي قد أخذ طريقة ابن الباقلاني وأدخلها إلى الحرم، ويقال إنه أول من أدخلها إلى الحرم، وعنه أخذ من أخذه من أهل المغرب فإنهم كانوا يسمعون عليه البخاري ويأخذون ذلك عنه، كما أخذه أبو الوليد الباجي ثم رحل الباجي إلى العراق فأخذ طريقة الباقلاني عن أبي جعفر السمناني الحنفي قاضي الموصل، صاحب ابن الباقلاني، ونحن قد بسطنا الكلام في هذه المسائل وبيَّنا ماحل فيها من النزاع والاضطراب في غير هذا الموضع. أ. هـ.

أكتفى بهذا القدر من كلام الإمام ابن تيمية وأشير فيما يلى إلي باقي نَصه ليكمل الانتفاع بكلامه.

بيَّن رحمه اللَّه أن مسألة اللفظ من الأمور المبتدعة المجملة المشتبهة، لما فيها من حق وباطل، واشتباه وفتنة، وبخلاف الألفاظ المأثورة التي بينت معانيها، فإنه تحصل بها الألفة كما قال مالك: «إذا قل العلم ظهر الجفاء، واذا قلت الأثار كثرت الأهواء».

---

(١) هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، شيخ الحنابلة في عصره، كان إماماً مبرزاً، كبير العلوم، خارق الذكاء، مكباً على الإشتغال والتصنيف، قال ابن حجر: «له كتاب الفنون في أزيد من أربعمائة مجلد إلا أنه خالف السلف، ووافق المعتزلة في عدة بدع ... وهذا الرجل من كبار الأئمة، نعم كان معتزلياً ثم أشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك وصحت توبته ثم صنف في الرد عليهم. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٣، مرآة الجنان وعبرة اليقظان٣/ ٢٠٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٢١٩، لسان الميزان ٤/ ٢٤٣.

(٢) هو صدقة بن الحسين بن بختيار بن الحداد البغدادي الفقيه الأديب، الشاعر المتكلم أبو الفرج ولد سنة ٤٧٧هـ. قرأ علم الجدل والكلام، والمنطق والفلسفة، قال ابن القطيعي: كان بينه وبين ابن الجوزي مباينة شديدة، وكل واحد يقول في صاحبه مقالة، اللَّه أعلم بها. الذيل على طبقات الحنابلة، للإمام عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ١/ ٣٣٩.

ثم بين رحمه اللّه أن دين المسلمين مبني على اتباع كتاب اللّه وسنة رسوله وماااتفقت عليه الأمة، فهذه أصول ثلاثة معصومة، وماتنازعت فيه الأمة يرد إلى اللّه والرسول، ولايجوز بحال أن ينصب أي شخص يدعو إلى طريقته ويوالي عليها ويعادي. كما يفعل ذلك المبتدعة في أقوالهم المجملة التي اتخذوها ديناً.

ثم ذكر العظائم الأربع التي ارتكبتها الجهمية: -

(أ) ردهم لنصوص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(ب) ردهم مايوافق ذلك من معقول العقلاء.

(ج) جعل ماخالف ذلك من أقوالهم المجملة أو الباطلة هي أصول الدين.

(د) تكفيرهم، أو تفسيقهم، أو تخطئتهم لمن خالف الأقوال المبتدعة المخالفه لصحيح المنقول وصريح المعقول. وأخيراً بيّن منهج أهل السنة والجماعة وأنهم على نقيض حال المبتدعة، فاعتمادهم ومرجعهم إلى كتاب اللّه وكلام رسوله وإليهما ترد موارد النزاع، ومن اجتهد فاخطأ وكان قصده متابعة سبيل المؤمنين غفر له خطأه. (١)

(١) انظر هذا المختصر في الجزء الأول من درء تعارض العقل والنقل من ص٢١٧ الى ٢٧٩ .

المبحث الرابع

عرض تفصيلي لما حصل بين الإمامين الذهلي والبخاري

المطلب الأول

مبررات الحديث عن هذا الموضوع

الحديث عن الوحشة والخلاف بين الإمامين الجليلين والعالمين البحرين، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري والإمام محمد بن يحيى الذهلي، ليس من السهولة واليسر بمكان، وذلك لأمور:

أولاً: أنّ الحديث عنهما حديث عن علمين كبيرين من أعلام أمتنا المجيدة، وإنّ أقل خطأ في عرض أو توجيه ماحصل بينهما في غير محله لهو ظلمٌ لهما، وهلكة للمتحدث .....

ثانياً: أن النصوص في تلك القضيّة ليست من الكثرة والتنوع بالقدر الذي يسمحُ بإعطاء صورة متكاملة للأحداث ... وبعض تلك الأخبار فيها مقال.

ثالثاً: أن كلا الإمامين يدافعان عن السنة ويقمعان البدعة، كما يتجلّى من تراجمهما وأقوالهما ... وهما كذلك .. فياليت شعري مالذي أدّى لهذه الحادثة المنغصة.. والنهاية المؤلمة بينهما!!؟ وهما يسيران في درب واحد.

ومن نظر في التاريخ الإسلامي يجد أن هذه الحادثة ماهي إلا حلقة من سلسلة حلقات من الاختلاف والتّضاد قبلهما وبعدهما، والأغلب على هذه الأحداث أن تكون بين صاحب سنة واتباع.. وصاحب مذهب وابتداع، وأما هذه القضية التي بين أيدينا فهي بين صاحبي سنة واتباع وهذا مما يزيد الموقف حَرَجاً ويتطلب المزيد من الحذر والحيطة.

لهذه الأسباب وغيرها تهيَّبت الكتابة في الموضوع . . . ولكني أجد نفسي مضطراً لذلك وهذا لأمور أيضاً.

(أ) أن هذه الرسالة الحديثية عن الإمام المحدث الذهلي، وفي ثنايا ترجمته هو والبخاري في أي كتاب تبرز أمامنا هذه القضية فكان من الضروري اللازم عرضها ومعرفة أسبابها ووجه الحق فيها.

(ب) من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع قراءتي هذه الحادثة، ممّا آلمني كثيراً ماحصل بينهما، فبحثت عن جهود ومكانة الذهلي، فوجدته علماً سلفياً بارزاً فشُغفْتُ بمتابعة السير ومعرفة مجريات وأسباب هذه الوحشة، رغم البعد الزماني والمكاني الذي يفصل بيننا وبين هذين الإمامين، مع الإدراك مسبقاً لطبيعة البشر، ومواقفهم، وتنوعهم، وكثرة أقاويلهم حينما تكون هناك قضية تعصف رياحها بأهل العلم والدعوة فإنه عادة ماتصل نتائج هذه العاصفة إلى الأجيال الخالفة إلا - وهذا هو الغالب الأعم - وقد أضيف إليها وزيد عليها من أقوال وزيادات المتقولين على اللّه ورسوله وعلى أهل الفضل والعلم بغير علم ولادليل.

(ج) حتى تكون هذه المحاولة المتواضعة، نواة لدراسات في مثل هذه القضايا . . . وبداية سلسلة لتحقيق ودراسة كلِّ حدَث وخلاف بين عالمين أو جماعتين من سلفنا الصالح على مدى التاريخ، وأن تكون بمنظار الحق والدفاع عن الدِّين، لئلاَّ تستغل هذه الأحداث لصالح المستغربين والمبتدعة المتصيِّدين لكل مثلبة . . . فيشوهوا تاريخ أمتنا ورجالاتها، وإن كان أولئك أمة قد خلت لها ماكسبت ولنا ماكسب. إلا أنَّ ذلك لايجعلنا نقف مكتوفي الأيدي أمام

ماحدث بينهم . . . لأن بعض تلك الخلافات القديمة ما زالت نارها مستعرة إلى وقتنا هذا (*).

لذا أجده لزاماً أن ننقح تاريخ أمتنا، وماحصل بين علمائنا ، وتوجيهه لئلا يستغل لأهداف ورؤىً مشبوهة.

---

*) وعلى سبيل المثال :- (١) ماحدث عندما ترجم الحافظ الخطيب البغدادي للإمام أبي حنيفة في تاريخ بغداد، من ردود فعل استمرت إلى عصرنا الحاضر، متمثلة في الكوثري## ومن معه مهاجماً لأهل السنة بحجة الدفاع عن أبي حنيفة . . . وقد سبق في ٣٠١-٣٠٣ ذكر نماذج من تصعيد الخلاف بين السلف مما لايليق بأمثالهم.

(٢) مانراه ومانسمعه من مروّجي أن القرآن بشري أي موضوع ومؤلف* قام بتأليفه محمد صلى الله عليه وسلم . . . أو مانسمعه من خروج كتب مؤلفة تضاهي كتاب الله عز وجل . . كالدساتير المحكمَّة في الشعوب، ممّا يجعلها تحتل مكانة كتاب الله وسنة رسوله في التحاكم إليهما في كل شئون الحياة . . . وماهذه المرئيات إلا جهمية حديثة وباطنية خبيثة . . . تسللت بأثواب وشعارات جديدة لتنحية كتاب الله عز وجل والتشكيك في نسبته إلى الله ومن ثّم في أحقيته أن يحكم الناس.

إن الاستشراق وأتباعه والتبشير وأذنابه دعاة المذاهب الهدامة المعاصرة * وغيرها . . . ماهم إلا رؤوس برزت لتعيد ماتناساه الناس أو نسوه من أفاعيل الجهمية والمعتزلة والمرجئة والقدرية والفرق الضالة في عصورنا المتقدمه . . . وأولئك ماهم إلا أفراخ اليهود والنصارى والمتفلسفة وسواهم.

اقرأ " التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل " للعلامه عبدالرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني رحمه الله تعالى وهو كتاب فريد في بابه كثير المنافع رائع العرض والرد.

* طالع على سبيل المثال " رؤية إسلامية للاستشراق " للدكتور أحمد عبدالحميد غراب ص ٣١- ٣٦ تحت مبحث " موقفهم من القرآن الكريم و" انظر " الحركة الفكرية ضد الإسلام " للدكتور بركات عبد الفتاح دويدار مبحث " الغزو الفكري حديثاً " ، " المستشرقون مع تلاميذهم " ص ٧٨ وفصل " طعنهم في القرآن " ص ٢٠٠ .

(*) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ندوة الشباب الإسلامي . وطالع مذاهب فكرية معاصرة . للمفكر محمد قطب .

المطلب الثاني
(عرض الأحداث)
وبين يديها أنبه على مايلي

التنبيه الأول

إن فتنة خلق القرآن مثلت صراعًا قويًا بين الفكر الاسلامي، والفكر الفلسفي[1] ومثلت تهديداً صريحا لأصل من أصول الدين الإسلامي (ووهو القرآن الكريم). ومما يدل على جدية هذا الصراع، تطاير رؤوس العلماء وإجابة الكثير منهم كرهاً أو خوفاً من التعذيب أو القتل، وَوَرَّوْا في إجاباتهم، إلا إمام أهل السنة والجماعة - الإمام أحمد بن حنبل - الذي صرح من بداية المحنة بالقول الحق، ولاقى في ذلك مالاقاه من الشدائد والكرب بعدما انفض عنه الأصحاب[2] وبقي وحده شاهداً للّه في الأرض على أمانة الدين أمام جحافل

---

(١) معلوم أن الفكر الإسلامي نبع من مصادر سماوية(القرآن والسنة)، لذا فهو قوي الدعائم، عميق التأثير، تقبله كل النفوس العطشى للحق على مدار التاريخ، ولذا رأينا أجيالاً تنعمت بهذا الفكر بدءاً من الصحابة وتابعيهم ومن بعدهم، وكان هذا الفكر المرتكز على وحي السماء إسلامياً بحتاً، لم تلوثه عقليات البشر، ولذلك ملأحياة تلك الأجيال المباركة بالسعادة والهناء والطمأنينة قلباً وروحاً وعقلاً، وأوجد لكل التساؤلات عن الغيب والشهادة إجاباتها الصريحة (انظر تفصيل ذلك في، التفكير الفلسفي الإسلامي، د٠ سليمان دنيا من ص ٣٠٤ - ٣٢٣).
وظل يزاول نشاطه لما حمله ودافع عنه أتباعه، ومع مرور الزمن واختلاط ثقافة المسلمين بثقافات البلاد المفتوحه، لعبت أياد وعقليات دورها، فأفسدت وماأصلحت، واجتالت أقواماً عن منهج الحق، إلى علوم اليونان وفلسفتهم، وأثيرت مسائلهم، وحكمت في معظم مباحث الدين الإسلامي الحنيف، وبالأخص مسائل أصول الدين، وقد اضطلع المعتزلة بمهمة التأليف بين الفلسفة ومسائل العقيدة، وطبعي أن تفشل هذه المهمة وإن كانت قد تركت آثارا سيئة على العلم والمجتمع. التفكير الفلسفي الإسلامي ٣٢٤, ٣٢٦, ٣٢٧, ٣٣٤, ٣٣٥ .

(٢) انظر تفاصيل المحنة، والعلماء الذين أجابوا فيها، والثلاثة الذين ثبتوا مع أحمد ثم رجع منهم اثنان وأجابا مكرهين، وثبت مع أحمد الشاب الصغير محمد بن نوح والذي مات في الطريق إلى المأمون. مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٣١٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٣٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٧٢.

الضلال والزندقة والتأويل. وكان لثباته أعلى اللّه في الجنان مقامه على الحق من بداية المحنة - ٢١٨هـ - على يد المأمون، إلى نهايتها - ٢٣٤ - على يد المتوكل، أثر بالغ في الأمة.... من حكامها إلى علمائها إلى عامتها.....، فقد علمهم أن الحق يعلو ولو قام به واحد والباطل يندحر ولو دندن به ألوف، وتحقق كلام الأعرابي الذي وعظ الإمام موعظة وجيزة بقي صداها في نفسه ومسمعه حاثاً على الثبات والصبر.

قال الإمام أحمد: « ماسمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر الذي وقعت فيه أقوى من كلمة الأعرابي كلمني بها في رحبة طوق. قال لي: « ياأحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً وإن عشت عشت حميداً » قال: فقوى قلبي[1].

وعاش أحمد حميداً ذكره في العالمين، وانتسب إليه الألوف حتى من المخالفين، وأصبح إماماً قامت بعده المدرسة الحنبلية المتميزة بعقيدتها السليمة، ومنهجها السني الواضح إلى زماننا هذا...

لذا فقد مُكِّنَ الحنابلة بعد إمامهم، وأصبحت لهم سطوة على أهل البدع.

روى ابن الجوزي بسنده إلى أبي الفضل قال: « بلغني أنه ذكر عند المتوكل بعد موت أحمد، أن أصحاب أحمد يكون بينهم وبين أهل البدع الشر فقال المتوكل لصاحب الخبر: - لا ترفع إليّ من أخبارهم شيئاً، وشد على أيديهم فانهم وصاحبهم من سادة أمة محمد. وقد عرف اللّه لأحمد صبره وبلاءه ورفع علمه أيام حياته وبعد موته. أصحابه أجل الأصحاب، وأنا أظن أن اللّه تعالى يعطي أحمد ثواب الصديقين »[2]. وعلى هذا فقد حملوا بعده لواء العقيدة، وتشددوا برويَّة وبدون رويّة في قضية خلق القرآن، وربيبتها مسألة اللفظ بالقرآن، وقد مر بنا افتراقهم إلى طوائف في فهم مراد ومواقف وأقوال الإمام رحمه اللّه

(١) مناقب أحمد، لابن الجوزي ص ٣١٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٣.

تعالى، وأصبح من خالف مااستقر عندهم من مذهبه عرضةً للمساءلة والإيذاء[1].

وتحسن الإشارة في هذا الموضوع إلى أن « حنابلة نيسابور ومنهم الذهلي » وقفوا عند نصوص أحمد، وتابعوه بصلابة، بينما كان لدى « حنابلة بغداد ومنهم البخاري » مرونةٌ كان من نتيجتها تحليل وفهم نصوص الإمام كما أراد، وذلك بسبب مخالطته والقرب منه، وكل يريد السداد والمتابعة.[2]

وهذا الموضع يسوقنا للتنبيه الثاني وهو الذي سبَّبَ الخلاف.

---

(١) وهذا تصوير ابن قتيبة لحالهم هذه، فهو أحد من عايش المحنتين، قال في الاختلاف في اللفظ ص٥١: «وقد ابتلي بالفريقين المستبصر المسترشد، وبإعناتهم ومحنتهم وإغلاظهم لمن خالفهم وإكفاره وإكفار من شك في كفره، فانه ربما ورد الشيخ المصرَ فقعد للحديث وهو من الأدب غُفْل ومن التمييز ليس له من معاني العلم إلا تقادم سنه، وأنه قد سمع ابن عيينة، وأبا معاوية، ويزيد ابن هارون وأشباههم، فيبدأونه قبل الكتاب بالمحنة. فالويل له إن تلعثم أو تمكث أو سعل أو تنحنح قبل أن يعطهم مايريدون!! فيحمله الخوف من قدحهم فيه وإسقاطهم له على أن يعطيهم الرضا، فيتكلم بغير علم، ويقول بغير فهم، فيتباعد من اللّه في المجلس الذي أمَّل أن يتقرب فيه منه! وإن كان يعقد على مخالفتهم سام نفسه إظهار مايحبون ليكتبوا عنه. وإن رأوا حدثاً مسترشداً أو كهلاً متعلماًسألوه فإن قال لهم: أنا أطلب حقيقة هذا الأمر وأسأل عنه ولم يصح لي شيء بعد وإنما صدقهم عن نفسه واعتذر بعذر اللّه يعلم صدقه، وهم يعلمون أنه لم يكلفه إذا لم يعلم إلا أن يسأل ويبحث ليعلم كذبوه وقالوا" خبيث فاهجروه ولاتقاعدوه"

(٢) انظر في تقرير هذا الأمر كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٠٨.

التنبيه الثاني :

أن بعض طلبة العلم لم يفهموا كلام البخاري « أن أفعال العباد مخلوقة ، وألفاظهم من أفعالهم » فافتروا عليه بأنه قال : « لفظي بالقرآن مخلوق »[1] الأمر الذى أوقع الذهلي في خلاف معه . وقد نسب إليه هو الاخر قول « لفظي بالقرآن غير مخلوق »[2]. وهذه الإطلاقات المنسوبة إليهما لاتؤخذ على عواهنها . . . . . فالخلاف في حقيقته لفظي كما هو مبين أدناه ، وقد مهدت بهذا التمهيد لأنبه على الفرق بين قول كل من البخاري (المنسوب ظلماً وجهلاً إلى اللفظة النافية (و الذهلي) المنسوب ظاهراً إلى اللفظية المثبتة) وبين قول بعض من انتسب إلى هاتين الفرقتين قبلهما وبعدهما ممن غلظوا المذهبين ، وزادوا عليهما شروراً كثيرة ، وخرجوا بها إلى معان غريبة وخطيرة سبق وأن أشرنا إليها في المبحث السابق[3] .

---

(١) هذه الجملة نفاها البخاري عن نفسه مراراً وتكراراً لاشتمالها على حق وباطل ، وإن كان قد لَوح للحق الذي فيها ولم يصرح خوفاً من الخوض في الكلام . انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية١٢/ ٢٠٧ ، ١٢/ ٣٦٤ للوقوف على قول المفترين على البخاري .

(٢) وهذه الجملة نسبت للذهلي وجماعة من المحدثين كأبي زرعة وأبي حاتم الرازيين ، والمصيصي وغيرهم . قال ابن تيمية : " والقول بأن اللفظ بالقرآن غير مخلوق " نسب إلى محمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي ، بل وبعض الناس ينسبه إلى أبي زرعة أيضاً ، ويقول : أنه هو وأبو حاتم هجرا البخاري لما هجره محمد بن يحيى الذهلي " مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٠٧ ، ومع إطلاقهم هذا القول المجمل المشتبة إلا أن مرادهم صحيح وصواب موافق لما أورده الإمام أحمد ، قال ابن تيمية« ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق ، وليس مرادهم صوت العبد» انظر درء تعارض العقل والنقل١/ ٢٦٢ ، وعلى هذا فمراد الذهلي ومن معه حق ولكنهم تهيبوا القول بخلق اللفظ ، فأطلقوا عدم الخلقية عليه مع اعترافهم بأن فعل العبد مخلوق » .

أخلص من كل ماسبق ، مع ماورد في المسألة من اختلاف وتشعب وجهات النظر أن مرادهم جميعاً في أساسه صحيح موافق للسنَّة . ولكن اطلاقات بعضهم وتلويحات بعضهم الآخر مع الحذر الشديد أن يصدر من كل منهما مايخالف السنة ، «التي قررها إمامهم الإمام أحمد» أدى إلى نشوب سوء الفهم .

(٣) وانظر تفصيل هذه المعاني للطائفتين أيضاً في مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٩٢ بالنسبه للفظية النافية ، و١٢/ ٣٩٤ للفظية المثبتة .

وقد خالط الفرقتين ممن انتسب إلى أهل السنة وتأثر أو درس علم الكلام الذي اتفق البخاري والذهلي على ذمه والتحذير منه. ولعل ماتقدم من التنبيهات يؤذن بالحديث عن تلك الأحداث وعرضها والتي أسلسلها على النحو التالي :

(أ) قدوم البخاري إلى نيسابور وماحدث له فيها.

قال أبو سعيد حاتم بن أحمد الكندي : سمعت مسلم بن الحجاج يقول : لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور مارأيت والياً ولا عالماً فعل به أهل نيسابور مافعلوا به، استقبلوه مرحلتين أوثلاثة، فقال محمد بن يحيى في مجلسه : من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غداً فليستقبله، فاستقبله محمد بن يحيى، وعامة العلماء، فنزل دار البخاريين، فقال لنا محمد بن يحيى : لاتسألوه عن شيء من الكلام، فانه إن أجاب بخلاف مانحن فيه، وقع بيننا وبينه، ثم شمت بنا كل حروري، وكل رافضي، وكل جهمي، وكل مرجيء بخراسان(١) قال : فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل، حتى امتلأ السطح والدار فلما كان اليوم الثاني أو الثالث قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن فقال : (أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا)، فوقع بينهم اختلاف، فقال بعض الناس قال : لفظي بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم : لم يقل حتى تواثبوا، فاجتمع أهل الدار فأخرجوهم(٢).

وقال أبو حامد الأعشى : رأيت محمد بن اسماعيل في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث

---

(١) في هذا الاستقبال والنهي عن السؤال إشارة إلى براءة ساحة الذهلي من تعمده امتحان البخاري باللفظ كما في رواية أبي أحمد بن عدي الآتية : وهي رواية منقطعة و مبهمة، وحرصه على حفظ ماء الوجه بين أهل الفرق المنحرفة، ويبدو من كلامه أن للبخاري قولاً مغايراً لما ذهب إليه وقد كانت تصل اليه الرسائل من بغداد بأخبار البخاري، وهنا لم يجزم بصيغة معينة لمذهب البخاري حتى بعد حين، وصلت إليه الأنباء وحصل اللبس.

(٢) سير أعلام النبلاء١٢/٤٥٨، وتاريخ الإسلام حوادث " ٢٥١-٢٦٠ " هـ ص ٢٦٩.

ويمر فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم، فما أتى على هذا شهر حتى قال محمد ابن يحيى : ألا من يختلف إلى مجلسه فلا يختلف إلينا، فإنهم كتبوا من بغداد أنه تكلم في اللفظ، ونهيناه فلم ينته، فلا تقربوه ، ومن يقربه فلا يقربنا، فأقام محمد بن إسماعيل هاهنا مده ثم خرج إلى بخارى(١).

ويمكن تحديد بداية الاختلاف بمعرفة سنة وفاة سعيد بن مروان فقد ذكر الكلاباذى عن البخاري نفسه قوله أنها بنيسابور يوم الإثنين النصف من شعبان سنة ٢٥٣هـ وصلى عليه محمد بن يحيى الذهلي (٢).

وساق الذهبي بسنده إلى محمد بن مسلم خشنام قال : سئل محمد بن إسماعيل بنيسابور عن اللفظ، فقال : حدثني عبيد الله بن سعيد- يعني أبا قدامة - عن يحيى بن سعيد هو القطان، قال : أعمال العباد كلها مخلوقة، فمرقوا عليه، وقالوا له بعد ذلك : ترجع عن هذا القول، حتى نعود إليك؟ قال : لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجة فيما تقولون أقوى من حجتي وأعجبني من محمد بن إسماعيل ثباته(٣).

---

(١) السير ١٢/ ٤٤٥، تاريخ بغداد٢/ ٣١، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي٢/ ٢٢٩.

(٢) رجال صحيح البخاري المسمى "الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في صحيحه، للإمام أبي نصر أحمد بن محمد البخاري الكلاباذي، تحقيق عبد الله الليثي. ٢/ ٨٧٢.

(٣) السير١٢/ ٤٥٤، تاريخ بغداد٢/ ٣٠ وهذه الرواية تفيدنا أن الذهلي ليس له ذكر ولاأمرٌ بسؤال البخاري. ممايدل على أن عامة طلبة العلم وحتى العوام لديهم رد فعل لقضية خلق القرآن، وماتفرع منها كهذه المسألة. . . وإن كان الحق الأبلج لم يتضح لهم تماماً. . . . وقد كانت خراسان من المجتمعات الإسلامية التي تظلها السنة النبوية وأهلها ينافحون عنها بشدة قال الإمام الذهبي رحمه الله :-«وكانت السنةقائمة الدولة بالأندلس وخراسان، وقَلَّ أمرها وضعف بمصر والشام والمغرب والعراق، وماذاك الا لظهور دولة الشيعة العبيدية فلله الأمر جميعاً» رسالة :-" ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل" ص١٩٦ ضمن مجموعة رسائل حققها أبو غدة جمعها باسم" اربع مسائل في علوم الحديث". . ولايستبعد بحال من الأحوال أن يكون كثير من طلبة العلم بنيسابور التي تعتبر المنافس الأول لبغداد في العلم والعلماء- قد علموا حال البخاري قبل أن يصلهم، والحماس في طلبة العلم أمر معلوم، لذا نراهم مرقوا عليه لما أجاب بخلاف مااستقر عندهم في المسألة- بصرف النظر عن دقة مذهب البخاري- لأن الناس بعد المحنتين =

ومما تنبغي الإشارة إليه في هذا المقام أن الروايات التي وجدتها في أخبار الإمامين واختلافهما في هذه القضية ليست من الكثرة والقوة بمكان، بحيث يمكن للباحث في حال توفر الروايات لديه أن يحيط بالقضية من جميع جوانبها بحثاً وتحليلاً يُمكِّنه من الإحاطة بجميع متعلقاتها. أمّا وأن الحال على غير هذا، وأن الذي يوجد بين أيدينا وهو ما استطعنا الوصول إليه، هو روايات قليلة مبثوثة في المصادر، وبعضها تكتنفه صيغة الإبهام والإنقطاع فإن الأمر يحتاج إلى تثبت وروية وأناة في البحث، وترتيب للمقدمات لنصل إلى أقرب وأصح النتائج بإذن الله.

ومن هذه الروايات ما ذكره الحافظ أبو أحمد بن عدى قال: ذكر لي جماعة من المشايخ(١): أن محمد بن اسماعيل لما ورد نيسابور، اجتمع الناس عليه، حسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور، لما رأوا اقبال الناس عليه، واجتماعهم عليه فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن اسماعيل يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق " فامتحنوه " في المجلس، فلما حضر الناس مجلس البخاري، قام اليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن، مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري، ولم يجبه، فقال الرجل:

= وخصوصاً بالمشرق وقفوا عند نصوص الإمام أحمد والتزموا بها.. وهي عدم الخوض مطلقاً في هذه القضايا، وأصبح لديهم حساسية مفرطة إذا نُسبَ الخَلْقُ إلى أى شيء في القرآن، ويصور ذلك أبلغ تصوير ابن قتيبة اذ يقول: -« وقد ألف الناسَ " غير مخلوق " وأنسوا به حتى أنه ليخيل إليَّ أن رجلاً لو ادعى أن العرش غير مخلوق لوجد على ذلك أشياعاً يتنحلون السنة فماذا جَرَّ جهم لارحمه الله على متبعيه بنحلته، وعلى مخالفيه ببغضته» أ هـ الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٥٥.

(٢) حقق الحافظ صلاح الدين أبي سعيد العلائي عن جماعة من العلماء أن مثل هذه الصيغ في الأسانيد صورته صورة المتصل، ولكن حكمه حكم المنقطع لعدم الاحتجاج به، جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص ٩٦ تحقيق حمدي السلفي، وانظر " الصناعة الحديثية في السنن الكبرى للبيهقي " ص٥ تأليف د. نجم بن عبدالرحمن خلف.

يا أبا عبدالله، فأعاد عليه القول، فأعرض عنه، ثم قال في الثالثة، فالتفت اليه البخاري، وقال : القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة والإمتحان بدعة، فشغب الرجل الناس، وتفرقوا عنه، وقعد البخاري في منزله [1].

ومع أن هذه الرواية في سندها ابهام واضح من خلال عبارة " جماعة من المشايخ " وانقطاع من خلال عبارة " ذكر لي " فهي تخالف الرواية الأولى التى رواها الإمام مسلم بن الحجاج والتى فيها نهيه الصريح بألاّ يسألوه عن الكلام حتى لايقع بينهما، والذهلي يعلم أن البخاري يخالفه فيما يقول، وذلك مما يصله ويكتب إليه من بغداد كما في الرواية الثانية، وعلى هذا فهو ليس بحاجة الى إمتحانه، ثم كيف يأمر بالامتحان وينهى عنه في آن واحد ؟! وزد على ذلك أن هذا القول ليس بالضرورة عن الإمام الذهلي، فإن الرواة أبهموا جماعة الحسدة ولم يصرحوا بالذهلي ولاغيره، والذهلي وان كان عَلَمَ نيسابور وواجهتها فإن تلك الناحية تزخر بعشرات من العلماء والمشايخ، وطبعي أن يتفاعلوا مع مستجدات الأحداث وأن تكون لهم مواقف سلبية أو إيجابية بحسب ما فهموا من المسألة .

لذا فإن نفي هذا القول وهو " الامتحان " أقوى من إثباته، بدليل رواية الامام مسلم المصرح فيها بالسماع عنه .

ومن القراءة المتأنية في النصوص الثلاثة السابقة : يظهر أن إطلاق « صفة الحسد » على الإمام الذهلي من أول وهلة، وجعله موقفاً عملياً يتحرك من خلاله، ويشتد على الامام البخاري، أمر يحتاج إلى نظر وتأمل دقيقين .

وهذا الإطلاق لا تحتمله النصوص بقدر ما تحتمل حيثيات أخرى قبله .

---

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري ص ٤٩٠، السير ١٢/ ٤٥٤ .

فقاريء الرواية الأولى التى رواها مسلم بن الحجاج، خالي الذهن من توجيهات وتحليلات عدد من الكتّاب المتأخرين، لا يلمس فيها غير أريحية الإمام الذهلي وذلك بإستقباله للإمام البخاري، وسلامة صدره عليه .

والأمر الآخر : تمنيه حفظ ماء الوجه بين أصحاب الفرق المنحرفة لئلا يشمتوا بهما وهما من أهل السنة، لذا أمر طلبته أن يستفيدوا منه العلم، ولا يسألوه عن اللفظ . . وكان لديه إحساس بأن للبخارى فيها رأياً مخالفاً لرأيه .

والأمر الثالث في الرواية : افتراق من في الدار إلى طائفتين . . وهذا يدل أبلغ دلالة على أن مجتمع نيسابور قد عرف مسألة اللفظ قبل قدوم البخاري إليهم، ولهم فيها مواقف، لذا اختلفوا قبل وصول الخبر للامام الذهلي، وهذا يشير إلى تفاعل المجتمع وبالذات طلبة العلم المتحمسين للقضية قبل الإمام الذهلي .

أما رواية أبي حامد الأعشى : ففيها أيضاً تقديره للبخارى وعلمه وسلامة الصدر عليه لذا نراه يسأله أمام الناس عن الأسامي والكنى والعلل، ولو كان لديه بوادر حسد أو عداء لما بقي يسأله أمام الجموع وهو إمامهم والبخاري يصغره بنحو إثنتين وعشرين سنة، حتى بعد شهر، وصلته الأنباء من بغداد أن البخاري قد تكلم باللفظ، وهنا نتعرف على شخصية الذهلي الشديدة، فليس لديه استعداد لتفهم رؤية البخاري للمسألة، بل اعتبره مخالفاً لأحمد الذى نهى عن القول فيها . . . لذا نهى طلبته عن الاقتراب منه والأخذ عنه .

أما الرواية الثالثة : وهى ذكر الامتحان، فقد سبق الكلام عليها بما يغنى عن الإعادة . . . . إن التعرض لمثل هذه القضايا والكتابه فيها، وخاصة في هذه الأعصار المتأخرة، يحتاج إلى توق وتريث، ونظرة فاحصة ومتأملة في أحوال تلك العهود وأهلها الذين تفصل بيننا وبينهم آماد زمنية طويلة .

وبعبارة أخرى ليتصور المرء أنه أحد أفراد الناس في تلك العهود، أى ينقل فكره من القرن الرابع بعد الألف - إلى القرن الثالث الهجرى ثم ليتأمل :

١- التكوين العام للمجتمعات، فبينما نجد الجهمية والمعتزلة وسواهم من أصحاب الفرق الأخرى يثيرون البلبلة، نجد أن أهل السنة قد افترقوا كما نص ابن قتيبة سابقاً إلى طوائف في هذه المسألة بالأخص. فليؤخذ هذا في الاعتبار.

٢- تفاعل تلك المجتمعات مع قضاياهم السياسية والدينية سواء في بغداد أو نيسابور حاضرتى العلم أو سواهما من المدن القريبة، وهذا التفاعل شارك فيه العلماء وطلبة العلم، والعامة، فللعلماء نظرتهم بحسب ما تجمع لديهم من أدلة وفهم للمسألة، ولطلبة العلم أثر في متابعتهم العلماء وحماسهم، وللعامة أثر بسبب التعصب لطائفة ما مع كثرة القيل والقال. فليؤخذ هذا أيضاً في الاعتبار.

ولم يكن الأمر كما تصور بعض الكتاب المتأخرين أن الخلاف نشأ لتوه بين الذهلي والبخاري متكئين على ما قرره البخاري في آخر عهده بالذهلي أنه كم يعتريه الحسد في العلم- فنسوا الحيثيات والاعتبارات- التى لابد من الوقوف عندها إن أردنا معرفة أقرب الصور والحقائق لتلك الأحداث - وبنوا على مسألة الحسد هذه كل تحليلاتهم واستنباطاتهم استنتاجاً من ذات النصوص التى أشرنا إليها.

ومن هؤلاء الكتاب: صاحب كتاب «الامام البخاري محدثاً وفقيهاً»(١) والذى ذهب يقرر في تلك الأحداث قضايا لا نوافقه عليها ومن ضمن ما ذهب إليه قوله في ص ٧٠: «وقد استغل محمد بن يحيى الذهلي كراهية النفوس لمن يتكلم في القرآن، فأراد أن يوقع البخاري في هذا الأمر حتى ينفر الناس عن مجلسه وينسبوه إلى الاعتزال» فوصف الامام الذهلي باستغلال المشاعر ليوقع بالامام البخاري في دائرة الاعتزال أمر يتجافى عنه قلم الباحث، خاصة وأن الإجماع قائم على عدالة الإمام الذهلي، ورحم الله أسلافنا حين ترجموا

---

(١) هو الأستاذ الدكتور الحسيني عبدالمجيد هاشم.

لأسلافهم فأنصفوهم مهما كان بينهم من خلاف ، ولم يحشروا أنفسهم فيما جرى بينهم مفسرين معللين للأحداث كحال الذى يعايشها لحظة لحظة ، ويرقب لمحات وتعبيرات وجوه أصحابها ، ومخارج كلامهم ، والحالة النفسية أثناء كل ذلك .

وفي ص ٧٣ يقول : « نجد أن البخاري في محنته هذه لم يقترف إثماً وان ما أثير حوله إنما هو وليد الحسد من النفوس البشرية ومحمد بن يحيى رحب بالبخاري عند قدومه ، ولكن الشيطان للانسان عدو مبين فحسده عندما رأى انه احتل مكان الصدارة والتف حوله القوم وتركوا الذهلي فاستغل إثارة النفوس وحساسيتها بالنسبة لفتنة القرآن ، وتابعه على ذلك الذين انتقدهم البخاري وجرحهم بالتضعيف واستعملوا التشويش على العامة . . . . » الخ .

ويقول في ص ٧٥ بعد سياقه خبر البخاري مع خالد بن أحمد الذهلي أمير بخارى وما حصل بينهما من خلاف بسبب رد البخاري الشديد عليه وامتناعه عن الحضور لديه لإلقاء دروس خاصة لأبنائه من الجامع والتاريخ .

يقول : « . . . فأسَرَّ الأمير في نفسه العداوة للبخاري ، وصار يتحين الفرص حتى وصله كتاب محمد بن يحيى الذهلي الذى لم يكتف بصرف الناس عن البخاري في نيسابور فلم يقنع برحيله منها رغبة في تسكين الفتنة ، فواصل عداءه للبخارى بكتاباته للولاة والعلماء بالتشنيع على البخاري بمسألة اللفظ ورميه بالاعتزال جزافاً وبهتاناً . . . . الخ كلامه » .

ومن حقنا أن نتساءل : في أي المواضع ورد ما يدل على أن الذهلي رمى الإمام البخاري بالاعتزال تصريحاً أو تلميحاً ؟! إن إطلاق العبارات بهذه الصورة يجعل الأمر في غاية التعقيد فإذا كان - وهذا على سبيل الافتراض - الإمام الذهلي قد رمى الامام البخاري بالاعتزال فإما أن يكون مصيباً أو مخطئاً في دعواه ، فإذا كانت الأولى ، فإنه ينبني عليها قضايا أشد تعقيداً ، وهي كيف يمكن

للأمة أن تتقبل صحيحه الجامع وتعمل بما فيه من أحاديث تحرّى انتقاءها وهو معتزلي، وإذا كانت الثانية، فإنه يجب أن يعاد النظر في مرويات الإمام الذهلي الموجودة في الكتب الستة إلا مسلماً، وفي مصنفات غيرها كثيرة جداً . لأن رميه للبخاري بالاعتزال - وهو ليس كذلك - معناه تنحية الذهلي من قائمة أئمة الجرح والتعديل لانتقاض أكثر شروط المعدل والجارح فيه[1]، لأنه جرحَ عَلَماً أجمع العلماء قاطبة على عدالته وثقته- وكان جرحه شاذاً غير متنزل على المجروح .

ومن هذه الشروط أن يكون مجانباً للعصبية والهوى، وأن يكون عدلاً في نفسه متقناً - فإن افترضنا أن الذهلي كان صاحب عصبية وهوى رمى جزافاً وبهتاناً بالاعتزال فمعنى ذلك أنه ليس عدلاً ولا ورعاً - وعلى هذا فيكون البخاري متهماً في صحيحه أنه يخرج في الأصول لغير العدول . . . . وهذا ما أثبت ابن حجر خلافه وأطبق الجمهور على خلافه كذلك .

قال ابن حجر : « إن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتض لعدالته عنده، وصحة ضبطه، وعدم غفلته، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من اطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين، فهو بمثابة اطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما، هذا إذا خرج له في الأصول »[2] .

ومن المؤلفين الذين استنبطوا من النصوص ما لا أراه متنزلاً على مراميها صاحب كتاب « الإمام البخاري وصحيحه »[3] قال : - « وممن امتحن بسبب تلك المسألة أخطر محنة، ورمي بالكفر والبدعة - والمؤمن مبتلى - أبو عبدالله البخاري رضي الله عنه . فقد حسده بعض محدثي وفقهاء عصره، يرأسهم

---

(١) وهي الشرط الأول والثاني والثالث والخامس والسابع من الشروط التي نص عليها الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في الرد الوافر انظرها جميعاً في ٤٣٦ من الفصل الأول في الباب الثالث عند مطلب الجرح والتعديل .

(٢) هدي الساري ٣٨٤.

(٣) هو الدكتور عبدالغني عبدالخالق.

شيخه محمد بن يحيى الذهلي، وانتهزوا فرصة قوله بحدوث لفظ القرآن بصرف النظر عن معناه ومدلوله، فرموه بالاعتزال وكفروه، وشنعوا عليه وطردوه»[1]. وكأنه عفا الله عنه قد تابع ابن السيد البطليوسي الذى أثنى على البخاري ومسلم وابن معين في انتقادهم للحديث وتحريره، فقال:

- « وللبخاري رحمه الله - في هذا الباب عناء مشكور وسعي مبرور، وكذلك لمسلم وابن معين، فإنهم انتقدوا الحديث وحرروه، ونبهوا على ضعفاء المحدثين والمتهمين بالكذب حتى ضج من ذلك من كان في عصرهم، وكان ذلك أحد الأسباب التى أوغرت صدور الفقهاء على البخاري، فلم يزالوا يرصدون له المكاره حتى أمكنتهم فيه فرصة بكلمة قالها فكفرّوه، وامتحنوه وطردوه الخ[2] وابن السيد البطليوسي لم يصرح باسم الذهلي « فإن كان يقصد بأولئك فقهاء بخارى الذين لقى منهم البخاري البلاء الشديد مع أميرها خالد الذهلي حتى دعا عليهم جميعاً فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم الكُرَب والبلايا بعد شهر من دعائه »[3].

أقول: إن كان يقصد أولئك فلا بأس لأن عداءهم ليس له مبرر سوى الهوى والحسد، كما أنهم ليسوا مشهورين بالعلم. أما إن كان يقصد الإمام الذهلي وأبا حاتم وأبا زرعة الرازيين - فلا يسلم له ذلك بحال من الأحوال، والجواب عليه من كلامه، فانه ذكر تقدم ابن معين والبخاري ومسلم في الصناعة الحديثية، ولو أنه راجع حالهم هُمْ مع الذهلي واعترافاتهم بفضله لما سطرّماسطره فهذا ابن معين يُسأل: « لم لا تجمع حديث الزهرى؟ فيقول بلسانه: كفانا محمد ابن يحيى ذلك»[4]وهذا البخاري لا يستغني عن مرويات الذهلي وهو الذي تمتد

(١) ص ١٦٤.

(٢) التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم ص١٧٣ - تحقيق وتعليق الدكتور أحمد حسن كحيل، والدكتور حمزة عبدالله النشرتي.

(٣) انظر ص ٣٨٧ - ٣٨٨ من هذا الفصل.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٠ في ترجمة الذهلي، وتخصص الإمام الذهلي في جمع الزهريات وبيان عللها لايحتاج لمزيد بيان على ماذكر في أول الرسالة.

إليه ألسنة المتأخرين بالتهم !! فياليت شعري إخراج البخاري له في أصل كتابه مامعناه؟!

أما مسلم رحمه الله فمعلوم أنه لم يترك الرواية والاستفادة من شيخه الذهلي وعلمه بالحديث وعلله حتى بعد نشوب مسألة اللفظ، وعندما وصل النبأ إلى الذهلي أن مسلماً على مذهب البخاري، نادى في نهاية مجلسه: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته، وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه وجمع كل ماكان كتب منه وبعث به على ظهر حَمَّالْ إلى باب محمد بن يحيى[1] وكان هذا في آخر عمريهما.... وعلى هذا فمسلم كان حتى في شيخوخته يتتلمذ على الذهلي رحمهما الله، وقد أنحى أبو زرعة باللائمة على مسلم لما ترك الذهلي فقال عنه: هذا ليس له عقل، لو داري محمد بن يحيى، لصار رجلاً.[2]

وأما أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان فعلمهما بالرجال والحديث وعلله معلوم لكل طالب علم وكتبهما في ذلك بين أيدينا !!

فإن كان البطليوسي يقصد بكلامه الذهلي فقد سبق بيان أحوال ابن معين والبخاري ومسلم معه من اعتراف بتقدمه والرواية عنه وغير ذلك، وإن كان لايقصد الذهلي، فقد بطل اعتماد الدكتور عبد الغني على كلامه.

وثالثة الأثافي وهي ادعاؤهما تكفير الذهلي للبخاري، ولاأزيد في هذا المقام على المطالبة بنص فيه التصريح بذلك.... أما اعتساف معاني النصوص لتؤيد استنباطات بعيده فهذا يرد عليه الأئمة ابن تيمية والذهبي والسبكي بعد صفحات.[3]

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٣٤ وسيأتي عرض تلك الأحداث في ص ٣٨١.

(٢) السير ١٢/ ٢٨١.

(٣) انظر ص ٣٧٤ - ٣٧٩ وفيها تكفير الذهلي للقائلين بخلق القرآن وكذلك الواقفين، وتبديعه للبخاري وذلك في رواية أبي حامد ابن الشرقي. وفي رواية المخلدي قوله: " أن البخاري أظهر قول اللفظية " واللفظية شر من الجهمية " فهذا لايشم منه تكفير بدلالة إطلاق الإمام أحمد لنفس المقولة على الكرابيسي ولايريد بها تكفيره كما حرره ابن تيمية فلينظر.

ويستشهد الدكتور بكلام القاسمي نقلاً من كتابه « حياة البخاري » وفيه يعلق على قول الذهلي لأهل نيسابور : لاتسألوه عن شيء من علم الكلام . . . يقول : « إن نهي الذهلي عن سؤال البخاري عن شيء من الكلام ، فيه تلقين للفتنة، وتعليم لمثارها، وفتح لبابها »[1]

وقد سبق توجيه كلام الذهلي هذا رحمه الله استنتاجاً من النظر العام لتلك الأحداث والأحوال الاجتماعية آنذاك ، أما توجيه القاسمي هذا فإني لاأوافقه عليه لأن الذهلي نفسه قد حآج عن نفسه وعلل نهيه فقال : . . . . فإنه إن أجاب بخلاف مانحن فيه، وقع بيننا وبينه، ثم شمت بنا كل حروري وكل رافضي، وكل جهمي، وكل مرجيء بخراسان ».

وقبولنا لتعليل صاحب الكلام قبل عشرة قرون أولى بكثير من قبول محلل للنص بعد هذه القرون والآماد الطويلة.

وحتى لايطول بنا المقام في تتبع أقوال المؤلفين والكتاب المتأخرين، فهذه كلمة- أرجو بها السلامة والعافية عند الله لي ولهم ولكل من يجرد قلمه لتناول قضايا كانت محل خلاف بين علمائنا من السلف الصالح رحمهم الله - وقد أفضوا إلى ماقدموا- كالإمامين في هذه المسألة.

ينبغي **أولاً**: وقبل أي قول أن نكون أكثر أدباً وأشد احتراماً من سلفنا الصالح حين تعرضوا لمثل هذه المسائل بين سلفهم الماضين، وأن نسلك ذات الخط الذي سلكوه حتى لانأتي ببدع من القول والاستنباط والتحليل.

وثانياً : يجب أن لاننسى أن الإمامين من كبار أئمة السنة في زمانهما، وهنا يكون التريث والتوقي أكثر وأشد.

وثالثاً : تكون عمدتنا في الحديث عنهم أقوالهم قبل أقوال غيرهم، بعد النظر في أسانيدها، وألا نكذبهم فنترك تعليلاتهم وتحليلاتهم لمواقفهم ونرمي بها

---

(١) انظر الإمام البخاري وصحيحه ص ١٦٦.

عرض الحائط، ونأتي نستنتج ونوجه كأننا نسمعهم ونراهم، ونقيسهم على رجال هذا الزمان وتصرفاتهم. كما يجب ألا نزيد على ماقالوه ونحمل كلامهم مالايحتمله.

إن خلاصة ما وقفت عليه من أقوال للإمام الذهلي في حق الإمام البخاري . . . . . . « أنه يبدعه ويأمر بهجره، وعدم مكالمته »[١].

وانظر قمة التفهم للمسألة والتحليل عند الإمام السبكي[٢]، وفي ثنايا كلامه حسن الظن بالذهلي واستبعاده أن يرمي البخاري بشيء من أقوال المعتزلة، وتحليله لذلك التبديع وتلك المقاطعة أنه ليس محض مخالفة ومنافرة، وإنما متابعة للإمام أحمد بن حنبل في النهي عن الخوض في علم الكلام. وفي نهاية كلامه يقول: « والحاصل ماقدمناه من أن أحمد بن حنبل، وغيره من السادات الموفقين، نهوا عن الكلام في القرآن جملة، وإن لم يخالفوا في مسألة اللفظ، فيما نظن فيهم، اجلالاً لهم، وفهماً من كلامهم من غير رواية، ورفعاً لمحلهم عن قول لايشهد له معقول ولامنقول . . . ».

وهذه نصيحة غالية ودرة ثمينة أهداها السبكي لكل من يتصدى للقضايا التي كانت محل خلاف بين أعلام سلف هذه الأمة . . . . قال: « وينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك، وإلا فاضرب صفحاً عما جرى بينهم، فإنك لم تخلق لهذا، فاشتغل بما يعنيك، ودع مالايعنيك، ولايزال طالب العلم عندي نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ويقضي لبعضهم على بعض . . . . الخ »[٣].

---

(١) انظر صريح كلامه في ذلك ص ٢٥١ وهي رواية أبي حامد الأعشى.

(٢) ص ٢٧٢، ص ٢٧٣.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٧٨.

وهذا الخط الذي نبه إليه الإمام السبكي في طبقاته هو مثال لما فعله وقاله ونادى به الأئمة ابن تيمية في مواضع كثيرة من فتاواه ودرء التعارض وغيرها من كتبه، والحافظ الذهبي في سيره وتذكرته ، عندما تناولوا هذه الوحشة بين الإمامين الجليلين بالحديث، فكانت عباراتهم مسددة، وألفاظهم يكسوها التوقير والتواضع والإحترام لأعلام الأمة وهم يختلفون.

وإذا علمنا أخيراً أن الإمام البخاري وهو صاحب القضية وأولى محلل لها ، قد روى عن شيخه وقرينه الذهلي أربعة وثلاثين حديثاً في صحيحه، ففي هذا أبلغ دلالة على أن الأمر لم يكن بمستوى مافهمه وقرره وحلله بعض الباحثين والكُتَّاب.

ومع تعاطفي كباحث درس القضية، وعايشها ردحاً من الزمن -مع الإمامين رحمهما الله - فإنني أرى أن أقل ماينبغي أن نقوم به نحن المسلمين في مثل هذا المقام، نصحاً للّه ورسوله وللدين وللمسلمين، أن نعرض كل ملابسات الأحداث ونوجهها بقدر المستطاع.

ومن هذا التوجيهات أن الإمام الذهلي كان من منهجه الدعوي مراسلة العلماء بما يستنكره في نيسابور من مخالفات عقدية، قبل مجيء البخاري بسنين، ومثال ذلك: «مراسلته الإمام أحمد بن حنبل في شأن داود الأصبهاني لما أن قال بحدوث القرآن . . . . وتصديق الإمام له ومقاطعته لداود وعدم مكالمته ومقابلته»(1). فكونه يستنكر على الإمام البخاري موقفه وعدم متابعته للإمام أحمد المتابعة النصيَّة مع اعتقاده أنه في استنكاره على الصواب- لاغضاضة فيه خاصة في ذلك الزمان، وتلك الفترة التي كثرت فيها الأقوال المتضاربة في تلك القضية، ومكانته في خراسان توجب عليه الاهتمام بقضايا المسلمين وحمايتها من كل مايطرأ عليها.

ويجب ألا يفوتنا أن نظرة الإمام الذهلي للإمام البخاري ، غير نظرتنا نحن له في هذا الزمن، فحين نراه بعين الإكبار والتبجيل والتقدم في علم الحديث وأنه

(1) السير ١٣/ ١٠٣.

صاحب الجامع الصحيح - أصح كتاب بعد كتاب الله - فطبعي أن ينظر إليه الذهلي على أنه قرين سبق وأن تتلمذ عليه وروى عنه كغيره من طلبة العلم وله سَبْقٌ وتميز، ولما طرأ ماطرأ تغير الموقف. (والمعاصرة حجاب) وعليه فإن القاعدة التي يقف عليها الذهلي، غير قواعد المتأخرين حين يتصدّون للقضية.

وانطلاقاً من هذه المعاني فإني ألتمس للإمام الذهلي الأعذار، بعد اعترافي التام ببراءة ساحة الإمام البخاري، ودقة مذهبه الذي سبب للإمام الذهلي سوء فهمه، بجانب فهمه الصحيح رحمه الله لمذاهب القائلين « اللفظ بالقرآن مخلوق » ومتابعة الإمام أحمد في منع إطلاق ذلك.

وهذا تفصيل هذه الأعذار:

أولاً: أن الإمام البخاري لما سئل عن اللفظ بالقرآن، توقف واحتج بأن أفعالنا مخلوقة، واستدل لذلك، ففهم منه الذهلي أنه يوجه مسألة اللفظ، فتكلم فيه، وأخذه بلازم قوله هو وغيره.(1)

ولازم قول البخاري رحمه الله «هو أن ألفاظنا من أفعالنا ومادامت الأفعال مخلوقة فالألفاظ مخلوقة وعليه فلفظي بالقرآن مخلوق».

ولكن البخاري رحمه الله لم يصرح بهذا اللازم ولم يقل «لفظي بالقرآن مخلوق».

قال الذهبي رحمه الله « تأمل كلامه، ما أذكاه! ومعناه والعلم عند الله - أني لم أقل لفظي بالقرآن مخلوق، لأن الكلام في هذا خوض في مسائل الكلام، وصفات الله لاينبغي الخوض فيها الا للضرورة، ولكني قلت: أفعال العباد مخلوقة وهي قاعدة مغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر، فإن كل عاقل يعلم أن لفظنا من جملة أفعالنا، وأفعالنا مخلوقة، فألفاظنا مخلوقة»(2).

---

(1) السير ١٢/ ٤٥٧.

(2) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٣٠.

أقول . . . . ولشدة متابعة الذهلي لأحمد ومنعه الخوض أو التلويح بشيء من علم الكلام . . ظن أن هذا التلويح من البخاري طريق للتصريح وزاد من هذا الظن ما وصله من بغداد أنه يتكلم في اللفظ كما في رواية الأعشى السابقة.

ومما يدلنا أن مقصد الذهلي هو عدم الخوض في شيء من اللفظ وأن أقل كلام فيه فهو خوض في الكلام مانقله تلميذه أبو حامد ابن الشرقي قال سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: « القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته، وحيث تُصُرِّف فمن لزم هذا استغنى عن اللفظ وعما سواه»[1].

أضف إلى ذلك ما استقر عند الناس عنه- أي البخاري-أنه قال: «لفظي بالقرآن مخلوق» كمافهموا من أقواله . . . قال له أبو عمرو الخفّاف: إن الناس قد خاضوا في قولك: «لفظي بالقرآن مخلوق»[2] . . . . . وهكذا ساغ للذهلي مخالفة البخاري لما استقر في المجتمع عن البخاري ولما استقر عند الذهلي من فهم للمسألة.

ثانياً: من الأعذار ما تفيده هذه الرواية المضطربة عن البخاري التي يخالف آخرُها أولَها. قال محمد بن يوسف الفربري: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أما أفعال العباد فمخلوقة، فقد حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا أبومالك عن ربعي عن حذيفة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أن الله يصنع كل صانع وصنعته» وسمعت عبيدالله بن سعيد: سمعت يحيى بن سعيد يقول: مازلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة.

---

(١) السير ١٢/ ٤٥٦، تاريخ بغداد ٢/ ٣١, ٣٢.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٣٠.

قال البخاري : حركاتهم وأصواتهم راكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المثبت في الصحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب، فهو كلام اللّه غير مخلوق، قال تعالى : ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾[1]وقال : يقال : فلان حسن القراءة ورديء القراءة ولايقال حسن القرآن ولارديء القرآن، وإنما ينسب إلى العباد القراءة لأن القرآن كلام الرب، والقراءة فعل العبد، وليس لأحد أن يشرع في أمر اللّه بغير علم، كما زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا وألفاظنا به شيء واحد، والتلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء.

فقيل له[2] : إن التلاوة فعل القارىء وعمل التالي . . . . فرجع، وقال : ظننتهما مصدرين! فقيل له : هلاّ أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك، ولو بعثت إلى من كتب عنك واستردت ماأثبته وضربت عليه. فزعم أن كيف يمكن هذا، وقال : قلت، ومضى. فقلت له : كيف جاز لك أن تقول في اللّه شيئاً لاتقوم به شرحاً وبياناً، وإذا لم تميز بين التلاوة والمتلو؟!! فسكت، إذ لم يكن عنده جواب "[3].

قلت : في النفس من هذه الرواية شيء وخاصة من بداية الحوار، وموقف البخاري فيها لايحسد عليه، ولايليق بعالم كبير مثله، وقد أثر عنه أقوال كثيرة تدل على ثباته على أن أفعال العباد مخلوقة . . . . ومع رفعنا لمقام البخاري عن مثل هذا التناقض، الا أن ورود هذه الرواية عنه ولو كذباً عليه أمر محتمل،

---

(١) سورة العنكبوت آيه ٤٩ .

(٢) من هنا يبدأ الاضطراب في باقي الرواية .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى٢/ ٢٢٨، والشطر الأول من الرواية قبل الاضطراب موجود في " خلق أفعال العباد" للإمام البخاري باعتناء بدر البدر ، باب " أفعال العباد" ص ٤١، وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه ٢/ ٣١، وكذا الإمام البيهقي في كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، دراسة وتحقيق الدكتور السيد الجميلي ص ٨٦، وكذلك الأسماء والصفات ص٢٦٠.

وكـذلك وصـول هذه الرواية إلى الذهلي أكـثـر إحـتـمـالا ، وعـامل الكذب وانتشاره[1] لابد من وضعه في الاعتبار . وإذا علمنا أن أهل خراسان قد أعاروا مسألة اللفظ إهتماماً بالغاً ، ولم يكونوا عالمين بمرامي كلام أحمد والبخاري كأهل العراق ، فإننا ندرك أن وجهات النظر في المسألة بدأت في التباعد ، وثمة أمر آخر له أهميته القصوى في التأثير على مجـريات الأحـداث وهو « طبيـعة بيئتي العراق وخراسان ، فالأولى وهي حاضرة الخـلافة وكعبة العلم ويقصدها العلماء والحكماء والساسة من أهـل النظر والفكر في كل ميـدان وانتـشار حلق العلم فيها أكثر من غيرها . كل ذلك أكسبها خاصية المرونة والتحضر ، ونيسابور حاضرة المشرق لم تكن أقل حظاً في كل ذلك من بغداد ، ولكن ما من شك أن طبيعتها الجبلية قد أثرت في أهلها مما جعل مواقفهم تتسم بالقوة والتعصب ، والمتابعة غير المتأنية لأحمد بخلاف متابعة أهل بغداد ، وقد ألمح شيخ الإسلام ابن تيمية إلى بعض هذه المعاني فقال : «ولكن أهل خراسان لم يكن لهم من العلم بأقوال أحمد مالأهل العراق الذين هم أخص به- ويقصد بهم المتابعين له ، العارفين بأقواله مثل أبي بكر المروذي وأبي بكر الخلال اللذين جمعا علمه- وأعظم ماوقعت فتنة اللفظ بخراسان ، وتُعُصب فيها على البخاري - مع جلالته وإمامته- وإن كان

---

(١) يشير ابن تيمية إلى ذلك فيقول : وقد رأيت طائفةً تنتسب إلى السنة والحديث ، كأبي نصر السجزي وأمثاله ممن يردون على أبي عبدالله البخاري ، ويقول : إن أحمد بن حنبل كان يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق ، وذكروا روايات كاذبة لاريب فيها ، . . . الخ مجموع الفتاوى ٧/ ٦٥٩ ، ومما أوقع الذهلي في مخالفة البخاري ما افتراه بعض الناس ونقلوه من أنه قال " لفظي بالقرآن مخلوق " صرح بذلك ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٦٤ . ومما يدل على اتخاذ الناس الكذب مطية لأي عارض هذه الرواية المكشوفة قال ابن تيمية « . . . وجرت للبخاري محنة بسبب ذلك حتى زعم بعض الكذابين أن البخاري لما مات أمر أحمد بن حنبل أن لا يصلى عليه ، وهذا كذب ظاهر ، فإن أبا عبدالله البخاري - رحمه الله - مات بعد أحمد بن حنبل بنحو خمس عشرة سنة . . . الخ» امجموع لفتاوى ١٢/ ٢٥٨ .

الذين قاموا عليه أيضاً أئمة أجلاء، فالبخاري- رضى الله عنه- من أجل الناس». [1] وعبارته«وقد تعصب فيها على البخاري» تشير في غير مالبس إلى أن القضية فهمت بميزانين مختلفين[2].

وقد بين الإمام ابن تيمية أن تصنيف الناس في تلك السنين قد أخذ مدىً بعيداً، ولم يسلم منه أكابر العلماء فضلاً عن غيرهم . . . والبخاري ممن صنف مع اللفظية، مع الكرابيسي، ونعيم بن حماد، والبويطي، والحارث المحاسبي [3] وكذلك قال مع طائفة من أهل العلم والسنة مثل محمد بن نصر المروزي: «أن الإيمان مخلوق، ومرادهم أفعال العباد وليس صفات الله» [4].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٠٨

(٢) ومن الملابسات التي قد يكون لها أثر في توجيه الأحداث ما يتناقله بعض الناس ويروجونه من أن الإمام البخاري ممن يقول «أن الموجود في القرآن حكاية عن كلام الله» - انظر معنى ذلك ص٣٣٩ طائفة (ط) ومن ذلك ما ذكره أبو اليمن العليمي في المنهج الأحمد قال: «قال إبراهيم بن محمد: أنا توليت دفن محمد بن إسماعيل لما أن مات بخرْتنك أردت حمله إلى مدينة سمرقند لعلي أدفنه بها فلم يتركني صاحب لنا، فدفناه بها فلما أن فرغنا ورجعت إلى منزلي الذي كنت فيه قال لي صاحب القصر: سألته أمس قلت له: يا أبا عبد الله ما تقول في القرآن؟ فقال القرآن كلام الله غير مخلوق، قال: فقلت: إن الناس يزعمون أنك تقول: ليس في المصاحف قرآن، ولافي صدور الناس قرآن، فقال استغفر الله أنْ تشهد علّي بشيء لم تسمعه مني، أقول لك كما قال الله تعالى ﴿والطور وكتاب مسطور﴾ سورة الطور آية (١ , ٢)
وأقول: في المصاحف قرآن، وفي صدور الناس قرآن، فمن قال غير هذا يستتاب، فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر» أ. هـ. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ١/ ٢٠٧ فهذه الرواية المأخذ فيها كلام صاحب القصر، وعلى فرض ثبوته فهو محمول على قوله بالحكاية بمعنى البلاغ عن الله عز وجل، فإذا برأنا ساحة البخاري من هذه التهمة بأن صاحب القصر رجل مبهم غير معروف، وثانياً بكلامه الواضح الصريح الذي لا يدع مجالاً لطاعن. . . . فهذا من حيث حكمنا على الرواية. . . . . ولكن مدلول الرواية العام يدل على أن هناك ما يتناقله الناس عنه في هذا المضمار.

(٣) مجموع الفتاوى١٢/ ٢٠٦ .

(٤) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٥٨ .

وقرَّر ابن تيمية مراراً وتكراراً أن النزاع في تلك المسائل بسبب الألفاظ المجملة والمعاني المتشابهة [١] والقول أيضاً عن القرآن«أنه حكاية عن كلام اللّه» مجمل مشتبه فيه حق وباطل، واطلاقة هكذا يورث سوء الفهم، ومن أراد المعنى الباطل تذرع به إلى أن اللّه لايتكلم بحرف وصوت يسمع، وهذا الذي أنكره السلف ومنهم الإمام الذهلي [٢].

أما الإمام البخاري فقد نفى في الرواية السابقة كل ذلك عن نفسه وهو الصادق البار رحمه اللّه، ولكن مثل هذه الأمور تنسب إليه لأنه لم يكتف بحياد الإمام أحمد، - بل رأى- وذلك يعود لنظرته للأحداث والمجتمع ووجوب البيان- أن يلوِّح بالقول الحق كما في قوله في اللفظ، وأن يصرح كما في قوله بخلق الإيمان، ومقصوده في ذلك صحيح لاكما يريد المتذرعون بنفس القول إلى المعاني الجهمية مثل الكرابيسي، أو المخالفة لمنهج السلف مثل ابن كُلاَّب أول من أحدث في الإسلام القول بأن ما في المصاحف حكاية عن كلام اللّه وأبي الحسن الأشعري قبل توبته الذي سلك مسلك ابن كلاب في اثبات أكثر الصفات واستدرك عليه بأن يخالف المعتزلة في قوله« حكاية» واستبداله« بالعبارة» فأنكر عليه أهل السنة والجماعة[٣] ومنهم الحارث المحاسبي الذين حذر الإمام أحمد من

---

(١) من هذه المواضع مجموع الفتاوى ٧/ ٦٥٨ .

(٢) قال ابن تيمية : « وكذلك من يقول : أن هذا القرآن ليس هو كلام اللّه، وإنما هو حكاية عنه، أو عبارة عنه، أو أنه ليس في المصحف والصدور إلا كما أن اللّه ورسوله في المصاحف والصدور، ونحو ذلك وهذا محفوظ " أي ذمه وإنكاره وتضليل قائله " عن الإمام أحمد وإسحاق وأبي عبيد، وأبي مصعب الزهري، وأبي ثور، وأبي الوليد الجارودي، ومحمد بن بشار، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، ومحمد بن يحيى ابن أبي عمرو العدني، ومحمد بن يحيى الذهلي، ومحمد ابن أسلم الطوسي، وعدد لايحصيهم إلا اللّه من أئمة الإسلام وهداته » مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٢١، وانظر كذلك لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ١٣٩، وكلام أبي الوفاء ابن عقيل بعد رجوعه عن الكلام وكيف أثبت أن القائلين بهذا جاؤوا بقول المعتزلة في صورة أخرى بقولهم « العبارة والحكاية » وأن القرآن الذي هو كلام اللّه قائم في نفس الحق غير ظاهر في إحساس الخلق. مختصر الصواعق المرسلة ص٤٤٩، ٤٥٠ .

(٣) انظر في ذلك كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٧٢ .

أقوالهم . . . بالرغم من قربهم من أهل السنة وإقرارهما بما يقرونه، هؤلاء ضُمَّ إليهم البخاري لسوء فهم أقواله، ولاجتماعهم على البيان والبت في المسائل على اختلاف المشارب والمقاصد، فساغ للناس في كل مكان ألا يميزوا بين مناهج ومقاصد المتناولين لهذه المسائل المتداخلة . ولاتتصور أن الخلاف بين عدد محدود من العلماء فحسب، بل شارك معظم المعاصرين منهم لتلك الأحداث وبالتالي زادت الطوائف والأتباع، ووجد المبطلون بغيتهم فسعروا نيران الفتنة واختلط الحابل بالنابل وانعدم التمييز . لذا فإن من يتصور تلك الفتنة وموجانها بالناس لاشك أنه سيعذر الإمام الذهلي في مواقفه بناء على مايسمع ويرى . وإن كنا نأخذ عليه عدم التأكد والتثبت من البخاري مباشرة .

إن هذه الأمور إذا اجتمعت في ذهن الذهلي أو وصلت إلى مسمعيه لكثرة القيل والقال آنذاك . . على الإحتمال البعيد صار لدينا مايبرر مضايقته للبخاري . وبعد هذا يمكننا القول بأن الذهلي قد وجد في نفسه من الخلل الذي حدث في حلقته التي كانت قبلة العلماء وطلبة العلم بنيسابور . . .

بقية الأحداث :

لما وقع الاختلاف وتباينت المواقف بين الذهلي والبخاري . نادى عليه الذهلي ومنع الناس منه وانقطع عنه أكثر الناس غير الإمام مسلم لأنه كان على نفس مذهبه . . وكان هذا صلابةً وشدة من الذهلي في حق البخاري والتفسير الظاهري لهذا الفعل من الذهلي من وجهة نظره أن البخاري مبتدع يجب أن يهجر[1] . . ولكن البخاري رحمه اللّه تعالى كان موقناً من مذهبه وقوله في المسألة، فلم يجد تفسيراً لفعل الذهلي إلا أنه حسده على ماآتاه اللّه من العلم

---

(١) اتسم أهل خراسان بالصلابة في الدفاع عن السنة، ونفس هذا الموقف وقفه أبو عبد اللّه بن مندة وكان على مذهب الذهلي مع أبي نعيم الأصبهاني، راجع ترجمتهما في الميزان وغيره وانظر للعظائم التي بينهما كما ذكره الذهبي لبيان محدودية ما بين البخاري والذهلي بالنسبة لغيرهما .

والحظوة لدى طلبة العلم في جميع البلاد وما انتشر في الأصقاع عن ذكائه وحسن تصنيفه وصحته، والذهلي لم يكن أقل قدراً في العلم والتصنيف، فقد كانا طبقة واحدة من علماء الجرح والتعديل الأثبات الثقات وكلاهما طلب العلم على الآخر، وقد كانت للذهلي في نيسابور مهابة من نوع أحمد في بغداد ومالك في المدينة.

وعلى ضوء ماسبق فالبخاري والذهلي أقران فطاحلة في العلم، وأعلام مناضلة عن العقيدة، ومن كانت هذه صفاتهم جاز عليهم ماجاز على من سبقهم ولحقهم من العلماء الجهابذة من التغاير[1]. . . . والقاعدة المتبعة في عموم الأمة في مثل هذه الأحوال« أن لايعبأ بكلام أحدهم في الآخر. . . . من حيث التهم الموجهة لكل طرف. . مع الثناء عليهما والاقرار بفضلهما، وبيان وجه الحق فيما دار بينهما. . . . ».

والمصدر الأول لنسبة الحسد إلى الذهلي هو الإمام البخاري، ونحن لاننفيه، ثم تابعه بعض العلماء على ذلك[2]، والقوم لم نخالطهم رحمهم الله ولم نقف على دقائق أحوالهم، وهم أعلم بمراد بعضهم في بعض، والله يغفر لهم جميعاً..

---

(١) كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: « استمعوا علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم في بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زربها ». جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض ٢/ ١٥١.

(٢) كبعض المعاصرين لهما. نقل الحاكم عن الحسن بن محمد بن جابر قال: سمعت محمد بن يحيى قال لنا لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور: إذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه، فذهب الناس إليه، وأقبلوا على السماع منه، حتى ظهر الخلل في مجلس محمد ابن يحيى، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه. السير ١٢/ ٤٥٣، تاريخ بغداد ٢/ ٣٠، وهؤلاء شهود عيان ولعلهم رأوا ما نقلوه بألسنتهم، ثم توالى العلماء كالسبكي وغيره وستأتي أقوالهم وتحليلاتهم.

وقد كان حال طلبة العلم انذاك حالاً عجيباً، فالبخاري والذهلي إمامان فاضلان عندهم فلما وقعت هذه الوحشة احتاروا . . . . قال الحاكم: حدثنا طاهر بن محمد الوراق سمعت محمد بن شاذل يقول : لما وقع بين محمد ابن يحيى والبخاري، دخلت على البخاري فقلت : يا أبا عبد اللّه أيش الحيلة لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى، كل من يختلف إليك يطرد، فقال : كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم، والعلم رزق اللّه يعطيه من يشاء، فقلت : هذه المسألة التي تحكى عنك؟ قال: يا بني هذه مسألة مشئومة، رأيت أحمد بن حنبل، وما ناله في هذه المسألة، وجعلت على نفسي أن لا أتكلم فيها [1].

وأصبح اختلاف الإمامين هو شغل أهل نيسابور والداخلين إليها . . . ويظهر من أقوال من يذهب ويجيء بينهما من أهل العلم التألم من حالهما، ومحاولة الاستفهام عن حقيقة الوحشة دون التأثير على مشاعره وأحاسيسه « وهذا أمر وارد فالمؤمن المخلص تؤلمه وحشته مع إخوانه وإن كانوا هم المخطئين » روى غنجار في تاريخه قال : " حدثنا خلف بن محمد إسماعيل، سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر: النيسابوري الخفاف يقول : كنا يوماً عند أبي إسحاق القيسي ومعنا محمد بن نصر المروزي فجرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فقال محمد بن نصر: سمعته يقول : من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله، فقلت له يا أبا عبد اللّه، قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه . فقال : ليس إلا ما أقول . قال أبو عمرو الخفاف، فأتيت البخاري، فناظرته في شيء من الأحاديث حتى طابت نفسه فقلت : يا أبا عبد اللّه ها هنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة، فقال : يا أبا عمرو احفظ ما أقول لك : من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كاذب، فإني لم أقله،

---

(١) السير ١٢/٤٥٦، وتاريخ الإسلام حوادث " ٢٥١ - ٢٦٠ " ص٢٦٨ .

إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة[1] . فقول محمد بن نصر المروزي رحمه اللّه للبخاري « قد خاض [2] الناس في هذا وأكثروا » دليل على شيوع المقالة وانتشارها عنه في تلك النواحي . وتعداد البخاري لهذه البلاد الكثيرة إقامة حجة منه وبراءة أنه لم يقل ذلك سواء شاع عندهم ذلك أو لم يشع .

ومع توالي الأيام تزداد الشقة والوحشة ويبين كل منهما مذهبه وما يراه، والطلبه ينقلون ذلك وهذا الذهلي يبين موقفه من كلام الناس في القرآن بما فيهم البخاري .

---

(١) السير ١٢/ ٤٥٧، ٤٥٨، تاريخ بغداد ٢/ ٣٢، طبقات السبكي ٢/ ٢٣٠، هدي الساري ٤٩١ .

(٢) يستفاد من هذه العبارة « خاض » بأنها مشعرة بأن الناس على مختلف مستوياتهم ما بين طلاب علم ومتعالمين وعلماء وعوام قد خاضوا ، وأخطر ما في هذا الأمر أن يصبح مادة في المجالس وفي المنتديات، وفي شتى أماكن تجمع الناس، تلوكها الألسنة وتضيف إليها الأفكار . فلابد أن الإمام الذهلي قد قذفت إليه أمواج هذه المعركة ذلك الركام الهائل من تلك الأقاويل التي أضيفت إلى مقولة الإمام البخاري، وبالتالي كان الإمام البخاري ينقل إليه صدى خوض الناس في هذه القصة وما زيد على كلامه، فكان يتألم غاية الألم ولا يستطيع لذلك دفعاً ولعل عبارة الإمام المروزي : في النص الذي نقلناه عنه حيث يصف الإمام البخاري أنه يتألم . لأنه معروف أن العوام حينما يخوضون في قضية وتلوكها ألستهم فإنه من الصعب إلجامهم عند حد ما وإنما يأخذ الأمر مداه حتى تهدأ رياح ذلك الخوض العنيف، وغالباً ما يكون هناك ضحايا بالحق والباطل لمثل هذه الرياح ولعل انفعال الإمام البخاري في رده على الإمام المروزي ذلك الانفعال الشديد يمثل ما يجده الإمام البخاري في نفسه من الألم تجاه ما تتناقله الألسنة منسوباً إليه حيث قال رحمه اللّه يخاطب المروزي : " من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقله، فقال له المروزي: قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه، فقال له : « ليس إلا ما أقول » وينبغي ونحن نرصد تطور هذه الفتنة وظهورها ألا نغفل ولا ينبغي لباحث قط أن يغفل دور المعتزلة وأشياعهم في تأجيج نار المعركة، فإنهم بالتأكيد لم يقفُوا مكتوفي الأيدي أو مسالمين، وإنما ناسبتهم هذه الفرص فاهتبلوها مسرورين فزادوا في إشعالها ترويجاً لمذهبهم الباطل القائل بخلق القرآن، ومتابعة وإحياء للقضية لما فشلوا مع الإمام أحمد فركبوا مطية مقولة الإمام البخاري وهي قسمين (مجملة فيها تلميح) وأضافوا إليها تحويراً وتطويراً وزيادة مما كان سبباً في تأزم القضية وإنتهائها على هذا النحو المؤسف، وموقف المعتزلة هذا كان وسيكون صورة تتكرر في كل قضية يكون فيها اختلاف وبإمكان هؤلاء الدخول في زوايا هذا الإختلاف ترويجاً لمبدئهم الباطل أو كذباً على أحد أطراف الخلاف نكاية فيه ورغبة في القضاء عليه، وهي لهم على كل حال فرصة جيدة فأمثال هؤلاء إنما يصطادون في الماء العكر . راجع ٣٨٣ وقصته مع أحمد بن سيار .

قـال أبو حـامـد ابن الشـرقي : سـمعـت محـمـد بن يحـيى الذهلي يقـول : [القرآن كلام اللّه غير مخلوق من جميع جهاته، وحيث تصرف، فمن لزم هذا استغنى عن اللفظ (١)، وعما سواه من الكلام في القرآن، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر (٢) وخرج عن الإيمان، وبانت منه امرأته، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وجعل فيئاً بين المسلمين ولم يدفن في مقابرهم، ومن وقف، فقال : لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، فقد ضاهى الكفر (٣) ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم (٤)، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد إبن إسماعيل البخاري فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه] (٥).

---

(١) الذهلي هنا يحكي تصميمه على متابعة أحمد في عدم التعرض للمسألة أساساً ، والإيمان بأن القرآن غير مخلوق على كل حال .

(٢) هذا حكمه على المعتزلة القائلين بخلق القرآن، ويجب ألا نفهمه على البخاري كما هو واضح من تقسيماته الكلام على المعتزلة ثم الواقفة ثم اللفظية . ولا يظن بالذهلي أن يخرجه الغضب إطلاقاً لتكفير البخاري ، فليفهم . وانظر حكمه هذا في المعتزلة القائلين بخلق القرآن في شرح أصول السنة للالكائى ٢/ ٣١٠ .

(٣) وانظر قوله في الواقفة ضمن علماء خراسان في شرح اعتقاد أصول السنة للالكائى ٢/ ٣٢٨ . قال: « وعن محمد بن يحيى الذهلي : من وقف في القرآن فمحله محل من زعم أن القران مخلوق» والواقفة كما هو ظاهر من كلام الذهلي هم الذين يقفون في القرآن فلا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق . وهو وصف يطلق على اتجاهين، الأول : من يقف ولا يصرح بعقيدته لعدم وضوح الحق لديه فهذا شاك . وإذا لم يتب فهو كافر. الثاني : من يقف تورعاً مع اعتقاده «أن القرآن كلام اللّه» ولكنه كره الخوض في ذلك . فهو مبتدع لظهور المسألة ووضوحها . . . انظر الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ، باعتناء بد البدر ص١٦٧ - وأقوال السلف في تكفيرهم وتبديعهم في شرح أصول إعتقاد أهل السنة للاكائي ٢/ ٣٢٣- ٣٢٩ - .

(٤) هذا ما يخص الإمام البخاري من كلام الذهلي وهو تبديعه لقوله " لفظي بالقرآن مخلوق " كما فهم ذلك الذهلي وجماعة من العلماء .

(٥) السير ١٢/ ٤٥٥ - ٤٥٦ .

وقال الحاكم : أخبرنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب ابن الأخرم، سمعت ابن علي المخلدي، سمعت محمد بن يحيى يقول : قد أظهر هذا البخاري قول اللفظية، واللفظية عندي شر من الجهمية [1].

وليس مقصود الذهلي رحمه الله أن البخاري وافق الجهمية في معتقداتهم ولا أنَّ حكمه حكمهم، فهذا دونه خَرْطَ القتاد فيهما رضي الله عنهما، بدليل أنّه

(١) السير ١٢/ ٤٥٩، هدى الساري ٤٩٢، والذي فهمه الذهلي من تفصيل القول في اللفظ أنه خروج عن السنة وعن حياد الإمام أحمد، وظنَّ ظناً بعيداً هو وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وأبو بكر ابن الأعين، وأنه من الصنف الثالث من الجهمية الذين قسمهم الإمام أحمد والأئمة وقد سبق ولا بأس أن أعيده لأهميته قالوا : (افترقت الجهمية ثلاث فرَق : فرقة قالت : القرآن مخلوق، وفرقة قالت : نقف فلا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، وفرقة قالت : تلاوة القرآن واللفظ بالقران مخلوق) أ. هـ انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ٢٦٠، وقول الفرقة الثالثة هو الذي اشتمل على حق وباطل، وهو الذي دار فيه النقاش بين المحدثين وجرى عليه الإختلاف ولم يَبُتّ فيه الإمام أحمد إلا بالحياد، لأن كثيراً ممن قالوا به كان مقصدهم التجهم والقول بخلق القرآن، ولكن لم يتجرأ على ذلك لغلبة أهل السنة، فاستتروا بهذا القول، كما قال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى ٧/ ٦٥٥ عندما سئل عن الإيمان مخلوق أم غير مخلوق، . . . فعندما فصّل البخاري وتجرأ في ذلك لأمانة التبليغ والبيان وقوله هو الحق رحمه الله، ولم يؤثر عن الإمام أحمد تفصيل بذلك بل التجهيم والتبديع حكمةً منه رحمه الله في وقت نشوء الفتنة، قال ابن قيم الجوزية : " فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله، فإن الإمام أحمد سد الذريعة، حيث منع إطلاق لفظ المخلوق نفياً وإثباتاً على اللفظ » . مختصر الصواعق المحرقة ص٤٣٨ .

« أقول » فلما فصّل البخاري ولم يؤثر عن الإمام أحمد تفصيل ظن الذهلي وغيره مجانبته للسنة على جلالة قدره عندهم، ومع هذا عادوه من أجل السنة كما فهموا من القضية، وحصل أن ورد البخاري "مرو" سنة ٢٥٠هـ وسمع منه أبو حاتم وأبو زرعة ثم تركا حديثه لما كتب إليهما محمد ابن يحيى أنه أظهر أن لفظه بالقرآن مخلوق. " الجرح والتعديل "٧/ ١٩١ وقد عقَّب على هذا الإمام الذهبي فقال " إن تركا حديثه أو لم يتركاه، فالبخاري ثقة مأمون محتج به في العالم " السير ١٢/ ٤٦٣، والقضية فيها اضطراب كما قال ابن تيمية : « ومسألة القرآن قد كثر فيها اضطراب الناس حتى قال بعضهم : مسألة الكلام حيرت عقول الأنام، وغالبهم يقصدون وجهاً من الحق ويعزب عنهم وجهٌ آخر »مجموع الفتاوى ١٢/ ٢١١ .

بدّعه وأمر بهجره فقط كما مرَّ معنا . وإنما مقصوده أنّه وافق من يقول منهم « لفظنا بالقرآن مخلوق » وهم في حقيقتهم يريدون القول بخلق القران .

ويبين ابن تيمية أن تجهيم من يتلبس بإحدى مسائل الجهمية معناه « تضعيف قوله في تلك المسألة بالذات » ويُظْهِرُ للذهلي في ذلك العذر، « لأنه كان يرى حال البخاري حال من جهمهم أحمد » كما فهم من تصريحاته وما نُسبَ إليه. يقول ابن تيمية : « وعامة كلام أحمد إنما هو يجهم اللفظية . لا يكاد يطلق القول بتكفيرهم كما يطلقه بتكفير المخلوقية . وقد نُسبَ إلى هذا القول غير واحد من المعروفين بالسنة والحديث : كالحسين الكرابيسي، ونعيم بن حمّاد الخزاعي، والبويطي، والحارث المحاسبي، ومن الناس من نسب إليه البخاري »[1] .

ويبدو من نص كلام الذهلي متابعته لأحمد فقد نقل العليمي سؤال أحمد ابن إبراهيم للإمام أحمد قال : هؤلاء الذين يقولون : إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ؟ فقال : « هذا شر من الجهمية . من زعم هذا فقد زعم أن جبريل جاء بمخلوق، وأن النبي صلى اللّه عليه وسلم تكلم بمخلوق » أ. هـ [2] .

ويتضح من كلام الذهبي الآتي صلابة الذهلي ووقوفه عند نصوص الإمام أحمد والمنع من الخوض في المسألة كلية : وكان في ذلك يشكل منهجاً تربوياً فكرياً فيه الحيطة والحذر الشديدين من المخالفة والحيدة عن السنة، لذا لما تجرأ البخاري فلوَّح وما صرح ظن به الذهلي الظنون ومع رفعه لمقامه من التجهم والإعتزال كلية إلا أنه يراه قد تلبس ببعض كلام الجهمية، والتلبس ببعض كلام الجهمية قد وقع فيه بعض أهل الإثبات لأسماء اللّه كابن رشد الحفيد ومثل ابن كلاب والقلانسي والأشعري [3] . ويقول الذهبي في هذا الصدد : « كان الذهلي

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٢٠٦ .

(٢) المنهج الأحمد ١/٢١ .

(٣) انظر عرض ابن تيمية لهذه المسائل في مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٠٥، ٢٠٦ .

شديد التمسك بالسنة، قام على محمد بن إسماعيل لكونه أشار في مسألة « خلق العباد» إلى أن تلفظ القارىء بالقرآن مخلوق، فلوّح وما صرّح، والحق واضح، ولكن أبي البحث في ذلك أحمد بن حنبل وأبو زرعة والذهلي، والتوسع في عبارات المتكلمين سداً للذريعة، فأحسنوا أحسن اللّه جزاءهم، وما زال كلام المتعاصرين بعضهم في بعض لا يلوى عليه بمفرده» [١].

وهذا قول آخر في عقيدته في القرآن :-

قال محمد بن نعيم سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول : « الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام اللّه غير مخلوق بجميع جهاته، وحيث تصرف ولا نرى الكلام فيما أحدثوا فتكلموا في الأصوات والأقلام، والحبر والورق، وما أحدثوا من المَتْلي والمُتْلى، والمَقْري والمُقْري، فكل هذا عندنا بدعة، ومن زعم أن القرآن محدث فهو عندنا جهمي لا نشك في ذلك ولا نمتري » [٢].

قال الذهبي بعد هذه الرواية عن الذهلي : « كان الذهلي إمام خراسان بعد إسحاق بلا مدافعة وكان رئيساً مطاعاً عظيم الشأن ».

وهنا تبدو لنا مشابهة أقوال الذهلي لأحمد « فقوله القران كلام اللّه غير مخلوق بجميع جهاته، وحيث تصرف » قد أُثِر نفسه عن أحمد والأئمة السابقين [٣] وباقي كلامه يدل على شدته المتناهية في عدم الخوض في الكلام بتاتاً حتى وإن كان فيه بيان للحق كالتفريق بين القراءة والمقروء كما فعله البخاري . . . . تديناً ومتابعةً لأحمد . . . **والذي نعتقده فيه أنه يرى خلق أفعال العباد وأنّ قراءة العبد للقرآن مخلوقة « وإن لم يكن بين أيدينا نصٌ في ذلك عنه »**

(١) السير ١٢/ ٢٨٥ .

(٢) مختصر العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص٢٠١ .

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٦٥ بتحقيق محمد رشاد سالم .

ويؤكد هذا ويبينه السبكي رحمه الله قال : « وقال محمد بن يحيى الذهلي من زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم . . . ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر . . . وإنما أراد محمد بن يحيى - والعلم عند الله - ماأراده أحمد بن حنبل كما قدمناه في ترجمة الكرابيسي[1] من النهي عن الخوض في هذا، ولم يرد مخالفة البخاري ، وإن خالفه وزعم أن لفظه الخارج من بين شفتيه المحدثتين قديم فقد باء بأمر عظيم، والظن به خلاف ذلك، وإنما أراد هو وأحمد وغيرهما من الأئمة النهي عن الخوض في مسائل الكلام، وكلام البخاري عندنا محمول على ذكر ذلك عند الإحتياج إليه ، فالكلام في الكلام عند الإحتياج واجب والسكوت عنه عند عدم الإحتياج سنة، فافهم ذلك ودع عنك خرافات المؤرخين، واضرب صفحاً عن تمويهات المضلين، الذين يظنون أنهم مُحَدِّثون، وأنهم عند السنة واقفون، وهم عنها مبعدون، وكيف يظن بالبخاري أنه يذهب إلى شيء من أقوال المعتزلة وقد صح عنه أنه قال : إني لأستجهل من لم يكفر الجهمية، ولا يرتاب المنصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لحقته آفة الحسد، التي لم يسلم منها إلا أهل العصمة »[2] .

والسبكي رحمه الله الذي قرر أن الذهلي قد لحقته آفة الحسد، قد قال: « وكان البخاري على ما روى وحكى فيه ممن قال لفظي بالقرآن مخلوق »[3] .

وأعقب وأقول أن كلام السبكي هذا محض فهم وتحليل منه في هذه المعضلة ،وله ذلك فإننا جميعاً لا توجد لدينا نصوص كافية لدقائق الأحداث تجعلنا ننفي الحسد عن الذهلي وثورته ومن معه على البخاري وإن كنت أجعل

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ١١٨ .

(٢) طبقات الشافعية الكبري ٢/ ٢٣٠ ، تاريخ الإسلام حوادث « ٢٥١ - ٢٦٠ » ، ٢٦٨ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٢٩ .

نصيباً كبيراً من ذلك تديناً منه ورفضاً للبدع، وكلامه في البخاري قاله لما فُهِم ونُقِل من مخالفيه وعامة طلبة العلم، وإن كان رحمه الله قد نفى ذلك، وهو الصادق ولكن في عرض مثل هذه الأمور يؤخذ في الإعتبار جميع الأطراف وقد بيّن السبكي أن تحليلاته السابقة كانت فهماً من كلامهم في غير رواية. فقال .... : «والحاصل ما قدمناه في ترجمة الكرابيسي من أن أحمد بن حنبل، وغيره من السادات الموفقين، نهوا عن الكلام في القرآن جملة وإن لم يخالفوا في مسألة اللفظ، فيما نظنه فيهم، إجلالاً لهم وفهماً من كلامهم في غير رواية، ورفعاً لمحلهم عن قول لا يشهد له معقول ولا منقول، ومن أن الكرابيسي والبخاري وغيرهما من الأئمة الموفقين أيضاً أفصحوا بأن لفظهم مخلوق، لما احتاجوا إلى الإفصاح، هذا إن ثبت عنهم الإفصاح بهذا وإلا فقد نقلنا لك قول البخاري أن من نقل عنه هذا فقد كذب عليه. فإن قلت: إذا كان حقاً لمَ لا يفصح به؟ قلت: سبحان الله قد أنبأناك أن السرّ في تشديدهم في الخوض في الكلام في علم الكلام خشية أن يجرهم الكلام فيه إلى ما لا ينبغي، وليس كل علم يفصح به، فاحفظ ما نلقيه، واشدد عليه يديك» [1].

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٣١.

إشتداد الوحشة بين البخاري والذهلي

قال الحاكم : وسمعت محمد بن صالح بن هاني ، سمعت أحمد بن سلمة يقول : دخلت على البخاري فقلت : يا أبا عبد الله هذا رجل مقبول بخراسان خصوصاً في هذه المدينة ، وقد لجَّ في الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه ، فما ترى ؟ فقبض على لحيته ، ثم قال : ﴿ **وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد** ﴾ (١) اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور أشراً ولا بطراً ، ولا طلباً للرئاسة ، وإنما أبت علي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين(٢) وقد قصدني هذا الرجل حسداً لما آتاني الله لا غير ، ثم قال لي يا أحمد إني خارج غداً لتتخلصوا من حديثه لأجلي ، قال فأخبرت جماعة من أصحابنا ، فوالله ما شيعه غيري ، كنت معه حين خرج من البلد ، وأقام على باب البلد ثلاثة أيام لإصلاح أمره » (٣) .

---

(١) سورة غافر آيه ٤٤ .

(٢) وطنه هو بخارى ولم أجد فيما قرأت من هم المخالفون له في بخارى وماسبب الخلاف وهل هو نفس القضية أم غيرها .

(٣) السير ١٢/ ٤٥٩ ، هدى الساري ٤٩٢ .

دفاع مسلم عن البخاري وقوله بمذهبه مما سبب الوحشة بينه وبين الذهلي وأدّى إلى خروج البخاري من نيسابور

ويبدو أن الذهلي كان يكن للإمام مسلم محبة وتقديراً لذا نراه لمّا وافق البخاري على مذهبه وأصر على القول باللفظ معه يشتد غضبه وتستحكم الوحشة بينه وبين الذهلي .

قال الخطيب البغدادي : أخبرني محمد بن علي المقرئ أخبرنا محمد بن عبدالله النيسابوري قال سمعت أبا عبدالله محمد بن يعقوب الحافظ يقول : لما استوطن محمد بن اسماعيل البخاري نيسابور ، أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه ، فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ماوقع في مسألة اللفظ ونادى عليه ، ومنع الناس من الاختلاف إليه حتى هجر ، وخرج من نيسابور في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم ، فإنه لم يتخلف عن زيارته ، فأنهي إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن حجاج على مذهبه قديماً وحديثاً ، وأنه عوتب على ذلك بالعراق والحجاز ولم يرجع عنه [(١)] فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه : ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا .

فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه وجمع كل ماكان كتب منه وبعث به على ظهر جمال إلى باب محمد بن يحيى فاستحكمت بذلك الوحشة وتخلف عنه وعن زيارته [(٢)] .

وقال ابن كثير : « وترك الرواية عن الذهلي بالكلية فلم يرو عنه شيئاً في الصحيح ولافي غيره ، واستحكمت الوحشة بينهما» [(٣)] .

---

(١) في الكلام السابق دلالة على أن مذهب الذهلي كان سائداً في نيسابور والعراق والحجاز .

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٣ .

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٣٤ . وقال الحافظ ابن حجر في هدي الساري ص٤٩١ : «وقد أنصف مسلم فلم يحدث في كتابه لا عن هذا ، ولا عن هذا» .

قال الحاكم: وسمعت محمد بن يوسف المؤذن سمعت أبا حامد ابن الشرقي يقول: حضرت مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقال: ألا من قال لفظي بالقرآن مخلوق فلا يحضر مجلسنا، فقام مسلم بن الحجاج من المجلس. رواها أحمد بن منصور الشيرازي عن محمد بن يعقوب، فزاد، وتبعه أحمد بن سلمة.

قال أحمد بن منصور الشيرازي: سمعت محمد بن يعقوب ابن الأخرم، سمعت أصحابنا يقولون: لما قام مسلم وأحمد بن سلمة من مجلس الذهلي، قال الذهلي: لايساكنني هذا الرجل في البلد. فخشي البخاري وسافر[1].

---

(١) السير١٢/ ٤٦٠، وقال ابن حجر معقباً على موقف مسلم "وقد أنصف مسلم فلم يحدث في كتابه عن هذا ولا هذا» هدي الساري ٤٩١، وهناك رواية معلقة مرجوحة في سبب انقطاع مسلم عن الذهلي، قال الحاكم: «وقال مكي بن عبدان: وافى داود بن علي الأصبهاني نيسابور أيام إسحاق بن راهويه، فعقدله مجلس النظر، وحضر مجلسه يحيى ابن الذهلي ومسلم بن الحجاج، فجرت مسألة تكلم فيها يحيى، فزبره داود، قال: اسكت ياصبي ولم ينصره مسلم، فرجع إلى أبيه، وشكا إليه داود، فقال أبوه: ومن كان ثَمَّ؟ قال: مسلم ولم ينصرني، قال: قد رجعت عن ماحدثته به، فبلغ ذلك مسلماً، فجمع ماكتب عنه في زنبيل، وبعث به إليه وقال لأأروي عنك أبداً. قال أبو عبدالله الحاكم: علقت هذه الحكاية، عن طاهر بن أحمد عن مكي، وقد كان مسلم يختلف بعد هذه الواقعة إلى محمد بن يحيى، وإنما انقطع عنه من أجل البخاري... الخ. سير أعلام النبلاء١٢/ ٥٧١.

وقال الذهبي رحمه الله: ثم إن مسلماً لحدة في خلقه، انحرف أيضاً عن البخاري، ولم يذكر له حديثاً، ولاسماه في صحيحه، بل افتتح كتابه بالحط على من اشترط اللقي لمن روى عنه بصيغة «عن»... الخ، السير١٢/ ٥٧٣.

خروج الإمام البخاري من نيسابور

قال أبو عبدالله الحاكم: أول ماورد البخاري نيسابور سنة تسع ومئتين، ووردها في الأخير سنة خمسين ومئتين فأقام بها خمس سنوات يحدث على الدوام[1]. وهناك رواية تذكر دخول البخاري إلى «مرو»[2] وأنه سئل فيها عن اللفظ، ولانعلم إن كان دخوله إياها أثناء إقامته بنيسابور، أو بعد خروجه منها في المرة الأخيرة وكانت قبل بخارى.

قال أحمد بن منصور الشيرازي سمعت القاسم بن القاسم يقول: سمعت إبراهيم ورّاق أحمد بن سيار يقول: لما قدم البخاري مرو استقبله أحمد بن سيَّار فيمن استقبله، فقال له أحمد: ياأبا عبدالله، نحن لانخالفك فيما تقول، ولكن العامة لاتحمل ذا منك. فقال البخاري: إني أخشى النار، اسأل عن شيء أعلمه حقاً أن أقول غيره، فانصرف عنه أحمد بن سيار[3].

ويبدو أن خروجه من نيسابور كان عام ٢٥٥هـ وتوجه إلى بخاري وفيها حدث له من المحن والشدائد ما الله به عليم.

---

(١) السير ١٢/ ٤٠٤.

(٢) «مَرْوُ» الرُّوذ والنسبة إليها «مروذي» ومرو الشاهجان والنسبة إليها «مَرْوَزي» وبينهما خمسة أيام والأخيرة هي أشهر مدن خراسان وبينها وبين نيسابور ٧٠ فرسخاً. معجم البلدان ٥/ ١١٢.

(٣) السير ١٢/ ٤٦٢، وانظر ترجمة أحمد بن سيَّار ص ٢٢٤.

محنة البُخَارِي في بُخَارَى* مع أميرها خالد بن أحمد الذهلي**

قال غنجار في تاريخه: « سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد المقرىء، سمعت بكر بن منير بن خليد بن عسكر يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن احمل إلي كتاب «الجامع» و«التاريخ» وغيرهما لأسمع منك فقال لرسوله: أنا لاأذل العلم، ولاأحمله إلى أبواب الناس. فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضر في مسجدي، أو في داري. وإن لم يعجبك هذا فإنك سلطان، فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند اللّه يوم القيامة، لأني لاأكتم العلم لقول النبي صلى اللّه عليه وسلم: « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار»(١) فكان سبب الوحشة بينهما هذا(٢). وقال الحاكم: «حدثنا خلف بن محمد حدثنا سهل بن شاذرية قال: كان محمد بن إسماعيل يسكن سكَة الدّهقان، وكان جماعة يختلفون إليه يظهرون شعار أهل الحديث من إفراد الإقامة، ورفع الأيدي في الصلاة وغير ذلك فقال حريث ابن أبي ورقاء وغيره: هذا رجل مشغب، وهو يفسد علينا هذه المدينة، وقد أخرجه محمد بن يحيى من نيسابور، فاحتجوا عليه بابن يحيى، واستعانوا عليه بالسلطان في نقيه من البلد، فأخرج وكان محمد بن

(*) بُخَارى: بالضم، من بلاد خراسان، وهي بلد واسع يشفّ على المدن كبراً ومحاسن وكثرة أشجار، افتتحها سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاوية رضي الله عنه، وقد استباحها التتر سنة ٦١٦هـ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي١/ ٣٥٣، والروض المعطار للحميري ص٨٢.

(**) سبقت ترجمته ص ٥٨.

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه(٣٦٥٨) في كتاب العلم باب كراهية منع العلم (٤/ ٦٧) وأورده الألباني في صحيح أبي داود وقال: حسن صحيح ٢/ ٦٩٦.

(٢) السير ١٢/ ٤٦٤.

إسماعيل ورعاً يتجنب السلطان ولايدخل عليهم»[1]. وفي رواية رواها الحاكم عن محمد بن العباس الضبي أن سبب اخراج البخاري هو عدم حمل كتابيه الجامع والتاريخ إلى أمير بخارى فاستعدى عليه ببعض أهل بخارى ومنهم حريث ابن أبي الورقاء وتكلموا في مذهبه ونفي عن البلد [2].

وهناك روايات فيها أن محمد بن يحيى الذهلي كتب إلى أمير بخارى خالد ابن أحمد بما أظهره البخاري في نيسابور من اللفظ مما كان سبباً في إخراجه..... وهذه الروايات لاتخلو من ضعف واضطراب ومثال ذلك :-

رواية أحمد بن منصور الشيرازي قال : سمعت بعض أصحابنا يقول: لما قدم أبو عبداللّه بخاري نُصبَ له القباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكورَ إلا استقبله، ونُثر عليه الدنانير والدراهم والسكر الكثير، فبقي أياماً. قال فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد بن أحمد الذهلي أمير بخاري أن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة فقرأ كتابه على أهل بخارى، فقالوا لانفارقه فأمره الأمير بالخروج من البلد فخرج»[3].

وهذه الرواية الوحيدة على انقطاع سندها كما هو واضح فإن الشطر الأخير منها يخالف تماماً مانقله نفس الراوية ونفس النص[4] إلا جزءه الأخير والذي يفيد أن الذهلي لم يكن له في القضية أي تدخل، وانما وقع بين البخاري وبين أمير بخارى فامره بالخروج إلى بيكند وهذا اضطراب، إذ إن الروايتين كلتيهما رويتا عن الشيرازي وجزء يها الأخيرين متناقضان تماماً. وقال الذهبي لما ذكرها: هذه رواية شاذة منقطعة والصحيح مايأتي بخلافها[5].

---

1) تاريخ بغداد٢/ ٣٣، طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٣٢، هدي الساري ص ٤٩٣، سير أعلام النبلاء١٢/ ٤٦٥.

(٢) هدي الساري ٤٩٣، السير١٢/ ٤٦٤، تاريخ بغداد٢/ ٣٣، طبقات الشافعية الكبرى٢/ ٢٣٣.

(٣) السير١٢/ ٤٦٣.

(٤) انظره في هدي الساري ٤٩٣.

(٥) السير ١٢/ ٤٦٤.

« وذكر ابن كثير أن كتاب الذهلي وصل إلى أمير بخارى في وقت اختلافه مع محمد بن إسماعيل . . . الخ » وكان كلامه رحمه اللّه عارياً من الاسناد والتوثيق وإن كان هو إمام المحدثين والناقدين . ولكنه كان أقرب إلى التعليق والتدليل على أن البخاري مستجاب الدعوة لأنه دعا على أمير بخارى فاستجاب اللّه دعاءه كما سأورده بعد قليل [1] .

وثمّ رواية ثالثة أوردها الذهبي في سيره قال : " سمعت ابن الأخرم يقول سمعت أحمد بن سلمة يقول : سئل محمد بن إسماعيل البخاري عن القرآن فقال : كلام اللّه . فقالوا كيفما تصرَّف؟ فقال : والقرآن يتصرف بالألسنة؟ فأُخبر محمد بن يحيى فقال : من أتى مجلسه فلا يأتيني وأخرج جماعة ، فخرج إلى بخارى . وكتب الذهلي إلى خالد أمير بخارى وإلى شيوخها بأمره ، فهمّ خالد حتى أخرجه محمد بن أحمد بن حفص إلى بعض رباطات بخارى ، فبقي إلى أن كتب إلى أهل سمرقند يستأذنهم في القدوم عليهم ، فامتنعوا عليه ومات في قرية [2] .

وهذه الرواية إجابات البخاري فيها تخالف ماعرف عنه من بيان لموقفه دون تردد «وتفصيله لمذهبه» الذي سبب له الخروج من نيسابور ، فكيف يكتفي هنا بمثل هذه الإجابات وقد عاهد اللّه أن يقول الحق . . . . . !

هذه هي الروايات التي تذكر أن للذهلي ضلعاً في إيذائه ببخارى . . . . وهي كما ترى لاتثبت أمام الروايات المذكورة والتي تؤكد أن محنته رحمه اللّه كانت محض خلاف ووحشة مع أميرها خالد الذي استعدى عليه بعض أتباعه واستغلوا موقف الذهلي منه فشهروا به وأخرجوه . وعلى فرض تماسك هذه

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٢٧ .

(٢) السير ١٢/ ٦١٧ . والذي أخرج البخاري إلى الرباط هو ابن الزبرقان وكان رفيقاً له أيام الطلب وكان كما ذكره الذهبي عالم ماوراء النهر ، إمام للحنفية ثقة ورعاً صاحب سنة واتباع . واسم القرية « خرتنك » كما سيأتي .

الروايات سندا ومتناً وأن الذهلي قد كاتب أمير بخارى. . فإن البخاري موقفه متباين من الطائفتين. . . ففي حين نجده يعذر الذهلي فيما عمل معه ويؤول عمله بالحسد ومن ثم يروى عنه في صحيحه ٣٤ حديثاً، وفي غير الصحيح ويكتفي بألا يذكر اسمه كاملاً[١]، نجده في المقابل يدعو على أمير بخارى وابن أبي الورقاء ومن عاونهما عليه، وكأنه شعر أنهم يعادونه بهتاناً وظلماً ودونما سبب وجيه. . . وتروي لنا الأخبار أن اللّه استجاب دعاءه فأراه فيهم عجائب قدرته كما سيأتي بعد قليل.

وقد اشتدت المحنة بالبخاري في بخارى وكان صابراً مفوضاً أمره إلى اللّه، ولكنه أخيراً دعا عليهم فمزقهم اللّه.

قال محمد ابن أبي حاتم: «سمعت البخاري يقول: لم يكن يتعرض لنا قط أحد من أفناء الناس إلا رمي بقارعة، ولم يسلم، وكلما حدث الجهال أنفسهم أن يمكروا بنا رأيت من ليلتي في المنام ناراً توقد ثم تطفأ من غير أن ينتفع بها فأتأول قوله تعالى **﴿ كلماأوقدوا ناراً للحرب أطفأها اللّهَ﴾**[٢]، وكان هجِّيراه من الليل إذا أتيته في آخر الليل مقدمه من العراق **﴿إن ينصركم اللّه فلا غَالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾**[٣].

وقال ابن أبي حاتم: أتى رجل إلى أبي عبداللّه البخاري فقال: ياأبا عبداللّه إن فلاناً يكفرك فقال: قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (**إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء به أحدهما**)[٤]. وكان كثير من أصحابه يقولون له: ان بعض الناس

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٣٤.

(٢) المائدة: ٦٤.

(٣) آل عمران: ١٦٠.

(٤) أخرجه في صحيحه الإمام البخاري في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال ٧/ ١٢٦ من حديث أبي هريرة واللفظ له، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخية المسلم: يا كافر ١/ ٧٩، من حديث عبد الله بن عمر بنحوه.

يقع فيك فيقول: ﴿ **إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾[1] ويتلو ﴿ **ولايحيق المكر السيء إلا بأهله** ﴾[2] فقال له عبدالمجيد بن إبراهيم: كيف لاتدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك؟ فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «اصبروا حتى تلقوني على الحوض» [3] وقال صلى الله عليه وسلم «من دعا على ظالم فقد انتصر»[4] [5].

وقد جعلت ذكر أحواله هذه في محنته ببخارى لأننا لم نجده في أي رواية يرمي الذهلي بما يرمي به أهل بخارى من الكيد والمكر، بينما نجده في نيسابور صابراً مبيناً للناس مذهبه وكأنه كان عاذراً للذهلي، ويؤكد هذا أنه لم تمر بنا رواية واحدة تبين إصابة الذهلي بدعاء البخاري الذي دعاه على أهل بخارى فقال « اللهم أرهم ماقصدوني في أنفسهم وأولادهم وأهليهم » فاستجاب الله دعاءه. فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الطاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان وأشخص على إكاف ثم صار عاقبة أمره إلى الذل والحبس. وأما حريث ابن أبي الورقاء فانه أبتلي في أهله فرأى فيها مايجل عن الوصف، وأما فلان فانه أُبتلي في أولاده فأراه الله فيهم البلايا» [6].

---

(١) النساء: ٧٦.

(٢) فاطر: ٤٣.

(٣) آخر عبارة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ٥/ ١٢٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ٢/ ٧٣٨، حديث رقم ١٠٦١، كلاهما من طريق عبد الله بن عاصم مرفوعاً بمثله.

(٤) حديث ضعيف أخرجه الترمذي في الدعوات ٥/ ٥١٨، باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٣٥٥٢ وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي حمزة. وأخرجه أيضاً في العلل الكبير ٢/ ٩٢٢، وذكر فيه تضعيف البخاري الشديد لأبي حمزة، والحديث ضعفه أيضاً المناوي في فيض القدير ٦/ ١٦٣.

(٥) السير ١٢/ ٤٦١.

(٦) من رواية الحاكم عن أبي العباس الضبي، هدي الساري ص ٤٩٣، السير ١٢/ ٤٦٥، طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٣٣. أما الأمير خالد فقد ذكر الخطيب البغدادي من أخباره ما يلي: « كان نصرك البغدادي يفيد خالد بن أحمد الأمير ببخارى عن ستمائة محدث، غير أن محمد بن =

أما البخاري فقد خرج إلى قرية خَرْتَنْك[1] على فرسخين من سمرقند، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، ويروي عبدالقدوس بن عبدالجبار السمرقندي أنه سمعه ليلة يدعو وقد فرغ من صلاة الليل، اللهم إنه قد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت فاقبضني اليك[2] فما تم الشهر حتى مات، وقبره بخرتنك.

وقال محمد ابن أبي حاتم: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبدالله يقول: «إنه أقام عندنا أياماً فمرض، واشتد به المرض، حتى وجه رسولاً إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد[3] فلما وافى تهيأ للركوب، فلبس خفيه وتعمم، فما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها، وأنا آخذ بعضده، ورجل آخر معي يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال رحمه الله: أرسلوني فقد ضعفت، فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى رحمه الله فسال منه العرق شيء لايوصف، فما سكن منه العرق حتى أدرجناه في ثيابه.... الخ»[4] وكانت وفاته ليلة عيدالفطر عند صلاة العشاء عام ست وخمسين ومائتين من الهجرة النبوية.

= إسماعيل حبس عنه ببخارى وأظهر الاستخفاف به، فاعتل عليه خالد باللفظ فنفاه من بخارى حتى مات في بعض قرى سمرقند، وقد قال بعض أهل العلم: إن مافعله بمحمد بن إسماعيل البخاري كان سبب زوال ملكه" وقصة ذلك ماوراه أبو رجاء السندي قال: كان خالد بن أحمد اشتد على الطاهرية في آخر أمورهم ومال إلى يعقوب بن الليث القائم بسجستان، فلما حمل محمد بن طاهر إلى سجستان كان خالد بهراة فتكلم في وجهه بما ساءه، ثم اجتاز خالد ببغداد حاجاً سنة تسع وستون فحبس ببغداد ومات في الحبس سنة تسع وستين ومائتين وقيل توفي سنة سبعين ومائتين. تاريخ بغداد ٨/ ٣١٤.

(١) خَرْتَنْك: قال ياقوت: بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وفتح التاء المثناة من فوق، ونون ساكنة، وكاف: قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ، بها قبر محمد بن إسماعيل البخاري، ينسب إليها أبو منصور غالب ابن جبريل الخَرتنكي، وهو الذي نزل عليه البخاري ومات في داره. معجم البلدان٢/ ٣٥٦ اللباب١/ ٤٣٠، مراصد الإطلاع، لصفي الدين البغدادي ١/ ٤٥٧.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٤، طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٣٢، السير١٢/ ٤٦٦، هدي الساري٤٩٣.

(٣) في هدي الساري« فمرض أياماً حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم» ص٤٩٣.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٣٣، السير١٢/ ٤٦٦، هدي الساري ص ٤٩٣.

المطلب الثالث
اعتذارات العلماء عن البخاري والذهلي وتوجيهاتهم لمثل هذه الاختلافات

وبعد هذه الجولة مع مسألة اللفظ، وما في ثناياها من الاختلاف، وما في طيَّات الأحداث بين الإمامين البخاري والذهلي من غصص وآلام. . . . . لابد أن ننشر على هذه الأحداث« زهوراً . . . فيَّاحة الشذا» من الاعتذارات أهداها أسلافنا لأسلافهم رحمهم اللّه أجمعين.

وأتوج هذه الاعتذارات والتوجيهات . . بموقف الإمام البخاري الأخلاقي النبيل الذي، تخطَّى حدود الاختلاف وتجاوز حظوظ النفس . . وهو روايته عن الذهلي أربعة وثلاثين حديثاً[1] في جامعه الصحيح الذي يعد أصح كتاب في الدين بعد كتاب اللّه واكتفي بألاَّ يذكر إسمه كاملاً. ففي إثباته هذه المرويات توثيق له ولعله التمس له عذر الاجتهاد في الأمر بخلاف أهل بخارى الذين دعا عليهم.

وقد جُمِعَ البخاري والذهلي في مقامات الثناء والمتابعة للسنة وسلامة العقيدة في مواطن: -

* منها: - قول ابن تيمية رحمه اللّه عند كلامه على تعطيلات الجهمية وتأويلات غيرهم لصفات اللّه تبارك وتعالى « . . . ولما كان الاثبات هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم ومحمد بن يحيى الذهلي . . . . . »[2].

* ومنها: - ماذكره شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني في رسالته القيمة « عقيدة السلف أصحاب الحديث» بعد كلام أبي رجاء قتيبة بن سعيد ،

---

(١) هذه الأحاديث متفرقة في كتاب الجامع وسأشير إليها جميعاً عند الحديث عن مرويات الذهلي.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٨.

وأحمد بن سلمة أن من أحب سفيان الثوري ومالكاً والأوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبا الأحوص وشريكاً ووكيعاً ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي . . . وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن يحيى . . . . . فهو صاحب سنة . . . . . قال رحمه اللّه بعد هذا : « وأنا ألحقت بهؤلاء من أئمة الحديث الذين بهم يقتدون، وبهداهم يهتدون، ومن جملتهم وشيعتهم أنفسهم يعدّون، وفي اتباع آثارهم يجدّون، جماعة آخرين وذكر من كل طبقة عدداً. . . . إلى أن ذكر محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إسماعيل البخاري . . . إلى أن قال : وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين بها ، الناصرين لها الداعين إليها، الدالين إليها، . . . . وهذه الجمل« يقصد ماأسلفه من عقيدة السلف» كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضاً بل أجمعوا عليها كلها واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب إلى اللّه عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم »(١) .

* ومن هذه التوجيهات قول الإمام البيهقي « . . . . ولمحمد بن يحيى مع محمد بن إسماعيل البخاري رحمهما اللّه تعالى في ذلك قصة طويلة، فإن البخاري كان يفرق بين التلاوة والمتلو، ومحمد بن يحيى كان ينكر التفصيل . . . . الخ»(٢) .

---

(١) الرسالة مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٠٥ .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٦٧ .

ومن الاعتذارات في مثل هذه الأحداث بين الأقران على اختلاف الدوافع

ماقاله الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمته لأبي نعيم الأصبهاني وماحدث بينه وبين ابن منده في مسألة اللفظ[1] قال: كلام الأقران بعضهم في بعض لايعبأ به لاسيمّا إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وماينجو منه إلا من عصم اللّه وماعلمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى النبيين والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس. . . . الخ».

وقد سبق عرض بعض تحليلاته واعتذاراته [2] وماأعظم اعتذارات الإمام ابن تيمية رحمه اللّه فقد قال:

«وأعظم ماوقعت فتنة اللفظ بخراسان، وتُعُصِّبَ فيها على البخاري- مع جلالته وإمامته- وإن كان الذين قاموا عليه أيضاً أئمة أجلاء، فالبخاري رضى اللّه عنه من أجل الناس. وإذا حَسُنُ قَصدهم، واجتهد هو وهم، أثابة اللّه وإياهم على حسن القصد والاجتهاد. وإن كان قد وقع منه أو منهم بعض الغلط والخطأ فاللّه يغفر لهم كلهم، ولكن من الجهال من لايدري كيف وقعت الأمور، حتى رأيت بخط بعض الشيوخ الذين هم على علم ودين يقول: مات البخاري بقريه« خَرَتَنْك» فأرسل أحمد إلى أهل القرية يأمرهم أن لايصلوا عليه لأجل قوله

---

(١) كان ابن مندة ممن يقول « اللفظ بالقرآن غير مخلوق» وأبي نعيم يقول « اللفظ به مخلوق» وهما ممن أتى بعد البخاري والذهلي، وكان أيضاً ابن مندة من أصحاب أحمد « الحنابلة» وأبي نعيم «كان من الأشعرية» وكان كلامهما في بعضهما شديداً. راجع سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣ ترجمة أبي نعيم، وراجع ميزان الإعتدال ١/ ١١١.

(٢) انظر على سبيل المثال ص ٣٧٦-٣٧٧ .

في مسألة اللفظ وهذا من أبين الكذب على أحمد والبخاري، وكاذبه جاهل بحالهما، فإن البخاري رضى اللّه عنه توفي سنة ست وخمسين بعد موت أحمد بخمسة عشر عاماً». [1]

ومن أبين وأبلغ توجيهاته وإعتذراته قوله: « واختلاف الناس في هذا الباب وغيره كثير منه يكون « اختلاف تنوع » مثل أن يقصد هذا حقاً فيما يثبته، والآخر يقصد حقاً فيما نقضه، وكلاهما صادق. ولكن يظنان أن بينهما نزاعا معنويا، ولايكون الأمر كذلك، وكثير من النزاع يعود إلى إطلاقات لفظيَّة، لا إلى معان عقلية وأحسن الناس طريقة من كان اطلاقه موافقاً للإطلاقات الشرعية، والمعاني التي يقصدها معان صحيحة، تطابق الشرع والعقل»[2]. ويقول بعد كلام له طويل عن قضايا خلق القرآن واللفظ والحرف والصوت: «والمقصود هنا التنبيه على أن هذه مقامات دقيقة، مشكلة بسببها افترقت الأمة واختلفت، فإذا اجتهد الرجل في متابعة الرسول والتصديق بما جاء به وأخطأ في المواضع الدقيقة التي تشتبه على اذكياء المؤمنين، غفر اللّه له خطاياه، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ **ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ وقد ثبت في الصحيح أن اللّه قال: قد فعلت[3]. ويقول أيضاً رحمه اللّه: - والذي يعلم من حيث الجملة أن الإمام أحمد والأئمة الكبار الذين لهم في الأمة لسان صدق عام لم يتنازعوا في شيء من هذا الباب، بل كان بعضهم أعظم علماً به وقياماً بواجبه من بعض، وقد غلط في بعض ذلك من أكابر الناس جماعات، وقد ردَّ الإمام أحمد عامة البدع في هذا الباب هو و الأئمة[4].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٢٠٨.
(٢) مجموع الفتاوى ١٢/٢١٣.
(٣) مجموع الفتاوى ١٢/١٨٨-١٨٩.
(٤) مجموع الفتاوى ١٢/٤١٧.

وآخر كلامه يقول : ولاريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة، وإن كان ذلك في المسائل العلميَّة، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة. . . الخ[1].

قُلْتُ: رحم اللّه سَلَفَنا الصالح ماأحسن سيرهم وماأعظم تفانيهم وماأحرصهم على دين اللّه ونقائه وصفائه ، حتى لو ذهبت حظوظ أنفسهم بل لو فقدت أرواحهم ، اسأل الله العزيز أن يوفقنا لاقتفاء آثارهم. . . والتحلي بأخلاقهم والتسامي لهِمَمهم. . . والانتفاع بعلمهم . . . فلن يحفظ الدِّين إلا بأمثالهم.

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية ٢/٤٨ باعتناء عبدالرحمن الوكيل.

المبحث الخامس

أثر مسألة اللفظ في صفوف المحدثين

ما من شك . . أن من تمعّن في هذه المسألة وعرف حقيقة أمرها . . وأنها لاتعدو مجرد خلاف لفظي عند مستقيمي الإعتقاد المتبعين لمنهج السلف في كل قضايا العقيدة وبالأخص مايتعلق بالقرآن الكريم ، ما من شك أن القضيَّة ستقف عند ذلك الحد .

بيد أن الملاحظ من استعراض الأحداث بين الإمامين الذهلي والبخاري أن المسألة قد أخذت مدىً بعيداً ـ وهما جبلان من جبال العقيدة السلفية الصحيحة بشهادات الأئمة ـ وهذا يدلُ بجلاء ووضوح أن هذه المسألة ماهي إلا بذرة من بذور الخلاف والشقاق وكيد من الشيطان وأعوانه لمواكب الإيمان التي استعصت قبل في مسألة (القرآن) هل هو مخلوق أم لا؟ فلما تبدّد حلمهم بتقويض كيان الأمة في اعتقادها في كتاب ربها، داعبهم الأمل في توهين أمر المحدثين وتفريق صفوفهم، وتشتيت شملهم لأنهم عماد الأمة في حفظ عقيدتها . . . فتصدع ذلك البناء الشامخ ولكنه لم يسقط، وتضعضع ذلك الركب المبارك ولكنه أبى إلا الصمود والثبات .

والحديث عن آثار هذه المسألة في صفوف المحدثين يحتاج إلى بحث مستقل واستقراء وتقصي . . . بيد أنه يكفينا في هذه العجالة ذكر ما اتضح وظهر من آثارها .

١ – خلخلة صفوف المحدثين وقطع حبال الود بينهم .

وأول حادثة لهذا ما حصل بين الإمام أحمد والكرابيسي وقد سبق بيانه . فإن الكرابيسي وإن كان من متكلمة السنة إلا أن له جهوداً قوية في العلم والتصنيف وكان بينه وبين الإمام أحمد ثقة ومحبة . ولما أظهر هذه المسألة تبدلت الأحوال .

قال الإمام ابن عبد البر في ترجمة الكرابيسي : « وكانت بينه وبين أحمد بن حنبل صداقة وكيدة ، فلما خالفه في القرآن ، عادت تلك الصداقة عداوة ، فكان كل منهما يطعن على صاحبه . . . »[1] .

ويصور هذا المعنى أيضاً قول الإمام ابن قتيبة رحمه اللّه : «وكان آخر ماوقع من الاختلاف أمراً خصَّ بأصحاب الحديث الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين ، وبالإتباع قاهرين ، يداجون بكل بلد ولايداجون ويستتر منهم بالنحل ولايستترون ويصدعون بحقهم الناس ولايستغشون لايرتفع بالعلم إلا من رفعوا ولايتضع فيه الا من وضعوا . ولاتسير الركبان إلا بذكر من ذكروا إلى أن كادهم الشيطان بمسألة لم يجعلها اللّه تعالى أصلاً في الدين ولافرعاً في جهلها سعة وفي العلم بها فضيلة ، فنمى شرها وعظم شأنها حتى فرقت جماعتهم . . الخ»[2]

ولعل أقرب الشواهد لما صوره الإمام ابن قتيبة افتراق الإمامين الذهلي والبخاري بسبب هذه المسألة . وبصرف النظر عن جميع ملابسات ذلك الإفتراق والخلاف - وقد سبق بيان كل ذلك - فإن هذه المسألة قد كانت سبباً في ضياع الجهود وتمزق الصف إزاء الأعداء الحقيقيين كالجهمية والنواصب وسواهم . وقد ترجم ذلك الإمام الذهلي لما خرج لاستقبال الإمام البخاري حيث قال لمن حوله من طلبة العلم : « لا تسألوه عن شيء من الكلام ، فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه ، وقع بيننا وبينه ، ثم شمت بنا كل حروريّ ، وكل رافضي ، وكل جهمي ، وكل مرجيء بخراسان »[3]

وكان الإمام مسلم أيضاً طرفاً ثالثاً ناله ذلك الأثر ، فترك الرواية عن الإمام الذهلي ، وبعث بكل ما رواه عنه على ظهر حمال إلى بابه لما حرّج الذهلي في

---

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، ص١٠٦ .
(٢) الإختلاف في اللفظ ص ١١ .
(٣) السير ١٢/ ٤٥٨ .

مجلسه على من يقول بقول البخاري ألاّ يحضره . . . وقد كان أبوزرعة رحمه الله يتمنى لو تمهل مسلم في فعله ذلك ولم يفوت على نفسه الرواية عن شيخه الذهلي ويداريه ويتحمل تشدده في المسألة فقال : « هذا ليس له عقل، لو دارى محمد بن يحيى لصار رجلاً . (١)

٢- إضطراب الأئمة في التعامل مع من تفوّه بشيء في المسألة . ولا شك أن دقّة المسألة وخفاء المراد منها ، جعل عدداً من الأئمة - غير الذهلي - يشتدون على الإمام البخاري ويظنون به ظناً بعيداً وذلك بسبب تلويحه بالحق الذي في المسألة ومن ذلك ترك الإمامين أبي حاتم وأبي زرعة لحديث البخاري بعد أن سمعا منه في بلدهما « مرو » وذلك بعد أن كتب إليهما الذهلي بأمره في نيسابور . (٢) . وعقّب الإمام الذهبي على ذلك فقال : « إن تركا حديثه أو لم يتركاه، فالبخاري ثقة مأمون، محتج به في العالم » (٣) . ومن ذلك أيضاً توهين أبي بكر الأعين (٤) لأمر الإمام البخاري . بعد ظهور المسألة وذلك لما تعرض للثناء على مشايخ ورجال خراسان حيث قال : مشايخ خراسان ثلاثة : قتيبة ، وعلي بن حجر ، ومحمد بن مهران الرازي ، ورجالها أربعة : عبدالله بن عبد الرحمن السمرقندي ، ومحمد بن إسماعيل البخاري قبل أن يظهر منه ما ظهر ، ومحمد ابن يحيى ، وأبو زرعة ». (٥) وقد علق الذهبي على ذلك فقال : « هذه دقة من الأعين ، والذي ظهر من محمدأمر خفيف من المسائل التي اختلف فيها الأئمة في

---

(١) السير ١٢/ ٢٨١ .

(٢) الجرح والتعديل ٧/ ١٩١

(٣) السير ١٢/ ٤٦٣

(٤) هو محمد ابن أبي عتّاب الحسن بن طريف البغدادي روى عن علي ابن المديني وأحمد بن حنبل، وعنه مسلم وأبو زرعة وأبو حاتم ، قال الخطيب : لم يكن بالحافظ للطرق والعلل وأما الصدق فليس بمدفوع منه . قال عبدالله ابن أحمد : (. . . فترحم عليه أبي، وقال : إني لأغبطه، مات وما يعرف إلا الحديث، لم يكن صاحب كلام) . مات سنة (٢٤٠) . سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٢٠ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٩٨

(٥) السير ١١/ ٥٠٩ .

القـول في القـرآن . . . » الخ [١] . والإمام الذهبي قد اتضـحت له الرؤى لتأخره الزمني فلم يفاجأ بالمسألة كحال المعاصرين لها . لذا فإن جدَّة الموضوع وخطورة بعض جوانبه قد سببت هذا الإضطراب ، والله أعلم .

٣ - تجاوز الحد - في المنافـرة - بسببها إلى الشتم والسباب والإعتداء بالفعل . ومن ذلك ما وقع بين الإمامين أبي عبد الله بن منده وأبي نعيم الأصبهاني [٢] ، من إختلاف في المسألة على نحو إختلاف الإمامين الذهلي والبخاري .

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : « وقع بين أبي نعيم الأصبهاني وأبي عبدالله ابن منده في مسألة اللفظ ما هو معروف ، وصنَّف أبو نعيم في ذلك كتابه في الرد على اللفظيَّة الحلوليَّة ، ومال فيه إلى جانب الثقات القائلين بأن التلاوة مخلوقة ، كما مال ابن مندة إلى جانب من يقول إنها غير مخلوقة ، وحكى كل منهما عن الأئمة ما يدل على كثير من مقصوده لا على جميعه ، فما قصده كل منهما من الحق وجد فيه من المنقول الثابت عن الأئمة ما يوافقه » [٣]

وقد تطور هذا الخلاف بينهما إلى نوع من الإعتداء بالقول . وفي ذلك يقول الإمام الذهبي : « كان أبو عبدالله بن منده يقذع في المقال في أبي نعيم لمكان الإعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن ، ونال أبو نعيم أيضاً من أبي عبدالله في «تاريخه» وقد عرف وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض . نسأل الله السماح » [٤]

---

(١) السير ١١/ ٥١٠

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء ، كان من الأعلام المحدثين ، ولد سنة ٣٣٠- وتوفى سنة ٤٣٠هـ بأصبهان . وفيَّات الأعيان ١/ ٩١ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٠٩ ، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٣/ ٢٩٢ .

(٤) السير ١٧/ ٤٦٢ .

وقد أحسن الإمام الذهبي إذ ردّ كلام كل منهما في الآخر - وهو منهج المحدثين - وأثنى عليهما جميعاً فقال : وكل منهما فصدوق في نفسه ، غير متهم في نقله بحمد الله[(١)]

وقد شغب ابن منده على أبي نعيم حتى اختفى وقد روى أحد أحفاده واقعة في ذلك قال يحيى بن منده : سمعت عمي عبدالرحمن، سمعت محمد بن عبدالله الطبراني يقول : قمت يوماً في مجلس والدك رحمه الله، فقلت : أيها الشيخ ، فينا جماعة ممن يدخل على هذا المشؤوم - أعني أبا نعيم الأشعري - فقال : أخرجوهم . فأخرجنا من المجلس فلاناً وفلاناً، ثم قال : على الداخل عليهم حرج أن يدخل مجلسنا أو يسمع منَّا، أو يروي عنّا، فإن فعل فليس هو منا في حل . .

وعلق الذهبي على ذلك قائلاً : قلت : ربما آل الأمر بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحدة فيقع في الهجران المحرّم، وربما أفضى إلى التكفير والسعي في الدم، وقد كان أبو عبدالله وافر الجاه والحرمة إلى الغاية ببلده » . [(٢)]

وبالفعل فقد اندفع بعض الحنابلة من طلبة العلم المشغبين على رجل دعاهم للإستفادة من أبي نعيم في مجلسه وكادوا يقتلونه، روى السّلفي قال : سمعت محمد بن عبدالجبار الفرْساني يقول : «حضرت مجلس أبي بكر ابن أبي علي المعدَّل في صغري مع أبي فلما فرغ من إملائه قال إنسان : من أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم فليقم . وكان مهجوراً في ذلك الوقت بسبب المذهب، وكان بين الحنابلة والأشعرية تعصب زائد يؤدي إلى فتنة، وقال وقيل وصداع، فقام إلى ذلك الرجل أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام، وكاد أن يقتل » [(٣)]

---

(١) السير ١٧/ ٣٤.

(٢) السير ١٧/ ٤٠-٤١.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٩٥ ، طبقات علماء الحديث ٣/ ٢٩١.

وقد علمت مكانة أهل الحديث بين علماء الأمة قاطبة. من حيث الورع والتقى وحسن السمت، مع الحفاظ على العقيدة ونشرها والدفاع عنها بمثل ماأثر عن سيِّد المرسلين صلى الله عليه وسلم. من إقتناع وثبات مع تمني الهداية والرشاد للناس أجمعين وتلكم هي وظيفة هذه الأمة الربانّية. وإن ثبت بعد التحري على شخص ماتلبسه ببدعة أو مخالفة لمنهج السلف، فيجانب بعد أن ينصح ويحذَّر. كما فعل الذهلي رحمه الله مع البخاري حسب اجتهاده وفهمه للمسألة. مع أن البخاري رحمه الله، وأحسن مثواه كان على الحق. والذهلي كان يعتقد مايعتقده البخاري ولكن تباينت توجهاتهما الدعويَّة وأساليبها الحركية في مجتمع يعيث فيه أصحاب الأهواء فساداً.. وقد سبق بيان ذلك.

والعلماء الأئمة رحمهم الله كانوا أقدر من غيرهم على ضبط المشاعر والتروي.. بيد أن طلبة العلم قد شعبوا المسائل وتعصبوا وأساءوا ولذا بكَّتهم الإمام الذهبي على صنيعهم بذلك الرجل فقال: «ماهؤلاء بأصحاب الحديث، بل فجرة جهلة، أبعد الله شرَّهم»[1]

وهكذا كانت هذه المسألة سبباً مباشراً في الاعتداء بالقول والفعل من كلا الطرفين.

٤ - أصبحت هذه المسألة سبباً في جرح أئمة كبار بما لايوجب جرحاً.

وهذا الأمر جدَّ بعد نشوء مسألة اللفظ ووقوع الإختلاف فيها. فكثر في كتب الجرح والتعديل وتراجم الرجال النبز باللفظ، وأن فلاناً تكلم في اللفظ، وغير ذلك، والمؤلم في هذا أن الجارح والمجروح هم من أهل الحديث أو ممن يدور في فلكهم.. بعيدين عن أهل الأهواء والضلال. فتشانؤا واتهم بعضهم بعضاً. وقد حكى ابن قتيبة حالهم فقال في مسألة اللفظ: «ثم انتهى بنا القول إلى غرضنا

---

(١) السير ١٧/ ٤٦٠.

من هذا الكتاب، وغايتنا من اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقرآن، وتشانئهم ، وإكفار بعضهم بعضاً. وليس ماااختلفوا فيه مما يقطع الألفة، ولا مما يوجب الوحشه، لأنهم مجمعون عى أصل واحد وهو : (القرآن كلام الله غير مخلوق) الخ[1]

ومن الأمثلة على ذلك : ماذكرة مسلمة بن قاسم في نعيم بن حماد الخزاعي [2] قال : كان صدوقاً وهو كثير الخطأ وله أحاديث منكرة في الملاحم انفرد بها، وله مذهب سوء في القرآن. كان يجعل القرآن قرآنين. فالذي في اللوح المحفوظ كلام الله تعالى، والذي بأيدي الناس مخلوق.

وقد علق الحافظ ابن حجر على كلامه هذا فقال : « كأنه يريد الذي في أيدي الناس ما يتلونه بألسنتهم ويكتبونه بأيديهم. ولاشك أن المداد والورق والكتب والتالي وصوته كلٌ مخلوق وأما كلام الله سبحانه وتعالى فإنه غير مخلوق قطعاً. [3]

ومن ذلك تجرؤ من لم يشتهر بالعلم على البخاري وأمثاله. قال الحاكم : سمعت أبا الوليد [4] - يقول: قال أبي : أي كتاب تجمع ؟ قلت : أخرج على كتاب البخاري : قال : عليك بكتاب مسلم فإنه أكثر بركة فإن البخاري كان ينسب إلى اللفظ.

قال الإمام الذهبي معلقاً: ومسلم أيضاً منسوب إلى اللفظ والمسألة مشكلة [5]

---

(١) الإختلاف في اللفظ ص ٤٣.

(٢) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي، كان في الحديث صدوقاً يخطيء كثيراً، أما في السنة فكان صلباً، ولصلابته عودي وافترى عليه ثم امتحن في مسألة خلق القرآن حتى مات في الحبس سنة٢٢٨هـ، تهذيب التهذيب١٠/ ٤١٢، التقريب، ص٥٦٤.

(٣) تهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٢.

(٤) هو حسان بن محمد بن أحمد بن هارون القزويني النيسابوري الفقيه الشافعي قال الحاكم : هو إمام أهل الحديث بخراسان وأزهد من رأيت من العلماء وأعبدهم. توفى سنة ٣٤٤ - تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٩٥.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٨٩٥.

٥ – استمرار الخلاف فيها بين الطائفتين إلى زمن متأخر جداً.

ومن أغرب آثار هذه المحنة استمرار الحرب بين الطائفتين في كل جيل من أجيال هذه الأمة. وقد حكى الإمام ابن قيم الجوزية تواتر ذلك إلى زمانه فقال: والحرب واقعة بين هذين الفريقين من بعد موت أحمد إلى الآن . . » الخ [(١)]

وما من شك أن انشغال خير أمة أخرجت للناس باطلاقات لفظيَّة لاحقيقة لها في واقع الأمر. يقلِّلْ من هيبتها، ويُطْمِعُ فيها عدوها . . وقد بلغ من تصعيدهم لهذه المسألة أن عمَّموا امتحان الناس بها فتجاوزوا العلماء والمشايخ إلى الكهول والأحداث . . وكان الأولى بكل فريق أن يتثبت ويميز الحق عن الباطل في كل إطلاق ويقف على حقيقة الخلاف قبل أن يبتلوا الناس بأمر لم يتقنوا فهمه.

ولذا يقول ابن قتيبة: «وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه ولطف معناه، فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه، ولم يكن معهم آلة التمييز، ولافحص النظارين، ولاعلم أهل اللغة. . وكل من ادعى شيئاً، أو انتحل نحلة فهو يزعم أن الحق فيما ادعى، وفيما انتحل، خلا الواقف الشاك، فإنه يقر على نفسه بالخطأ، لأنه يعلم أن الحق في أحد الأمرين اللذين وقف بينهما، وأنه ليس على واحد منهما».

ويصور رحمه الله ابتلاءهم المستبصرين والشيوخ والأحداث فقال: «وقد بُلِيَ بالفريقين المستبصر المسترشد– أي الذي يريد الحق – وبإعانتهم ومحنتهم وإغلاظهم لمن خالفهم، وإكفاره وإكفار من شك في كفره، فإنه ربما ورد الشيخ المصر فقعد للحديث وهو من الأدب غفل، ومن التمييز ليس له من معاني العلم

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٤٠.

إلا تقادم سنه وأنه قد سمع ابن عيينة وأبا معاوية ويزيد بن هارون، وأشباههم فيبدأونه قبل الكتاب بالمحنة.

فالويل له إن تلعثم، أو تمكث، أو سعل، أو تنحنح، قبل أن يعطيهم الرضا، فيتكلم بغير علم، ويقول بغير فهم، فيتباعد من الله في المجلس الذي أمَّل أن يتقرب فيه منه! وإن كان ممن يعقد على مخالفتهم سام نفسه إظهار مايحبون، ليكتبوا عنه!

وإن رأو حدثاً مسترشداً، أو كهلاً متعلماً سألوه، فإن قال لهم: أنا أطلب حقيقة هذا الأمر، وأسأل عنه، ولم يصح لي شيء بعد، وإنما صدقهم عن نفسه، واعتذر بعذر الله يعلم صدقه، وهم يعلمون أن الله لم يكلّفه إذا لم يعلم إلا أن يسأل ويبحث ليعلم كذبوه وآذوه، وقالوا: خبيث فاهجروه ولا تقاعدوه!!... الخ»[1]

وابن قتيبة أحد من عاصر المحنة وحديثه عنها نقل للواقع.. ولاشك أن مثل هذه الأفعال والأقوال تخليط واضطراب، وعصبية.. يتنزه عن مثلها المحدثون الذين هم أهل العلم وحفظته.

وقد قال على ابن المديني رحمه الله في حديث النبي صلى الله عليه وسلم «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لايضُّرهم من خالفهم»[2]: هم أهل الحديث، والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ويذبون عن العلم. لولاهم لم تجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء شيئاً من السنن.[3]

فانظر كم خلَّفت هذه الفتنه من آثار سيئة في صفوف صفوة الأمة، ولاشك أنه قد داخلهم وشرّدبهم شراذم من أهل البدع والأهواء، وأقاموا المسألة ولم يقعدوها.

---

(١) الإختلاف في اللفظ ص ٥١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه في كتاب الإعتصام باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.. الخ» ٨/ ١٨٩

(٣) شرف أصحاب الحديث ص ١٠.

تنبيـــــه

هذا مـا استطعت التـوصل إليـه من آثار لمسـألة اللفظ بين المحـدثين، ومع التوسع والاستقصاء قد تظهر آثار جديدة وأمثله أخرى . .

وإني إذ أنوه بذلك لأؤكـد أن هناك فـوارق واضـحة وفـواصل جليّـة، بين المسائل الثلاث التي جرى حولها الخلاف وامتحن بسببها الناس حول القرآن الكريم . مـسألة القول بخلق القرآن، ومـسألة التوقف في ذلك ، ومسألة اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أم لا؟

فالمسألة الأولى والتي قاد لواءها المعتزلة والجهميَّة هي أخطر المسائل وحالقة الدين والقائل بخلق القرآن كافر باجماع الأمة (١) .

والمسألة الثانية أمر الواقفين في القرآن فلم يقولوا مخلوق ولاغير مخلوق فـهؤلاء شكاك في أمر لامـجال فـيه للشك لصراحة الآيات والأحـاديث فيـه . وهؤلاء ألحقهم بعض العلماء بالصنف الأول وترك آخرون الكتابة والرواية عنهم وبدَّعوهم .

والخلاف في هاتين المسألتين قائم بين طرفين متباينين : أهل السنة والجماعة ومن تابعهم وأهل الأهواء من جـهمـيـة ومعتزلة، وقـد تلبس بمسألة الوقف في القرآن كثير من المحدثين .

أما المسألة الثالثة : وهي اللفظ بالقرآن فالخلاف فيها بين أهل الحديث الذين هم من أهل السنة والجماعة بل سادتهم . والحكم فيها مختلف عن السابقتين ولم يجرِ حكم التكفير فيها . . بل التجهيم لمن قال : لفظي بالقرآن مخلوق، والتبديع لمن قـال : لفظي بـالقرآن غيـر مـخلوق . وقـد منع الأئمـة الأعلام من الإطلاقين

---

(١) راجع في ذلك ماسبق في مبحث عقيدة الذهلي وحكمه على المخلوقية والواقفية ، واستعرض أقـوال أئمـة السلف في تكفيـرهم وذلك في كـتـاب شـرح أصـول اعـتـقـاد أهل السنه للإمـام اللالكائي «٢/ ٢١٦ - ٣٦٩» .

كليهما كما سبق. والصحيح فيها التفصيل في كل إطلاق، وتمييز الحق من الباطل فيه. ومن أجل عدم التمييز حصل اللبس والإشكال ثم العداوة والجرح.

وقد تعمَّدت ذكر هذا التنبيه لئلا يقع الخلط بين حكم وآثار تلك المسألتين التي امتحنت بها الأمة في صلب دينها. وبين حكم وآثار مسألة اللفظ هذه.

وعلى ماسبق ذكره فإني أنبه على خلط الشيخ عبدالفتاح أبو غدة [1]- بين ردود فعل العلماء والأئمة على من رمي أو أتهم بأي من هذه المسائل.

فقد جمع موقف الذهلي وأبي زرعة وأبي حاتم من البخاري وتركهم إياه من أجل اللفظ مع موقف أحمد من علي ابن المديني، ويحيى بن معين، وأبي نصر التمار [2] لما أجابوا في محنة خلق القرآن تورية أو خوفاً من القتل، وضم إلى ذلك ترك الناس لحديث علي ابن أبي هاشم الليثي البغدادي* لما وقف في القرآن.

وكان الأولى تمييز فتنه خلق القرآن، عن الوقف فيه، عن اللفظ به. لأن الشيخ بعد أن ساق منشأ فتنة خلق القرآن عنون لأثرها في صفوف الرواة المحدثين، وكتب الجرح والتعديل. فجمع من جرحوا باللفظ مع الواقفين في القرآن مع الذين أجابوا في فتنة خلق القرآن. مع أن أساس حديثه عن ترك جماعة من المحدثين الرواية عن البخاري لمسألة اللفظ... ولاشك أن التلبس بشيء من

(١) في تعليقه الطويل وبيانه للمسألة مع أثرها في صفوف المحدثين، في حاشية كتاب قواعد في علوم الحديث للعلامة ظفر أحمد العثماني التهانوي ص ٣٦١ - ٣٨١.

(٢) حيث كان يتكلم في علي لما أجاب في المحنةولكنه إعتذر وتاب وأناب. تهذيب التهذيب ٧/ ٣١١، ويكره الكتابة عن يحيى وأبي نصر التمار لما أجابا. ميزان الاعتدال ٦/ ٨٤. وأبي نصر هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن ذكوان، التَمَّار الإمام الزاهد، قال أبو حاتم: ثقة يعد من الأبدال، كان يتاجر بالتمر، وقد علل الذهبي إجابة أبي نصر التمَّار في المحنة فقال: أجاب تقية وخوفاً من النكال، وهو ثقة بحاله ولله الحمد، توفي سنة ٢٢٨هـ وعمره ٩١سنة وكان قد عمي رحمه الله. الأنساب١/ ٤٧٧، السير١٠/ ٥٧١

(*) لم أجد ترجمته.

فتنتي الخلق والوقف أشد من التلبس بفتنة اللفظ، فوجب حينئذ التمييز وعدم إقحام مثل موقف الذهلي من البخاري ، مع مواقف الإمام أحمد ممن أجاب في فتنتي الخلق والوقف. والله أعلم.

الباب الثالث

أثر الإمام الذهلي في الحديث وعلومه

وتحته تمهيد وخمسة فصول :

الفصل الأول : أثر الإمام الذهلي في علوم رواة الحديث .

الفصل الثاني : أثر الإمام الذهلي في علوم رواية الحديث .

الفصل الثالث : أثر الإمام الذهلي في علوم الحديث من حيث القبول والرد .

الفصل الرابع : أثر الإمام الذهلي في علوم المتن والسند .

الفصل الخامس : أثر الإمام الذهلي في العلوم المشتركة بين المتن والسند .

تمهيـــــد :

كنت قد تحدثت في مقدمة الرسالة عن المنهج الذي التزمت به في تقسيم هذا الباب المهم منها، وهو منهج فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمد السماحي رحمه الله.

والعلامة السماحي كان له فضل تطوير الترتيب المنطقي لعلوم الحديث الذي ابتدأه الحافظ ابن حجر في نخبة الفكر، وشرحها نزهة النظر، والذي خالف فيه ابن الصلاح وسواه الذين قسموا علوم الحديث إلى علوم دراية وعلوم رواية.

ولعل أبرز معطيات هذا الترتيب المنطقي أنه يفيدنا في معرفة التكامل والوحدة والشمول التي امتاز بها علم مصطلح الحديث، فكل وحدة أو قسم يمثل ناحية مهمة بجميع أنواعه، وبالتالي يكمل القسم الذي يليه.

فمثل علوم الرواة التي تنقسم إلى العلوم المعرفة بحال الراوي من الجرح والتعديل.. الخ تدفعنا لمعرفة أموره الشخصية، مثل الوفيات والطبقات والإخوة والأخوات.. الخ.

ثم يدفعنا هذا القسم إلى معرفة علوم أسماء الرواة وكناهم وألقابهم وأوطانهم وكلها في النهاية تعطي صورة لما وصل إليه علماء الحديث من عناية ودراية براوي الحديث، وهو عنصر مهم جداً وأساسي في الرواية.

ثم يأتي قسم علوم الرواية وهو مرحلة تالية تهتم بفلك رواية الحديث كوحدة مستقلة بجميع فرعياتها. كمعرفة آداب الشيخ الراوي للحديث ثم الطالب المتلقي عن الشيخ، ثم وسائل هذا التلقي وهي صيغ التحمل والأداء، ثم مناهج المحدثين في كتابة الحديث، ثم صفة رواية الحديث بجميع فنونها.

ثم تأتي مرحلة تبرز فيها علوم مصطلح الحديث مثل الصحيح والحسن والضعيف، وكذا علوم المتن من حيث قائله ومن حيث درايته. ثم معرفة علوم

السند من حيث اتصاله وانقطاعه، ثم ا لمرحلة الأخيرة معرفة العلوم المشتركة بين المتن والسند بعد معارضتهما ببعض.

وهذه التقسيمات المتدرجة المنطقية تفيدنا في بيان شمولية علم الإمام الذهلي ومشاركته في أغلب فنون مصطلح الحديث حسب المتوفر من المعلومات قلة وكثرة بعد البحث والتنقير، وإلا فمن كان مثله يوصف بأمير المؤمنين في الحديث لا بد أن يكون ملماً بكل ما يتصل بهذا العلم الشريف في فترة هي أزهى فترات ظهوره وتكامله.

ومما تجدر الإشارة إليه أنني قد أضفت مباحث جديدة تشير إلى دقة وشمول منهج الإمام الذهلي في تناوله مختلف فنون هذا العلم.

ومن ذلك مبحث اهتمامه بسماعات الرواة وإمكان اللقاء بينهم. ومبحث المفاضلة والتمييز، والموازنة بين الرواة والأسانيد. ومبحث معرفته بشئون الرواة الخاصة، أضف إلى ذلك بيان خصائص منهجه في الرواية، وكذلك مقارناته ومعارضاته بين الروايات.

وكان تسطيري لهذا التقسيم آتياً من قناعة بجدارة هذا المنهج لأمرين:

الأول: أنه يبرز علم الإمام محمد بن يحيى الذهلي كعلم مؤصَّل متكامل مقعد موافق لمناهج كبار المحدثين الدقيقة، وذلك بمشاركته في كل الأقسام السابقة سواء قلت المشاركة أو كثرت.

الثاني: أن هذا المنهج يقرب للقارئ والمطلع فهم علوم المصطلح ويدربه على التعامل معها بشمولية وتدرج حتى يتمكن في نهاية المطاف من معرفة الأحاديث الصحيحة من الضعيفة من الموضوعة في أقصر وقت.

وكنت قد وعدت في مقدمة الرسالة بذكر مزايا هذا المنهج الذي تمثله الدكتور العتر وانتهجه في كتابه «منهج النقد في علوم الحديث».

قال : إنه كتاب ينقل مسائل هذا العلم من التفرق إلى التكامل ، ويأخذ بالقارئ من الجزئيات المبعثرة إلى النظرية الكاملة المتناسقة ، التي تتآلف فيها أنواع علوم الحديث كافة ، لتبدو في مجموعها منطلقة بتسديد وإحكام نحو الغاية المنشودة .

إنه بهذا يواجه مناهج البحث العصرية العربية والأجنبية التي تزهو بالمنهجية وصياغة النظريات ؛ ويبين عمق نظرة المحدثين ، وشمولها جوانب البحث النقدي في الأحاديث .

لقد تتبع الكتاب بالسبر والاختبار كل احتمالات القوة أو الضعف التي قد تطرأ على السند أو المتن أو عليهما معا ، ونظر فيما يتبع كل واحد منهما من أنواع علوم الحديث .

ثم قسم الأنواع على أبواب رئيسية يختص كل منها بركن من أركان البحث في الحديث ، فتوصل بذلك إلى نتيجة هامة سيحس بها القارئ في متابعة أبحاث الكتاب ؛ ألا وهي شمول هذه الأنواع لجميع الاحتمالات التي أشرنا إليها جزئياً وكلياً ، من البحث في رواة الحديث واحداً واحداً ، إلى التحليل الشامل لمقومات الحديث في السند والمتن جميعها .

وحاصل النظرية التي بنينا عليها نظام الكتاب وترتيبه يقوم على قضية واحدة مسلمة ، وهي أنه لابد لكي يكون الحديث مقبولاً أن نعلم أن راويه قد أدَّاه كما سمعه ، وهذا لا يتحقق إلا إذا استوفى الراوي الشروط الكافية لذلك ، فكان لا بد أولاً من بحث العلوم المتعلقة بالرواة .

ثم إن أخذ الراوي عن أساتذته له أحوال وأحكام ، وكذلك تبليغه العلم يعتوره أحكام أيضاً ، فكانت دراسة علم الرواية مكملة لما سبق ومتممه له .

ولما أن الأحاديث قد وصلت إلينا بنقل رجال السند واحداً عن الآخر حتى يبلغوا قائلها ، فإن من الواجب أن ندرس شروط القبول في السند والمتن ، وذلك

في تعريف الصحيح والحسن ونبين كفايتها لإثبات سلامة الحديث وأدائه كما سُمِع، كما نبين أن اختلال شيء منها يجعل الحديث ضعيفاً لما فيه من فقد المعيار الذي يثبت سلامة الحديث.

ومن ثم فإننا ننتقل على ضوء ما سبق إلى السبر والدرس لكل جوانب الحديث، ونوضح احتمالات الضعف والقوة فيها، مع بيان حكم كل منها.

ونبدأ بدراسة أحوال المتن فإنه المقصود من بحث الأسانيد، ثم يأتي بعد ذلك البحث في تسلسل الإسناد وما يعرض له من اتصال أو انقطاع، ومن تعدد سند أو غير ذلك، ثم نتبعه بالأنواع المشتركة بين السند والمتن، كالشاذ والمضطرب والمعلل.

وإذا انتهى البحث الجزئي في كل جوانب الحديث جاء دور النظرة الشاملة، وهي نظرة إجمالية توضح دقة نهج المحدثين وأنهم شملوا بالدرس والبحث كل احتمالات القوة والضعف والعوامل المؤثرة فيهما سنداً ومتناً، وأعطوا كل حال حكمه المناسب له، فجاء عملهم موفياً بالغرض المطلوب، وهو تمييز المقبول من المردود على غاية من الدقة المنهجية.[(١)]

وهذا أوان استعراض جهود الإمام الذهلي وآثاره في الحديث وعلومه من خلال الفصول القادمة.

---

(١) منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر بتصرف يسير ص ١٥-١٨.

الفصل الأول

أثر الإمام الذهلي في علوم رواة الحديث

وتحته المباحث التاليـة :

المبحث الأول : العلوم المعرفة بحال الراوي .

المبحث الثاني : العلوم المعرفة بشخص الراوي .

المبحث الثالث : إهتمام الإمام الذهلي بسماعات الرواة وإمكان اللقاء بينهم .

المبحث الرابع : المفاضلة والتمييز، والموازنة بين الرواة والأسانيد عند الإمام الذهلي .

المبحث الخامس : معرفة الإمام الذهلي بشئون الرواة الخاصة .

تمهيـــــد :

هذا الفصل يعتبر أوسع وأطول فصول الباب . . وأكثرها أهمية لأن رواة الحديث هم الوسيلة الوحيدة في انتقاله إلينا، فمعرفتهم المعرفة التامة توصلنا لنتيجة أكيدة مطمئنة على درجة الحديث المروي من طريقهم.

يقول العلامة السماحي: فلما كان الرواة هم حملة الدين من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لمن بعدهم جيلاً فجيل، عني علماء الحديث بالكشف عن أحوالهم، فبحثوا عن مواليدهم، ووفياتهم، وعن عدالتهم وضبطهم، واستجلوا أخبارهم، وتتبعوا مروياتهم.[1]

ومن استعراض مباحث هذا الفصل ومطالبه ندرك مدى اطلاع إمامنا الإمام الذهلي على أحوال الرواة، وتمكنه من أخبارهم الخاصة، الأمر الذي بوأه مكانة عالية بين أئمة عصره من المحدثين، والنقاد والجهابذة.

---

(١) المنهج الحديث في علوم الحديث، تأليف الدكتور محمد محمد السماحي (قسم الرواة ص ٣) .

المبحث الأول
العلوم المعرفة بأحوال الرواة
المطلب الأول
صفةمن تقبل روايته ومن ترد

فضل الله تبارك وتعالى هذه الأمة على غيرها من الأمم بفضائل ومزايا كثيرة ، ومن تلك المزايا خاصية الإسناد وهو سلسلة الرواة لأي حديث قولي أو فعلي أو تقريري أو وصفي . . فكل ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم قد أحيط بهالة من التقدير والاهتمام والمحافظة ، ومن ثمّ النقد والبحث والتمحيص والتثبت من كل راو في السند . . لتمييز الحديث الصحيح من الضعيف بتمييز الرواة . .

وهذا المنهج السليم المنطقي قد تلقاه سلفنا من منهج الكتاب والسنة في التثبت . .

قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[١] . وقال : ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله﴾[٢] .

وفي الصحيحين عن غير واحد من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[٣] .

---

(١) سورة الحجرات : آية ٦ .

(٢) سورة الطلاق : آية ٢ .

(٣) صحيح البخاري (١/ ٤٠) كتاب العلم ، باب من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٠) باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسار الصحابة رضوان الله عليهم على هذا النهج - ومن بعدهم التابعين وتابعيهم - وتحروا في الرواية ونهوا عن التلقي عن الكذابين والضعفاء والمجروحين و المجهولين فقد قال ابن عباس: «. . . إنا كنَّا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف[(١)] وقال ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[(٢)] وكما كانوا يقوّمون الراوي بتدينه وتقواه وصدقه. . فإنهم يقومونه بضبطه لما يرويه، فإن كان مغفلاً أو صاحب أوهام أو تخليط تركوه، كما قال ابن المبارك عن بقية بن الوليد: «نعم الرجل بقية لولا أنه كان يكني الأسامي ويسمي الكنى. كان دهراً يحدثنا عن أبي سعيد الوحاظي، فنظرنا فإذا هو عبد القدوس»[(٣)].

وأصبح هذا ديدن المحدثين الأثبات حرصاً على حفظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم غضاً سليماً مما يطرأ على سنده أو متنه. . ووضعوا لمن تقبل روايته شروطاً. والرواة متفاوتون تفاوتاً كبيراً في مجال قبول رواياتهم بحسب تمكنهم من هذه الشروط.

وقد قال ابن الصلاح: «أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه»[(٤)].

وقد فصل العلماء هذين الشرطين بما يلي بأن يكون العدل [مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة] وأن يكون الضابط [متيقظاً غير مغفل حافظاً إن حدث من حفظه ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه. . الخ][(٥)].

(١) مقدمة صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي. ١/ ١٣.
(٢) المصدر السابق ١/ ١٥.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٦.
(٤) مقدمة ابن الصلاح وشرحها التقييد والإيضاح، للعراقي ص١١٤، وانظر تدريب الراوي للسيوطي ١/ ٣٠٠.
(٥) المصدر السابق.

وقد سار الإمام الذهلي على سنن المحدثين قبله بالتيقظ لصفات من تقبل روايته أو ترد وأحوالهم. وهذه أمثلة ألمح فيها لأصناف ممن ترد روايتهم لعارض معين، بعبارات تدل على مدى الرد المطلق أو القبول المقيد.

١- إلماحه إلى رد رواية عبد الرزاق بسبب اختلاطه بعدما عمي مع تقييد قبولها بكونها من كتابه.

قال أبو داود: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، حدثنا عبد الرزاق قال محمد: كتبته من كتابه. قال أنبأنا: (أخبرنا) معمر عن الزهري.. الخ[١].

وعالم اليمن الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني كانت الرحلة في زمانه إليه حتى قيل إنه لم يرحل إلى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رحل إلى عبد الرزاق[٢]. وهذا الإمام الجهبذ قد أضر في آخر حياته وعمي بصره فعزَّ عليه النظر في كتبه فكان يلقن فيتلقن[٣]، الأمر الذي جعله مختلطاً والسماع منه بعد ذلك ضعيف... وضابط تاريخ اختلاطه عام مائتين للهجرة.

فقد قال الإمام أحمد بن حنبل: أتينا عبد الرزاق قبل المائتين، وهو صحيح البصر ومن سمع منه بعدما ذهب بصره فهو ضعيف السماع[٤].

وقال أيضاً: عبد الرزاق لا يعبأ بحديث من سمع منه وقد ذهب بصره، كان يلقن أحاديث باطلة، وقد حدث عن الزهري أحاديث كتبناها من أصل كتابه وهو ينظر جاءوا بخلافها[٥].

---

(١) سنن أبي داود. كتاب السنة باب في الخلفاء (٥/ ٢٧).

(٢) شرح علل الترمذي ٢/ ٥٧٧.

(٣) وقد صور حاله تلميذه إسحاق ابن أبي إسرائيل، قال: كان أصحاب الحديث يلقنون عبدالرزاق من كتبهم، فيختلفون في الشيء، فيقول لي: كيف في كتابك؟ فإذا أخبرته صار إليه لما يعلم أني كنت أتعب في تصحيحها. وقد استدل الخطيب بهذه الرواية على جواز تلقين الضرير ما في أصل كتابه وروايته إذا وثق بالملقن له. انظر الكفاية في علم الرواية للخطيب ص٣٧٩.
وقد ذكر الحافظ ابن رجب فعل يزيد بن هارون لذلك لما عمي، ومن ثم جواز العرض على الشيخ وإن كان ضريراً لا يحفظ، كما ذكر ترخيص ابن معين في السماع ممن يتلقن إذا كان يعرف حديثه. انظر شرح علل الترمذي ١/ ٥١٠، ٥١١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٥، الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات لمحمد بن أحمد ابن الكيال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ص٢٦٩، ٢٧٢.

(٥) شرح علل الترمذي لابن رجب ٢/ ٥٧٧.

والإمام الذهلي قد ارتحل إلى اليمن للسماع من عبد الرزاق مرتين: إحداهما قبل الاختلاط صرح بذلك الإمام زين الدين العراقي فقال: (وممن سمع من عبد الرزاق قبل الاختلاط أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلي ابن المديني ويحيى بن معين ووكيع بن الجراح في آخرين أخرج لهم الشيخان. . . ثم قال: (وممن أخرج له البخاري فقط عن عبد الرزاق مع علي ابن المديني إسحاق بن إبراهيم السعدي. وعبد الله بن محمد المسندي، ومحمد ابن يحيى الذهلي. . الخ[١].

والمرة الثانية بعد الاختلاط، صرح بذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، قال: (قدم على عبد الرزاق مرتين، إحداهما بعدما عمي)[٢]

وكان في قول الذهلي سابقاً « كتبته من كتابه » إشارة إلى أن ذلك بعد الاختلاط وهو سبب كاف لرد رواية عبد الرزاق مما اضطره إلى الأخذ من الأصل وعدم الاكتفاء بالتلقي عنه بالسماع الشفهي. وفي هذه الإشارة مزية للإمام الذهلي وتأصيل منه وتقعيد في كيفية تلقي الحديث ممن ترد روايته لعارض كالاختلاط. فإن الحاجة لأصولهم قائمة، فتصريحه بالتحديث عن عبد الرزاق كتابة من أصله - وهو مختلط - دليل على توثيقه تلك الرواية[٣]

وفي حين يقيد قبول رواية الإمام عبد الرزاق بعد اختلاطه بكونها من كتابه، نجده ينكر مع الإمام أحمد حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن

---

(١) التقييد والإيضاح ص ٤٠٨.

(٢) شرح علل الترمذي ٢/ ٥٧٩.

(٣) ذكر ابن رجب الحنبلي ترخيص طائفة من المحدثين في التحديث من الكتاب لمن لا يحفظ، ومنهم مروان بن محمد وابن عيينة، وابن مهدي، وابن معين وغيرهم. وهذا إذا كان الخط معروفاً موثوقاً به، والكتاب محفوظاً عنده. . . إلى آخر ما ذكر من أقوال العلماء في جواز التحديث من كتاب الشيخ في حالة حفظه عن ظهر غيب، أو عدم حفظه. انظر شرح علل الترمذي ١/ ٥١٢.

أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً: (الخيل معقود في نواصيها الخير)[1]. لكونه لم يكن في أصله. قال ابن رجب: أنكره أحمد ومحمد بن يحيى، وقال: لم يكن في أصل عبد الرزاق[2]. وفي هاتين الحالتين دليل على تمكن الذهلي من معرفة أحوال القبول والرد في الرواة، وأن الأمور لا تؤخذ على إطلاقها.

٢ ـ رده رواية الراوي لقبوله التلقين[3]

ومعروف في علم الحديث أنه من الأمور التي يختل بها ضبط الراوي، ثم يترك حديثه (التلقين) والإمام الذهلي كان يقظاً لهذه القضية، وذلك يتجلى في موقفه التالي من رواية أبي اليمان[4] فيما يرويه عن مشايخه عن الزهري، وذلك أن أبا اليمان قد روى حديثاً بإسنادين الأول: عن ابن أبي حسين وهو الصحيح، والثاني عن الزهري وليس من حديثه ورأى الذهلي أنه قد لقنه فتلقن.

قال أبو عمرو البرذعي: قلت لمحمد بن يحيى: في حديث أنس، عن أم حبيبة[5]، حديث شعيب ابن أبي حمزة[6]، حدثكم به أبو اليمان؟ وقال: عن

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٣/ ٢٨٣) باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة. ومسلم في (الأمارة) (٣/ ١٤٩٢، ١٤٩٣) باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.

(٢) شرح علل الترمذي ٢/ ٧٥٧.

(٣) التلقين هو: أن يعرض على المحدث الحديث الذي ليس من مروياته، ويقال له إنه من مروياته، فيقبله ولا يميزه، وذلك لأنه مغفل، فاقد لشرط التيقظ، فلا يقبل حديثه. انظر منهج النقد عند المحدثين، د. نور الدين العتر ص ٨٦، وأسباب اختلاف المحدثين د. خلدون الأحدب ١/ ١٣٨.

(٤) أبو اليمان سبقت ترجمته ص ١٤٢.

(٥) أم حبيبة هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب أم حبيبة القرشية الأموية أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفيت سنة ٤٤. أسد الغابة ٧/ ١١٥. والحديث في مسند أحمد ٦/ ٤٢٧.

(٦) سبقت ترجمته ص ٢٤٤.

ابن أبي حسين[1]، فقال لي محمد بن يحيى: نعم. حدثنا به من أصله[2] عن ابن أبي حسين: فقلت له: حدثنا به غير واحد عن أبي اليمان، فقالوا عن الزهري فقال: لقنوه عن الزهري... الخ المسألة[3].

وهذه موافقات الأئمة للإمام الذهلي على توهيم أبي اليمان في عزوه الحديث للزهري.

قال أبو زرعة الدمشقي[4]: سألت أحمد بن حنبل عن حديث الزهري، عن أنس عن أم حبيبة فقال: ليس هذا من حديث الزهري، هذا من حديث ابن أبي حسين، فسألت أحمد بن صالح[5] عنه فقال: ليس له أصل عن الزهري وأنكره[6].

وقد بين الإمام أحمد رحمه الله تعالى كيف وقع الوهم لأبي اليمان في هذا الحديث.

قال أبو زرعة: قال أحمد بن حنبل: كتاب شعيب عن ابن أبي حسين ملصق بكتاب الزهري، فبلغني أن أبا اليمان حدثهم به عن شعيب، عن الزهري، وليس له أصل، كأنه يذهب إلى أنه اختلط بكتاب الزهري، فرأيته كأنه يعذر أبا اليمان ولا يحمل عليه فيه[7].

---

(١) هو عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي حسين الحارث بن عامر بن نوفل المكي النوفلي. قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث. تهذيب التهذيب ٥/ ٢٥٦.

(٢) في تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٠ (من أصله عن شعيب عن ابن أبي حسين).

(٣) أجوبة أبي زرعة على البرذعي ضمن كتاب (أبي زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية تحقيق د. سعدي الهاشمي ٢/ ٧٤٦). وانظر تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٠.

(٤) أبو زرعة سبقت ترجمته ص ١٦٦.

(٥) سبقت ترجمته ص ١٦٥.

(٦) تاريخ أبي زرعة الدمشقي للحافظ عبد الرحمن بن عمرو النصري، دراسة وتحقيق شكر الله قوجاني (١/ ٤٥٦) وانظر السير ١٠/ ٣٢٢.

(٧) تاريخ دمشق لأبي زرعة (١/ ٤٥٦) وتهذيب الكمال (٧/ ١٥٢) والسير ١٠/ ٣٢٣.

وقد أقر أبو اليمان رحمه الله بأنه غلط في روايته عندما سأله عن الحديث يحيى بن معين ، لكنه أصر على أنه من حديث الزهري وأنه إنما كتب حديث الزهري في آخر حديث ابن أبي حسين، فغلط، وحدث به من حديث ابن أبي حسين، وهو صحيح من حديث الزهري[(١)] .

وقال إبراهيم بن هاني النيسابوري، قال لنا أبو اليمان: الحديث حديث الزهري، والذي حدثتكم عن ابن أبي حسين. غلطت فيه بورقة قَلَبْتُها [(٢)]

ويحسم الإمام الذهبي الأمر ويقول: (تعين أن الحديث وَهِمَ فيه أبو اليمان، وصمم على الوهم، لأن الكبار حكموا بأن الحديث ما هو عند الزهري[(٣)]

ومهما يكن من سبب لهذا الإشكال. فإن أبا اليمان قد غلَّطه الأئمة ومنهم الذهلي، وهذا العارض الذي عرض له - سواء التلقين كما يقول الذهلي أو الوهم أو الغلط - هو مما ترد به روايات الراوي. ومثل هذه العوارض تجري على كثير من الثقات وأكثرهم لا يذكر في كتب الجرح ولكن تضعف أحاديثهم تلك إما في بعض الأوقات كالمختلطين، أو في بعض الأماكن والبلدان، أو عن بعض الشيوخ كالحاصل في هذا المثال.

٣ - وممن ترد روايته : المجهول .

ومن المسائل المندرجة تحت هذا المطلب (مسألة المجهول) والمراد به عند الإطلاق مجهول العين.

---

(١) تهذيب الكمال (٧/ ١٥٢) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٠ - السير ١٠/ ٣٢٣ .

(٢) السير ١٠/ ٣٢٣، تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٠ .

(٣) السير ١٠/ ٣٢٣ .

وقبل أن نخوض في رأي الذهلي بمَ ترتفع جهالة الراوي؟ يحسن بنا أن نشير إلى تعريف المجهول عند أهل الحديث، وأقسامه، ثم نعرج على مذهبه في قبول روايته.

تعريف المجهول: قال الخطيب البغدادي: (المجهول عند أصحاب الحديث هو كل من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه، ولا عرفه العلماء به، ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راو واحد، مثل عمرو ذي مر، والهيثم بن حنش، ومالك بن أغر . . . . إذ لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي[(١)]

أما أقسام المجهول فقد بينها الحافظ النووي فقال:

الأول: مجهول العدالة ظاهراً وباطناً[(٢)]، فلا تقبل روايته عند الجماهير.

الثاني: المستور، وهو من كان عدلاً في الظاهر، مجهول العدالة باطناً، فهذا يحتج بروايته بعض من رد رواية الأول، . . . الخ.

الثالث: مجهول العين، وقد يقبل مجهول العدالة من لا يقبل مجهول العين[(٣)]

وراوية المجهول مسألة طويلة الذيول، وفي كل قسم من أقسامه أقوال في قبول روايته ليس هذا موضع بيانها.

ويعتبر الإمام الذهلي من أوائل من تعرض لهذه المسألة، ببيان ما ترتفع به الجهالة فقال: (إذا روى عن المحدث رجلان، ارتفع عنه اسم الجهالة)[(٤)]

---

(١) الكفاية في علم الرواية. ص١٤٩ بتصرف يسير.

(٢) أي مع كونه معروف العين برواية عدلين عنه. انظر تدريب الراوي ١/ ٣١٦.

(٣) إرشاد طلاب الحقائق، للإمام محيي الدين النووي، تحقيق وتخريج عبد الباري السلفي ١/ ٢٩٢-٢٩٥.

(٤) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، ص ١٥٠.

ومفهوم منطوق الذهلي هذا أنه إذا لم يرو عنه إلا واحد فهو مجهول وروايته مردودة. وهذا الذي ذهب إليه الإمام الذهلي قد قال به وذهب إليه جمهور المحدثين من بعده؛ فمنهم الدارقطني حيث قال: (من روى عنه إثنان فقد ارتفعت جهالته وثبتت عدالته)[1]

ومنهم الخطيب البغدادي حيث قال: أقل ما ترتفع به الجهالة أن يروي عن الرجل إثنان فصاعداً من المشهورين بالعلم، إلا أنه لا يثبت له حكم العدالة بروايتهما عنه)[2]

ومنهم ابن عبد البر حيث قال في الاستذكار شرح الموطأ باب ترك الوضوء مما مست النار: (من روى عنه ثلاثة، وقيل اثنان ليس بمجهول). [3]

وقال أيضاً: (كل من لم يرو عنه إلا رجل واحد فهو عندهم مجهول، إلا أن يكون رجلاً مشتهراً في غير حمل العلم كاشتهار مالك بن دينار بالزهد، وعمرو بن معدي كرب بالنجدة)[4]

وممن ذهب مذهبهم الإمام النووي حيث قال: (ثم من روى عنه عدلان عيّناه، ارتفعت جهالة عينه)[5]

وبه قال ابن حجر في النخبة والنزهة: (. . فان سمي وانفرد واحد عنه فمجهول العين، أو اثنان فصاعدا ولم يوثق؛ فمجهول الحال وهو المستور)[6]

---

(١) فتح المغيث للسخاوي (٢/ ٥١).
(٢) الكفاية ص ١٥٠.
(٣) كما نقله عنه اللكنوي في الرفع والتكميل ص ٢٥١.
(٤) مقدمه ابن الصلاح ص٣١٠ في النوع السابع والأربعون.
(٥) تقريب النووي للإمام محيي الدين النووي، مع شرحه تدريب الراوي للسيوطي ١/ ٣١٧ بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.
(٦) نزهة النظر ص ٥٠.

وقد ذهب الحافظ ابن الصلاح إلى أن الجهالة ترتفع برواية واحد ، قال معترضاً على الخطيب : قد خرج البخاري في صحيحه حديث جماعة ليس لهم غير راو واحد : منهم مرداس الأسلمي لم يرو عنه غير قيس ابن أبي حازم وكذلك خرج مسلم حديث قوم لا راوي لهم غير واحد منهم : ربيعة ابن كعب الأسلمي لم يرو عنه غير أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وذلك مصير منهما الى أن الراوي قد يخرج عن كونه مجهولاً مردوداً برواية واحد عنه . . . . . الخ [١]

و لم يسلّم العلماء بذلك لابن الصلاح فقد تتبعوه فيما قال ، واحتجوا عليه بان هؤلاء الذين اخرج لهم الشيخان ولم يرو عنهما غير واحد، هم صحابة ، والصحابة عدول فلا يحتاج إلى رفع الجهالة عنهم بتعدد الرواة . قاله النووي والسيوطي . [٢]

وقال ابن كثير : (توجيه ابن الصلاح جيد لكن البخاري ومسلماً إنما اكتفيا في ذلك برواية الواحد فقط ، لان هذين صحابيان وجهالة الصحابي لا تضر بخلاف غيره . [٣]

ومما سبق بيانه اتضح أن ما قاله الذهلي - من أن إرتفاع الجهالة لا تكون الا برواية اثنين عن الراوي - هو قول جماهير المحدثين. ومن لم يرو عنه الا راو واحد فيعتبر مجهول العين ، وروايته مردوده إلا اذا احتفت به أمور وقرائن ومسوغات لا يليق معها تجهيله ، وهذه المقدمة تسوقنا إلى معرفة رأي وقول الذهلي فيمن روى عنه اثنان هل تثبت عدالته ؟ .

---

(١) مقدمه ابن الصلاح ص ١٢٥ .

(٢) تدريب الراوي ١/٣١٨.

(٣) اختصار علوم الحديث ، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، بشرح الشيخ أحمد شاكر (الباعث الحثيث) ص ٩٤ .

والحق أن هذا موضوع واسع والجزم فيه بصيغة مطّردة فيه صعوبة . . . .
ومن خلال سبر أقوال العلماء في المجاهيل ثم الانتقال للواقع العملي في مصنفاتهم وعملهم نجد أن هناك خلافيات وعوارض ومرئيات، فرضت توازناً واضحاً وتتبعاً دقيقاً لأحوال الرواة كان من شأنها اعطاء الحكم اللائق بكل شخص من حيث قبول حديثه أو رده . وهذا بالتالي يبين لنا مدى دقة العلماء رحمهم الله في هذه المواضع ، كما يبين تعدد وجهات النظر .

حكم رواية مجهول العين عند الذهلي وغيره .

في رواية مجهول العين عند العلماء عدة أقوال نسردها على النحو التالي :

١ - انها لا تقبل ، وهذا قول غالب المحدثين وغيرهم ، كما ذكره النووي في مقدمته على شرح مسلم عن الجمهور [١]، والسيوطي في تدريب الراوي حيث قال : وأما مجهول العين ، فرده هو الصحيح الذي عليه اكثر العلماء من أهل الحديث وغيرهم [٢].

٢ - تقبل مطلقا ، وهو قول من لا يشترط في الراوي مزيدا على الاسلام، وعزاه ابن المواق للحنفية حيث قبلوا رواية المجهول على الاطلاق [٣] كما ذهب إلى ذلك ابن خزيمة حيث قال : ان جهالة العين ترتفع برواية واحد مشهور [٤]، وكذا تلميذه ابن حبان حيث قال : "والعدل من لم يعرف فيه الجرح ، . . فمن لم يجرح فهو عدل حتى يتبين جرحه [٥] . . . الخ .

(١) ١/ ٥٢ الطبعة الموافقة للمعجم المفهرس.
(٢) ١/ ٣١٧.
(٣) فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٤٥ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق.

٣ - التفصيل في ذلك : فان كان المنفرد عنه لا يروي الا عن عدل كابن مهدي ويحيى بن سعيد ومالك قبل والا فلا (١)

٤ - التفصيل على وجه اخر : فان كان المنفرد عنه مشهوراً في غير العلم بالزهد كمالك ابن دينار ، أو النجدة مثل عمرو بن معدي كرب ، قبل والا فلا .

وهذا التفصيل ذكره ابن عبد البر فقال : " واما الشهرة بالعلم والثقة والأمانة فهي كافية من باب أولى " (٢)

٥ - التفصيل على غير الوجهين السابقين : وهو إن زكاه أحد من أئمة الجرح والتعديل مع رواية احد عنه قبل والا فلا . وهو اختيار أبي الحسن ابن القطان في كتاب (بيان الوهم والايهام) (٣)

وهذا القول هو الذي ذهب اليه الامام الذهلي كما سيأتي ، وجرت عليه تطبيقاته وتطبيقات جهابذة المحدثين في تعاملهم مع الرواة في هذا المضمار المهم .

فقد صححه الحافظ ابن حجر في نزهة النظر (٤) وقال السخاوي : (وعليه يتمشى تخريج الشيخين في صحيحيهما لجماعة انفرد بالرواية عنهم واحد . أفردهم الحافظ العراقي بالتأليف) . . وذكر منهم الحافظ السخاوي جماعة . . .

ثم قال بعد كلام طويل وأمثلة ضربها : (وبالجملة فرواية امام ناقل للشريعة لرجل ممن لم يرو عنه سوى واحد في مقام الاحتجاج ، كافية في تعريفه وتعديله) (٥) وقال الحافظ شمس الحق العظيم آبادي : (إنه الصحيح المعتمد) (٦)

---

(١) فتح المغيث للعراقي ص ١٥٨ ، فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٤٦ ، توضيح الأفكار ، للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد٢/ ١٨٥ .

(٢) التقييد والإيضاح ص ١٢٥ ، فتح المغيث ، للعراقي ص ١٥٨ ، فتح المغيث ، للسخاوي٢/ ٤٦ ، توضيح الأفكار ٢/ ١٨٥ .

(٣) فتح المغيث ، للعراقي ص ١٥٨ ، فتح المغيث ، للسخاوي٢/ ٤٧ ، توضيح الأفكار ٢/ ١٨٥ ، تدريب الراوي ١/ ٣١٧ ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، ص ٥٣ .

(٤) ص ٥٠ . (٥) فتح المغيث ٢/ ٤٧-٥٠ .

(٦) غنية الألمعي ص ١٦٣ رسالة ملحقة بالمعجم الصغير للطبراني .

وبين يدي مثال تطبيقي لأحد الرواة لم يرو عنه الا راو واحد ، ومع هذا فقد وثّقه الامام الذهلي . قال رحمه الله عن عبد الرحمن بن نمر اليحصبي [1] :

(عبد الرحمن بن نمر وعبد الرحمن بن خالد [2] ثقتان، ولا تكاد تجد لابن نمر حديثا عن الزهري إلا ودون الحديث مثله . يقول : سألت الزهري عن كذا فحدثني عن فلان وفلان فيأتي بالحديث على وجهه ، ولا أعلمروى عنه غير الوليد[3]) . [4]

وقد يبدو للناظر لأول وهلة أن هناك تعارض بين ما ذهب اليه الذهلي من ارتفاع الجهالة عن الراوي برواية اثنين عنه، وبين توثيقه لابن نمر ولم يرو عنه الا راو واحد .

وفي الواقع أنه لا تعارض يذكر ، بل إن ما ذكره من أنه لا ترتفع جهالة العين الا برواية اثنين . هو المنهج الأحوط والأسلم الذي لم تجر عليه جميع تطبيقات المحدثين [5] - خاصة اذا كان الراوي عن المنفرد ضعيفا أو نحو ذلك .

أما توثيقه لابن نمر على حاله تلك ، فهو نتيجة لاعتباره أموراً أخرى كتوثيق الأئمة له . قال ابن حبان : « من ثقات أهل الشام ومتقنيهم " [6] وقال أبو زرعة : حديثه عن الزهري مستوي ، وقال أبو أحمد الحاكم : مستقيم الحديث» [7]

---

(١) هو عبد الرحمن بن نمر اليحصبي أبو عمرو الدمشقي . من ثقات أهل الشام ومتقنيهم، يروي عن الزهري، وروى عنه الوليد بن مسلم . ثقة من الثامنة . الثقات، لابن حبان ٧/ ٨٢، التقريب ص ٣٥٢.

(٢) هو عبدالرحمن بن خالد بن مسافر أبو الوليد الفهمي المصري، روى عن الزهري، كان عنده عنه كتاب، وعنه الليث توفي سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب ٦/ ١٥٠ . الخلاصة ص٢٢٦ .

(٣) هو الوليد بن مسلم القرشي أبو العباس الدمشقي عالم الشام، توفي سنة ١٩٤، تهذيب التهذيب ١١/ ١٣٣ .

(٤) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٨ .

(٥) انظر المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ص ٣٣٤، د. فاروق حماده .

(٦) الثقات ٧/ ٨٢ .

(٧) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٨ .

والإمام الذهلي بهذا وازن ووافق بين قوليه السابقين ، ففي حين يقول : « ولا أعلم روى عنه غير الوليد) ، بيّن منزلته في فنون الرواية ، وأنه يأتي بالحديث على وجهه - يعني مطابق لرواية شيخه حسن الإيراد له - كما أنه ثقة في نفسه كما سبق بيانه .

ومن تطبيقات المحدثين في ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري . في حديث أم سلمة أفعمياوان أنتما [1] قال : إسناده قوي . وأكثر ما علل به انفراد الزهري بالرواية عن نبهان وليست بعلة قادحة ، فإن من يعرفه الزهري ويصفه بأنه مكاتب أم سلمة ولم يجرحه لا ترد روايته [2]

كذلك ما مال إليه ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في حديث أبي ركانه في التفريق بالعنَّة حيث قال : ولا علة لهذا الحديث الا رواية ابن جريج له عن بعض بني رافع وهو مجهول ، ولكنه تابعي وابن جريج من الائمة الثقات العدول ورواية العدل عن غيره تعديل له ما لم يعلم فيه جرح ، ولم يكن الكذب ظاهرا في التابعين ، قال : ولا يظن بابن جريج انه حملها عن كذاب ولا عن غير ثقة عنده ولم يبين حاله . [3]

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتابه الأدب ، باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال٥/ ٩٤ وقال حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد في مسنده٦/ ٢٩٦ .

(٢) فتح الباري (٩/ ٣٣٧) .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية ، باعتناء شعيب وعبد القادر الأرنؤوط (٥/ ١٨١) وقد تعرّض لهذه المسائل وتطبيقات المحدثين عليها على اختلاف أقوالهم . الدكتور فاروق حماده في كتابه المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل عند حديثه عما ترتفع به جهالة العين (٣٣٢-٣٣٨) فليراجع . ولكننا عند تطبيق قواعد المحدثين على هذا الحديث نجدهم لايحتجون به ، لوجود الجهالة في سنده ، قال الخطابي : في إسناد هذا الحديث مقال ، لأن ابن جريج إنما رواه عن بعض بني أبي رافع ولم يسمعه ، والمجهول لا تقوم به حجة ، وكان الإمام أحمد يضعف طرقه كلها ، مختصر سنن أبي داود (٣/ ١٢٠) .

والإمام ابن القيم رحمه الله وان كنا قدمنا عنه عدم حكمه الحكم الواضح على هذا الحديث على المنهج الأحوط عند المحدثين في ارتفاع الجهالة برواية اثنين ، فقد بيّن رأيه بوضوح في تهذيب سنن أبي داود (٣/ ١٢١) حيث قال : ولأبي رافع بنون ليس فيهم من يحتج به إلا عبيد الله بن رافع ولا نعلم هل روى هذا الحديث أو غيره .

المطلب الثاني

أثر الإمام الذهلي في الجرح والتعديل

تمهيـــد :

أ – أهميته : لما أتم الله عز وجل نعمته ببعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالمين، وأنزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء كما قال تعالى ﴿ **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم** ﴾[1]

وقال ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه** ﴾[2]

قام عليه أفضل الصلاة والسلام بما من أجله بعث وأرسل أحسن قيام . . . . وأدى الأمانة ، ونصح الأمة . . . حتى لحق بالرفيق الأعلى .

فبقي هذا البيان والبلاغ بعده بين يدي صفوة الأمة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوه ورعوه وناضلوا عنه ، وكان فيهم من قوة الدين ، وكمال الورع ، وتمام الامانة، وصفاء الذهن مع الذكاء ما أهَّلهم لبلوغ أعلى مراتب المحافظة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . كيف لا يكونوا كذلك وقد عدلهم الله من فوق سبع سموات .[3]

فتعمد الكذب والتبديل عليهم ممتنع ، أما الخطأ والنسيان فهو وارد على جميع البشر ولذا كانوا رضي الله عنهم ينقدون بعضهم بعضا في ذلك . و كان

---

(١) النحل آية (٤٤).

(٢) النحل آية (٦٤).

(٣) في مثل قوله تعالى : (**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ...**) سورة التوبة آية (١٠٠)، وقوله تعالى : (**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ....**) سورة الحشر آية (٨).

ضبطهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقوى فترات الضبط والتحري .

وكلما قل الصحابة والتابعون كلما تناقص الضبط للرواية وكثر الوهم والخطأ ، وكلما ظهر الكذب والوضع لكثرة الفرق السياسية والعقائدية . ولقلة الورع والدين في المتأخرين وغير ذلك من الاسباب ، وليس ذلك على الاطراد والشمول .

ومن هنا تبرز أهمية الجرح والتعديل للرواة وفحصهم ومعرفة مراتبهم لتمييز الصحيح من السقيم .

قال أبو محمد ابن أبي حاتم :

(فلما لم نجد سبيلا إلى معرفة شيء من معاني كتاب الله ولا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة النقل والرواية ، وجب أن نميز بين عدول الناقلة والرواه وثقاتهم وأهل الحفظ والتثبت والاتقان منهم . وبين أهل الغفلة والوهم وسوء الحفظ والكذب واختراع الأحاديث الكاذبة) (١) .

ب ـ مشروعيته وبيان خطأ من اعتبره غيبة : أشار القرآن الكريم إلى أهمية التوقي والتحري في قبول الاخبار ، حفاظاً على أسس الدين وقواعده من صيرورتها مسرحاً لوهم وغفلة وكذب ووضع الرواة . ومن ذلك قوله تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** (٢)

وقال تعالى : **﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾** (٣)

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل ١/ ٥ .

(٢) الحجرات آيه ٦ .

(٢) البقرة آيه ٢٨٢ .

والمرضي من الشهداء من رضي عنه في دينه وأمانته ، ونقل الحديث وروايته، فيه من النصح لله ورسوله وللمسلمين ما يفوق الشهادة المحصورة في نطاق ضيق .

وألمحت السنة إلى حدوث الضعف والاختلاف ، وجاء الأمر بلزوم السنة الصحيحة ، وقد استنبط استحباب معرفة الضعفاء الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي من الحديث الذي رواه العرباض بن سارية أن الرسول صلى الله عليه وسلم وعظ أصحابه موعظة بليغة ذرفت منها العيون . . . . وفي آخر الحديث : فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين (المهديين) عضوا عليها بالنواجذ . . . . الخ [(١)]

قال ابن حبان في المقطع الاخير من الحديث . . . . : فيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم أمر أمته بمعرفة الضعفاء منهم من الثقات لأنه لا يتهيأ لزوم السنة مع ما خالطها من الكذب والأباطيل إلا بمعرفة الضعفاء والثقات ، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون من ذلك في أمته إذ قال : " من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[(٢)] " [(٣)]

وقد كان صلى الله عليه وسلم قد نهج لأئمة الجرح ما ذهبوا إليه من بيانهم لأحوال الرواة المجروحين مع بيان ما به جرحوا وعدم تجاوزه إلى غيره من المعايب فينقلب غيبة لان المراد قد تحقق بجارح واحد إن كان بمثله يقوم الجرح بالراوي .

---

(١) الحديث سبق تخريجه في التمهيد لمسألة اللفظ ص ٢٩١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ١/ ٤٠ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم ٤/ ٢٢٩٨ .

(٣) مقدمة المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ١/ ١٠ ، ذكر استحباب معرفه الضعفاء وقد استنبط مايفيد ذلك من أحاديث أخرى .

فقد حدثت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها * أن رجلا استأذن على النبي صلى اللـه عليـه وسلم فـقـا ل: « ائذنوا لـه فـبـئس رجل العـشـيـر أو بئس رجل العشـيـرة » فلمـا دخل ألان له القـول ، قـالت عـائشـة : يا رسـول الله قلت له الذي قلت ، فلمـا دخل ألنت لـه القـول . قـال : « يا عـائشـة ، إن شـر النـاس منزلة يوم القيامة من ودعه الناس - أو تركه - الناس اتقاء فحشه»[1].

وقد استدل الخطيب من قول الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل : بئس رجل العشيرة على أن فيه دليل أن إخبار المخبر بما يكون في الرجل من العيب على ما يوجب العلم والدين والنصيحة للسائل ليس بغيبه ، إذ لو كان ذلك غيبة لما أطلقـه النبي صلى اللـه عليه وسـلم ، وإنما أراد عليه السـلام بما ذكر فيـه - والله أعلم - أن يبُس للنـاس الحالة المذمومـة منه ، وهي الفحش ، فيتجنبوها ، لا أنه أراد الطعن عليه والثلب له .

جـ - نشـأته : نشـأ علم الجرح والتـعديل مع نشأة الرواية في الاسلام وانتشارها في عهد الصحابة ثم عهـود التابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، وأصبح ديدن العلماء تقييم الرواة وعدم قبـول أي حديث إلا بعـد معرفـة رجاله واحداً واحداً ، واعطائـهم ما يسـتحـقـونه من أوصاف العـدالة والضبط دون محـاباة أو مماحلة وضربوا بذلك أروع الأمثلة في التجرد لله والاحتساب لخدمة دينه . حتى أن الإبن ليـجـرح أباه كـمـا فـعل ابن المديني عندمـا سئل عن أبيه فـقـال (سلوا عنه غيري ، فاعادوا المسألة فـأطرق ، ثم رفـع رأسه ، فقال : « هو الدين ، إنه ضعيف»[2] ومن هذا التـجـرد ندرك مـدى ما كـان عليه سلفنا من مراقبة لله خـولتهم شرف حراسة ميراث النبوة حتى من أقرب الناس إليهم .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما يجوز من اغتياب أهل الفسـاد والرِّيب ٧/ ١١٣ ، ومسلم في كتاب البر والصلة والأدب باب مداراة من يتقى فحشه ٤/ ٢٠٠٢ .

(٢) (ميزان الإعتدال ٣/ ١١٥) والإعلان بالتوبيخ للسخاوي ص ٦٦ ، وكان قوم يقولون «عليّ يعق أباه لا يحدث عنه ، فلما كان بآخره حدث عنه » الجرح والتعديل ٥/ ٢٣ .

وهذا ما لم يتهيأ مثله لأمة من الامم السابقة مع أنبيائهم فكان علم الجرح والتـعديل عـلما فريدا تميزت به أمتنا . . . . . ، وفي تقدمة ابن أبي حاتم للجرح والتعديل نخبة مختارة من أئمة هذا الفن أجاد وأطنب في ذكر أخبارهم [(١)]

وذكر ابن عدي الجرجاني في مقدمة كتابه الكامل فصلاً طويلاً (ذكر فيه من استجاز تكذيب من تبين كذبه . من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم إلى يومه رجلاً رجلا) [(٢)] ومن استقراء ذلك وغيره ندرك أن هذا العلم قد نشأ على أيدي رجال هم صفوة تلك العصور المباركة، بدءا من الصحابة أمثال عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعائشة أم المؤمنين، وتثنيةً بالتابعين كابن المسيب وسعيد بن جبير وعطاء وابن سيرين وابن شهاب الزهري، ومروراً بتابعي التابعين وإلى ما شاء الله ممن نذروا أنفسهم للحفاظ على دينه من كل عابث وفي ذلك من أخبارهم كل مستملح ومن جهودهم كل مستطرف . . . فعليهم سحائب رحمات الله .

د – تعريف علم الجرح والتعديل : الجرح لغة : قال ابن منظور : (الفعل، جرحه يجرحه جرحا ، ويقال : جرح الحاكم الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره ، والاستجراح : النقصان والعيب والفساد ، وقال ابن عون : (استجرحت هذه الأحاديث) قال الأزهري : ويروى عن بعض التابعين أنه قال : كثرت هذه الاحاديث واستجرحت (أي فسدت وقل صحاحها وهو استفعل من جرح الشاهد إذا طعن فيه ورد قوله، أراد أن الأحاديث كثرت حتى أحوجت أهل العلم بها إلى جرح بعض رواتها ، ورد روايته)[(٣)]

---

(١) وقد استغرق ذلك الجزء الأول بأكمله .

(٢) مقدمة الكامل في الضعفاء ١/ من ٤٧ – ١٣٩ .

(٣) لسان العرب ٢/ ٤٢٢، مادة جرح.

الجرح اصطلاحا :

قال الدكتور محمد محمد السماحي انه : الطعن في راوة الحديث بما يسلب عدالتهم أو ضبطهم [1]

وقال الدكتور محمد عجاج الخطيب : هو ظهور وصف في الراوي ، يثلم عدالته ، أو يخل بحفظه وضبطه ، مما يترتب عليه سقوط روايته او ضعفها وردها " [2]

التعديل لغة :

تفعيل من المصدر « عدْل»

والعدل هو ما قام في النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجور ورجل عدل بَيِّنُ العدل والعدالة : وصف بالمصدر معناه ذو عدل .

قال تعالى : ﴿ **وأشهدوا ذوي عدل منكم** ﴾[3]

وقال : ﴿ **يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾ [4]

وعدَّل الرجل : زكّاه ، والعَدَلَةُ والعُدَلَهْ : المزكون

وقال ابراهيم : (العدل الذي لم تظهر منه ريبة) [5]

التعديل اصطلاحا :

قال الدكتور محمد السماحي : التعديل : هو الحكم على الراوي بانه عدل ضابط[6]

وقال الدكتور الخطيب : « هو من لم يظهر في أمر دينه ومروءته ما يخل بهما » [7]

---

(١) المنهج الحديث في علوم الحديث ، قسم الرواة ص ٨٢ . (٢) أصول الحديث (٢٦٠)

(٣) سورة الطلاق آية (٢) . (٤) سورة المائدة آية (٩٥) . (٥) لسان العرب ١١/ ٤٣٠-٤٣١ .

(٦) المنهج الحديث في علوم الحديث قسم الرواة ص ٥٤ .

(٧) أصول الحديث (علومه ومصطلحه) د. محمد عجاج الخطيب ص ٢٦٠ .

تعريف علم الجرح والتعديل :

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواه وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألفاظ .(1)

وبعد هذا التمهيد الموجز عن علم الجرح والتعديل، بقي أن تلفت الأنظار إلى جهود الإمام الذهلي في هذا الميدان الخطير الذي لا يتصدى له إلا قلة من أئمة هذا الشأن ، فالمجرِّح والمعَدِّل قبل أن يقوم بمهمته يعلم أنه لابد من تأهله لذلك الأمر .

ومن هذه الأمور التي تؤهل لهذه المهمة ما ذكره ابن ناصر الدين . . . . من أن الكلام في الرجال يستدعي أموراً في تعديلهم وردهم ، منها :-

١ - أن يكون المتكلم عارفاً بمراتب الرجال، وأحوالهم في الانحراف والاعتدال ، ومراتبهم من الأقوال والأفعال .

٢- أن يكون المتكلم من أهل الورع والتقى .

٣ - أن يكون مجانبا للعصبية والهوى .

٤ - أن يكون خالياً من التساهل .

٥ - أن يكون عارياً من غرض النفس بالتحامل .

٦ - أن يكون عدلاً في نفسه متقناً .

٧ - أن يكون عارفاً بالأسباب التي يجرح بمثلها الانسان .(2)

والإمام الذهلي كما مر بنا قبل قليل (3)ممن شهد له بالامامة في نقد الرجال ولا بأس بأن نعيد تلك الشهادات بإيجاز مضافا إليها شهادات أخرى .

---

(1) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، للعلامة حاجي خليفة ٢/ ٥٨٢ ، باعتناء محمد شرف الدين بالتقابا، ورفعت الكليسي، وانظر أبجد العلوم للمحدث صديق حسن خان ٢/ ٢١١ .

(2) الرد الوافر ص ٣٩، وانظر مقدمة العلامة المعلمي لتحقيق كتاب الجرح والتعديل ص (ب -ج)، وأسباب اختلاف المحدثين، للدكتور خلدون الأحدب ١/ ٤٧-٥٥ .

(3) في مبحث مكانته بين نقاد الأخبار والرجال .

١ – شهادة الامام محمد بن حبان البستي :

قال : « ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الانتقاد في الاخبار ، وانتقاء الرجال جماعة منهم : محمد بن يحيى الذهلي [(١)] .

٢ – شهادة الامام ابن ناصر الدين الدمشقي :

قال : بعد ذكره للشروط السابقة في حال المجرح والمعدل : " وإذا نظرنا في طبقات النقاد من كل جيل ، الذين قبل قولهم في الجرح والتعديل ، رأيناهم أئمة بما ذكر موصوفين، وعلى سبيل نصيحة الأمة متكلمين . . . . ثم سرد عدة طبقات وبعدها قال : وبعدهم : طبقة البخاري محمد بن اسماعيل ، وقبيل الثلاثمائة بقليل : محمد بن يحيى الذهلي [(٢)] .

٣ – شهادة شيخ الإسلام ابن تيمية :

امتدح شيخ الاسلام ابن تيمية الامام الذهلي ضمن ثلّة من أئمة الحديث قبله وبعده بالخبرة بالاسانيد ثم قال : " وأمثال هؤلاء من أئمة الحديث ونقاده ، وحكامه ، وحفاظه ، الذين لهم خبرة ومعرفة تامة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم واحوال من نقل العلم والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين (وتابعيهم) ومن بعدهم من نقلة العلم [(٣)] .

٤ – شهادة الإمام أحمد بن حنبل :

اعتمد الإمام أحمد بن حنبل قول الذهلي في داود بن علي بما أحدث في نيسابور من بدعة أن القرآن محدث وقال لابنه صالح عندما نقل افكار داود لذلك : محمد بن يحيى أصدق منه [(٤)] .

---

(١) المجروحين من المحدثين ١/ ٥٧ .

(٢) الرد الوافر ص ٣٩.

(٣) منهاج السنة ٧/ ٣١٠.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٣٧٣-٣٧٤، الضعفاء لأبي زرعة ٢/ ٥٥١ .

٥ – شهادة الامام الذهبي :

قال : « والآن نشرع بتسمية من كا ن إذا تكلم في الرجال قبل قوله ، ورجع إلى نقده ، الطبقة الخامسة رقم ٢٧٠ – محمد بن اسماعيل البخاري ، ٢٧١ – ومحمد بن يحيى الذهلي [(١)] .

٦ – شهادة الإمام السخاوي :

قال : « وأما المتكلمون في الرجال فخلق من نجوم الهدى ، ومصابيح الظلم ، المستضاء بهم في دفع الردى ، لا يتهيأ حصرهم . . . الخ .

وفي الطبقة الحادية عشر قال : ثم خلفهم طبقة أخرى متصلة بهم منهم : اسحاق الكوسج ، والدارمي ، والذهلي ، والبخاري ، والعجلي . [(٢)]

ج – منهج الذهلي في الجرح والتعديل

من استقراء أقوال الإمام الذهلي في الرواة وبيانه لأحوالهم تبرز أمامنا ملامح منهجه في نقدهم .

أولاً : في مجال التعديل :

١ – يجمع أكثر من راو للتمييز بينهما وقد يستطرد في وصف أحدهما

ومثال ذلك ما قاله في عبد الرحمن بن نمر اليحصبي [(٣)] .

قال : « عبد الرحمن بن نمر وعبد الرحمن بن خالد [(٤)] ثقتان ولا تكاد نجد لابن نمر حديثا إلا ودون الحديث مثله ، يقول : سألت الزهري عن كذا ،

---

(١) ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» ضمن أربع رسائل في علوم الحديث حققها الشيخ أبو غده ص١٧٨ .

(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث٤/ ٣٥٨، بتحقيق على حسين علي، والاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ص ٣٢٥، ورسالة المتكلمون في الرجال للذهبي ،حققها ضمن أربع رسائل في علوم الحديث ، الشيخ أبو غده ص ٨٤ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٢٨ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٤٢٨ .

فحدثني عن فلان وفلان فيأتي بالحديث على وجهه ولا أعلم روى عنه غير الوليد [1] » [2].

وبينما نجد الذهلي يوثق ابن نمر في أول بيانه نجده يقول : « ولا أعلم روى عنه غير الوليد» مما يوهم تجهيله إياه على المشهور من مذهبه بأن الراوي لا يخرج عن الجهالة ما لم يرو عنه اثنان فصاعدا .

ولكن توثيقه السابق له يفصح لنا أن للذهلي اعتبارات أخرى في الوحدان إذا توافرت خرج الراوي من الجهالة وهو ما اعتمده كثير من العلماء .

٢ – يبين قبوله للراوي بروايته هو وحديثه عنه .

ومثاله « لما سأله أبو قريش محمد بن جمعة [3] عن محمد بن حميد بن حيان الرازي [4] فقال له : (ألا تراني هوذا أحدث عنه) [5] .

ومحمد بن حميد قد رضيه أحمد ويحيى وحدثا عنه ، وسئل ابن معين عنه فقال : ثقة لا بأس به رازي كيّس ، كما وثقه مرة أخرى وبين أن الضعف في أحاديثه ليس من قبله فقال : وهذه الأحاديث التي يحدث بها ليس هو من قبله إنما هو من قبل الشيوخ الذين يحدث عنهم » [6] .

٣ – تعديل الرواة مع بيان ما يحضره أو ما عنده من معلومات عن بلدانهم وأصولهم ومكانتهم العلمية .

ومن ذلك :

---

(١) سبقت ترجمته ص ٤٢٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٨ .

(٣) هو أبو قريش محمد بن جمعة بن خلف القهستاني الأصم، صاحب التصانيف قال الحاكم : من الحفاظ المتقنين مات سنة ٣١٣هـ، السير ١٤/ ٣٠٤.

(٤) هو محمد بن حميد بن حبَّان التميمي أبو عبدالله الرازي، قال ابن معين : ثقة كيِّس، وقال البخاري مات سنة ٢٤٨، الخلاصة ص ٣٣٣.

(٥) تهذيب التهذيب ٩/ ١١٢ .

(٦) المصدر السابق .

أ ـ تعديل الراوي مع بيان كونه من ثقات بلده .

كما قال في النعمان ابن أبي شيبة عبيد الصنعاني أو الجندي [(١)] . . (من ثقات أهل اليمن) [(٢)]

ب ـ تعديل الراوي مع بيان أصله ، ومكان سكناه ومكانته .

قال في عبد الله بن فروخ الخراساني اليمامي [(٣)]

(وابن فروخ خراساني الأصل ، سكن المغرب ، ثقه) [(٤)]

ج ـ تعديل الراوي مع ذكر بلده فقط .

كما قال في محرر بن هارون بن عبد الله بن محرز بن الهدير [(٥)]

(بصري لا بأس به)[(٦)]

٤ – تعديل الراوي بكونه ثبتاً في حديث شيخ بعينه ، أو ثبتا في غير حديث شيخ آخر.

أ – فمثال الاول ، قوله عن أبي النعمان الحكم بن عبد الله القيسي [(٧)]

(كان ثبتًا في شعبة) [(٨)]

---

(١) هو النعمان ابن أبي شيبة عبيد الصنعاني ، قال ابن معين عنه ثقة مأمون كيِّس كيِّس ، الخلاصة ص٤٠٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٠٥ .

(٣) هو عبدالله بن فروخ الخراساني ثم اليمامي ثم المغربي ، قال سعيد ابن أبي مريم : هو أرضى أهل الأرض عندي ، توفي سنة ١٧٥ ، الخلاصة ٢٠٩ .

(٤) تهذيب التهذيب ٥/ ٣١٢ .

(٥) هو محرر بن هارون بن عبدالله بن محرز التيمي المدني ، قال أبو حاتم ليس بالقوي ، الخلاصة ص ٣٧٠ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٠/ ٥٠ .

(٧) هو الحكم بن عبدالله الأنصاري أو العجلي أو القيسي أبو النعمان البصري ، قال الذهبي : صدوق . الخلاصة ص ٨٩ ، الكاشف ١/ ٢٤٥ .

(٨) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٧٢ .

ب – ومثال الثاني قوله عن سليمان بن كثير العبدي [1]

(. . . . . وهو في غير حديث الزهري أثبت) [2]

ثانيا : في مجال التجريح .

١ – يجرح الراوي ويبين سبب جرحه أحيانا وقد يخطيء في ذلك كغيره .

ومن ذلك :

أ – تجريح الرواة لابتداعهم وخروجهم عن منهج السلف في العقيدة .

أولا : قال في إسماعيل بن سميع الحنفي [3] (كان بيهسيًا [4] كان ممن يبغض عليًا) [5]

ثانيا : راسل الإمام أحمد في شأن داود بن علي الظاهري [6] في زعمه حدوث القرآن .

وقال الإمام أحمد (هذا قد كتب إليَّ محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني) [7]

ب ـ يجرح الراوي بما لا يكون جارحاً

مثل ضربه على حديث أبي قدامة السرخسي [8] لكونه دخل عليه فلم يقم له [9] ومعلوم أن هذه كبوة للذهلي فالسرخسي ثقة وعمله لا يجرحه .

---

(١) هو سليمان بن كثير، العبدي، البصري، الحافظ، قال الذهبي، إمام مشهور ثقة توفي ١٦٣، السير ٧/ ٢٩٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٦٠، السير ٧/ ٢٩٤.

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٧٠.

(٤) فرقة البيهسية، هم أتباع أبي بيهس الهيصم بن جابر الذي أمر الوليد بقطع يديه ورجليه، وهم من كبار فرق الخوارج، ولهم آراء شاذة، يكفرون الرعيه بكفر الراعي، وكانوا قدريَّة ومنهم من يكفر بالسكر، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٢٥.

(٥) تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧. (٦) سبقت ترجمته ص ٧٣. (٧) تاريخ بغداد ٨/ ٣٧٣.

(٨) سبقت ترجمته ص ١٩١.

(٩) تهذيب التهذيب ٧/ ١٦.

٢ – يجرح الراوي بالكناية بالقسم أن يذبح بدنه إن حدث عنه

قال في عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري[(١)] :

(عليَّ بدنه إن حدثت عنه حديثا)[(٢)] وضعفه جداً . وفي ذلك تنفير للناس من الرواية عنه لضعفه .

٣ – بيانه إضطراب الراوي في حديث شيخ معين مع إتقانه حديث غيره .

قال في سليمان بن كثير العبدي[(٣)] :

(ما روى عن الزهري فانه قد اضطرب في أشياء منها ، وهو في غير حديث الزهري اثبت)[(٤)]

٤ – جمعه لراويين أو أكثر مع بيان رواياتهم.

قال : شيخان تجيء عنهما أحاديث عن الزهري صحاح ومناكير .

الوليد بن محمد الموقري[(٥)] وعبد الرحمن بن يزيد بن تميم .[(٦)] [(٧)]

---

(١) هو عبد العزيز بن عمران بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، المدني، الأعرج ، متروك احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه ، وكان عارفاً بالأنساب ، مات سنة ١٩٧ ، التقريب ص ٣٥٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ٣١٣ .

(٣) سبقت ترجمته قبل صفحة .

(٤) تهذيب التهذيب ٤/ ١٨٩ –وقد واطأ الذهلي على كلامه في سليمان العبدي عدد من الأئمة ، قال النسائي : ليس به بأس إلا في الزهري فإنه يخطىء عليه (تهذيب التهذيب٤/ ١٨٩)، وقال العقيلي : واسطي سكن البصرة مضطرب الحديث عن ابن شهاب وهو في غيره أثبت، الضعفاء الكبير ٢/ ١٣٧ ، وقال ابن حبان : كان يخطىء كثيراً فأمّا روايته عن الزهري فقد اختلطت عليه صحيفته فلا يحتج بشيء ينفرد به عن الثقات، المجروحين من المحدثين٢/ ٣٣٠ . .

(٥) هو الوليد بن محمد الموقري، بضم الميم، وبقاف مفتوحة، أبو بشر البلقاوي، متروك من الثامنة مات سنة ١٨٢ ، التقريب ص ٥٨٣ .

(٦) هو عبدالرحمن بن يزيد بن تميم السُّلمي، الدمشقي، ضعيف من السابعة ، التقريب ص ٣٥٣ .

(٧) تهذيب التهذيب ١١/ ١٣٢ .

٥ – أحيانا يبين سقم الرواية مع الحكم على أحد رواتها

قال عن حديث رواه البيهقي : (أخاف أن يكون هذا موضوعاً وروح[١] هذا مجهول)[٢]

هذه لمحات من منهجه في تناول الرواة بالجرح والتعديل . وإن عدم الوقوف على مؤلفات الذهلي ليحول بيننا وبين معرفة المزيد من منهجه وحسبنا ما سنقف عليه بعد قليل من سرد لأقواله في الجرح والتعديل المستنبطة من بطون الكتب .

ألفاظ الجرح والتعديل عند الإمام الذهلي

تمهيـــد :

ألفاظ الجرح والتعديل كثيرة جداً ، وحصرها وجمعها متعذر ، ومع ذلك فمعاني بعضها متقاربة ، وعليه فلابد للمتعرض لهذا الباب المهم أن يلم بهذه المعاني ومكانها من الدرجات والمراتب . وجميع أئمة هذا الشأن أرجعوا جميع ألفاظ الجرح والتعديل إلى ثلاثة مراتب :

المرتبة الأولى: مرتبة الاحتجاج، وهي مرتبة الثقات الذين يعمل برواياتهم .

المرتبة الثانية : مرتبة الإعتبار وهي مرتبة من يكتب حديثهم ولا يحتج به ، ولكن ينظر ويعتبر .

المرتبة الثالثة : مرتبة الترك ، وهي مرتبةمن ترد أحاديثهم ولا تكتب .

وكان الإمام الحافظ عبد الرحمن ابن أبي حاتم هو أول الأئمة الذين عنوا بهذه الالفاظ وميزوا المتشابه منها، وجعل كل لفظ في مرتبته المناسبة له . فكان جهده نواة تتابعت عليها جهود الأئمة من بعده .

---

(١) هو روح بن غُطيْف، قال ابن حجر : عداده في أهل الجزيرة، وقد وهَّاه ابن معين. لسان الميزان ٢/ ٥٧٦

(٢) السنن الكبرى ٢/ ٤٠٥ .

فقد أخبر رحمة الله أن الناقلة للآثار والمقبولين على منازل وأن أهل المنزلة العليا الثقات وأن أهل المنزلة الثانية أهل الصدق والأمانة قال رحمه الله : « وجدت الألفاظ في الجرح والتعديل على مراتب شتى واذا قيل للواحد أنه ثقة أو متقن ثبت فهو ممن يحتج بحديثه ، وإذا قيل له أنه صدوق أو محل الصدق أو لا بأس به فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه وهي المنزلة الثانية واذا قيل شيخ فهو بالمنزلة الثالثة يكتب حديثه وينظر فيه إلا أنه دون الثانية ، واذا قيل صالح الحديث فانه يكتب حديثه للاعتبار ، وإذا أجابوا في الرجل بلين الحديث فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتبارا ، واذا قالوا ليس بقوي فهو بمنزلة الأولى في كتبة حديثه إلا أنه دونه ، وإذا قالوا ضعيف الحديث فهو دون الثاني لا يطرح حديثه بل يعتبر به ، ، واذا قالوا متروك الحد يث أو ذاهب الحديث أو كذاب فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه وهي المنزلة الرابعة » (١).

وللامام ابن أبي حاتم أيضا تقسيم آخر للطبقات وكان بمثابة تقعيد وتأصيل لهذا الفن النادر في الأمم قال في بدايته :

(ثم احتيج إلى تبيين طبقاتهم ، ومقادير حالاتهم ، وتباين درجاتهم ليعرف من كان منهم في منزلة الإنتقاد والجهبذة ، والتنقير والبحث عن الرجال والمعرفة بهم ، وهؤلاء هم أهل التزكية والتعديل والجرح . . . . . إلى اخر كلامه عن الطبقات) . (٢)

وكان الخطيب البغدادي من أوائل من تابع ابن أبي حاتم على ذلك التقسيم فاقتصر في كفايته على ذكر أعلى مرتبة وأدون مرتبة وقد ذكر ذلك على سبيل الإعتماد عليه إذ أن استشهاده وتمثيله لذلك كان خاليا عن المعارضة والزيادة والنقصان . (٣)

(١) الجرح والتعديل ٢/ ٣٧ .

(٢) تقدمه الجرح والتعديل ١/ ٦ .

(٣) الكفايه ص ٥٩ .

ثم جاء بعده ابن الصلاح فاستحسن صنيع ابن أبي حاتم وأورده وزاد فيه ما بلغه عن غيره[1] ووافقهما كذلك الإمام النووي في الإرشاد .[2]

ولاقت هذه المراتب غاية تنظيمها وترتيبها واحكامها على ايدي الجهابذة الأئمة الحفاظ وفي مقدمتهم الإمام الذهبي[3] ثم الحافظ العراقي[4] الذي تابع الذهبي في إضافة مرتبة قبل الأولى من مراتب ابن أبي حاتم وهي مرتبة تكرير اللفظ كثقة ثقة .

فوصلت المراتب على يدي الذهبي والعراقي إلى خمس مراتب ، وجاء الحافظ العلامة ابن حجر العسقلاني[5] فجعل ألفاظ الجرح والتعديل اثنتي عشرة مرتبة – التعديل ست مراتب والجرح ست مراتب ، وكأنه تابع الذهبي والعراقي في المراتب الخمس وجعل قبلهن مرتبة الصحابة لشرفهم رضوان الله عليهم .
والثانية من أكد مدحه إما بافعل كأوثق الناس أو بتكرار الصفة لفظاً كثقة ثقة أو معنى كثقة حافظ ، ويلاحظ هنا أنه دمج المرتبتين أفعل وتكرير اللفظ .

بينما استقر عمله في نخبة الفكر وشرحها نزهة النظر على الفصل بينهما وجعل المرتبة الأولى ما كان يوصف أفعل كأوثق الناس . والمرتبة الثانية ما تأكد بصفتين .[6]

وتابعه على ذلك الإمام السخاوي[7] واستقرت المراتب على هذا النظام المحكم الدقيق فرحم الله الجميع .

---

(١) مقدمه ابن الصلاح ص ١٣٣ .

(٢) ١/ ٣٢٠.

(٣) مقدمته لكتاب ميزان الإعتدال ١/ ٤ .

(٤) التقييد والإيضاح ص ١٣٣ ، وانظر فتح المغيث شرح ألفية الحديث له ومتابعته للذهبي وتأكيده لاختياره ص ١٧٢ .

(٥) مقدمة تقريب التهذيب ص٧٤ .

(٦) نخبة الفكر وشرحها نزهة النظر ، ص ٧٠ .

(٧) فتح المغيث ٢/ ١١٠ .

وبعد هذا التعريج الموجز على تاريخ نشوء مراتب الجرح والتعديل نحط الرحال عند بيت القصيد من هذا المطلب المهم وهو مشاركات الإمام الذهلي في الجرح والتعديل وهو من رواد هذا الميدان . . .

والمنهج المنتهج في عرض مشاركاته أن تقسم إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول : مراتب التعديل من الأعلى إلى الأدنى .

القسم الثاني : مراتب التجريح من الأدنى إلى الأعلى وكلاهما على التقسيم الذي استقر عليه العلماء في هذا الشأن وهو تقسيم الإمامين ابن حجر والسخاوي، كل لفظ في مرتبته المناسبة وقد تخلو بعض المراتب حسب ما تيسَّر جمعه من بطون الكتب وفي الحاشية نذكر خلاصة ما توصل إليه الإمامين الذهبي في الكاشف وابن حجر في التقريب وقد أخرج عنهما ان لزم الأمر لوجود إصطلاح خاص بالذهلي يتعين عليَّ إزاءه موازنته ومقارنته بأقوال غيره من الأئمة لنقع على مراده » .

القسم الثالث : بيان بعض ألفاظ الإمام الذهلي الخاصة في الجرح والتعديل .

القسم الأول : مراتب التعديل من الأعلى إلى الأدنى

المرتبة الأولى : الوصف بما دلّ على المبالغة أو ما كان على وزن أفعل أو دل لفظه على كونه فوق التعديل بتكرار اللفظ .

١ - قال في ترجمة يحيى بن يحيى النيسابوري [(١)]

(لو شئت لقلت هو أسن المحدثين في الصدق وكان ثبتاً) [(٢)]

٢ - قال مثنياً على ثلة من العلماء :

(أثبت من رأيت عبد الرحمن [(٣)] ووهب بن جرير [(٤)] ويزيد بن هارون [(٥)] وسليمان بن حرب [(٦)]) [(٧)]

٣ - قال عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني [(٨)]

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٥٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ١١/ ٢٦١ ، وقال الإمام الذهبي في الكاشف : « ثبت فقيه صاحب حديث وليس بالمكثر جداً» ٣/ ٢٧١ ، وقال ابن حجر« ثقه ، ثبت ، إمام » التقريب ٥٩٨ .

(٣) هو ابن مهدي سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٩٣ .

(٥) سبقت ترجمته ص ١٥٨ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٧١ .

(٧) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٣ . أما عبدالرحمن بن مهدي فقد قال عنه الذهبي : «كان أفقه من يحيى القطان» ونقل عن علي ابن المديني قال : « أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن» وعن الذهلي قال : « مارأيت في يده كتاباً قط » الكاشف ٢/ ١٨٧ ، وقال ابن حجر : « ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث» التقريب ص ٣٥١ .
وأما (وهب بن جرير) فقال عنه كل من الذهبي وابن حجر : « ثقة» الكاشف ٣/ ٢٤٥ ، التقريب : ٥٨٥ ، و(أما يزيد بن هارون) فقال عنه الذهبي : « أحد الأعلام » ونقل عن الإمام أحمد قوله : « حافظ متقن » وعن العجلي قال : « ثبت متعبد » ، الكاشف ٣/ ٢٨٧ ، وقال ابن حجر : ثقة متقن عابد « التقريب ص ٦٠٦ وأخيراً (سليمان بن حرب) فنقل الذهبي عن أبي حاتم قال : إمام من الأئمة لايدلس ، ويتكلم في الرجال . . . الخ ، الكاشف ١/ ٣٩٢ . وقال ابن حجر : « ثقة إمام حافظ » التقريب ٢٥٠ .

(٨) سبقت ترجمته ص ١٦٠ .

« كان عبد الرزاق أيقظهم في الحديث وكان يحفظ »[1]

٤ – وقال عن محمد بن المبارك بن يعلى القرشي .[2]

« كان أفضل من رأيت بالشام »[3]

وقال أيضاً « كان أيقظ من رأيت بالشام »[4]

المرتبة الثانية : ما كرر فيه لفظ التعديل لفظا كثقة ثقة ، أومعنى كثقة حافظ ، أو كان لفظة واحدة ولكن مدلولها يقوم مقام اللفظتين.

١ – قال عن زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي[5] : ثقة حافظ[6]

٢ – وقال عن حجاج ابن أبي عثمان الصواف[7] : «حجاج الصواف متين » وقد بين ابن خزيمة مراد شيخه الذهلي بهذا اللفظ وهو من ألصق تلاميذه به فقال : يريد أنه « ثقة حافظ »[8]

---

(١) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٨١ ، قال عنه الذهبي : أحد الأعلام الكاشف ٢/ ١٩٤ : وقال ابن حجر : ثقة حافظ ، التقريب ٣٥٤ .

(٢) هو محمد بن المبارك بن يعلى القرشي أبو عبدالله الصوري الدمشقي ، أحد العلماء ، وثقه أبو حاتم ، توفي سنة ٢١٥ ، الخلاصة ص ٣٥٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٧٦ .

(٤) التعديل والتجريح ٢/ ٦٤٤ ، قال عنه الذهبي : أحد الأئمه الكاشف ٣/ ٩٢ ، وقال ابن حجر : ثقة : التقريب ص ٥٠٤ .

(٥) هو زائدة بن قدامة الثقفي من أهل الكوفة كنيته أبو الصلت كان من الحفاظ المتقنين ، مات سنة ١٦١ ، ثقات ابن حبان ٦/ ٣٣٩ .

(٦) تهذيب التهذيب ٢/ ١٧٩ ، وقال عنه الذهبي : ثقة حافظ ، الكاشف ١/ ٣١٧ ، وقال ابن حجر : « ثقة ثبت ، صاحب سنة» التقريب ٢١٣ .

(٧) هو حجاج ابن أبي عثمان الصواف ، كنيته أبو الصلت مولى التوأمة بنت أمية بن خلف ، كان متقناً ، مات سنة ١٤٣ ، ثقات ابن حبان ٦/ ٢٠٢ .

(٨) تهذيب التهذيب ٢/ ١٧٩ ، وإطلاق الذهلي لفظ « متين» يدل على مكانة حجاج ، وأنه في الذروة من الثقة والحفظ ، وقد استشهد بذلك مصطفى إسماعيل على أن هذه اللفظة في المرتبه الأولى على عمل ابن حجر في التقريب ، وهو دمج مرتبه المبالغة مع مرتبه تكرير اللفظ ، ولم يأخذ بآخر قوليه ، وهو الفصل بينهما الذي استقر عليه في النزهة . . انظر شفاء العليل بألفاظ وقواعد الجرح والتعديل ، تأليف مصطفى إسماعيل ١/ ٢٦-٣٢ . وقد وصف الذهبي حجاجاً بأنه« ثقة» الكاشف ١/ ٢٠٧ ، وقال ابن حجر ، « ثقة حافظ» التقريب ص ١٥٣ .

٣ - سئل عن محمد بن المثنى بن عبيد الله بن قيس العنزي المعروف بالزمن[١] فقال: حجة[٢]

٤ - قال أبو حامد ابن الشرقي: " كان الجارودي [٣] ثبتا عند محمد بن يحيى » [٤]

٥ - وقال عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر [٥] : « ثبت » [٦]

٦ - وقال عن نصر بن علي الجهضمي [٧] : « حجة » [٨]

٧ - وقال عن محمد بن عبد الله الرقاشي [٩] : « كان متقنا » [١٠]

المرتبة الثالثة: ما انفرد فيه لفظ التوثيق.

١ - قال عن النعمان ابن أبي شيبة عبيد الصنعاني أو الجندي [١١] (من ثقات أهل اليمن) [١٢]

---

(١) سبقت ترجمته ص ٢٤٧.

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٧٨، السير ١٢/ ١٢٤، تحفة الأحوذي ١/ ٦١، قال الذهبي: « ثقة ورع» الكاشف ٣/ ٩٣، وقال ابن حجر: « ثقة، ثبت» التقريب ص ٥٠٥.

(٣) سبقت ترجمته ص ٩١.

(٤) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٣، وقال ابن حجر: « ثقة حافظ» التقريب ٥١٠.

(٥) سبقت ترجمته ص ٤٢٨.

(٦) تهذيب التهذيب ٦/ ١٥٠، وقال ابن حجر: « صدوق» التقريب ٣٣٩.

(٧) هو نصربن علي بن نصر بن علي الجهضمي الحافظ أحد أئمة البصرة قال أبو حاتم: هو عندي أوثق من الفلاس وأحفظ، قال البخاري توفي سنة ٢٥٠، الخلاصةص ٤٠١.

(٨) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨٩، وقال ابن حجر: «ثقة ثبت» التقريب ص ٥٦١.

(٩) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي أبو عبد الله البصري، والد أبي قلابة، قال ابن حجر: ثقة مات سنة ٢١٩هـ. التقريب ص ٤٩٠.

(١٠) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٧، تاريخ بغداد ٥/ ٤١٣، وقد نقل الذهبي عن الإمام العجلي قوله عنه: ثقة متعبد عاقل. الكاشف ٣/ ٦٤. وهذه الصيغة يمكن دخولها في المرتبة الثانية على ماذهب اليه الحافظ ابن حجر في النزهة ص ٧٠.

(١١) سبقت ترجمته ص ٤٤٠.

(١٢) تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٠٥، وقال كل من الذهبي وابن حجر «ثقة» الكاشف ٣/ ٢٠٦، التقريب ص٥٦٤.

٢ – وقال عن محمد بن عبد الأعلى الصنعاني [١] : « كان ثقة » [٢] .

٣ – وقال عن عبد الله بن فروخ اليمامي [٣] : « . . ثقة » [٤]

٤ – في ترجمة صخر بن جويرية أبو نافع [٥] : « قال ابن حجر : (وقال الذهلي ثقة) [٦]

٥ – في ترجمة عبد الله بن عمر بن الرماح [٧] قال الذهبي : (وثقه الذهلي) [٨]

٦ – في ترجمة دويد بن نافع الأموي [٩] قال ابن حجر : (ونقل ابن خلفون توثيقه عن الذهلي) [١٠]

---

(١) هو محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، البصري، ثقة، من العاشرة، مات سنة (٢٤٥) . التقريب ص ٤٩١ .

(٢) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٥٤٠، وقال ابن حجر « ثقة» التقريب ٤٩١ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٤) تهذيب التهذيب ٥/ ٣١٢ نقل الذهبي عن سعيد الأزدي: «هو أرضى أهل الأرض» الكاشف ٢/ ١١٨، وقال ابن حجر، صدوق يغلط، التقريب ص ٣١٧ .

(٥) هو صخر بن جويرية، أبو نافع، مولى بني تميم أو بني هلال ، البصري، الإمام الثقة المحدث قال الذهبي : احتج به أرباب الصحاح، انظر السير ٧/ ٤١٠ .

(٦) تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦١وقال الذهبي «ثقة» الكاشف ٢/ ٢٦، وقال ابن حجر: قال أحمد: ثقة ثقة، وقال ابن القطان: « ذهب كتابه ثم وجده فتكلم فيه لذلك» التقريب ص ٢٧٤ .

(٧) هو أبو محمد عبد الله بن عمر بن الرماح البلخي ثم النيسابوري، العلامة قاضي نيسابور ، وكان صاحب سنة وصدع بالحق وامتنع عن القول بخلق القرآن، وكفّر الجهمية، مات سنة ٢٣٤ هـ، السير ١١/ ١٢ .

(٨) المصدر السابق.

(٩) هو دويد بن نافع القرشي يروي عن الزهري، وروى عنه الليث، من السادسه، الثقات ٦/ ٢٩٢.

(١٠) تهذيب التهذيب ٣/ ١٨٥، وقال الذهبي: «مستقيم الحديث » الكاشف ١/ ٢٩٥، وقال ابن حجر «مقبول، كان يرسل» التقريب ص ٢٠١ . وقد رجعت لكتاب ابن خلفون وهو مخطوط باسم: (المعلم بأسماء شيوخ البخاري ومسلم) ضمن مخطوطات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث بجامعة أم القرى تحت رقم خاص (٧٨٣، ٩٣٢) فلم أجد ترجمته ولا ترجمة الأربعة الآتين بعد قليل ولعل ذلك لترتيب خاص بالمؤلف أو لسقط ونحوه والله أعلم.

٧ – في ترجمة شبيب بن سعيد التميمي الحبطي [١] قال ابن حجر : (ونقل ابن خلفون توثيقه عن الذهلي) [٢]

٨ – في ترجمة سنان بن هارون الكوفي [٣] . قال ابن حجر : (حكى الحاكم في تاريخ نيسابور أن الذهلي وثقه) [٤]

٩ – في ترجمة سلمان الأغر مولى جهينة [٥] . قال ابن حجر : (وقال ابن خلفون وثقه الذهلي) [٦]

١٠ – في ترجمة زيد ابن أبي أُنيسه [٧] . قال ابن حجر : (وذكر ابن خلفون أن الذهلي وابن نمير والبرقي وثقوه) [٨]

١١ – في ترجمة سعد بن عبيد الزهري [٩] . قال ابن حجر : (ونقل ابن خلفون توثيقه عن الذهلي وابن البرقي) [١٠]

---

(١) هو شبيب بن سعيد الحبطي أبو سعيد من أهل مصر روى عنه ابن وهب وابنه أحمد، الثقات ٨/ ٣١٠.

(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٩، وقال الذهبي «صدوق» الكاشف ٢/ ٤، وقال ابن حجر: لاباس بحديثه من روايه ابنه أحمد عنه، التقريب ص ٢٦٣ .

(٣) هو سنان بن هارون البرجمي الكوفي أبو بسر من الثامنة، قال الدوري عن ابن معين : سنان بن هارون أخو سيف وسنان أحسنهما حالاً. التاريخ ٣/ ٤٢٢ . .

(٤) تهذيب التهذيب ٤/ ٢١٣، وقال ابن حجر : صدوق فيه لين ، التقريب ص ٢٥٦ .

(٥) هو سلمان الأغر أبو عبدالله مولى ابن الزبير مولى جهينه، أصله من أصبهان من كبار الثالثة . الثقات ٤/ ٣٣٣، التقريب ٢٤٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ٤/ ١٢٣، وقال ابن حجر : ثقة ، التقريب ص ٢٤٦ .

(٧) هو زيد ابن أبي أنيسه الجزري فقيهاً ورعاً مولى لغني كان يسكن الرها، روى عنه مالك وأهل بلده ، مات سنة ١٢٥ هـ(الثقات لابن حبان ٦/ ٣١٥).

(٨) تهذيب التهذيب ٣/ ٣٤٣، وقال الذهبي: حافظ إمام ثقة. الكاشف ١/ ٢٣٦، وقال ابن حجر: ثقة له أفراد ، التقريب ص ٢٢٢ .

(٩) هو سعد بن عبيد القرشي مولى عبدالرحمن بن أزهر، كان من فقهاء المدينه ومفتيهم يروي عن عمر وعثمان وعلي ، الثقات ٤/ ٢٩٥، مات سنة ٩٨هـ.

(١٠) تهذيب التهذيب ٣/ ٤١٤، وقال ابن حجر : ثقة . التقريب ص ٢٣١ .

١٢ - في ترجمة محمد بن بشار البصري [١] . قال ابن حجر : (وثقه العجلي والنسائي و . . . و . . . . . والذهلي) [٢]

١٣ - في ترجمة محمد بن الفضل السدوسي [٣] . قال ابن حجر : وقال الذهلي : (حدثنا محمد بن الفضل عارم ، وكان بعيداً عن العرامة ، صحيح الكتاب ، وكان ثقة) [٤]

المرتبة الرابعة : من قصر عن الثالثة قليلا كقوله: صدوق . أو لا بأس

١ - في ترجمة محمد بن جابر بن سيار السحيمي [٥] . قال ابن حجر : قال الذهلي (لا بأس) [٦]

٢ - في ترجمة محرر بن هارون بن عبد الله بن محرز [٧]

قال ابن حجر : وقال محمد بن نصر المروزي : سألت محمد بن يحيى عنه فقال :

(بصري لا بأس به) [٨]

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٩١ .

(٢) هدي الساري ص٤٣٧ ، وقال الذهبي : وثقة غير واحد الكاشف ٣/ ٢٣ ، وقال ابن حجر : ثقة ، التقريب ص ٤٦٩ .

(٣) هو محمد بن الفضل الحافظ الثبت الإمام، أبو النعمان السدوسي البصري . مات سنة (٢٢٤) السير ١٠/ ٢٦٥ .

(٤) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٥٨ وقال ابن حجر: ثقة ثبت تغير في آخر عمره ، التقريب ص ٥٠٢ .

(٥) هو محمد بن جابر بن سيَّار بن طارق الحنفي ، اليمامي ، روى عن حبيب ابن أبي ثابت ، وعنه السفيانان . خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ٣٣٠ .

(٦) تهذيب التهذيب ٩/ ٧٨ ، وقال الذهبي : « سيء الحفظ» الكاشف ٣/ ٢٧ ، وقال ابن حجر : صدوق ، ذهبت كتبه فساء حفظه وخلط كثيراً وعمي وصار يلقن ورجحه ابو حاتم على ابن لهيعة . التقريب ص ٤٤٠ .

(٧) سبقت ترجمته ص ٣٢٠ .

(٨) تهذيب التهذيب ١٠/ ٥٠ ، وقال الذهبي : ضعفوه، الكاشف ٣/ ١٢٣ ، وقال ابن حجر ، «متروك» التقريب ص ٥٢١ .

٣ - ونقل أبو داود في سننه عن الذهلي قوله : (حدثنا محمد بن عبد الله خالد الصفار [١] من أصله وكان صدوقا) [٢]

٤ - وسئل عن أحمد بن الأزهر بن منيع العبدي النيسأبوري [٣]

فقال : أبو الأزهر من أهل الصدق والأمانة ، نرى أن يكتب عنه قالها مرتين . [٤]

المرتبة الخامسة : من قصر عن الرابعة قليلاً

١ - في ترجمة عمر بن شقيق بن أسماء البصري [٥]

قال ابن حجر : وقال الذهلي : (ما رأيت أحداً يضعفه) [٦]

٢ - في ترجمة محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي [٧]

قال ابن حجر : وقال الحاكم : (قال محمد بن يحيى هو حسن الحديث عنده غرائب) [٨]

---

(١) لم أجد ترجمته

(٢) تهذيب سنن أبي داود لابن قيم الجوزية المطبوع بحاشية عون المعبود شرح سنن أبي داود للفيروزآبادي، تحقيق وضبط عبد الرحمن محمد عثمان ١/ ٢٤٤ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٦٩ .

(٤) تهذيب التهذيب ١/ ١٠ ، تاريخ بغداد ٤/ ٤٣ ، ونقل الذهبي عن أبي حاتم وصالح جزرة «أنه صدوق» الكاشف ١/ ٥١ ، وقال ابن حجر في تقريبه «صدوق كان يحفظ ثم كبر فصار كتابه أثبت من حفظه» التقريب ص ٧٧ .

(٥) هو عمر بن شقيق بن أسماء الجرمي البصري . روى عن أبي جَعفر الرازي وإسماعيل بن مسلم المكي، قال ابن عدي هو قليل الحديث وذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب التهذيب ٧/ ٤٠٧ .

(٦) تهذيب التهذيب ٧/ ٤٠٧ ، وقال الذهبي : «وثق» الكاشف ٢/ ٣١٤، وقال ابن حجر : «مقبول» التقريب ص ٤١٤ .

(٧) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ .

(٨) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٠ ، وقال الذهبي «كان صدوقاً من بحور العلم وله غرائب وحديثه حسن» الكاشف ٣/ ١٩ ، وقال ابن حجر : «صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر» التقريب ص ٤٦٧ .

٣ – في ترجمة محمد بن عبد الله ابن أبي عتيق القرشي [1]

قال ابن حجر : وقال الذهلي : (وهو حسن الحديث عن الزهري ، كثير الرواية مقارب الحديث) [2]

٤ – وسئل عن إسماعيل بن سميع الحنفي [3] فقال : « كان بيهسياً كان ممن يبغض عليا » [4]

القسم الثاني : ـ مراتب التجريح من الأدنى إلى الأعلى :

المرتبة الأولى : وهي أسهلها وأقربها إلى أدنى مراتب التعديل .

١ – قال عن عبد الله بن عبد العزيز الليثي المدني [5] ضعيف الحديث [6]

---

(١) هو محمد بن عبدالله ابن أبي عتيق محمد بن عبدالرحمن ابن أبي بكر الصديق القرشي التميمي المدني . ذكره ابن حبان في الثقات ، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٦ ، وقال ابن حجر : «مقبول» التقريب ص ٤٩٠ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٧٠ .

(٤) تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧ ، وقال الإمام الذهبي : ثقة فيه بدعة .
الكاشف (١/ ١٢٤)، وقال ابن حجر : صدوق تكلم فيه لبدعة عن الخوارج ، التقريب ص١٠٨ .
وقد وضعته في هذه المرتبه تبعاً للحافظ ابن حجر حيث قال في مراتبه الإثنتي عشرة .
المرتبه الخامسة : من قصر عن الرابعة قليلاً وإليه الإشارة بصدوق ، أو صدوق يهم أوله أوهام ، ويلتحق بذلك من رمي بنوع من البدعة ، كالتشيع والقدر ، والنصب ، والإرجاء أو التجهم ، مع بيان الداعية من غيره ، التقريب ص ٧٤ .

(٥) هو : عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر الليثي أبو عبد العزيز المدني قال البخاري : منكر الحديث ، من السابعه ، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٦٣ ، التقريب ص ٣١٢ .

(٦) الضعفاء الكبير ٢/ ٢٧٦ ، وقال الذهبي : ضعفه أبو حاتم « الكاشف ٢/ ١٠٥ ، وقال ابن حجر : «ضعيف واختلط بآخره» التقريب ص ٣١٢ .

٢ - وقال عن عثمان بن عبد الرحمن بن مسلم الحراني أبو هاشم المعروف بالطرائفي[(١)] (لين) . . . . الخ[(٢)]

٣ - وقال عن حماد ابن أبي سليمان مسلم الاشعري[(٣)] : كثير الوهم والخطأ .[(٤)]

المرتبة الثانية :

١ - في ترجمة اسحاق بن يحيى بن علقمة الكلبي الحمصي[(٥)]

قال ابن حجر : . . . وقال الذهلي : مجهول[(٦)].

٢ - وقال عن سليمان بن داود الخولاني[(٧)] : مجهول[(٨)] .

---

(١) هو عثمان بن عبدالرحمن بن مسلم الحراني وعن ابن عدي أنه لأباس به إلا أنه يحدث عن مجهولين بعجائب ، توفي سنة ٢٠٢ . والطرائفي نسبة لتتبع طرائف الأحاديث ، الأنساب ٤/ ٥٧ ، تهذيب الكمال ١٩ / ٤٢٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٧/ ١٢٣ وقال فيه الذهبي : كان يتبع طرائف الحديث، وثّق. الكاشف ٢/ ٢٥٣، وقال ابن حجر : «صدوق أكثر الرواية عن الضعفاء والمجاهيل فضعف بسبب ذلك حتى نسبه ابن نمير إلى الكذب وقد وثقه ابن معين » التقريب ٣٨٥.

(٣) هو حماد ابن أبي سليمان مسلم الأشعري أبو إسماعيل الكوفي . قال النسائي : ثقة مرجئ مات سنة ١٢٠هـ . خلاصة التذهيب ص٩٢ .

(٤) تهذيب التهذيب ٣/ ١٥ ، وقال الإمام الذهبي : « ثقة إمام مجتهد » الكاشف ١/ ٢٥٢، وقال ابن حجر : فقيه صدوق له أوهام، ورمي بالإرجاء »، التقريب ص ١٧٨ .

(٥) هو إسحاق بن يحيى بن علقمة الكلبي الحمصي، المعروف بالحمصي، خرّج له البخاري في كتاب الأدب. ميزان الإعتدال : ١/ ٢٠٤.

(٦) تهذيب التهذيب ١/ ٢٢٣، قال الذهبي : «لايعرف» الكاشف ١/ ١١٤، وقال ابن حجر «صدوق قيل أنه قتل أباه» التقريب ١٠٣ ، ميزان الإعتدال ١/ ٢٠٣.

(٧) هو سليمان بن داود الخولاني الداراني الدمشقي. قال ابن معين : ليس بشيء. خلاصة التذهيب ص١٥١ .

(٨) الضعفاء الكبير ٢/ ١٢٧ ، وقال فيه الذهبي نقلاً عن أبي حاتم : لابأس، الكاشف ١/ ٣٩٣ وقال ابن حجر «صدوق» التقريب ص ٢٥١ .

٣ - وفي ترجمة علاج بن عمرو . (١)

قال ابن حجر : وقال الذهلي : لا يعرف (٢)

٤ - قال عن روح بن غطيف بن أعين الجزري (٣) . مجهول (٤)

---

(١) قال الذهبي : علاج بن عمرو عن ابن عمر . لا يعرف . له حديث واحد عند أبي داود . ميزان الإعتدال (٤/ ٢٧) .

(٢) تهذيب التهذيب ٨/ ١٧٤ ، وقال ابن حجر في المرجع السابق : « روى عنه أشعث بن سليم وأبو صخر جامع بن شداد وذكره ابن حبان في الثقات أ . هـ» ومعلوم تساهل ابن حبان في التوثيق بمجرد أن تنتفي جهالة عين الراوي فهو عنده عدل حتى يثبت فيه مايجرحه ، وقد أجاب ابن حجر عن هذا المذهب لابن حبان بأن مذهب عجيب! والجمهور على خلافه ، وبين أنه في كتابه الثقات ذكر خلقاً ممن نص أبو حاتم وغيره على أنهم مجهولون ، وكان عند ابن حبان جهاله العين تنتفي برواية واحد مشهور . . . وهو مذهب شيخه ابن خزيمة ولكن جهالة حاله باقيه عند غيره؟ أ . هـ .

انظر مذهب ابن حبان والرد عليه في لسان الميزان ١/ ٢٥ المقدمة . وقال ابن حجر في التقريب : «مقبول» ص ٤٣٦ .

وقد مر بنا قبل في مطلب «المجهول» المبحث الأول . . . تفاوت العلماء في تقرير ما ترتفع به جهاله العين عن الراوي . : وكان مذهب الذهلي والدار قطني والخطيب ارتفاع الجهاله برواية إثنين عنه .

بينما نجد الذهلي يوثق عبدالرحمن بن نمر اليحصبي من تصريحه بأنه لم يرو عنه إلا واحد . . . وكأن الأمر عنده نسبي حسب مكانة الراوي عنه .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٤٣ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٤٠٥ ، وقال ابن أبي حاتم في ترجمته : «روى عنه عبدالسلام بن حرب والقاسم بن مالك المزني ومحمد بن ربيعة سمعت أبي يقول ذلك وسمعته يقول : ليس بالقوي منكر الحديث جداً» الجرح والتعديل ٣/ ٤٩٥ ، وقال العقيلي حدثني آدم قال : سمعت البخاري يقول : هذا الحديث باطل-(أي حديث : «تعاد الصلاة من قدر الدرهم من الدم» الذي رواه روْح بن الغطيف) . . . وروح هذا منكر الحديث : الضعفاء الكبير ٢/ ٥٦ ، =

المرتبة الثالثة :

١ - في ترجمة عبد الجبار بن عمر الأيلي أبو عمر الأموي مولاهم [(١)]

قال ابن حجر وقال محمد بن يحيى الذهلي : ضعيف جداً . [(٢)]

٢ - في ترجمة يحيى بن عبد الحميد بن عبدالرحمن الحِمَّاني الكوفي لقب جده بشمين [(٣)] .

أ - قال مرَّة : « ذهب كأمس الذاهب » [(٤)]

ب - وقال أخرى : « اضربوا على حديث الحماني بستة اقلام » [(٥)]

ج - وقال أخرى : « ما أستحل الرواية عنه » [(٦)]

٣ - نقل المزي في ترجمة عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر [(٧)] عن أحمد الكوفي قوله : سمعت محمد بن يحيى النيسابوري يقول : « عليَّ بدنة إن حدَّثت عن عبد العزيز بن عمران حديثا ورأيته يضعفه جدا » [(٨)]

= وقال ابن حبان : روح بن غطيف ، روى عنه القاسم بن الوليد ومحمد بن ربيعة ، كان يروي الموضوعات عن الثقات لاتحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه» المجروحين من المحدثين ١/ ٢٩٤ . وانظر التعليق على روايته لهذا الحديث ص ٧٩٩ من الفصل الثالث .

(١) هو عبد الجبار بن عمر الأيلي أبو عمر . سمع الزهري، وربيعة، وعنه ابن وهب والمقري . قال أبو حاتم : ضعيف الحديث منكر الحديث جداً ليس محله الكذب . الجرح والتعديل ٦/ ٣١ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ٩٤ ، التمهيد لابن عبدالبر ١١/ ٣٦، وقال الذهبي في الكاشف ٢/ ١٤٨ ، «وَهَّاه أبو زرعة»، وقال ابن حجر : ضعيف، التقريب ٣٣٢ .

(٣) هو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الكوفي، قال الذهبي : قد تواتر توثيقه عن يحيى بن معين، كما قد تواتر تجريحه عن الإمام أحمد . مات سنة ٢٢٨هـ . السير (١٠/ ٥٢٦) .

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٥ ، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٣٢ ، تهذيب التهذيب ١١/ ٢١٦ .

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٦ ، السير ١٠/ ٥٣٣ .

(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٤ ، ١٧٥ ، السير ١٠/ ٥٣٤ .

(٧) سبقت ترجمته ص ٤٤٢ .

(٨) تهذيب الكمال ١٨/ ١٨٠ ، وسيأتي الحديث عن هذه الصيغه في ألفاظه الخاصة ، والمراد هنا هو شدة تضعيفه للراوي .

١ - يا لك من رجل .

تذاكر البرذعي [(١)] مع الإمام الذهلي في حديث فقال : سألت محمد بن يحيى عن حديث كان في كتابي عنه عن أحمد بن يونس ، عن طلحة بن زيد ، عن ابراهيم ابن أبي عبلة[(٢)]؟ فأبي أن يقرأه علي . فقلت له : إن إبراهيم بن أبي عبلة أخبرنا ، أعني بحديثه فقال : ابراهيم ابن أبي عبلة (يا لك من رجل) [(٣)] وطلحة بن زيد يدس الرجل ولا يستحق أن يروى عنه أو كلمة نحوها .

---

(١) سبقت ترجمته ص ٩٤ .

(٢) هو إبراهيم ابن أبي عبلة شمر بن يقظان بن عبدالله المرتحل أبو إسماعيل ، ويقال أبو سعيد الرملي وقيل الدمشقي ، روى عن أنس بن مالك وأم الدرداء الصغرى وروى عنه مالك والليث وابن المبارك وسواهم ، وعَبْلَة بباء ساكنه معجمة بواحدة فهي « عَبْلَه بنت عبيد بن جَاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم وهي أم أمية الأصغر بن عبد شمس واليها ينسب ولدها فيقال لهم : العَبَلاَت» . انظر الإكمال لابن ماكولا ٦/ ٣٠٧ وانظر (حذف من نسب قريش) ص ٣٥ للنسابة مؤرج بن عمرو السدوسي ضمن مجموعه الرسائل الكماليه رقم (٩) في الأنساب بتحقيق المنجد . وانظر تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ٣/ ٩١١ .

(٣) عبارة الذهلي هذه جاءت في موضع الثناء على ابن أبي عبلة كما دلت على توثيقه إياه . ومن استعراض أقوال أئمة هذا الشأن يتضح لنا تربعه على عرش الوعظ والنصح مع الثقة والصيانة . . . [قال يحيى بن معين : ثقة ، وقال علي بن المديني : كان أحد الثقات ، وقال أبو حاتم صدوق ثقة ، وقال الدار قطني : الطرقات إليه ليست تصفو ، وهو بنفسه ثقة لايخالف الثقات ، إذا روى عنه ثقة ، وقال الخطيب : « ثقة من تابعي أهل الشام يجمع حديثه . وقال النسائي في التمييز : لابأس ، وقال مرة أخرى : ثقة ، وكذا قال دحيم ويعقوب بن سفيان .

انظر التاريخ ليحيى بن معين ٢/ ١١ ، سؤالات الحاكم للدار قطني ص١٨١ . دراسة وتحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، الجرح والتعديل ٢/ ١٠٥ ، والتعديل والتجريح لأبي الوليد الباجي ١/ ٣٥٦ ، تهذيب الكمال للمزي ٢/ ١٤٠ ، ت ت لابن حجر ١/ ١٢٤ ، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ٥٢ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١/ ١٦ لابن القيسراني ، رجال صحيح مسلم ١/ ٤٤ لابن منجويه ، الثقات لابن حبان ٤/ ١١ ، مشاهير علماء الأمصار له ص ١١٧ .

٢ - قال عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب [(١)]

«ليس على عاصم بن عبيد الله قياس»[(٢)]

وهذا الإصطلاح من ألفاظ (المقابلة) !! فانه يدل على أن الراوي إما غاية في المدح أو غاية في الذم. أما في المدح فقد قال ابن المبارك : شريك [(٣)] أعلم بحديث بلده من الثوري .

فذكر هذا لابن معين ، فقال : ليس يقاس بسفيان أحد ، لكن شريك أروى منه في بعض المشايخ » [(٤)]

وأما في الذم : فإن الإمام أحمد حمل حملاً شديدًا على ابن الحماني [(٥)] في أمر الحديث ونقل الأثرم قوله « ابن الحماني ليس الآن عليه قياس ، أمر ذاك عظيم» أو كما قال ، وقال الأثرم : « ورأيته شديد الغيظ عليه » [(٦)]

وأما كلام الذهلي عن عاصم هنا فانه في مجال الذم والتضعيف وقد واطأه على ذلك عدد من الأئمة . [(٧)]

---

(١) هو عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، ضعيف من الرابعة، مات في أول دولة بني العباس سنة ١٣٢، التقريب ص٢٨٥ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٥/ ٤٣ .

(٣) هو شريك بن عبد الله، العلامة الحافظ، القاضي، أبو عبد الله النخعي، أحد الأعلام على لين فيه . مات بالكوفة سنة ١٧٧ . السير ٨/ ٢٠٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٠٢ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٤٥٧ .

(٦) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٣١، تاريخ بغداد ١٤/ ٧٤، وانظر شفاء العليل لمصطفى إسماعيل ١/ ٤١٠ .

(٧) سأل عثمان بن سعيد الدرامي يحيى بن معين عن عاصم بن عبدالله فقال : ضعيف « تاريخه عن يحيى بن معين ص ١٣٧، وقال ابن أبي حاتم في علل الحديث ١/ ٦٥ : عاصم مضطرب الحديث» ؛ وقال الدار قطني في السنن ٢/ ٢٠٢ (غيره أثبت منه) وقال في العلل الواردة في الأحاديث النبوية، بتحقيق وتخريج الدكتور محفوظ الرحمن السّلفي٢ / ٢٢ « كان سيء الحفظ » . ونقل ابن رجب في شرحه علل الترمذي ٢/ ٨٧٦- عن الإمام النسائي في قوله (لانعلم مالكاً روى عن انسان ضعيف مشهور بالضعف إلا عاصم بن عبدالله . . الخ) . وقال ابن حبان « كان سيء الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ فترك من أجل كثرة خطئه » سمعت ابن خزيمه يقوله، انظر (تهذيب التهذيب ٥/ ٤٣) لبقية الأقوال، وميزان الإعتدال ٣/ ٦٧ .

٣ - قال عن عبد العزيز عن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري [١] : عليٌّ بدنة إن حدثت عنه حديثاً وضعفه جداً. [٢]

وهذه الصيغة عن الإمام الذهلي تدل دلالة واضحة على ضعف الرجل وأنه ليس من أهل صنعة الحديث وقد ضعفه جدًا العلماء وتقاربت أقوالهم فيه [٣].

٤ - في نهاية المساءلة السابقة بين البرذعي والذهلي.

قال الذهلي : (. . . وطلحة [٤] يدس الرجل ولا يسحق أن يروى عنه أو كلمه نحوها[٥]

(١) سبقت ترجمته ص ٤٤٢. (٢) ت ت ٦/ ٣١٣.

(٣) فقد قال البخاري لايكتب حديثه ، منكر الحديث، ت الكبير ٦/ ٢٩، ت الصغير ٢/ ٢٣٤، الضعفاء الصغير، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد إبراهيم زايد ص ٧٨ . وسأل عثمان بن سعيد الدرامي يحيى بن معين عنه فقال : ليس بثقة، وإنما كان صاحب شعر، تاريخ عثمان عن يحيى بن معين ص ١٦٩ ، وفيما كتب عبدالله بن أحمد إلى ابن أبي حاتم قال سألت أبي عن عبدالعزيز بن عمران فقال : ماكتبت عنه شيئاً وقال أبو حاتم : متروك الحديث ضعيف الحديث، منكر الحديث جداً، الجرح والتعديل ٥/ ٣٩١، وقال العقيلي : حديثه غير محفوظ، ولايعرف إلا به، الضعفاء الكبير ٣/ ١٣ ، وذكره الدار قطني في الضعفاء والمتروكين، بتحقيق الدكتور موفق بن عبد الله٢٨١ ، وقال ابن حبان في المجروحين ٢/ ١٣٩ : ممّن يروي المناكير عن المشاهير فلما أكثر مما يشبه حديث الأثبات لم يستحق الدخول في جملة الثّقات فكان الغالب عليه الشعر والأدب دون العلم. وقال ابن عدي : وقد حدث عنه جماعة من الثقات أحاديث غير محفوظه، الكامل ٥/ ٢٨٦ وقال الذهبي في الكاشف ٢/ ٢٠١ : تركوه وقال ابن حجر في التقريب ٢٥٨ : متروك احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد خلطه وكان عارفاً بالأنساب من الثامنة ، توفي سنة ١٩٧ . أ. هـ.

(٤) هو طلحة بن زيد الرقي، ويقال : الشامي، كان أصله من دمشق، منكر الحديث جداً، وقال ابن المديني : كان طلحة بن زيد سيئاً يصنع الحديث. المجروحين لابن حبان ١/ ٣٧٩. ميزان الإعتدال ٣/ ٢٥.

(٥) الضعفاء لأبي زرعة ٢/ ٧٥١ وقال عنه أحمد بن حنبل : كان يضع الحديث وفي رواية أخرى عنه ليس بشيء كان يضع الحديث (بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم) ص ٢١٨ وقال البخاري منكر الحديث (ت الكبير ٤/ ٣٥١) ونقل ذلك عنه العقيلي في الضعفاء الكبير ٢/ ٢٢٥ . وقال ابن حبان (منكر الحديث جداً، يروي عن الثقات المقلوبات لايحل الاحتجاج بخبره) المجروحين ١/ ٣٧٩، وذكره الدار قطني في الضعفاء والمتروكين ص ٢٢٥ ، وقال صالح بن محمد (لايكتب حديثه) وقال أبو حاتم (منكر الحديث ضعيف الحديث، لايعجبني حديثه)، انظر تهذيب التهذيب ٥/ ١٥ ، وميزان الإعتدال ٣/ ٥٢ ، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي ٢/ ٢٦٤ والله أعلم.

وواضح من سياق نقده جرحه لطلحة وأنه ليس بأهل لأن يروى عنه، وأن من حاله أنه يضع الحديث يظهر ذلك من قوله (يدس الرجل) واللفظ فيه تصوير بتعمد التغيير والتبديل والتلفيق لرجال الاسانيد وافتعال وابتداع المتون. والدس كما قال ابن منظور « هو دسك شيئا تحت شيء وهو الإخفاء [1] ، وقال المناوي » الدس : الدفع الشديد بقهر . [2]

إستدراك وتنبيـــــه :

في ترجمة أحمد بن صالح المصري أبو جعفر الطبري . [3]

قال تاج الدين السبكي : «وقد تكلم النسائي في أحمد بن صالح ، فقال ليس بثقة ولا مأمون تركه محمد بن يحيى ورماه يحيى بن معين بالكذب» [4]

وأبو جعفر إمام مجمع على إمامته وثقته وكان الإمام النسائي سيء الرأي فيه، لذا يجب بيان وجه الحق فيما نسب إلى الذهلي وابن معين حسب ما قرره العلماء . [5]

---

(١) لسان العرب ٦/ ٨٢.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الدّاية ص٣٣٧.

(٣) سبقت ترجمته ص ١٦٥.

(٤) طبقات الشافعيه الكبرى ٢/ ٧، وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٦٦، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٥.

(٥) ولايؤخذ بكلام النسائي على عو اهنه . . . وهذا بعض كلام الأئمة في أحمد : قال ابن أبي حاتم سئل أبي عن أحمد بن صالح المصري فقال : ثقة، الجرح والتعديل (٢/ ٥٦) وقال العجلي في تاريخ الثقات: «ثقة يكنى أبا جعفر صاحب سنة» ص ٤٨، . . وقال الخليلي : « ثقة حافظ وكتب عنه محمد بن يحيى الذهلي ، وأبو زرعه وأبو حاتم، وتكلم فيه النسائي واتفق الحفاظ على أن كلامه فيه تحامل، ولايقدح كلام أمثاله فيه: الإرشاد ١/ ٤٢٤» وقال ابن نمير : حدثنا أحمد بن صالح وإذا جاوزت الفرات فليس تجد مثله، وقال أبو زرعة : سألني أحمد من خلفت بمصر؟ قلت : أحمد بن صالح فسُرّ بذكره» تهذيب التهذيب ١/ ٣٥، وقال يعقوب بن سفيان الفسوي : كتبت عن ألف شيخ وكسر ، ماأحد منهم اتخذه عند الله حجة إلا أحمد بن حنبل وأحمد بن صالح (المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٧١) وهذا الإمام لم يجرحه فيما اطلعت عليه =

= غير النسائي وسبب ذلك مارواه ابن عدي عن محمد بن هارون البرقي قال: هذا الخراساني يتكلم في أحمد بن صالح ، لقد حضرت مجلس أحمد، فطرده من مجلسه، فحمله ذلك على ان تكلم فيه، قال ابن عدي : ولولا أني شرطت في كتابي أن اذكر كلَّ من تكلم فيه لكنت أجل أحمد بن صالح أن أذكره ، الكامل في الضعفاء ١/ ١٨٣-١٨٤ .
وكان مما قاله النسائي في أحمد بن صالح «ليس بثقة ولامأمون» ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ١٠٤، وبيَّن قول ابن معين فيه وما رماه به ، قال أبو سعيد بن يونس : كان أبوه من طبرستان جندياً من العجم وكان أحمد حافظاً للحديث ذكره النسائي يوماً فرماه، وأساء الثناء عليه ، وقال: حدثنا معاوية بن صالح، سمعت يحيى بن معين يقول: أحمد بن صالح كذاب يتفلسف، قال ابن يونس : لم يكن عندنا بحمدالله كما قال النسائي ، ولم يكن له آفة غير الكبر، تاريخ بغداد ٤/ ٢٠٢، سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٦٥ .
وأما مانَسَبه الإمام النسائي إلى الإمامين « الذهلي وابن معين» فقد وجَّهُه العلماء، قال الإمام العلامة عبدالرحمن المعلمي« أما قوله: « تركه محمد بن يحيى » فوهم، فإن رواية محمد بن يحيى عن أحمد بن صالح موجودة، وقال ابن عدي : «حدث عنه البخاري والذهلي [محمد بن يحيى] واعتمادهما عليه في كثير من حديث الحجاز» وكأن الذهلي لما سمع منه النسائي لم يحدثه عن أحمد بن صالح فظن النسائي أنه تركه ، ولعله إنما لم يحدثه عنه لأنه كان حياً ورأى الذهلي أن النسائي كغيره من طلبة الحديث إنما يرغبون في العوالي». التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ١/ ٣٠٩.
وأما مانسبه إلى ابن معين أنه قال : (أحمد بن صالح كذاب يتفلسف)
فقد ذكر ابن حبان في ثقاته أن الذي قصده ابن معين هو أحمد بن صالح الشمومي. شيخ كان يضع الحديث بمكة ، ٨/ ٢٦، فإن صدق توجيه ابن حبان والا فيكفي ماقاله الإمام البخاري في أحمد بن صالح ابن الطبري: «ثقة صدوق ومارأيت أحداً يتكلم فيه بحجة، كان أحمد بن حنبل وعلي ابن المديني وابن نمير وغيرهم يثبتون أحمد بن صالح، وكان يحيى بن معين يقول : سلوا أحمد فإنه أثبت ، انظر التنكيل ١/ ٣٠٩.
وللإمام الذهبي توجيه فيما نسب إلى ابن معين «وهو أنه من نوادره وشواذه وأن ذلك باجتهاد خاص، ولعله شاهد مايلينه باعتبار العدالة لا الإتقان- ولعله ذلك الأمر الذي نقمه عليه عدد من العلماء وهو التيه والكبر- وبين الذهبي أنه ربما إطلع على بعض حاله في الشباب فلما شاخ وكبر لزم الخير»- بتصرف وزيادة انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٨٢.
ولابن حجر توجيه طريف ووجيه وهو أن ذلك سوء رأي من النسائي في أحمد بن صالح زاده مابلغه عن يحيى بن معين رسوخاً، ولعل النسائي وَهم في توجيه الكلام ولعله حقيقة في الأشموني- كما ذكره ابن حبان سابقاً- ونقل ابن حجر عن العقيلي أن أحمد بن صالح كان =

= من عادته أن لايحدث أحد حتى يسأل عنه، فلما قدم النسائي مصر جاء اليه وقد صحب قوماً من أهل الحديث لايرضاهم أحمد فأبى أن يحدثه، فذهب النسائي فجمع الأحاديث التي وهم فيها أحمد وشرع يشنع عليه. هدي الساري ص ٣٨٦. والذين تاه عليهم أحمد بن صالح وتصلف جماعه منهم الذهلي وأبوزرعة، قال ابن حبان: وكان بينه وبين محمد بن يحيى النيسابوري معارضة لصلفه عليه وكذلك أبو زرعة الرازي دخل عليه مسلماً فلم يحدثه، فوقع بينهما مايقع بين الناس. قال: وان من صحت عدالته. وكثرت رعايته بالسنن والأخبار، والتفقه فيها لما يجري، أن لا تخرج لصلف يكون فيه أو تيه وُجدَ منه، ومن الذي يتعرّى عن موضع عقب من الناس، أو من لا يدخل في جملة من يلزقّ فيهَ العيب بعد العيب. الثقات (٨/٢٦).

وأحمد بن صالح وإن تصلف على الذهلي فإن رواياته عنه مثبوتة في الكتب. ومذاكرته معه الزهريات معروفة وتتلمذه عليه مشهور، ولم أجد مرة واحدة أنه تركه، وجُلّ ما يهمنا هو بيان الأصح فيما نسب إلى الإمام الذهلي. والله أعلم.

ملاحق في الجرح والتعديل :

إن الحركة الدائبة في العلم والسؤال والإستفهام سبيل للوصول إلى الحقائق وانتهاجها .

وإن الإختلاط بطلبة العلم واجابتهم عما يستفهمون عنه . لدليل للجميع على اعترافهم بأهمية الفلك الذي يدورون فيه ، والعمل الذي من أجله يستفهمون وإذا سئلوا عنه يجيبون .

والإمام الذهلي رحمه الله تعالى من العلماء الذين أوْلوْا ذلك الأمر جُلّ إهتمامهم ، فتراه إن خفي عليه أمر سأل عنه من يعتد بقولهم . . . وإن تذاكر هو وأصحابه وتلاميذه الرجال نقل ما يحضره فيهم عن مشايخه . . .

وكذلك تجد تلاميذه يسلكون ذلك الطريق معه ومع غيره فيسألون عما خفي ، وينقلون ماسمعوه وينسبون كل قول لقائله . . . دونما أي تبرم أو ملل بل يجدون في ذلك سعادتهم لما فيه حفظ للدين ، ومعرفة لأحوال المحدثين .

ولبيان ذلك نسرد هذه الملاحق الموجزة إتماماً للصورة المشرقة لأسلافنا وإهتماماتهم .

أ - سؤالات الذهلي لمشايخه ونقله عنهم وعمن فوقهم .

ب - سؤالات تلاميذه له ، ونقلهم عنه أقواله وآراؤه .

جـ - سرد بأسماء من ذكروا للذهلي فأثنى عليهم خيراً .

أ - سؤالاته لمشايخه، ونقله عنهم وعمّن فوقهم آراءهم وأقوالهم .

أولاً : سؤالاتـــه :

١ - قـال الذهلي : قلت لابن المديني [١]: محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أحب إليك ، أم معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ؟

قال : محمد أشهر ، وهذا أقوى . [٢]

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٧١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠ .

٢ - وقال: قلت لعلي ابن المديني حكيم ابن الأثرم من هو ؟ قال : أعيانا هذا !! [١]

٣ - وقال : سألت عبدالصمد بن عبد الوارث [٢] عن أبي معاوية الزعفراني عبدالرحمن بن قيس. [٣]

فقال: كان عبدالرحمن بن مهدي يكذبه . [٤]

٤ - وقال : قلت لأحمد في علي بن عاصم [٥] وذكرت له خطأه، فقال أحمد : كان حماد بن سلمة يخطيء وأومأ بيده خطأ كبيراً (ولم ير بالرواية عنه بأساً)[٦].

ثانياً: نقولاته عنهم وعمن فوقهم:

٥ - قال البرذعي : « سمعت محمد بن يحيى يحكي عن علي ابن المديني في حرف ذكر له، عن عياش بن الوليد الرقام [٧] صحّف فيه عياش، فقال علي : لست أعتد بعيّاش بعدها»[٨]

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٢٠٨.

(٢) هو عبدالصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان الإمام الحافظ الثقة البصري، قال أبو حاتم صدوق، توفي سنة (٢٠٧) السير ٩/ ٥١٦.

(٣) هو عبدالرحمن بن قيس الزعفراني، أبو معاوية، من أهل البصرة، كان ممن يقلب الأسانيد، تركه أحمد بن حنبل، المجروحين لابن حبان ٢/ ٥٩.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٥١.

(٥) علي بن عاصم هو مولى قريبة بنت محمد ابن أبي بكر الصديق سبقت ترجمته ص ١٣١.

(٦) ت ت ٧/ ٣٠٣، شرح علل الترمذي لابن رجب ١/ ٤٠٢، ومنطوق المسألة أن الإمام أحمد يُسأل عن شخص فيجيب عن آخر وكأنه يستشهد بحال حماد بن سلمة وأنه يخطيء خطأ كبيراً، ومع هذا لم ير بالرواية عنه بأساً ؟ ومفهوم ذلك قياس علي بن عاصم عليه .

(٧) هو عياش بن الوليد الرَّقام القطان أبو الوليد، قال أبو حاتم : هو من الثقات . الجرح والتعديل ٧/ ٦.

(٨) أجوبة أبي زرعة على أسئله البرذعي المطبوع مع كتاب الضعفاء لأبي زرعة، بتحقيق د. سعدي الهاشمي ٢/ ٧٤١.

٦ - وقال ابن الشرقي : «حدثنا محمد بن يحيى قال : سمعت علي بن عبدالله يقول : قلت لسفيان، إن أبا الربيع روى عن عمرو بن دينار، عن سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرةفي الرجل يعذب في إبله؟ فقال سفيان : إنما حدثنا بهذا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب، وإنما قال عمرو بن دينار. سمعت جابر بن زيد يقوله، قال علي : قلت لسفيان : إن شعبة رواه هكذا عن جابر بن زيد !! فقال : إن شعبة كان من أهل الحفظ والصدق، ولم يكن ممن يريد الباطل»[1]

٧ - وقال البرذعي : حدثنا محمد بن يحيى قال : سمعت ابن أبي مريم [2] يحدث عن خاله موسى ابن أبي سلمة [3].

قال : قدمت المدينه فأتيت مالك بن أنس فقلت : إني قدمت لأحمل عنك العلم، وعمن تأمر به قال : عليك بابن أبي الزناد [4]. [5] وإن عدم تعقيب الذهلي على هذه الرواية دليل على إقراره لقول شيخه وخال شيخه ابن أبي سلمة.

٨ - وفي ترجمة يحيى ابن أبي حيةً أبو جناب الكلبي الكوفي. [6]

قال الذهلي : سمعت يزيد بن هارون يقول : كان صدوقاً ولكن كان يدلس. [7]

---

(١) الكامل لابن عدي ١/ ٣٧٨.

(٢) سبقت ترجمته ص ١٤١.

(٣) هو موسى ابن أبي سلمة المصري خال ابن أبي مريم، روى عن عبد الجليل اليحصبي، روى عنه سعيد بن الحكم. الجرح والتعديل ٨/ ١٤٥.

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان أبو محمد المدني، قال ابن سعد: كان فقيهاً مفتياً، السير ٨/ ١٦٧.

(٥) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٢/ ٤٢٥.

(٦) هو يحيى ابن أبي حيَّة أبو جناب الكلبي، روى عن عمير بن سعيد والشعبي، وعنه سفيان الثوري ووكيع. الجرح والتعديل ٩/ ١٣٨.

(٧) تهذيب الكمال ٣١/ ٢٨٦.

٩ – وقال الذهلي : قال علي ابن المديني : «لا أروى عن زياد بن عبدالله البكّائي[(١)]»[(٢)].

١٠– وقال البرذعي : شهدت محمد بن يحيى ذكر محمد بن حمران [(٣)] فقال : (قال) علي ابن المديني يُتَّقَى هذا الشيخ ! [(٤)]

١١– في ترجمة أيوب ابن أبي تميمة كيسان السختياني البصري . [(٥)]

نقل الذهلي عن ابن مهدي قوله فيه : (أيوب حجة أهل البصرة) . [(٦)]

١٢– وحدث مرة فقال : سمعت أبا قتيبة يقول قدمت الكوفة فأتيت سفيان الثوري فقال : من أين أنت ؟ قلتُ : من أهل البصرة، قال : مافعل أستاذنا شعبة ؟ [(٧)]

١٣– وقال في أبي النعمان الحكم بن عبدالله القيسي[(٨)] سمعت عبدالصمد [(٩)] يثبته ويذكره بالضبط[(١٠)].

---

(١) هو زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري البكائي، راوي السيرة النبوية عن ابن إسحاق، توفي سنة (١٨٣) السير ٩/ ٥ . والبكائي بفتح الباء والكاف المشددة، نسبة إلى بني البكّاء من بني عامر بن صعصعة، الأنساب١/ ٣٨٢.

(٢) الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٧٩.

(٣) هو محمد بن حمران بن عبدالعزيز القيسي أبو عبدالله البصري، قال أبو حاتم، صالح، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن عدي : له أفراد وغرائب، انظر الكامل لابن عدي ٦/ ٢٤٧، تهذيب الكمال ٢٥/ ٩٣.

(٤) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٢/ ٧٥١.

(٥) هو الإمام الحافظ، سيد العلماء، أيوب ابن أبي تميمة كيسان، العنزي، أبو بكر البصري. توفى سنة (١٣١) السير ٦/ ١٥.

(٦) تهذيب التهذيب ١/ ٣٤٩.

(٧) الكامل لابن عدي ١/ ٧٢.

(٨) سبقت ترجمته ص ٤٤٠.

(٩) هو ابن عبدالوارث سبقت ترجمته ص ٤٦٥.

(١٠) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٧٢.

١٤ - وقال مرَّة : سمعت أبا نعيم [(١)] يقول : لم يكن في شيوخنا أكثر غلطاً من أبي بكر ابن عياش [(٢)] .

ب - سؤالات تلاميذه له ونقلهم عنه .

أولاً : سؤالاتهم .

١ - قال الخطيب : أخبرنا البرقاني أخبرنا أبو حامد بن محمد بن حسنويه الهروى أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري قال : سئل محمد بن علي النيسابوري - كذا في كتاب البرقاني - وأحسبه محمد بن يحيى - عن نصر بن علي [(٣)] فقال : «حجة»[(٤)] .

٢ - في ترجمة إسماعيل بن سميع الحنفي [(٥)]

سئل عنه الذهلي فقال « كان بيهسياً كان ممن يبغض علياً» [(٦)]

٣ - وسأله محمد بن نصر المروزي عن محرر بن هارون [(٧)] فقال : بصري لابأس به [(٨)]

٤ - وقال أبو قريش محمد بن جمعه : قلت لمحمد بن يحيى الذهلي : ماتقول في محمد بن حميد » [(٩)]؟

« فقال : ألا تراني هو ذا أحدث عنه » [(١٠)]

٥ - قال البرذعي : سألت محمد بن يحيى عن حديث كان في كتابي عنه ، عن أحمد بن يونس عن طلحة بن زيد عن إبراهيم ابن أبي عبلة فأبى أن يقرأه علي ، فقلت له : إن إبراهيم ابن أبي عبلة أخبرنا ، أعني بحديثه ، فقال : إبراهيم ابن أبي عبلة يالك من رجل ، وطلحة بن زيد يدس الرجل ولا يستحق أن يروى عنه ، أو كلمة نحوها . [(١١)]

---

(١) هو الفضل بن دكين سبقت ترجمته ص ١٧٤ . (٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٠١) .

(٣) هو الجهضمي سبقت ترجمته ص ٤٤٩ . (٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨٩ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٢٧٠ . (٦) تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧ . (٧) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٨) تهذيب التهذيب ١٠/ ٥٠ . (٩) سبقت ترجمته ص ٤٣٩ .

(١٠) تهذيب الكمال ٢٥/ ١٠٠ . تهذيب التهذيب ٩/ ١١٢ ، تاريخ بغداد ٢/ ٢٦٠ .

(١١) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٢/ ٧٥١ . الملحق بكتاب الضعفاء لأبي زرعة .

فهذه المساءلة أبرزت لنا إخبار الذهلي عن حال طلحة بن زيد وكان وضاعاً، وحال ابن أبي عبلة وهو ثقة، وقد سبق عرض هذه الأمثلة مع الحديث عن أصحابها.

ثانيا: نقلهم عنه:

١ ـ أُتَوِّجْ هذه الاهتمامات من تلاميذه بما نقله عنه الإمام أحمد بن حنبل من جرح في داود بن علي واعتماده على كلامه وتصديقه إياه . . . وهذا فخر للذهلي كما حُقَّ لأبي داود السجستاني أن يفخر لما كتب عنه الإمام حديثاً واحداً .(١)

ومادام الأمر نقلاً عن الذهلي فحقه أن يذكر هنا وإلا فمقام الإمام مقام مشايخه سناً وفضلاً وعلماً.

والمنقول هو قول الإمام أحمد في داود بن علي لما خاطبه ابنه صالح.

« هذا قد كتب إليَّ محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني »(٢)

٢ – في ترجمة أحمد بن صالح المصري

قال عبدالكريم ابن النسائي عن أبيه « ليس بثقة ولامأمون ».

تركه محمد بن يحيى ورماه يحيى بالكذب »(٣)

هذه بعض الأمثله عن سؤالاته لمشايخه وسؤالات تلاميذه له ولعل بعضها قد تكرر معنا في منهجه في الجرح والتعديل، أو عرض ألفاظه فيهما وهذا التكرار يفرض نفسه لضرورة ضرب الأمثلة ، وبيان مدى اتساع الحركة العلميه في فترة الإمام الذهلي، والإهتمام البالغ بينه وبين مشايخه من جهة، وبينه وبين تلاميذه من جهة أخرى بأهمية السؤال والبحث والتنقيب والتحري في الرواة.

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢١١.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٣٧٣، ٣٧٤– الضعفاء لأبي زرعة ٢/ ٥٥٥.

(٣) سبق عرض هذا المثال والتعليق عليه ص ٤٦١ تحت عنوان استدراك وتنبيه .

ج – سرد لأسماء من أثنى عليهم الذهلي :

والإمام الذهلي كما هو كاشف لأحوال وأعيان من لم يتأهلوا أن تقبل رواياتهم بلْهَ إعتماد أقوالهم في مختلف فنون الحديث، فهو كذلك ذو قلب يحفظ لأهل الفضل والاتباع مكانتهم، وذو لسان يلهج بمحامد ومناقب الرجال، وذو نفس تتواضع فتمنح الحائز على منقبة أو غيرها وسام ما أعطاه الله من خير وهذا من عاجل بشرى المؤمن في الدنيا أن يذكر بخير وأن يثنى عليه وبالاخص ممن يزنون الرجال بمعايير ثابتة لا للكذب والتمحل إليها سبيلا .

والإمام الذهلي نلمح فيه مثل هذا التوازن الذي هو بحق نعمة من نعم الله كما ذكر سبحانه في وصاياه لعباده في آخر سورة الانعام

﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ (1)

فكما أنه يجرح ويعدل نجده يثني على أناس بما يدل على فضلهم ومنزلتهم بما لايمكن إدراجه في مراتب التعديل وإن كان منهم من هو كالجبل ثقة . . . .

– « وسأسردهم بثنائه عليهم إما مجملا وإما مفصلا موضحا »–

١ – ثنائه على أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي (2)

قال سعيد بن عمرو البرذعي : سمعت محمد بن يحيى النيسابوري يقول :

« لايزال المسلمون بخير ما أبقى الله عز وجل لهم مثل أبي زرعة ، وما كان الله عز وجل ليترك الارض (3) إلا وفيها مثل أبي زرعة يعلم الناس ما جهلوه ، ثم

---

(١) سورة الأنعام ١٥٢ .

(٢) سبقت ترجمته ص ١٢٧ .

(٣) هذا من باب الثقة بوعد الله وعدله باستخلاف الصالحين . وليس تألياً على الله عز وجل . وقريب من هذه الثقة ما ذكر من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، حين قاتل التتار مع جيوش المسلمين فكان يحرض السلطان والناس جميعاً ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم هذه المرة، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. انظر البداية والنهاية لابن كثير١٤/ ٢٧ .

جعل يعظم على جلسائه خطر ما حكى له من علة حديث من أحاديث الزهري التي تعب في جمعها ومعرفة عللها » [1]

١ - قال أبو بكر ابن نعيم : سمعت محمد بن يحيى يقول : وافقت إسحاق بن ابراهيم صاحبنا[2] سنة (٩٩) ببغداد ، اجتمعوا إليه في الرصافة أعلام الحديث ، فيهم أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما فكان صدر المجلس لإسحاق وهو الخطيب " [3]

٢ - ثنائه على يحيى بن يحيى النيسابوري . [4]

" قال حيكان : [5] « كان أبي يرجع في كل المشكلات إلى يحيى بن يحيى ويقول : هو امام فيما بيني وبين الله تعالى " [6]

٣ - ثناؤه على أبي عبد الله المروزي [7]

قال ابن الأخرم : " سمعت اسماعيل بن قتيبة يقول : سمعت محمد بن يحيى الذهلي

يقول غير مرة إذا سئل عن مسألة : سلوا أبا عبد الله المروزي " [8]

وهذا الإمام يصغر الذهلي بنحو ثلاثين سنة ، فلم يمنعه ذلك أن يعترف له بالتقدم في العلم والأهلية للفتوى ، لذا فانه قد خلف الذهلي في التصدر للفتوى

---

(١) انظر الثناء بتمامه مع ذكر الحديث وبيان علته ص ٢٥١ ، عند الحديث عن اهتمامه بالزهريات .

(٢) هو ابن راهويه شيخ الذهلي سبقت ترجمته ضمن مشايخه ، وفي قوله صاحبنا إشارة للمحبة ورفع الكلفة بينهم رحمهم الله .

(٣) السير ١١/ ٣٨٠، ٣٨٢.

(٤) سبقت ترجمته ضمن مشايخه .

(٥) هو لقب ابن الذهلي يحيى بن محمد سبقت ترجمته ص ٧٠ .

(٦) تهذيب التهذيب ١١/ ١٦١ ، وقد زاد حيكان على مديح أبيه في نفس الموضوع (ومارأيت بالشام أورع منه ولا أحسن بياناً) .

(٧) سبقت ترجمته ضمن تلاميذه .

(٨) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٢ ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦ .

بنيسابور بعد وفاته، لأن حيكان ومشيخة نيسابور أقروا له بالفضل والتقدم، وفي تقديم الذهلي لأبي عبد الله المروزي للفتوى مع كونه القائم بها وقتداك . . . إلماحة تربوية مهمة . . . . إذ فيها من جانب الذهلي تخليص للنفس من حظ الشهرة وحب التسلط والتفرد بالمهمات، وفيها لجانب المروزي إذابةٌ للحواجز الوهمية بين الشيخ وتلميذه ، من خروج عن التقدير والاحترام المعقول إلى ضرب من العبودية كما هو حال مشايخ التصوف مع مريديهم ، وفيها أيضا ترويض وتعويد للأفراد لمهمات الأمور متى كانوا أهلا لها حتى يتقلدوها باتقان . وفيها لطائف نفسية تشيع المحبة بين الشيخ وتليمذه وسائر المحيطين ، وهذا أسلوب تربوي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته في مواقف كثيره .

٤ - ثناؤه على أبي صالح المصري (١)

قال الإمام المزي : وكان محمد بن يحيى يقول : حكم الله بيني وبين أبي صالح شغلني حسن حديثه عن الإستكثار من سعيد بن عفير " (٢) (٣)

والإحتكام إلى الله من عزيز بالغ في إحسانه تظلم غريب من نوعه، ولكنها المهارة في تصوير الحال والرقة في الأسلوب ، والعفوية في اختيار الألفاظ مما جعل العبارة غاية في البلاغة .

٥ - وثناؤه على شريك بن عبد الله النخعي (٤)

قال الإمام المزي : وقال محمد بن يحيى : كان نبيلا " (٥)

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٤١ .

(٢) هو سعيد بن كثير بن عفير ، أبو عثمان الأنصاري، من أهل مصر، يروى عن الليث، روى عنه الذهلي وأهل بلده. مات سنة بضع وعشرين ومائتين. الثقات لابن حبان ٨/ ٢٦٦ .

(٣) تهذيب الكمال ١٥/ ١٠٦، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٢٨ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٤٥٩ .

(٥) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٥ .

٦ - ثناؤه على محمد بن عثمان بن كرامة العجلي الكوفي [١]

قال الإمام المزي " وقال أبو محمد ابن الجارود[٢] ذكرته للذهلي فأحسن القول فيه[٣].

٧ - ثناؤه على أحمد بن الازهر بن منيع [٤]

قال ابن خراش : سمعت محمد بن يحيى يثني عليه [٥]

٨ - ثناؤه على محمد بن هلال الكتاني [٦]

قال الحافظ ابن حجر : " وقد أثنى عليه محمد بن يحيى الذهلي [٧]

وهنا ينقل الإمام الذهلي ثناء شيوخه على الرواة.

٩ - نقله عن شيخه الثناء على محمد بن جابر اليمامي [٨]

قال ابن أبي حاتم : نا عبد الرحمن نا محمد بن يحيى سمعت ابا الوليد الطيالسي يقول : (نحن نظلم محمد بن جابر بامتناعنا عن التحديث عنه) [٩]

---

(١) هومحمد بن عثمان بن كرامة، أبو جعفر العجلي، يروى عن أهل العراق، مات سنة (٢٦٥). الثقات لابن حبان ٩/ ١١٧.

(٢) سبقت ترجمته ضمن تلاميذه.

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠٢.

(٤) سبقت ترجمته ص ٦٩.

(٥) تهذيب التهذيب ١/ ١٠.

(٦) هو محمد بن هلال بن ردّاد الكتّاني ، من أهل الشام، يروى عن أبيه ، يروى عنه الشاميون. الثقات لابن حبان(٩/ ١٣٥)، لسان الميزان (٥/ ٤٧١).

(٧) لسان الميزان ٥/ ٤٧١.

(٨) هومحمد بن جابر اليمامي السُّحَيْمي أبو عبد الله ، عن حماد ابن أبي سليمان وقيس بن طلق، وليس بالقوي. التاريخ الكبير للبخاري١/ ٥٣. والسحيمي بضم السين وفتح الحاء، نسبة إلى سُحَيم بطن من بني حنيفة، الأنساب ٣/ ٢٢٩.

(٩) الجرح والتعديل ٧/ ٢٢٠، تهذيب التهذيب ٩/ ٧٨.

المطلب الثالث

معرفته بالإختلاط

الإختلاط في اللغة : قال ابن منظور : خلط الشيء بالشيء يَخْلِطُه خَلْطاً وخَلَّطَه فاختلط : مزجه واختلطا.

ويقال : خولط الرجل فهو مُخَالَط ، واختلط عَقْلُه فهو مختلط إذا تغير عقله [١] .

وقال الفيروز آبادي : « والخلاط بالكسر . . . « أن يخالط الرجُلُ في عقله وقد خولط »[٢] .

وفي اصطلاح المحدثين قال السخاوي : وحقيقته فساد العقل وعدم انتظام الأقوال والأفعال ، إما بخرف أو ضرر أو عرض أو مرض من موت ابن وسرق مال كالمسعودي ، أو ذهاب كتب كابن لهيعة ، أو إحتراقها كابن الملقن [٣]

وقد قال ابن الصلاح : «هذا فن عزيز مهم لم أعلم أحداً أفرده بالتصنيف واعتنى به مع كونه حقيقاً بذلك جداً . [٤]

ومن العلماء الذين اختلطوا عبدالرزاق بن همام ، وقد مرَّ بنا قبل قليل تحديد سنة اختلاطه وأن الذهلي قد رحل إليه مرتين إحداهما بعدما عَمي ، وكان رحمه الله قد حرص على بيان كيفية تلقيه عن أمثال عبدالرزاق من المختلطين . فيصرح بنقله من كتاب الشيخ نفسه دفعاً لوهم تلقيه عنه بالمشافهه حال الإختلاط .

---

(١) لسان العرب ٧/ ٢٩١ ، ٢٩٥ مادة خلط .

(٢) القاموس المحيط ٢/ ٣٥٨ بتصريف يسير .

(٣) فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٣٧١ .

(٤) مقدمه ابن الصلاح ص ٣٩١ .

وقد أفرده بالتصنيف بعده الإمام برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي (توفي سنة ٨٤١) في كتابه (الإغتباط بمن رمي بالاختلاط) وقد حققه وعلق عليه علاء الدين رضا في كتابه (نهاية الإغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط) ، كما أفرده ابن الكيال في كتابه (الكواكب النيرات فيمن اختلط من الرواة الثقات) .

ومنهم عارم بن الفضل وقد قال ابن الصلاح : « فمارواه عنه البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي وغيرهما من الحفاظ ينبغي أن يكون مأخوذاً عنه قبل اختلاطه [(١)].

ومعرفة تاريخ إختلاط الراوي أمر مهم للغاية وذلك لأن الرواة عنه متفاوتون في ضبطهم لما يتحملونه، فلابد من ضابط في قبول مروياتهم وردها. فكان تعيين التاريخ مرحلة أو نقطة فاصلة بينهما، فمن روى عنه قبل اختلاطه فروايته مقبولة، ومن روى بعد الإختلاط فهي مردودة.

وللإمام الذهلي رحمه الله تعالى إشارات تدل على متابعته أخبار المختلطين.

الإشارة الأولى : نقله عن شيخه عبدالوهاب الخَفَّاف [(٢)] سنة إختلاط سعيد ابن أبي عروبه [(٣)]

قال الإمام المزي رحمه الله : وقال الذهلي عن عبدالوهاب الخفاف : «خولط سعيد سنه ٤٨ وعاش بعدما خولط تسع سنين [(٤)]

الإشارة الثانية : حكمه بالمحفوظية على رواية ابن وهب [(٥)] لقدم سماعه من ابن لهيعة[(٦)].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٤٠٨ .

(٢) هو الإمام الصدوق عبدالوهاب بن عطاء الخَفَّاف، سكن بغداد، حدث عن حميد الطويل، وأبي عمرو بن العلاء وعنه أحمد بن حنبل وعباس الدوري، قال ابن سعد : كان كثير الحديث، لزم ابن أبي عروبة، وعرف بصحبته، قال ابن معين ثقة، وقال البخاري ليس بالقوي، توفي سنة ٢٠٤ . سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٥١ ، الكواكب النيرات ص١٩٦ .

(٣) سبقت ترجمته ص ١٦٩ .

(٤) تهذيب التهذيب ٤/ ٥٨ .

(٥) سبقت ترجمته ص ١٦٦ .

(٦) هو عبدالله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أبو عبدالرحمن المصري، قال ابن وهب : حدثني والله الصادق البار ، عبدالله بن لهيعة وكان أحمد بن صالح يثني عليه، توفي سنة ١٧٤ ، الكواكب النيرات ص ٤٨١ .

روى الإمام البيهقي في سننه الكبرى في كتاب صلاة العيدين، قال: (أخبرنا) أبو عبدالله الحافظ أنبأ أبو بكر محمد بن عبدالله الشافعي (وأخبرنا) أبو الحسن بن عبدان أنبأ أحمد بن عبيدة قال ثنا شريك ثنا عمرو بن خالد ثنا ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبر في العيدين في الأولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات قبل القراءة.

رواه أيضاً قتيبة عن ابن لهيعة عن عقيل، ورواه ابن وهب عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن ابن شهاب (أخبرناه) أبو محمد عبدالله بن يوسف وأبو بكر أحمد بن الحسن في آخرين قالوا ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر قال قرىء على ابن وهب أخبرك ابن لهيعة فذكره باسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كبر في الفطر والأضحى سبعاً وخمساً سوى تكبيرة الركوع [1].
قال محمد بن يحيى: هذا هو المحفوظ لأن ابن وهب قديم السماع من ابن لهيعة.. [2]

وقد ساق البيهقي عبارة الذهلي في معرفة السنن والآثار بصورة أدق، وأدل على المراد وفيها التصريح بلفظ الاختلاط.. قال: محمد بن يحيى الذهلي: المحفوظ عندنا حديث خالد بن يزيد لأن ابن وهب قديم السماع من ابن لهيعة، ومن سمع منه في القديم فهو أولى، لأنه خلط بأُخَرَة. [3]

---

(١) ضعَّف الإمام البخاري هذا الحديث، ذكر ذلك عنه الإمام الترمذي بعد أن ساق له الحديث عن ابن لهيعة بالطريقين السابقين، طريق عقيل وطريق خالد بن يزيد كلاهما عن الزهري عن عروة عن عائشة فضعفه، ثم قال (أي الترمذي): رواه غير ابن لهيعة؟ قال: لا أعلمه. علل الترمذي الكبير (١/ ٢٨٩).

(٢) السنن الكبرى (٣/ ٢٨٦).

(٣) معرفة السنن والآثار (٥/ ٧١).

أقول : ابن لهيعة ضَعَّفَه جماعة من أئمة الجرح والتعديل، قبل اختلاطه وبعده، وقد تتبع الإمام ابن حبان أحاديث المتقدمين والمتأخرين عنه، فوجدها في حال الضعف وعدم الإحتجاج وقد بين ذلك بقوله : « قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجوداً وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيراً ، فرجعت إلى الإعتبار فرأيته كان يُدلِّس عن أقوام ضعفى عن أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات فالتزقت تلك الموضوعات به . . . . . ثم قال : « وأما رواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه ففيها مناكير كثيرة وذلك أنه كان لا يبالي مادفع إليه قراءة، سواء كان ذلك من حديثه أو من غير حديثه، فوجب التنكب عن رواية المتقدمين عنه قبل احتراق كتبه لما فيها من الأخبار المدلسة عن الضعفاء والمتروكين، ووجب ترك الاحتجاج برواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه لما فيه مما ليس من حديثه » (١)

وحال ابن لهيعة قد ردده غير ابن حبان قبله وبعده ، فقد ضعفه أحمد بن حنبل (٢) وقال فيه يحيى بن معين : عبدالله بن لهيعة ليس حديثه بذلك القوي (٣)

ومع هذا فقد صحح سماع من سمع منه قبل الاحتراق عدد من العلماء وجعلوا حديثه في درجة الاعتبار ولم يحتجوا به .

قال أبو الفضل : سمعت أبا عبدالله وقد سئل عن ابن لهيعة فقال : من كتب عنه قديماً فسماعه صحيح (٤) ، وسئل أبو زرعة عن سماع القدماء منه فقال : آخره وأوله سواء إلا أن ابن المبارك وابن وهب كانا يتبعان أصوله فيكتبان منه، وهؤلاء الباقون كانوا يأخذون من الشيخ، وكان ابن لهيعة لايضبط وليس ممن يحتج بحديثة من أجل ماقيل فيه (٥) وقال أبو حاتم وأبو زرعة : أما ابن

(١) المجروحين من المحدثين . . ٢/ ١٢, ١٣ .
(٢) الجرح والتعديل ٥/ ١٤٧ .
(٣) الجرح والتعديل ٥/ ١٤٧، والضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٩٥ .
(٤) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/ ١٨٥ .
(٥) الجرح والتعديل ٥/ ١٤٧ .

لهيعة فأمره مضطرب يكتب حديثه على الاعتبار . . . الخ [١] وقال يحيى بن معين : يكتب ماكان قبل احتراق كتبه [٢] .

وقال الدار قطني : يعتبر بما يروى عنه العبادلة ابن المبارك والمقريء ، وابن وهب [٣] .

وكان عبدالله بن وهب يشير باعتزاز إلى قدم سماعه من ابن لهيعة ومعرفته بحديثه القديم والحديث مع تتبع الأصول .

قال أحمد بن حنبل : حدثنا خالد بن خراش قال : قال لي ابن وهب ورآني لا أكتب حديث ابن لهيعة ، قال : إني لست كغيري في ابن لهيعة فاكتبها ، وقال لي : حديثه عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو كان القرآن في إهاب مامسته النار » [٤] مارفعه لنا ابن لهيعة في أول عمره قط [٥]

وقد كان الإمام أحمد حسن الثناء على ابن لهيعة ، قال مرةً : من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه واتقانه ، وقال : ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة ، وقال أحمد بن صالح المصري : كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طلاباً للعلم . [٦] وقد بين الإمام الذهبي أن رواية عبد الله بن المبارك وعبد الله بن وهب وأبي عبد الرحمن المقري عن ابن لهيعة أقوى من رواية غيرهم ، وبعض

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٩٥ .

(٣) الضعفاء والمتروكين ص ٢٦٥ .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن ، من طريق عبد الله بن يزيد ، ثنا ابن لهيعة ، عن مشرح بن عاهان ، قال سمعت عقبة بن عامر ، يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق» وأخرجه أحمد في مسنده٤/ ١٥٥ ، ورواه البيهقي عن عصمة بن مالك ، وقد حسنه الألباني كما في صحيح الجامع٥/ ٦٢

(٥) الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٩٥ .

(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٨ .

العلماء يصححها، لكنه يرى أنها لا ترقى إلى الصحيح [1] فقول الإمام الذهلي: إن حديث ابن وهب هو المحفوظ من بين تلك الروايات لقدم سماعه من ابن لهيعة، جاء موافقاً لقول بعض الأئمة بصحة سماع القدماء عنه. وكان تعليله بمحفوظية الحديث بحجة درج على العمل بها أئمة هذا الشأن فيمن اختلط وأمكن تمييز حديثه قبل الإختلاط وبعده.

الإشــارة الثـالثـة: متابعته أخبار عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة المسعودي (٢) والراوين عنه. كان عبدالرحمن المسعودي من المحدثين الذين اختلطوا بأخرة.

ساق الخطيب البغدادي سنده إلى محمد بن عبدالله النيسابوري قال: قرأت بخط محمد بن يحيى الذهلي – قلت لأبي الوليد [3]: سمع عبدالرحمن ابن مهدي من المسعودي؟ فقال: سمع منه بمكة شيئاً يسيراً. قلت: وأبو داود [4] سمع منه ببغداد؟ قال: نعم! قلت: وكم كان بين قدومه مكة وبغداد؟ قال: أكثر من سنة أو سنتين. [5]

وسؤا له هذا كان من أجل التوصل لتاريخ اختلاطه لأن عبدالرحمن بن مهدي سمع منه بمكة قبل الإختلاط على قول، وأبو داود الطيالسي سمع منه ببغداد، وقد اختلط عام ١٥٨ وتوفي عام ١٦٠هـ[6]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي الهذلي، أخو أبي العميس، من كبار العلماء، روى عن أبي بكر بن حزم. الكواكب النيرات لابن الكيال ص ٢٨٢.

(٣) هو هشام بن عبد الملك البَاهلي مولاهم، أبو الوليد الطيالسي البصري، ثقة ثبت، مات سنة (٢٢٧) التقريب ص ٥٧٣.

(٤) سبقت ترجمته ص ١٢٩ .

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٢١٨، التقييد والإيضاح ص ٤٠٠ .

(٦) راجع التقييد والإيضاح ص ٤٠٠-٤٠١، نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، تأليف علاء الدين علي رضا ص ٢٠٥-٢١١.

المطلب الرابع : معرفته بالوحدان

الوحـدان لغـة : الوحـدان بضم الواو . . جـمع واحـد، وهو أول عـدد، ويجمع على أُحْدَان وقد يثنى ويجمع على واحدون [1]

وفي اصطلاح المحدثين . « هو من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد » [2]

وقد قال الحافظ العراقي في ألفيته :

ومسلم صنف في الوحْدان   من عنه راوٍ واحدٍ لاثاني . [3]

وفائدة هذا الفن معرفة مجهول العين إذا لم يكن صحابياً فلا يقبل .

قال الحافظ العراقي « مجهول العين وهو من لم يرو عنه إلا راو واحد » [4]

ـ وقد ألف فيه الإمام مسلم كتاباً فريداً أسماه « المنفردات والوحدان » [5]

ـ وللنسائي فيه جزء لطيف قوامه صفحتان سماه «المنفردات» [6] .

ـ وللحافظ أبي الفتح محمد بن الحسين الأزدي [7] فيه كتاب (المخزون في علم الحديث) [8] .

---

(١) أساس البلاغة ص ٤٩٣، مختار الصحاح ص٧١٢.

(٢) تدريب الراوي ٢/ ٢٦٤ ، وتوضيح الأفكار ٢/ ٤٨١ وانظر الرساله المستطرفة للكتاني ص ٨٦.

(٣) ألفية الحديث وشرحها فتح المغيث ص ٣٨٦، بتحقيق أحمد شاكر .

(٤) فتح المغيث للعراقي ص ١٥٨ .

(٥) حققه د. عبدالغفار البنداري، وأخبر ابن الصلاح عن الكتاب ولم يره، المقدمة ص ٣٠٧، وبين الحافظ العراقي أنه يمتلك نسخه منه بخط محمد بن طاهر المقدسي، فتح المغيث ص ٤٨٦، وهو مشتمل على الوحدان من الصحابه ومن بعدهم .

(٦) مطبوع في آخر المنفردات والوحدان للإمام مسلم ص ٢٥١، ٢٥٢ .

(٧) هو محمد بن الحسين بن أحمد أبو الفتح الأزدي الموصلي، قال الخطيب : كان حافظاً. توفي في شوال سنة (٣٧٤) السير ١٦/ ٣٤٧.

(٨) حققه « محمد اقبال محمد إسحاق السلفي» ونشرته الدار العلمية بدلهي الهند، وهو خاص بالصحابه فقط، ولمعرفة بقية المؤلفات راجع المخزون في الحديث ص ١٤ والرساله المستطرفة ص ٨٦.

ومن أنواع علوم الحديث التي زادها السيوطي على الأنواع التي ذكرها الإمام النووي. النوع الحادي والتسعون « معرفة من لم يرو إلاحديثاً واحداً» وحتى لايلتبس معناه بمعنى من لم يرو عنه إلا راو واحد (الوحدان) أذكر تفريق السيوطي بينهما.

قال: (بينه وبين الوحدان فرق، فانه قد يكون روى عنه أكثر من واحد وليس له إلا حديث واحد، وقد يكون روى عنه غير حديث وليس له إلا راو واحد، وذلك موجود معروف) (١)

وذكر رحمه الله أنه رأى للبخاري فيه تصنيفاً خاصاً بالصحابة، ومن أمثلته التي ذكرها « أدرع السلمي، قال المزي: له حديث واحد جئت ليلة أحرس النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رجل قراءته عالية » (٢).

والحكم بالتفرد فيه شيء من الصعوبة . . . لذا نجد العلماء يتتبعون بعضهم في ذلك، وكثيراً لايسلِّمون بدعوى التفرد عن راو واحد، فنجدهم أحيانا ينقضون هذه الدعوى بذكر راو آخر أو رواة، وبذلك تنتفي الجهالة على قول الذهلي والخطيب وسواهما كما ذكراه في مبحث المجهول .

وقد شارك الإمام محمد بن يحيى الذهلي في هذا الفن النادر الصعب، وكان رحمه الله يدرك أن الحكم بالتفرد والتوحد قد لايسلم من قول قائل ينقضه. ولذا فإن منهجه في هذا الأمر التدرع بمقدار علمه حتى يسلم من الإنتقاد فمرة يقول (لاأعلم روى عنه غير فلان) ومرة يقول (لم يرو عنه فيما علمت غير فلان) وثالثة (لم أعلم له راوياً غير فلان) الخ

---

(١) تدريب الراوي للسيوطي ٢/ ٣٩٦.

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في حفر القبر ١/ ٤٩٧. انظر باقي الأمثلة في تدريب الراوي ٢/ ٣٩٦- ٣٩٧، والوسيط في علوم ومصطلح الحديث، للشيخ محمد محمد أبو شهبة ٧٠٧.

وهذا التوقي من الإمام الذهلي يفصح لنا عن مدى أمانته في نقل العلم، وفيه جانب من تواضع العلماء وعدم التطلع إلى حكم حاسم قد لايسلم من الانتقاض .

ومن تناولهم في هذا المضمار

١ - إسحاق بن يحيى بن علقمة الكلبي الحمصي المعروف بالعوصي [(١)]

ذكره في الطبقة الثانية من أصحاب الزهري .

وقال عنه : «مجهول لم أعلم له رواية غير يحيى بن صالح الوحاظي[(٢)]»[(٣)] .

وقد وافقه فيما ذهب إليه :

أ - الإمام البخاري، قال عنه : «سمع الزهري سمع منه يحيى بن صالح » [(٤)]

ب - الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة، قال ابن أبي حاتم : « روى عن الزهري روى عنه يحيى بن صالح الوحاظي، سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك » [(٥)]

جـ - ذكره ابن حبان في ثقاته وقال : يروى عن الزهري، وروى عنه يحيى ابن صالح الوحاظي [(٦)] وتَبيَّن الذهلي حال أحاديثه بعد أن رأى أجزاء له من حديث الزهري أخرجها إليه الوحاظي فوجدها مقاربه[(٧)]، وقال الدارقطني : « أحاديثه صالحة، والبخاري يستشهده ولايعتمده في الأصول [(٨)] .

---

(١) سبقت ترجمته ص ٤٥٥ .

(٢) هو يحيى بن صالح الوحاظي، الحمصي، صدوق من أهل الرأي، من صغار التاسعة، مات سنة (٢٢٢)التقريب ص ٥٩١ .

(٣) تهذيب التهذيب ١/ ٢٢٤.

(٤) التاريخ الكبير ١/٤٠٦ .

(٥) الجرح والتعديل ٢/ ٢٣٧.

(٦) الثقات ٦/ ٤٩ .

(٧) ت ت ١/ ٢٢٤ .

(٨) سؤالات الحاكم النيسابوري للدار قطني ص ١٨٥ .

٢ – عبدالرحمن بن نمر اليحصبي أبو عمرو الدمشقي [١]

ذكره في تلاميذ الزهري .

وقال عنه : « لا أعلم روى عنه غير الوليد [٢] (يعني ابن مسلم) » [٣]

ووافقه على ذلك .

أ – الإمام البخاري فقال عنه : « سمع الزهري ، سمع منه الوليد بن مسلم، الشامي »[٤] .

ب – الإمام عبدالرحمن بن إبراهيم دحيم قال : « ماأعلم أحداً روى عنه غير الوليد»[٥] .

جـ – الإمام أبو حاتم الرازي ، قال عنه : روى عن الزهري روى عنه الوليد ابن مسلم»[٦] .

د – الإمام ابن حبان البستي وقال عنه « يروى عن الزهري يروى عنه الوليد ابن مسلم»[٧] .

هـ – الإمام الكلاباذي وقال عنه : « حدث عن الزهري روى عنه الوليد بن مسلم في آخر الكسوف» [٨] .

ومع هذا الاتفاق من الأئمة على تفرد الوليد بن مسلم عنه بالرواية ، إلا أننا نجد أن اليحصبي قد وثقه عددٌ من الأئمة وعلى رأسهم الإمام الذهلي .

---

(١) سبقت ترجمته ص ٤٢٨ .

(٢) سبقت ترجمته ٤٢٨ .

(٣) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٨ .

(٤) التاريخ الكبير ٥/ ٣٥٧.

(٥) الجرح والتعديل ٥/ ٢٩٥.

(٦) المصدر السابق ٥/ ٢٩٥.

(٧) الثقات ٧/ ٨٢.

(٨) رجال صحيح البخاري ١/ ٥٦ .

فقال : « عبدالرحمن بن نمر ، وعبدالرحمن بن خالد [1]، ثقتان ولا تكاد نجد لابن نمر حديثاً عن الزهري إلا ودون الحديث مثله يقول : سألت الزهري عن كذا فحدثني عن فلان وفلان فيأتي بالحديث على وجهه ، ولا أعلم روى عنه غير الوليد » [2].

وقال ابن حبان : « من ثقات أهل الشام ومتقنيهم » [3] « وقال دحيم : «صحيح الحديث عن الزهري » . وقال أبو زرعة : « حديثه عن الزهري مستو» وقال أبو أحمد الحاكم : « مستقيم الحديث » « وقال ابن البرقي ثقة » [4] .

وساق له ابن عدي حديثاً عن الزهري ، عن عروة ، عن الزبير أنه سمع مروان بن الحكم يقول : أخبرتني بسرة بنت صفوان الأسدية : « أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالوضوء من مسِّ الذَّكر » [5] والمرأة مثل ذلك .

قال : وهذا الحديث بهذه الزيادة التي ذكرت في متنه (والمرأة مثل ذلك) لايرويه عن الزهري غير ابن نمر هذا [6] .

وضعفه ابن معين في حديث الزهري وأخبر ابن عدي أنه ماأنكر عليه في أسانيد ومتون ما روى عن الزهري إلا تلك الزيادةوقال أيضاً : له عن الزهري غير نسخة وهي أحاديث مستقيمة [7] .

---

(١) هو ابن مسافر سبقت ترجمته ٤٢٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٨ .

(٣) الثقات لابن حبان ٧/ ٨٢ .

(٤) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٨ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ١/ ١٢٦ في أبواب الطهاره باب الوضوء من مس الذكر من طريق يحيى بن سعيد القطان عن هشام عن عروة عن الزبير عن بسرة به بنحوه بدون هذه الزيادة .

(٦) الكامل في الضعفاء ٤/ ٢٩٢، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٨ .

(٧) المصدرين السابقين .

وقد مرَّ بنا قبل أن مذهب الذهلي في ماترتفع به جهالة العين أن يروى عن الراوي اثنان ونجده هنا يوثق عبدالرحمن بن نمر اليحصبي ولم يرو عنه إلا الوليد ابن مسلم . وعمله هنا يبين لنا منهجه وقوله في مجهول العين متى يقبل حديثه .

وهو أنه إذا وثق مجهول العين غير من ينفرد عنه قبل حديثه ، وقد وثق اليحصبي هنا أبو زرعة وهو قرين الذهلي ودحيم وابن حبان وابن البرقي وغيرهم .

وهو ما اختاره وسار عليه الحافظ ابن حجر في مجهول العين أن يقبل حديثه بأحد أمرين : -

أ - أن يوثقه غير من ينفرد عنه .

ب -إذا زكاه من يتفرد عنه إذا كان متأهلا ذلك [١]

٣ - عبيد الله ابن أبي زياد الرصافي [٢]

قال عنه الذهلي : " لم أعلم له راوياً غير ابن ابنه [٣]. . . . الخ [٤]

ووافقه في ذلك ابن حبان فقال : " يروى عن الزهري روى عنه حجاج ابن أبي منيع [٥]

---

(١) نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٥١ ، وقد كتب الدكتور خلدون الأحدب فصلاً موسعاً في رواية المجهول وما به ترتفع الجهالة ، ضمن كتابه « أسباب اختلاف المحدثين» وانظر ماسبق عرضه من حديثه عن المجهول ص ٤٢٢ - ٤٢٩ .

(٢) هو عبيد الله ابن أبي زياد الرُّصَافي ، روى عن الزهري ، وعنه ابنه يوسف وحفيده حجاج ابن أبي منيع ، وثقه الدارقطني ، مات سنة (١٥٨) خلاصة التذهيب . ص ٢٥٠ . والرصافي بضم الراء وفتح الصاد ، نسبة إلى الرصافة بلدة بالشام ، الأنساب ٣/ ٧١ .

(٣) هو حجاج بن يوسف ابن أبي منيع الرُّصَافي ، من أهل الشام ، كنيته أبو محمد ، سكن حلب ، يروي عن جده . الثقات لابن حبان (٨/ ٢٠٢) .

(٤) تهذيب التهذيب ٧/ ١٣ .

(٥) الثقات لابن حبان ٧/ ١٤٥ .

وقد خالفهما ابن سعد في طبقاته فقال : « وكان الزهري لما قدم على هشام بالرصافة[1] وقبل ذلك كان نازلا عندهم عشرين عاماً غير اشهر فلزمه عبيد لله بن أبي زياد فسمع علمه وكتبه فسمعها منه (ابنه يوسف) بن عبيد الله وسمعها منه ابن ابنه الحجاج بن يوسف[2]

ونقل الحافظ ابن حجر بعد أن سرد أخبار إسحاق الكلبي ، وعبيد الله الرصافي من علل الزهري للذهلي نقل عن الذهبي قوله : « فهذان رجلان مجهولان من أصحاب الزهري مقاربا الحديث . . . . »[3]

فالإمام الذهبي هنا قد وافق الذهلي وابن حبان في أن الرصافي من الوحدان ، الذين انطبقت عليهم أوصاف المجاهيل .

٤ - محمد بن عبد الله ابن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق[4]

قال عنه الذهلي : « لم يرو عنه فيما علمت غير سليمان بن بلال[5]

وذكر أنه سمع أيوب بن سليمان[6] سئل عن نسبه فذكره وقال : « ماعلمت احدا روى عنه بالمدينة غير أبي[7]

(١) الرُّصَافة بضم الراء وفتح الصاد، مواضع كثيرة، والمقصود هنا رصافة هشام بن عبدالملك بالشام وهي قَصور وحولها مساكن وقرى عامرة وأسواق، وهي قنسرين، فيها توفي هشام بن عبدالملك سنة ١٢٥ ، الروض المعطار ص ٢٦٩ .

(٢) الطبقات الكبرى ٧/ ٤٧٤ .

(٣) تهذيب التهذيب ٧/ ١٣ .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق، يروي عن أبيه عن عائشة، روى عنه ابن إسحاق، وسليمان بن بلال . الثقات لابن حبان ٧/ ٣٦٤ .

(٥) هو سليمان بن بلال أبو محمد القرشي التيمي، مولاهم المدني، مولى عبد الله ابن أبي عتيق، قال عنه أحمد بن حنبل : لا بأس به، ثقة ، مات سنة(١٧٢) السير ٧/ ٤٢٦ .

(٦) هو أيوب بن سليمان بن بلال التيمي أبو يحيى المدني، روى عن أبيه، قال ابن حجر : في ذلك نظر، روى عنه البخاري والذهلي ، مات سنة (٢٢٤) تهذيب التهذيب ١/ ٣٥٣ .

(٧)تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٦، سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٦ .

وقد خالفهما في تفرد سليمان بن بلال عن محمد بن عبد الله الأئمة :

أ - قال الإمام البخاري : "« روى عنه سليمان بن بلال ، وعبد العزيز بن محمد . وروى محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير . (١)

ب - وقال أبو حاتم : « روى عن الزهري ونافع وروى عنه سليمان بن بلال وحاتم بن اسماعيل ويحيى بن أيوب ويزيد بن زريع (٢)

ج - وقال ابن حبان « روى عنه ابن إسحاق وسليمان بن بلال (٣)

ومن هذه المقتطفات نعلم أن الذهلي لم يصب في قوله " أن ابن أبي عتيق لم يرو عنه غير سليمان بن بلال ، وقد أحسن رحمه الله تعالى إذ استثنى ولم يجزم وعلق حكمه السابق فيما بلغه وعلمه من أخباره ولعله يشير بذلك إلى خبر أيوب بن سليمان عن أبيه فانه بعد قوله « لم يرو عنه فيما علمت غير سليمان بن بلال قال : « قال لي أيوب بن سليمان : ماعلمت أحدا . . . الخ »(٤)

---

(١) التاريخ الكبير ١/ ١٢٨ .

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/ ٢٩٩ .

(٣) الثقات ٧/ ٣٦٤.

(٤) السير ٧/ ٤٢٦ . تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٧ .

منهج الامام الذهلي في بيانه للوحدان

من خلال عرضنا للأمثلة المتواضعة لبيان الذهلي للوحدان تطالعنا لمحات من منهجه في ذلك ومنها :

١ - عدم جزمه في جميع أقواله بتفرد أحد الرواة عن الذي يتناوله بالحديث، بل يعلق ذلك بحسب ما بلغ علمه في ذلك الأمر .

وقد رأينا كيف ان الأئمة وافقوه في الثلاثة الأول .

وخالفوه في الأخير وهو ابن أبي عتيق، وبذلك التوقي فهو قد حفظ لنفسه مكانتها الحديثية بين نقاد الحديث .

٢ - عدم الاكتفاء بنقل ما يدل على جهالة عين الراوي وأنه لم يرو عنه إلا فلان، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيضفي عليه معلومات قيمة تفصح عن حاله ومدى كثرة رواياته ومكانتها من الصحة والضعف وبيان موطنه ، ومن أمثلة ذلك :

أ - في ترجمة اسحاق بن يحيى الكلبي :

قال : « مجهول لم أعلم له رواية غير يحيى بن صالح الوحاظي فانه اخرج إليّ أجزاء من حديث الزهري فوجدتها مقاربة » (١)

ب - في ترجمة عبد الرحمن بن نمر اليحصبي :

قال : « عبد الرحمن بن نمر وعبد الرحمن بن خالد ثقتان ولا تكاد تجد لابن نمر حديثا عن الزهري إلا ودون الحديث مثله، ويقول سألت الزهري عن كذا فحدثني عن فلان وفلان فيأتي بالحديث على وجهه و لا أعلم روى عنه غير الوليد بن مسلم » (٢)

---

(١) تهذيب التهذيب ١/ ٢٢٤ .

(٢) المصدر السابق ٦/ ٢٥٨ .

ج – في ترجمة " عبيد الله ابن أبي زياد الرصافي :-

قال : " وعبيد الله ابن أبي زياد من أهل الرصافة لم أعلم له راوياً غير ابن ابنه أخرج إليّ جزءاً من أحاديث الزهري فنظرت فيها فوجدتها صحاحا فلم أكتب منها الا يسيراً " (١)

د – في ترجمة محمد بن عبد الله ابن أبي عتيق القرشي :-

قال : " ابن أبي ذئب (٢) وابن أبي عتيق مقاربان في الرواية عن الزهري فأما ابن أبي ذئب فمشهور وأما ابن أبي عتيق فهو مدني لم يرو عنه فيما علمت غير سليمان بن بلال وسمعت أيوب بن سليمان بن بلال سئل عن نسبه فذكره .

وقال : " ما علمت أحداً روى عنه بالمدينة غير أبي . . . . . "

وقال الذهلي ايضا : وهو حسن الحديث عن الزهري كثير الرواية مقارب الحديث لولا أن سليمان بن بلال يحدثه لذهب حديثه " (٣)

---

(١) المصدر السابق ٧/ ١٣ .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث ابن أبي ذئب هشام بن شعبة، الإمام أبو الحارث القرشي، كان رجلاً صالحاً قوالاً بالحق، مات سنة (١٥٨) . تاريخ بغداد ٢/ ٢٩٦، السير ٧/ ١٣٩ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٧، سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٦، ٤٢٧ .

المبحث الثاني
معرفته بالعلوم التي تعرف بأشخاص الرواة

المطلب الأول

علوم الرواة التاريخية

أولا – معرفته بتواريخ وفيات الرواة .

ثانيا – معرفته بطبقات الرواة (الصحابة وسواهم) .

ثالثا – معرفته بالأخوة والأخوات من العلماء الرواة .

رابعا – رواية الآباء عن الأبناء .

خامسا – رواية الأبناء عن الآباء .

أولاً : تواريخ وفيات الرواة :

هذا الفرع من علوم الحديث بالغ الأهمية ، لما في معرفته واتقانه من فائدة الوقوف على إتصال أو انقطاع الأسانيد ، وكشف مزاعم وافتراءات من استحلوا الموالسة [1] والكذب . وقد وقع عدد من هذا الصنف في شباك حراس السنة المحمدية ، فأزالوا القناع عن أغاليطهم وأظهروا للناس عوارهم .

ومن ذلك :

ما رُوِّيه ابن الصلاح عن سفيان الثوري أنه قال : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ أو كما قال ، و رُوِّيَ عن حفص بن غياث [2] أنه قال : إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين يعني احسبوا سِنه وسِنّ من كتب عنه .

(١) الموالسة من الوَلْسْ وهي الخيانة والخديعة قال الأزهري : وسمعت أعرابياً يقول لامرىء قُرِف بسوء فيه : مالي فيه وَلْسٌ ولا دَلْسٌ، أي مالي فيه خيانة ولاخديعة ، لسان العرب ٦/ ٨٦ .

(٢) هو حفص بن غياث بن طَلْق بن معاوية النخعي ، أبو عمر الكوفي القاضي ، ثقة فقيه تغيَّر حفظه قليلاً في الآخر ، من الثامنة . التقريب ص ١٧٣ .

و رُوِّيَ عن إسماعيل بن عياش [1] قال : كنت بالعراق فأتاني أهل الحديث فقالوا : ههنا رجل يحدث عن خالد بن معدان [2] فأتيته فقلت : أي سنة كتبت عن خالد بن معدان ؟ فقال : سنة ثلاث عشرة يعني ومائة فقلت : أنت تزعم أنك سمعت من خالد بن معدان بعد موته بسبع سنين ، قال اسماعيل : مات خالد سنة ست ومائة .

و رُوِّيَ عن الحاكم أبي عبد الله قال : لما قدم علينا أبو جعفر محمد بن حاتم الكشي [3] وحدث عن عبد بن حميد [4] سألته عن مولده فذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين فقلت لأصحابنا : سمع هذا الشيخ من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة [5] .

والتواريخ جمع تاريخ وهو في اللغة : التعريف بالوقت، والتوريخ مثله، والواو فيه لغة، وأرخ الكتاب وآرخه وقَّته . [6]

وفي الاصطلاح : التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال في المواليد ، والوفيَّات ، والصحة والعقل والبدن . ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملة وتجديد فرض وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد . . . . »[7]

وتأريخ المسلمين يبدأ من حدث هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد مشاورة المسلمين في ذلك وكان عام ست عشرة من الهجرة .

(١) سبقت ترجمته ص ١٥٨ .

(٢) هو خالد بن معدان الكلاعي الحمصي، أبو عبد الله، ثقة عابد يرسل كثيراً، من الثالثة مات سنة (١٠٣) وقيل بعد ذلك ، التقريب ، ص ١٩٠ .

(٣) هو محمدبن حاتم بن خزيمة الكشي ، حدث عن الفتح بن عمرو الكشي ، روى عنه الحاكم وكذبه . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٨٠) .

(٤) سبقت ترجمته ص ١٦١ .

(٥) مقدمه ابن الصلاح تحقيق الطباخ ص ٣٨٢، الإرشاد للإمام النووي ٢/ ٧٦٩، تدريب الراوي ٢/ ٣٤٩ .

(٦) لسان العرب ٣/ ٤، القاموس المحيط (١/ ٢٥٦) .

(٧) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٨ .

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد [1] قال : «ما عدّوا من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولا من متوفاه إنما عدّوا من مقدمه المدينة .»[2]

وروى في تاريخه عن ابن عباس قال : كان التاريخ في السنة التي قدم فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى أيضا عن ابن المسيب ، قال عمر : متى نكتب التاريخ ؟ فجمع المهاجرين ، فقال علي : من يوم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكتب التاريخ " [3]

وقد روى سعيد بن منصور في سننه بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : « والفجر» قال : «الفجر شهر محرم وهو فجر السنة » [4]

وقال شيخ الاسلام ابن حجر في آماليه : بهذا يحصل الجواب عن الحكمة في تأخر التاريخ من ربيع الأول إلى المحرم بعد أن اتفقوا على جعل التاريخ من الهجرة . وانما كانت في ربيع الاول [5] .

والتصنيف في وفيات الرواة لم يبدأ إلا متأخراً بعد وفاة الذهلي ، فكان أول من صنف فيها أبو الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي [6] وتبعه أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن زبر الربعي (٧)

---

(١) سبقت ترجمته ص ٢٣٥ .

(٢) الجامع الصحيح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب التاريخ ، من أين أرّخوا التاريخ . (٤/ ٣٢١) .

(٣) التاريخ الصغير ١/ ٤١ ، التاريخ الكبير ١/ ٩, ١٠ .

(٤) انظر تدريب الراوي (٢/ ٣٥٤) ولم أجد هذا الأثر في الأجزاء المطبوعة من سنن سعيد بن منصور . تحقيق سعد بن عبد الله آل حميد أثناء دفع هذه الأوراق للمطبعة .

(٥) تدريب الراوي ٢/ ٣٥٤ .

(٦) هو عبدالباقي بن قانع أبو الحسين الأموي . ولد سنة ٢٦٥ ، قال الخطيب البغدادي : « . . . رأيت عامة شيوخنا يوثقونه» تاريخ بغداد ١١/ ٨٨ .

(٧) هو محمد بن عبدالله بن أحمد بن ربيعة بن زَبْر الرَّبعي ، محدث دمشق وابن قاضيها ، قال الكتاني : كان ثقة مأموناً ، نبيلاً ، توفي في جمادى الأولى سنة ٣٧٩ ، والرَّبعي بفتح الراء والباء ، نسبة ربيعة بن نزار ، الأنساب ٣/ ٤٣ ، السير ١٦/ ٤٤٠ .

وقد انتهى ابن زبر إلى سنة (٣٥٧)وعلى كتابه سار تذييل طويل في كتب الوفيات [١]

وتأتي أهميـة تناول الامـام الذهلي لهـذا الفن المهم من فنون المصطلح، لكونه عاش في فترة ما بين عدم الإعتناء التام بضبط الوفيَّات وتدوينها إلى قريب من زمن الإمـام الشافعي (المولود سنة ١٥٠ هـ) كما ذكر ذلك الذهبي [٢] وقبل فترة الجمع والضبط والتدوين ابتداء من عصر ابن قانع المولود سنة (٢٦٥) ومن بعده .

وقد كان من مشايخه نخبة فاضلة اهتمت بهذا العلم وعملت على ضبطه واشتهرت به مثل الفضل بن دكين أبو نعيم ويحيى بن بكير ، وابن نمير وسواهم ممن روى عنهم في ذلك سماعاً أو مكاتبة كما سيأتي بعد قليل .

وهذه إلماحات إلى اهتمامه بتواريخ الوفيات والاستفادة منها في معرفة التقاء الرواة من عدمه ، كما تبرز من خلالها منهجيته في تعيين سني الولادة والوفاة .

وأثني هذه الإلماحات بنقوله عن مشايخه في هذا المجال مما يعكس اعتنائه البالغ ومتابعته الدقيقة بالسماع والمكاتبة .

---

(١) تابع هذا التذييل في مقدمة تحقيق كتابه « تاريخ مولد العلماء ووفياتهم» . للدكتور عبدالله بن أحمد الحمد ١/ ٣٥-٣٧، وذكر بعضاً منه الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه « بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص١٤١ ، وقبلهما الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٢١١-٢١٤ .

(٢) قال : (لم يعن القدماء بضبطها كما ينبغي بل اتكلوا على حفظهم فذهبت وفيَّات خلق من أعيان الصحابة ومن تبعهم إلى زمن الشافعي . ..) مقدمة تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، جزء السيرة النبوية ١/ ١٦ .

أولاً : إلماحاته إلى تواريخ الوفيات .

(١) ربطه تاريخ الوفاة بامكانية اللقاء .

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن يوسف . أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سالم قال : " كتب عبد الملك إلى الحجاج أن لا يخالف ابن عمر في الحج ، فجاء ابن عمر رضي الله عنه وأنا معه يوم عرفة حين زالت الشمس ، فصاح عند سرادق الحجاج فخرج عليه وعليه ملحفة معصفرة فقال : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : الرَّواح ان كنت تريد السنَّة . . . . الخ .[١]

قال ابن حجر : « قوله (فجاء إن عمر رضي الله عنهما وأنا معه) القائل هو سالم ؟

ووقع في رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري " فركب هو وسالم وأنا معهما " وفي روايته قال ابن شهاب : " وكنت يومئذ صائماً فلقيت من الحر شدة ، واختلف الحفاظ في رواية معمر هذه فقال يحيى بن معين : " هي وهم ، وابن شهاب لم ير ابن عمر ولا سمع منه "

وقال الذهلي : (لست أدفع رواية معمر لان ابن وهب روى عن العمري عن ابن شهاب نحو رواية معمر ، وروى عنبسة بن خالد عن يونس عن ابن شهاب ، قال : " وفدت على مروان وأنا محتلم " قال الذهلي : ومروان مات سنة خمس وستين ، وهذه القصةكانت سنة ثلاث وسبعين . انتهى) .

وقال غيره : إن رواية عنبسة هذه أيضا وهم ، وإنما قال الزهري وفدت على عبد الملك ، ولو كان الزهري وفد على مروان لأدرك جلّة الصحابة ممن ليست له عنهم رواية إلا بواسطة ، وقد أدخل مالك وعقيل - وإليهما المرجع في حديث الزهري - بينه وبين ابن عمر في هذه القصة سالماً فهذا هو المعتمد)[٢]

(١) صحيح البخاري كتاب الحج باب التهجير بالرواح يوم عرفة (٢/ ٢١١) .
(٢) فتح الباري ٣/ ٥١١ .

والمراد من هذا النقل هو استفادته من معرفة تاريخ الوفاة لتقرير لقاء الرواة ولو على الاحتمال . (١)

٢ – والإمام الذهلي إذا لم يكن جازماً بسنة وفاة الراوي يستأنس بتاريخ وفاة مشاهير زمانه مع توهم السنَّة .

كما في ترجمة عمران بن ملحان العُطَاردي البصري . (٢)

قال المزي : وقال الذهلي : (مات قبل الحسن لا أدري في أي سنة غير أني أتوهمه سنة ١٠٧هـ) وفي موضع آخر قال " لا أدري في أي السنين غير أني أتوهمه سنة تسع ومائة " (٣)

٣ – ويذكر سنة الولادة على الظن ويجزم بسنة الوفاة

كما قال عن ابن شهاب الزهري : وأظن مولد الزهري سنة خمسين أو نحو هذا وموته سنة أربع وعشرين ومائة " (٤)

٤ – وفي ترجمة محمد بن موسى أبو يحيى الجزري الحراني . (٥)

قال أبو عروبة : " حدثني محمد بن يحيى أنه مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين " (٦)

---

(١) انظر ماكتب حول هذا الموضوع في المثال الثاني من مبحث اهتمامه بسماعات الرواة ص ٥٧٠ .

(٢) هوعمران بن ملحان . بكسر الميم، أبو رجاء العطاردي، مشهور بكنيته، ثقة معمَّر، مات سنة (١٠٥) وعمره ١٢٠سنة . التقريب ص ٤٣٠ .

(٣) تهذيب الكمال (٢٢/٣٥٨) تهذيب التهذيب ٨/ ١٢٤، رجال صحيح البخاري ٢/ ٥٧٣ .

(٤) التمهيد لما في الموطأ من الرواة والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الأندلسي ٧/١٠، ٨ .

(٥) هو محمد بن موسى بن أَعَيَنْ الجزَرَي، أبو يحيى الحرَّاني، صدوق، من كبار العاشرة، مات سنة (٢٢٣) . التقريب ص ٥٠٩ .

(٦) التعديل والتجريح لأبي الوليدالباجي ٢/ ٦٤٤ .

٥ - وفـي ترجمـة مؤمـل بن الفـضل بن مـجاهد الحـراني أبـو سـعيـد الجـزري . [(١)]

قال أبو عروبة [(٢)] في تاريخ الجزرين : حدثني محمد بن يحيى أنه مات سنة تسع وعشرين ومائتين [(٣)].

٦ - وفي ترجمة عثمان بن عبد الرحمن بن مسلم الحرَّاني [(٤)]

قال : مات سنة ثلاث ومائتين هـ . [(٥)]

٧ - وفي ترجمة مالك بن ربيعة السَاعدي [(٦)] قال : مات سنة ثلاثين " سنّه اثنان وسبعون . [(٧)]

ثانياً : نقله وفيات الرواة عن مشايخه :

والإمام الذهلي كغيره من المحدثين يعتمد على أقوال مشايخه ومشايخهم في ذكر وفيات الرواة وأحياناً ولادتهم وطرفا من أخبارهم .

---

(١) هومؤمل بن الفضل الجزري، أبو سعيد، صدوق، من العاشرة، مات سنة ثلاثين أو قبلها . التقريب ص٥٥٥ .

(٢) هو الإمام الحافظ المعمّر، الحسين بن محمد ابن أبي معشر مودود السلمي أبو عروبة الجزري الحراني، صاحب التصانيف، مات سنة (٣١٨) السير ١٤/ ٥١٠ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٤٢.

(٤) سبقت ترجمته ص ٤٥٥ .

(٥) تهذيب التهذيب ٧/ ١٢٣ .

(٦) هومالك بن ربيعة بن البدن، أبو أُسيد السَاعدي، مشهور بكنيته، شهد بدراً وغيرها، مات سنة (٣٠) . التقريب ص ٥١٧ .

(٧) رجال صحيح البخاري ٢/ ٦٩١ .

فمن ذلك ما ذكـره مشايخـه :

١ - في ترجمة حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري [١]

قال : قال يحيى بن معين : مات سنة خمس ومائة [٢]

٢ - في ترجمة القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق [٣]

قال : نا نعـيم بن حمـاد قال : القاسـم بن محمد (يعني) مـات في ولاية يزيد بن عـبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز سنة إحدى أو اثنين ومائة [٤]

٣ - وفي ترجمة عمران بن ملحان أبو رجاء العطاردي [٥]

قال : سمعت سعيد بن عامر وذكر أبا رجاء العطاردي ، قال : بلغ ثلاثين ومائة سنة[٦]

وعن مشايخ مشايخه :

٤ - في ترجمة إسـماعيل بن أمـية بن عمـر و بن سعيد بن الـعاص[٧] قال الـذهلي : أنا حيوة[٨] قال : نا بقية[٩] قال : مات إسماعيل بن أمية قبل أن أدخل مكة بيوم سنه ١٣٩ . [١٠]

---

(١) هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، المدني، ثقة، من الثانية . التقريب ص ١٨٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣/ ٤٠ .

(٣) هو القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصدّيق التيمي، ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة . من كبار الثالثة . التقريب ص ٤٩٥ .

(٤) رجال صحيح البخاري ٢/ ٦٦٦ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٤٩٥ .

(٦) رجال صحيح البخاري ٢/ ٥٧٣ .

(٧) هو إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص، من فقهاء أهل مكة وقرائهم . كان ثبتاً . مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ١٤٥ .

(٨) هو حيوة بن شريح بن صفوان الحضرمي أبو زرعة، من عباد المصريين، مات سنة (١٥٨) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ١٨٧ .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٥٩ .

(١٠) رجال صحيح البخاري ١/ ٦٥ .

٥ - في ترجمة أيوب ابن أبي تميمة واسمه كيسان [(١)] قال الذهلي: نا أبو النعمان[(٢)] عن حماد [(٣)] مثل قول قريش [(٤)] سواء، وقريش قال: مات سنة ١٣١ في الطاعون [(٥)].

٦ - وفي ترجمة إبراهيم ابن أبي عبلة [(٦)] قال ضمرة بن ربيعة [(٧)]: مات سنة ١٥٢ وقال الذهلي: نا نعيم بن حماد نا ضمرة نحوه سواء [(٨)].

٧ - وفي ترجمة عمرو بن دينار [(٩)] قال الذهلي نا علي بن عبدالله قال سمعت سفيان قيل له: مذ كم مات عمرو بن دينار؟ قال: في أول سنة ١٢٥ [(١٠)].

٨ - وفي ترجمة عمرو بن عبدالله أبو إسحاق السبيعي [(١١)] قال الذهلي نا أحمد بن يونس[(١٢)] قال: سمعت أبا بكر بن عياش [(١٣)] يقول: مات أبو إسحاق و هو ابن مائه، أو مائة غير سنة. [(١٤)]

---

(١) سبقت ترجمته ص ٤٦٧.

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٤٠.

(٣) سبقت ترجمته ص ١٦٣.

(٤) هو قريش بن أنس الأنصاري، ويقال الأموي، أبو أنس البصري، صدوق تغيَّر بأخَرَه، مات سنة (٢٠٨) التقريب ص ٤٥٨.

(٥) رجال صحيح البخاري ١/ ٨١.

(٦) سبقت ترجمته ص ٤٥٨.

(٧) هو ضمرة بن ربيعه الفلسطيني، أبو عبد الله، أصله دمشقي، صدوق يهم قليلاً، مات سنة (٢٠٢). التقريب ص ٢٨٠.

(٨) رجال صحيح البخاري ١/ ٥٣.

(٩) هوعمروبن دينار الأثرم، مولى بني باذان من مذحج، أبو محمد، من متقني التابعين. مات سنة (١٢٦) مشاهير علماء الأمصار ص ٨٤.

(١٠) رجال صحيح البخاري ٢/ ٥٤١.

(١١) هو عمرو بن عبد الله بن عبيد، أبو إسحاق السَّبِيعي الهمداني، ثقة مكثر عابد، مات سنة (١٢٩). التقريب ص٤٢٣.

(١٢) هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي اليربوعي الكوفي ثقة حافظا، مات سنة (٢٢٧). التقريب ص٨١. واليربوعي بفتح الياء وسكون الراء، نسبة إلى بني يربوع، بطن من تميم، الأنساب٥/ ٦٨٦.

(١٣) سبقت ترجمته ص ١٥١.

(١٤) رجال صحيح البخاري ٢/ ٥٤٥.

٩ - وقال عن أسماء [١] بنت أبي بكر الصديق: ناأحمد بن حنبل قال ناسفيان بن عبيد قال: بقيت أسماء بعد أبيها [٢].

هذا ويصور لنا مدى اهتمام الإمام الذهلي الشديد البالغ بمعرفة أخبار الرواة والعلماء ووفياتهم ذلك النقل الكبير عن شيخيه [الفضل بن دكين أبو نعيم][٣] و [يحيى بن عبدالله بن بكير][٤]. وذلك من خلال كتاب « رجال صحيح البخاري» المسمى « الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه « للإمام أبي نصر الكلاباذي»[٥].

وقد كان تحمله عن أبي نعيم بالمكاتبة ، وعن يحيى بن بكير بالسماع والمشافهة.

وقد تحمل أيضاً بالمكاتبة عن أبي بكر ابن أبي شيبة [٦] وابن نمير [٧] وسأشير إلى ذلك في موضعه.

وجدير بالذكر أن ماجمعته من أقوالهما سواء كانا منفردين أو مع بعضهما يتعذر إثباته كله في مثل هذه الإلماحة عن إهتمامه بالوفيات، إذ أن ماحصرته عنهما «١٣١ قولاً» ولذا فقد سلكت للإشارة إلى ذلك طريقاً يوقفنا على ذلك الجهد المبارك.

---

(١) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق، زوج الزبير بن العوام، من كبار الصحابة، عاشت مائة سنة. ماتت سنة (٧٤). التقريب ص٧٤٣.

(٢) رجال صحيح البخاري ٢/٨٤٨.

(٣) سبقت ترجمته ضمن مشايخه ص ١٧٤.

(٤) هو يحيى ين عبد الله بن بكير المخزومي، مولاهم، المصري، ثقة في الليث، من كبار العاشرة، مات سنة (٢٣١). التقريب ص ١٧٥.

(٥) سبقت ترجمته ص ١٧٥.

(٦) سبقت ترجمته ص ٤٤.

(٧) سبقت ترجمته ص ١٥١.

وهو أن أختار من أقوال الإمام يحيى بن بكير عدداً يناسب الكم الذي نُقل عنه، وكذلك عن الإمام أبي نعيم، وثالثاً أمثلة على مانقل عنهما جميعاً في الراوي، ثم أشير في الحاشية إلى المواضع التي لم أنقلها بالجزء والصفحة ليسهل على المستفيد مراجعة ذلك عند الحاجة.

أولاً: بعض مانقله الإمام الذهلي عن شيخه يحيى بن عبدالله بن بكير. وعدة رواياته عنه منفرداً ٨٤ رواية.

١ - أسيد بن حضير الأنصاري [(١)]، ..... وقال محمد بن يحيى الذهلي: قال يحيى ابن بكير: مات سنة عشرين وحمله عمر بين عمودي السرير حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه[(٢)].

٢ - بلال بن رباح أبو عبدالكريم [(٣)] .... وقال الذهلي: قال يحيى بن بكير: مات بدمشق في طاعون عمواس سنة سبع أو ثمان عشره [(٤)].

٣ - الحسين بن علي ابن أبي طالب [(٥)] .... وقال الذهلي: قال يحيى ابن بكير: قتل في صفر سنة إحدى وستين، سنُّهُ، ستة وخمسون [(٦)].

٤ - حكيم بن حزام بن خويلد القرشي[(٧)] ... وقال الذهلي: قال يحيى ابن بكير مات سنة ٥٤، سنُّهُ ١٢٠ سنه [(٨)].

٥ - خالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري [(٩)] ... قال الذهلي: قال يحيى ابن بكير: مات بالقسطنطينية سنه ٥٢ في غزوة يزيد بن معاوية، وزعم مجاهداً أنه حضر دفن أبي أيوب بالقسطنطينية[(١٠)].

---

(١) هو أسيد بن حضير بن سماك الأنصاري. توفي سنة (٢٠). أسد الغابة ١/ ١١١.

(٢) رجال صحيح البخاري ١/ ٩٩.

(٣) هو بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق. شهد بدراً والمشاهد كلها. أسد الغابة ١/ ٢٤٣.

(٤) رجال صحيح البخاري ١/ ١٢١.

(٥) هو الحسين بن علي ابن أبي طالب، سيد شباب أهل الجنة، كان كثير الصوم والصلاة. أسد الغابة٢/ ١٨

(٦) رجال صحيح البخاري ١/ ١٦٩.

(٧) هو حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي، كان من أشراف قريش ووجوهها. أسد الغابة ٢/ ٤٥.

(٨) رجال صحيح البخاري ١/ ٢٠٨.

(٩) سبقت ترجمته ص ١١٩.

(١٠) رجال صحيح البخاري ١/ ٢٢٢.

٦ - الزبير بن العوام [١] . . . قتل يوم الجمل وكان يوم الجمل يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخره سنة ٣٦، قتله عمرو بن حرموز بوادي السباع، قال خليفه بن خياط: وقال الواقدي مثله، وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير نحو ذلك وزاد (سنُّهُ أربع وستون وشهد بدراً وهو ابن ٢٩ سنة) [٢] .

٧ - سلَمة بن عمرو بن الأكوع [٣] . . . قال محمد بن يحيى الذهلي : قال يحيى بن عبدالله بن بكير المصري : مات سلمة بن الأكوع يكنى أبا إياس سنة ٧٤ هكذا كناه [٤] .

٨ - عبدالله بن ذكوان أبي الزناد [٥] . . . قال الذهلي : قال ابن بكير : مات في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائة، سنُّهُ أربع وستون [٦] .

٩ - عبدالرحمن بن جبر بن عمرو الأنصاري [٧] . . . قال الذهلي : قال ابن بكير: مات سنة أربع وثلاثين، سنُّهُ سبعون سنة) صلى عليه عثمان بن عفان [٨] .

١٠ - عبيدالله ابن أبي يزيد الكناني [٩] . . . وقال محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إسماعيل البخاري : قال يحيى بن بكير : مات سنة ١٣٦، سنُّهُ ست وثمانون [١٠] .

---

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، قتل يوم الجمل سنة (٣٦). أسد الغابة ٢/ ٢٥١.

(٢) رجال صحيح البخاري ١/ ٢٧٠.

(٣) هو سلمة بن الأكوع الأسلمي، كان شجاعاً رامياً، توفي سنة (٧٤) أسد الغابة ٢/ ٤٢٣.

(٤) رجال صحيح البخاري ١/ ٣٢٠.

(٥) سبقت ترجمته ص ٢٣٦.

(٦) رجال صحيح البخاري ١/ ٤٠٥.

(٧) هو عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبس الأنصاري، توفي سنة (٣٤) أسد الغابة٣/ ٤٣١.

(٨) رجال صحيح البخاري ١/ ٤٣٩.

(٩) هو عبد الله ابن أبي يزيد المكي، مولى آل قارظ بن شيبة، ثقة كثير الحديث. التقريب ص٣٧٥.

(١٠) رجال صحيح البخاري ١/ ٤٧١.

١١- عبادة بن الصامت [1] . . . وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، سنُّهُ اثنان وسبعون سنة [2] .

١٢- عمرو بن العاص السَهمي [3] . . . قال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعون، سنُّهُ سبعون سنة [4] .

١٣- قتادة بن النعمان[5] . . . قال محَمد بن يحيي الذهلي : : قال يحيى بن بكير : مات سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر، سنُّهُ خمس وستون، ونزل في قبره أبو سعيد الخدري، ومحمد بن سلمة، والحارث خَزمة، وابن حرسة [6]

١٤- كعب بن عجرة الأنصاري[7] . . . قال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات كعب ابن عجرة سنة اثنتين وخمسين، وسنُّهُ خمس وسبعون [8] .

١٥- محمد بن مسلمة الأنصاري[9] . . . وقال محمد بن يحيى حدثنا يحيى (يعنى) بن بكير : مات محمد بن سلمة بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وهو ابن سبع وسبعين سنه وصلى عليه مروان [10] .

١٦- معاوية ابن أبي سفيان[11] . . . وقال الذهلي : قال يحيى : مات لأربع خلون منه (أي من رجب) وسنه ثمان وسبعون سنة [12] .

---

(١) هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري، أبو الوليد المدني، أحد النقباء، توفي سنة (٣٤) أسد الغابة٣/ ١٦٠، التقريب ص٢٩٢ .

(٢) رجال صحيح البخاري ٢/ ٤٠٥ .

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، فتح مصر ووليها مرتين، أسلم عام الحديبية، أسد الغابة، التقريب ص٤٢٣

(٤) رجال صحيح البخاري ١/ ٥٣٥ .

(٥) هو قتادة بن النعمان بن زيد الأنصاري، صحابي شهد بدراً، وهو الذي سقطت إحدى عينيه في غزوة فردها الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت أحسن عينيه، أسد الغابة٤/ ٣٨٩، التقريب ص٤٥٤ .

(٦) رجال صحيح البخاري ٢/ ٦١٩ .

(٧) سبقت ترجمته ص ١٢٠ .

(٩) هو محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري، صحابي مشهور، أحد قاتلي كعب بن الأشرف، أسد الغابة٥/ ١١٢ التقريب ص ٥٠٧ .

(١٠) رجال صحيح البخاري ٢/ ٦٣٥ .

(١١) هو معاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي الخليفة، أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي، توفي عام ٦٠، أسد الغابة٥/ ٢١١، التقريب ص٥٣٧ .

(١٢) رجال صحيح البخاري ٢/ ٧٠٤ .

١٧- محمود بن الربيع[١] . . . قال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات سنة ٧٩، سنة ٧٣ [٢].

١٨- المِسْوَر بن مخرمة بن نوفل [٣] . . . قال الذهلي : قال ابن بكير : مات بمكة يوم جاء نعي «يزيد بن معاوية» إلى ابن الزبير سنة أربع وستين، وصلى عليه ابن الزبير، أصابه حجر منجنيق وهو يصلي في الحجر فمات في شهر ربيع وولد بعد الهجرة بسنتين فقدم به المدينة في عقب ذي الحجه سنة ثمان عام الفتح وهو ابن ست سنين، وتوفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين وكان أصغر من ابن الزبير بأربعة أشهر* [٤].

١٩- واثلة بن الأسقع[٥] . . . وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات سنة خمس وثمانين، سنة ثمان وتسعون [٦].

٢٠- يونس بن عبيد البصري[٧] . . . وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات يونس يكنى أبا عينية، سنة أربعين ومائة[٨].

---

(١) سبقت ترجمته ص ٢٣٥ .

(٢) رجال صحيح البخاري ٢/ ٧٢١.

(٣) هو مسْوَر بن مخرمة بن نوفل الزهري، له ولأبيه صحبة، قتل بحجر منجنيق وهو يصلي في الحجر سنة ٦٤، أسد الغابة٥/ ١٧٥، التقريب ص٥٣٢.

* ذكر محقق الكتاب عبدالله الليثي «أن بحاشية الأصل مكتوب مايلي» . . هذا كله خطأ يرده ماأخرجه البخاري باسناد صحيح أن المسور قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا يؤمئذ محتلم» ١ .هـ.

(٤) رجال صحيح البخاري ٢/ ٧٢٨.

(٥) هو واثلة بن الأسقع الكناني، من أهل الصفة، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين. أسد الغابة ٥/ ٤٢٨.

(٦) رجال صحيح البخاري ٢/ ٧٦٢.

(٧) هو يونس بن عبيد بن دينار العبدي أبو عبيد البصري، ثقة ثبت، التقريب ص٦١٣.

(٨) رجال صحيح البخاري ٢/ ٨١٨.

= وهذه مواضع رواية الإمام الذهلي عن شيخه يحيى بن بكير التي لم تنقل .

ثانياً : بعض مانقله الإمام الذهلي عن شيخه أبي نعيم وعدة رواياته عنه منفرداً ٢٠ روايه وجميعها كانت بالمكاتبة .٠. . وفي هذا دليل على حرص الإمام الذهلي على العلم بكل الطرق.

١ - أنس بن مالك [١] . . . وقال البخاري : قال أبو نعيم : مات أنس سنة ٩٣ وقال الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله [٢].

٢ - حبيب ابن أبي ثابت [٣] . . . مات في شهر رمضان سنة ١١٩ ، وقال البخاري كذلك ، ولم يذكر شهر رمضان ، وقال الذهلي : فيما كتب أبو نعيم مثله [٤].

٣ - الحكم بن عتيبة يقال ابن النهاس [٥] . . . قال الذهلي : فيما كتب إليَّ أبو نعيم قال : مات سنة ١١٥ [٦].

٤ - ربعي بن حراش الغطفاني [٧] . . . وقال الذهلي . . . وفيما كتب إليَّ أبو نعيم قال : وربعي بن حراش في زمن عمر بن عبدالعزيز يعنى موته [٨].

٥ - سالم ابن أبي الجعد [٩] . . . مات سنه سبع أو ثمان وتسعين في زمن سليمان بن عبدالملك قاله أبو نعيم قاله البخاري عنه . قال الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله سواء [١٠].

= الجزء الأول (٥٥ ، ٩٠، ١٠١ ، ١١٨، ١٤٧، ١٥٣ ، ١٧٦ ، ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤، ٢١٥, ٢٣٣, ٢٣٤, ٢٤٣-٢٥٥-٢٥٦-٢٥٧-٢٨٣-٢٩٢-٣٠٣-٣٠٤-٣٠٩-٣٢٠-٣٢٣-٣٤٣-٣٧٤-٣٨٣-٣٨٧-٣٨٩-٣٩٤-٤١١-٤١٤-٤١٦-٤٢٠-٤٣٣-٤٣٨-٤٤٩-٤٥٨)

الجزء الثاني
(٤٨٠-٤٩٩-٥٢١-٥٤١-٥٥٦-٥٥٧-٥٦٩-٥٧٨-٥٨١-٥٨٨-٥٩٢-٥٩٣-٦٣٠-٦٩٢-٧٠٩-٧١٤-٧١٦-٧٢٦-٧٢٧-٧٥٥-٧٧١-٧٩٢-٧٩٧-٨١٣-٨٣٠-٨٨٧) ١ .هـ.

(١) سبقت ترجمته ص ٢٣٥ . (٢) الكلاباذي . رجال صحيح البخاري ١/ ٨٧ .

(٣) هو حبيب ابن أبي قيس ويقال هند الأسدي مولاهم ، ثقة فقيه . التقريب ص ١٥٠ .

(٤) رجال صحيح البخاري ١/ ١٩٠ .

(٥) هو الحكم بن عتيبة بن النهاس الكوفي ، قاضي الكوفة . الثقات ٤/ ١٤٤ . التقريب ص١٧٥ .

(٦) رجال صحيح البخاري ١/ ١٩٦ .

(٧) هو ربعي بن حراش أبو مريم الكوفي ، ثقة عابد مخضرم ، مات سنة (١٠٠) . التقريب ص٢٠٥ .

(٨) رجال صحيح البخاري ١/ ٢٥٢ .

(٩) هو سالم ابن أبي الجعد رافع ، عداده في أهل الكوفة ، مات في ولاية سليمان بن عبد الملك . الثقات٤/ ٣٠٥ .

(١٠) رجال صحيح البخاري ١/ ٣١٧ .

٦ - عبدالله بن قيس أبو موسى الأشعري [١] . . . قال أبو نعيم : مات سنة أربع وأربعين، وقال أبو بكر ابن أبي شيبة : مثله وزاد وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقال ابن نمير مثل أبي نعيم وهو ابن نيف وثلاثين سنة .

وقال الذهلي : كتب إليَّ أبو نعيم مثله [٢] .

٧ - عطاء ابن أبي رباح [٣] . . . قال أبو نعيم مات سنة ١١٥ ، وقال الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله [٤] .

٨ - مالك بن مغول بن عاصم [٥] . . . قال البخاري : قال أبو نعيم : مات سنة ١٥٩ في أولها . وقال الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله، ولم يقل في أولها [٦] .

٩ - المغيره بن مقسم الكوفي [٧] . . . مات سنه ٣٣ . . . وقال البخاري : قال أبو نعيم : مات منصور بن المعتمر بعد ماقدم السودان بسنة، ومات مغيرة بعده بأربع سنين، وقال الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله [٨] .

١٠ - وقدان أبو يعفور العبدي [٩] ، قال أبو نعيم : مات سنة عشرين ومائة، وقال الذهلي : فيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله [١٠] .

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٣٤ .
(٢) رجال صحيح البخاري ١/ ٣٩١.
(٣) هو عطاء ابن أبي رباح ، مفتي الحرم أبو محمد القرشي مولاهم ، ثقة فقيه فاضل كثير الإرسال ، السير ٥/ ٧٨ التقريب ص ٣٩١ .
(٤) رجال صحيح البخاري ٢/ ٥٦٧ .
(٥) هو مالك بن مغول الكوفي، أبو عبد الله، ثقة ثبت. مات سنة (١٥٩) . التقريب ص٥١٨ .
(٦) رجال صحيح البخاري ٢/ ٦٩٥ .
(٧) سبقت ترجمته ص ١٢١ .
(٨) رجال صحيح البخاري ٢/ ٧١٤ .
(٩) هو وقدان أبو يعفور العبدي الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة، التقريب ص٥٨١ .
(١٠) رجال صحيح البخاري ٢/ ٧٦٤ . وهذه مواضع روايه الذهلي عن شيخه أبي نعيم التي لم تنقل
الجزء الأول ١٥٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٣٣٨ ، ٤٤٣ .
الجزء الثاني ٥٨٣ ، ٦٦٨ ، ٦٧٥ ، ٦٩٧ ، ٧٣٦ ، أ.هـ .

ثالثاً: بعض مانقله الإمام الذهلي عن شيخيه أبي نعيم ويحيى بن بكير- وعدة رواياته عنهما معاً«٢٦» رواية، وتحمله عن ابن بكير بالسماع، وعن أبي نعيم بالمكاتبة أيضاً وكذلك كاتب أبا بكر ابن أبي شيبة وابن نمير كما في ترجمة (٦) عبدالله ابن أبي أو فى وترجمة (٧) عمربن الخطاب.

١ - إبراهيم بن يزيد بن عمر النخعي[١]... وقال الذهلي: قال يحيى بن بكير موته مابين ٩٤ إلى ٩٦ وهو ابن ٤٦ .وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي مات وهو ابن ٤٩ سنه، قال الذهلي: وفيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله[٢].

٢ - إسماعيل ابن أبي خالد البجلي[٣]، وقال أبو نعيم مات سنة ١٤٦ وقال الذهلي: فيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله، وقال: قال يحيى بن بكير: مات سنة ١٤٥[٤].

٣ - جابر بن عبدالله بن حرام الأنصاري[٥]،... قال الذهلي: قال يحيى ابن بكير: مات سنة ٧٨، وسنُّهُ يومئذ أربع وتسعون وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان والي المدينه، قال الذهلي: وفيما كتب إليَّ أبو نعيم قال: وجابر بن عبدالله سنُّهُ تسع، قال الذهلي: أراد عندي وسبعين فحذف وسبعين لأن أبا نعيم لايهم هذاَ الوهم[٦].

٤- سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب[٧]... قال الواقدي: قال أبو نعيم: مات سنه ١٠٦، وقال الذهلي: فيما كتب إليَّ أبو نعيم في آخرها، قال الذهلي: نا يحيى بن بكير قال: مات في ذي القعدة سنه ١٠٦ وصلى عليه هشام ابن عبدالملك[٨].

٥ - طاوس بن كيسان اليماني[٩]، مات سنه ١٠٥ قال البخاري: ناعمر بن علي نا أبو عاصم قال: سمعت حنظلة يقول ذلك وقال البخاري: قال

(١) هو إبراهيم بن يزيد النخعي، سمع من الصحابة، مات وهو متوار من الحجاج، الثقات ٤/ ٨.
(٢) الكلاباذي «رجال صحيح البخاري ١/ ٦٠.
(٣) هو إسماعيل ابن أبي خالد الأحمسي مولاهم البجلي، ثقة ثبت، التقريب ص١٠٧.
(٤) رجال صحيح البخاري ١/ ٦٩. (٥) سبقت ترجمته ص١١٨. (٧) سبقت ترجمته ص ٢٤٠.
(٨) رجال صحيح البخاري ١/ ٣١٦. (٩) سبقت ترجمته ص ١٣٤.

أبو نعيم مثله، قال الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله، قال الذهلي : نايحيى ابن بكير قال : مات قبل التروية بيوم، بمكه سنة ١٠٦، وفيما كتب إليَّ أبو نعيم : وصلى عليه هشام بن عبدالملك [١].

٦ - عبدالله ابن أبي أوفى [٢] . . . قال محمد بن يحيى الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم قال : وعبدالله ابن أبي أوفى سِنُّهُ سبع أو ثمان وسبعين يعنى موته، قال الذهلي : قال يحيى : مات عبد الله سَنة ستة وثمانين . فخالفة أبو نعيم فقال : سنة سبع أو ثمان وسبعين، وفيما كتب إليَّ ابن نمير مات سنة ثمانين [٣].

٧ - عمر بن الخطاب [٤] . . . تولى الخلافه من لدن مات أبو بكر يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخر سنة ثلاث عشرة إلى أن طعن - قال خليفة والواقدي : لثلاث بقين من ذي الحجة .

وقال الذهلي : كتب إليَّ أبو نعيم وأبي بكر ابن أبي شيبة يوم الأربعاء لأربع بقين سنة ثلاث عشرة وقال الذهلي : لسبع بقين منه [٥].

٨ - عمرو بن ميمون الأَوْدي [٦] . . . قال البخاري : قال أبو نعيم : مات سنة أربع وسبعين، قال الذهلي : فيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله، وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات سنة أربع أو خمس وسبعين [٧].

---

(١) رجال صحيح البخاري ١/ ٣٧٧.

(٢) هو عبد الله ابن أبي أوفى علقمة بن خالد الأسلمي، صحابي، عُمِّر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم دهراً، وهو آخر الصحابة وفاة بالكوفة. توفي سنة ٨٦، أسد الغابة٣/ ١٨٣، التقريب ص٢٩٦.

(٣) رجال صحيح البخاري ١/ ٣٩٣.

(٤) هو عمر بن الخطاب القرشي أبو حفص، الخليفة الراشد، قتل سنة (٢٣) . أسد الغابة ٤/ ١٤٥.

(٥) الكلاباذي « رجال صحيح البخاري ٢/ ٥٠٦.

(٦) هو عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله ويقال أبو يحيى مخضرم مشهور ثقة عابد. التقريب ص٤٢٧. والأَوْدي بفتح الألف وسكون الواو نسبة إلى الأود بن صعب، من مذحج، الأنساب١/ ٢٢٦.

(٧) رجال صحيح البخاري ٢/ ٥٣٩.

٩ - محمد بن مسلم بن شهاب الزهري [(١)] . . . وقال الذهلي : نايحيى قال : مات يوم سبع عشره من رمضان سنة ١٢٤ ، وقال الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم قال : مات سنة ١٢٤ [(٢)] .

١٠ - مجاهدبن جبر [(٣)] . . . قال أبو نعيم : مات سنة ثنتين ومائة ، وقال الذهلي : وفيما كتب إليَّ أبو نعيم مثله ، وقال الذهلي : قال يحيى بن بكير : مات سنة إحدى ومائة [(٤)] .

ثانياً : معرفته بطبقات الرواة : (الصحابة وسواهم) :

لم يرد في القرآن الكريم لفظ «الطبقة» وان كان قد ورد فيه لفظي « طَبَقْ» و«طِبَاق»

قال تعالى ﴿ لتركبن طبقاً عن طبق﴾ [(٥)] ، وقال ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقاً﴾ [(٦)] .

وفي معاجم اللغة : المطابقة : الموافقة ، وقال ابن الأعرابي : الطَّبَق : الأمَّة بعد الأمَّة ، وقال الأصمعي : الطِّبْقْ ، بالكسر : الجماعة من الناس ، وقال ابن سيده : الطبق الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم ، وقول العباس في النبي صلى الله عليه وسلم « إذا مضى عالَم بدا طَبَق» فإنه أراد إذا مضى قَرْن ظهر قَرْن آخر ، وإنما قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون ويأتي طبق للأرض آخر [(٧)] .

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٠٦ .

(٢) رجال صحيح البخاري ٢/ ٦٧٨ .
وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق . انظر ترجمة الزهري المنفردة عنه بتحقيق شكر الله قوجاني ص ٤٧ .

(٣) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم ، المكي ، ثقة ، إمام في التفسير والعلم توفي في حدود سنة (١٠٣) وله ٨٣ سنة ، التقريب ص٥٢٠ .

(٤) رجال صحيح البخاري ٢/ ٧٣٠ .

(٥) سورة الإنشقاق آيه ١٩ .

(٦) سورة الملك آيه ٣ ، سورة نوح آيه ١٥ .

(٧) لسان العرب ١٠/ ٢٠٩-٢١١ ، وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣/ ٢٥٦ .

ومن هذا العرض الموجز لمعنى الطبقة عند العرب نتوصل إلى أن مدلولها في لغتهم : القوم المتشابهون .

وفي الإصطلاح : المراد بها التشابه في السن والأخذ عن المشايخ[٤] .

وهذا الفن من المهمات ومن فوائده :

(١) الأمن من تداخل المشتبهين كالمتفقين في اسم أو كنية .

(٢) إمكان الإطلاع على تبيين التدليس .

(٣) الوقوف على حقيقة المراد من العنعنة [٢] .

والباحث الناظر في هذا الفن يحتاج إلى معرفة المواليد والوفيات ومن أخذوا عنه ومن أخذ عنهم ونحو ذلك [٣] .

ومن المصنفات في هذا الباب « الطبقات الكبرى» لابن سعد[٤] . والطبقات « للإمام خليفة بن خياط »[٥] . « والطبقات » لمسلم بن الحجاج [٦] . قال الكتاني« كتب الطبقات هي التي تشتمل على ذكر الشيوخ وأحوالهم ورواياتهم طبقة بعد طبقة وعصراً بعد عصر إلى زمن المؤلف» انظر سرده لكتب الطبقات[٧] .

وللعلماء في ترتيب الطبقات مناهج متباينة[٨] ، ومن المنظور العام نعلم أن أول طبقات الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم «الصحابة رضوان الله عليهم» ويليهم التابعون كطبقة ثانية . ويعدهم أتباع التابعين» وهلمَّ جراً .

---

(١) فتح المغيث للعراقي ص ٤٧٤ ، فتح المغيث للسخاوي٤/ ٣٩٤ .

(٢) فتح المغيث ، للسخاوي ٤/ ٣٩٤ .

(٣) علوم الحديث ، لابن الصلاح ، بتحقيق الطباخ ٤١٣ .

(٤) طبع في دار الفكر - بيروت .

(٥) بتحقيق الدكتور أكرم ضياء العمـ ى ، نشر وتوزيع دار طيبة الرياض .

(٦) بتحقيق الدكتور البنداري ، ضبـ . الكتب العلميه ، بيروت .

(٧) الرسالة المستطرفة ص ١٣٨ ، وانظر فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٣٩٦ .

(٨) انظر تفصيل ذلك في « بحوث في تاريخ السنة المشرفة» للدكتور أكرم ضياء العمري ص ١٨٠ .

وكل طبقه من هذه الطبقات يمكن أن تقسم إلى أقسام أو طبقات عدة بإعتبارات كثيرة لانريد الإطاله بذكرها. وسأقتصر هنا على ذكر مأأثر عن الإمام الذهلي في طبقة الصحابة - وطبقات الرواة عن الزهري.

١ - طبقة الصحابــة :

وللإمام الذهلي في شأن الصحابة رضوان الله عليهم جهود لابأس بها، وفضل الصحابة رضي الله عنهم معلوم من الدين بالضرورة، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة بالثناء عليهم وذكر مناقبهم وفضائلهم، وقد اعتنى سلفنا الصالح بمعرفة الصحابة وحصر أسماءهم وطبقاتهم وتمييزهم عن غيرهم ممن لم تثبت له الصحبة، فليس من صحب النبي صلى الله عليه وسلم كمن لم يصحبه، وأمر آخر يستدعي ذلك الجهد وهو تمييز الأحاديث المرفوعة من الموقوفة من المقطوعة.

ومن هذه الجهود :

أ) راوٍ أختُلفَ في صحبته وفي اسمه اختلافاً كبيراً وتضاربت الأقوال في اسمه وفي سماعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه اضطراب كثير.

قال الإمام المزي: « الحكم بن سفيان، أو سفيان بن الحكم الثقفي[(١)].

عن النبي صلى الله عليه وسلم «د س ق» في نضح الفرج بعد الوضوء[(٢)].

---

(١) هو الحكم بن سفيان بن عثمان الثقفي، وقيل سفيان بن الحكم، قيل ليس له صحبة. انظر أسد الغابة ٢/ ٣٥، الإصابة ٢/ ٢٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة باب في الإنتضاح ١/ ١١٧، حديث ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، وأخرجه النسائي في الكبرى في الطهارة باب النضح، ١/ ٨٦، حديث ١٣٤، ١٣٥، وأخرجه ابن ماجه في الطهارة باب ماجاء في النضح بعد الوضوء ١/ ١٥٧، حديث ٤٦١، وأخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٤١٠، ٤/ ٦٩، ١٧٩، ٢١٢، ٥/ ٣٨٠، ٤٠٨، ٤٠٩. قال الحافظ المنذري: اختلف في سماع الثقفي هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال النمري (يعني ابن عبدالبر حافظ المغرب): له حديث واحد في الوضوء، وهو مضطرب الإسناد، وقال أبو عيسى الترمذي: واضطربوا في الحديث. مختصر سنن أبي داود ١/ ١٢٦.

ولم يذكر رواية عنه غير مجاهد [1] ثم ذكر الإضطراب الكبير في اسمه وفي تلقيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالأقوال الأربعة الأولى عن مجاهد عنه عن أبيه، والستة الباقية عن مجاهد عنه ليس فيها عن أبيه . . . وبعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم[2].

قال الإمام البخاري: وقال بعض ولد الحكم بن سفيان: لم يدرك الحكم النبي صلى الله عليه وسلم[3].

وروى الإمام أحمد عن أسود بن عامر قال: قال شريك: سألت أهل الحكم بن سفيان فذكروا أنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم [4].

وقال الخلال عن ابن عيينة: الحكم ليست له صحبة، وكذا نقله الترمذي في العلل عن البخاري [5]

وقال ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه: الصحيح مجاهد عن الحكم بن سفيان عن أبيه ولأبيه صحبة[6] وكذا قال الترمذي في العلل عن [البخاري والذهلي] عن ابن المديني [7].

وقد صحح أبو زرعة وابراهيم الحربي أن له صحبة [8].

وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة في معرفة الصحابة»[9] وفي أمره إضطراب كثير.

---

(١) سبقت ترجمته ص ٥٠٨.

(٢) تهذيب الكمال للإمام المزي ٧/ ٩٤، تهذيب التهذيب ٢/ ٣٦٦.

(٣) التاريخ الكبير ٢/ ٣٣٠، تهذيب الكمال ٧/ ٩٦.

(٤) المسند ٣/ ٤١٠.

(٥) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٦٦.

(٦) علل الحديث ١/ ٤٦.

(٧) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٣٦، علل الترمذي الكبير ترتيب أبي طالب القاضي، تحقيق ودراسة حمزة ديب مصطفى ١/ ١٢٥، وانظر شرح العلل لابن رجب ٢/ ٨٥٧، بتحقيق د. همام ولم أجد فيهما ماذكره ابن حجر عن الترمذي ويكفي توثيق ابن حجر للمعلومة.

(٨) علل الحديث لابن أبي حاتم ١/ ٤٦، تهذيب التهذيب ٢/ ٣٦٦.

(٩) ٢/ ٣٦.

وفي نهاية هذا العرض الموجز تبين لنا من نقل الإمام ابن حجر أن الإمامين البخاري والذهلي يميلان إلى مانقلاه عن شيخهما علي ابن المديني. خاصةً وأنه لم يرد منهما اعتراض عليه أو مخالفة، وأن الأمر كما ذكر أبو حاتم أن اسمه الحكم بن سفيان وأن الصحبة لأبيه وليست له.

ب – صحابي أختلف في اسمه واسم أبيه وأكد الذهلي فيه قولاً.

روى ابن شهاب حديثاً عن عبدالله بن ثعلبة[1] قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس قبل الفطر بيوم أو يومين فقال: أدوا صاعاً من برّ أو قمح بين اثنين، أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على كل أحد صغير أو كبير[2].

وقد اختلف أصحاب الزهري في اسمه مما سبب اعلال الحديث في سنده، بالاضافة إلى وجود علة في متنه وسنعرض بشيء من التوسع لذلك في مبحث معرفته بعلل الحديث.

وهذا سرد إختلاف بعض أصحاب الزهري في تعيين اسمه مع ذكر قول الذهلي في ذلك.

أ – قال النعمان بن راشد[3] عن الزهري مرة فيما رواه عنه بالسند مسدد: ثعلبة ابن أبي صُعْيَر عن أبيه. وقال مرة فيما رواه عنه بالسند سليمان بن داود

---

(١) هو عبدالله بن ثعلبة بن صعير، ولد عام الفتح، فَأُتِيَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمسح علي وجهه وبَرَّك عليه. توفي سنة (٨٩). أسد الغابة ٣/ ١٩١. وصُعْير بمهملتين مصغراً، المغني في ضبط اسماء الرجال، ص١٥١.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣/ ٣١٨.

(٣) النعمان بن راشد الجزري، أبو إسحاق الرَّقي، مولى بني أمية، صدوق سيئ الحفظ من السادسة. التقريب ص٥٦٤.

العتكي : عبد الله بن ثعلبة أو ثعلبة بن عبد الله ابن أبي صعير عن أبيه [١]

ب - وقال ابن جريج عن الزهري : عبد الله بن ثعلبة [٢]

ج - وقال بكر بن وائل [٣] عن الزهري : عبد الله بن ثعلبة بن صعير عن أبيه [٤]

وقد أورد الدارقطني صيغا كثيرة لتعيين راوي الحديث سنوردها في مبحث العلل .

ومن هذا التردد في اسم الصحابيّ بين (ثعلبة ابن أبي صعير ، أو عبد الله بن ثعلبة ، أو ثعلبة بن عبد الله ابن أبي صعير ، جزم الإمام الذهلي انه (عبد الله بن ثعلبة)

فقال في علله : " وإنما هو عبد الله بن ثعلبة . . . . . . الخ " [٥]

ج - معرفته ببعض من شهد بدراً من الصحابة :

قال ابن الاثير : عمرو بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبذول الأنصاري الخزرجي . المازني[٦] يكنى أبا داود ، ونسبه محمد بن يحيى الذهلي . وقال شهد بدراً " [٧]

---

(١) رواه عنهما أبو داود في سننه (٢/ ٢٧٠) باسنادهما إلى النعمان، ورواه الإمام أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي عنه في شرح معاني الآثار ٢/ ٤٥ ، وكذلك الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤٣٢ وقال فيه (عن ثعلبه ابن أبي صعير) .

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في المصنف في الأحاديث والآثار ٣/ ٣١٨، ورواه أحمد في المسند ٥/ ٤٣٢ وقال فيه عبدالله بن ثعلبة بن صعير .

(٣) هو بكر بن وائل بن داود التيمي، الكوفي، صدوق من الثامنة، مات قديما، روى عن الزهري، روى عنه أبوه . الثقات ٦/ ١٠٣ ، التقريب ص١٢٧ .

(٤) رواه عنه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٧٩ .

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ١٦٨ ، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد العظيم آبادي، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ٥/ ٢٢ .

(٦) هو عمرو بن عامر بن مالك بن خنساء الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا داود . انظر أسد الغابة ٤/ ٢٤٨ .

(٧) أسد الغابة ٤/ ٢٤٨ .

وقد ذكره محمد بن إسحاق فيمن شهد بدراً من بني مازن بن النجار ثم من بني خنساء ابن مبذول . ولكنه سماه " عمير " (1)

وذكره أبو عبد الله بن منده فقال : " عمرو بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن مازن بن النجار أبو داود المازني شهد بدراً قاله محمد بن يحيى الذهلي (2)

د – إتيانه بأنساب الصحابة على الوجه الصحيح :

قال أبو بكر ابن خزيمة : نا محمد بن يحيى ثنا الحميدي وثنا محمد بن عمرو ابن تمام المصري ، نا يوسف بن عدي قالا : ثنا مروان بن معاوية عن يحيى بن كثير الكاهلي عن مُسَوَّر بن يزيد الأُسَيدي (3)**وقال محمد بن يحيى :الأَسَدي** ، قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصلاة فترك شيئا لم يقرأه ، فقال له رجل : يا رسول الله تركت آية كذا وكذا ، قال : " فهلا أدركتمونيها؟ " زاد محمد بن يحيى فقال : كنت أُرَاها نُسِخَتْ (4)

وهنا خالف الإمام محمد بن يحيى الذهلي ، محمد بن عمرو بن تمام المصري في نسبة هذا الصحابي وتحت هذا النسب لم نجد السمعاني يذكر إلا

---

(1) السيرة النبوية للإمام محمد عبد الملك بن هشام ، باعتناء طه عبد الرؤوف مع تهذيبها الروض الأنف للإمام السهيلي ٣/ ٩٨ .

(2) التقييد والإيضاح للعراقي ص ٣٢٩ بتحقيق الطباخ .

(3) هو مسوّر بن يزيد الكاهلي . صحابي نزل الكوفة وكان قد شهد الصلاة التي سها فيها النبي صلى الله عليه وسلم أسد الغابة٥/ ١٧٦ ، وقد ضبط ابن ماكولا مُسَوَّر بضم الميم وفتح السين وتشديد الواو وفتحها ، الإكمال٧/ ٢٤٥ . وانظر كذلك المغني في ضبط أسماء الرجال ص ٢٣١ ، التقريب ص٥٣٢ .

(4) صحيح ابن خزيمة ٣/ ٧٣ ، والحديث أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب « الفتح على الإمام في الصلاة ١/ ٥٥٨ ، حديث رقم٩٠٧ ، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (حسن)١/ ١٧١ .

الأسْدي وهي بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وهي نسبة إلى الأزد، فيبدلون السين من الزاي .

والأسَدي بفتح الألف والسين المهملة وهي نسبة إلى أَسَدْ، وهو اسم لعدة قبائل، منهم أَسَد بن عبد العزى، وأسد بن خزيمة، وأسد بن ربيعة، وأسد بن دودان، وأسَد بن شريك[1]

قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي شارح سنن أبي داود : " والمالكي نسبة إلى بطن من بني أسَدَ بن خزيمة " [2]

وقد وافق الإمام الذهلي على صحة هذه النسبة عدد من الأئمة منهم :-

أ - الإمام محمد بن إسماعيل البخاري فقال : " مسور بن يزيد الأسدي المالكي " [3]

ب - الأمير الحافظ ابن ماكولا فقال : " المسور بن يزيد المالكي الكاهلي الأسدي له صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم " [4]

ج - الحافظ عز الدين ابن الأثير فقال : " المسور بن يزيد الاسدي ثم المالكي يعد في الكوفيين له صحبة [5]

د - الحافظ ابن حجر العسقلاني فقال : «المسور بن يزيد الأسدي الكاهلي نزل الكوفة له صحبة» . [6]

---

(١) الأنساب ١/ ١٣٧ .

(٢) عون المعبود ٣/ ١٧٤ ، وكان أبو داود قد أورد نسبة المالكي في المسند بدلاً من الأسدي .

(٣) التاريخ الكبير ٨/ ٤٠ باب مسور .

(٤) الإكمال لابن ماكولا ٧/ ٢٤٥ باب مسور .

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥/ ١٧٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٠/ ١٣٨ .

هـ - اعتناؤه بمعرفة أبناء الصحابة وأحفادهم :

قال الحافظ ابن عبد البر : قال محمد بن يحيى الذهلي سمعت أحمد بن حنبل يقول " وَلَدُ كعب بن مالك " عبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وفضاله ، ووهب ، ومعبد " .

قال محمد بن يحيى : وسمعت علي ابن المديني يقول : هم خمسة .

" عبيد الله بن كعب ، ومعبد بن كعب ، وعبد الرحمن بن كعب ، ومحمد بن كعب ، وعبد الله بن كعب " .

قال محمد بن يحيى : " فسمع الزهري من عبد الله بن كعب وكان قائد أبيه حين عَمِيَ ، وسمع من عبدالرحمن بن كعب وسمع من عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب قائد كعب ، وروى عن بشير بن عبدالرحمن بن كعب ولا أراه سمع منه "(١)

٢ - طبقات الرواة عن الزهري :

إعتنى الإمام الذهلي كما سلف ذكره إعتناءً بالغاً بالزهري والزهريات وعللها .

ولا شك أن له باعا طويلا في معرفة رجال الزهري وطبقاتهم وأحوالهم في القوة والضعف ، وإن كانت المصادر لم تسعفنا بالقدر الذي يتناسب مع جهود الذهلي وتتبعاته وتحرياته زمنا طويلاً .

ومما لا شك فيه أن لطول الملازمة للشيخ وقصرها ، وممارسة حديثه من عدمها أثر كبير في تقديم بعض الرواة على بعض ، وبعض الأسانيد على بعض ، لذا نجد كبار النقاد يهتمون بتقسيم الرواة عن بعض الشيوخ إلى طبقات متفاوتة في طول الصحبة وقصرها ، وفي جودة التلقي والحفظ عنه ، وفي البراعة في الممارسة لحديثه وتمييزه ، الأمر الذي أعانهم على استخراج العلل والأوهام في رواياتهم ، وتمييز أهل الاضطراب والشذوذ والنكارة في أحاديثهم ، وعليه فقد قسَّم العلماء

(١) التمهيد ١١/ ٥٥ ، تسمية الأخوة الذين روي عنهم الحديث للإمام أبي داود السجستاني ص ١٩٥ .

طبقات الرواة عن الزهري إلى خمس طبقات متدرجة من القوة إلى الضعف وهذا سردهم على ما ذكره الحافظ ابن رجب رحمه الله قال :

الطبقة الاولى :جمعت بين الحفظ والإتقان وطول الصحبة للزهري، والعلم بحديثه، والضبط له، كمالك وابن عيينة . وعبيد الله بن عمر [1] ومعمر، ويونس، [2] وعقيل [3]، وشعيب، وغيرهم وهؤلاء متفق على تخريج حديثهم عن الزهري .

الطبقة الثانية : أهل حفظ واتقان ، ولكن لم تطل صحبتهم للزهري وإنما صحبوه مدة يسيرة، و لم يمارسوا حديثه، وهم في إتقانه دون الطبقة الاولى كالأوزاعي (٤) والليث، وعبدالرحمن بن خالد بن مسافر، والنعمان بن راشد، ونحوهم وهؤلاء يُخَرِّج لهم مسلم عن الزهري .

الطبقة الثالثة : لازموا الزهري وصحبوه، ورووا عنه . ولكن تُكُلم في حفظهم كسفيان بن حسين[5]، ومحمد بن اسحاق، وصالح ابَن أبي الأخضر [6]، وزمعة بن صالح[7] ونحوهم .

---

(١)هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب. ثقة ثبت، من الخامسَة. توفي سنة بضع وأربعين. التقريب ص٣٧٣.

(٢) هو يونس بن يزيد ابن أبي النَّجاد الأيلي، مولى آل أبي سفيان. ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً، توفي سنة ١٥٩ . التقريب ص٦١٤.

(٣) هو عُقَيل بن خالد الأيلي، مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه، روى عن الزهري وعكرمة، كان يصحب الزهري في السفر والحضر. الجرح والتعديل ٧/ ٤٣ .

(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد ، عالم الشام، وشيخ الإسلام، قال الذهبي: كان الأوزاعي كبير الشأن، مات سنة (١٥١) . السير ٧/ ١٢٧ .

(٥) هو سفيان بن حسين السلمي المعلم الواسطي، يكنى أبا محمد، قال يحيى بن معين: سفيان بن حسين ليس به بأس، وليس من أكابر أصحاب الزهري، الجرح والتعديل ٤/ ٢٢٧ .

(٦) هو صالح ابن أبي الأخضر، يروي عن الزهري. وكان يخدمه، قال أبو حاتم : لين الحديث مات سنة (١٤٠) التقريب ص٢٧١ .

(٧) هو زمعة بن صالح، روى عن عبد الله بن طاووس، وعمرو بن دينار، قال ابن معين: زمعة بن صالح يمان يكون بمكة، ضعيف، الجرح والتعديل (٣/ ٦٢٤).

وهؤلاء يُخَرج لهم أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وقد يخرج مسلم لبعضهم متابعةً .

الطبقـة الرابعة : « قـوم رووا عن الزهري ، من غيـر مـلازمـة ، ولا طول صحبة ، ومع ذلك تُكُلم فيهم ، مثل اسحاق بن يحيى الكلبي ، ومعاوية بن يحيى الصدفي، وإسحاق ابنَ أبي فروة ،و إبراهيم بن يزيد المكي[١] والمثنى بن الصَّباح[٢] ونحوهم ،وهؤلاء قد يخرج الترمذي لبعضهم .

الطبقة الخامسة: قوم من المتروكين والمجهولين كالحكم الأيلي[٣] وعبدالقدوس بن حبيب[٤]ومحمد بن سعيد المصلوب[٥]وبحر السَّقا[٦] ونحوهم .

فلم يخرج لهم الترمذي ،ولا أبو داود، ولا النسائي ، ويخرج ابن ماجه لبعضهم ، ومن هنا نزلت درجة كتابه عن بقية الكتب ولم يعدّه من الكتب المعتبرة سوى طائفة من المتأخرين " أ. هـ[٧]

---

(١) هو إبراهيم بن يزيد المكي، الخُوزي، متروك الحديث، سكن مكة، توفي سنة (١٥١) . الجرح والتعديل ٢/ ١٤٦ . والخُوزِي بضم الخاء وكسر الراء، نسبة إلى شعب الخوز بمكة، الأنساب٢/ ٤١٦ .

(٢) المثنى بن الصباح اليماني، الأبناوي، نزيل مكة، ضعيف اختلط بأَخَرَه. توفي سنة (١٤٩) التقريب ص٥١٩ .

(٣) هو الحكم بن عبد الله بن سعد الأيلي، قال يحيى : ليس بثقة. الكامل ٢/ ٢٠٢ .

(٤) هو عبد القدوس بن حبيب الشامي، متروك، كذبه ابن المبارك وغيره. التاريخ الكبير ٦/ ١١٩).

(٤) هو محمد بن سعيد المصلوب، متهم بوضع الحدث، ويقال إنه صلب على الزندقة. التاريخ الكبير ١/ ٩٤، التهذيب ٩/ ١٨٤ .

(٦) هو بحر بن كنيز الباهلي، أبو الفضل البصري المعروف بالسقاء، ضعفه أبو حاتم وابن معين، قال ابن سعد: مات سنة (١٦٠) ، الجرح والتعديل ٢/ ٤١٨، تهذيب التهذيب ١/ ٣٦٦. والسَّقَا، بفتح السين والقاف نسبة لمن يسقي الناس الماء، الأنساب٣/ ٢٦٢ .

(٧) شرح علل الترمذي لابن رجب ٢/ ٦١٣ وانظر شروط الأئمة الخمسة لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي ص ٥٧ .

وفيما تحصل لي من معلومات ، وبالنظر لتقدم الإمام الذهلي الزمني على الإمامين الحازمي وابن رجب وغيرهما من المتأخرين الذين ذكروا هذه الطبقات الخمس وتوسعوا وفصَّلوا فيما ضَيَّقَه وأجمله المتقدمون. أجد أن العلامة البارع الذهلي قد قسَّم طبقات الرواة عن الزهري إلى طبقتين في غاية الشمول والإيجاز، على منهج المتقدمين في تعريفاتهم وتقسيماتهم، ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يتناول أصحاب الزهري بالتصنيف على الطبقات أحد ممن سبق الإمام الذهلي أو عاصره فيما اطلعت عليه من مصادر، وفي هذا سَبْقٌ له وتميز، ساعده على ذلك تخصصه واعتناؤه البالغ بالزهري والزهريات.

وهذا ذكر الطبقتين على ما استنبطته.

الطبقة الاولى : طبقة أهل الحفظ والاتقان.

الطبقة الثانية : من نزل عن هذه الرتبة، وتستغرق هذه المرتبة حتى الموصوفين بالضعف والاضطراب.

وهذا ذكر من صنَّفهَم في الطبقتين على قلة عددهم. أعقبه بمن ذكر روايتهم عن الزهري بدون تصنيف على الطبقات *

١ - في الطبقة الأولى: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (١)

قال : " وابن جريج إذا قال حدثني وسمعت فهو محتج بحديثه داخل في الطبقة الأولى من أصحاب الزهري "(٢)

(*) صرفت النظر هنا عن مقارنة كلام الإمام الذهلي بكلام غيره من الأئمة في أصحاب الطبقات، لأن في ذلك اختلافاً واسعاً سببه أولاً: تعدد مناهج العلماء في تصنيف الرواة مابين متشددين ومتوسطين ومتساهلين، وثانياً الإختلاف في وضع الطبقات ، مثال ذلك إسحاق بن يحيى الكلبي ، ذكره الذهلي في الطبقة الثانية في حين ذكره الحازمي وابن رجب في الطبقة الرابعة.

(١) سبقت ترجمته ص ١٦١.

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٦٠.

٢ - في الطبقة الثانية :

١ - محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله الزهري .[١]

٢ -أسامة بن زيد [٢]

٣ - ابن اسحاق [٣]

٤ - ابن أويس [٤]

٥ - " فليح[٥] "[٦]

٦ - اسحاق بن يحيى الكلبي [٧]

ومن المفيد ذكره هنا قوله : " إذا اختلف أصحاب الطبقة الثانية كان المفزع إلى الطبقة الأولى[٨]

وهناك رواة آخرون عن الزهري ذكرهم الذهلي وبين أحوال معظمهم في القوة والضعف ومنزلة رواياتهم . دون أن يصنفهم في إحدى المراتب وهم :-

١ - سليمان بن كثير العبدي [٩]

٢ - عبد الرحمن بن نمر اليحصبي [١٠]

---

(١) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ . (٢) سبقت ترجمته ص٢٤٤ . (٣) سبقت ترجمته ٢٤٤ .

(٤) هو عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحي ابن عم مالك بن أنس، وصهره على أخته، قال أبو داود: صالح الحديث، مات سنة (١٦٧) تهذيب التهذيب ٥/ ٢٤٥ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ .

(٦) ذكر خمستهم ابن حجر في ترجمته لمحمد بن عبدالله الزهري نقلاً عن العقيلي قال : « . . . وأما محمد بن يحيى فجعله في الطبقة الثانية من أصحاب الزهري مع أسامة بن زيد وابن إسحاق، وابن أويس ، وفليح . قال : هؤلاء كلهم في حال الضعف والإضطراب» تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٨ .

(٧) سبقت ترجمته ٤٥٥ . قال الإمام المزي : ذكره محمد بن يحيى الذهلي في الطبقة الثانية من أصحاب الزهري، وقال : مجهول، لم أعلم له رواية غير يحيى بن صالح الوحاظي، تهذيب الكمال ٢/ ٤٩٣ .

(٨) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٨ .

(٩) انظر ماكتب عنه ص ٤٤١ .

(١٠) انظر ترجمته وماذكر عنه ص ٤٢٨ .

٣ – عبيد الله ابن أبي زياد الرصافي [(١)]

٤ – ابن أبي ذئب [(٢)]

٥ – ابن أبي عتيق [(٣)]

٦ – يونس بن يزيد [(٤)] .

٧ – شعيب ابن أبي حمزة [(٥)] .

٨ – سعيد بن عبد العزيز [(٦)] .

٩ – سليمان بن داود [(٧)] [(٨)]

١٠ – الوليد بن محمد الموقّري . [(٩)]

١١ – عبد الرحمن بن يزيد بن تميم [(١٠)] .

١٢ – ابراهيم بن سعد الزهري [(١١)] .

---

(١) انظر ترجمته وماذكر عنه ص ٤٨٥ .

(٢) و(٣) انظر ترجمتهما وماذكر عنهما ص ٤٨٦ ـ ٤٨٩ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٥١٧ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ .

(٦) سبقت ترجمته ص ١٦٩ .

(٧) سبقت ترجمته ٤٥٥ .

(٨) ساق الإمام العقيلي حديث الزهري، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في الديات . من طريق هؤلاء الأربعة : يونس، وشعيب، وسعيد بن عبدالعزيز، وسليمان بن داود، عنهم عن الزهري . ثم أورد تعليق الإمام الذهلي على رواياتهم قال : قال محمد بن يحيى : لم يسند الحديث يونس، ولاشعيب، ولاسعيد بن عبدالعزيز . . . . . ورواه سليمان بن داود بطوله . . . الخ » الضعفاء الكبير ٢/ ١٢٧-١٢٨ .

(٩)(١٠) انظر ترجمتهما وماذكر عنهما ص ٢٤٢ .

(١١) سبقت ترجمته ص ١٥١ .

ثالثا : معرفته بالاخوه والأخوات :

هذا الفن من العلوم العزيزة والمهمة ، وفائدة ضبطه الأمن من ظن من ليس بأخٍ أخاً للإشتراك في اسم الأب أو ظن الغلط .[(١)]

وقد صنَّف فيه الأئمة علي ابن المديني ، و أبي داود [(٢)] ، ومسلم بن الحجاج ، والنسائي وأبي العباس السراج [(٣)] والجعابي ثم الدمياطي [(٤)]

وأورد جملة منهم أبو عبد الله الحاكم في معرفة علوم الحديث تحت النوع السادس والثلاثين [(٥)] .

ومن مشاركات الإمام الذهلي في هذا المضمار ما يلي :

أولا: أمثلة للإثنين من الأخوة

أ - يعقوب بن إبراهيم بن سعد [(٦)] ، وسعد بن إبراهيم بن سعد [(٧)]

قال أثناء التعريف بيعقوب ورواياته :

---

(١) معرفة علوم الحديث ١٥٣ ، فتح المغيث للسخاوي ٤/ ١٧٢ .

(٢) إستقى د. باسم فيصل الجوابره من بعض كتب ابن المديني وبالأخص : « تسمية من روي عنه من أولاد العشرة وغيرهم». الفصل الأول منه ، ما كون مادة كبيرة في هذا الموضوع وضم إليه كتاب « تسمية الإخوة الذين روى عنهم الحديث » لأبي داود السجستاني ، وحققهما واستدرك عليهما جميعاً تحت اسم " الرواة من الإخوة والأخوات " للإمامين رحمهما الله ، ونشرته دار الراية بالرياض عام١٤٠٨هـ .

(٣) سبقت الاشارة إلى ذلك في ترجمته ص ١٨٧ .

(٤) فتح المغيث للسخاوي ٤/ ١٧٢

(٥) معرفة علوم الحديث ص ١٥٣ .

(٦) هو يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، من أهل المدينة، سكن العراق، ثقة فاضل، مات بفَم الصِّلْح سنة (٢٠٨) . الثقات ٩/ ٢٨٤، التقريب ص٦٠٧ . والصِّلح نهر كبير فوق واسط، معجم البلدان ٤/ ٢٧٦ .

(٧) هو سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، يروي عن أبيه، ثقة ولي قضاء واسط، مات ببغداد سنة (٢٠١) . الثقات ٨/ ٢٨٣، التقريب ص٢٣٠ .

وكان قد سمع هو وأخوه سعد الكتب، فمات أخوه قبل أن يكتب عنه كثيراً جداً، وبقي يعقوب فكتب عنه الناس فوجدوا عنده علماً جليلاً .[1]

ب –أبو نبيه ابن إبراهيم التيمي[2]، محمد بن إبراهيم التيمي[3]

– قال أبو داود في تسمية الاخوة

سمعت محمد بن يحيى بن فارس يقول : أبو نبيه الذي حدثني عنه ابن إسحاق في الإزار[4] عن عائشة هو « أخو » محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي "[5]

ج – إسحاق بن راشد[6]، والنعمان بن راشد[7] الجزريان .

قال ابن حجر : وممن جزم أن إسحاق و النعمان أخوان الذهلي وابن حبان وأبو زرعة وأبو داود .

فقال الذهلي : صالح ابن أبي الاخضر[8]، وزمعة بن صالح[9]، ومحمد ابن أبي حفصة[10] في بعض حديثهم إضطراب، والنعمان وإسحاق " ابنا " راشد الجزريان أشد اضطرابا[11]

---

(١) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٣٤.

(٢) هو أبو نبيه ابن إبراهيم التيمي، روى عنه محمد بن إسحاق. التاريخ الكبير. الكنى ٨/ ٧٧، الثقات٥/ ٥٧١

(٣) هو محمد بن إبراهيم التيمي الحافظ، من علماء المدينة، مع سالم ونافع، قال ابن سعد: كان فقيهاً محدثاً، السير ٥/ ٢٩٤.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٥٨ عن أبي نبيه سمعت عائشة تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تحت الكعب من الازار في النار " . وأصل الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، باب ما أسفل الكعبين فهو في النار ٧/ ٤٤، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار».

(٥) تسمية الاخوة الذين روي عنهم الحديث لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق د. باسم الجوابرة ص ١٩٦ .

(٦) هو إسحاق بن راشد الجزري، من أهل حرّان، يروي عن الزهري، روى عنه موسى بن أعين، الثقات ٦/ ٥١.

(٧) سبقت ترجمته ص ٥١٢. (٨) سبقت ترجمته ص ٥١٧. (٩) سبقت ترجمته ص ٥١٧.

(١٠) هو محمد ابن أبي حفصة ميسرة، أبو سلمة البصري، صدوق يخطىء، روى عنه الثوري وابن المبارك، تهذيب التهذيب ٩/ ١٠٨، التقريب ص٤٧٤.

(١١) تهذيب التهذيب ١/ ٢٢٠.

د – عبد الله ابن أبي مليكة [١] ، وأبو بكر ابن أبي مليكة [٢]

قال أبو داود : عبد الله ابن أبي مليكة ، وأبو بكر ابن أبي مليكة وهما ابنا عبيد الله بن عبد الله ابن أبي مليكة كذا قال علي .

قال أبو داود : سمعت محمد بن يحيى بن فارس ذكر معناه إلا أنه قال : " أبو عبد الله ابن أبي مليكة لم يذكر بينهما عبد الله " [٣]

ثانياً : أمثلة للثلاثة من الإخوة

أ – عبد الله[٤] ، عبيد الله [٥]، محمد [٦] " بنو عبد الله بن الحارث بن نوفل " [٧]

قال محمد بن يحيى الذهلي : لعبد الله بن الحارث بن نوفل ثلاثة بنين " عبد الله وعبيد الله ومحمد بنو عبد الله بن الحارث بن نوفل " [٨]

ويؤيد كلام الذهلي ما ذكره ابن عبد البر عن أحمد بن صالح . قال : روى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث ، وعن عبد الله بن عبد الله بن الحارث ، وعن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل وهؤلاء كلهم أخوة " [٩]

---

(١) هو عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة واسمه زهير التيمي المدني ، أدرك ثلاثين من الصحابة ، مات سنة (١١٧) . السير ٥/ ٨٨ .

(٢) هو أبو بكر ابن أبي مليكة المكي ، مقبول من الثالثة ، قال الحافظ : هو أخو عبد الله ، تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٦ .

(٣) تسمية الأخوة ص ٢٠٩

(٤) هو عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ، أبو يحيى المدني ، ثقة ، مات سنة (٩٩) . التقريب ص٣٠٩ .

(٥) هو عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ، يروي عن أم هاني ، روى عنه الزهري . الثقات ٥/ ٧٠ .

(٦) هو محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ، يروى عنه عمر بن عبد العزيز ، المدني ، مقبول ، من الثالثة . الجرح والتعديل ٧/ ٣٠٦ ، الثقات ٥/ ٣٥٥ .

(٧) هو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، لقبه ، بَبَّه ، وكان أصمّ ، خرج مع ابن الأشعث فلما هزم ، هرب إلى عمان ، فمات سنة (٦٢) المعارف لابن قتيبة ص١٢٧ .

(٨) التمهيد ، لابن عبد البر ٨/ ٣٤١

(٩) نفس المصدر السابق .

وقد أورد الحافظ ابن عبد البر بعد كلام الذهلي السابق أحاديث عدة وكلاماً طويلاً عن محمد بن عبد الله بن الحارث، وعندما ترجم لعبد الله بن عبد الله ابن الحارث، أشار لعبيد الله ومحمد، ومعرفة أهل الأثر والنسب بهما، وأضاف أخوين آخرين عن أهل النسب هما الصلت [١] بن عبد الله بن الحارث بن نوفل. كان من رجال قريش وكان فقيهاً وكان له حظ من العلم، وعون [٢] بن عبد الله بن الحارث.

ثم قال ابن عبد البر: فأما قول الذهلي بأن بَبَّهْ [٣] كان له ثلاثة بنين فإنما أخذه من الأحاديث ولم يطالع ما قاله أهل النسب، والله اعلم [٤]

قلت: يبدو أن تعليق ابن عبد البر على الذهلي لكونه لم يذكر الأبناء الآخرين. ولا غضاضة في ذلك على الذهلي، لأن كل متحدث يورد ما وصل إليه علمه، ولعله استنبط أولئك من الأحاديث كما قال ابن عبد البر ولكنه لم ينف غيرهم . . . ولولا متابعة العلماء والاستدراك على بعضهم البعض لما نمى العلم وترعرع وأفاد. فابن عبد البر قبل قليل يستدرك بأخوين آخرين، وهذا الإمام الذهبي يستدرك بأخ غيرهما وهو إسحاق، قال في السير في ترجمة أبيه عبد الله ابن الحارث: حدث عنه " ابناه " إسحاق وعبد الله، ووافق ابن عبد البر في إضافة " عبد الله، ومحمد وعون " [٥] فرحم الله الجميع.

---

(١) هو الصلت بن عبد الله بن نوفل بن الحارث، مقبول من السادسة، كان الصلت فقيهاً عابداً. طبقات ابن سعد ٥/ ٣١٧، الجرح والتعديل ٤/ ٤٣٦، التاريخ الكبير ٤/ ٢٩٩.

(٢) هو عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، روى عنه أبو معشر نجيح، ذكره أبو داود السجستاني في كتابه تسمية الإخوة، ص١٨٦.

(٣) هو لقب لعبد الله بن الحارث بن نوفل، انظر نزهة الالباب في الالقاب ١/ ١١١

(٤) التمهيد ٨/ ٣٦٤، ٣٦٥

(٥) السير ١/ ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢

ثالثا : مثال للأربعة من الأخوة

إسماعيل بن جعفر [(١)] ، ومحمد بن جعفر [(٢)] ، ويحيى بن جعفر [(٣)]، وكثير بن جعفر [(٤)] ، بنو أبي كثير .

قال أبو داود : إسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن جعفر ابن أبي كثير

قال أبو داود : قال محمد بن يحيى بن فارس : ويحيى بن جعفر، قال : يحيى أقدمهم

قال محمد بن حزم : " وكثير بن جعفر ، روى له ابن كاسب " [(٥)]

---

(١) هو إسماعيل بن جعفر ابن أبي كثير الأنصاري، ثقة، روى عن مالك، مات سنة (٨٠). الإرشاد في معرفة علماء الحديث، للخليلي ١/ ٢٢٨ .

(٢) هو محمد بن جعفر ابن أبي كثير الأنصاري، من أهل المدينة، ثقة، من السابعة، الثقات ٧/ ٤٠٢ .

(٣) هو يحيى بن جعفر ابن أبي كثير الأنصاري، يعد في أهل المدينة . التاريخ الكبير ٨/ ٢٦٥، الثقات٧/ ٥٩٦ .

(٤) هو كثير بن جعفر ابن أبي كثير مولى بني زريق الأنصاري، روى عن أبي طوالة، الجرح والتعديل ٧/ ١٥٠

(٥) تسمية الاخوة، لابي داود السجستاني ص ٢٠٧ .

إستدراك :

يلحق بما ذكره الإمام الذهلي عن الأخوة مباشرة ، ما ذكره عن مشايخه نقلاً عنهم ، وقد ساق إلينا رحمه الله تعالى عن شيخيه علي ابن المديني ، وأحمد بن حنبل ، ما يصلح أن يكون مثالاً للخمسة من الأخوة ، والستة منهم كذلك ، وهم أبناء أحد الصحابة رضي الله عنهم ، ولكن في عرض الشيخين بعض الإختلاف .

أولاً : مثال للخمسة من الأخوة :

قال الحافظ ابن عبد البر : قال محمد بن يحيى : سمعت علي ابن المديني يقول هم خمسة : عبيد الله بن كعب [(أ)] ، ومعبد بن كعب [(ب)] ، وعبد الرحمن بن كعب [(جـ)] ، ومحمد بن كعب [(د)] ، وعبد الله بن كعب [(هـ)]» [(و)] .

(أ) هو عبيد الله بن كعب بن مالك ابن أبي القين السلمي الأنصاري، عداده في أهل المدينة . الثقات ٥/ ٧٣ والسَّلَمي بفتح السين واللام نسبة إلى بني سلمة حي من الأنصار، الأنساب٣/ ٢٨٠ . =

رابعاً ـ معرفته برواية الآباء عن الأبناء

قال الإمام السخاوي : وهما نوعان مهمان ، وفائدة ضبط أولهما الأمن من ظن التحريف الناشيء عنه كون الإبن أباً (١) .

وقد صنَّف فيه الخطيب البغدادي كتاباً سمَّاه " رواية الآباء عن الأبناء " (٢)

ومن أمثلته :

رواية سليمان بن طرخان التيمي (٣) عن ابنه معتمر (٤) لحديثين ، وعند الخطيب من رواية معتمر قال : حدثني أبي قال : حدثتني أنت عني عن أيوب -

= (ب) هو معبد بن كعب بن مالك الأنصاري، المدني، مقبول، من الثالثة، التقريب ص٥٣٩ .

(جـ) هو عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري، أبو الخطاب المدني، قال ابن سعد، كان ثقة، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٣٣ .

(د) هو محمد بن كعب بن مالك الأنصاري، السَّلَمِي بالفتح، المدني، ثقة، من الثالثة. التقريب ص٥٠٤ .

(هـ) هو عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، ثقة، يقال له رؤية. التقريب ص٣١٩ .

(و) التمهيد ١١/ ٥٥ ، تسمية الاخوة ص ١٩٥ .

ثانياً :مثال للستة من الأخوة:

ويسرد لنا الإمام الذهلي أبناء كعب بن مالك عن شيخ آخر وهو الإمام أحمد بن حنبل ولكن باختلاف يسير ، فيذكر الأربعة السالفين الذين ذكرهم الإمام علي ابن المديني ما عدا محمد بن كعب ويضيف إليهم ، فضالة ووهب .

قال ابن عبد البر قال محمد بن يحيى الذهلي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : " ولد كعب ابن مالك " عبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وفضالة (أ) ، ووهب (ب) ، ومعبد" (جـ)

(أ) لم أجد ترجمته في كتب التراجم المشهورة، وأخشى أن يكون هناك وهماً.

(ب) لم أجد ترجمته في كتب التراجم المشهورة، وأخشى أن يكون هناك وهماً.

(جـ) التمهيد ١١/ ٥٥ .

(١) فتح المغيث ٤/ ١٨٠

(٢) إرشاد طلاب الحقائق للإمام النووي ٢/ ٦٣٢ ، فتح المغيث للعراقي ٣٧٨

(٣) سبقت ترجمته ص ١٥٨ .

(٤) سبقت ترجمته ص ١٥١ .

هو السختياني [١] – عن الحسن – هو البصري [٢] أنه قال : ويح كلمة رحمة – قال ابن الصلاح : وهذا طريف يجمع أنواعاً ، يعني . . . " كرواية الآباء عن الأبناء وعكسه ، والأكابر عن الأصاغر ، والمدبَّج ، والتحديث بعد النسيان ، واجتماع ثلاثة من التابعين في نسق " [٣]

وقد ساق الحافظان العراقي والسخاوي أمثلة على رواية الآباء عن أبنائهم ومن ذلك قولهما " ومحمد بن يحيى الذهلي عن ابنه يحيى " [٤]

ولعل أوضح مثال لذلك ما ذكره أبو عبد الله الحاكم من رواية الذهلي عن ابنه يحيى .

قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب : قال ثنا أبو عمرو المستملي قال حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثني ابني أبو زكريا . . . . الخ [٥]

ومما ذكره الذهلي في هذا المجال ، بيانه دوران حديث إبراهيم بن سعد الزهري [٦] على ابنه يعقوب [٧] حيث قال : روى عن الزهري ، وعن أصحاب الزهري عنه ، وكثرت روايته لحديث الزهري وأغرب عنه ، ومدار حديثه على ابنه يعقوب بن إبراهيم . الخ " [٨]

---

(١) سبقت ترجمته ص ٤٦٧ .

(٢) هو الحسن ابن أبي الحسن ، واسم أبيه « يسار » . كانت أمه مولاة أم سلمة أم المؤمنين ، مات سنة ١١٠ . المعارف لابن قتيبة ، ص ٤٤١ .

(٣) فتح المغيث للسخاوي ٤/ ١٨١ ، مقدمة ابن الصلاح ص ٣٠١ ، إرشاد طلاب الحقائق ٢/ ٦٣٣ ، فتح المغيث للعراقي ص ٣٧٨

(٤) فتح المغيث للعراقي ص ٣٧٩ ، فتح المغيث للسخاوي ٤/ ١٨١

(٥) معرفة علوم الحديث ص ٢١٨ .

(٦) سبقت ترجمته ص ١٥١ .

(٧) سبقت ترجمته ٥٢٢ .

(٨) تهذيب الكمال ٣٢/ ٣١٠ ، السير ٩/ ٤٩٢ .

خامساً ـ معرفته برواية الأبناء عن الآباء :

وهو عكس الأول وأكثر منه ، ورواية الرجل عن أبيه عن جده من المعالي ، كما قال أبو القاسم منصور بن محمد العلوي : الإسناد بعضه عوال ، وبعضه مقال ، وقول الرجل حدثني أبي عن جدي من المعالي " [(١)]

بل قال مالك قبله في قوله تعالى : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ [(٢)] : وهو قول الرجل حدثني أبي عن جدي . [(٣)]

وأهم ما في هذا النوع ما إذا أبهم اسم الأب أو الجد وهو قسمين :-

١ - **القسم الاول** : أن تكون الرواية عن أبيه فقط دون جده كرواية " أبي العشراء الدارمي [(٤)] عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن أباه لم يسم في طريق الحديث ، واختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال أشهرها أنه " أسامة بن مالك بن قهطم [(٥)]

٢ - **القسم الثاني** : أن يزيد فيه بعد ذكر الأب أباً آخر فيكون جداً للأول أو يزيد جداً للأب - فمثال زيادة الأب رواية " بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فحكيم هو ابن معاوية بن حيده القشيري ، فالصحابي هو معاوية وهو جد بهز .

---

(١) فتح المغيث للعراقي ، ص ٣٨٠ .

(٢) سورة الزخرف آية ٤٤

(٣) فتح المغيث ، للسخاوي ٤/ ١٨٧ ، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، تصحيح أحمد البردوني ١٦/ ٩٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ، تحقيق علي البجاوي ٤/ ١٦٨٣ وقال بعد ذكره قول مالك السالف : ولم أجد في الإسلام هذه المرتبة إلا ببغداد فإن بني التميمي بهايقولون : حدثني أبي ، قال : حدثني أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك شرفت أقدارهم وعظّم الناس شأنهم وتهممت الخلافة بهم . أ . هـ

(٤) قيل اسمه أسامة بن مالك بن قهطم ، وقيل عطارد وقيل يسار وقيل سنان بن برز أو بلز ، وقيل اسمه بلاز بن يسار وهو أعرابي مجهول من الرابعة / التقريب ص ٨٨ .

(٥) فتح المغيث للعراقي ، ص ٣٨٠ ، فتح المغيث للسخاوي ٤/ ١٨٨ .

ومثال زيادة الجد رواية " عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وشعيب هو ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، فالصحابي هو عبد الله بن عمرو وهو جد شعيب " (١)

ومما يذكر عن الإمام الذهلي في هذا النوع : ما نقله البرذعي عنه في سؤالاته له قال : قلت : (وبشر ابن أبي حمزة) (٢) سمع الكتب من أبيه ، أو هي إجازة ؟ فقال ما أدري إلا أنه كان يقول : حدثنا أبي " (٣)

ومما يمكن ذكره هنا :

- معرفته بالصحيح من أسماء أبناء الرواةعن آبائهم .

ومنهم عبد الكريم بن عبد الله بن شَقِيْق . (٤)

قال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس النيسابوري حدثنا محمد بن سنان حدثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم عن (بن)* عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله ابن أبي الحمساء .

قال : " بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه ، فنسيت فذكرت (ثم ذكرت) بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه ، فقال ، يا فتى لقد شققت عليَّ، أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك " .

قال أبو داود : **قال محمد بن يحيى (هذا عندنا عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق)**

قال أبو داود : هكذا بلغني عن علي بن عبد الله (٥)

---

(١) فتح المغيث، للعراقي ٣٨١ ، فتح المغيث، للسخاوي ٤/ ١٨٨

(٢) هو بشر بن شعيب ابن أبي حمزة سبقت ترجمته ص ١٤٥ .

(٣) الضعفاء و أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٢٣/ ٧٤٦

(٤) هو عبد الكريم بن عبد الله بن شَقِيقْ العُقَيْلي، البصري، مجهول، من السادسة . التقريب ص٣٦١ . المغني في ضبط أسماء الرجال، ص١٤٤ ، الأنساب٤/ ٢١٨ .

(*) ما بين القوسين إضافة من الباحث، لضرورة عرض المسألة بجميع الأقوال .

(٥) هو ابن المديني سبقت ترجمته ص ١٧١ .

قال أبو داود : بلغني أن بشر بن السّري [١] رواه عن عبد الكريم بن عبد الله ابن شقيق [٢]

هذه الفائدة عن الإمام الذهلي تدل على تمكنه الكبير من معرفة الرواة والأسانيد، ولعل أحد النقلة لهذا الحديث المتقدمين قد أخطأ في إسناده مما سبب أوهاماً وقع فيها بعض الرواة ، وكان هذا التنصيص من الإمام الذهلي على ما صح عنده من إسم هذا الراوي ، حائلاً دون إستمرار الوهم والإختلاف وقد صوب الأئمة ما ذهب إليه وسيأتي إثبات ذلك .

ومما يستأنس به فيما ذهب إليه الإمام الذهلي، ما سبق وأن أشار إليه الإمام أبو داود عن الإمامين علي بن عبد الله، وبشر بن السّري أنه بلغه عنهما مثل ما قال الإمام الذهلي .

وقد استظهر العلامةأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مما بلغ الامام أبي داود عن الامامين السالفي الذكر ومن كلام الامام المنذري [٣] الآتي أن الصحيح (عن عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق) .

قال المنذري : " أخرجه من حديث إبراهيم بن طمهان عن بديل عن عبدالكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله ابن أبي الحمساء، وقال : قال محمد بن يحيى : هذا عندنا عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق .

وقال أبو علي سعيد بن السكن في كتاب الصحابة له ، روى حديثه إبراهيم ابن طمهان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبيه ، ويقال عن بديل عن عبد الكريم المعلمّ ، ويشبه أن يكون قول ابن السكن الصواب . وعبد الكريم المعلم هو ابن أبي الخارق لا يحتج بحديثه . انتهى كلام المنذري . [٤]

(١) هو بشر بن السرّي ، البصري، الأفوه، نزيل مكة، كان فصيحاً بالمواعظ، مفوهاً ذا صلاح وقال أحمد: كان متقناً للحديث عجباً. توفي سنة (١٩٥) . شذرات الذهب ١/ ٣٤٣ .

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢٦٩، السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٩٨ .

(٣) هو الامام العلامة المحقق، زكي الدين أبو محمد، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي، كان متين الديانة، ذا نُسُك وورع، توفي سنة (٦٥٦). السير ٢٣/ ٣١٩.

(٤) عون المعبود ١٣/ ٣٤١ .

والذي ذهب إليه العلامة أبي الطيب من بلاغي أبي داود عن ابن المديني وابن السري ، الأظهر أنه يؤيد ما قاله الإمام الذهلي (أن الصواب عن عبد الكريم ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه) وأما كلام الإمام المنذري فغاية ما فيه ما نقل عن ابن السكن أن للحديث عن بديل طريقان، الأول عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن أبيه ، والثاني عن بديل عن عبد الكريم المعلم، ثم لم يجزم بصواب قوله بل اشتبه بتصويبه ، يضاف إلى ذلك صيغة التضعيف في الطريق الثاني (يقال) .

وهذه مقتطفات من كلام أئمة هذا الشأن في صواب ما ذهب إليه الذهلي ولم أراعي التسلسل الزمني للأئمة لضرورة المقدمات والنتائج .

أولاً : الإمام جمال الدين المزي .

قال في ترجمة الصحابي عبد الله ابن أبي الحمساء [1] : " له حديث واحد مختلف في إسناده ، رواه بديل بن ميسرة (د) عن عبد الكريم ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبيه ، عنه . وقيل : " عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق ، عن أبيه، عنه ، وهو الصواب إن شاء الله "[2]

وفي ترجمة عبد الله بن شقيق العقيلي أورد الإمام المزي ابنه عبد الكريم ضمن الرواة عنه ورمز أمامه بحرف (د) إشارة لسنن أبي داود راوي الحديث» . [3]

ثانيا : الإمام البزار [4]

قال : " أظن هذا خطأ من الناقل - يعني قوله من قال : عن عبد الكريم ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبيه - قال : لأن شقيقاً والد عبد الله بن شقيق

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله ابن أبي الحمساء العامري، عداده في البصريين، وقيل سكن مكة. أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٢١٧.

(٢) تهذيب الكمال ١٤/ ٤٣٣ ، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٦٨

(٣) تهذيب الكمال ١٥/ ٩١، وانظر تهذيب التهذيب ٥/ ٢٢٣

(٤) هو الشيخ الإمام، الحافظ، أبو بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، البصري، البزار، صاحب المسند الكبير الذي تكلم على أسانيده، قال الدارقطني : ثقة يخطئ، مات سنة (٢٩٢) السير ١٣/ ٥٥٤.

جاهلي لا أعلم له إسلاماً ، وإنما هو عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق ، عن أبيه ، . . . . الخ " (١).

وحجة الإمام البزار في ذلك قوية لان شقيق لا مكان له في معاجم الصحابة، ومنها على سبيل المثال : " أسد الغابة لابن الاثير ، والإصابة لابن حجر ، ،والإستيعاب لابن عبد البر " وفيها الغناء والكفاية .

ثالثا : الإمام البخاري :

قال في ترجمة شقيق :

٢٦٨٢ – شقيق (٢) والد عبد الله بن شقيق العقيلي عن عبد الله ابن أبي الحمساء عن النبي صلى الله عليه وسلم : انتظرتك منذ ثلاث – قاله لي محمد بن يوسف نا محمد بن سنان نا إبراهيم بن طمهان عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عبد الله " (٣)

رابعاً : ابن حجر العسقلاني :

في ترجمته للصحابي الجليل عبد الله ابن أبي الحمساء أشار إلى أن أبا داود والبزار أخرجا حديثه هذا وتبين أن الطريق هو : " عبد الكريم بن عبد الله بن سفيان (٤) عن أبيه عنه . . . . . الخ (٥)

---

(١) نقلا عن تهذيب التهذيب ١٤/ ٤٣٤ وانظر تهذيب التهذيب ٥/ ١٦٨

(٢) ترجمة البخاري لشقيق توهم ظاهراً أنه هو الراوي عن ابن أبي الحمساء، الأمر الذي ينقض حجة البزار السابقة وماأثبت من عدم وجوده ضمن الصحابة، ولكنه يزيل هذا الإيهام بقوله : عن عبدالكريم بن عبدالله بن شقيق عن أبيه عبد الله ،ولعله أورد الترجمة ليشير إلى وجود الإختلاف وقيام أوجه الإحتمال.

(٣) التاريخ الكبير ٤/ ٢٤٦.

(٤) هذا تصحيف يخالف ماثبت عنه رحمه الله في تهذيب التهذيب في ترجمه عبدالكريم بن عبدالله ابن شقيق ٦/ ٣٣٣، وفي ترجمة شقيق العقيلي ٤/ ٣١٨ وفي ترجمة ابن أبي الحمساء ٥/ ١٦٨ وقد يكون خطأً في الطباعة .

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٦/ ٦٠).

وفي ترجمته لعبد الكريم قال : روى عن أبيه حديث عبد الله ابن أبي الجمساء . . . . الخ[1]

خامساً : أشار العلامة محمد أيوب السهارنبوري في ترجمة عبدالله بن شقيق إلى رواية ابنه عبدالكريم عنه .

قال : وعنه ابنه عبد الكريم . [2]

ويلاحظ أن ما ذهب إليه الأئمة في هذه المقتطفات عليه سمة الترجيح والتصويب ، لا التأرجح والخلاف كالذي أشار إليه منهم المزي وابن حجر عندما ترجما لعبد الله بن شقيق فقالا : " روى عن . . . وأبيه شقيق العقيلي على خلاف في ذلك " [3]

وكتحفظهما من إطلاق محفوظية ذلك عندما ترجما لأبيه شقيق العقيلي .

فقالا : " روى عنه ابنه عبد الله إن كان محفوظاً " [4]

ومكان هذه الفائدة أولى أن يكون في العلل ، ولكن فيها ما يفيد إثبات رواية الابن عن أبيه ، وورود الخلاف في ذلك على ضعفه لا يضير . . . . . والله أعلم .

---

(١) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٣٣.

(٢) تراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار ٢/ ٢٧٩ .

(٣) تهذيب الكمال ١٥/ ٩٠- تهذيب التهذيب ٥/ ٢٢٣ .

(٤) تهذيب الكمال ١٢/ ٥٥٨، تهذيب التهذيب ٤/ ٣١٨.

المطلب الثاني

معرفته بعلوم أسماء الرواة ونحوها

تمهيـــد :

هذا المطلب في غاية الأهمية ، إذ أنه يحيط بعلوم أسماء الرواة، والإحاطة بهذه العلوم لابد منها للمتعرض لدراسة الحديث النبوي الشريف؛ لأنه يقوم بأمرين أساسيين :

١ - السند : وهو سلسلة الرجال الموصلة للمتن .

٢ - المتن : وهو ما ينتهي إليه السند من الكلام .

فالأول منهما وهو رواة الحديث قد يخطيء فيه كبار أئمة المحدثين، بَلْهَ مَنْ دونهم . . . فأعدادهم تصل للألوف بل مئات الألوف . . . . . بدءا من الصحابة رضوان الله عليهم ثم التابعين ثم تابعيهم، وهكذا إلى عصور متطاولة تشرفوا بأسْرهم بالإنضمام لموكب الاسناد المبارك الذي لم تحظى به أمة في الزمن الغابر ولا الَوقت الحاضر إلا الأمة الإسلامية .

وطبعي، بل ولابد أن تتفق أسماء رواة وأسماء آبائهم خطاً ولفظاً وتختلف أشخاصهم ، أو أسمائهم وكناهم وأنسابهم . . . فيجب حينئذ التفريق بينهم وهو ما يسمى بعلم المتفق والمفترق .

وقد تتفق الأسماء أو الألقاب أو الكنى أو الانساب خطاً ، وتختلف لفظاً، فيتعين البيان وقتها وهو ما يسمى بالمؤتلف والمختلف .

وقد يوصف راو بأسماء وألقاب أو كنى مختلفة ، فيظنه بعضهم أشخاص متعددون وهو شخص واحد ، وهناك رواة اشتهروا بكناهم فالبحث عن أسمائهم وارد حتى لا يظن أنَّ أحدهم شخصان إذا اجتمع الإسم والكنية .

وقس على ذلك باقي علوم الرواة والتي تصل إلى نِّيف وعشرين علما [(١)] صنف فيها العلماء المصنفات وبينوا لجمهور طلاب الحديث ما التبس واختلط

---

(١) انظر لمعرفة حصرها تيسير مصطلح الحديث د. محمود الطحان ص ١٩٦ الفصل الثاني معرفة الرواة، ومنهج النقد في علوم الحديث د. نور الدين عتر، الفصل الثاني في العلوم التي تبين شخص الراوي.

على غيرهم ، وتصب هذه الجهود في ساحة الأمن من الظن غير اللائق ، والوقوع في الأخطاء الجسام نتيجة عدم التحري في أسماء الرواة .

يقول الحافظ ابن الصلاح مبينا أهمية معرفة الأسماء والكنى : لم يزل أهل العلم بالحديث يعتنون به ويتحفظونه ويطارحونه فيما بينهم وينتقصون من جهله [1] . أ . هـ.

كما عِيْبَ الجمال بن هشام إمام العربية بأنه رام الكشف عن ترجمة ابن الزناد فلم يهتَد لمحله من كتب الأسماء لعدم معرفة اسمه مع كونه معروفاً عند مبتدئ الطلبة .

وقد رُوِيَ عن أبي ذر رضي الله عنه أنه أخذ بحلقه باب الكعبة وقال : أنا أبو ذر الغفاري ، من لم يعرفني فأنا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . [2]

قال الإمام السخاوي ذاكراً عيوب إغفال وإهمال هذا الفن المطلوب : -

وربما ينشأ عن إغفاله زيادة في السند أو نقص منه وهو لا يشعر ، فقد روى الحاكم من حديث أبي يوسف عن أبي حنيفة عن موسى ابن أبي عائشة عن عبدالله بن شداد عن أبي الوليد عن جابر مرفوعا : " من صلَّى خلف الإمام فإن قراءته له قراءة " وقال : إن عبد الله هو أبو الوليد ، كما بيَّنه علي ابن المديني ، فعن زائدة " قال : ومن تهاون بمعرفة الأسامي أورثه مثل هذا الوهم .

وعكسه أن تسقط " عن " كما اتفق للنسائي مع جلالته حيث قال : عن أبي أسامة حماد بن السائب " [3]

---

(١) علوم الحديث ص ٣٢٢، فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٢١٣ .

(٢) المعارف ص ٢٥٢ ، فتح المغيث للسخاوي٤/ ٢١٣ ، فتح المغيث للعراقي ص ٣٩٢ .

(٣) فتح المغيث، للسخاوي ٤/ ٢١٣، والصحيح : «عن أبي أسامة عن حماد بن السائب، لأن أبا أسامه هو حماد بن أسامة، وشيخه حماد هو محمد بن السائب أبو النضر الكلبي، وقد كان أبو أسامة يسميه حماداً. انظر فتح المغيث ، للسخاوي ٤/ ٢٠٣، ٢١٣ . تهذيب التهذيب ٩/ ١٥٩ .

وتنسحب هذه الأهمية على بقية علوم الرواة، كمعرفة أوطان الرواة وبلدانهم وألقابهم وغير ذلك. وامامنا الحافظ محمد بن يحيى الذهلي ، له في هذا المجال مشاركات متنوعة مع غيره من جهابذة المحدثين لها أثرها الملموس . سواء في بيان الصحيح فيما كان خطأ أو وهماً عند غيره، أو ما أدى إليه نقله وبيانه عن مشايخه « من انهاء احتمال أو تأرجح بين قولين اثنين بتعيين أحدهما». وستأتي الأمثلة على ذلك .

أولا : معرفته بمن ذكر بأسماء أو نعوت مختلفة . *

المثال الاول : بكر بن وائل الكوفي (١) أحد الرواة الذين عرفوا بنعوت مختلفة

فذكره البخاري بقوله : " بكر بن وائل بن داود الليثي الكوفي " (٢)

وذكره ابن أبي حاتم بقوله : " بكر بن وائل بن داود . . كوفي " (٣)

وقال ابن حجر العسقلاني " بكر بن وائل بن داود التيمي الكوفي " (٤)

وقد أدرك الإمام الذهلي أن لهذا الراوي في معرفة شخصه عدة صيغ ، فلم يفته التنبيه على ذلك عندما يرد ذكره في الإسناد .

قال الإمام أبو داود السجستاني :

« حدثنا محمد بن يحيى النيسابوري حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا همام عن بكر الكوفي قال محمد بن يحيى : هو بكر بن وائل بن داود » (٥)

المثال الثاني : عمارة بن أكيمة الليثي الجندي المدني (٦)

وهو ممن عرف بأسماء مختلفة . فقد ذكره كل من البخاري (٧) وابن أبي حاتم(٨) بإسم عمارة .

(*) وهو النوع الثامن والأربعون عند ابن الصلاح .

(١) سبقت ترجمته ٥١٣ . (٢) التاريخ الكبير ٢/ ٩٥ . (٣) الجرح والتعديل ٢/ ٣٩٣ .

(٤) تهذيب التهذيب ١/ ٤٢٨ . (٥) سنن أبي داود ٢/ ٢٧١ .

(٦) هو عمارة بن أكيمة أبو الوليد المدني، ثقة من الثالثة، مات سنة (١٠١). التقريب ص٤٠٨ .

(٧) التاريخ الكبير ٦/ ٤٩٨ . (٨) الجرح والتعديل ٦/ ٣٦٢ .

أما ابن حبان [1] فقال : اسمه عمارة ، ولكنه استدرك بأقوال أخرى .

فقال : « وقد قيل : عمرو بن مسلم بن أكيمة ، ويقال : " عمار بن أكيمة »

أما الإمام الذهلي فقد ذكر أسماء متعدده وبين أن المحفوظ عنده منها «عمار» وبين أن عمرو بن مسلم هو . . . حفيده . . . لا أنه هو كما قال ابن حبان .

قال ابن خزيمة : « قال لنا محمد بن يحيى يعني الذهلي : ابن أكيمة وهو عمار ويقال عامر والمحفوظ عندنا عمار وهو جد عمرو بن مسلم [2] الذي يروي عنه مالك بن أنس ومحمد بن عمرو بن علقمة [3] حديث أم سلمة إذا دخل العشر [4]» [5]

المثال الثالث : سالم بن عبد الله النصري [6]

وهذا الراوي عرف بنعوت مختلفة وكثيرة جداً .

قال العلامة الذهبي : " سالم بن عبد الله مولى النصريين ، وهو سالم مولى المهري ، وهو سالم الدوسي ، وهو سالم مولى أوس بن الحدثان النصري ، وهو سالم مولى شداد بن الهاد [7]

---

(١) الثقات ٥/ ٢٤٢ .

(٢) هو عمرو بن مسلم بن أكيمة ، الليثي ، المدني ، صدوق ، من السادسة . التقريب ص٤٢٧ .

(٣) هو محمد بن عمرو بن علقمة الليثي ، المدني ، صدوق له أوهام ، من السادسة . التقريب ص٤٩٩ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي ، باب (٧) نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة . . . الخ ٣/ ١٥٦٥ . والدارمي في الأضاحي أيضاً ، باب (٢) ما يستدل من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن الأضحية ليست بواجب ٢/ ١٠٤ .

(٥) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٥٩ .

(٦) هو سالم بن عبد الله النَّصري ، أبو عبد الله المدني ، صدوق من الثالثة ، مات سنة(١١٠) . التقريب ص٢٦٦ .

(٧) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٥ .

وقال ابن حجر : . . « سالم بن عبد الله النصري ، أبو عبد الله وهو سالم مولى شداد بن الهاد، وهو سالم مولى النصريين، وهو سالم سبلان ، وهو سالم مولى مالك بن أوس بن الحدثان، وهو سالم مولى دوس، وهو سالم أبو عبد الله الدوسي، وهو سالم مولى المهري، وهو أبو عبد الله الذي روى عنه بكير بن الأشج [1]

– وقد شارك الإمام الذهلي باثنين من هذه النعوت الكثيرة فكان سابقاً لمن جاء بعده في إثبات هاتين الصفتين :

قال ابن خزيمة : " نا يونس بن عبد الأعلى ، نا ابن وهب أخبرني حيوة عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله مولى شداد بن الهاد أنه شهد أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل له : لا أداها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا " [2]

قال ابن خزيمة : « سمعت محمد بن يحيى يقول : أبو عبد الله هذا هو سالم الدوسي، يقال « سبلان » [3]

---

(١) تهذيب التهذيب ٣/ ٣٧٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في كراهية إنشاد الضالة في المسجد١/ ٣٢١، والحديث صححه الألباني، في صحيح أبي داود١/ ٩٤.

(٣) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٣.

ثانياً : معرفته بالأسماء والكنى*

أ ـ معرفته بمن له كنيتان فأكثر وجزمه بإحداهما **

المثال الأول : نافع ابن أبي نافع أبو عبد الله (١)

إسم هذا الراوي متفق عليه عند جمع من المحدثين أما كنيته فقد قال ابن حبان :

« كنيته أبو عبد الرحمن » (٢)

وعرّفه كل من البخاري (٣) وابن أبي حاتم (٤) بنافع ابن أبي نافع ولم يذكرا كنيته .

وذكر ابن حجر أن كنيته أبو عبد الله ، مرة على سبيل التضعيف فقال :

« نافع ابن أبي نافع البزاز مولى أبي أحمد ، يقال : كنيته أبو عبد الله (٥)

ومرة على سبيل الجزم فقال : " نافع ابن أبي نافع البزاز ، أبو عبد الله ، مولى أبي أحمد »(٦)

وقد ذكر الأئمة البخاري وابن حبان وابن حجر . أنه الذي يروي عن أبي هريرة حديث : « لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل » (٧)

(*) وهو النوع الموفي خمسين عند ابن الصلاح .

(**) وهو الضرب الرابع من الضروب التسعة من النوع الخمسين عند ابن الصلاح .

(١) هو نافع ابن أبي نافع البزار، أبو عبد الله، مولى أبي أحمد، ثقة، من الثالثة. التقريب ص ٥٥٨ .

(٢) الثقات ٥/ ٤٦٨ .

(٣) التاريخ الكبير ٨/ ٨٣ .

(٤) الجرح والتعديل ٨/ ٤٥٣ .

(٥) تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٦٦ .

(٦) التقريب ص ٥٥٨ .

(٧) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد، باب في السبق ٣/ ٦٣، حديث (٦٧) . وابن ماجه في الجهاد باب السبق والرهان ٢/ ٩٦٠ . وقال الألباني في صحيح أبي داود ٢/ ٤٨٩ : صحيح .

وبيّنوا جميعاً بما فيهم ابن أبي حاتم أن الراوي عنه ابن أبي ذئب .

ثم يعود ابن حجر في أبواب الكنى عند ترجمة أبي عبد الله المزي مولى الجندعيين .

فيقول : " عن أبي هريرة : لا يحل سبق إلا في خف أو حافر ، وعنه سليمان بن يسار " .

ثم يستدل بقول الذهلي أن مولى الجندعيين هذا هو أبي عبد الله نافع ابن أبي نافع .

قال : قال الذهلي : أبو عبد الله هذا هو نافع الذي روى عنه نعيم بن المجمر [١] وابن أبي ذئب [٢]

والذهلي هنا قد جزم بتلك الكنية مما يدل على تصحيحه إياها . . . والله أعلم .

المثال الثاني القاسم بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أبو بكر[٣]

اتفق المحدثون على اسم هذا الراوي إلا أبي حاتم فقد قال « أبو بكر ابن عبيد الله بن عبد الله بن عمر لا يسمى»[٤] وكأنه يذهب إلى أن كنيته اسم له .

أما كنيته فقد مال جمع منهم إلى أنه أبو بكر ، وذهب ابن حجر العسقلاني إلى أنه أبو محمد .

---

(١) هو نعيم بن عبدالله المجمر أبو عبدالله المدني مولى آل عمر بن الخطاب، كان يبخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ابن حبان أن المجمر لقب أبيه لأنه كان يأخذ المجمرة قدام عمر، السير ٥/ ٢٢٧، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٤، نزهة الألقاب ٢/ ١٥٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٢/ ١٦٨، التقريب ص ٦٥٤ .

(٣) هو القاسم بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، أبو محمد المدني، من السادسة . التقريب ص٤٥١ .

(٤) الجرح والتعديل ٩/ ٣٤٠.

وكان الإمام الذهلي من أوائل من كناه بأبي بكر .

قال ابن الجارود : حدثنا يوسف بن موسى ، ومحمد بن يحيى ، قال ثنا قبيصة ، قال : قال ثنا سفيان ، عن عمر بن محمد ، عن القاسم عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يأكل أحد بشماله ، ولا يشرب بشماله ، فان الشيطان يأكل بشماله ، ويشرب بشماله » [(١)]

- وقال - حدثنا محمد بن يحيى ، قال ثنا اسماعيل ابن أبي أويس ، قال ثني أخي عن سليمان بن بلال عن عمر بن محمد ، أن أبا بكر ابن عبيد الله بن عبد الله ، أخبره أن سالم بن عبد الله أخبره أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بهذا الخبر ، قال أبو محمد :

سمعت محمد بن يحيى يقول : القاسم عندنا هو أبو بكر بن عبيد الله إن شاء الله [(٢)]

ومن ذكره بهذه الكنية الأئمة البخاري [(٣)] ومسلم [(٤)] والبيهقي [(٥)]

وسبقت الإشارة إلى أن ابن حجر كناه أبو محمد [(٦)]

وجميعهم أشاروا إلى أنه راوي حديث الزجر عن الأكل والشرب بالشمال المذكور آنفا .

ب - معرفته بمن عرفت كنيته واختلف في اسمه (أو شخصه) وهو الضرب السادس من تقسيمات النوع الخمسين :

المثال الاول : أبو هريرة الدوسي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ٣/ ١٥٩٨ .

(٢) المنتقى ص ٣٢٦ .

(٣) التاريخ الكبير ٧/ ١٦٥ ، الكنى ٨/ ٩ .

(٤) صحيح مسلم ٣/ ١٥٩٨ كتاب الأشربة .

(٥) السنن الكبرى ٧/ ٢٧٧ .

(٦) تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٢ ، التقريب ٤٥١ .

ساق الإمام الذهبي رواية عن عمرو بن علي ، حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري ، عن المحرر [١] قال : كان اسم أبي : عبد عمرو بن غنم .

قال الذهلي : « هذا أوقع الروايات عندي على القلب » [٢]

المثال الثاني : بشر بن رافع العجلي عن أبي الأسباط النجراني [٣]

اختلف الأئمة رحمهم الله في تعيين شخص بشر بن رافع هل هو أبو الأسباط أم غيره؟

فذهب ابن معين إلى أنه شيخ كوفي، [٤] وذهب النسائي إلى أن بشر بن رافع غير أبي الأسباط [٥]

وذهب رهط من العلماء إلى أن بشر بن رافع هو أبو الأسباط الحارثي النجراني .

وهم : " الإمام البخاري قال الإمام ابن عدي : " وعند البخاري أن بشر بن رافع هذا هو أبو الأسباط الحارثي[٦] .

والإمام أبو حاتم الرازي فقد قال : " أبو الأسباط بشر بن رافع الحارثي ضعيف الحديث منكر الحديث . وكذلك ابنه عبد الرحمن ابن أبي حاتم : " قال : بشر بن رافع أبو الأسباط " [٧]

---

(١) هو محرر ابن أبي هريرة الدوسي، يروي عن أبيه، روى عنه الشعبي، وأهل الكوفة . التاريخ الكبير ٨/ ٢٢، الثقات ٥/ ٤٦٠ .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩/ ١٠٧/ ١، السير ٢/ ٥٨٧ .

(٣) هو بشر بن رافع الحارثي، أبو الأسباط النجراني، فقيه، ضعيف الحديث، من السابعة . التقريب ص١٢٣ .

(٤) الكامل لابن عدي ٢/ ١٣، تهذيب التهذيب ١/ ٣٩٣.

(٥) نفس المصدرين السابقين .

(٦) نفس المصدرين السابقين.

(٧) الجرح والتعديل ٢/ ٣٥٧.

وأبو جعفر العقيلي [1] وأبو أحمد الحاكم النيسابوري [2] وابن حبان [3] وابن عدي [4]

أما الإمام الذهلي فقد سبق هذا الرهط إلى ما ذهبوا إليه .

قال ابن حجر : حكى الحاكم عن الذهلي أيضاً أن أبا الاسباط هو بشر بن رافع [5]

قال ابن عدي : وما قاله البخاري فمحتمل وما قاله يحيى والنسائي فمحتمل أيضا ، والله أعلم أنهما واحد أو اثنان . [6]

جـ ـ معرفته بأسماء وكنى الرواة من غير اختلاف *

المثال الاول : أبو النعمان الحكم بن عبد الله القيسي [7] . وقال الإمام الذهلي : كان ثبتاً في شعبة عاجله الموت سمعت عبد الصمد يثبته ويذكره بالضبط "[8]

وقد ذكره الأئمة البخاري [9] وابن أبي حاتم [10] وابن حجر [11] بهذه الصفة بغير اختلاف في الاسم والكنية .

---

(1) الضعفاء الكبير ١/ ١٤٠ .

(2) تهذيب التهذيب ١/ ٣٩٣.

(3) المجروحين من المحدثين ١/ ١٨٨ .

(4) الكامل ٢/ ١١ ، تهذيب التهذيب ١/ ٣٩٣.

(5) تهذيب التهذيب ١/ ٣٩٣، انظر المستدرك للحاكم ١/ ٨٩.

(6) الكامل في الضعفاء ٢/ ١٣ .

(*) وهو الضرب الثامن من ضروب النوع الخمسين عند ابن الصلاح .

(7) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(8) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٧٠.

(9) التاريخ الكبير ٢/ ٣٤٢.

(10) الجرح والتعديل ٣/ ١٢٢ .

(11) التقريب ص ١٧٥ .

المثال الثاني : أبو يونس الحسن بن يزيد بن فروخ [١]

وقال ابن ماجه : " حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أخزم قالا : ثنا الضحاك بن مخلد ، ثنا الحسن بن يزيد بن فروخ . قال محمد بن يحيى : وهو أبو يونس القوي . . . الخ [٢]

وقد ذكره بهذا الاسم والكنية الإمام ابن حبان [٣] ، وقال ابن أبي حاتم في ترجمته : حكى عباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين أنه قال : هو أبو يونس القوي. فقال أبي : ليس هو بأبي يونس ولكنه الحسن بن يزيد الضمري . [٤]

وقد حكى الإمام المزي : تفريق أبي حاتم بينهما .

ثم قال : قال يحيى بن معين ومحمد بن يحيى الذهلي : الحسن بن يزيد بن فروخ هو أبو يونس القوي وهذا القول أولى بالصواب والله أعلم [٥]

وأكد ما صوَّبه في تحفة الأشراف فقال : أبو يونس القوي هو الحسن بن يزيد بن فروخ . [٦]

المثال الثالث : أبو سلمة حماد بن سلمة [٧]

قال ابن ماجة : حدثنا محمد بن يحيى ، ثنا أبو سلمة حماد بن سلمة . الخ [٨]

---

(١) هو الحسن بن يزيد بن فروخ الضَمْري، ويقال العجلي المكي سكن الكوفة، قال ابن معين : هو الذي يقال له الطواف. وقال أبو حاتم : ثقة مأمون، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٨٢ .

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ٧٧٩ .

(٣) الثقات ٦/ ١٦٩ .

(٤) الجرح والتعديل ٣/ ٤٣ .

(٥) تهذيب الكمال ٦/ ٣٤٤ .

(٦) تحفه الأشراف بمعرفة الأطراف، للإمام جمال الدين يوسف المزي، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ١١/ ٨٣ .

(٧) سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

(٨) سنن ابن ماجه ٢/ ١٤٣٤ ، السير ٧/ ٤٤٤ .

ثالثاً: بيانه للمهمل من أسماء الرواة:

ومن ذلك ما ذكره ابن خزيمة قال: " وقد روى أبو بكر ابن عبد الله ابن أبي مريم.

قال، قال: حدثني عبد الله ابن أبي قيس عن أمهات المؤمنين أنهن حدثنه أن الله عز وجل دل نبيه على دليل فقال لهن: أدللتني على ما دل الله عليه نبيَّه، فقلن: إن الله دلَّ نبيَّه على قيام الليل ".

" حدثناه محمد بن يحيى، نا أبو المغيرة، نا أبو بكر - يعني ابن أبي مريم - حدثني عبد الله - قال ابن يحيى - وهو ابن أبي قيس [1] "[2].

رابعاً: معرفته بالمتفق والمفترق:

وهو ما يتفق لفظاً وخطاً ولكنه يفترق في مسمياته، ويسميه الأصوليون " المشترك اللفظي " [3]، ولعلماء البلدان فيه ما يسمى " المشترك وضعاً والمفترق صقعاً "[4]

وقد عرَّفه الدكتور / محمد الطحان في تيسيره فقال: هو أن تتفق أسماء الرواة وأسماء آبائهم فصاعداً خطا ولفظا وتختلف أشخاصهم.. [5]

ومن فوائده:

أ - الأمن من اللبس والخلط ما إذا اشتبه راويان متفقان في الأسماء أو الشيوخ أو الرواة عنهما بسبب المعاصرة.

---

(١) هو عبد الله ابن أبي قيس، أبو الأسود النصري الحمصي، يروي عن أمهات المؤمنين، ثقة، من الثانية. تهذيب التهذيب ٥/ ٣٢٠، التقريب ص ٣١٨.

(٢) صحيح ابن خزيمه ٢/ ١٧٨.

(٣) انظر روضة الناظر لابن قدامة، وشرحة نزهة الخاطر العاطر لابن بدران ٢/ ١٢٧.

(٤) مثل كتاب «المشترك وضعاً والمفترق صقعاً» لياقوت الحموي.

(٥) تيسير مصطلح الحديث ص٢٠٥.

ب - ربما يكون أحد المشتركين ثقةً والآخر ضعيفاً، فيضعف ما هو صحيح ويصحح ما هو ضعيف .

وقد ألَّفَ فيه الخطيب البغدادي كتاب « موضح أوهام الجمع والتفريق »[(١)]

قال في مقدمته : « قد أوردنا في هذا الكتاب جماعة كثيرة من الرواة، انتهت إلينا تسمية كل واحد منهم وكنيته التي يعزى إليها كنسبته على وجوه مختلفة في روايات مفترقة ، ذكر في بعضها حقيقة اسمه ونسبه، واقتصر في البعض على شهرة كنيته أو لقبه ،وفي غير موضع اسمه واسم أبيه وموَّه ذلك بنوع من أنواع التمويه، ومعلوم أنّ بعض من انتهت إليه تلك الروايات، فوقوع الخطأ في جمعها وتفريقها غير مأمون عليه، ولما كان الأمر على ما ذكرته بعثني ذلك على أن بينته وشرحته . . الخ »[(١)].

قال ابن الصلاح : " وهو مع أنه كتاب حفيل، غير مستوف للأقسام التي أذكرها إن شاء الله[(٢)]

ومما شارك فيه الإمام الذهلي في هذا الباب وكان مُتَنَزِّلاً على أحد أقسام الحافظ ابن الصلاح . ما يلي :

المثال الاول : متنزلٌ على القسم الأول قال: وهو " المفترق ممن اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم "

الحسن بن يزيد بن فروخ الضمري [(٣)] ، والحسن بن يزيد أبي يونس القوي

---

(١) حققه العلامة اليمني عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، وطبعته مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيه بحيدر آباد الدكن الهند عام ١٣٧٨هـ في مجلدين .

(٢) موضح أوهام الجمع والتفريق ١/ ٢، التقريب للنووي ٢/ ٣١٦، والإرشاد للنووي ٢/ ٧٣٠و مقدمة ابن الصلاح ص ٣٥٦، فتح المغيث للعراقي ص ٤٢٦، فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٢٦٨، تدريب الراوي للسيوطي ٢/ ٣١٦، تيسير مصطلح الحديث للطحان ص ٢٠٥.

(٣) مضت ترجمته قريباً ص ٥٤٥ .

فرّق ابن أبي حاتم بينهما تبعاً لقول والده، فترجم أولاً للحسن بن يزيد أبو يونس القوي، فقال : مكي روى عن أبي سلمة ..... الخ وروى عنه أبو عاصم النبيل وذلك برقم ١٧٩ .

ثم قال : في رقم ١٨٢ ، الحسن بن يزيد بن فروخ الضمري روى عن أبي سلمة روى عنه أبو عاصم .

قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي وقيل له: الحسن بن يزيد الذي روى عن أبي سلمة حكى عباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين انه قال : هو أبو يونس القوي .

قال أبي : ليس هو بأبي يونس ولكنه الحسن بن يزيد الضمري (١)

ولكن الإمام المزي رحمه الله صوَّب ما ذهب إليه ابن معين والذهلي فقال : قال يحيى بن معين ومحمد بن يحيى الذهلي : الحسن بن يزيد بن فروخ هو أبو يونس القوي (٢). ويقصد الحسن بن يزيد المعروف بأبي يونس القوي .

المثال الثاني : متنزلٌ على المثال السادس وهو ما وقع الإشتراك فيه في الاسم أو الكنية خاصة وأ شكل مع ذلك لكونه لم يذكر بغير ذلك .

ومن الأمثلة على ذلك الحمادان حماد بن سلمة (٣) وحماد بن زيد (٤)

نقل الإمام الذهبي في سيره عن محمد بن يحيى الذهلي قال : إذا قال حجاج (٥) : أخبرنا حماد ، فهو ابن سلمة ، وما روى سليمان بن

---

(١) الجرح والتعديل ٣/ ٤٢، ٤٣ .

(٢) تهذيب الكمال ٦/ ٣٤٤- تهذيب التهذيب ٢/ ٢٨٣ .

(٣) سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

(٤) سبقت ترجته ص ١٦٣ .

(٥) هو حجاج بن منهال أبو محمد البصري الأنماطي، قال أبو حاتم : ثقة فاضل . السير ١٠/ ٣٥٢ . والأنماطي بفتح الألف وسكون النون، نسبة إلى بيع الأنماط وهي الفرش التي تبسط، الأنساب ١/ ٢٢٣ .

حــرب [١] ، وأبو النعـمان [٢] ، عن حماد فهو ابن زيد وجميعهم سمعوا من الحمادين . [٣]

وقد نقل ابن الصلاح عن ابن خلاد أنَّ عفان ، [٤] إذا قال حدثنا حماد فإنه يمكن أن يكون أحدهما[٥] . ويبقى الأمر متأرجحا بينهما بدون مرجح .

وكان لنقول الذهلي واهتمامه الواضح بمثل هذه الأخبار ، أثر في رفع هذه الاحتمالات فقد عثر ابن الصلاح على قول له يرفع هذا الإحتمال ويرجح أحد طرفيه .

قال ابن الصلاح : ثم وجدت عن محمد بن يحيى الذهلي عن عفان قال : إذا قلت لكم حدثنا حماد ولم أنسبه فهو ابن سلمة . [٦]

خامساً : معرفته بالمؤتلف والمختلف .

هذا الفن من فنون الحديث يقبح جهله كما قال أهل العلم ، ومن لم يعرفه ويتقنه يكثر عثاره ولا يعدم مخجلاً ، ويحتاج إليه لدفع معرَّة التصحيف ، ولذا قال علي ابن المديني : أشد التصحيف ما يقع في الأسماء وقد وجه بعض العلماء كلامه هذا : بأنه شيء لا يدخله قياس ولا قبله شيء يدل عليه ولا بعده [٧]

وقد ألف فيه السالفون والخالفون مؤلفات قيمة ، حصرهـا وأوردهـا العلامـة اليمني عبد الرحمن بن يحيى المعلمي في مقدمته على كتاب الإكمال في

---

(١) سليمان بن حرب ، سبقت ترجمته ص ٧١ .

(٢) أبو النعمان هو محمد بن الفضل عارم سبقت ترجمته ص ٤٥٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٣ ، . وذكر ابن خلاد مايقارب كلام الذهلي ، انظر مقدمه ابن الصلاح ٣٦٠.

(٤) هو عفان بن مسلم بن عبد الله أبو عثمان البصري ، قال أبوحاتم : ثقة إمام . السير١٠/ ٢٤٢ .

(٥) مقدمة ابن الصلاح ص ٣٦٠ .

(٦) المصدر السابق وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٣ .

(٧) فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٢٣٠ .

رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والاسانيد، وبلغت ستة وعشرين مصنفاً ما بين صغير وكبير وكان أول هؤلاء المصنفين " ابن حبيب " وكتابه « مختلف أسماء القبائل ومؤتلفها " وآخرهم ابن حجر العسقلاني خاتمة الحفاظ وكتابه (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه) وبينهما كوكبة من العلماء كالدارقطني و عبد الغني بن سعيد الأزدي، والخطيب البغدادي وسواهم . (١)

وصورة هذا الفن من الأسماء والأنساب والألقاب « ما يأتلف خطاً ويختلف لفظاً » .

سواء كان مرجع الاختلاف النقط أم الشكل كما ذكر ابن حجر (٢)

ومن مشاركات الإمام الذهلي في هذا الباب المهم من علوم الرواة ، وكان الراوي الذي تحدث عن الصحيح من اسم أبيه هو :

طارق بن محاشن، ويقال ابن أبي مخاشن الأسلمي (٣)

وقد اختلف الأئمة في اسم أبي هذا الراوي على عدة أقوال فمنهم من قال :

طارق ابن أبي مخاشن ، وهو ابن سعد في طبقاته (٤)

ومنهم من قال :

طارق بن محاسن، وهو أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (٥)

وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ، (٦) قال في التقريب: طارق بن محاسن بمهملتين وقيل بمعجمتين(٧) .

---

(١) للتوسع في معرفة هذه المصنفات راجع فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٢٣٠. ومقدمة المعلمي لكتاب الإكمال لابن ماكولا.

(٢) انظر مقدمة ابن الصلاح ص ٣٣٣، والتقريب للنووي والتدريب للسيوطي ٢/ ٢٩٧، واختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٢١٨، فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٢٣٠، نزهة النظر لابن حجر ص ١٢٦.

(٣) هو طارق بن مخاشن الأسلمي، يروي عن أبي هريرة، كان ينزل المدينة. الطبقات الكبرى ٥/ ٢٤٨، التاريخ المكبير ٤/ ٣٥٤.

(٤) الطبقات الكبرى ٥/ ٢٤٨.

(٥) المعرفة والتاريخ ١/ ٤١٢.

(٦) ٥/ ٧.

٧) ص ٢٨١.

وقال الجمهور: «طارق بن مخاشن» وفي مقدمتهم الإمام الذهلي. قال ابن حجر: صحَّح الذهلي أنه طارق بن مخاشن [١] ومنهم الإمام البخاري. وقد أيد ما ذهب إليه برواية الزبيدي عن الزهري عن طارق بن مخاشن وبقول ابن أخي الزهري: ابن مخاشن [٢]. والإمام ابن أبي حاتم [٣] والإمام ابن حبان البستي [٤]، والأمير ابن ماكولا [٥] والإمام الحافظ جمال الدين المزي [٦] والخزرجي. [٧]

فاتضح مما سبق موافقة الجمهور للامام الذهلي في نطق اسم هذا الراوي باعجام الحروف هكذا " مخاشن " لا إهمالها. والله أعلم.

---

(١) تهذيب التهذيب ٥/ ٧.

(٢) التاريخ الكبير ٤/ ٣٥٤.

(٣) الجرح والتعديل ٤/ ٤٨٦.

(٤) الثقات ٤/ ٣٩٥.

(٥) الإكمال ٧/ ٢٢٥.

(٦) تهذيب الكمال ١٣/ ٣٤٩.

(٧) خلاصه تذهيب تهذيب الكمال ص ١٧٨.

سادساً : معرفته بالمتشابه المقلوب

هذا النوع من علوم الحديث هو ما يحصل الاتفاق فيه لراويين في اسمين لفظاً وخطاً، لكن يحصل الاختلاف أو الإشتباه بالتقديم والتأخير، بأن يكون اسم أحد الراويين كاسم أبي الآخر خطاً ولفظاً، واسم الآخر كاسم أبي الأول.

مثاله : يزيد بن الأسود، والأسود بن يزيد.

ومن المصنفات فيه " رافع الارتياب في المقلوب من الأسماء والأنساب " للحافظ الخطيب البغدادي.

وفائدة الاهتمام به وضبطه الأمن من توهم القلب، خاصة وقد انقلب على إمام صنعة الحديث الإمام البخاري، عندما ترجم لمسلم بن الوليد المدني[(١)]، جعله الوليد بن مسلم.

وقد بيَّن الإمام السيوطي « أن الاشتباه فيه يقع في الذهن لافي الخط ». [(٢)]

من ذلك ما يلي :

المثال الاول : عمرو بن عثمان بن هانيء المدني مولى عثمان " [(٣)]

ذكر ابن حجر العسقلاني خبر رواية الإمام أحمد عنه منقلبا ثم ذكر رواية الذهلي له على الصواب.

قال ابن حجر : «ووقع في رواية أحمد بن حنبل عن أبي عامر عن هشام بن سعد عن عثمان بن عمرو بن هانيء فكأنه انقلب، وقد رواه الذهلي عن أبي همام عن هشام بن سعد على الصواب» [(٤)]

---

(١) انظر مقدمه ابن الصلاح ص ٣٧٢، تدريب الراوي للسيوطي ٢/ ٣٣٤، فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٢٩٠، اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٢٢٥، ابن حجر نزهة النظر ص ٦٧.

(٢) تدريب الراوي ٢/ ٣٣٤.

(٣) هو عمرو بن عثمان بن هانيء المدني، مولى عثمان، ويقال عثمان بن عمرو بن هانيء، مستور، من السابعة. التقريب ص ٤٢٤.

(٤) تهذيب التهذيب ٨/ ٦٩.

وقد ذكره الإمام الذهبي على الصواب المذكور فقال : " عمرو بن عثمان مدني " (١)

وقال ابن حجر في التقريب : " عمرو بن عثمان بن هانيء ، مولى عثمان ، ويقال عثمان بن عمرو بن هانيء . . . قلبه بعضهم " (٢)

المثال الثاني : سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة البلوي (٣)

قال الإمام البيهقي : " أخبرنا أبو زكريا نا أبو العباس ، انا الربيع بن سليمان أنا الشافعي ثنا مالك عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ، أن فريعة بنت مالك بن سنان أخبرتها أنها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة . . . الخ

ورُوي الحديث من طرق أخرى كلها عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة .

وفي طريق رابع قال : " ورواه حماد بن زيد عن إسحاق بن سعد بن كعب بن عجرة . . .

ثم قال : " وقيل عن حماد عن سعدبن إسحاق .

قال : " وإسحاق من رواية حماد أشهر وسعد من رواية غيره أشهر وزعم محمد بن يحيى الذهلي فيما يرى أنهما اثنان . . . والله أعلم (٤)

وقد ذكره على أنه سعد بن إسحاق كل من أبي حاتم (٥) ، وابن حبان (٦) وابن حجر . (٧) وسواهم .

---

(١) المجرد في أسماء رجال سنن ابن ماجه ، للحافظ الإمام الذهبي ، تحقيق د. باسم الجوابرة ص ١٦٥ ، الكاشف ٢/ ٣٣٦ .

(٢) التقريب ص ٤٢٤ .

(٣) هو سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، البلوي ، المدني ، حليف الأنصار ، ثقة من الخامسة ، التقريب ص ٢٣٠ . والبلوي بفتح الباء واللام نسبة إلى «بلي» قبيلة من قضاعة ، الزنساب ١/ ٣٩٥ .

(٤) السنن الكبرى ٧/ ٤٣٥ .

(٥) الجرح والتعديل ٤/ ٨١ .

(٦) الثقات ٦/ ٣٧٥ .

(٧) تهذيب التهذيب ٣/ ٤٠٤ .

وقد اشتبه هذا الاسم على أبي نعيم فقلبه . وغلطه في ذلك أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان .

قال ابن أبي حاتم : " إسحاق بن سعد بن كعب بن عجرة روى عن أبيه وروى عنه عبد الرحمن بن النعمان أبو النعمان الأنصاري ، قال أبو زرعة : هكذا قال أبو نعيم ، ونراه أراد سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، يعد في المدنيين قال : سمعت أبي يقول : هكذا قال أبو نعيم " وهو سعد بن إسحاق وغلط فيه عبدالرحمن بن النعمان أو أبو نعيم " [1]

وأورد هذا الاشتباه أيضاً الإمام البخاري في تاريخه ، ولم يرجح طرفاً على آخر .

قال : " إسحاق بن سعد بن كعب بن عجرة الأنصاري عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أقام الصلاة » روى عنه عبد الرحمن بن النعمان ، قاله لنا أبو نعيم ، وقد روى هذا الحديث سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، عن ابن حبان عن ابن محيريز عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خمس صلوات كتبهن الله على عباده) فالله أعلم يعني بإسحاق أنه محفوظ أم لا ، لأن إسحاق ليس يعرف إلا بهذا ، لا أدري حفظه أم لا ، قال أبو عبد الله : « أهاب أنه أراد سعد بن إسحاق» [2] .

وعلى ما سبق اتضح أن هذا الإسم مشتبه ، وقد انقلب على بعضهم وجزم البعض بأنه سعد بن إسحاق وتحفظ آخرون فلم يرجحوا جانباً على آخر .

بينما يرى الذهلي أنهما اثنان ، على ما نقله عنه الإمام البيهقي ، ولم ينقل إلينا نص كلامه ، ولا تحليله لما قال ، بل نستشف من كلامه أنه قيد قوله " فيما يرى " فلم يجزم بصيغة تفيد القول الفصل .

---

(١) الجرح والتعديل ٢/ ٢٢١ .

(٢) التاريخ الكبير ١/ ٣٨٨.

المثال الثالث : عياض بن هلال الانصاري [١]

قال الإمام ابن ماجه رحمه الله حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الله بن رجاء انبأنا عكرمة ابن عمار عن يحيى ابن أبي كثير عن هلال بن عياض عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يتناجى اثنان . . الخ ".

حدثنا محمد بن يحيى ، ثنا سليم بن إبراهيم الوراق ، ثنا عكرمة ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن عياض بن هلال قال محمد بن يحيى : وهو الصواب [٢]

وتصويب الإمام الذهلي للاسم على النحو السابق قد وافقه عليه عدد من الأئمة ووهموا من قاله مقلوباً .

وأولهم أبو حاتم الرازي ، فقد قال ابن أبي حاتم : " عياض بن هلال الانصاري ويقال هلال بن عياض وعياض بن هلال أشبه . . . سمعت أبي يقول ذلك " [٣]

وأورده الإمام مسلم في الوحدان بهذا الاسم ثم ساق الأسماء الأخرى المنسوبة إليه .

فقال : " عياض بن هلال أو هلال بن عياض ، وقال شيبان عن يحيى : عياض بن عبد الله» [٤]

وذكره ابن حبان في ثقاته مرجحا لهذه التسمية موهما من زعم خلافها [٥]

وأورده ابن حجر في تهذيبه بالتسميات الثلاثة ، ثم ذكر مذهب الإمامين الذهلي وأبي حاتم السابق فقال : قال الذهلي وأبوحاتم عياض بن هلال أشبه » [٦]

---

(١) هوعياض بن هلال ، وقيل ابن أبي زهير الأنصاري ، من الثالثة ، مجهول . ذكره ابن حبان في الثقات وقال : من زعم أنه هلال بن عياض فقد وهم . الثقات ٥/ ٢٦٥ ، التقريب ص ٤٣٧ .

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ١٢٣ وزاد طريقاً ثالثاً قال فيه عن عياض بن عبدالله» .

(٣) الجرح والتعديل ٦/ ٤٠٨ .

(٤) المنفردات والوحدان ، للإمام مسلم بن الحجاج ، تحقيق د . عبد الغفار البنداري ١٥٩ .

(٥) الثقات ٥/ ٢٦٥ .

(٦) تهذيب التهذيب ٨/ ١٨١ .

سابعاً : معرفته بألقاب المحدثين :

هذا الفرع من علوم الرجال من أجَلّ الفروع وأكثرها أهمية، لأن الجهل بالألقاب يوقع صاحبه في اللبس والخلط بين الرواة وظن الراوي الواحد اثنين .

قال ابن حجر : " ومن أنفس ذلك معرفة ألقابهم لأنها قد تأتي في سياق الأسانيد مجردة من أسمائهم، وقد لا يعرفها الطالب الحصيف " [(١)]

وقال السخاوي : " واجعل أيها الطالب من عنايتك الإهتمام بمعرفة الألقاب للمحدثين والعلماء ومن يذكر معهم (فربما جعل الواحد اثنين) حيث يجيء مرة باسمه وأخرى بلقبه " [(٢)]

وإذا كان الجهابذة من المحدثين يقعون في الوهم واللَّبس، فوقوع من هو دونهم فيه أولى . يقول الإمام السخاوي : وقد وقع ذلك لجماعة من أكابر الحفاظ كعلي ابن المديني وعبد الرحمن بن يوسف بن خراش وأبي أحمد بن عدي، اذ فرقوا بين عبد الله ابن أبي صالح أخي سهيل ، وبين عبَّاد ابن أبي صالح. وجعلوهما اثنين، وليس عبَّاد بأخ لعبد الله، بل هو لقبه حسبما قاله أحمد وابن معين وأبو حاتم الرازي وأبو داود السجستاني وموسى بن هارون بن عبد الله البغدادي[(٣)] ومحمد بن إسحاق السراج، وربما جهله الطالب أصلا ورأساً كما اتفق لبعض الأعيان حيث قال لشيخنا : فتشت كتب الرجال عن تمتام فلم أقف عليه ، فقال له : هو لقب واسمه محمد بن غالب بن حرب . [(٤)]

والأصل في لفظ الألقاب القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نسآء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ [(٥)].

---

(١) نزهة الألباب في معرفة الألقاب ١/ ٣٥.

(٢) فتح المغيث ٤/ ٢٢١.

(٣) هوموسى بن هارون بن عبد الله، أبو عمران البزار المعروف والده بالحمال . توفى سنة (٢٩٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠ .

(٤) هو محمد بن غالب بن حرب، أبو جعفر الضبي التمار، المعروف بالتمتام، من أهل البصرة، كان كثير الحديث، صدوقاً حافظاً، مات في رمضان سنة ٢٨٣ ، وقد ضبط السمعاني لقبه، بفتح التاء وسكون الميم، انظر تاريخ بغداد ٣/ ١٣٤ ، الأنساب ١/ ٤٧٧ ، نزهة الألباب ١/ ١٤٧ .

(٥) الحجرات آيه ١١ .

وتنقسم كما قال ابن الصلاح إلى ما يجوز التعريف به وهو ما لا يكرهه الملقب، وما لا يجوز وهو ما يكرهه الملقب " [1]

ولعل من أجمع المصنفات فيها كتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني " نزهة الألباب في الألقاب " والذي رتبه على ثلاثة أبواب :

الأول : في الألقاب بألفاظ الأسماء وقد ألحق به الصنائع والحرف كالبقَّال والصفات كالأعمش .

الثاني : في الألقاب بألفاظ الكنى .

الثالث : في الألقاب بألفاظ الأنساب إلى القبائل والبلدان وغيرها . [2]

وللامام الذهلي مشاركات لا بأس بها في هذا الفرع منها علي سبيل المثال .

المثال الاول : الحسن بن يزيد بن فروخ العجلي [3]

روى ابن ماجه في سننه عن محمد بن يحيى وزيد بن أخزم قالا : ثنا الضحاك بن مخلد . ثنا الحسن بن يزيد بن فروخ . قال محمد بن يحيى وهو أبو يونس القويّ ، قال : سمعت أبا سلمة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يحلف عند هذا المنبر عبدٌ ، ولا أمة ، على يمين آثمة ، ولو على سواك رطب ، إلا وجبت له النار " [4]

فالإمام الذهلي عرَّف الحسن بن يزيد بكنيته ولقبه (القوي) وقد أكد الإمام المزي ما قاله الذهلي بقوله : وقال يحيى بن معين ومحمد بن يحيى الذهلي : الحسن بن يزيد بن فروخ هو أبو يونس القوي . وهذا القول أولى بالصواب [5]

---

(١) مقدمه ابن الصلاح ص ٥٤٥ .

(٢) نزهة الألباب ١/ ٣٩، وانظر لمزيد من الإيضاح والأمثله، مقدمة ابن الصلاح ص ٢٣٠، وتقريب النووي ٢/ ٨٩.

(٣) سبقت ترجمته ص ٥٤٥ .

(٤) السنن ٢/ ٧٧٩ كتاب الأحكام، باب اليمين عند مقاطع الحقوق .

(٥) تهذيب الكمال ٦/ ٣٤٤، وانظر الأنساب للسمعاني ٤/ ٥٦٣ .

وقال كل من الأمير ابن ماكولا [(١)] وأبي سعد السمعاني [(٢)] وابن حجر [(٣)] تحت لقب القوي

قالوا : هو أبو يونس الحسن بن يزيد العجلي ، وسبب تلقيبه بهذا اللّقب ما ذكره الأئمةحسين الجعفي [(٤)] وابن حبان والدارقطني سمي أبو يونس القوي (لقوته على العبادة) وذلك أنه قدم مكه فطاف في يوم واحد سبعين أسبوعا فسمي القوي . وكان من عباد الكوفة وقرائهم [(٥)]

وقال وكيع وأبو القاسم الطبراني : بكى حتى عمي ، وصلى حتى حدب، وطاف حتى أقعد " [(٦)] إلاأن الطبراني ذكر بدلاً من صلاته " وصام حتى خوي " [(٧)]

المثال الثاني : سالم بن عبد الله مولى النصريين "سَبَلان " [(٨)]

قال ابن خزيمة : نا يونس بن عبد الأعلى نا ابن وهب أخبرني حيوة عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله بن شداد بن الهاد أنه شهد أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل له : لا أداها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا .

---

(١) الإكمال ٧/ ٨٨.

(٢) الأنساب ٤/ ٥٦٣.

(٣) نزهة الألباب ٢/ ١٠٥ ، وانظر في ذلك فتح الوهاب فيمن اشتهر من المحدثين بالألقاب للشيخ حماد الأنصاري ص١٠٦ .

(٤) هو الحسين بن علي الجعفي أبو عبدالله ، كان موصوفاً بالفضل والتقوى والتألهُّ، توفي سنة ٢٠٣ ، السير ٩/ ٣٩٧.

(٥) الثقات لابن حبان ٦/ ١٦٩ ، تهذيب الكمال ٦ / ٣٤٤ ، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٨٣ .

(٦) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٨٣.

(٧) الأنساب ٤/ ٥٦٣.

(٨) سبقت ترجمته ص ٥٣٨.

ثم قال ابن خزيمة : " سمعت محمد بن يحيى يقول : أبو عبد الله هذا هو سالم السدوسي يقال له : سبلان . [(١)]

ومن قال بلقبه من العلماء الإمام البخاري [(٢)] والامير الحافظ ابن ماكولا [(٣)]

والإمام الذهبي [(٤)]، وقال ابن حجر في نزهة الألباب : " سَبَلان " جماعة منهم سالم مولى مالك بن أوس بن الحدثان. (٥)

وقال صفي الدين الخزرجي : " سالم سبلان أبو عبد الله المدني " [(٦)]

ولم يبين أحد منهم سبب تلقيبه بذلك ، ولا معنى هذا اللّقب وإن كان لا يبعد من معنى الطول ، كما اتفق لابن ماكولا عندما ترجم " لخالد بن عبد الله بن الفرج مولى بني عنس [(٧)] وذكر أن سبب تلقيبه سَبَلان : لطول كان في لحيته . [(٨)]

المثال الثالث : محمد بن الفضل السدوسي أبو النعمان المعروف بعارم [(٩)]

قال الإمام الذهلي راوياً عنه " حدثنا محمد بن الفضل عارم وكان بعيداً عن العرامة " [(١٠)]

وقد ذكره بهذا اللقب الإمام البخاري [(١١)] والأمير ابن ماكولا [(١٢)] والسمعاني وقال : أبو النعمان محمد بن الفضل السدوسي الملقب بعارم من أهل

---

(١) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٣.
(٢) التاريخ الكبير ٤/ ١٠٩.
(٣) الإكمال ٤/ ٢٥٠.
(٤) السير ٤/ ٥٩٥.
(٥) نزهة الألباب في الألقاب ١/ ٣٦٠، وانظر تهذيب التهذيب ٣/ ٧٩.
(٦) خلاصة تذهيب الكمال ص ١٣١.
(٧) هو خالد بن عبد الله بن الفرج مولى بني عنس، يعد في الشاميين، يروي عن كهيل بن حرملة، روى عنه خالد بن دهقان، الاكمال لابن ماكولا. (٤/ ٢٥٠).
(٨) المصدر السابق.
(٩) سبقت ترجمته ٤٥٢.
(١٠) السير ١٠/ ٢٦٦.
(١١) التاريخ الصغير ٢/ ٣٢٢.
(١٢) الإكمال ٦/ ٢٠.

البصرة [1] وابن حجر العسقلاني في نزهة الألباب تحت لقب « عارم » [2] وأورده الشيخ حمّاد بن محمد الأنصاري في كتابه فتح الوهاب [3] .

والعرامة هي : الفساد والقسوة والشدة . [4]

وجدير بالذكر أن الخطيب البغدادي أورد في جامعه في مبحث أصحاب الألقاب : عدد ممن اشتهر بلقبه وغلب على اسمه فقال :

« قد غلبت ألقاب جماعة من أهل العلم على أسمائهم ، فاقتصر الناس على ذكر ألقابهم في الرواية عنهم ، ثم ذكر منهم عارم . . . . ونقل عن أبي داود قولاً بصيغة التضعيف أن عارماً اسمٌ لمحمد بن الفضل لا لقبٌ له . فقال : « انا أبو نعيم محمد بن علي بن عمرو أبو سعيد قال . قال : سمعت أبا عمر محمد بن الحسين القيسي يقول : سمعت إبراهيم بن همام الباهلي يقول : سمعت أبا داود يقول : سمعت عارم بن الفضل يقول سماني أبي عارماً وسميت نفس محمداً وكان اسم أخي شغباً » .

وقال الخطيب : « والمشهور أن اسم أخي عارم بسطام ، ولعل أباه أيضا سماه شغباً وتسمى هو بسطاماً . والله أعلم » [5]

---

(١) الأنساب ٣/ ٢٦٣ .

(٢) نزهة الألباب ٢/ ٩ .

(٣) فتح الوهاب فيمن اشتهر من المحدثين بالألقاب ص ٩١ .

(٤) راجع ص٣٣١ من هذا الفصل ، وانظر تدريب الراوي للسيوطي ٢/ ٢٩١ .

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٧٤ .

ثامناً : معرفة أوطان الرواة وبلدانهم .

هذا النوع من فنون الحديث قد زلق فيه جماعة من كبار العلماء للاشتباه بين الرواة، ومعرفته يفتقر إليها حفاظ الحديث في تصرفاتهم ومصنفاتهم (١)

وقد كانت العرب تنسب إلى الشعوب والقبائل والعشائر والبيوت قال الله تعالى: ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ﴾(٢) والعجم إلى رساتيقها (٣)، وبنو إسرائيل إلى أسباطها(٤) ، فلما جاء الإسلام وانتشر الناس في الأقاليم والمدن والقرى وغلب عليهم سكناها صار انتسابهم إليها كالعجم ، وقد ينسبون إلى أصغر من ذلك من المواطن كالبلدة الصغيرة أو الضيعة أو السكة أو الزقاق ونحوها .

وقد ينتقل الراوي من إقليم إلى آخر ومن بلدة إلى أخرى، وقد يسكن ضيعة أو قرية فينسب إليها من الأكبر إلى الأصغر أو من الأعم إلى الأخص، وان عكس الأمر فجائز، كمن يكون من قرية (داريا) إحدى قرى دمشق، ودمشق من إقليم وناحيته الشام .

فإما أن يقال الشامي ثم الدمشقي ثم الداري . أو العكس الداري الدمشقي الشامي (٥)

ومن فوائد هذاالعلم معرفة شيخ الراوي ، فربما اشتبه بغيره، فإذا عُرفَ بلده تَعيَّن بلديُّة غالباً ، ومن صور الإشتباه ما ذكر أن بعض الحفاظ استشكَل رواية يونس بن محمد المؤدب (٦) عن الليث لاختلاف بلديهما ، وسأل المزي أين

(١) معرفة علوم الحديث ، للحاكم ص ١٩٠، التقريب، للنووي ٢/ ٢٨٤ .

(٢) سورة الحجرات آيه ١٣ .

(٣) الرساتيق جمع رستاق وقد سبق بيان معناه ص ٧٨، وفيه لغة أخرى « رسداق » وهو البيوت المجتمعة، والرستق الصف من الناس: لسان العرب ١٠/ ١١٦ .

(٤) الأسباط من بني اسرائيل كالقبائل من العرب، مختار الصحاح ص ١٢٠ .

(٥) انظر فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٤٠٤، التقريب للنووي ٢/ ٣٨٤، معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١٩٠، التقييد والإيضاح للعراقي ص ٤١٧، فتح المغيث للعراقي ٤٧٦، الإرشاد للنووي ٢/ ٨٠٤، واختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٢٤٢.

(٦) هو يونس بن محمد بن مسلم البغدادي أبو محمد الحافظ المؤدب، مات سنة (٢٠٧) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٩٣.

سمع منه ؟ فقال : لعلَّه في الحج ثم قال : بل في بغداد حين دخول الليث لها في (الرسلية) (١)

وقد قسم أبو عبد الله الحاكم هذا النوع إلى ثلاثة أقسام :

القسم الاول : ذكر تفرق الصحابة من المدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانجلائهم عنها ، ووقوع كل منهم إلى نواحي متفرقة وصبر جماعة من الصحابة بالمدينة لما حثهم المصطفى صلى الله عليه وسلم على المقام بها ثم سرد من سكن من الصحابة في الكوفة ثم مكة ، ثم البصرة ، ثم مصر ، ثم الشام ثم الجزيرة ، ثم خراسان .

القسم الثاني : روايته لأحاديث معينة ثم يذكر مواطن رواتها ليكون مثالاً لسائر الروايات .

القسم الثالث : معرفةقوم من المحدثين تغربوا عن أوطانهم إلى بلاد شاسعة فطال مكثهم بها فنسبوا إليها . . . وهو من دقيق هذا العلم .

وهذه بعض مشاركات الإمام الذهلي في هذا الباب المهم ، وإطلاقاته فيها متنوعة ، فحيناً يذكر أن فلان سكن البلد الفلاني كما في المثال الأول ، وحيناً يبين أصل الراوي ثم يشير إلى مكان سكناه كما في المثال الثاني . ونجده أحيانا يقول فلان من أهل البلد الفلانية كما في الأمثلة الثالث والخامس والسابع ومرات ينسبه إلى بلده كما في الأمثلة الرابع والسادس ، وقد راعيت في ذلك الترتيب الهجائي للرواة .

المثال الأول : سليمان بن كثير العبدي أبو داود (٢)

قال الذهلي : سمعت سليمان بن كثير العبدي ، سكن البصرة ما روى عن الزهري فإنه قد اضطرب في أشياء منها وهو في غير حديث الزهري أثبت . (٣)

(١) انظر اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٢٤٢ وفتح المغيث للسخاوي ٤/ ٤٠٥ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٤٧٦ .
(٢) سبقت ترجمته ص ٤٤١ .
(٣) الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ١٣٧ ، تهذيب التهذيب ٤/ ١٨٩ .

المثال الثاني : عبد الله بن فروخ الخراساني [(١)]

قال ابن حجر : وقال الذهلي في علل حديث الزهري : وابن فروخ خراساني الأصل سكن البصرة ثقة [(٢)]

وهذا المثال يمكن أن يوظَّف في القسم الثالث من تقسيمات أبو عبد الله الحاكم السابقة، وهو " معرفة من تغربوا عن أوطانهم إلى بلاد شاسعة فطال مكثهم بها فنسبوا إليها "

المثال الثالث : عبيد الله ابن أبي زياد الرصافي [(٣)]

قال ابن حجر : وقال الذهلي في علل حديث الزهري بعد ان ذكر إسحاق الكلبي : « عبيد الله ابن ابي زياد » من أهل الرصافة " لم أعلم له راوياً غير ابنه .... الخ " [(٤)]

المثال الرابع : محمد بن عبد الله ابن ابي عتيق القرشي التيمي المدني [(٥)]

قال ابن حجر : وقال الذهلي : " ...... وأما ابن أبي عتيق فهو مدني لم يرو عنه فيما علمت غيرسليمان بن بلال ... " [(٦)]

المثال الخامس : محمد بن المبارك بن يعلى القرشي الصوري القلانسي [(٧)]

قال أبو الوليد الباجي : قال محمد بن يحيى النيسابوري : كان أيقظ من رأيت بالشام " [(٨)]

وقال ابن حجر : وقال الذهلي : كان أفضل من رأيت بالشام " [(٩)]

---

(١) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ٥/ ٣١٢.

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٨٥ .

(٤) تهذيب التهذيب ٧/ ١٣ .

(٥) سبقت ترجمته ٤٨٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٦.

(٧) سبقت رجمته ٤٤٨ .

(٨) التعديل والتجريح ٢/ ٦٤٤ .

(٩) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٧٦.

المثال السادس : محرر بن هارون بن الهدير التيمي [1]

قال محمد بن نصر المروزي [2] « سألت » محمد بن يحيى عنه فقال : بصري ، ليس به بأس » [3]

المثال السابع : النعمان ابن أبي شيبة عبيد الصنعاني أو الجندي . [4]

قال ابن حجر : « وقال الذهلي النعمان ابن أبي شيبة من ثقات أهل اليمن » [5]

---

(١) سبقت ترجمته ٤٤٠ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٩١ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٠/ ٥٠ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٥) تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٠٥ .

تاسعاً: معرفته بالموالي من العلماء والرواة.

قبل ديباجة هذا العنوان من المستحسن أن نلم بإيجاز بمعنى المولى.

قال الإمام ابن اليزيدي (١): مولى العبد: سيِّده، والمولى: المُنْعِمْ. والمولى: المُنْعَمْ عليه (٢)

وقال ابن فارس: الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب، ومن الباب المَوْلَى: المُعْتِقْ والمُعْتَقْ، والصاحب، والحليف، وابن العم، والناصر، والجار كل هؤلاء من الوَلْي وهو القرب (٣).

وقال أيوب بن موسى الكفوي: المولى: هو لفظ مشترك يطلق لمعان، هو في كل منها حقيقة المُعْتِقْ والمُعْتَقْ والمتصرف في الأمور والناصر والمحبوب .. الخ (٤)

مما سبق يتضح أن لفظ مولى من الألفاظ المشتركة المستعملة لكل من الضدين، كما قرره الإمام السخاوي وغيره كما سيأتي. وقد اطلق محمد عبدالرؤوف المناوي اللفظ على جانب واحد من الضدين فقال المولى: الولي اللازم الولاية، القائم بها، الدائم عليها لمن تولاه باسناد أمره إليه فيما ليس بمستطيع له. (٥)

قال الإمام السخاوي: واعلم أن المولى من الأسماء المشتركة بالإشتراك اللفظي، الموضوعة لكل واحد من الضدين، اذ هي موضوعة للمولى من أعلى وهو المنعم المعْتق بكسر المثنَّاة، والمولى من أسفل وهو المعتق بفتحها ومعرفة كل منها مهمة. (٦)

---

(١) هو إبراهيم بن يحيى بن مبارك أبو إسحاق بن أبي محمد ابن اليزيدي، كان ذا قدر وفضل. إنباه النحاة، للوزير علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم١/ ٢٢٤

(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه، للإمام إبراهيم اليزيدي، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين ص ٣١.

(٣) معجم مقاييس اللغه، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون ٦/ ١٤٠.

(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي، باعتناء د. عدنان درويش و محمد المصري ص ٣٠٠.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٦٨٦. وانظر للتوسع في المعنى اللغوي النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٥/ ٢٢٨، و لسان العرب ١/ ٤٠٨، وتهذيب الأسماء واللغات٤/ ١٩٦.

(٦) فتح المغيث ٤/ ٤٠٤.

- وهذا الفن من فنون الحديث تأتي أهميته من حيث أن بعض الرواة ينسب إلى إحدى القبائل على الإطلاق كفلان القرشي أو الأزدي أو الهذلي وهو ليس منهم صلبيَّة أي من ولد لصلب . بل هو من موالي القبيلة أو إحدى بطونها على اختلاف أنواع الموالاة، وهي على سبيل الإيجاز ثلاثة: ولاء العتاقة ، وولاء الحلف ، وولاء الدِّين والاسلام .

وقد أشار الإمام الذهلي رحمه الله إلى بعض ذلك مما يدل على اعتنائه بأخبار الرواة وتتبعه لأحوالهم ولو عن مشايخه .

وقد تحدث عن أحد مشايخ الزهري الموالي وبيَّن إحدى رواياته فقال :

" أبو حميد مولى مسافع عن أبي هريرة ، روى عنه الزهري ، حديث "لتُنْقَنَّ كما يُنْتَقَى التمر " [(١)]

ومن نقله عن مشايخه ما ذكره عن شيخه يحيى بن بكير عن طاووس بن كيسان اليماني .

قال الكلاباذي : قال ابن سعد قال الواقدي ، وقال الذهلي : قال يحيى ابن بكير : قالا : إنه مولى بحير بن ريْسان الحميري [(٢)] .

---

(١) سبقت ترجمة أبو حميد مع تخريج الحديث ص ٢٤٣ .

(٢) رجال صحيح البخاري ١/ ٣٧٧ .

المبحث الثالث
إهتمام الإمام الذهلي بسماعات الرواة
وإمكان اللقاء بينهم من عدمه

المطلب الأول: أهمية السماعات عند المحدثين

تمت نعمة المولى جل شأنه بحفظ الكتاب الكريم: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (١)

وتدخل السنة النبوية المطهرة في هذا الحفظ بعد القرآن دخولاً لزومياً، لأنها صنو للكتاب الكريم، ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه...» (٢)، فهي تالية للقرآن في حفظ الله لها، ومثله في الحجية و التشريع، وفي الإتباع والعمل، ولأنها تطبيق عملي للوحي الأول القرآن الكريم، وما دامت بهذه المنزلة الرفيعة في الدين فقد قيض لها في كل زمان ومكان رجال حفظوها من الضياع، وميزوا ما اختلط بها من وضع وكذب الكذابين، وكان المعوَّل عليه بالدرجة الأولى في هذا الحفظ والبقاء هو «الإسناد».

والإسناد هو قول الراوي حدثنا فلان، أو سمعت فلان. الأمر الذي يدل على التلقي المباشر المتصل من الشيخ عن مثله إلى صاحب القول سواء كان الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابي، أو التابعي، أو تابع التابعي.

والإسناد خصيصة تميزت بها أمتنا على سائر أمم الأرض، سابقاً ولاحقاً، لأنها الأمة الوحيدة التي بذلت جهوداً جبارة في الحفاظ على سنة نبيها صلى الله عليه وسلم كلمة كلمة بأساليب شتى، من شأنها الحفاظ على السنة النبوية المطهرة من التغيير والتبديل.

---

(١) سورة الحجر آية (٩)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة ٥/ ١٠.

وقد بيَّن العلامة الأندلسي الأصولي الإمام الشاطبي أن أرفع وأفضل طرق العلم المشافهة والسماع، وذلك ضمن كلام له طويل عن طرق تلقي العلم قال: فصلٌ، وإذا ثبت أنه لابد من أخذ العلم عن أهله فلذلك طريقان أحدهما (المشافهة) وهي أنفع الطريقين وأسلمهما. .الخ. [(١)]

واهتمام المحدثين بسماع الرواة بعضهم عن بعض أمر بات معلوم بالضرورة، إذ هم أول من سنَّ تلك الخصيصة من بين أصحاب الفنون والعلوم الأخرى. فهذا عبد الله بن المبارك يقول: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء، ما شاء) [(٢)] وقال: (بيننا وبين القوم القوائم، يعني الإسناد). [(٣)]

وقس على ابن المبارك رحمه الله ذلك الركب المبارك من محدثي الأمة المحمدية الذين نذروا أنفسهم لهذا الشرف المنيف ومن أولئك الإمام محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله تعالى، فقد كان ممن يولي سماع الرواة بعضهم اهتماماً كبيراً، وهذه بعض الشواهد على ذلك.

---

(١) الموافقات، للعلامة إبراهيم بن موسى الشاطبي، شرح عبدالله دراز، المقدمة الثانية عشرة ١/ ٩٦.

(٢) صحيح مسلم، المقدمة ١/ ١٥.

(٣) نفس المصدر السابق.

المطلب الثاني

نماذج من اهتمامه بالسماعات واللقاء

المثال الأول : (سؤاله عن سماع الرواة من المختلطين وتقدير ذلك بالتأريخ)

قال الخطيب البغدادي : أخبرني محمد بن علي المقريء أخبرنا محمد بن عبدالله النيسابوري الحافظ قال : «قرأت بخط محمد بن يحيى - يعني الذهلي - قلت لأبي الوليد : سمع عبدالرحمن بن مهدي من المسعودي بمكة شيئاً يسيراً؟ قال : نعم! قلت، وأبوداود سمع منه ببغداد؟ قال : نعم! قلت : وكم بين قدومه مكة وبغداد؟ قال : أكثر من سنة وسنتين [1] .

وهذا الإهتمام والتساؤل من الذهلي لأن المسعودي قد اختلط، والسماع في مثل هذا الحال يحتاج لتأكد هل هو قبل الإختلاط أم بعده؟ وابن مهدي كان ممن سمع منه أحاديث مختلطه كما بينه ابن نمير [2] .

وكانت وفاته سنة ستين ومائة على المشهور، وقد بيَّن الإمام يحيى بن سعيد أنه لقيه بمكة مع عبدالله بن عثمان وعبدالرحمن بن مهدي سنة ثمان وخمسين ومائة فلم يكلمه .

وأما سؤاله عن سماع أبي داودالطيالسي، هل كان في بغداد فلأنه كان يروي عن المسعودي حين اختلاطه قال أبو قتيبة : رأيت المسعودي سنة ثلاث وخمسين ومائة وكتب عنه وهو صحيح، ورأيته سنة سبع وخمسين والذر يدخل في أذنه، وأبو داود يكتب عنه، قلت له : أتطمع أن تحدث عنه وأنا حي [3]؟! ومن هنا نعرف سبب اهتمام الذهلي بذلك .

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢١٨ وفيه خطأ ظاهر (سمع عبدالرحمن بن عبدالله المسعودي --- شيئاً يسيراً) وقد أثبت الصواب من مقدمة ابن الصلاح انظر ص ٤٠٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ١٩١ .

(٣) ميزان الإعتدال ٣/ ٢٨٩ .

المثال الثاني: تجويزه مشاهدة الزهري لابن عمر مستدلاً بالرواية وتقدير السنين .

قال أبو عمر بن عبدالبر : حديث خامس لابن شهاب عن سالم يجري مجرى المسند .

مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله أنه قال : كتب عبدالملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أن لاتخالف عبدالله بن عمر في أمر الحج ، قال : فلما كان يوم عرفه جاءه عبدالله بن عمر حين زاغت الشمس - وأنا معه - فصاح به عند سرادقه : أين هذا؟ فخرج إليه الحجاج وعليه ملحفة معصفرة فقال : مالك ياأبا عبدالرحمن ؟ فقال : الرواح إن كنت تريد السنة ، فقال : أهذه الساعة؟ قال : نعم . قال : فأنظرني حتى أفيض عليَّ ماءً ثم أخرج ، فنزل عبدالله حتى خرج الحجاج فصار بيني وبين أبي ، فقلت له : إن كنت تريد أن تصيب السنة فأقصر الخطبة ، وعجل الصلاة . قال : فجعل ينظر إلى عبدالله بن عمر كيما يسمع ذلك منه فلما رأى ذلك عبدالله قال صدق .

قال أبو عمر : هذا الحديث يخرج في المسند لقول عبدالله بن عمر للحجاج : الرواح هذه الساعة إن كنت تريد السنة ، ولقول سالم : إن كنت تريد السنة ، فاقصر الخطبة وعجل الصلاة ، وقول ابن عمر : صدق .

وروى معمر عن الزهري أنه كان شاهداً مع سالم وأبيه هذه القصة مع الحجاج ، وذكر ذلك عبدالرزاق وغيره ، عن معمر عن الزهري ، وذلك عند أهل العلم وهمٌ من معمر ، وقال : يحيى بن معين ، وَهِمَ في ذلك معمر ، وابن شهاب لم ير ابن عمر ولاسمع منه شيئاً ، وقال أحمد بن عبدالله بن صالح : قد روى الزهري عن عبدالله بن عمر نحو ثلاثه أحاديث .

قال أبو عمر : هذا مما لايصححه أحد سماعاً ، وليس لابن شهاب سماع من ابن عمر ، غير حديث معمر هذا - ان صح عنه - وأما محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري ، فقال : ممكن أن يكون الزهري قد شاهد ابن عمر مع سالم في قصة

الحجاج، واحتج برواية معمر، وفيها: فركب هو وسالم وأنا معهما حين زاغت الشمس، وفيها قال الزهري، وكنت يومئذ صائماً، فلقيت من الحر شدة (قال محمد بن يحيى) : وقد روى ابن وهب، عن عبدالله العمري عن ابن شهاب نحو رواية معمر في حديثه.

قال ابن شهاب: وأصاب الناس في تلك الحجة من الحر شيء لم يصبنا مثله، واحتج أيضاً بأن عنبسة [1] روى عن يونس عن ابن شهاب قال: وفدت إلى مروان - وأنا محتلم، قال - ومروان مات سنة خمس وستين، ومات ابن عمر (في تلك الحجة) سنة ثلاث وسبعين.

(قال) وأظن مولد الزهري سنة خمسين أو نحو هذا، وموته سنة أربع وعشرين ومائة، فيمكن أن يكون شاهد ابن عمر في تلك الحجة، فلست أدفع رواية معمر. هذا كله كلام الذهلي [2].

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على رواية معمر السابقه: واخْتُلفَ في رواية معمر هذه فقال: يحيى بن معين: هي وهم، وابن شهاب لم يرَ ابن عمر ولا سمع عنه [3].

ثم أورد احتجاج الذهلي لطريق معمر هذا برواية أخرى عن ابن وهب عن عبدالله العمري عن ابن شهاب نحو رواية معمر في حديثه، (وهذا إثبات لطريق لم ينفه أحد وفيه زيادة تأكيد).

واحتج ابن حجر رحمه الله على ماذهب إليه الذهلي من إمكانية مشاهدة الزهري لابن عمر برواية عنبسة بن يزيد بأن هذه الرواية وهمٌ أيضاً، ووجه الوهم

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٦٦.

(٢) التمهيد ١٠/ ٧، ٨.

(٣) فتح الباري ٣/ ٥١١.

فيها أن الزهري قال : وفدت على عبدالملك ، قال ابن حجر : ولو كان الزهري وفد على مروان لأدرك جلّة الصحابة ممن ليست له عنهم رواية إلا بواسطة ، وقد أدخل مالك وعقيل- وإليهما المرجع في حديث الزهري- بينه وبين ابن عمر في هذه القصه سالماً فهذا هو المعتمد .[1]

وقد أورد الحافظ ابن عساكر رواية عنبسة هذه في ترجمة الزهري من تاريخه المشهور ، ونقل قول يحيى بن بكير في عنبسة عندما نقل إليه ماورواه عن عمه يونس بن يزيد عن ابن شهاب أنه وفد إلى مروان وهو محتلم .

قال : إن من يحدث [2] عنبسة مجنون ، وكان عنبسة غلاماً ، يخلف العمال ، ويستخرج الخراج ، وربما استعملوه ، وكثيراً ماكان يختبي في أسفل داري ، ولم يكن عرضوا لكتابة الحديث منه ، وسماع العلم منه[3] .

وقد نقض الإمام الذهلي استدلاله برواية عنبسة المُوهَّمَة بإيراده لرواية عبدالأعلى بن عبدالله ابن أبي فروة عن ابن شهاب . . . وفيها أنه وفد على عبدالملك بن مروان[4] .

ومعلوم أن الوهم يحصل من النسيان أو الغفلة أو كثرة الخطأ ، ولا بأس ألاّ نوافق الإمام الذهلي على رواية عنبسة ، ولنفرض جدلاً أنه لم يفد على أحد . . . ، فإن استدلاله له بالتاريخ له وجاهة كبيرة . فإذا كان تاريخ مولده قد أُخْتلفَ فيه على أربعة أنحاء .

---

(١) المصدر السابق ٣ / ٥١١ .

(٢) في أصل الكتاب «إنما روي عنبسة مجنون» وهي كلمه غير مستقيمة وماأثبت هو ماصوّبه محقق الكتاب شكرالله ص ٣٦ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ، ترجمة الزهري ص ٣٦ .

(٤) تاريخ دمشق ترجمة الزهري ص ١٧ ، سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٢٨ ، وانظر روايات ابن عساكر في ذلك في تاريخه من ص١٢ إلى ص ٣٤ و كلها تؤكد أنه عبدالملك .

(أ) ماذكره أحمد بن صالح أنه سنة خمسين.

(ب) مانقله خليفة أنه سنة إحدى وخمسين.

(جـ) ماقاله يحيى بن بكير أنه سنة ست وخمسين [١].

(د) وقال الواقدي ووافقه ابن كثير سنة ثمان وخمسين [٢].

فلنأخذ بآخرها وهو الأحوط سنة ٥٨ وحادثة حجة مع عبدالله بن عمر والحجاج وسالم أمر لاغرابة فيه لأن عمره حينئذ يكون خمسة عشر عاماً، لأن ابن عمر توفي على قول الواقدي سنة أربع وسبعين، وعلى قول الزبير بن بكار وآخرون سنة ثلاث وسبعين ورجح ابن كثير الأول [٣].

وإن أخذنا بالقول الأول والذي قال به جميع العلماء فإن سنه آنذاك ثلاث وعشرون سنة، وعلى كلٍ فهذه بعض أقوال من رأى أنه لقيه وروى عنه.

(١) قال الذهلي ناعبدالرزاق، قال: قلت لمعمر، هل سمع الزهري من ابن عمر قال: نعم، سمع منه حديثين [٤].

(٢) قال الحافظ العجلي، في ترجمة الزهري، وروى عن عبدالله بن عمر نحواً من ثمانية أحاديث [٥].

(٣) وقال ابن كثير في ترجمة ابن عمر وروى عنه « . . . . والزهري » [٦].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ترجمة الزهري ص ٣٦-٣٧، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٩٨.

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٩٨، البداية والنهاية ٩/ ٣٤١.

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٥.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ترجمة الزهري ص ٥١، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٩٦.

(٥) تاريخ الثقات ٤١٣.

(٦) البداية والنهاية ٩/ ٥.

(٤) وقال ابن أبي حاتم: في ترجمة الزهري: ورأى ابن عمر . . . »[١].

وامكانية الرؤية أو الرواية وإن قلَّتْ هو ماأراد الذهلي التحفظ من نفيه معتمداً في ذلك على رواية معمر ورواية ابن وهب السابقة الذكر، وان لم يسَلِّم له برواية عنبسة، فإن تقديره التاريخي لإمكانية الرؤية أو الرواية لاغبار عليه على أبعد الإحتمالات.

المثال الثالث :(وصفه زمان سماع ابن وهب من ابن لهيعة بالقِدَم)

ساق الحافظ البيهقي[*] عدة أسانيد عن حديث عائشة في عدد تكبيرات صلاة العيد.

وكان ابن لهيعة هو مدار السند فقد أورد البيهقي الرواة عنه كما يلي:

(١) عمرو بن خالد عن ابن لهيعة عن عقيل [٢].

(٢) قتيبة عن ابن لهيعة عن عقيل.

(٣) ابن وهب عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد.

ثم نقل قول الذهلي عن المحفوظ من تلك الأسانيد. قال: قال (محمد بن يحيى):

« هذا هو المحفوظ لان ابن وهب قديم السماع من ابن لهيعة » [٣].

---

(١) الجرح والتعديل ٨/ ٧١، كما نقل عن شيخه علي ابن المديني قوله: «قد سمع الزهري من ابن عمر حديثين» المراسيل، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق شعيب الأرناؤوط، ص ١٥٢.

(*) قد سبقت دراسه هذه الفائدة في الإشارة الثانية من مطلب الاختلاط في المبحث الأول من هذا الفصل (ب).

(٢) التمهيد ١١/ ٥٥.

(٣) السنن الكبرى ٣/ ٢٨٧.

المثال الرابع : (سياقه سماعات الزهري من أولاد وأحفاد الصحابي كعب بن مالك وروايته عن بعضهم بدون سماع)

(١) نقل ابن عبدالبر عن الذهلي سماعات الإمام الزهري من أولاد وأحفاد الصحابي الجليل كعب بن مالك ومن روى عنه بدون سماع .

قال : قال محمد بن يحيى : (فسمع الزهري من عبدالله بن كعب ، وكان قائد أبيه حين عمي ، وسمع من عبدالرحمن بن كعب ، وسمع من عبدالرحمن ابن عبدالله بن كعب قائد كعب ، وروى عن بشير بن عبدالرحمن ابن كعب ولا أراه سمع منه»[١] .

(٢) وقال أبو علي الجياني : قال محمد بن يحيى الذهلي في كتاب العلل :

(سمع الزهري من عبدالرحمن بن كعب بن مالك ، وسمع من عبدالرحمن ابن عبدالله بن كعب بن مالك ، ومن أبيه عبدالله بن كعب»[٢] .

المثال الخامس: جزمه بأن الحجاج بن أرطأة لم ير الزهري ولم يسمع منه .

ساق الحافظ ابن حبان سنده إلى الإمام الذهلي قال : (وأما الحجاج بن أرطأة فإنه لم يسمع من الزهري ولم يره)[٣] .

المثال السادس : ظنه عدم سماع عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب من جده كعب . وتأكيد روايته عن أبيه وعمه .

ذكر أبو علي الجياني عن محمد بن يحيى قوله : (ولا أظن سمع عبدالرحمن بن عبدالله ابن كعب من جده شيئاً . . . وإنما رواية عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه وعمه عبيدالله بن كعب»[٤] .

---

(١) التمهيد ١١/ ٥٥ .

(٢) التنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيحين ص ١٧١ .

(٣) المجروحين من المحدثين ١/ ٢٢٦ .

(٤) التنبيه على الأوهام ص ١٧١ .

وذكر ذلك ابن حجر عند ترجمته لعبد الرحمن في التهذيب فقال: قال الذهلي في العلل: «ماأظنه سمع من جده شيئاً»[1].

المثال السابع: إثباته سماع محمد[2] بن عبدالله[3] بن زيد من أبيه، ونفيه سماع عبد الرحمن[4] ابن أبي ليلي من عبدالله بن زيد.

قال ابن خزيمة: «سمعت محمد بن يحيى يقول: ليس في أخبار عبدالله بن زيد في قصة الأذان خبر أصح من هذا[5]، لأن محمد بن عبدالله بن زيد سمعه من أبيه، وعبدالرحمن ابن أبي ليلي لم يسمعه من عبدالله بن زيد»[6].

---

(1) تهذيب التهذيب ٦/ ١٩٥.

(2) هو محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري، المدني، الثقة، من الثالثة، التقريب ص ٤٨٨.

(3) عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري، أبو محمد، شهد العقبة، وبدراً، والمشاهد كلها. أسد الغابة ٣/ ٢٤٧.

(4) هو عبد الرحمن ابن أبي ليلى الأنصاري، المدني، ثم الكوفي، ثقة من الثانية. التقريب ص ٣٤٩.

(5) يعني من هذا الخبر الذي ساقه عن شيخه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن ابن إسحاق عن التيمي عن محمد بن عبدالله بن زيد بن عبدربه عن أبيه قال: ..... انظر الحديث بتمامه في ص ٧٧٩، عند الحديث عن حكمه بأصح الطرق والروايات في باب معيَّن.

(6) صحيح ابن خزيمة ١/ ١٩٣.

المبحث الرابع

المفاضلة والتمييز والموازنة بين الرواة والأسانيد عند الإمام الذهلي

المطلب الأول : مفاضلته بين الرواة

١- المفاضلة بصيغة أيقظ .

أ - كان الإمام الذهلي يعرف لشيخه عبدالرزاق بن همام الصنعاني[١] مكانته بين الأئمة من حيث النباهة والبُعْد عن الغفلة، ومن حيث الحفظ، وثناؤه جاء عن معرفة تامَّة عرفها من خلال رحلتيه إلى اليمن مع أئمة نيسابور وبغداد إلى محدثها عبدالرزاق، لذا فإنه قد استغل وجوده هناك فلم يتوانى في الإكثار من الرواية عنه كما سبق بيانه عند الحديث عن مشايخه.

وقد أثنى على يقظته وحفظه فقال: (كان عبدالرزاق أيقظهم في الحديث وكان يحفظ)[٢].

ب - وكرر هذا الثناء في شيخه بالشام محمد بن المبارك القرشي الصوري[٣]

فقال: (كان أيقظ من رأيت بالشام)[٤].

٢ - المفاضلة بصيغة أفضل .

كرّر رحمه الله الثناء على شيخه السابق محمد بن المبارك بصيغة أخرى فقال: «كان أفضل من رأيت بالشام»[٥].

(١) سبقت ترجمته ص ١٣٥ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٨١ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٤٨ .

(٤) التعديل والتجريح، لابي الوليد الباجي ٢/ ٦٤٤ .

(٥) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٧٦

٣ - المفاضلة بصيغة أولى :

أ- فاضل الإمام الذهلي بين الإمام مالك بن أنس، والإمام عبدالله بن جعفر المَخْرِمي[١] عندما رويا حديثاً في فضل صلاة القائم على القاعد عن شيخهما إسماعيل بن محمد بن سعد[٢] ثم اختلف الطريقان فساقه مالك عن مولى لعمرو بن العاص أو لعبد الله بن عمرو، عن عبدالله بن عمر، وساقه المخرمي عن أنس؟

ثم بين أن طريق المخرمي غير محفوظ لعدم ثبوت طريق أنس من وجه يعرفه، ولأن حديث عبدالله بن عمرو مستفيض، ثم قال: «ومالك أولَى لحفظه»[٣].

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهري روى عن إسماعيل بن محمد ابن سعد ويزيد بن الهاد، روى عنه ابن مهدي وأبو عامر العقدي، قال أحمد: ليس بحديثه بأس، وقال مرة أخرى: ثقة، وقال ابن معين: " صدوق " ليس به بأس وليس بثبت، وقال ابن حبان: كان كثير الوهم في الأخبار حتى يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الاثبات فاستحق الترك . . . وقد تعقبه الذهبي في سيره فقال: وكيف يترك وقد احتج مثل الجماعة به سوى البخاري ووثقه مثل أحمد، وبين الذهبي في ميزانه أن ابن معين تردد فيه، وذهب إلى ما قاله أبو حاتم والنسائي: " ليس به بأس " مات سنة سبعين ومائة . انظر الجرح والتعديل ٥٠/ ٢٢، المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٧، الضعفاء لابن الجوزي ٢/ ١١٧، تهذيب الكمال للمزي ١٤/ ٣٧٢، ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ١١٧، السير للذهبي ٧/ ٣٢٩، والمخرمي بفتح الميم وسكون الخاء وفتح الراء نسبة إلى المسور بن مخرمة . انظر الانساب ٥/ ٢٢٢ .

(٢) هو إسماعيل بن محمد بن سعد ابن أبي وقاص الزهري المدني، من تابعي أهل المدينة ومحدثيهم، قال ابن سعد: ثقة وله أحاديث . مات سنة (١٣٤) . تهذيب التهذيب ١/ ٢٨٦ .

(٣) مختصر قيام الليل للامام محمد نصر المروزي باختصار أحمد المقريزي ص ١٩٩، وطريق المخرمي الذي اشار إليه الذهلي أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة باب صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ١/ ٣٨٨، وأما طريق مالك بن أنس ففي الموطأ، بتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب صلاة الجماعة باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد ١/ ١٣٦، وأخرجه من طرق أخرى ابن ماجه والإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جواز النافلة قائما وقاعدا ١/ ٥٠٤، والنسائي في الكبرى، كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب فصل صلاة القائم والقاعد ١/ ٤٢٨ .

وقد طُلبَ من الإمام علي ابن المديني أن يفاضل بين المخرمي وابن أبي ذئب الذي يقارن بالإمام مالك في العلم والحفظ والثقة فقال : « ابن أبي ذئب أحب إليَّ، ثم قال : ابن أبي ذئب صاحب حديث، وأي شيء عند المخرمي من الحديث »[١] .

ب - وفاضل أيضاً بين وهيب بن خالد[٢] ومعمر بن راشد في روايتين رواهما عنه ابن ماجه في سننه قال : -

حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر عن أيوب[٣] عن ابن سيرين[٤] عن أم عطيه[٥] قالت : لم نكن نرى الصفرة والكدرة شيئاً .

قال محمد بن يحيى : ثنا محمد بن عبد الله الرَقَاشي[٦] ثنا وهيب عن أيوب عن حفصة[٧] عن أم عطية قالت : كنا لا نعد الصفرة والكدرة شيئاً .

قال محمد بن يحيى : وهيب أولاهما عندنا بهذا[٨] .

وقد أخرج الإمام البخاري هذا الحديث من طريق قتيبة بن سعيد قال حدثنا إسماعيل[٩] عن أيوب بن محمد عن أم عطية قالت : كنا لانعد الكدرة والصفرة شيئاً .

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٣٠٣، تهذيب التهذيب ٥/ ١٥١ .

(٢) هو وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي مولاهم، أبو بكر البصري، ثقة ثبت، تَغَير بأَخَرَة مات سنة (١٦٥) . التقريب ص ٥٨٦ .

(٣) أيوب هو السختياني سبقت ترجمته ص ٤٦٧ .

(٤) هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر البصري، ثقة، ثبت عابد كبيرالقدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، مات سنة (١١٠) . التقريب ص ٤٨٣ .

(٥) هي نُسيبة بنت كعب، ويقال : بنت الحارث، أم عطية الأنصارية، صحابية مشهورة، مدنية، ثم سكنت البصرة . أسد الغابة لابن الأثير ٧/ ٢٨٠ التقريب ص ٧٥٤ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٤٤٩ .

(٧) هي حفصة بنت سيرين، أم الهذيل الأنصارية، البصرية، ثقة، من الثالثة ، ماتت بعد المائة . التقريب ص ٧٤٥ .

(٨) سنن ابن ماجه ١/ ٢١٢ .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٥١ .

قال الحافظ ابن حجر، ونقل عن الذهلي أنه رجح رواية وهيب. وماذهب إليه البخاري من تصحيح رواية إسماعيل أرجح لموافقة معمر له، ولأن إسماعيل أحفظ لحديث أيوب من غيره، ويمكن أن أيوب سمعه منهما»[1].

وإسماعيل الذي صحَّح البخاري روايته هو ابن إبراهيم بن عليَّه وقد جمعه الأئمة مع وهيب في مقامات الثناء والمفاضلة وكانا كفَرَسَيْ رهان، إلا أن للإمام أحمد بن حنبل فيه رأياً خاصاً بسبب كلامٍ غلط فيه.

والإمام الذهلي لم يبِّين سبب تفضيله وهيب على معمر، ولاسبب عدم عدم سياقه الحديث عن إسماعل بن علية ولكني استشف من خلال كلام الأئمة عن هؤلاء الثلاثة مايلي:

أولاً: أنه تابع أحمد بن حنبل في تفضيل وهيب على إسماعيل بمراحل بعدما كان حسن الرأي فيه بسبب قصته مع الأمين[2] وكلامه في القرآن، وقد مرَّ معنا في مسألة اللفظ مدى صلابة الذهلي في هذا الأمر، ومتابعته النصيَّه الكليَّه لأحمد في فتنتي خلق القرآن واللفظ به.

ثانياً: أمَّا عدم تقديه معمراً على وهيب فإنه لم يكن ليخفى عليه وهو شيخ شيخه باليمن الإمام عبدالرزاق، وجدير بالذكر أن رواية الذهلي عن عبدالرزاق تشكل نسبة كبيرة جداً بالنسبة لمشايخه الآخرين وعبدالرزاق مكثر جداً عن معمر، ولكن لعله كان يرى رأي يحيى ابن معين في معمر (أن أحاديثه عن العراقيين ماعدا الزهري وابن طاووس غير مستقيمة) وهذا باختصار سرد أقوال الأئمه وما استنتجته منه.

أولاً: كلامهم عن وهيب وإسماعيل بن علية.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/٤٢٦

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٤ وانظر قصته معه ص ٥٨٢.

قال أبو العباس السراج، أخبرنا قتيبه بن سعيد قال: كانوا يقولون: الحفاظ أربعة: ابن عُلَيَّة وعبد الوارث[1]، ووهيب، ويزيد بن زريع[2]»[3].

وسأل معاوية بن صالح ابن معين، من أثبت شيوخ البصريين قال: وهيب ابن خالد مع جماعه سماهم[4].

وقال أبو حاتم: ماأنقى حديث وهيب لاتكاد تجده يحدث عن الضعفاء وهو الرابع من حفاظ البصرة، وهو ثقة. ويقال: إنه لم يكن بعد شعبه أعلم بالرجال منه[5].

وقال عبدالرحمن بن مهدي: كان من أبصر أصحابه بالحديث والرجال[6]، وقال عثمان بن سعيد الدرامي[7] سألت يحيى بن معين ماحال وهيب في أيوب؟ فقال: ثقة[8].

أما إسماعيل بن علية فقد سئل عنه ابن مهدي فقال: ثقة، وقال يزيد بن هارون: دخلت البصرة، ومابها خلق يفضل على ابن علية في الحديث، وقال أحمد بن حنبل: إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، وقال أبو حاتم: ثقة، متثبت في

---

(١) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري مولاهم، أبو عبيدة التنوري، مات سنة (١٨٠). التقريب ص ٣٦٧. والعنبري بفتح العين وسكون النون نسبة إلى بني العنبر من بني تميم، الأنساب ٤/ ٢٤٥.

(٢) سبقت ترجمته ص ١٦٣.

(٣) السير ٨/ ٢٢٤.

(٤) الجرح والتعديل ٩/ ٣٥، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٤٩

(٥) الجرح والتعديل ٩/ ٣٥، تهذيب التهذيب ١١/ ١٥٠، السير ٨/ ٢٢٤

(٦) الجرح والتعديل ٩/ ٣٥، تهذيب التهذيب ١١/ ٤٩، السير ٨/ ٢٢٤

(٧) هو عثمان بن سعيد الدارمي، أبو سعيد السجستاني، سكن هراة، مات سنة (٢٨٠). الثقات ٨/ ٤٥٥. والدارمي بفتح الدال وكسر الراء نسبة إلى بني دارم بن مالك من بني تميم، الأنساب ٢/ ٤٤٠.

(٨) تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين ص ٥٤

الرجال[1] . وقال حاتم بن وردان : كان يحيى وإسماعيل ووهيب وعبدالوهاب يجلسون إلى أيوب ، واذا قاموا جلسوا كلهم حول إسماعيل يسألونه كيف قال؟ وابن عُلَيَّة يرد![2] وقال شعبة : ابن علية ريحانة الفقهاء وفي رواية سيِّد المحدثين [3] .

وقدّمه على وهيب كل من يحيى القطان وعبدالرحمن بن مهدي في التثبت في الحديث ،[4] وفي الوقت ذاته يقدم ابن مهدي وهيباً على إسماعيل في معرفة الرجال [5] .

ويظهر أن الأئمة ابن حنبل وابن مهدي وحماد بن سلمة[6] وسواهم قد تغيرت نظرتهم لابن عليَّة من جهة عدالته لوقوعه في هفوة لسان . . . أخطأ في التعبير عما في نفسه . . . ففهم منه مراد بعيد في قضيَّة حساسة .

قال الخطيب البغدادي : (حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة قال : ماكنا نشبه شمائل إسماعيل عليَّة إلا بشمائل يونس بن عبيد ، حتى دخل فيما دخل فيه .

وقال عفان . حتى أحدث ماأحدث : قال الخطيب البغدادي : والحدث الذي حفظ على ابن عليَّة ، شيء يتعلق بالكلام في القرآن . وساق سنده إلى إبراهيم الحربي – وسأله أبو يعقوب – فقال : دخل ابن علية على محمد بن هارون فقال له : يا ابن كذا وكذا ، أي شتمه – ايش قلت؟ فقال : أنا تائب إلى الله لم أعلم ، أخطأت فقال : إنما كان حدث بهذا الحديث : « تجيء البقرة ، وآل عمران يوم القيامه كأنهما – غمامتان –أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف – يحاجان

---

(١) الجرح والتعديل ٢/ ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٢٣٢ .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ١٢٠

(٤) الجرح والتعديل ٢/ ١٥٣ ، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٤١

(٥) الجرح والتعديل ٩/ ٣٥

(٦) سبقت ترجمته ص ١٦٣ .

عن صاحبهما»[1] قال: فقيل لابن عليَّة، ألهما لسانان قال: نعم، فكيف تكلما! فقيل إنه يقول: القرآن مخلوق، وإنما غلط[2].

ويروي الفضل بن زياد تفاصيل تفضيل الإمام أحمد وعبدالرحمن بن مهدي لوهيب على ابن علية بسبب تلك الهفوة فيقول: سألت أحمد بن حنبل عن وهيب وإسماعيل بن إبراهيم بن علية، قلت: أيهما أحب إليك اذا اختلفا؟ فقال: وهيب، كان عبدالرحمن بن مهدي يختار وهيباً على إسماعيل، قلت في حفظه؟ قال: في كل شيء مازال إسماعيل وضيعاً من الكلام الذي تكلم به إلى أن مات، قلت: أليس قد رجع وتاب على رؤوس الناس، فقال: بلى، ولكن مازال مبغضاً لأهل الحديث بعد كلامه ذاك إلى أن مات، ولقد بلغني أنه دخل على محمد بن هارون- ثم قال لي ابن هارون- قلت: نعم أعرفه، قال: فلما رآه زحف إليه وجعل محمد يقول له: ياابن . . . ياابن . . . تتكلم في القرآن!؟ قال: وجعل إسماعيل يقول له، جعله الله فداه، زلَّة من عالم جعله الله فداه زلة من عالم، ردده أبو عبدالله غير مرة وفخم كلامه، كأنه يَحكي إسماعيل[3].

وقال الذهبي في سيره: «معذورٌ الإمام أحمد فيه»، .

وقد بيَّن الإمام الذهبي حال ابن عُليَّة الحقيقي فقال: إمامة إسماعيل وثيقة لانزاع فيها، وقد بدت منه هفوة وتاب فكان ماذا! إني أخاف الله، لايكون ذكرنا له من الغيبة، وأما القرآن فقد قال عبدالصمد بن يزيد بن مردويه[4]: سمعت ابن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (١/ ٥٥٣)، والدارمي في سننه ٢/ ٥٤٣.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٢٣٧، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٠١، ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٢١٩. وقال الذهبي بعد ذلك: انظر كيف كان الصدر الاول في انكفافهم عن الكلام، فانه لو قال ايضا يتكلم بدون لسان لخطئوه، والله تعالى يقول: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾** الاسراء آية ٣٦.

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٢٣٨، طبقات الحنابلة ١/ ١٠١، ميزان الاعتدال ١/ ٢١٩، السير ٩/ ١١١.

(٤) هو عبد الصمد بن يزيد بن مردويه الصائغ، من أهل بغداد، مات سنة (٢٣٥). الثقات ٨/ ٤١٥.

عليَّة يقول« القرآن كلام الله غير مخلوق»[1] وقال الإمام أحمد بعد سياقه قصته، بعد هو ثبت»[2].

قلت: فلعل الإمام الذهلي كان متأثراً مما وقع فيه ابن عُليَّة فلم يخرج له حتى وإن كان ثبتاً، وكلام الإمام أحمد أنه مازال مبغضاً لأهل الحديث بعد هفوته تلك، يجعل الذهلي يتحفظ، ويروي الإمام أحمد قصه أخرى في بغضه لأهل الحديث.

قال رحمه الله: كان معنا رجل من الأنصار يختلف، فأدخلني على إسماعيل فلما رآني غضب وقال: من أدخل هذا عليَّ؟ فلم يزل مبغضاً لأهل الحديث بعد ذاك الكلام، لقد لزمته عشر سنين إلا أن أغيب، ثم جعل يحرك رأسه كأنه يتلهف، ثم قال: : وكان لا ينصف في الحديث . . . . . الخ»[3].

ولا يضير تخريج البخاري له وهو أمير المؤمنين فإن منهجه أن يروي حتى عَّمن رمي ببدعة تاب أو لم يتب بشرط أن لا يكون داعيةً إليها، وعلى هذا العمل عند كثير من أهل الحديث، ولكن مصيبة القول بخلق القرآن لها وقع متميز ومن تلبس بها ضيِّق عليه الخناق. . . وقد مرَّ تصوير حال الحنابلة معهم في فصل مسأله اللفظ.

فالأغلب أن الذهلي تحفظ عنه لهذا، وهذا التحفظ أثر عن البخاري في إسماعيل بن سميع الحنفي[4]. فقد قال فيه: أما في الحديث فلم يكن به بأس به، وكأنه يشير إلى أن به بأس في معتقده، لذا لم يرو عنه من الأئمة أمثال ابن عيينة الذي قال: كان بيهسياً[5] فلم أذهب إليه ولم أقربه، وقال الأزدي والعقيلي:

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٢٢٠

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٢٣٨ .

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٢٣٨

(٤) سبقت ترجمته ص ٢٧٠ .

(٥) سبق تعريف البيهسية ص ٢٧٠ .

كان مذموم الرأي غير مرضي المذهب يرَى رأي الخوارج فأما في الحديث فلم يكن به بأس، وقال عنه الذهلي: كان بيهسياً كان ممن يبغض علياً»[1].

أمَّا معمر بن راشد فثقته وامامته معلومه ومن يعاين ترجمته[2] لايجد عليه مثلبة تحط من قدره وثقته ولكنه إذا حدَّث بالبصرة يكون في أحاديثه أغاليط، قال أبو حاتم: « معمر بن راشد ماحدث بالبصرة ففيه أغاليط وهو صالح الحديث»[3].

ويقول يحيى بن معين: « إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري وابن طاووس[4]، فإن حديثه عنهما مستقيم، فأما أهل الكوفه وأهل البصرة فلا، وماعمل في حديث الأعمش شيئاً وقال يحيى: وحديث معمر عن ثابت وعاصم ابن أبي النجود وهشام بن عروة وهذا الضرب مضطرب كبير الأوهام »[5].

ولعلَّ من أسباب ذلك أنه إذا زار والدته بالبصرة لايأتي بكتبه كلها من اليمن فيحدث من حفظه فيقع في الوهم، لذا صحح على ابن المديني سماع عبدالرزاق عنه باليمن لأنه يحدث من كتبه، وأما سماع عبدالأعلى[6] عنه بالبصرة ففيه أوهام، ومع هذا بقي كلام ابن معين عنه قائماً في أحاديث العراقيين ماعدا الزهري وابن طاووس.

---

(١) بتصرف يسير تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧

(٢) انظر ترجمته وثناء الأئمة عليه في الجرح والتعديل ٨/ ٢٥٦، تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن معين في ترجمته رقم ٣، ٨، ٢٠، المعرفة والتاريخ ٢/ ٢٠٠، ٨١٩، ٨٢٠، تهذيب الاسماء واللغات ٢/ ١٠٧، تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٠، ١٩١، السير ٧/ ٥.

(٦) الجرح والتعديل ٨/ ٢٥٧

(٤) هو عبد الله بن طاووس بن كيسان سبقت ترجمته ص ١٣٤.

(٥) تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٢٠

(٦) هو عبد الأعلى بن عبد الأعلى الشامي أبو محمد القرشي البصري، توفي سنة ١٨٩، السير ٩/ ٢٤٢

والذهلي متخصص في الزهري ويميز حديثه من حديث غيره، لذا فضَّل وقدَّم وهيباً على معمر لأن روايتهما عن أيوب السختياني وهو بصري . وقيد كلامه بقوله« عندنا» دلالة على أن هذا رأيه الخاص والله أعلم .

٤ ـ المفاضلة بصيغة أسوق .

تحدث الحافظ ابن حجر في هدي الساري عن الأحاديث المعلقة في صحيح البخاري وأشار إلى من غَلَّقَها ووَصَلها وكان منها متابعة[1] هلال بن رداد الطائي[2] لعقيل بن خالد[3] عن الزهري[4] .

فقال: ومتابعة هلال بن رداد عن الزهري وصلها الذهلي في الزهريات[5] .

وفي تغليق التعليق ساق سنده الخاص إلى الإمام الذهلي مورداً تغليقه ووصله لهذه المتابعه فقال :

---

(١) انظر معنى المتابعة ص ٨٦٨ في المبحث الثاني من الفصل الخامس .

(٢) هو هلال بن رداد الطائي أو الكناني، الشامي، الكاتب، مقبول من السابعة . التقريب ص٥٧٥ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٥١٧ .

(٤) وجدير بالذكر أن متابعة هلال بن رداد كانت في أول موضع تذكر فيه المتابعات في صحيح البخاري كما ذكره بدر الدين العيني في عمدة القاريء شرح صحيح البخاري: ١/ ٧٦ " والحديث الذي حصلت فيه المتابعة هو الحديث الثالث في الجامع الصحيح قال الامام البخاري : حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروه بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بدي به رسول الله صلي الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة . . . . . الخ " صحيح الإمام البخاري، كتاب بدء الوحي ، باب٣، ١/ ٤ .
ثم بيَّن في نهاية الحديث الرابع أن عبد الله بن يوسف وأبو صالح (عبد الله بن صالح) قد تابعا الليث عن عقيل ، ثم جاءت المتابعة الثانية في هذا الحديث وهي متابعة هلال بن رداد عن عقيل عن الزهري " فتح الباري ١/ ٢٧ ، تغليق التعليق ٢/ ١٥ وكان قد أوضح في هدي الساري من وصَّل متابعتي عبد الله بن يوسف وأبي صالح ، انظر ص ٢٠ وانظر كلام بدر الدين العيني في تفصيل هذه المتابعات في عمدة القاريء ١/ ٧٦ .

(٥) هدي الساري ص ٢٠

وأما متابعة هلال بن رداد فقال أبو عبدالله محمد بن يحيى الذهلي، في جمعه لحديث الزهري: أخبرني محمد بن مسلم الرازي، حدثني أبو القاسم بن هلال بن رداد الطائي، ثنا أبي - وكان من كتبة هشام - قال: سمعت ابن شهاب... إلخ».

ثم ذكر تعليق الذهلي على هلال بن رداد فقال: قال الذهلي: وكان هلال ابن رداد الطائي أسوقهم[1] للحديث باقتصاصه[2]. » قال ابن حجر يعنى لحديث الزهري. أ. هـ[3].

---

(١) معنى صيغة المبالغة والمفاضلة هذه أن هلال أكثرهم سوقاً وإيراداً للحديث فكأنه يتميز عن سواه بالاجتهاد والتجري في أدائه.

(٢) أورد ابن حجر هذه العبارة مرة أخرى في تهذيب التهذيب ١١/ ٦٩ إلا أنه قال: باختصاصه ولعل الأقرب ما أثبته عنه في المتن من تغليق التعليق وما ذكره التاج السبكي في طبقاته. قال: باقتصاصه " ١٠/ ٤٠٥، لان لفظ الاقتصاص أقرب لمعنى كلامه من الالفاظ الاخرى. وجاء في لسان العرب٧/ ٧٤ اقتصصت الحديث، رويته على وجهه، الخ.

(٣) تغليق التعليق ٢/ ١٧.

المطلب الثاني
تمييزه بين الرواة

١ - تمييز الراوي بذكر أمه ومن روى عنه

في حرف العين من أبواب الكنى في تهذيب التهذيب ذكر الحافظ ابن حجر (أبو عائذ الله) ثم قال: ويقال ابن عبدالله بن ربيعة روى عن عائشه وعنه الزهري، قرنه بعروة في قصة سالم مولى أبي حذيفة وقد أخرجه النسائي من رواية يحيى بن سعيد الأنصاري عن الزهري عن عروة[وابن عبدالله ابن ربيعه] عن عائشه[١].

وكذا قال يونس عن الزهري، وقال عقيل وشعيب عن الزهري عن عروة[وأبي عائذ الله]ابن ربيعه، ورواه يونس وشعيب وعقيل أيضاً ومعمر وابن أخي الزهري ومالك عن ابن شهاب عن عروة وحده، ورواه عبدالرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهري عن عروة وعمر عن عائشة.

---

(١) أخرجه أحمد بن شعيب النسائي في السنن الصغرى (المجتبى) بشرح السيوطي وحاشية السندي وترقيم أبوغدة ٨/٢٦ في كتاب النكاح باب تزويج المولى العربية ٦/ ٦٢. وهو في السنن الكبرى له بتحقيق البنداري والكسروي ٣/ ٢٦٨ قال رحمه الله : اخبرنا محمد بن نصر حدثنا ايوب سليمان (بن بلال) حدثني أبو بكر ابن ابي أويس عن سليمان هو ابن بلال قال : قال يحيى (يعني ابن سعيد) وأخبرني ابن شهاب حدثني عروة بن الزبير وابن عبد الله بن ربيعة عن عائشة زوج النبي صلي الله عليه وسلم وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان ممن شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى سالما وهو مولى لامرأة من الانصار كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأنكح أبو حذيفة بن ربيعة سالماً ابنة أخته هند بنت الوليد بن عقبة ابن ربيعة وكانت هند بنت الوليد بن ربيعة من المهاجرات الأول وهي يومئذ من أفضل أيامى قريش فلما أنزل الله عز وجل في زيد بن حارثة ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ سورة الاحزاب (٥)

وأخرجه مالك في الموطأ كتاب الرضاع باب ما جاء في الرضاعة بعد الكبر ٢/ ٦٠٥ عن ابن شهاب عن عروة عائشة . . الخ " التمهيد ٨/ ٢٥٠ وأخرجه مسلم في صحيحه من طرق عن القاسم بن محمد ابن أبي بكر عن عائشة كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير ٢/ ١٠٧٦، حديث ٢٦، ٢٧، ٢٨ وراجع تخريج البخاري وأبو داود له في الرضاع !! وأخرجه البخاري من طريق شعيب عن الزهري عن عروة وحده في النكاح باب الأكفاء في الدين ٩/ ١٣١.

وأبو داود من طريق يونس عن ابن شهاب عن عروة وحده في النكاح باب من حَّرم به ٢/ ٥٤٩.

قال الذهلي : وهذه الوجوه كلها محفوظه إلا قول ابن مسافر، غير أني لست أقف على هذا الرجل المقرون مع عروة إلا أني أتوهم أنه إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن أبي ربيعة المخزومي[(١)] وأمه أم كلثوم بنت أبي بكر [(٢)] فإن الزهري قد روي عنه حديثين، وهذا مراد يونس ويحيى بن سعيد بقولهما عن ابن عبدالله ابن أبي ربيعة فيما أظن إلى أن قال وأما عائذ الله فمجهول لايعرف [(٣)].

نجد هنا أن الذهلي قد أنكر معرفة ابن عبدالله بن ربيعه واستثنى من إنكاره هذا أنه ربما كان إبراهيم المخزومي، ولم يعرف أبو عائذ ألبتَّة في آخر كلامه وجهَّله .

وقد نقل كلام الإمام الذهلي هذا حافظ المغرب ابن عبد البر بنحوه فقال :

قال محمد بن يحيى : وهذه الوجوة كلها محفوظة غير أني لا أعرف من ابن عبدالله بن ربيعه وابن عائذ الله بن ربيعة وأظنه إبراهيم بن . . . الخ ». [(٤)]

قلت : ان لم يكن أبو عائذ الله أو ابن عائذ الله هو ابن عبدالله بن ربيعة فهو على ماقال الذهلي «مجهول لايعرف» والأقرب أنه هو ولعل الإختلاف في الاسم خطأ من بعض الناقلة أو أنهما اسمان على عَلَمٍ واحد، ولذا فقد ذكر في نسخ التمهيد الاسمين في هذا الموضع[(٥)] .

---

(١) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي المدني. أمه أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، روى عن عائشة أم المؤمنين، قال ابن القطان لا يعرف، تهذيب التهذيب ١/ ١٢١.

(٢) هي أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، توفي أبوها وهي حَمْل ، ثقة من الثانية. التقريب ٧٥٨.

(٣) تهذيب التهذيب ١٢/ ١٦٢

(٤) التمهيد ٨/ ٢٥٤

(٥) بدليل ما اثبته محقق الجزء الثامن من التمهيد محمد الفلاح في حاشيه ص ٢٥٣ عند ذكر ابن عبدالله بن ربيعة فقال: " عبد الله ب ، عائذ الله أ، ج "

والذي يعنينا في هذا المبحث هو تمييز الذهلي لابن عبدالله بن ربيعة وتعريفه به على ماتَوَهَّمَ وتَوَقَّع أنه إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن أبي ربيعة . . . وميَّزه بذكر أمه أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق وبرواية الزهري عنه . . . . حتى لايلتبس بغيره ممن يحمل هذا الاسم، كما وقع للحافظ المزي في تحفة الأشراف إذ قال في زياداته على ابن عساكر عن« ابن عبدالله بن ربيعة»: وأظنه ابن أبي ربيعة وهو الحارث بن عبدالله ابن أبي ربيعة المخزومي[1]، والله اعلم»[2].

وقد استدرك الحافظ ابن حجر في نكته الظراف على الأطراف على الإمام المزي قوله أنه الحارث المخزومي فقال: قلت : خالف ذلك في التهذيب فذكرعن الذهلي أنه« إبراهيم بن عبدالله بن عبد الرحمن ابن أبي ربيعة» قال ابن حجر: قلت: وهذا هو المعتمد.»[3].

ولمَّا راجعت ترجمة إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن أبي ربيعة، وترجمة الحارث بن عبدالله ابن أبي ربيعه المخزوميان . . . وجدت الزهري يروي عنهما جميعاً ولكن بين والدتيهما بون شاسع .

فالأول أمه أم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنهما وخالته عائشه أم المؤمنين راوية الحديث[4].

والثاني أمه أم ولد حبشية نصرانية ماتت على دينها وشيعها ابنها وبعض الصحابة[5]..

---

(١) هو الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة بن المغيرة، المخزومي، المكي، أمير الكوفة المعروف بالقُبَاعْ. التقريب ص ١٤٦ .

(٢) تحفة الاشراف بمعرفة الأطراف ١٢/ ١٠٠

(٣) النكت الظراف ١٢/ ١٠٠ وقد خالف المزي رحمه الله في تسميته هنا، وفي التهذيب إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عبد الله ،وفي التحفة إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن .

(٤) انظر التاريخ الكبير ١/ ٢٩٦ ، وتهذيب التهذيب ١/ ١٢١ ، و المعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٧٣

(٥) انظر طبقات ابن سعد ٥/ ٢٩ ، التاريخ الكبير ٢/ ٢٧٣ . المعرفة والتاريخ ١/ ٣٧٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٢ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ١٢٥ .

وبهذا يكون قد اتضح وجه إقران ابن أبي ربيعة بعروة بن الزبير إذ كليهما يروي عن خالته أم المؤمنين عائشه رضى الله عنهما ويكون توقع الإمام الذهلي وتمييزه قد أصاب وعليه اعتمد ابن حجر .

٢ - تمييزه بين الرواة ببيان تفاوتهم في الاضطراب قوة وضعفاً .

قال أبو الوليد الباجي في ترجمه إسحاق بن راشد الجزري[١]

قال محمد بن يحيى الذهلي العالم بالحديث، لاسيمًا حديث الزهري، صالح ابن أبي الأخضر[٢] وزمعة بن صالح[٣]، ومحمد ابن أبي حفصة [٤] في بعض حديثهم اضطراب، والنعمان[٥] وإسحاق بن راشد الجزريان أشد أضطراباً من أولئك.[٦]

فالإمام الذهلي هنا ميَّز بين مجموعتين من الرواة الذين تفاوتوا في شدة الإضطراب وبين أن الإضطراب في المجموعة الأولى يكون في بعض حديثهم، وعلى هذا فهم أخف من المجموعه الثانية التي وصفها بشدة الأضطراب.

٣ - تمييزه بين راويين عن الزهري ببيان مكانتهما الحديثية عن الزهري ومدى الشهرة بالتحديث، وذكر البلد وأمور أخرى .

قال الإمام المزي في ترجمته محمد بن عبدالله ابن أبي عتيق بن عبدالرحمن ابن أبي بكر الصديق[٧] .

قال الذهلي : «ابن أبي ذئب[٨] وابن أبي عتيق مقاربان في الرواية عن الزهري ، فأما ابن أبي ذئب فمشهور، وأما ابن أبي عتيق فهو مدني لم يرو عنه فيما علمت غير سليمان بن بلال[٩] . وسمعت أيوب بن سليمان سئل عن نسبه

---

(١) سبقت ترجمته ٥٢٣ .
(٢) سبقت ترجمته ص ٥١٧ .
(٣) سبقت ترجمته ص٥١٧ .
(٤) سبقت ترجمته ص٥٢٣ .
(٥) سبقت ترجمته ص٥١٢ .
(٦) التعديل والتجريح ١/ ٣٧٧ .
(٧) سبقت ترجمته ص٤٨٦ .
(٨) سبقت ترجمته ص٤٨٩
(٩) سبقت ترجمته ص٤٨٦ .

فذكره، وقال: ماعلمت أحداً روى عنه بالمدينه غير أبي، وقال الذهلي: وهو حسن الحديث عن الزهري كثير الرواية مقارب الحديث لولا أن سليمان بن بلال يحدثه لذهب حديثه، (حديثه عند البخاري مقرون[1]) [2].

٤ ـ تمييزه الراوي عن غيره ببيان بعض من روى عنه وقد يؤكده بإحدى مروياته أو أقاربه.

أولا: تمييزه بذكر بعض من روى عنه.

أ - قال أبو داود السجستاني: قال محمد بن يحيى «وكثير بن جعفر،[3] روى له ابن كاسب»[4].

ب - قال ابن حجر: قال الذهلي: أبو عبدالله هذا هو نافع ابن أبي نافع[5] الذي روى عنه نعيم المجمر-[6] وابن أبي ذيب[7]»[8].

(١) عبارة (حديثه عند البخاري مقرون) ليست من كلام الذهلي وإنما هي من كلام المزي أو ابن حجر في تهذيبه.
أي مقرون بأسانيد أخرى عن الزهري، وروى عنه سليمان بن بلال مفرداً وقد أشار إلى ذلك الكلاباذي فقال: روى عنه سليمان بن بلال في (الإستقراض) مفردا وفي (الجهاد) و (التوحيد) و (الاعتكاف) وباب (شهود الملائكة بدراًمن المغازي) مقرونا بأسانيد رجال صحيح البخاري ٢/ ٦٩٠، وذكر نحو هذا أبو الوليد الباجي إلا انه جعل باب (شهود الملائكة.. الخ) ضمن ما روى عنه سليمان مفرداً (التعديل والتجريح ٢/ ٦٥٦)،
انظر بعض تلك المواقع وعلى سبيل المثال (كتاب الاعتكاف) ٤/ ٢٨٣ باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه وكتاب الاستقراض ٥/ ٦٠ باب من استعاذ من الدين / كتاب المغازي ٧/ ٣١٥ باب شهود الملائكة بدراً.

(٢) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٦.

(٣) سبقت ترجمته ص٥٢٦.

(٤) تسمية الأخوة ص ٢٠٧.

(٥) سبقت ترجمته ٥٤٠.

(٦) سبقت ترجمته ص٥٤١.

(٧) سبقت ترجمته ص٤٨٩.

(٨) تهذيب التهذيب ١٢/ ١٦٨، والتقريب ٦٥٤.

ثانياً : زيادة التمييز بذكر رواية له

جـ - قال أبو داود: سمعت محمد بن يحيى بن فارس يقول: «أبو نبيه[(١)] الذي حدث عنه ابن إسحاق[(٢)] في الإزار عن عائشه . . . . . الخ»[(٣)].

ثالثا : تمييز الراوي بذكر المحفوظ عنده في اسمه، وذكر حفيده، وتمييزه الحفيد بالرواة عنه والروايةله.

قال ابن خزيمه: قال لنا محمد بن يحيى يعني الذهلي: ابن أكيمه وهو عمار[(٤)] ويقال عامر والمحفوظ عندنا عمار، وهو جد عمرو بن مسلم[(٥)] الذي روى عنه مالك بن أنس ومحمد بن علقمه[(٦)] حديث أم سلمه اذا دخل العشر[(٧)]»[(٨)].

٥ ـ تمييز الراوي المنقلب اسمه بصيغة أشبه .

في ترجمة عياض بن هلال بن عبدالله، وقيل ابن أبي زهير، وقيل هلال ابن عياض الأنصاري .

قال المزي: قال الذهلي وأبو حاتم : [عياض بن هلال[(٩)] أشبه][(١٠)].

---

(١) سبقت ترجمته ص٥٢٣ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٢٤٤ .

(٣) تسمية الأخوة الذين روي عنهم الحديث ص ٦٩٦ .

(٤) سبقت ترجمته ٥٣٧ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٥٣٨ .

(٦) سبقت ترجمته ص٥٣٨ .

(٧) سبق تخريجه ص ٥٣٨ .

(٨) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٥٩

(٩) سبقت ترجمته ص٥٥٥ .

(١٠) تهذيب التهذيب ٨/ ١٨١ .

المطلب الثالث
مفاضلته بين الأسانيد

١ - المفاضلة بصيغة أشهر وأمتن.

(أ) قال أبو حامد ابن الشرقي : سألت محمد بن يحيى فقلت : أي الإسنادين أصح محمد بن عمرو[١] عن أبي سلمة[٢] عن أبي هريرة.

أو معمر عن همام بن منبه[٣] عن أبي هريرة.

فقال: إسناد محمد بن عمرو أشهر وإسناد معمر أمتن [٤].

ويظهر أن الإمام الذهلي قد تابع شيخه ابن المديني في تقرير حال هذين الإسنادين فقد وجه هو هذا السؤال إليه ولكن بصيغة أحب.

فقال: قلت لابن المديني: محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أحب إليك؟ أم معمر، عن همام، عن أبي هريرة؟

قال : محمد أشهر، وهذا أقوى. [٥] ومتابعته هذه لشيخه تسفر عن اقتناعه بماذهب إليه، وان اختلف تعبيرهما عن الإسناد الثاني فالمعنى مقارب فالقوة والمتانة مؤداها واحد.

ويطالعنا أبو عبدالله الحاكم باجتهاد خاص به ، فإن الإختلاف في مسألة أصح الأسانيد أمر بدهي، فالصحابة الرواة عن الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) سبقت ترجمته ص ٥٣٨.

(٢) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أحد أعلام المدينة، ثقة إمام، توفي سنة (٩٤). السير٤/ ٢٨٧.

(٣) هو همام بن منبه بن كامل بن سيج، من أبناء فارس الذين سكنوا اليمن، مات سنة (١٣١). مشاهير علماء والأمصار، لابن حبان ص١٢٣.

(٤) معرفه علوم الحديث، للحاكم النيسابوري ص ٥٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠.

كثيرون، والرواة عنهم من التابعين أكثر، وهكذا تتعدد الأسانيد إلى الصحابي الواحد، لذا نجده يقول: «فلايمكن أن يقطع الحكم في أصح الأسانيد لصحابي واحد»[1].

وبعد أن ساق أصح أسانيد عدد من الصحابة رضوان الله عليهم. قال: وأصح أسانيد اليمنيين «معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة»[2] واستشهد بقول الذهلي السابق... ولأن المسألة سبر أحوال الرواة جرحاً وتعديلاً وتحملاً وأداء، فقد أبدى لشيخه أبا أحمد الحاكم[3] وجهة نظره بحسب ماتوصل إليه عن رجال الإسنادين.

فقال: قلت لأبي أحمد الحافظ: محمد بن يحيى إمام غير مدافع إمامته ولكني أقول معمر بن راشد أثبت من محمد بن عمرو، وأبو سلمة أجل وأشرف وأثبت من همام بن منبه، فأعجبه هذا القول وقال فيه ماقال»[4].

ب - تحدث الأئمة عن حديث روي عن الزهري من عدة أوجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن فأرة سقطت في سمن، فقال« ألقوها وماحولها فاطرحوه، وكلوا سمنكم»[5].

---

(١) معرفة علوم الحديث ص٥٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سبقت ترجمته ص٣٢.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ٧٣.

(٥) الحديث أخرجه مالك في الاستئذان باب ما جاء في الفأرة تقع في سمن ٢/ ٩٧١ عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم سئل... الحديث، ومن طريقه أخرجه البخاري في الوضوء باب من يقع في النجاسات في السمن والماء ١/ ٣٤٣ عن ابن أبي أويس عنه به، وفي الذبايح والصيد باب إذا وقعت الفأرة في السمن الجامد أو الذائب ٩/ ١٦٧ عن عبد العزيز بن عبد الله عنه به، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى، كتاب الفرع والعتيرة باب الفأرة تقع في السمن ٧/ ١٧٨ عن يعقوب بن ابراهيم الدورقي ومحمد بن يحيى النيسابوري عن عبد الرحمن عنه به. =

والوجه الأول منها هو . . . الزهري عن عبيدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود [(١)] عن ابن عباس عن ميمونة[(٢)]،

والوجه الثاني . . . الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.

والوجه الثالث . . . الزهري عن سالم عن أبيه عبدالله بن عمر.

والوجه الرابع . . . أشار ابن القيم إلى أنه عن ابن جريج عن ابن شهاب.

= ومن طريق سفيان بن عيينة عن الزهري أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣٢٩ وأخرجه ابو داود في الأطعمة باب الفأرة تقع في السمن٤/ ١٨٠ مسدد، وأخرجه الترمذي في الأطعمة باب ما جاء في الفأرة تموت في السمن ٤/ ٢٢٥، عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وأبو عمار، والنسائي في السنن الصغرى كتاب القرع والعتيرة باب الفأرة تقع في السمن ٧/ ١٧٨ عن قتيبة، والدارمي في الطهارة باب الفأرة تقع في السمن عن محمد بن يوسف، كلهم عن سفيان بن عيينة عن الزهري به.

ومن طريق معمر عن الزهري أخرجه عبد الرزاق في مصنفه كتاب الطهارة باب الفأرة تموت في الودك ١/ ٨٤ وأبو داود ٤/ ١٨٢ عن أحمد بن صالح، والنسائي ٧/ ١٧٨ عن خشيش بن أصرم كلاهما عن عبد الرزاق عن عبد الرحمن بن بوذية عن معمر عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله . . الخ، وأخرجه من طريق الأوزاعي أحمد في مسنده ٦/ ٣٣٠ عن محمد بن مصعب عنه به. وأما طريق معمر عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة فقد أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١/ ٨٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٢، ٤٩٠ من طريق محمد بن جعفر وص٢٦٥ من طريق عبد الرزاق، وأخرجه أبو داود ٤/ ١٨٠ عن أحمد بن صالح والحسن ابن علي كلاهما عن عبد الرزاق، عن معمر عنه به وأخرجه أيضاً البغوي في شرح السنَّة من طريق محمد بن يحيى [الذهلي] عن عبد الرزاق عن معمر عنه به ١١/ ٢٥٧، وأما طريق الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه، فقد أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ٣/ ٨٧ من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عنه به.

وأما طريق ابن جريج فأخرجها عبد الرزاق عن عطاء، وعمرو بن دينار في المصنف ١/ ٨٥، ٨٦.

(١) سبقت ترجمته ص ٢٣٦.

(٢) هي ميمونة بنت الحارث الهلالية، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، تزوجها بسَرِفْ، سنة سبع وماتت بها سنة (٥١) على الصحيح، أسد الغابة ٧/ ٢٧٢، التقريب ص ٧٥٣. وسَرِفْ موضع على ستة أميال من مكة، معجم البلدان ٣/ ٢١٢

وقد بيّن الحافظ ابن قيم الجوزية ضعف الوجه الرابع وان لم يشر إلى مكان الضعف وكذلك ضعّف الوجه الثالث لوجود عبدالجبار بن عمر الأيلي[(١)] الذي قال عنه إنه ضعيف لايحتج به .[(٢)]

وبقي الوجهان الأول والثاني فأما الأول منهما وهو حديث ميمونة فقال عنه ابن القيم : « رواه الناس عن الزهري بهذا المتن والاسناد، ومتنه اخرجه البخاري في صحيحه والترمذي والنسائي وأصحاب الزهري كالمجمعين على ذلك» .

وقال عن الوجه الثاني الذي رواه معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه : « إن كان جامداً فألقوها وماحولها وإن كان مائعاً فلا تقربوه» قال : ولما كان ظاهر الإسناد في غاية الصحة . صحح الحديث جماعة، وقالوا هو على شرط الشيخين، وحكى عن محمد بن يحيى الذهلي تصحيحه .[(٣)]

لذا أورد الحافظ ابن حجر طريق معمر في الفتح ونقل كلام الإمام الذهلي عن الطريقين فقال :

قال الذهلي في الزهريات : «الطريقان عندنا محفوظان لكن طريق ابن عباس عن ميمونة أشهر»[(٤)]

وحيث أن هذا المقام مقام ذكر مفاضلته بين الطرق والأسانيد، فإني اكتفيت فيه بما يدل على المراد، وأمّا تسليط الضوء على كلام الأئمة في المحفوظ من طرق الحديث ومكان اختيار الذهلي منهم، فله موضعه الذي يليق به في هذا الباب وهو « مبحث جهوده في علل الحديث » .

---

(١) سبقت ترجمته ص ٤٥٧ .

(٢) تهذيب سنن أبي داود المطبوع بحاشية عون المعبود ١٠/ ٣٢٣ .

(٣) تهذيب سنن أبي داود المطبوع بحاشية عون المعبود١٠/ ٣١٨, ٣١٩ .

(٤) فتح الباري ١/ ٣٤٣ .

٢ - المفاضله بصيغة أصح :

. في حديث عبدالله بن زيد بن عبدربه[١] في الأذان

قال ابن خزيمة : «سمعت محمد بن يحيى يقول : ليس في أخبار عبدالله بن زيد في قصة الأذان خبر أصح من هذا لأن محمد بن عبدالله بن زيد[٢] سمعه من أبيه ، وعبدالرحمن ابن أبي ليلى[٣] لم يسمعه من عبدالله بن زيد»[٤] .

وسيكتمل الكلام عن هذا الحديث في مبحث تصحيحه للأحاديث .

---

(١) سبقت ترجمته ص ٥٧٦ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٥٧٦ .

(٣) سبقت ترجمته ٥٧٦ .

(٤) صحيح ابن خزيمة ١/ ١٩٣ ، سنن الترمذي ١/ ٣٥٩ ، السنن الكبرى للبيهقي ١/ ٣٩١ ، السنن الصغرى له ١/ ١١٩ ، تلخيص الحبير ١/ ٢٠٩ ، فتح الباري ٢/ ٧٨ وتمام سند الحديث كما في الصحيح . . قال ابن خزيمة نا محمد بن يحيى نا يعقوب بن ابراهيم حدثني أبي عن ابن إسحاق حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، حدثني أبي عبد الله بن زيد قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس ، فعمل ليضرب به للناس في الجمع للصلاة . . . الخ .
وأصل الحديث مخرج في السيرة النبوية لمحمد بن اسحاق التي هذبها ابن هشام ٢/ ٢٥٣ وانظر تعليقات السهيلي عليها في الروض الأنف ٢/ ٢٨٤ ومن طريق ابن إسحاق عن التميمي عن محمد بن عبد الله عن أبيه أخرجه أحمد ٤/ ٤٣ وأبوداود في الصلاة باب كيف الاذان ١/ ٣٣٧ والترمذي في الصلاة باب (١٣٩) ما جاء في بدء الآذان ١/ ٣٥٨ وانظر كلام العلامة أحمد شاكر ١/ ٣٦٠ ، ٣٦٢ والدارمي في الصلاة باب بدء الاذان ١/ ٢٨٦ وابن ماجه في الاذان باب بدء الاذان ١/ ٢٣٢ بالفاظ مقاربة وأخرجه من طريق ابن جريج عن نافع عن عبد الله بن عمر أحمد في مسنده ٢/ ١٤٨ والبخاري في الاذان باب بدء الاذان ١/ ١٦٩ ومسلم في الصلاة باب بدء الاذان ١/ ٢٨٥ والنسائي في السنن الصغرى . ؛كتاب الاذان باب بدء الاذان ٢/ ٢ بنحوه ، وأخرجه مختصراً عن أبي قلابه عن أنس البخاري في الموضع السابق ١/ ١٦٩ ، وفي الانبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤/ ١٧٤ ، ومسلم في الموضع السابق ١/ ٢٨٦ ، والنسائي في الموضع السابق ٢/ ٣ ، وأخرجه من طريق ابن إسحاق البيهقي في السنن الكبرى ١/ ٣٩٠ ، والصغرى ١/ ١١٩ .

٣ - **المفاضلة بصيغة أوقع .**

ذكر الإمام الذهبي سنداً عن عمرو بن علي حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن المحرر[(١)] قال : «كان اسم أبي عبدعمرو بن عبدغَنْم»

قال الذهلي : « هذا أوقع الروايات عندي على القلب»[(٢)] .

٤ - **المفاضلة بصيغة أشبه**[(*)]

ساق الإمام البيهقي سنده إلى محمد بن عمرويه[(٣)] قال : «سمعت محمد ابن يحيى يقول هذا الحديث[(٤)] برواية يونس والزبيدي وابن عيينة وشعيب وابن

---

(١) المحرر سبقت ترجمته ص ٥٤٣ .

(٢) السير ٢/ ٥٨٧ وكان الحافظ الذهبي قد ذكر قبله سند محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة (عبد شمس) وذكر أن ابن خزيمة قوّاه وقال : هذه دلالة أن اسمه كان عبد شمس . . . .
ثم قال : وهو أحسن اسناداً من حديث سفيان بن حسين عن الزهري إلا أن يكون له اسمان قبل ، ثم ساق طريق عمرو بن علي السابق وترجيح الذهلي له واعتماد النسائي له . " أ . هـ وانظر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩/ ١٠٧/ ١ .

(*) تحدث الدكتور همام في كتابه (العلل في الحديث دراسة منهجية في ضوء شرح علل الترمذي لابن رجب) عن حيدة النقاد عن البيان الواضح وتصريحهم بأن هذا الحديث يشبه حديث فلان أو هو بحديث فلان أشبه ، أو الاسناد الفلاني أشبه بالصواب ، وانطلق في حديثه عن هذه العبارات من قاعدة مهمة من قواعد الحافظ ابن رجب ، وتوصل في نهاية بحثه الماتع أن عبارة أشبه في كتب العلل تعني (الأسلم والأقرب إلى الصواب) وهو المعنى الذي أراده الإمام الذهلي في عبارته كما دل عليه السياق .
وقد بين الحافظ ابن رجب في قاعدته المشار إليها أن مثل هذه العبارات إنما يرجع فيها أهلها إلى مجرد الفهم ، والمعرفة ، التي خصوا بها عن سائر أهل العلم . . . .
قال رحمه الله : " حذاق النقاد من الحفاظ لكثرة ممارستهم للحديث ، ومعرفتهم بالرجال وأحاديث كل واحد منهم ، لهم فهم خاص يفهمون به أن هذا الحديث يشبه حديث فلان ولا يشبه حديث فلان فيعللون الأحاديث بذلك ، وهذا مما لا يعبر عنه بعبارة تحصره ، وإنما يرجع فيه أهله إلى مجرد الفهم ، والمعرفة ، التي خصوا بها عن سائر أهل العلم . "
شرح علل الترمذي لابن رجب ٢/ ٨٦١ ، والعلل في الحديث دراسة منهجية للدكتور همام عبدالرحيم ص ١٠٩ ، ١٥٩ .

(٣) هو محمد بن عمرو بن سليمان عمرويه سبقت ترجمته ص ٢٤٢ .

(٤) ومتنه . . . « الوتر حق فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل ومن لم يستطع فليوم إيماءً . . . » وهذا لفظ وهيب عن =

أبي إسحاق وعبدالرزاق عن معمر أشبه أن يكون غير مرفوع وانه ليتخالج في النفس من رواية الباقين مع رواية وهيب عن معمر والله أعلم»[1].

٥ ـ المفاضلة بصيغة أشرف

قال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، وعلي بن محمد، قالا: ثنا وكيع. ثنا سفيان عن بكير بن عطاء[2] سمعت عبدالرحمن بن يعمر الديلي[3]:

= معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي أيوب الأنصاري. موقوفا عليه.
وقد رواه مرفوعا أحمد ٥/ ٤١٨، والدارمي ١/ ٣٧١، وأبو داود٢/ ١٣٢ باب كم الوتر، والطحاوي في شرح معاني الاثار ١/ ٢٩١، والدارقطني ٢/ ٢٢، ٢٣ والبيهقي ٣/ ٢٧ من طرق مختلفة عن الزهري عن عطاء عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه موقوفا على أبي أيوب كل من عبد الرزاق في مصنفه ٤٦٣٣ عن معمر ٣/ ١٩، والنسائي في الصغرى ٣/ ٢٣٨ من طريق أبي مُعَيْد، وفي ٣/ ٢٣٩ من طريق الحارث بن مسكين، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٢٩١ من طريق يونس كلاهما عن سفيان. والحاكم في صحيحه ١/ ٣٠٣ من طريق محمد بن اسحاق أربعتهم عن الزهري عن عطاء عن أبي أيوب الأنصاري.
وقد نقل صاحب عون المعبود عن المنذري قوله " ومحتمل أن يكون يرويه من فتياه ومرة من روايته ٤/ ٢٩٦، ولكن ما ذهب إليه الذهلي من توقع واشتباه في كون الحديث موقوفاً لم يكن بدعاً ونشازاً من القول فقد رواه عنه وعن غيره من أساطين علل الحديث الحافظ ابن حجر وصوبه، قال رحمه الله: " وصحح أبو حاتم والذهلي والدارقطني في العلل والبيهقي وغير واحد وقفه وهو الصواب " تلخيص الحبير ٢/ ١٤.
وانظر في ذلك في التعليق المغني على الدارقطني للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق ٢/ ٢٣ وفي نيل الأوطار للشوكاني في ٣/ ٢٩٢ ونقله كذلك عنه الإمام محمد بن اسماعيل الصنعاني في سبل السلام شرح بلوغ المرام ٢/ ٨ ونقل أيضا ترجيح النسائي وقفه ثم علق قائلا: وله حكم الرفع إذ لا مسرح للاجتهاد فيه، أي في المقادير ".

(١) السنن الكبرى ٣/ ٢٧.

(٢) هو بكير بن عطاء الليثي، الكوفي، ثقة، روى عنه الثوري، الثقات ٤/ ٧٦. التقريب ص١٢٨.

(٣) هو عبد الرحمن بن يعمر الديلي. سكن الكوفة، روى عنه بكير بن عطاء. أسد الغابة ٣/ ٥٠٣.

قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو واقف بعرفة. وأتاه ناس من أهل نجد. فقالوا: يارسول الله! كيف الحج؟ قال: «الحج عرفة فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع[1] فقد تم حجه، أيام منى ثلاثه، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه» ثم أردف رجلاً خلفه فجعل ينادي بهنّ.

وقال: حدثنا محمد بن يحيى. ثنا عبدالرزاق. أنبأنا الثوري عن بكير بن عطاء الليثي، عن عبدالرحمن بن يعمر الديلي، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعرفة، فجاءه نفر من أهل نجد فذكر نحوه.

قال محمد بن يحيى: [ما أُرى للثوري حديثاً أشرف منه][2]

٦ ـ المفاضلة بين الأسانيد بتقديم بعضها على بعض.

قال الإمام ابن خزيمه «حدثنا محمد بن يحيى ثنا سليمان بن داود الهاشمي[3] قال أخبرنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي[4] أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبره أن الناس قالوا يارسول..... الخ»[5].

---

(١) جَمْع: علم للمزدلفة، سميت به لأن آدم عليه السلام وحواء لما أهبطا اجتمعا بها، النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٩٦.

(٢) سنن ابن ماجه كتاب المناسك باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ٢/ ١٠٠٣

(٣) هو سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، من كبار الأئمة، مات سنة (٢١٩). السير ١٠/ ٦٥٢.

(٤) هو عطاء بن يزيد الجُنْدَعي الليثي، أصله من المدينة، كان مولده سنة (٢٥)، ومات سنة (١٠٥). مشاهير علماء الأمصار ص١١٣. والجُنْدَعي بضم الجيم وسكون النون، نسبة إلى جُنْدَع وهو بطن من ليث، الأنساب ٢/ ٩٣.

(٥) هذا الإسناد والذي يليه في التوحيد لابن خزيمه ٢/ ٦٨٣ باب [٦٢] ذكر الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بقوله فيصيرون فحماً، أي أبدانهم خلا صورهم وآثار السجود منهم،..... الخ، حديث رقم (٢، ٣). وذكر أيضاً في ٢/ ٥٦٧ باب [٤٩] ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل. =

وقال: حدثنا محمد قال ثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عطاء ابن يزيد الليثي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الناس يارسول الله.

قال محمد بن يحيى، وساقا جميعاً الحديث بهذا الخبر، غير أنهما ربما اختلفا في اللفظ والشيء والمعنى واحد.

قال أبو بكر: « قدَّم محمد بن يحيى إسناد عبدالرزاق على حديث الهاشمي»(١)

ولا شك أن تقديم الذهلي لاسناد عبدالرزاق على إسناد حديث الهاشمي نابع من معرفة تامَّة بالرجال ورواياتهم وممارسة مستفيضه لأحاديثهم، ولاجدال في تخصص معمر بن راشد في حديث الزهري وضبطه له بالمقارنة مع إبراهيم بن سعد، ومن جهة أخرى فعبد الرزاق في طليعة تلاميذ معمر في اليمن، إن لم يكن قد حاز علمه كله، وعليه فإن إسناد عبدالرزاق عن معمر عن الزهري يقدم لعوامل طول الصحبة والممارسة والفهم الثاقب لأحوال المشايخ حال الرواية وسواها(٢).

ونص المتن كما في حديث رقم [١] (أن الناس قالوا يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فذكر الحديث بطوله وقال: (حتى إذا أراد رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحَّرم على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، وقد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياه فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنه والنار، وهو آخر أهل الجنه دخولاً) الخ ٢/ ٦٨٢.

والحديث أخرجه البخاري بتمامه في الأذان ١/ ٢١٩ باب [١٢٩] فضل السجود، وفي الرقاق ٧/ ٢٦١، باب (٥٢) الصراط جسر جهنم، عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري به.

ومسلم في الإيمان ١/ ٦٣ باب (٨١) معرفة طريق الرؤية عن طريق يعقوب بن إبراهيم وشعيب كلاهما عن الزهري به.

(١) التوحيد لابن خزيمه ٢/ ٦٨٣.

(٢) راجع في معرفة تقديم الأسانيد (العلل في الحديث) للدكتور همام عبدالرحيم ص ١٠٩ وص ١٥٩ حيث بيَّن أن التميز بين الأسانيد بالتقديم أو تعيين الأشبه بالصواب له عدة مبررات يعرفها أهل الصنعة الجهابذة، وأرشح من تلك المبررات لتقديم الإمام الذهلي لإسناد عبدالرزاق على اسناد الهاشمي ماذكره بقوله: «لأنه أضبط أو أتقن، أو أوثق، أو أثبت في شيخ ما ..... الخ.

المطلب الرابع
موازنته بين الأسانيد

المثال الأول:

قال ابن خزيمة[1] نا محمد بن يحيى، نامحمد بن كثير عن الأوزاعي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي سلمة وعبيدالله بن عبدالله عن أبي هريرة قال: سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ركعتين، فقال له ذوالشمالين[2]، من خزاعة حليف لبني زهرة، أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله؟ قال: كل لم يكن فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس، فقال «أصدق ذو اليدين»؟ قالوا: نعم! فأتم مابقي من صلاته (ولم يسجد سجدتي السهو حين يقنه الناس)[3].

ثم ساق ابن خزيمةخمسة أسانيد أولها مرسل لم يذكر فيه أبو هريرة والباقية مرفوعة عنه إلى النبى صلى الله عليه وسلم، ثم قال: سمعت محمد بن يحيى يقول في كتاب العلل بعد ذكره أسانيد هذه الأخبار، وقال بين ظهراني هذا الأسانيد:

– وحدثنا محمد، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة[4] وأبي بكر بن سليمان[5] عن أبي هريرة.

(١) في باب (٤٢٤) ذكر خبر رُوي في قصة ذي اليدين، أدرج لفظه الزهري في متن الحديث، فتوهم من لم يتبحر في العلم ولمَ يكتب من الحديث إلا نتفاً أن ابا هريرة قال تلك اللفظة التي قالها الزهري في آخر الخبر وتوهم أيضاً أن هذا الخبر الذي زاد فيه الزهري هذه اللفظة خلاف الأخبار الثابته أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد يوم ذي إليدين بعدما أتم صلاته. أ. هـ

(٢) هو عمير بن عبد عمرو، صحابي شهد بدراً وقتل بها، أسد الغابة ٢/ ١٧٤، نزهة الألباب في الألقاب ١/ ٢٩٦.

(٣) مابين القوسين مدرج من كلام الزهري وليس من الحديث، انظر كلام ابن خزيمة في هذا الصدد في صحيحه ٢/ ١٢٧. والحديث أخرجه البخاري في الأذان باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس عن أبي هريرة بنحوه ١/ ١٩٧.

(٤) سبقت ترجمته ص ٥٩٤.

(٥) هو أبو بكر بن سليمان ابن أبي حثمة، عبد الله بن حذيفة العدوي المدني، ثقة. التقريب ص٦٢٣.

- حدثنا محمد، قال: فيما قرأت على عبدالله بن نافع، وحدثني مطرف[1] عن مالك عن ابن شهاب عن أبي بكر بن سليمان ابن أبي حثمة قال: بلغني.

- وثنا محمد أيضاً، قال: وثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، نا أبي عن صالح عن ابن شهاب أن أبا بكر بن سليمان ابن أبي حثمة أخبره أنه بلغه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بهذا الخبر.

- ثنا محمد، ناأبو اليمان، قال، أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو بكر بن سليمان ابن أبي حثمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم . . . الخ.

- وثنا محمد، نامطرف، وقرأته على ابن نافع عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبدالرحمن. مثل ذلك.

- ثنا محمد. ونا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، نا أبي عن صالح. قال، قال ابن شهاب، وأخبرني هذا الخبر سعيد بن المسيب عن أبي هريرة. قال: وأخبرنيه أبو سلمة بن عبدالرحمن وأبو بكر ابن عبدالرحمن وعبيدالله بن عبدالله.

سمعت محمد بن يحيى يقول: وهذه الأسانيد عندنا محفوظة عن أبي هريرة إلاحديث أبي بكر بن سليمان ابن أبي حثمة، فإنه يتخالج في النفس منه أن يكون مرسلاً لرواية مالك وشعيب وصالح بن كيسان وقد عارضهم معمر فذكر في الحديث أبا هريرة. والله أعلم.[2]

المثال الثاني:

قال الدار قطني: «حدثنا أبو بكر النيسابوري ثنا محمد بن يحيى وإبراهيم ابن هانئ[3] قالا: نا أبو عاصم.ح

(١) هو مطرف بن عبد الله المديني أبو مصعب، روى عن مالك بن أنس، وهو ابن أخته، ثقة مات سنة (٢٢٠). الجرح والتعديل ٨/ ٣١٥، التقريب ص٥٣٤.

(٢) صحيح ابن خزيمه ٢/ ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧.

(٣) هو إبراهيم بن هانئ النيسابوري، سكن بغداد، يروي عن يزيد بن هارون، كان من اخوان أحمد بن حنبل، الثقات ٨/ ٨٣.

وحدثنا أبو بكر النيسابوري نا محمد بن يزيد بن طيفور وإبراهيم بن مرزوق قالا: حدثنا محمد بن عبدالله الأنصاري. ح

وحدثنا أبو بكر النيسابوري: نا أبو الأزهرْ والحسن بن يحيى قالا: حدثنا عبدالرزاق.

كلهم عن ابن جريج، عن أبيه قال: قال رسول اله صلى الله عليه وسلم: «إذا قاء[1] أحدكم أو قلس[2]، أو وجد مذياً وهو في الصلاة فلينصرف فليتوضأ، وليرجع فليبن على صلاته مالم يتكلم»

قال لنا أبو بكر: سمعت محمد بن يحيى يقول: هذا هو الصحيح عن ابن جريج، وهو مرسل، وأما حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة[3] عن عائشة الذي يرويه إسماعيل بن عياش[4] فليس بشيء»[5].

قال الحافظ البيهقي في المعرفة بعد نقله هذه العبارة:

وهكذا قال أحمد بن حنبل، وغيره من الحفاظ.[6] فنجد هنا أن الإمام الذهلي وازن بين الطرق المروية عن أبي عاصم والأنصاري وعبدالرزاق ثلاثتهم عن ابن جريج عن أبيه مرسلاً.

---

(١) قاء فلان ماأكل يَقيئُه قيْئاً إذا ألقاه. لسان العرب ١/ ١٣٥.

(٢) القَلْسُ: أن يبلغ الطعام إلى الحلق ملْءَ الحلق أو دونه ثم يرجع إلى الجوف، وقيل القيء، لسان العرب ٦/ ١٧٩.

(٣) سبقت ترجمته ص ٥٢٤.

(٤) سبقت ترجمته ص ١٥٨.

(٥) سنن الدار قطني ض١/ ١٥٥، وانظرمعرفة السنن والآثار للبيهقي ١/ ٤٢٣، و السنن الكبرى له١/ ١٤٣.

(٦) معرفة السنن والآثار ١/ ٤٢٣. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي.

وبيّن الطريق الذي يرويه إسماعيل بن عياش عنه عن ابن أبي مليكة عن عائشة، وحكم بأنه ليس بشيء، وذلك لأن الأئمة يحتجون بحديثه عن الشاميين، وأما حديثه عن أهل الحجاز فلا يصححونه.

قال أبو طالب سمعت أحمد بن حنبل يقول: «إسماعيل بن عياش ماروى عن الشاميين صحيح، وماروى عن أهل الحجاز فليس بصحيح»[(١)].

وهو كما قال ابن عدي في نهاية ترجمته« حديث العراقيين إذا رواه ابن عياش عنهم فلا يخلو من غلط يغلط فيه، إما أن يكون حديث موصول يرسله أو مرسل يوصله أو موقوفا يرفعه، وحديثه عن الشاميين إذا روى عنه ثقة فهو مستقيم، وفي الجملة إسماعيل بن عياش ممن يكتب حديثه، ويحتج به في حديث الشاميين خاصة»[(٢)].

وإسماعيل بن عياش قد روى هذا الحديث عن ابن جريج على أوجه أخرى.

قال الإمام البيهقي بعد إيراده للوجه الذي انتقده الإمام الذهلي.

قال: «هكذا رواه إسماعيل بن عياش عن ابن جريج[(٣)]، ورواه مرة أخرى عن ابن جريج عن أبيه عن عائشه، وكلاهما غير محفوظ[(٤)]، ورواه

---

(١) الكامل لابن عدي ١/ ٢٩٢، التعليق المغني على الدار قطني، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ١/ ١٥٥، السنن الكبرى للبيهقي ١/ ١٤٢.

(٢) الكامل ١/ ٣٠٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب ماجاء في البناء على الصلاة ١/ ٣٨٥ وقال الحافظ شهاب الدين البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: في إسناده إسماعيل بن عياش وقد روى عن الحجازين وروايته عنهم ضعيفه (١/ ١٤٤) وأخرجه الدار قطني ١/ ١٥٣ والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ١٤٢.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ١/ ١٤٢.

مرة ثالثـه عن ابن جـريج عن أبيـه عن النبي صلى الله عليـه وسـلم مرسلاً، وهو المحفوظ»[1]

وسأل أبو طالب أيضاً الإمام أحمد عن حديث ابن عياش، عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم، قال: [من قاء أو رعف أو أحدث في صلاته فليذهب فليتوضأ ثم ليبن على صلاته].

فقال: هكذا رواه ابن عياش، إنما رواه ابن جريج. ، فقال عن أبي، وإنما هو عن أبيه، ولم يسنده عن أبيه ليس فيه عائشة ولا النبي صلى الله عليه وسلم. وعلق على حديثه عن أهل المدينة وأهل العراق بأن فيه ضعف وأنه يغلط[2].

وعلى هذا فتـضـعـيف الذهلي لذلك الطريق جاء مـوافـقـاً لما عـرف عن إسماعيل في حديثه عن الحجازيين، وتصحيحه للمرسل عن ابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم لحفظ أصحاب ابن جريج الآخرين له على تلك الحالة من الإرسال.

---

(١) أخرجه الدار قطني في سننه ١/ ١٥٤، والبيهقي في سننه الكبرى ١/ ١٤٣، وفي معرفة السنن والآثار ١/ ٤٢٣.

(٢) الكامل لابن عدي ١/ ٢٩٢.

المبحث الخامس
معرفته بشئون الرواة الخاصة

سبق وأن اطلعنا في المباحث السابقة على جهود الإمام الذهلي في الكشف عن أحوال الرواة العامة، بما له أثر في التعريف بهم وبأوطانهم ووفياتهم وسماعاتهم، وفي هذا المبحث نستعرض بعض لمساته على أحوالهم الخاصة، سواء كانت خاصة بروايتهم للحديث، أو خاصّة بهم كأشخاص رووْا الحديث .

وفي لمساته هذه دلالةٌ على مدى تقصيه لكل مايسلِّط الأضواء على الرواة ويبرزهم للعيان .

المطلب الأول : معرفته بمقدار ماعند الرواة من الحديث

أولاً : كنايته عن كثرة أحاديث الرواة بلفظ «التبحر» وعن التوسط بلفظ «قطيع» .

في ترجمة سليمان بن بلال التيمي القرشي [١] . قال الإمام المزي :

أ - قال الذهلي : ماظننتُ أن عند سليمان بن بلال من الحديث ماعنده حتى نظرت في كتاب ابن أبي أويس [٢] ، فإذا هو قد تبحر في حديث المدنيين» [٣] .

ب - وزاد الذهبي على رواية المزي قوله : «وإذا هو قد روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري [٤] قطيعاً من حديث الزهري ، وعن يونس الأيلي [٥]» [٦] .

---

(١) سبقت ترجمته ٤٨٦ .

(٢) هو إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس الأصبحي المدني ، قال ابن حنبل : هو عالم كثير العلم . مات سنة (٢٢٦) السير ١٠/ ٣٩١ .

(٣) تهذيب التهذيب ٤/ ١٥٤ .

(٤) هو يحيى بن سعيد بن قيس أبو سعيد الأنصاري ، عالم المدينة ، قال العجلي : كان رجلاً صالحاً فقيهاً ثقة . مات سنة (١٤٣) تاريخ الثقات ص٤٧٢ ، السير ٥/ ٤٦٨ .

(٥) سبقت ترجمته ٥١٧ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

ثانياً : تصريحه بمدى كثرة أو قلة روايتهم للحديث .

أ - قال : إبراهيم بن سعد روى عن الزهري ، وعن أصحاب الزهري عنه ، وكثرت روايته لحديث الزهري ، وأغرب عنه[1] ، ومدار حديثه على ابنه يعقوب ابن إبراهيم ، سمع هو وأخوه سعد الكتب ، قال : فمات سعد قبل أن يكتب عنه كبير أحد ، وبقي يعقوب ، فكتب الناس عنه ، فوجدوا عنه علماً جليلاً من حديث الزهري وغيره»[2] .

ب - وقال عن ابن أبي عتيق[3] :

هو حسن الحديث عن الزهري كثير الرواية . . . الخ»[4] .

جـ - وقال عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن أبي ربيعة المخزومي[5] . وأمه أم كلثوم بنت أبي بكر ، فإن الزهري قد روى عنه حديثين»[6] .

المطلب الثاني : معرفته بمن تدور عليهم أحاديث الرواة.

لمعرفة من تدور عليهم الأحاديث أو الأسانيد أهمية كبرى في علم علل الحديث ، إذ بإدراك مدى كثرة رواية الراوي عن شخص بعينه أثر في معرفة أوثق الناس في هذا الراوي ، وثانياً في معرفة أكثرهم جمعاً ورواية عنه . ومن ثم يتكون لدى الناقد الحصيف منهجاً دقيقاً يستعين به في نقده للرواة .[7]

---

(١) الإغراب : هو الإتيان عن المحدث بما لا يعرف عنه ، ومن ذلك ما رواه الإمام مالك : شر العلم الغريب ، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس . انظر شرح علل الترمذي لابن رجب ٢/ ٦٢١ - ٦٢٤ .

(٢) تهذيب الكمال (٣٢/ ٣١٠) ، السير ٩/ ٤٩٢ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٨٦ .

(٤) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٦ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٥٨٩ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٢/ ١٦٢ .

(٧) بتصرف انظر العلل في الحديث دراسة منهجية للدكتور همام عبدالرحيم .

١ - قال عند ترجمته إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عو ف الزهري. [(١)] : « ومدار حديثه على ابنه يعقوب بن إبراهيم»[(٢)].

٢ - وقال في تعليق له على حديث الوسوسة[(٣)].

(. . . . . وكان يحيى بن عمار[(٤)] عامة روايته عن أبي سعيد[(٥)])[(٦)].

المطلب الثالث : معرفته بأقارب الرواة

أولاً : الجَدُّ

أ - قال في تعريفه بعمارة بن أكيمه الليثي المدني : «ابن أكيمة وهو عمار ويقال عامر والمحفوظ عندنا عمار، وهو جَدُّ عمرو بن مسلم. . . الخ»[(٧)].

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٥١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩٢، وقد نقل ابن حجر في التهذيب ١١/ ٣٣٤ كلام الذهلي السابق ولكن فيه خطأ [على أبيه يعقوب] والأقرب أنه تصحيف من ابنه.

(٣) انظر الحديث بتمامه في تعظيم قدر الصلاة للإمام محمد بن نصر المروزي، تحقيق د. عبدالرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ٢/ ١٠٠٤ حديث (١٠٧٩) مروي عن طريق الذهلي عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثنا ابي عن الزهري عن يحيى بن عمارة ابن أبي حسن المازني أنه بلغه أن رجالاً من أصحاب رسول الله صلى اله عليه وسلم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة التي وسوسها الشيطان في أنفسهم . . . الحديث . . . وأورده المؤلف بحديث رقم ٧٨٢، ٧٨٤، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ٣/ ١٠٢٢ حديث رقم ١٢٢٨، وأحمد ٦/ ١٠٦ ووكيع في الزهد (حديث رقم ٢٢٦) وهناد السَّرِّي في الزهد (حديث رقم ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤) وأخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٣٨٨. كلهم من طرق مختلفة.

وله شواهد عند مسلم ١/ ١١٩ الإيمان باب بيان الوسوسة، وأبوداود في السنن ٥/ ٣٣٦ الأدب باب في رد الوسوسة وابن منده في الإيمان (٢/ ٤٧١، ٤٧٣) عن ابي هريرة.

(٤) هو يحيى بن عمارة ابن أبي الحسن المازني الأنصاري، من أهل المدينة، يروي عن أبي سعيد، روى عنه الزهري وابنه عمرو. الثقات ٥/ ٥٢٢.

(٥) أبو سعيد الخدري هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، مشهور بكنيته، من فضلاء الصحابة، توفي عام (٧٤). أسد الغابة ٢/ ٣٦٥.

(٦) تعظيم قدر الصلاة ٢/ ١٠٠٥.

(٧) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٥٩ وانظر التعريف بالجد وحفيده في معرفته بالأسماء والكنى ص ٤١٠-٤١١.

ب - وقال عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري .

« ماأظنه سمع من جده شيئاً»[١] .

ثانياً: الأب والعم.

أ - قال بعد أن روى حديثاً عن عبّاد بن العوام: اضطرب الناس في هذا الحديث ببغداد فذهبت أنا وأبو بكر الأعين إلى العوام بن عباد بن العوام فأخرج إلينا أصل أبيه فإذا الحديث فيه[٢]

ب - قال عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري:

« . . . . . وإنما رواية عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه وعمه عبيدالله بن كعب»[٣]

جـ - قال عن محمد ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[٤] عند تعرضه لعلة أحد الأحاديث :

« . . . فكأن الحديث قد صار عن الزهري عن محمد ابن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه[٥] .

ثالثا : الأم.

عَرّف بإبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن أبي ربيعة المخزومي وميزه عن غيره بأمه فقال: وأمه أم كلثوم بنت أبي بكر . . . . . الخ»[٦] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٦/ ١٩٥ ، والتنبيه على الأوهام للجياني ص ١٧١ .

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٢٢٥ ، وانظر ترجمة الرواة ص ٤٥٦ .

(٣) التنبيه على الأوهام للجياني ص١٧١ ، وقد سبقت تراجم الرواة. ص ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

(٤) هو محمد ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني ، أبو عبد الملك ، كان على القضاء بالمدينة ، مات سنة (١٣٢) . مشاهير علماء الأمصار ص ١٢٨ .

(٥) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/ ١٠٠٥ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٢/ ١٦٢ . وقد سبقت تراجم الرواة. ص ٥٨٩ .

رابعاً : الإخوة

أ - قال عند تعريفه بيعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف الزهري : وكان قد سمع هو وأخوه سعد الكتب فمات أخوه قبل أن يكتب عنه كثير جداً . . . . الخ»[1] .

ب - قال معرفاً بأبي نبيه التيمي

أبو نبيهْ الذي حدث عنه ابن إسحاق في الإزار عن عائشة هو «أخو» محمد ابن إبراهيم بن الحارث التيمي»[2] .

خامساً : الأبناء .

أ - ذكر أبناء راشد الجزري فقال :

« . . . . والنعمان، وإسحاق أبناء راشد الجزريان . . . . الخ»

ومفهوم كلامه هذا أنهما أَخَوَان، لذا قال ابن حجر : وممن جزم أن إسحاق والنعمان أخوان الذهلي[3] .

ب - وذكر أبناء عبدالله بن الحارث بن نوفل، فقال :

«لعبدالله بن الحارث بن نوفل ثلاثة بنين : عبدالله وعبيدالله ومحمد بنو عبدالله بن الحارث بن نوفل»

وقد أيدَّ كلام الذهلي الحافظ أحمد بن صالح فذكر نحوه ثم قال : وهؤلاء كلهم اخوة»[4] .

---

(١) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٣٤، وانظر التعريف بهما في معرفته بالإخوة .

(٢) أبو داود السجستاني : تسمية الأخوة الذين رُوي عنهم الحديث ص ١٩٦ .

(٣) تهذيب التهذيب ١/ ٢٠٢، وانظر التعريف بهما ص ٥٢٣ في معرفته بالأخوة

(٤) التمهيد ٨/ ٣٤١ وانظر التعريف بهم ص ٥٢٤ في معرفته بالأخوة

سادسا : ابن الابن .

قال في علل حديث الزهري عن عبيدالله ابن أبي زياد الرصافي :

«وعبيدالله ابن أبي زياد من أهل الرصافه لم أعلم له راوياً غير ابن ابنه ..... الخ»[1] .

المطلب الرابع : متفرقات في أخبار الرواة الخاصة

أولاً : معرفته بوظائف الرواة .

١ - قال عن هلال بن رداد الطائي : «كان من كتبة هشام ..... الخ»[2] .

وفيما ذكره البدر العيني في شرحه على البخاري قال : قال الذهلي : كان كاتباً لهشام»[3]

٢ - وقال عن أبي صالح : حدثنا حجاج بن منهال وأبي صالح كاتب الليث»[4] .

ثانيا : معرفته بمن كان يقود كعب بن مالك حين كُفَّ بَصَرُه من أبنائه وأحفاده.

سَرَدَ الإمام الذهلي أبناء وأحفاد كعب بن مالك الذين رآهم أو سمع منهم .

---

(١) تهذيب التهذيب ٧/ ١٣ ، وانظر التعريف به ص ٤٨٥ .

(٢) الأغلب أنه هشام بن عبدالملك، ومما يستأنس به للتدليل على ذلك ماذكره الإمام المزي عن شعيب ابن أبي حمزة أنه كان من كتاب هشام بن عبدالملك على نفقاته ، تهذيب الكمال ١٢/ ٥١٩ .

(٣) انظر نقل المزي لذلك عنه في تهذيب التهذيب لابن حجر ١١/ ٧٠ وفي جوابه عن حال هلال الطائي الذي ضمنه السبكي طبقاته الكبرى للشافعي (١٠/ ٤٠٤) وانظر عمدة القاري ١/ ٣٠٥ .

(٤) منتقى ابن الجارود، باب صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٧٩ .

فقـال: « سمـع الزهــري من عبداللـه بن كـعب، وكـان قائـد أبيه حين عَمِيَ . . . . الخ»[١]

هذه رواية ابن عبدالبر وأما أبو علي الغساني الجياني فقال: « . . . عبدالله ابن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عَمِيَ»[٢] وجدير بالذكر أنه حين سرد من رآهم أو سـمع عنهم من أبناء وأحـفـاد كـعب بن مـالك قـد قـال: « وسـمع من عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب قائد كعب . . . » وهو بهذا كررّ من يقود كعب مـرتين، إحــداهمــا عند ذكـر ابنه عـبـدالله، والأخـرى عند ذكـر ابن ابنه عبدالرحمن . . . ولا أعلم أهُوَ يريد الإشارة إلى أن عبدالرحمن كان يقود جده كعب بن مالك أيضاً؟ ويتقوى هذه الظن بما ذكره ابن حجر في الإصابة[٣] أنه من ضمن الرواة من الأبناء والأحفاد عن كعب وعلى هذا فممكن أن يكون شارك أباه في هذا البر الغالي.

ثالثاً : معرفته بالمبتدعة من الرواة

سئل رحمه الله عن إسماعيل بن سميع الحنفي فقال: كان بيهسياً كان ممن يبغض علياً»[٤]

رابعاً : معرفته بأهل العبادة من الرواة .

قال عن فديك بن سليمان القيسراني العابد[٥]: كان من العبَّاد [٦]

---

(١) التمهيد ١١/ ٥٥، وقد سبق نقل سياقه كاملاً في مادة اعتناؤه بمعرفة أبناء الصحابه.

(٢) التنبيه على الأوهام ص ١٧١.

(٣) قال في ترجمته كعب بن مالك: « روى عن أولاده عبدالله وعبدالرحمن وعبيدالله ومعبد ومحمد، وابن ابنه عبدالرحمن بن عبدالله» الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ٣٠٥.

(٤) تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧، التقريب ١٠٨، الكاشف ١/ ١٢٤، وانظر ترجمته والتعريف في ص ٢٧٠.

(٥) هو فديك بن سليمان أبو معشر القيسراني، روى عن الأوزعي. ذكره ابن حبان في الثقات. تهذيب التهذيب ٨/ ٢٣١.

(٦) تهذيب التهذيب ٨/ ٢٣١.

خامساً : وقوفه على زمن رحلة يحيى بن معين إلى أبي اليمان :

قال أبو عمرو البرذعي : قلت لمحمد بن يحيى : في حديث أنس ، عن أم حبيبة حديث شعيب ابن أبي حمزة ، حدثكم به أبو اليمان وقال عن ابن أبي حسين ؟ فقال لي محمد بن يحيى : نعم حدثنا به من أصله عن ابن أبي حسين. فقلت له : حدثنا به غير واحد، عن أبي اليمان ، فقالوا : عن الزهري فقال : لقنوه ، عن الزهري . قلت : يحيى بن معين رحل إليه قبلك أو بعدك ؟ وذاك أن يحيى روى هذا عن أبي اليمان، وقال : عن الزهري . فقال لي محمد بن يحيى : يحيى رحل إليه بعدي . . . . الخ »[1]

سادساً : ذكره بعض صفات الرواة الخلقية :

قال أبو عمرو المستملي[2]: سمعت محمد بن يحيى يقول : حدثني سفيان ابن يحيى الواسطي[3] وكان شيخاً قصيراً ، أحمر الرأس واللحية، كتبت عنه أربعة أحاديث بواسط سنة تسع وتسعين و مائة . »[4]

سابعاً : معرفته بمن كان ثبتاً في شيخ بعينه .

١ - قال عن أبي النعمان الحكم بن عبد الله القيسي [5]: « . . . . وكان ثبتاً في شعبة»[6]

---

(١) أسئلة البرذعي لأبي زرعة ملحق بكتاب الضعفاء لأبي زرعة. ٢/ ٧٤٦ وانظر التراجم ومعنى التلقين وعرض المعلومة بايجاز في معرفته بالتلقين وأنه يقدح في ضبط الراوي ص ٤٢٠-٤٢١ الفصل الأول.

(٢) سبقت ترجمته ص ٦٢ .

(٣) لم أجد ترجمته.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٢.

(٥) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٦) التهذيب التهذيب ٢/ ٣٧٢.

٢ – وقال عن زائدة الثقفي [١] : « . . . وهو متقن عن الأعمش [٢] » [٣]

ثامناً : معرفته بلهجات بعض البلاد مما له أثر في معنى الحديث

أخرج ابن ماجه حديث البطاقة في سننه وفي آخره قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « . . . . فطاشت السجلات وثقلت البطاقة » [٤]

ثم قال محمد بن يحيى : « البطاقة الرقعة ، وأهل مصر يقولون للرقعة : بطاقة » [٥]

ومن كلامه رحمه الله نستشف أن أهل نيسابور وماجاورها يسمونها رقعة .

تاسعاً : ذكره مفاجأة الموت لبعض الرواة .

أ – قال عن أبي النعمان الحكم بن عبد الله القيسي [٦] السالف الذكر : « وكان ثبتاً في شعبه عاجله الموت » [٧]

ب – في حديثه السابق عن يعقوب وسعد ابني ابراهيم بن سعد الزهري . قال عنهما : « سمع هو وأخوه سعد الكتب ، قال فمات سعد قبل أن يكتب عنه كبير أحد ، وبقي يعقوب فكتب الناس عنه » [٨] . وقوله هذا موحٍ بأن سعداً لو عاش لكانت له مكانة حديثية ، ومثل هذه الإشارة أثرت عن الأئمة فقد قال

---

(١) سبقت ترجمته ص ٤٤٨ .

(٢) الأعمش هو سليمان بن مهران سبقت ترجمته ص ١٢٢ .

(٣) فتح الباري (٢/ ١٩) .

(٤) أخرجه الترمذي في الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله . ٥/ ٢٥ ، وأحمد في مسنده ٢/ ٢١٣ .

(٥) سنن ابن ماجه ٢/ ١٤٣٧ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٤٤٠ .

(٧) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٧٢ .

(٨) تهذيب الكمال ٣٢/ ٣١٠ ، والسير ٩/ ٤٩٢ .

الحافظ ابن حجر في محمد بن علي بن أيبك السروجي « لو علت سنُّه لكان أعجوبة الزمان »(١)

وكما قال قبله الذهبي في عمر بن عبد العزيز : « أن موته قريب من موت شيوخه فلم ينتشر علمه »(٢)

عاشراً : تتبعه لأحوال مالك بن أنس واستعارته صاعه المعيَّر على صاع النبي صلى الله عليه وسلم لمعرفة مقداره .

قال الحافظ البيهقي : وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال قرأت بخط أبي عمرو المستملي سمعت محمد يحيى الذهلي يقول : استعرت من اسماعيل ابن أبي أويس(٣) صاع مالك بن أنس فوجدت عليه مكتوباً صاع مالك بن أنس معيَّر على صاع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا أحسبني إلا عيرته بالعدس فوجدته خمسة أرطال وثلث »(٤)

---

(١) طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٦٤ المذيَّل على تذكرة الحفاظ للذهبي . .
(٢) تذكرة الحافظ، ١/ ١١٩ .
(٣) سبقت ترجمته ص ٦٠٨ .
(٤) سنن البيهقي الكبري ٤/ ١٧١ .

الفصل الثاني

أثر الإمام الذهلي في علوم رواية الحديث

وتحته المباحث التاليـــــة :

المبـــحث الأول : أثره في آداب طالب الحديث من خلال التزامه بها .

المبـحث الثـاني : أثره فـي آداب المحــدث من خـــلال اتصافه بها .

المبـحث الثـالث : أثره في أنواع الآداء والتحمل .

المبـــحث الرابع : أثره في كتابة الحديث .

المبحث الخامس : أثره في رواية الحديث .

تمهيـــد :

بعد الاطلاع على تضلع الإمام محمد بن يحيى الذهلي بعلوم رواة الحديث المعرفة بأحوالهم العلمية، أو أحوالهم الشخصية. نأتي في هذا الفصل والذي يعتبر مرحلة تالية وطبيعية للفصل الأول.

والرواية عند المحدثين هي: حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عُزِيَ إليه بصيغة من صيغ الأداء. [1]

وفي هذا الفصل نعيش مع الإمام الذهلي مواقف تربوية أدبية علمية من خلال التزامه بآداب طالب الحديث، ومن كان كذلك حاله أيام الطلب، فإنه يتصف بها وينشرها حال التحديث والأداء والتعليم، وهذا ما سنلمسه في المبحثين الأول والثاني.

ثم نتعرف على جهوده العلمية في صيغ الأداء والتحمل، والتي تعتبر نتيجة عملية لتلقي علم الحديث وغيره من العلوم.

ويرتبط بذلك أثره في كتابة وتدوين الحديث من خلال بعض الإشارات التي أعتبرت قواعد يرجع إليها في هذا الفرع المهم من فروع مصطلح الحديث.

ونَطَّلِعْ في المبحث الخامس على أحوال الإمام الذهلي وهو يروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبدؤها بعشرة أمثلة من رواياته ثم نطالع منهجه في الرواية، فنستخلص في القسم الأول خصائص منهجه في عشرة فروع متوالية، نَلْمَحُ من خلالها كم أثرى هذا العلم بتقعيداته وتأصيلاته.

ونقارن في القسم الثاني بين رواياته وروايات غيره من المحدثين، ونختمه بمقارنته ومعارضته بين الروايات.

ومن خلال صفحات هذا الفصل ندرك مدى اتساع أفق الإمام الذهلي العلمي والأدبي، وكذلك مدى تأهله لرواية الحديث النبوي الشريف، وتحليه بصفات أهله.

---

(١) المنهج الحديث في علوم الحديث، قسم الرواية للدكتور محمد السماحي ص٢٩.

المبحث الاول
أثره في آداب طالب العلم

آداب طالب العلم كثيرة ومتنوعة ، وقد ذكر جماعها علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ونظم بحبات اللؤلؤ عقد حقوق العالم على المتعلم ، [(١)] كما بين الأصمعي خصال المتعلم وصفاته الأساسية فقال : " واما التي في المتعلم ، فالحرص والفراغ والحفظ والعقل لانه ان لم يكن له عقل لم يفهم ، وان لم يكن له حرص لم يتعلم وان لم يفرغ قلبه للعلم لم يعقل عن معلمه وساء حفظه واذا ساء حفظه كان ما يكون بينهما مثل الكتاب والماء " [(٢)] وقد أثر عن الإمام الذهلي رحمه الله تعالى أيام طلبه للعلم صور من الآداب والأخلاق النبيلة تضاف إلى ديوان هذه الامة المجيدة ، كما يسترشد بذكرها . ومنها :

أولا : (الصبر) :

أ- صبره على تمنع مشايخه .. مع يقينه بخيرة الله له :

كان الإمام الذهلي قد ألح على ابراهيم بن الحكم بن أبان [(٣)] أن يحدثه بحديث عنده فامتنع عليه وكان يعلم ان هذا الشيخ ليس كغيره في الثقة والحفظ ، بل كان كما ذكر الدارقطني : ضعيفا وكما قال ابن معين : ليس بثقة ، وكما ذكره يعقوب الفسوي في باب من يرغب عن الرواية عنهم [(٤)] وكأن الذهلي يريد هذا

(١) قال رضي الله عنه : من حق العالم على المتعلم أن تسلم على القوم عامّة وتخصه بالتحيّة ، وان تجلس أمامه ولاتشيرنّ عنده بيديك ، ولاتعمد بعينيك غيره ، ولاتقولن قال فلان خلاف قوله ، ولاتغتابن عنده أحداً ، ولا تطلبنّ عثرته ، وان زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره لله تعالى ، وان كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته ولاتسار في مجلسه ، ولاتأخذ بثوبه ، ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولاتشبع من طول صحبته فانما هو كالنخله تنتظر متى يسقط عليك منها شيء . . . الخ» تذكره السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لبدر الدين ابن جماعة الكناني . ص ١٠٠ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣٤٣ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٦٠ .

(٤) انظر تهذيب التهذيب ١/ ١٠٠ .

هذا الحديث بالذات وان كان موقوفا على ابن عباس فلم يمعن رحمه الله في الالحاح بل تركه ولسان حاله يقول : " اللهم خر لي واختر لي» . لانه بين أمرين إما أن يترك طلب هذا الحديث وهذا عسير عليه -ونهم الذهلي بالحديث وجمعه ومعرفه علله معلومة- وإما أن يلح على شيخه وهو يتمنع على عنف وحالة غير مرضية عند العلماء .

وفي مثل هذه الأحوال يتوجب سلوك طريق السلامة من بلبلة لا طائل من ورائها ، وارتياد منتجع يحفظ فيه ماء الوجه ، وقد عدد القاضي عياض جملة من آداب طالب السماع فقال : يجب على كل طالب علم التخلق بأخلاق أهله ، والتزام زيهم والتأدب بأداب حملته ، ولزوم السكينة والوقار ، واخلاص النية لله فيه ، والتواضع لمن يأخذ عنه ، وتعظيمه وتوقيره والصبر على ما يلقاه منه . . . الخ " (١)

والإمام الذهلي صبر على تمنع إبراهيم بن الحكم حتى خار الله له بشيخ أوثق . وهذه القصة بكاملها مع ذكر نهاية صبره الحسنة .

قال إمام الأئمة ابن خزيمة (حدثنا محمد بن يحيى - أسكنه الله فسيح جناته - ثنا يزيد ابن أبي حكيم العدني (٢) ثنا الحكم بن ابان سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس : سئل « هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ قال : نعم ، قال: فقلت لابن عباس : أليس الله يقول " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار . . »

قال : لا أم لك ، ذلك نوره إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء " (٣)

---

(١) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص٤٥ ، للقاضي عياض، تحقيق- سيد صقر .

(٢) سبقت ترجمته ص١٣٧ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٥٣ ، ومن سورة النجم ٥/٣٦٨، وابن أبي عاصم في كتاب السنة باب ٩٤ ، ما ذكر من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه تعالى، ١/١٨٨ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، في سياق ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه ٣/ ٥٢١ .

قال محمد بن يحيى : (امتنع عليّ إبراهيم بن الحكم في هذا الحديث، فخار الله اجل منه يعني يزيد ابن أبي حكيم اجل من إبراهيم بن الحكم أي انه اوثق منه .

قال محمد بن يحيى : قال لي ابنه : يعني إبراهيم بن الحكم تعالى حتى يحدثك فلم أذهب " (١)

قلت : وفي هذه الرواية نلمس مدى حب وتقدير ابن خزيمة لشيخه الذهلي حيث اعترض اسناده بتلك الدعوة الغالية مما يدل على تأثره بعلمه وأخلاقه ومنهجه .

ونلمس من الذهلي أدب الصبر وقياس الأمور على أساس مبني على العلاقة بالله وانتظار فرجه وخيرته وتوفيقه . . . . وهو ما يجب على كل متحل بالعلم اتباعه .

ب ـ صبره على الانتقاد اللاذع في العمل العلمي وتقبله بكل رحابة صدر :

ومن كان متصديا لعمل علمي يرجو بركته وفائدته ، فانه لا يستغني بحال عن ارشادات وتوجيهات وانتقادات السابقين له في هذا المضمار ، والإمام الذهلي قد أولى مرويات الإمام محمد بن شهاب الزهري عناية كبرى وأمضى في جمعها الأيام والليالي ، فكان أن عرضها أولاً على شيخه علي ابن المديني فنظر فيها فقال : أنت وارث الزهري" فبلغ ذلك أحمد بن صالح المصري ، فلما دخل مصر قال له أحمد بن صالح – وكانا يتذاكران حديث الزهري – انت الذي سماك علي ابن المديني وارث الزهري ؟!! فقال : نعم ! قال : بل أنت فاضح الزهري !!! فقال : لم ؟ قال : " لأنك ادخلت في جمعك أحاديث للضعفاء

---

(١) التوحيد للإمام ابن خزيمة ١/ ٤٨١ .

عن الزهري ، قال رحمه الله : فلما تبحرت في العلم ، ضربت على الأحاديث التي اشار اليها وبينت عللها " .[1]

فلم تتململ به الارض لما فجأه بذلك النقد اللاذع ، بعد تعبه وسهره وثناء من أثنى عليه ، بل سآء له بكل رحابة صدر عن السبب وعمل بمقتضاه ، فكانت نتيجة توطين النفس على مثل هذه المواقف لها أبلغ الأثر في التوجه العلمي السليم والانتاج المتميز عند الإمام الذهلي .

جـ ـ ومما يدل على تحمله الانتقاد ومقابلته بالخجل المحمود:

أنه ذكر حديثا فيه ضعف عند أحمد بن حنبل ، فقال له أحمد : لا تذكر مثل هذا الحديث فكأن محمد بن يحيى دخله خجله ، فقال له أحمد : إنما قلت هذا إجلالا لك يا ابا عبدالله .[2]

وأردت بالخجل المحمود ذلك الشعور الفطري في مثل هذه المواقف ، لا الحياء والخجل الذي لا محصلة من ورائه إلا التواري عن الاعين والبعد عن مواطن التعرض للمسآءله .

ثانيا : الحرص على طلب العلم بالالحاح والمسآءله مع وفرة الادب :

من آداب طالب العلم الحرص على اقتناص الفرائد وتحصيل الفوائد وذلك بالاقدام والملاطفة مع المشائخ وترك الخجل غير اللائق فانه يفوت ما من أجله ضربت أكباد الإبل .

وقد كان طلبة العلم يقطعون الفيافي والقفار ، ويسيرون الأيام والليالي بل والشهور للقاء شيخ بعينه وتحصيل العالي من الاسانيد ، لذا فمن الحمق ان يحصل مطلوبه ثم لا ينهل منه الادب والعلم .

---

(١) الإرشاد للخليلي ١/ ٤١٠ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٨ .

ولم يكن المشائخ على وتيرة واحدة من الاستعداد للتحديث دائما بل هم في ذلك مذاهب شتى وقد نقل الخطيب البغدادي صوراً من ذلك فقال :

" مذاهب المحدثين في الرواية تختلف فمنهم من يبتدىء بها احتسابا من غير أن يسأل .

* ومن المحدثين من لا يروي شيئاً إلا بعد أن يسأل ، ويحكى مثل هذا من المتقدمين عن إبراهيم النخعي وعبد الله بن طاووس .

* ومنهم من يتمنع وان سئل ، اعتمادا على قول شعبة بن الحجاج : " تمنع أشهى " .

* وكان بعض السلف يتمنع من التحديث اذا كان السامع ليس من أهل العلم "

* وكان غير واحد من المتقدمين يقتصر على رواية الشيء اليسير ولا يتوسع في التحديث " ثم ساق آداباً للطالب إن كان شيخه ممن يتمنع وتعسر في الحديث . . . الخ [1]

وان قابل هذا التمنع والتعسر عند الشيخ حياء وخجلا وقلة إقدام عند الطالب ضاع العلم وتبعثرت الجهود وقد قال مجاهد [2] " لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر " [3]

أ - وهذه صورة تجمع في طياتها أخلاقاً عديدة، ومنهجاً هادئاً ذا نتيجة أكيدة ليس في أطر العلم والتعليم فحسب، وإنما في كل مجتمع يحتك فيه الإنسان بالناس .

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع للخطيب البغدادي ١/ ٢٠٢ - ٢١٠ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٨٤.

(٣) الإلماع للقاضي عياض ص ٥٣ .

روى ابو العباس الدغولي قال : " سمعت محمد بن يحيى قال : لما رحلت بإبني إلى العراق صحبني جماعة من الغرباء [(١)] فسألوني : أي حديث عند أحمد بن حنبل أغرب ؟ فكنت أقول : إذا دخلنا عليه، سألته عن حديث تستفيدونه . فلما دخلنا سألته عن حديث يحيى بن سعيد ، عن عثمان بن غياث عن أبي بريده عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر حديث الايمان . [(٢)]

فقال : يا أبا عبد الله ، ليس هو عندي عن يحيى بن سعيد ، فخجلت ، وقمنا ، فأخذ أصحابنا يقولون : انه ذكر الحديث غير مرة ثم لم يعرفه أحمد وأنا ساكت لا أجيبهم ، قال : "ثم قدمنا بغداد فدخلنا على أحمد فرحب بنا وسأل عنا ثم قال : اخبرني يا ابا عبد الله " اي حديث استفدت عن مسدد عن يحيى بن سعيد ؟ فذكرت له حديث الايمان . فقال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد، ثم أخرج كتابه وأملاه علينا " فسكت محمد بن يحيى ، ولم يقل : سألناك عنه، فتعجب أصحابه من صبره ، قال : فاخبر أحمد بأنه كان سأله عن الحديث قبل خروجه إلى البصرة فكان أبو عبد الله إذا ذكره يقول : " محمد بن يحيى العاقل [(٣)] وتتجلى في هذه الحادثة آدابا جمة منها :

١ - صبره على انكار شيخه أحمد كون الحديث عن يحيى بن سعيد، وفي ذلك تخجيل له اضافة إلى ما يكون من همس الجلساء والرفقة والشك في المقدرة على إيضاح المطلوب، وهو ما يسمى عند المحدثين بالتخليط على المحدث

---

(١) الغرباء : هم « الواردين من الآفاق على المشايخ وأهل العلم، ولايتمكنون من طول الإقامه والثواء ببلد. الجامع لأخلاق الراوي ١/ ١٥٥ بتصرف، وقد كان الشافعي يوصي بهم تلميذه البويطي ويقول : أصبر للغرباء وغيرهم من التلاميذ . تذكرة السامع لابن جماعة ص ٦٦ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. . . الخ١/ ٣٨ من طريق محمد بن حاتم، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عثمان بن غياث بهذا الإسناد وأخرجه من طرق عن كهمس عن عبد الله بن بريدة به١/ ٣٦

(٣) السير ١٢/ ٢٧٨.

وعدم معرفة كيفية السؤال. وقد روى مالك بن أنس في ذلك موقفاً من مواقف سلفنا الجادة في حياتهم العلمية، قال: " جاء ابن عجلان إلى زيد بن أسلم، فسأله عن شيء فخلط عليه، فقال له زيد: اذهب فتعلم كيف تسأل، ثم تعال فسل " (1)

والذهلي رحمه الله لم يخلط بل كان سؤاله واضحاً، ولكن الإمام أحمد وهم فلما أحضر كتابه وجد الحديث فيه.

٢ - تجنبه إملال وإحراج شيخه وتوهيمه وهو من هو قدراً وجلالةً.. وهو ما يسمى العفو في الحديث " ورغم معرفة الذهلي أنه على الصواب فقد اكتفى بهذا الرد من شيخه مع يقينه أنه ربما نسي او سها وكلاهما جائز على البشر... وهذا خلق استعمله المحدثون تأدبا مع مشايخهم في الإقلال عليهم وعدم إضجارهم بالمسآءلة والرواية: وقد قال يحيى بن سعيد: كنت آخذ العفو في الحديث " (2)

وانشد أبو مزاحم الخاقاني لنفسه:

لم أكره العلماء فيما نلته	فاستعملن معي الذي استعملته
أو لا فلا تتعن في قصدي لما	قبلي فقد أعذرت فيما قلته (3)

وقال ابن جماعة في آداب طالب العلم: " وإذا سكت الشيخ عن الجواب لم يلح عليه وان اخطأ في الجواب لم يرد عليه في الحال. (4)

وقال: " وإذا أصر الشيخ على قول أو دليل ولم يظهر له، أو على خلاف صواب سهواً فلا يغير وجهه أو عينيه أو يشير إلى غيره كالمنكر لما قاله بل يأخذه ببشر ظاهر... " (5)

---

(1) الجامع لآداب الراوي ١/ ٢١٣.
(2) المصدر السابق ١/ ٢١٥.
(3) المصدر السابق ١/ ٢١٦.
(4) تذكرة السامع والمتكلم ص ١٥٧.
(5) المصدر السابق ص ١٠١.

٣ – حرصه في أدب على اثبات ما يعلم صحته وعدم تباهيه لما وافقه في الرواية .

وذلك لما سأله بعد عودته من البصرة عما استفاد من حديث يحيى بن سعيد فذكر له حديث الايمان نفسه . . . ولما اثبته أحمد من أصله لم يعرِّفه بما كان . . وفي ذلك أدب جم وتعقل واحترام للآخرين أكسباه المحبة والثناء .

ب ـ ومن صور حرصه كثرة المحاولة مع الشيخ المتمنع :

من ذلك ما رواه ابن عدي قال : " ثنا أحمد بن محمد بن الحسين الشرقي ، ثنا محمد ابن يحيى ، ثنا حماد بن مسعدة ، عن عبيد الله بن موهب عن القاسم بن محمد عن عائشة : " أنه كان لها غلام وجارية زوج فأرادت أن تعتقهما فقال لها رسول الله : " وإذا أعتقتهما فابدئي بالغلام قبل الجارية " (١)

قال محمد بن يحيى حدثني حماد بهذا الحديث " بعد جهد "

ثم علّق ابن عدي على ذلك فقال : وهذا الحديث جود إسناده محمد بن يحيى ، ولا اعلم رواه عن ابن موهب غير حماد بن مسعدة " (٢)

جـ ـ وإذا لم يفهم المعلومة يسأل بأدب جم حتى تتضح له جلياً :

وذلك أنه سمع يحيى بن معين يقول : الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله ، فقال ليحيى : الرجل ينفق ماله ، ويتعب نفسه ، ويجاهد فهذا افضل منه ! قال : نعم ، بكثير . " (٣)

وقد ذكر ابن جماعة من آداب العلم " أن لا يستحي من سؤال ما أشكل عليه ما لم ينعقد بلطف وحسن خطاب وأدب وسؤال وقد قال عمر رضي الله عنه من رقَّ وجهه رقَّ علمه " (٤) .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في العتق باب من أراد عتق رجل وامرأته فليبدأ بالرجل . ٢/ ٨٤٦ .

(٢) الكامل في الضعفاء ٤/ ٣٢٨ .

(٣) السير ١٠/ ٥١٨ .

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص ١٥٧ .

د ـ ومن مؤشرات حرصه الشديد على تحصيل الحديث :

إكثاره الواضح عن شيخه عبد الرزاق في رحلتيه إلى اليمن فإنه قد روى عنه نسبة كبيرة من مروياته عن جميع مشايخه الآخرين . . حتى في ليلة وداعه إياه حدث عنه [(١)]

ولعل عبد الرزاق كان لا يتبرم أو يمل من مدارسة وتحديث الذهلي، فرغم إكثاره عنه حتى في ليلة الوداع لم نجد ما يدل على ذلك بخلاف ما روي عنه لما اكثر عنه سلمه بن شبيب[(٢)] .

قال سلمة : " كنا عند عبد الرزاق ، فكنت قد أوعيت ما عنده، فإذا خرج قلت له : كيف أصبحت يا أبا بكر ؟ قال : بشر ما رأيت وجهك ، وفي رواية أخرى : " بشر ما رأيت وجهك فإنك مبرم " [(٣)]

ثالثا : الاعتراف للآخرين بما لهم من سابقة فضل وعلم :

وأكاد أجزم أن من أولى الأداب والأخلاق لطالب العلم سلامة صدره من الأحقاد ورؤية النفس، ومن ثم ترجمة هذه السلامة إلى صفاء النفس وتمني الخير والتوفيق للناس . . وان كان لاحدهم سبق وحيازة فضل وعلم فلا يتردد في اظهار هذه المزية له .

وهذا اعتراف من الذهلي لأبي زرعة بالتفوق العلمي .

قال ابن أبي حاتم : ذكر سعيد بن عمرو البرذعي قال : سمعت محمد بن يحيى النيسابوري يقول : " لا يزال المسلمون بخير ما أبقى الله عز وجل لهم مثل

(١) قال رحمه الله : « حدثني عبدالرزاق بين المغرب والعشاء على السراج ليلة الوداع» منتقى ابن الجارود (٣٦٦)

(٢) هو سلمة بن شبيب أبو عبد الرحمن الحجري، المِسْمَعي، نزيل مكة، ثقة، مات سنة ٢٤٧ . تهذيب التهذيب ٤/ ١٢٩ . والمسمعي بفتح الميم الأولى وكسر الثانية نسبة إلى المسامعة، محلة بالبصرة، الأنساب ٥/ ٢٩٧ .

(٣) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢١٨، ٢٢٠ .

أبي زرعة ، وما كان الله عز وجل ليترك الأرض إلا وفيها مثل أبي زرعة ، يعلم الناس ما جهلوه، ثم جعل يعظم على جلسائه خطر ما حُكي له من علة حديث ابن اسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « . . . ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك » .

قال سعيد: وكنت حكيت له عن أبي زرعة أن محمد بن إسحاق اصطحب مع معاوية ابن يحيى الصدفي من العراق إلى الريّ فسمع منه هذا الحديث في طريقه .

وقال (أي الذهلي) لم أستفد منذ دهر علماً أوقع عندي ولا آثر من هذه الكلمة ، ولو فهمتم عظيم خطرها لاستحليتموها كما استحليته، وجعل يمدح أبا زرعه في كلام كثير .[1]

رابعاً : ومن آداب طالب العلم التي اتبعها الذهلي اختيار الرفقة الصالحة في الرحلة لطلب العلم :

وقد سبق الحديث عن الرحلة وأغراضها و صفتها ، والإمام الذهلي قد عرف مكانة الرحلة فلم يفرط . . . بل جاب الأقطار ومن رحلاته الكبرى رحلته إلى عبد الرزاق في اليمن .

وكان بعد المكان يوجب المزيد من الحرص والكثرة من الكتابة والتأليف ، لذا فلم يكن يستطيع السفر في أي وقت . . . الأمر الذي فوته أئمة كباراً في مكة وغيرها .

قال الذهبي عن الإمام الذهلي ما كان يمكنه لقي سفيان (يعني ابن عينيه) لأنه مات في وسط السنة ، ولا كان يمكنه المسير إلى مكة إلا مع الوفد .

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٣٣٠.

وقد عَرف قيمة الرحلة فعندما نصحه علي بن سلمَة اللبقي بأن يرحل ولا يفوت العمر، عمل فيه قوله وبدأ في ذلك الأمر بنفس متوثبة ، وقد بات معلوماً أن من آداب الرحلة ومهماتها اختيار الرفقة[1] .

قال الخطيب : وينبغي للطالب ان يتخير لمرافقته من يشاكله في مذهبه، ويوافقه على، غرضه ومطلبه [2] وساق قول الاوزاعي : " الرفيق بمنزلة الرقعة في الثوب ، إذا لم تكن منه شانته " [3]

وكانت رفقته مع أساطين الرواية والعلم في زمانه ، أحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين، ومحمد بن رافع ، قال أبو عمرو المستملي : أتيت أحمد بن حنبل ، فقال : من أين أتيت ؟ قلت: من نيسابور قال أبو عبد الله محمد بن يحيى له مجلس ؟ قلت نعم ، قال: " لو أنه عندنا لجعلناه اماما في الحديث . ثم ذكرت محمد بن رافع ، فقال : من محمد بن رافع ؟ ثم سكت ساعة ثم قال : لعله الذي كان معنا عند عبد الرزاق قلت : نعم " [4]

وكما كانت رفقته الأولى إلى صنعاء مع الائمة الكبار ، فقد كانت رحلته الثانية لملاقاة عبد الرزاق مع محمد بن يحيى الجوربذي رحمه الله " [5] الذي كان مفخرة إسفرايين في ذلك الوقت علماً وفضلاً .

---

(١) انظر في ذلك ديباجة رحلاته العلمية مع رحلتيه إلى مكة واليمن.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٣٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) السير ١٢/ ٢٨٠

(٥) انظر نزهة الألباب في معرفة الألقاب ١/ ٢٢٦، والجوربذي هو محمد بن يحيى الاسفراييني. انظر ترجمته ص٧٦ .

المبحث الثاني
أثره في آداب المحدث

طلب العلم لا ينتهي حتى آخر العمر ولكن قد يحصل الطالب منه قدراً كبيرا وفهمًا دقيقاً، فيتوجب عليه حينئذ أن يبذل ما حصله وما ذاكرته استوعبته، براءة لساحته أمام الله بتبليغ ماآتاه . ونشراً للعلم والفضل بين الناس وهذه مرتبة عظمى وقد عدَّد ابن جماعة الكناني غايات المعلم من تعليم الناس فقال : أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى ونشر العلم وإحياء الشرع، ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها ، واغتنام ثوابهم ، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه علمه من بعضهم وبركة دعائهم له، وترحمهم عليه، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم ، وعداده في جمله مبلغي وحى الله تعالى واحكامه فان تعليم العلم من أهم أمور الدين وأعلى درجات المؤمنين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في حجرها يصلون على معلم الناس الخير » [1]لعمرك ما هذا إلا منصب جسيم وإن نيله لفوز عظيم، نعوذ بالله من قواطعه ومكدراته وموجبات حرمانه وفواته " [2]

وقد تحلى الإمام الذهلي بصفات العلماء والرواة، وزادها وَشْياً من حُليِّ بإشارات ومواقف تربوية ومنها :

أولا : التقوى والورع :

١ - قال أبو العباس الأزهري : سمعت خادمة محمد بن يحيى وهو على السرير يغسل تقول : خدمته ثلاثين سنة ، وكنت أضع له الماء فما رأيت ساقه قط وأنا ملك له " [3]

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٤/ ٤٨ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٧ .

(٣) السير ١٢/ ٢٧٩.

وحين نراه يتورع ويتقي ربه حتى فيما أحل الله له في الخلوة وفي البيت بعيداً عن أنظار الخلق . . نجد هذه الصفات والأداب تتجلى في جانب الرواية .

قال البرذعي[1] : "قرأت على محمد بن يحيى حديث عكراش بن ذؤيب [2] فلما بلغ آخر الحديث قوله : (هكذا الوضوء مما غيرت النار) [3] لم يقرأه عليّ ، وقال استعظم أن أحدث مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهابه " [4]

ومن ذلك ما سبق ذكره من رفضه قراءة حديث كان عنده واستفسره عنه البرذعي وكان فيه وضاعا فأبى ذلك وبين السبب فيه [5]

وممن أثر عنه الورع في التعليم من علماء الأمة المبرّد العلامة اللغوي : فإنه امتنع من قراءة كتاب سيبويه على أحد أهل الذمة لاشتماله على آيات قرآنية . [6]

ثانياً : الاهتمام بالهندام وتحسين المظهر :

ان الاهتمام بنظافة البدن والهندام من الأمور التي يحبذها الدين الإسلامي ، ويدعو إليها وكل ذي ذوق سليم يميل إلى ذلك ، والناس متفاوتون في اختيار اللباس ، فبينما يبالغ البعض في اقتناء الغالي والمترف ، نجد البعض الآخر ، لا يعير هذا الأمر أدنى اهتمام ، فهو كريه الرائحة شعث الشعر ، بل متسخ الثياب أحيانا ، وقد يحتج بعضهم بالحديث النبوي الشريف " البذاذة[7]

(١) سبقت ترجمته ص٤٨ .

(٢) سبقت ترجمته ص٤٨ .

(٣) سبق تخريجه ص٤٨ .

(٤) الضعفاء لأبي زرعة ٢/ ٧٤٨ . وقد سبق في ص ٤٨ عرض المثال، وسبب تهيبه من رواية هذه الرواية .

(٥) الضعفاء لأبي زرعة ٢/ ٧٥١، وسبق ذكره في مطلب الجرح والتعديل ص٣٣٩ .

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٨٤ .

(٧) البذاذة : أي رثاثة وسوء الهيئة والتجوز في الثياب . ويقال : بذ الهيئة : أي رث اللبسة : أراد التواضع « النهاية في غريب الحديث ١/ ١١٠) .

الايمان " [1] وعلى فرض صحة إسناد الحديث وجواز الاحتجاج به نقول نعم، ولكن بنظافة كاملة في البدن والثياب وان رثت وبليت . . . . وقد قال ابن جماعة في آداب طالب العلم : " ينبغي أن يحضر على أحسن الهيآت وأكمل الطهارات " [2] .

ويحدثنا منصور أبو سلمة الخزاعي عن هيئة مالك ونظافته إذا أراد التحديث قال : " كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث ، توضأ وضوءه للصلاة ولبس أحسن ثيابه ولبس قلنسوة ومشط لحيتــه فقيل لـه في ذلك ، فقال : " أوقر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " [3]

وقد أثر عن الإمام الذهلي اهتمامه بلباسه ونظافته حتى صار وصفاً له من بين تلك الأوصاف التي يعرف بها . .

وهذا تلميذه فضلك [4] يرسل المحدث صالح بن محمد جزرة [5] إلى الذهلي في نيسابور ليستفيد منه حديثاً لم يحفظه فوصفه قائلاً : " إذا دخلت نيسابور ترى شيخاً حسن الشيب، حسن الوجه ، راكباً حماراً مصرياً « حسن اللباس » فإذا رأيته فاعلم أنه محمد بن يحيى . . [6]

وحدث ذات مرة أن انتهى من مجلس الحديث فوقف على رأسه محمد بن أحمد بن زيد، [7] وكان بيده قلم فنقط نقطة على ثوبه ، فرفع إليه رأسه ، فقال : تراني أحبك بعد هذا!! [8]

---

(1) اخرجه أبو داود في أول كتاب الترجل٤/ ٣٩٣ . وابن ماجة في الزهد باب من لايؤبه له ٢/ ١٣٧٩ . قال أبو عمر النمري : اختلف في إسناد قوله البذاذة من الإيمان اختلافا سقط معه الاحتجاج به ولايصح من جهة الاسناد . انظر عون المعبود ١١/ ٢٢٠ .

(2) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٣٥ .

(3) المحدث الفاصل للرامهرمزي ص ٥٨٥ .

(4) سبقت ترجمته ص ٨٧ .

(5) سبقت ترجمته ص٨٧ .

(6) السير ١٢/ ٢٧٧ ، وفي تاريخ بغداد ٣/ ٣١٧ (بهي حسن الوجه)

(7) زوج ابنة ابنه يحيى وكان يلقب حيكان كذلك ، انظر ترجمته ص ٦٨ .

(8) السير ١٢/ ٢٨٢ .

وهذه دعابة فيها توجيه للأدب بين يدي المشايخ بأخذ الحيطة مما قد يؤذيهم ، وارشاد لأهمية المحافظة على نظافة الهندام .

ثالثاً : التصنيف في العلم ومكابدته وتوقير من ورثه بدءاً بالرسول صلى الله عليه وسلم وتثنية بالصحابة ومن بعدهم :

قال تلميذه أبو علي محمد بن أحمد بن زيد المعدل سمعت يحيى بن الذهلي يقول : دخلت على أبي في الصيف الصائف وقت القائلة ، وهو في بيت كتبه وبين يديه السراج وهو يصنف فقلت : يا أبة ، هذا وقت الصلاة ، ودخان هذا السراج بالنهار ، فلو نفست عن نفسك قال : يا بني ، تقول لي هذا ، وانا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين "[1]

وفي ثنايا السياق اشارة إلى مكتبته وقضائه فيها اوقات التصنيف .

رابعاً : التواضع :

حث ديننا الحنيف على خلق التواضع ونّبه على الرأفة بذوي الحاجات والمساكين، وطلبة العلم ومن انقطعت بهم أسباب العيش بالتقرب منهم، وخفض الجناح لهم واجابتهم إلى ما يريدون وعدم كسر نفوسهم بقول أو فعل أو نظرة فيكون سبباً في تباعدهم عن الخير والعلم ، قال ابن جماعة الكناني في الباب الرابع عشر من تذكرته " : . . . . ينبغي للعالم أن يتواضع مع الطالب وكل مسترشد سائل اذا قام بما يجب عليه من حقوق الله تعالى وحقوقه ويخفض له جناحه ويلين له جانبه . قال تعالى لنبيه : ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ [2]

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " ان الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله " [3]

(١) السير ١٢/ ٢٧٩.

(٢) سورة الشعراء آيه ٢١٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر، باب استحباب العفو والتواضع ٤/ ٢٠٠١.

وهذا لمطلق الناس فكيف بمن له حق الصحبة وحرمة التردد وصدق التودد وشرف الطلب " [1]

روي شهر بن حوشب [2] قال كنا نأتي أبا سعيد الخدري ونحن غلمان نسأله ، فكان – وفي حديث أبي نعيم – فكان يقول : مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيأتيكم ناس يتفقهون ففقهوهم واحسنوا تعليمهم فكان يجينا بمسائلنا وفي حديث أبي نعيم : قال : فكان يجيبنا لمسائلنا فاذا نفدت مسائلنا " نا " [3] بعد حتى نمل " [4]

وكان وكيع يمضي في الحر – وقت القيلولة للجمال – إلى قوم سقائين يحدثهم ويقول : « هؤلاء قوم لهم معاش ، لا يقدرون يأتوني ، فيحدثهم يتواضع » [5]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تُعلِّمون ، وتواضعوا لمن تَعَلَّمون منه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم " [6]

وقال عبد الرحمن بن مهدي [7] : كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هوفي فوقه العلم فهو يوم غنيمته ، سأله وتعلم منه واذا لقي من هو دونه في العلم علمه وتواضع له ، وإذا لقي من هو مثله في العلم ذاكره ودارسه . . . . . . الخ كلامه " [8]

---

(١) تذكرة السامع ص ٦٤ .

(٢) هو شهر بن حوشب الأشعري، قال ابن عدي: «وعامة ما يرويه هو وغيره من الحديث فيه من الإنكار ما فيه، وشهر هذا ليس بالقوي في الحديث». وقال ابن حجر : صدوق كثير الأوهام، من الثالثة. الكامل في الضعفاء ٤/ ٤٠، التقريب ص٢٦٩ .

(٣) «نا» اختصار حدثنا.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٢٠٢ .

(٥) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٠٣ .

(٦) المصدر السابق ١/ ٩٣ .

(٧) سبقت ترجمته ص٥٢ .

(٨) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص ٢٠٦ .

ومع أن إمامنا محمد بن يحيى الذهلي كانت له مهابة في نفوس الناس كمهابة أحمد في بغداد ومالك في المدينة، [١] إلا أنه زانها بذلك التواضع والقرب من طلبه العلم والسير معهم في حوائجهم الأمر الذي مكن حبه في قلوبهم ، فنلمس ترحم ابن خزيمة عليه من الاعماق عندما ساق عنه حديثاً فقال : حدثنا محمد بن يحيى "أسكنه الله فسيح جناته" [٢] وكما قال محمد بن نصر المروزي : حدثنا محمد بن يحيى " رحمه الله " ثم ساق بقية السند . [٣]

وهذه بعض صور تواضع الذهلي لاهل العلم

أ - سعيه معهم فيما يشكل عليهم من العلم

أخرج ابن ماجه في سننه حدثنا محمد بن يحيى ثنا إبراهيم بن موسى انبأنا عباد ابن العوام عن عمر بن إبراهيم عن قتاده عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لاتزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم » .

قال ابن ماجه : سمعت محمد بن يحيي يقول : اضطرب الناس في هذا الحديث ببغداد فذهبت أنا وأبو بكر الاعين [٤] إلى العوام [٥] بن عباد بن العوام ، فاخرج إلينا أصل أبيه فإذا الحديث فيه [٦] وأبو بكر بن الاعين كان من أقران الذهلي قال عنه ابن معين : لم يكن من أصحاب الحديث، وفسر كلامه هذا الخطيب فقال : يعني لم يكن بالحافظ للطرق والعلل [٧] فكأن الذهلي انتدب نفسه

---

(١) ذكر ذلك الذهبي في السير ١٢/ ٢٧٤ .

(٢) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٨١.

(٣) قيام الليل ص ٢٣٠ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٣٩٧ .

(٥) قال ابن حبان : عوام بن عبّاد العوام ، يروى عن أبيه ، روى عنه العباس بن إسماعيل الغريق ، الثقات (٨ / ٥٢٥) .

(٦) سنن ابن ماجه ١/ ٢٢٥ . كتاب الصلاة، باب وقت صلاة المغرب، وقال الألباني: صحيح، انظر صحيح سنن ابن ماجه١/ ١١٤ .

(٧) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٩٨ .

لمصاحبة قرينه كسباً لتعليمه وتفقيهه، وخدمة لطلبة العلم عندما اضطربوا في الحديث، فنظر في أصول عباد فوجد الحديث فيها وقد قال ابن جماعة " ينبغي للمعلم " أن يسعى في مصالح الطلبة وجمع قلوبهم ومساعدتهم بما تيسَّر عليه من جاه ومال عند قدرته على ذلك وسلامة دينه وعدم ضرورته، فإن الله تعالى في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . . . الخ " (١)

ب - بث شكوي المبتلين بالتعذيب والفتنة في الدين

كان أبو يعقوب يوسف بن يحيى صاحب الإمام الشافعي، بل أخص وأقرب أصحابه وخليفته في مقام الدرس والفتوى بعد وفاته. وكان قد امتحن في مصر بفتنة خلق القرآن فلم يجب وحمل إلى بغداد وطالت به الايام والليالي وهو في الحديد والقيود والتعذيب فكتب يناصح صاحبه الربيع بن سليمان المزني قائلا: "إنه ليأتي عليَّ أوقاتاً لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي، فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك واستوص بالقربى خاصة خيراً، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت .

أهين لهم نفسي لاكرمهم بها ... ولن تكرم النفس التي لا تهينها (٢)

وهذا الإمام الكبير لما طالت به المحنة وحرم صلاة الجمعة وغيرها وعجز عن اداء الفرائض من الطهارة وسواها .

كتب إلى الذهلي رساله يبثه فيها شجونه وأساه على فوات العبادة، ويدعوه أن يرغب أهل حلقته في الدعاء له بالثبات والفرج والأجر : قال ابو عمرو المستملي : حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقرأ علينا كتاب البويطي إليه واذا فيه " : والذي أسالك ان تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصني بدعائهم فاني في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرا ئض من الطهارة والصلاة فضج الناس بالبكاء والدعاء له " (٣)

(١) تذكرة السامع ص ٦١ .
(٢) البيهقي ، مناقب الشافعي ٢/ ١٠١ ، ١٤٧ .
(٣) طبقات الشافعية ٢/ ١٦٥ .

جـ - الاعتراف بالحق امام الجموع عند الخطأ والاقرار للمصيب :

ذكر الخطيب البغدادي في باب (٢٣) " ذكر الحكم فيمن روى من حفظه حديثا فخولف فيه " آداباً في الرواية " ومن ذلك إذا أخطأ المحدث فعارضه أحد طلبته فماذا يفعل ؟ "

وقال الخطيب : «يجب على المحدث الرجوع عما رواه إذا تبين أنه أخطأ فيه، فإذا لم يفعل كان آثماً» (١)

وقال عبد الرحمن بن مهدي : " لا يكون العالم إماماً في العلم حتى يعرف عمن يحدث، ولا يحدث عن كل واحد ، ولا يقيم على الغلط " (٢)

وقال ايضا : " كان سفيان يخطىء فيرجع من يومه، وكان شعبة يخطيء فيمكث الأيام حتى يقال له فيرجع عنه " (٣)

قال ابو حامد ابن الشرقي : " سمعت محمد بن يحيى الذهلي وأملى حديثا فرد عليه الجارودي (٤) . فزبره (٥) محمد بن يحيى ، فلما كان المجلس الثاني قال الذهلي : ها هنا ابو بكر ، قال : نعم ، قال : الصواب ما قلت ، فاني رجعت إلى كتابي ، فوجدته على ما قلت " . (٦)

د - الاستعانة بالمتخصص في فن :

قال أبو أحمد الحاكم : كان محمد بن يحيى الذهلي يستعين بعربية أبي بكر الجارودي وبيته عنده " (٧)

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) سبقت ترجمته ص ٤٦ .

(٥) سبق معنى الكلمة ص ٣٣ .

(٦) السير ١٣/ ٥٤٣ .

(٧) السير ١٣/ ٥٤٢ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٧٣ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٣ .

وأبو بكر الجارودي من أصحاب وجيران الإمام الذهلي، ويظهر أنه كان مبرزاً في معرفة اللغة العربية، لذا نلحظ المباسطة بينهما وارتفاع الكلفة . . . فنجد الذهلي يدعوه للمبيت عنده في المنزل ويسهران الليالي للمدارسة والمذاكرة، ومن ذلك استفادته منه في اللغة العربية وكأن الذهلي يريد التعمق فيها والاستزادة منها، لأن التمكن فيها ضرورة قصوى، وقد ندب السلف الصالح لتعلمها واتقانه فقال عمر بن الخطاب : " تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة " (١)

وقال شعبة : " من طلب الحديث فلم يبصر العربية فمثله مثل رجل عليه برنس وليس له رأس " (٢)

وقال أبو زيد النحوي : " كان الذي حداني على طلب الأدب والنحو أني دخلت على جعفر بن سليمان ، فقال : ادنه ، فقلت : " أنا دني ، فقال : لا تقل يا بني أنا دنيء ولكن قل : أنا دانٍ " (٣)

وقد أكد الأئمة العلماء على مثل هذا المنهج فقال وكيع : « لا يكون الرجل عالماً حتى يسمع ممن هو أسن منه، وممن هو دونه، وممن هو مثله» وفي رواية : «حتى يكتب» . .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : «دخلت أنا وابن جريج مسجداً ومعي ألواح ومعه ألواح فجعل يكتب عني وأكتب عنه، وفي رواية أخرى : «كان ابن جريج يأخذ بيدي، فيذهب بي إلى منزله فيكتب عني وأكتب عنه» (٤)

---

(١) الجامع للخطيب ٢/ ٢٥.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٦.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٧.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٢١٦.

خامسا : المذاكره مع المشائخ والأقران والطلبة :

مما لا شك فيه أن مذاكرة العلم مع المشائخ والاقران وسواهم من اهم ما يثبت العلم ويزيده رسوخًا، بل إن مذاكرة ساعة تكون أنفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أيام . (١)

وقد ذكر ابن جماعة ما فيها من النفع العظيم، وحدَّد وقتها من لحظة قيام المتذاكرين من مجلس الشيخ قبل تفرق أذهانهم، وتشتت خواطرهم، وشذوذ بعض ما سمعوه عن أفهامهم ثم يتذاكرونه في بعض الأوقات . (٢)

وفضَّل الخطيب أن تكون بعد العشاء وقال: " كان جماعة من السلف يبدؤن في المذاكرة من العشاء فربما لم يقوموا حتى يسمعوا آذان الصبح . (٣)

والمذاكرة عملية استرجاع وترسيخ وربط للمعلومات ، ودخول الوهم والخطأ في مثل هذا الحال وارد جداً، لذا جاء النهي عن كثير من السلف أن يكتب عنه في حال المذاكرة .

فقال عبد الرحمن بن مهدي : " حرام عليكم أن تأخذوا عني في المذاكرة حديثاً لأني إذا ذاكرت تساهلت في الحديث " (٤)

---

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢١٦ .

(١) بتصرف من حاشية تذكرة السامع والمتكلم ص ٤١ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ١٤٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٤ . وقد ذكر قتيبة بن سعيد مذاكرة عجيبة بين وكيع والإمام أحمد : قال : كان وكيع إذا كانت العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل، فيقف على الباب فيذاكره، فأخذ ليلة بعضادتي الباب، ثم قال: يأبا عبدالله أريد أن ألقي عليك حديث سفيان قال: هات. قال : تحفظ عن سفيان عن سلمة بن كهيل كذا، قال : نعم.
حدثنا يحيى فيقول سلمة كذا وكذا، فيقول: حدثنا عبدالرحمن. فيقول: وعن سلمه كذا وكذا. فيقول: أنت حدثتنا حتى يفرغ من سلمة، ثم يقول أحمد : فتحفظ عن سلمة كذا وكذا فيقول وكيع : لا، ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ. قال : فلم يزل قائماً حتى جاءت الجارية. فقال: قد طلع الكوكب أو قالت الزهرة. » طبقات الشافعية ١/ ٢٠٠ ، حاشية تذكرة السامع والمتكلم ص ١٤٥ .

وقال عبدالله بن المبارك: «لاتحملوا عني في المذاكرة شيئاً»[1] لذا ذكر الخطيب البغدادي استحباب العلماء لمن حفظ عن بعض شيوخه في المذاكرة شيئاً وأراد الرواية عنه أن يقول حدثناه في المذاكرة[2].

والمذاكرة تكون مع الشيوخ والمسنين، وتكون مع الأقران والأصحاب، وتكون مع الأتباع والطلبة.

والإمام الذهلي كان يعلم أهمية المذاكره القصوى، ومدى عودها على المذاكر بالفائدة والتثبت. وقد مرَّ بنا أنه لما صنف كتابه الشهير الزهريات عرضه على العلماء ليقيِّموه، فلما دخل مصر تذاكر مع شيخه أحمد بن صالح المصري[3] في الزهريات، فعاب عليه بعضها، لوجود الضعفاء في أسانيدها، فعلَّم على أماكن ذلك ثم انتفع بعد بهذه المذاكرة فنقَّح زهرياته منها[4]، ومرَّ قبل قليل مذاكرته لشيخه الجليل أحمد بن حنبل في حديث يحيى بن سعيد.

وله مع أصحابه وطلبته مذاكرات وأجوبة حول مايستشكلونه، وقد اخترت مثالين لمذاكرته مع أبي عثمان سعيد بن عمرو البرذعي[5].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سبقت ترجمته ص١٦٥. وجدير بالذكر أن الحافظ أحمد بن صالح له اهتمام بحديث الزهري وعلله، وقد ساق الإمام الذهبي في سيره ١٢/ ١٦٩، قصة ظريفة في موافاته للإمام أحمد بن حنبل في العراق ومذاكر تهما لحديث الزهري واستفادته من ابن حنبل في ذلك اللقاء..

(٤) راجع هذه الرسالة ص ٢٤٦، والقصه مذكورة في الإرشاد للخليلي ١/ ٤١٠، فتح الباري ٣/ ٢٧٣.

(٥) سبقت ترجمته ص٩٤، وقد أورد هاتين المذاكرتين البرذعي ضمن أسئلته لأبي زرعة وعدد ممن يحضر مجلسه من الأئمة.

المثال الأول :

قال الإمام البرذعي(*) : وقلت لمحمد بن يحيى : في حديث أنس ، عن أم حبيبة(۱) ، حديث شعيب بن أبي حمزه ، حدثكم به أبو اليمان(۲)؟ وقال : عن ابن أبي حسين؟

فقال لي محمد بن يحيى : نعم حدثنا به من أصله(۳) ، عن ابن أبي حسين(٤) ، فقلت له : حدثنا به غير واحد ، عن أبي اليمان(٥) فقالوا عن الزهري ، فقال : لقنوه عن الزهري ، قلت : يحيى بن معين رحل إليه قبلك أو بعدك؟ وذاك أن يحيى روى هذا عن أبي اليمان ، وقال : عن الزهري ، فقال لي محمد بن يحيى : يحيى رحل اليه بعدي ، قلت : فيقال إنه لم يسمع من شعيب ابن أبي حمزة غير حديث واحد والبقية عرض . قال : لاأعلم . قلت : وبشر ابن شعيب ابن أبي حمزة سمع الكتب من أبيه ، أو هي إجازة؟ فقال : ماأدري إلا أنه كان يقول : حدثنا أبي»(٦) .

المثال الثاني : هذه مذاكرة أخري تبدأ بحكاية البرذعي للإمام الذهلي مذاكرة وسؤالات بين عبدالله بن الحسن(۷) وابن المديني نقلها عن شيخه أبي زرعة فقال :

يحضر مجلسه من الأئمة .

(*) المذاكرة أوردها المزي في تهذيب الكمال ٧/ ١٥٠ ، تحقيق د . بشار عواد ، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٠ ، وبين ايرادهما إختلاف يسير ، وسأشير في الهامش إلى الاختلاف الواقع بين كتاب الضعفاء لأبي زرعة وأجوبته على أسئله البرذعي .

(۱) سبقت ترجمتها ص٣٠٣ .

(۲) الحكم بن نافع سبقت ترجمته ص٨١ .

(۳) في تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٠ (حدثكم به أبو اليمان فقال : نعم ثنا به من أصله)

(٤) في تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٠ (من أصله عن شعيب عن أبي حسين)

(٥) في تهذيب الكمال للمزي ٧/ ١٥١ (عن أبي اليمان يعني عن شعيب)

(٦) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٢/ ٧٤٦ .

(۷) هو عبدالله بن الحسن أبو شعيب الحرَّاني ، معمَّر ، صدوق ، قال الدارقطني : ثقة مأمون ، وقال

قال أبو زرعة عن عبدالله بن الحسن قال: ألقيت على علي ابن المديني حديث أبي ذر في الحناءو والكتم[1] فأنكره عليَّ، وقال: ليس هذا من حديث معمر، وقال أبو زرعة: وكان فيه لين يعني في عبدالله بن الحسن، قال فقلت لعلي: هذا هو عندك! فقال علي: عندي؟ قلت: نعم أليس قد كتبت عن عبدالرزاق[2]، وانت لاتحفظه.

قال أبو زرعة: لقد كان من العلم بمكان، يعني عبدالله بن الحسن.

قال أبو عثمان البرذعي: فحكيت أنا هذه الحكايه لمحمد بن يحيى النيسابوري عن أبي زرعة، عن عبدالله بن الحسن. قال: ترى وقع إلينا هذا الحديث، عن عبدالرزاق، فقام فدخل بيته ثم خرج إليَّ فأملاه عليَّ من كتابه. قال: أنا عبدالرزاق، نا معمر.»[3].

---

(١) الكتم: نبت يخلط مع الوسمة، ويصبغ به الشعر، أسود، وقيل هو الوسمة. النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٥٠). والحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الجامع باب صباغ ونتف الشعر (١١/ ١٥٣) عن معمر عن سعيد الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبي الأسود عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أحسن ما غير هذا الشعر الحناء والكتم).
ومن طريق أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الترجل باب في الخضاب (٤/ ٤١٦)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء| في الخطاب٤/ ٢٠٤ من طريق سويد بن نصر عن ابن المبارك عن الأجلح عن عبد الله بن بريدة به بنحوه، ثم قال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) في كتاب الضعفاء وأجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي «أليس قد كتب عن عندك» ولامعنى له والصحيح (عبدالرزاق) من السياق ولعل أبرز ما نستفيده من هذه المذاكرة أن من أولى مقومات المحدث أن يكون لديه أصول يرجع إليها متى شك أو نسي، فإنه لما أخبره البرذعي بتلك القصة إهتم للأمر ودخل بيته وأحضر كتابه عن عبد الرزاق وأملاه عليه.
وفي مبحث قادم عن السماعات والأصول وكتابة الحديث ستأتي إلماحة عن أهميتها وقيمتها العلمية.. الخ.

(٣) الضعفاء وأجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٢/ ٧٧٤.

سادساً: الصدع " بلا أعلم ولاأدري " .. وهي نصف العلم.

مهما عظم قدر العالم، ومهما علت في الأفلاك مراتبه، فإنه يبقى بشراً يغيب عنه الكثير، والعالم الحق الذي عرف قدره ومكانته لايرى غضاضة إذا لم يعلم أن يقول: لاأعلم . . . وهذا زيادةً على أنه خلق كريم إذ يتجرد المرء من دواعي الظهور والتعالم، فإنه ورع وتجرد لله إذا لايقحم الإنسان نفسه فيما لايعلمه . . . حتى وإن كان في فروع العلم وثانوياته. فتختلط عليه أوراقه، ويورد نفسه موارداً كان أغنى مايكون عنها، ففي المذاكرة الأولى السابقة في الأدب الخامس عندما يسأل البرذعي الإمام الذهلي عما يقال عن أبي اليمان: إنه لم يسمع من شعيب ابن أبي حمزه غير حديث واحد والباقي عرض فيقول: لاأعلم.

ثم يسأله عن بشر بن شعيب ابن أبي حمزة هل سمع الكتب من أبيه. أو هي إجازة؟ فيقول: « ماأدري إلا أنه كان يقول حدثنا أبي»[1] نجد أن هذين الموقفين تقعيد منه وتأصيل لهذه القاعده العظيمة.

وقد كان سيد المرسلين وإمام المربين وقدوة العالمين اذا سئل عما لايدري، قال لاأدري وانتظر العلم من الله.

وقد ساق الحاكم أبو عبدالله سنده إلى جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله أي البلاد شر؟ فقال: لاأدري، فلما أتاه جبريل قال: ياجبرئيل أي البلدان شر؟ قال: لاأدري حتى أسأل ربي.

فانطلق جبريل فمكث ماشاء الله أن يمكث ثم جاء فقال: يامحمد، إنك سألتني أي البلاد شر وأني قلت لاأدري وإني سألت ربي فقلت: أي البلاد شر فقال: أسواقها»[2]

---

(١) انظر المذاكرة بتمامها ص٦٤٤ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ١/ ٨٩، ٩٠ .

قال الحاكم : هذا الحديث أصل في قول العالم لاأدري .

وقد وعى سلفنا الصالح هذا المبدأ الغالي وضمنوه نصائحهم وخطبهم، ونظموه في عقد أخلاقهم وآدابهم، فحسنت صورتهم، وتعالت في الأفلاك قيمتهم .

وهذا الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يؤكد ذلك فيقول : « خذوا عني هؤلاء الكلمات، فلو رحلتم فيها المطي حتى تنضوه لم تبلغوه، لايرجو العبد إلا ربه، ولايخشى إلا ذنبه، ولايستحي إذا كان لايعلم أن يتعلم، ولايستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لاأعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له»[1] .

وقد أجاد العلامة ابن جماعة الكناني . حيث قال : (واعلم أن قول المسؤول لاأدري لايضع من قدره، كما يظنه بعض الجهلة بل يرفعه لأنه دليل عظيم على عظم محله وقوة دينه وتقوى ربه وطهارة قلبه وكمال معرفته (وحسن تثبته، وقد روينا مثل ذلك عن جماعه من السلف، وإنما يأنف من قول (لاأدري) من ضعفت ديانته وقلت معرفته، لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين وهذه جهالة ورقَّة دين وربما يشتهر خطؤه بين الناس فيقع فيما فرَّعنه . . الخ»[2] .

سابعاً : رحابة الصدر عند امتحان الطلبة وتقليبهم الأسانيد.

كان طلبة العلم فيما مضى يفاضلون بين مشايخهم ويتخيرون ذا الصفات العليَّة من علو الإسناد والتقوى والشهرة بطلب الحديث وكثرة الفوائد .

وجرت العادة أحياناً أن يمتحنوا شيخاً بعينه ليقفوا على مدى ضبطه وعدم قبوله التلقين كما اتفق للإمام البخاري رحمه الله لما ورد بغداد . . . والقصَّة مشهورة [3] .

(١) الالماع للقاضي عياض ص ٢١٥، جامع بيان العلم لابن عبدالبر ١/ ٩٠، المدخل للبيهقي ص ٥٣ .
(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٢، ٤٣ .
(٣) انظر القصة في تاريخ بغداد ٢/ ٢٠ .

والعلماء يتفاوتون في مدى تقبل مثل هذا الصنيع إذا اتضح لهم، فمنهم من يضيق به، ومنهم من يغضب، ومنهم من يعاقب عليه بالقول، وأحياناً بالفعل، ومنهم من يتقبله برحابة صدر ويتوقع مثل هذا ويعطى طلبة العلم فسحة للإستيثاق والإختبار.

وهذه صور من تباين المواقف والإستعداد للإمتحان، وعلى ضوئها نستطيع تقييم موقف الذهلي لما أمتحن.

الصورة الأولى: من تقلب عليه الأحاديث وهو لا يدري.

عن حماد بن سلمة [1]. قال: قلبت أحاديث على ثابت البناني [2] فلم تنقلب، وقلبت على أبان ابن أبي عيَّاش [3] فانقلبت» [4].

الصورة الثانية: استنكار بعض العلماء لمثل هذا الصنيع.

سأل حرميٌ [5] بهزاً [6] عن أبان ابن أبي عياش - فذكر عن شعبة قال: كتبت حديث أنس عن الحسن، وحديث الحسن عن أنس فد فعتها إليه، فقرأها عليَّ، فقال حرمي: بئس ماصنع، وهذا يحل؟» [7].

الصورة الثالثة: من يعاقب بالدعاء الشنيع

دخل حفص بن غياث، ويوسف بن خالد السمتي، ومليح بن وكيع على محمد بن عجلان [8] بعد أن قلبوا أسانيد حديثه، فسألوه، فمرّ فيها، فلما كان

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٦٣.

(٢) هو ثابت بن أسلم البناني البصري، أبو محمد، يروي عن ابن عمر وابن الزبير، وصحب أنساً (٤٠) سنة. مات سنة (١٢٧). الثقات ٤/ ٨٩

(٣) هو أبان ابن أبي عياش فيروز، أبو إسماعيل، مولى عبد القيس البصري، روى عن أنس. متروك، مات سنة (٤٠). تهذيب التهذيب ١/ ٨٥، التقريب ص٨٧.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ١٣٦.

(٥) سبقت ترجمته ص١٦٦.

(٦) سبقت ترجمته ص ١٥٨.

(٧) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ١٣٦.

(٨) هو محمد بن عجلان أبو عبدالله القرشي المدني، بقية الأعلام، الإمام القدوة، كان فقيهاً، عابداً صدوقاً له حلقة كبيرة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات سنة ١٤٨هـ، السير ٦/ ٣١٧، ميزان الإعتدال ٤/ ٩٠.

عند آخر الكتاب انتبه الشيخ . . . فأعادوا عليه العرض وردَّ كل إسناد مكانه، ثم أقبل على يوسف بن خالد فقال: إن كنت أردت شيني وعيبي فسلبك الله الإسلام.

وأقبل على حفص فقال: إبتلاك الله في دينك، ودنياك. وأقبل على مليح فقال: لانفعك الله بعلمك.

قال يحيى بن سعيد رواي القصة: فمات مليح ولم ينتفع به، وابتلى حفص في بدنه بالفالج، وبالقضاء في دينه، ولم يمت يوسف حتيأتهم بالزندقة»[1].

الصورة الرابعة: من يغضب ويعاقب على الامتحان بالفعل.

قال أحمد بن منصور الرمادي[2]: خرجت مع أحمد ويحيى بن معين إلى عبدالرزاق خادمًا لهما، قال: فلما عدنا إلى الكوفة، قال يحيى بن معين: أريد أن أختبر أبا نعيم[3]، فقال أحمد: لاتُرِدْ، فالرجل ثقة، قال يحيى: لابُدَّلي. فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثاً وجعل على رأس كلٍّ عشرة منها حديثاً ليس من حديثه، ثم إنهم جاؤوا إلى أبي نعيم، فخرج وجلس على دكان طين، وأخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، ويحيى عن يساره، وجلست أسفل الدكان، ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشره أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي، اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني، وأبو نعيم

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي ص ٣٩٩، ميزان الإعتدال ٤/ ٩١.
وقد انتقد الإمام الذهبي هذه الحكاية في اسنادها عند الرامهرمزي وقال عن مليح: لايدري من هو، ولم يكن لوكيع بن الجراح ولد يطلب أيام ابن عجلان، ولم يكن ظهر لهم قلب الأسانيد على الشيوخ، إنما فعل هذا بعد المئتين. السير ٦/ ٣٢١، وقد أوردت هذه الحكاية للعلم بها، وليقاس عليها غيرها من ردود الفعل.

(٢) هو أحمد بن منصور الرمادي أبو بكر، يروي عن عبد الرزاق، ويزيد بن هارون، مستقيم الأمر في الحديث، الثقات (٨/ ٤١).

(٣) هو الفضل بن دكين تسبقت ترجمته ص ١٠٩.

ساكت، فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي فاضرب عليه ثم قرأ العشر الثالث، ثم قرأ الحديث الثالث، فتغير وجه أبو نعيم، وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى، فقال: أما هذا- وذارع أحمد بيده- فأورع من ان يعمل مثل هذا، وأما هذا- يريدني - فأقل من أن يفعل ذاك، ولكن هذا من فعلك يافاعل، وأخرج رجله، فرفس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام، فدخل داره، فقال أحمد بن حنبل ليحيى : ألم أمنعك وأقل لك: إنه ثبت، قال: والله لرفسته لي أحب إلى من سفرتي»[١].

ولاشك أن العالم قد تتعدد ردود فعله تجاه هذا الأمر بحسب الممتحن وهيئتة ومكانته وحسب الحالة الطبيعية التي يكون عليها العالم نفسه، لأن الامتحان له عمليه استيثاق مما لديه وجس نبض لشخصيته. . . وهذا أمر لايرضاه كل أحد، وكل عالم يفسره من جهة.

وقد امتحن الحافظ صالح بن محمد جزرة شيخه الذهلي عندما قدم نيسابور وكان غرضه كما ذكر الخطيب[٢]: النظر في أمره هل يقبل التلقين أم لا؟ فوجده ضابطاً لروايته، حافظاً لأحاديثه، محترزاً من الوهم بصيراً بالعلم.

وهذا سرد القصه كما ساقها الخطيب قال: حدثت عن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي قال سمعت أبو العباس الدغولي يقول: سمعت صالح جزرة يقول: لما خرجت من الري قلت لفضلك عمن أكتب بنيسابور؟ قال: اذا قدمت نيسابور فانظر إلى شيخ بهي، حسن الوجه، حسن الثياب، راكبا حماراً، وهو محمد بن يحيى فاكتب عنه، فإنه من قرنه إلى قدمه فائدة، قال: فلما قدمت نيسابور استقبلني محمد بن يحيى فعرفته بهذه الصفة، فذهبت معه، وانتخبت

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٧٩، وتاريخ بغداد ص١٢ / ٣٥٣ ، تهذيب التهذيب ص٨/ ٢٤٦ سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٤٨.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٨.

عليه مجلساً وقرأته عليه، فلما فرغت قلت له: أفادني الفضل بن العباس الرازي حديثاً عنك عند الوداع لاسمعه من الشيخ. فقال: هات.

فقلت: حدثكم سعيد بن عامر[1] حدثنا شعبة عن عبدالله بن صبيح عن محمد بن سيرين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال« هذا خالي فليبَرَّ امرء خاله»[2]

فقال محمد بن يحيى: من ينتخب مثل هذا الإنتخاب، ويقرأ مثل هذه القراءة، يعلم أن سعيد بن عامر لايحدث بمثل هذا الحديث. فقال صالح: نعم، حدثكم سعيد بن واصل[3]»[4].

ومن هذا المثال الموجز عن امتحان جزرة لشيخه الذهلي نراه لايستنكر ذلك الإمتحان بل يوجه للصحيح فيما ألقي إليه بأسلوب تربوي هادي.

---

(١) سبقت ترجمته ص١٢٩.

(٢) الحديث اخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه. ٤/ ٦٠٧ بلفظ هذا خالي فليرني أمرء خاله. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٣) هو سعيد بن واصل الحرشي، روى عن شعبة وغيره، روى عنه سعيد بن عون الهاشمي، قال أبو حاتم: لين الحديث، الجرح والتعديل ٤/ ٧٠.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٤١٧.

المبحث الثالث

معرفة الإمام الذهلي بتحمل الحديث وأدائه ومايتنظمهما من الضبط ورعاية الأصول والتدقيق

إن حركة الرواية المتميزة التي انتظمتها أمة محمد صلى الله عليه وسلم حفاظاً عل سنته لابدّلها من طرفين: طرفين سماع وتحمل، وطرف إسماع وأداء.

ولهذا السماع والإسماع وجوه وطرق حصرها علماء هذا الشأن في ثمانية.

(١) السماع (٢) العرض (القراءة على الشيخ)

(٣) الإجازة (٤) المناولة.

(٥) المكاتبة. (٦) إعلام الشيخ.

(٧) الوصية. (٨) الوجادة.

وهذه الأنواع تتفاوت في القوة والكيفية تفاوتاً واضحاً، فليس الذي يسمع من لفظ الشيخ كالذي يتحمل عنه بالمكاتبة وليس الذي يعرض ويقرأ على الشيخ كالمتحمل عنه بالوصية أو يحكي الوجادة.[1]

وقد أحاط المحدثون علم الرواية بسياج منيع من الإهتمام والعناية والاحتراز في جميع كيفياته ومختلف هيئاته، فكما أنهم فحصوا الرواة وعرضوهم على منظار الجرح والتعديل.

فإنهم أولوا عملية الرواية رعاية قصوى، ويمكننا تسمية هذه الرعاية «بالضبط»[2].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: الوجادة ليست من باب الرواية، وإنما هي حكاية عما وجده في الكتاب. إختصار علوم الحديث ص ١٢٣، فتح الباقي على ألفية العراقي، للحافظ زكريا بن محمد الأنصاري، باعتناء محمد بن الحسين العراقي ٢/ ١١٣.

(٢) ولأهمية الضبط في الرواية وضرورة إطلاق مسمى كل نوع من أنواع التحمل الثمانية على الهيئة التي وقعت أثناءها الرواية: أرى من المستحسن أن يعرف الضبط وأن تذكر أنواعه. =

فلم يكونوا يأخذون عن كل متصد للرواية والتعليم، بل يحرصون كل الحرص على أهل العلم المتمتعين بصفتي الضبط والعدالة، ويتركون أهل الصلاح والزهادة والورع لقلة حفظهم أو لماقد يتلبسون به من الغفلة أو الخطأ الكبير أو قله المبالاة بالأصول وضبط المحصول.

= أولا : تعريف الضبط في اللغة : ضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أي حازم ومنه الأضبط الذي يعمل بكلتا يديه، والضبط لزوم الشيء وحبسه، وضبطت البلاد وغيرها إذا قمت بأمرها قياماً ليس فيه نقص. (لسان العرب ٧/ ٣٤٠ - القاموس المحيط ٢/ ٣٧٠) (المصباح المنير ص ١٣٥)

أما في الإصطلاح فالمعنى مقارب والمراد منه أن يكون الراوي ثابتاً على حفظه صائناً كتابه الذي يحدث منه منذ تحمله إلى أدائه.

قال ابن الاثير في تعريفه : " هو عبارة عن احتياط في باب االعلم وله طرفان طرف وقوع العلم عندالسماع وطرف الحفظ بعد العلم عند التكلم، حتى إذا سمع ولم يعلم لم يكن شيئا معتبرا كما لو سمع صياحا لا معنى له، واذا لم يفهم اللفظ بمعناه على الحقيقة لم يكن ضبطا، وإذا شك في حفظه وسماعه بعد العلم والسماع لم يكن ضبطاً (جامع الاصول ١/ ٣٥).

ثانيا : أنواع الضبط .

١ - ضبط صدر

٢ - ضبط كتاب

أما ضبط الصدر : فهو أن يثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء.

وأما ضبط الكتاب : فهو صيانته لديه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤدي منه (انظر توضيح الافكار للصنعاني٢/ ١١٩، ١٢٠) (نزهة النظر، لابن حجر ٢٩)

وقد أشار أبو الطيب السيد صديق حسن القنوجي إلى هذين النوعين بأسلوب آخر، فقال :

" اعلم أن الضبط الذي يؤخذ في صحة الحديث كان له في الأمة المرحومة ثلاثة أحوال.

الأول : انهم كانوا يحفظون الأحاديث في زمن الصحابة والتابعين عن ظهر غيب ويقتصرون عليها وكان ضبطهم يومئذ في جودة الحفظ فقط.

الثاني : أنهم كانوا يكتبون الاحاديث في زمن تبع التابعين وأوائل المحدثين إلى الطبقة السابعة أو الثامنة وكان ضبط ذلك الوقت في تبيين الخط والاحتياط في الثقات، والحركات، والسكنات، وتصوير الحروف، ومقابلتها على أصولها الصحيحة وحفظ الكتاب عن العوارض الطارئة عليه ونحوها.

الثالث : أنهمأي الحفاظ صنفوا كتباً جمة في أسماء الرجال وغريب الحديث وضبط الألفاظ المشكلة، وصنفوا شروحاً لهـا حافـلة وتعرضـوا بما يليق به التعرض والبحث عن أحوالها. (الحطة في ذكر الصحاح الستة ص ١٣٠)

فالاول هو ضبط الصدر والثاني والثالث هو ضبط الكتاب.

لذا فقد عقد الحافظ الخطيب البغدادي باباً في [1] (ترك الاحتجاج بمن لم يكن من أهل الضبط والدراية وإن عرف بالصلاح والعبادة) وساق على ذلك أمثله منها :

قول ربيعه ابن أبي عبدالرحمن [2] : « إن من إخواننا من نرجو بركة دعائه- ولو شهد عندنا بشهادة ماقبلناها [3] وقول يحيى بن سعيد : «مارأيت الصالحين في شيء أشد فتنة منهم في الحديث » [4] .

وقول مالك بن أنس : " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، لقد أدركت سبعين عند هذه الأساطين- وأشار إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقولون : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أخذت عنهم شيئاً ، إن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، ويقدم علينا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب وهو شاب فنزدحم على بابه " [5]

وقال أيضا : لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك ، لا يؤخذ من رجل صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سفيه معلن بالسفه ، وإن كان من أروى الناس ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لاتتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة لا يعرف ما يحدث [6]

---

(١) الكفاية في علم الرواية ص ٢٤٧ .

(٢) هو ربيعة ابن أبي عبد الرحمن ، فروخ ، الإمام مفتي المدينة ، وعالم الوقت ، أبو عثمان ، المشهور بربيعة الرأي ، مات عام (١٣٦) . السير ٦/ ٨٩ .

(٣) الكفاية ص ٢٤٧ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الكفاية ص ٢٤٨ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٤٩ .

ومراد هؤلاء الأئمة وسواهم أن مجرد الصلاح ليس بمسوغ للتحديث، لأن هذا المقام يحتاج فيه إلى صفات يجب توافرها في المحدث الذي يحدث من حفظه وأخرى لمن يحدث من كتابه .

لذا ساق الخطيب بعد ذلك أوصاف وشرائط من يحتج بروايته اذا كان يحدث من حفظه فقال :

١ - أول شرائط الحافظ المحتج بحديثه اذا ثبتت عدالته أن يكون معروفاً عند أهل العلم بطلب الحديث وصرف العناية إليه واستشهد بقول عبد الله بن عون: « لا نكتب الحديث إلا ممن كان عندنا معروفا بالطلب » .

٢ - أن يكون ضابطا لما سمعه وقت سماعه متحفظا على شيخه في روايته، من أن يدلسه له إن كان ممن يعرف بالتدليس فإن شعبة كان يتحفظ على قتادة في مثل ذلك .

وساق قوله في ذلك : « كنت أجلس إلى قتادة فإذا سمعته يقول : سمعت فلاناً وحدثنا فلان كتبت، فإذا قال قال فلان وحدث فلان لم أكتب .

وأورد مثالاً لمن خَبُثَ تدليسه بأن هشيمًا كان يحدث فجعل يقول : أخبرنا - يرفع صوته ثم يسكت فيقول فيما بينه وبين نفسه - فلان - ثم يرفع صوته - داود عن الشعبي - عن فلان - عن فلان .

٣ - يجب أن يتثبت في الرواية حال الأداء، ويروي ما لا يرتاب في حفظه ويتوقف عما عارضه الشك فيه .

وأورد قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه - : « أما بعد فإني أريد أن أقول مقالة قدر أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي ، فمن وعاها وعقلها ، وحفظها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته، ومن خشي ألا يعيها فإني لا أحل لأحد أن يكذب عليّ » (١)

(١) الكفاية: باب الكلام في أحكام الأداء ص ٢٥١، ٢٥٧ .

أما من لم يستطع حفظ حديثه واتقانه فرخص بعض الأئمة في أن يحدث من الكتاب بشرطين :-

١ - أن يكون الخط معروفاً موثوقاً .

٢ - وأن يكون الكتاب محفوظاً عنده .

وقد ضرب أبو حاتم ابن حبان أمثلة لمن تهاون بكتابه فلم يحفظه ، وتعرض لمن يضع أو يدس عليه الحديث فقال في النوع الرابع عشر من أنواع جرح الضعفاء :

" ومنهم من امتحن بابن سوء أو ورّاق سوء كانوا يضعون له الحديث ، وقد أمن الشيخ ناحيتهم ، فكانوا يقرأون عليه ويقولون له : هذا من حديثك فيحدث به ، فالشيخ في نفسه ثقة إلا أنه لا يجوز الإحتجاج بأخباره ولا الرواية عنه لما خالط اخباره الصحيحة الأحاديث الموضوعة " (١)

وبعد هذا التعريج على صفات من يحتج بحديثه ، إن حدث من الحفظ أو الكتاب ، نشرع في استعراض لمسات الإمام الذهلي على أنواع الأداء والتحمل سواءً بالتصريح أو التلميح ، ومن استعراض لمساته تلك ، واستعماله لبعضها ، والإشارة للبعض الآخر ، ندرك مدى ما تركه من أثر له دور بالغ في إرساء قواعد هذا الفن من فنون المصطلح .

الوجه الاول : السماع من لفظ الشيخ .

وهو أن يقرأ الشيخ الحديث من حفظه أو من كتابه والحضور يسمعون أو يكتبون عنه أو يضبطون عليه في كتبهم لفظه :

وهو أرفع درجات التحمل عند الجمهور .

---

(١) المجروحين ١/ ٧٧، وانظر الموضوعات لابن الجوزي ١/ ١٠٠ .

وقـد أشـار الإمـام الذهلي إلى أقسام هذا الوجه وذلك باستخدامه الفعلي لها .

القسم الأول : السماع من لفظ الشيخ في الاملاء .

قال ابن ماجه : " حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق " إملاءً عليَّ من كتابه وكان السائل غيري " (١)

وقال ابن حجر العسقلاني : إن هذا القسم أرفع درجات السماع من الشيخ ، لما يلزم منه تحرز الشيخ والطالب " (٢)

وفسر السخاوي ذلك بأن الشيخ مشتغل بالتحديث والطالب بالكتابة ، فهما لذلك أبعد عن الغفلة وأقربإلى التحقيق ، وتبين الألفاظ مع جريان العادة بالمقابلة بعده . . الخ " (٣)

وفي قوله : وكان السائل غيري إشارة إلى أهمية التنويه بهيئة السماع والأسئلة والاستملاء في المجلس وهذا من الأمانة .

---

(١) سنن ابن ماجه ١/ ٢٠٣ .

(٢) فتح الباري ١/ ١٥٠ . وقد ذهب الأئمة إلى تجويز الكتابة حال السماع من الشيخ . قال الخطيب : ومن صحح السماع مع الاشتغال بالكتابة عبدالله بن المبارك وحسبك به ديناً وفضلاً ، وعلماً ونبلاً ، وغير واحد من السلف ، ونقل قول علي ابن المديني . قال : كنا عند جرير فجعلنا نشدد في شيء من السماع فقال : أنتم أفقه من ابن المبارك!؟ لقد كنت أقرأ عليه ومابنظر في الكتاب ، وهو ينسخ شيئاً آخر » .

وقد فعله أبو حاتم فقال : «كتبت عند عارم وهو يقرأ ، وكتبت عند عمرو بن مرزوق وهو يقرأ» وسأل عبيدالله ابن أحمد التميمي موسى بن هارون الحمال عن الرجل ينسخ في المجلس وهو يسمع؟ قال : لابأس ، وسأله مرة أخرى : المحدث يحدث والرجل ينسخ ، هل له سماع؟ فقال : جائز »انظر الكفاية ص ١٢٢ بتصرف يسير .

وقد ذكر ذلك الخطيب دلالة على جوازه خلافاً لمن منع صحة هذا السماع ، وحجتهم في ذلك انشغال القلب عن ضبط مايقرأ .

(٣) فتح المغيث ٢/ ١٥٢ .

القسم الثاني : السماع من حفظ الشيخ :

وقد بين رحمه الله أن سماعه من شيخه عبد الرحمن بن مهدي كله من هذا النوع، قال: " ما رأيت في يد عبد الرحمن بن مهدي كتابًا قط، وكل ما سمعت منه سمعته حفظا "(١)

وهذا القواريري يذكر مثل ذلك قال : " أملى عليَّ ابن مهدي عشرين الف حديث حفظا " (٢)

وقد بين أقسام هذا الوجه القاضي عياض فقال : وهو منقسم إلى إملاء أو تحديث ، وسواء كان من حفظه أو قراءة من كتابه " (٣)

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٧.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٠.

(٣) الإلماع إلى أصول الرواية وتقييد السماع ص ٦٩ .

إستدراك: قال أبو عمر بن عبدالبر: «يقولون: إن سماع أبي أويس ومالك بن أنس من الزهري كان واحداً، بعرض واحد، كذلك قال محمد بن يحيى النيسابوري وغيره والله أعلم». -- التمهيد ١١/ ٢٧.

وبيت القصيد من نقل ابن عبدالبر هذا عن الإمام الذهلي أن تحمل الإمام مالك وابن عمه وصهره عبدالله بن عبدالله الأصبحي عن شيخهما الإمام الزهري كان فيه تشابه. ولاأستطيع الجزم بماهية التشابه هل هي في المسموع ومقداره، أم في مدة السماع، أم في كيفية التحمل. لأن من نقل ذلك لم يفسره. قال أبو داود السجستاني قلت لابن حنبل: أبو أويس؟ قال: ليس به بأس (أو قال ثقة) كان قدم هاهنا فكتبوا عنه، زعموا أن سماع أبي أويس وسماع مالك كان شيئاً واحداً» تاريخ بغداد ١٠/ ٧، ترتيب المدارك للقاضي عياض ١/ ٣٦٩. فقال ابن حجر: والحكايه التي قالها أبو داود بلفظه زعموا ذكرها البزار وعنده قال: «كان يقال أن سماعه من الزهري شبيه بسماع مالك» تهذيب التهذيب ٥/ ٢٤٦.

وفي عبارة ابن عبدالبر وجه إشارة إلى أن التشابه كان في التحمل عن الإمام الزهري، وإخال أن الإمام الذهلي كان ناقلاً للمعلومة لأن قول ابن عبدالبر«يقولون» فيه دلالة على ذلك ويؤكده قول الإمام أحمد وهو شيخ الذهلي «زعموا» فالعبارة قيلت قبل الذهلي.

ولذا فإن جمع هيئتي السماع والعرض لاأتصوره عن الذهلي الذي عرف عنه التفريق بينهما، واعتبارهما هيئتان لكل منهما عبارة في الأداء والتحمل، ولعله كان يرمي إلى أحدهما إما السماع أو العرض، ثم جاء من المالكية من سوّى بينهما على مذهبه . والله أعلم .

الوجه الثاني : القراءة على الشيخ

ويسميه أكثر المحدثين " العرض " (١) لأن المحدث يعرض ما يقرؤه على المحدث، وعمدة المحدثين في هذا النوع من التحمل حديث ضمام بن ثعلبة حين قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : " آلله أمرك أن تصلى الصلوات ؟ قال : نعم . . . الحديث . قال : هذه القراءة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخبر ضمام قومه بذلك فأجازوه . (٢)

قال ابن الصلاح : " وسواء كنت أنت القارىء أو قرأ غيرك وأنت تسمع أو قرأت من كتاب أو من حفظك ، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه أولا يحفظ ، لكن يمسك أصله هو أو ثقة غيره، ولا خلاف أنها رواية صحيحة إلا ما حكي عن بعض من لا يعتد بخلافه " (٣)

---

(١) قال السخاوي: «وكأن أصله من وضع عرض شيء على عرض شيء آخر، لينظر في استوائهما وعدمه» فتح المغيث٢/ ١٦٨ . وقال الشيخ حماد الأنصاري« قراءة الأستاذ تسمى إملاءً وقراءة التلميذ عرضاً» يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر. ص ٥٩ .

(٢) وقد بوب البخاري رحمه الله على الحديث بقوله «باب القراءة والعرض على المحدث » انظر صحيح البخاري ، باب القراءة والعرض على المحدث١/ ٢٦ .

(٣) علوم الحديث ١٤٢ ، وانظر في ذلك الإلماع للقاضي عياض ص ٧٠، أما قوله(الا ماحكي عن بعض من لايعتد بخلافه» فعدّد بعضهم السيوطي في تدريب الراوي ٢/ ١٣، وهم:

(أ) أبو عاصم النبيل إن ثبت عنه فقد قال إسحاق بن سيار، سمعت أبا عاصم يقول : زعم سفيان أن القراءة جائزة، قيل له: كيف يقول إذا قرأ عليك كتاباً فيه ألف درهم ؟ قال: لابأس أن يقول أشهدني، وسمعت أبا حنيفة يقوله (المحدث الفاصل، للرامهرمزي ٤٢٠) باب في القراءة على المحدث.

(ب) ووكيع حيث قال: ماأخذت حديثاً قط عرضاً . . .»

(جـ) ومحمد بن سلام حيث قال: أدركت مالك بن أنس، فإذا الناس يقرأون عليه ، فلم أسمع منه لذلك».

(د) وعبدالرحمن بن سلام الجمحي حيث قال: دخلت على مالك بن أنس وكان على بابه من يحجبه وكان بين يديه ابن أبي أويس، وهو يقول: حدثك نافع، حدثك ابن شهاب، حدثك فلان وفلان؟ فيقول مالك :نعم . . . نعم، فلما فرغت قلت: ياأبا عبدالله عوضني مما حدثته بثلاثه أحاديث تقرؤها عليَّ: قال : أعراقي أنت؟ أخرجوه عني ».

انظر الكفايه للخطيب باب « ذكر الرواية عمن كان يختار السماع من لفظ المحدث على القراءة عليه، ص ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧.

وقد أشار إلى انقراض الخلاف في هذه الصيغة الحافظ ابن حجر فقال:

" قد انقرض الخلاف في كون القراءة على الشيخ لا تجزي، وإنما كان يقوله بعض المتشددين من أهل العراق.

وساق على ذلك قول إبراهيم بن سعد«لا تدعون تنطعكم ياأهل العراق، العرض مثل السماع»[1].

ثم أشار إلى الضد من أهل العراق وهم أهل المدينة حيث قرروا أن القراءة على الشيخ أرفع من السماع من لفظه، ومنهم مالك في رواية عنه[2].

وذكره الخطيب عن شعبة، وابن أبي ذئب، ويحيى القطان، واعتلوا بأن الشيخ لوسها لم يتهيأ للطالب الردُّ عليه[3]، ثم ألمح إلى المذاهب المتوسطه بين الضدين وهم من يرون أن السماع والعرض بمنزلة واحدة وعلى رأس هؤلاء مالك في المشهور والمعروف عنه والثوري[4].

وقال ابن الصلاح: « قد قيل إن التسوية بينهما مذهب معظم علماء الحجاز والكوفة، ومذهب مالك وأصحابه وأشياخه من علماء المدينة ومذهب البخاري وغيرهم[5].

ويطالعنا مذهب جمهور أهل المشرق وهو مذهب متوسط بين الطرفين، غير أنه يخالف أصحاب التسوية بينهما «ويجعل السماع من لفظ الشيخ أقوى من القراءة عليه».

---

(١) فتح الباري ١/ ١٥٠.

(٢) الإلماع للقاضي عياض ص ٧٤.

(٣) انظر أقوالهم في الكفاية ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٤) الكفاية ص ٣٩٠، وبقية أقوال مالك في نفس الباب من ص ٣٨٣ - ٣٩٤.

(٥) علوم الحديث ص ١٤٢.

قال القاضي عياض: « وذهب جمهور أهل المشرق وخراسان إلى أن القراءة درجة ثانية وقال: وهو مذهب أبو حنيفة في أحد قوليه، والشافعي، وهو مذهب مسلم بن الحجاج، ويحيى بن يحيى التميمي . . . »[1]

وصححه ابن الصلاح[2] والنووي والسيوطي[3].

وقال ابن حجر: « وعند الجمهور السماع أقوى من القراءة . . »[4].

وأشار إلى صحة هذا المذهب العراقي في ألفيته إذ قال.

« . . . . . وعكسه اصح وجل أهل الشرق نحوه جنح. »

وقال في شرحها فتح المغيث « وذهب جمهور أهل الشرق إلى ترجيح السماع من لفظ الشيخ على القراءه عليه وهو الصحيح»[5].

ووافقه على قوله السخاوي في شرحه لها أيضاً وأضاف: « لكن محله مالم يعرض عارض يصير العرض أولى بأن يكون الطالب أعلم أو أضبط ونحو

---

(١) الإلماع ص ٧٣، وقد بالغ بعض القائلين بهذا حتى أنه لم يعتبر القراءة شيئاً وهو إسحاق بن عيسى الطباع، فقد نقل إلينا تلميذه الذهلي قوله «لاأعد القراءة شيئاً بعدما رأيت مالكاً يقرأ عليه وينعس»، الكفايه ص ٣٩٥. وهذا الخبر إن صح فإنما هو يحكي ردة فعل لدى رؤية معينه وليست تلك الحالة على الدوام وان كان قد أثر عن مالك في تهيؤه للعلم مايخالفها.
ومن طريف مايروى من أخبار من يقرأ عليه وينعس من المحدثين، ماذكر عن أبي الحسن ابن بندار القزويني - من كثرة نومه حين السماع، فشق على الطلبة تنبيهه وإيقاظه، فعمد أحد السامعين وأعدَّ قرطاساً فيه قطع حلاوة شديدة العقد، صعبة المضغ، فكان اذا رأى الشيخ يغازله النوم، أدخل في فيه قطعة منها فيشتغل الشيخ بلوكها، وتوقظه حلاوتها وشدة مضغها، فاذا فنيت، وعاد إلى النوم فعل به ذلك، فاستراحوا من تعب إيقاظه بهذه الحيلة التي شكرت لفاعلها» الإلماع ص ١٤٤.

(٢) علوم الحديث ص ١٤٢.

(٣) التقريب للنووي ١/ ١٥، وشرحه تدريب الراوي للسيوطي.

(٤) فتح الباري ١/ ١٥٠.

(٥) فتح المغيث للعراقي ص ١٨٦.

ذلك ، كأن يكـون الشيخ في حال القراءة عليه أوعى وأيقظ منه في حال قراءته هو ، وحينئذ فالحق أن كلمـا كـان فيه الأمـن من الغلـط والخطـأ أكثر كـان أعلى مرتبة »[1] .

وبعد هذه الوجازة في اتجاهات أهل العلم في القراءة على الشيخ ، نعود لإمام أهل المشرق وخراسانه في زمانه إمامنا الذهلي فنجده ينحو منحى أهل جهته وهم الجمهور كما قال ابن حجر العسقلاني .

وهذه إشاراته التي نستشف منها تفريقه بين السماع والعرض .

أولاً : تفريقه بين السماع والعرض بإطلاق لفظ القراءة دون السماع .

في ترجـمـة روح بن عـبـادة [2] بن العـلاء بن حـسـان العنسي أبو مـحـمـد البصري .

قال ابن حجر : « وقـال محمد بن يحيى : قرأ روح على مالك ؟ » قال ابن حجر : «فبيَّن السماع من القراءة» [3] .

---

(١) فتح المغيث للسخاوي ٢/ ١٧٤ .

(٢) هوروْح بن عبادة بن العلاء بن حسان أبو محمد القيسي الحافظ ، قال الخطيب : صنَّف الكتب في السنن والأحكام وجمع تفسيراً وكان ثقة . مات سنة (٢٠٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٠، وانظر تهذيب التهذيب ٣/ ٢٥٥ ، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٠ .

(٣) تهذيب التهذيب ٣/ ٢٥٤ ، وتعقيب الحافظ ابن حجر على كلام الإمام الذهلي جاء مبيناً لمذهبه وهو التفريق بين السماع والقراءة وأن الأولى أقوى من الثانية ، وهو قول الجمهور ، كما جاء لمغزى آخر وهو أن روح بن عبادة على أنه مرضي عند الجمهور « فقد وصفه البزار في مسنده بأنه ثقة مأمون ، ونقل ابن أبي خيثمة عن يحيى قوله : ثقة صدوق ، ونقل أبو داود عن أحمد قوله فيه : لم يكن به بأس ولم يكن متـهـماً بشيء » تهذيب التهذيب ٣/ ٢٥٥ . إلا أنه لـم يسلم من طعون لم تثبت عليه كما قال أبو مسعود أحمد بن الفرات : «طعن على روح بن عبادة اثنا عشر أو ثلاثة عشر فلـم ينفذ قولهم فيه» تهذيب الكمال للمزي ٩/ ٢٤٥ ، ومن هؤلاء عبدالرحمن بن مهدي ولكنه تراجع وكأنه طلب التحلل منه ، وعفان بن مسلم لم يرضَ حديثه ثم عاد فقوَّاه بعد أن حاجه أبو خيثمة بأنه لايملك ضده مايضعفه (تهذيب الكمال ٩/ ٢٤٣) ومنهم =

ثانياً : تفريقه بين السماع والعرض من خلال صيغ الاداء :

أثر عن أئمة الحديث رحمهم الله آراء متباينة عن الصيغة التي يؤدى بها الحديث إذا سمع الطالب من لفظ الشيخ ، أو قرأ عليه .

قال الخطيب البغدادي : " قلت ما يسمع من لفظ المحدث الراوي له بالخيار فيه بين قوله " سمعت " و " ثنا " و" أخبرنا " و " أنبأنا " إلا أن أرفع هذه العبارات ، سمعت . . . الخ "(1)

أن حاجه أبو خيثمة بأنه لايملك ضده مايضعفه (تهذيب الكمال ٩/ ٢٤٣) ومنهم =

= القواريري الذي نقده يحيى بن معين قال أبو داود : «كان القواريري لايحدث عن روح وأكثر ماأنكر عليه تسع مائه حديث حدث بها عن مالك سماعاً» تهذيب الكمال للمزي ٩/ ٢٤٤، ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٢٥٠ . وكأن يحيى بن معين لم يرضَ قول القواريري فقال : « القواريري يعني عبيدالله- يحدث عن عشرين شيخاً من الكذابين » .

ثم يقول : (لا أحدث عن روح بن عبادة !) تهذيب الكمال ٩/ ٢٤٣ ، وقال الذهبي " تكلم فيه القواريري لكونه يروي عن مالك تسعمائة حديث ، فاستعظم كثرتها " تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٠ - وقال الخليل " ثقة أكثر عن مالك" ت ت ٣/ ٢٥٥ - وكأنه لا يرى ما رآه القواريري - والاكثار عن بعض الشيوخ أمر ليس بمستغرب .

" هذه الاحاديث التسعمائة هل كانت كلها سماعا أو قراءة ؟ لا نجزم بأي من ذلك ولكن يظهر أن من قالوا رواها سماعا عن مالك يذهبون مذهبه في التسوية بين السماع والقراءة على الشيخ، ومما يدل على هذه التسوية قول يحيى بن اسماعيل الواسطي : " القراءة على مالك بن انس مثل السماع من غيره ، شرح علل الترمذي ١/ ٥٠٩ ، واستشف أن محمد بن يحيى الذهلي كان لديه ما يدل على قراءة روح على مالك وعرضه عليه ، لذا فانه يمكننا القول بأن بعضها كان سماعاً من لفظ مالك وبعضها قراءةً عليه .

(1) الكفاية في علم الرواية ص ٤١٢ باب ماجاء في عبارة الرواية عما سمع من المحدث لفظاً، وقد فصل ذلك ابن حجر في مواضع شتى من شرحه على البخاري فقال : «عند المتقدمين يجوز إطلاق التحديث، والإخبار، والإنباء، وقال لنا.

وعند المتأخرين التحديث والإخبار وهذه مواضع كلامه بالجزء والصفحه، هدي الساري ص ١٧ ، فتح الباري ١/ ١٤٥، ٢/ ٥٦٤، ٣/ ٣٧٦، ٤/ ٣٨٨، ٥/ ٤٠٠، ٦/ ٢٨٠، ٧/ ٢٦٠، ١١/ ٢٥٦.

وقال الشيخ حماد الأنصاري أقوى الصيغ وأصرحها «سمعت» لأنها لاتحتمل الواسطة بخلاف

أما بالنسبة لمن سمع من المحدث قراءة عليه، فقد صحح القاضي أبو بكر محمد بن الطيب أنه لا يجوز أن يقول سمعت فلانا ولا حدثني ولا أخبرني، وعلل ذلك بأن قوله «سمعت» يفيد أن المحدث نطق به، وأن القائل " سمعته " يحكي لفظه وهو باطل وإخبار بالكذب. "(1)

ثم قال: فان قيل فكيف يجب أن يقول قاريء الحديث إذا أراد أن يحدث به عمن قرأ عليه؟

قيل: يجب أن يقول: حدثنا، وأخبرنا قراءة عليه، ليرفع بذلك الإيهام لسماعه منه بلفظه.

قال الخطيب البغدادي: " وهذا الذي ذكر القاضي وجوبه هو مذهب خلق كثير من أصحاب الحديث وقد قال محمد بن ادريس الشافعي وغيره يكفي الراوي أن يقول فيما سمعه قراءة أخبرنا، ولا يحتاج إلى أن يقول قراءة، وقال جماعة من الأئمة: و البيان أولى فان كان سمع بقراءته يقول قرأت، وان كان سمع بقراءة غيره يقول قريء وأنا أسمع، ولا يجوز أن يقول: حدثنا ولا أخبرنا وأجاز قوم ذلك، وأن يقول أيضا، وسمعت ".(2)

= متن البصرة فإنه لم يسمع من ابن عباس، يعني أن (سمعنا) اسم على الحكاية لرفع الصيغ كلها في الإملاء على الطالب وهو يكتب لما فيه ذلك من التثبت والتحفظ. يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر ص ٥٩.

(1) بتصرف الكفاية ٤٢٧ - ٤٢٨ باب القول في العبارة بالرواية عما سمع من المحدث قراءة عليه، وانظر ايجاز ذلك في الجامع لأخلاق الراوي للخطيب ٢/ ٤٩ (باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا).

وأوجز كذلك الحافظ ابن حجر مذاهب العلماء و بالأخص المشارقة فقال: «مذهب ابن جريج والأوزاعي، والشافعي، وابن وهب، وجمهور أهل المشرق تخصيص الإخبار بما يقرأ على الشيخ، وجوَّز ابن راهويه، والنسائي، وابن حبان وابن منده وغيرهم التحديث أيضاً بقيد القراءة عليه (فتح الباري١/ ١٤٥).

وانظر إيجاز الحافظ ابن رجب في هذه المسألة والأقوال فيها في شرح علل الترمذي ٥١٥-٥١٨ «المسألة الثانية: فيما يقول من عرض الحديث إذا حدث به» تحقيق د. عبدالرحيم همام.

(2) الكفاية ص ٤٢٨.

أما الإمام الذهلي رحمه الله تعالى فقد شدَّد في المسألة ، وانضم مع من لم يجز فيما عرضه الرواي في الأداء بـ " سمعت " وحدثنا " وأخبرنا " وإنما أوجب البيان عن السماع كيفما كان . (١)

والدليل على ذلك دقته الواضحة في إطلاق ألفاظ الأداء، فان كان تحمله سماعا في جماعة قال : حدثنا أو أخبرنا (٢) وان كان سماعاً مفرداً قال : حدثني، وان كان تحمله قراءة على الشيخ قال : قرأت على فلان أو فيما قرأت على فلان ، وقد يعنعن عن نفس الشيخ إشارة إلى إختلاف طريقة التحمل عنه .

وقد حصرت إستشهاداتي لذلك على ثلاثة من مشايخه لقصد الوقوف على اختلاف صيغه عن الشيخ الواحد ، مما يدلُّ على اختياره لهذا المذهب وتبنيه إياه .

أ - بيانه التحمل بالسماع عن شيخه مطرف (٣) في جماعة ، واختياره التحديث مرة ، والإخبار مرة أخرى .

---

(١) ساق الخطيب البغدادي باباً في ذلك وهو (باب ذكر الرواية عمن قال : يجب البيان عن السماع كيف كان) ومما رواه في هذا الباب قول الإمام أحمد : «إذا سمعت من المحدث فقل: حدثنا، وإذا قرأت عليه فقل: قرأت، وإذا قرىء عليه: قرىء عليه، وقال: وأحب إلي أن تبيِّن كما كان ..... الخ.

وروى عن أبي موسى محمد بن المثنى قال: سألت الأنصاري عن رجل يقرأ على الرجل يقول حدثني فلان؟

قال: لا ولكن يقول : قرأت على فلان. الكفاية ص ٤٣١ - ٤٣٣ .

ونقل ابن رجب الحنبلي عن عوف قال : «اذا قرأ العالم على العالم فقال حدثني فهي كذبية»

وعن عثمان ابن أبي شيبة، كان ابن المبارك يقول : قرأت على ابن جريج ولايقول (أنا)، شرح علل الترمذي لابن رجب١/ ٥١٦ .

(٢) بيَّن الخطيب أن أرفع صيغ الأداء: سمعت ثم حدثنا ثم أخبرنا وبيَّن أن الأخيرة كثيرة الاستعمال، وذكر ممن كان يؤدي بها عما يسمعه حماد بن سلمه ، وابن المبارك ، وهشيم بن بشير وعبيدالله بن موسى ، وعبدالرزاق بن همام ، ويحيى بن يحيى التميمي ، وابن راهويه وسواهم، الكفاية ص ٤١٣ .

(٣) سبقت ترجمته ص٦٠٤ .

١ - قال ابن الجارود : حدثنا محمد بن يحيى قال : ثنا مطرف [١]

٢ - قال ابن الجارود أيضا : حدثنا محمد بن يحيى قال : أنا مطرف [٢]

ب - بيانه التحمل بالقراءة على شيخه عبد الله بن نافع [٣] بمفرده، وبالسماع من روح بن عبادة [٤] في جماعة .

١ - قال ابن الجارود : حدثنا محمد بن يحيى : وفيما قرأت على عبد الله ابن نافع ، وحدثنا روح بن عبادة عن مالك [٥] .

٢ - قال ابن خزيمة : حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على عبد الله بن نافع وثنا روح عن مالك [٦]

ج - بيانه التحمل بالقراءة على شيخه عبد الله بن نافع والسماع من شيخه مطرف في حديث واحد وفيه إلماحة لتفرده عن مطرف دون جماعة .

١ - قال ابن الجارود : حدثنا محمد بن يحيى قال : قرأت على عبد الله ابن نافع وحدثني مطرف [٧]

٢ - وقال أيضا : حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على ابن نافع وحدثني مطرف عن مالك [٨]

د - بيانه التحمل عن شيخه عبد الله بن نافع بالقراءة مرة ، وبالعنعنة مرة أخرى .

---

(١) المنتقى باب ٧٨ في العدد ص ٢٨٨ .
(٢) المنتقى باب ٧٩ في الديات ص ٢٩٧ .
(٣) عبدالله بن نافع سبقت ترجمته ص ١٤٠ .
(٤) سبقت ترجمته ص٦٦٢ .
(٥) المنتقى باب ٧٤ في الخلع ص ٢٨٣ .
(٦) التوحيد، باب ذكر اثبات اليد للخالق ١/ ١٣٦ .
(٧) المنتقى باب (٢٢) طهارة الماء والقدر الذي ينجس ولاينجس ص ٣٦.
(٨) المنتقى باب (٣٥) في القبله. ص ٧٤.

١ - قال ابن الجارود : حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على ابن نافع عن مالك(١)

٢ - وقال أيضاً : حدثنا محمد بن يحيى عن ابن نافع عن مالك (٢)

ثالثاً : ومن صور تفريقه بين السماع والعرض عدم إنكاره على البرذعي التفريق بينهما

قال البرذعي : قلت لمحمد بن يحيى في حديث أنس ، عن أم حبيبة ، حديث شعيب ابن أبي حمزة ، حدثكم به أبو اليمان ؟ وقال : عن ابن أبي حسين ؟ فقال لي محمد بن يحيى نعم حدثنا به من أصله عن ابن أبي حسين .

فقلت له : حدثنا به غير واحد ، عن أبي اليمان فقالوا عن الزهري : فقال : لقنوه عن الزهري ، قلت : يحيى بن معين ، رحل اليه قبلك او بعدك ؟ وذاك أن يحيى روى هذا عن أبي اليمان ، وقال : عن الزهري . فقال لي محمد بن يحيى : يحيى رحل اليه بعدي ، قلت : فيقال إنه لم يسمع من شعيب بن أبي حمزة غير حديث واحد والبقية عرض . قال الله أعلم(٣) . . . . . . الخ المساءلة .

والذي يعنينا من هذه المسآءلة هو المقطع الأخير وهو قوله " فيقال إنه لم يسمع من شعيب ابن أبي حمزة غير حديث (٤) واحد والبقية عرض !! . . . .

(١) المنتقى باب (٧١) في النكاح، ص ٢٧٠ .

(٢) المنتقى باب (٧٢) في كتاب الطلاق، ص ٢٧٩ .

(٣) أسئلة البرذعي لأبي زرعة ٢/ ٧٤٦ .

(٤) نقل البرذعي بنفسه قريباً من هذا عن شيخه أبي زرعه : «لم يسمع أبو اليمان من شعيب الا حديثا واحداً والباقي إجازة» . تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨٠ .
وقريباً منه مانقله الآجرّي عن أبي داود أنه قال : «لم يسمع أبو اليمان من شعيب الا كلمة» تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨١ .

ومن جواب الإمام الذهلي " لا أعلم " نقف على عدة مهمات :

الأولى : أدب العالم وأمانته بقول الحق فيما يدرك علمه وفيما لا يدركه وقد سبقت الاشارة اليه في آداب المحدث .

الثانية : وهي مرادنا من سياق المعلومة : عدم إنكاره على البرذعي ، تقسيم تحمل أبي اليمان عن شعيب إلى سماع وعرض . الأمر الذي يدل على ذهابه هو أيضاً لهذا التقسيم .

الثالثة : قوله " لا أعلم " : كان نتيجة لكثرة تضارب الأقوال من أبي اليمان ومن غيره في كيفية هذا التحمل وعدم الجزم بشيء بعينه [1]

(١) والذي يبدو لي أنه لم يرجح السماع من العرض لانعدام الدليل على ترجيح أحدهما . وهذا الإمام أحمد بن حنبل يستغرب قول أبي اليمان أخبرنا شعيب ، ويرى أنه استحل هذه الصيغة بشيء عجيب ، وذاك أن شعيباً كان عسراً جداً في الرواية ، وقد طلبه بعض أهل حمص أن يأذن لهم بالرواية عنه فرفض ذلك ثم كلموه أخرى بحضرة أبي اليمان ، فقال لهم : ارووا تلك الأحاديث عني .

قال الأثرم : قلت لأبي عبدالله : «مناولة»؟ !قال : «لو كان مناولة ، كان لم يعطهم كتباً ولا شيئاً ، إنما سمع هذا فقط فكان ولد شعيب يقول : «إن أبا اليمان جاء ني ، فأخذ كتب شعيب مني بعد ، وهو يقول : أخبرنا ، فكأنه استحل ذلك بأن سمع شعيباً يقول لقوم ، ارووه عني (السير ١/ ٣٢٠)، وترد رواية أخرى ، وفيها يستفهم أحمد بن حنبل عن تحمل أبي اليمان ، قال ابراهيم ابن ديزيل ، سمعت أبا اليمان يقول : قال لي أحمد بن حنبل : كيف سمعت الكتب من شعيب؟ قلت : قرأت عليه بعضه ، وبعضه قرأ عليّ ، وبعضه أجاز لي وبعضه مناولة قال : فقال في كله أخبرنا شعيب . السير١٠/ ٣٢١ ، ويورد الخطيب البغدادي في كفايته رواية تنفي سماع أبي اليمان من شعيب ولكنها نقلت بصيغة التضعيف : قال أبو علي صالح بن محمد البغدادي : (يقال) لم يسمع أبو اليمان من شعيب ، ولا شعيب من الزهري ، ولكنه كان كتاب ، الكفاية ص٤٩٨ . وخالفه الخليلي في الإرشاد ١/ ٤٥٢ ، قال عن شعيب : ثقة ، متفق عليه ، مخرج في الصحيحين ، مكثر عن الزهري .

وقال يعقوب القسوي في تاريخه : حدثني سليمان ابن الكوفي قال : قلت لأبي اليمان : مالي أسمعك إذا ذكرت صفوان بن عمرو تقول : حدثنا صفوان ، وإذا ذكرت أبابكر ابن أبي مريم تقول : حدثنا أبو بكر ، وإذا ذكرت شعيب ابن أبي حمزة ، قلت أخبرنا شعيب؟ فغضب ، =

تقول : حدثنا أبو بكر ، وإذا ذكرت شعيب بن أبي حمزة ، قلت أخبرنا شعيب؟ فغضب ، =

= فلما سكن ، قال لي : مرض شعيب مرضه الذي مات فيه ، فأتاه إسماعيل بن عياش ، وبقية بن الوليد ، ومحمد بن حمير في رجال من أهل حمص أنا أصغرهم ، فقالوا : كنا نحب أن نكتب عنك ، وكنت تمنعنا ، فدعا بقفة له ، فقال : ما في هذه إلا ما سمعته من الزهري ، وكتبته وصححته ، فلم يخرج من يدي ، فإن أحببتم فاكتبوها ، فقالوا : فنقول ماذا؟ قال : تقولون : أنبأنا شعيب ، وأخبرنا شعيب وإن أحببتم أن تكتبوها عن ابني ، فقد قرأتها عليه . السير ٧/ ١٩٠ .

ويورد الحافظ المزي طريقة تحمله بنفسه قال : قال أبو اليمان : كان عسراً في الحديث (أي شعيب فدخلنا عليه حين حضرته الوفاة فقال : هذه كتبي قد صححتها فمن أراد أن يأخذها فليأخذها ، ومن أراد أن يعرض فليعرض ، ومن أراد أن يسمعها من ابني فليسمعها ، فإنه قد سمعها مني . تهذيب الكمال ١٢/ ٥١٩ ، السير ٧/ ١٩٠ ، الكفاية للخطيب ص ٤٦٢ .

وقد علق الحافظ الذهبي على الروايتين الأخيرتين بقوله : (قلت) : فهذا يدلك على أن عامة ما يرويه أبو اليمان عنه بالإجازة ، ويعبر عن ذلك «بأخبرنا» وروايات أبي اليمان عنه ثابتة في «الصحيحين» وذلك بصيغة أخبرنا . ومن روى شيئاً من العلم بالإجازة عن مثل شعيب بن أبي حمزة في إتقان كتبه وضبطه ، فذلك حجة عد المحققين ، مع اشتراط أن يكون الراوي بالاجازة ثقة ثبتاً أيضاً ، فمتى فقد ضبط الكتاب المجاز واتقانه وتحريره ، أو اتقان المجاز له ، انحط المروي عن رتبة الاحتجاج به ، ومتى فقدت الصفات كلها لم تصح الرواية عند الجمهور .

وشعيب رحمه الله قد كانت كتبه نهاية في الحسن والاتقان والإعراب ، وعرف هو ما يجيز ولمن أجاز ، بل رواية كتبه بالوجادة كاف في الحجة ، وفي رواية أبي اليمان عنه بذلك دليل على اطلاق «أخبرنا في الاجازة كما يتعاناه فضلاء المحدثين بالمغرب ، وهو ضرب من التدليس ، فإنه يوهم أنه بالسماع والله أعلم» السير ٧/ ١٩٠-١٩١ .

لذا فإن جواب الذهلي للبرذعي «لا أعلم» فيه تحفظ وتريث ، وذلك لأن إطلاقات التحمل من سماع وعرض ومناولة وإجازة . خاصة (عند اختلاف درجات المتحملين والمؤَدِّين ثقة وضبطاً) لم تكن قولاً واحداً عند جميع المحدثين .

الوجه الثالث : الاجازة :

ومعناها في اللغة " مأخوذ من جواز الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث ، يقال منه استجزت فلانًا فأجازني ، اذا أسقاك ماءً لأرضك أو ماشيتك " (١)

وترد في كلام العرب للعبور ، والانتقال ، وللإباحة القسيمة للوجوب والامتناع .

وعليه ينطبق الاصطلاح ، فإنها إذن في الرواية لفظاً أو كتباً تفيد الإخبار الاجمالي عرفاً(٢) وكذلك طالب العلم ، يسأل العالم أن يجيزه علمه ، فيجيزه إياه والطالب مستجيز والعالم مجيز " (٣)

قال الخطيب : " ويقال إن الأصل في صحة الإجازة حديث النبي صلى الله عليه وسلم المذكور في المغازي حيث كتب لعبد الله بن جحش (٤) كتاباً وختمه ودفعه إليه ، ووجهه في طائفة من أصحابه إلى ناحية نخلة (٥) ، وقال له : لا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين ثم انظر فيه . . . . . " (٦)

وصورة الاجازة : أن يأذن المحدث للطالب أن يروي عنه حديثاً اوكتاباً او كتباً من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه ، وكان يقول له : أجزت لك أن تروي عني كتاب كذا ، فيروي عنه بذلك الاذن من غير سماع أو قراءة .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ٤٩٤ ، وانظر الكفاية للخطيب ص ٤٤٦

(٢) فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢١٤

(٣) الكفاية للخطيب ص ٤٤٧ ، وانظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٥٩

(٤) هو عبد الله بن جحش بن رياب، أبو محمد الأسدي، ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، أسلم قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، استشهد يوم أحد رضي الله عنه، أسد الغابة٣/ ١٩٤ .

(٥) موضع على ليلة من مكة . وكان بها لقريش وبني كنانة بعض الطواغيت التي كانت تعظمها مع الكعبة . الروض المعطار ص٥٧٦ .

(٦) الحديث اخرجه البيهقي في سننه ٩/ ١٢، ٥٨، ٥٩، وذكره ابن سعد في طبقاته ٢/ ١٠، ١١، وابن سيد الناس في عيون الاثر ١/ ٣٥٩، وابن القيم في زاد المعاد ٣/ ١٦٧ وانظر الكفاية ص ٤٤٧ . والالماع ص٨١ .

وللاجازة أنواع ، تقصَّاها وأجاد فيها وأفاد القاضي عياض [1] بما لم يسبق اليه . وبلغ بها ستة انواع وزاد عليها ابن الصلاح نوعا سابعا .

والامـام الذهلي من العلمـاء الدهمـاء الذين كـانوا يصـحـحـون العـمل بأحاديث الإجازة ، ويرون قبولها [1] وقد سرد الخطيب البغدادي من المتقدمين

---

(١) في كتابه الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، وقد امتدح جهده وله ذلك فقال : «وقد تقصينا وجه الإجازة بما لم نسبق إليه ، جمعنا فيه تفاريق المجموعات والمسموعات والمشافهات والمستنبطات ، بحول الله وعونه» الالماع ص ١٠٧ ،

ووصف محقق الكتاب د . سيد صقر جهده في ذلك بأنه ذروة الكمال وعزا ذلك إلى ايراده النصوص القيمة من كتب الفقهاء ، ومن كتب هي الآن في عداد المفقود أو المحفوظ كالوجازة لابي العباس المالكي وكتاب أبي مروان الطبني ، والبرهان للجويني ، والماوردي و الباجي وهذه أنواعها بايجاز شديد .

١ - أعلاها الإجازة (لمعين) في كتب معينة وأحاديث مخصوصة مفسرة ، وقد جوزها الجمهور .

٢ - الإجازة لمعين على العموم والابهام ، دون تعيين الكتب والأحاديث كقولك : قد أجزت لك جميع روايتي ، وقد جوزها الجمهور .

٣ - الإجازة للعموم من غير تعيين المجاز له كقولك : أجزت لمن لقيني ، أو أجزت للمسلمين .

٤ - الإجازة للمجهول أو بالمجهول ، وهو على ضروب . . . وهي فاسدة .

٥ - الإجازه للمعدوم كقولك أجزت لفلان وولده ، أو لكل من دخل بلد كذا من طلبه العلم وفيها خلاف .

٦ - الإجازة لما لم يروه أو يسمعه بعد كقولك أجزت لك أن تروي : عني ماسأسمعه والصحيح بطلانها على قول القاضي عياض وابن الصلاح .

٧ - إجازة المجاز مثل أن يقول الشيخ : أجزت لك مجازاتي أو أجزت لك رواية ماأجيز لي روايته وقال ابن الصلاح : «والصحيح الذي عليه العمل أن ذلك جائز» علوم الحديث ص ١٥٩ .

بتصرف يسير أنظر الالماع (٨٨-١٠٧) علوم الحديث لابن الصلاح (١٥١ - ١٥٨) اختصار علوم الحديث لابن كثير (١١٤-١١٧) . وانظر معه شرحها القيم الباعث الحثيث للشيخ أحمد شاكر .

وقد أوصلها الإمام العراقي في ألفيته إلى تسعة وقال السخاوي معللاً إيراد العراقي لهذا العدد أنه لمسيس الحاجة إليه وإلا فانها متركبة من الأنواع التي أشار إليها ابن الصلاح مع ادراجه الخامس في الرابع ، والسابع في السادس بحيث كانت عنده سبعة . انظر فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢١٧ ، وانظر تعليق ابن الصلاح على إقتصاره على السبعة في علوم الحديث ص ١٥٩ ، وممن أشار إلى كونها تسعة أنواع المحدث العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في مقدمة كتابه (الوجازة في الإجازة) بتحقيق بديع الزمان محمد شفيع النيبالي فقال « . . . . وأرفع أنواعها التسعة . . . » ص٢٥ .

منهم خمسة وأربعين عالماً وكان الإمام الذهلي السابع والثلاثين بينهم حسب ترتيب طبقته مع البخاري وغيره ، قال : " وممن سمي لنا أنه كان يصحح العمل بأحاديث الإجازة ويرى قبولها من المتقدمين . . و . . . و . . ومحمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إسماعيل البخاري . . . . . . » (٢)

وقد أشار أبو الطيب محمد شمس الحق إلى أنها **(الإجازة)** من مطالب السلف الصالحين ، والرواية بها والعمل بالمروي بها مشهور بين الأئمة المحدثين " (٣)

وكما أن الإمام الذهلي لم يقف على حقيقة تحمل أبي اليمان عن شيخه شعيب هل هو سماع ام عرض فانه ايضا لم يرجح هيئة تحمل ابنه بشر عنه هل هو سماع ام اجازة ؟!!!

قال البرذعي : . . . . . . « قلت : وبشر بن شعيب ابن أبي حمزة . . . . سمع الكتب من أبيه أو هي إجازة ؟ فقال : « ما أدري إلا أنه كان يقول : حدثنا أبي " (٤)

---

(١) وقد لخص الخلاف في جوازها والعمل بها الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فقال : أبطلها كثير من العلماء ، قال بعضهم : « من قال لغيره " أجزت لك أن تروي عني مالم تسمع ، فكأنه قال : أجزت لك أن تكذب عليَّ ! لأن الشرع لايبيح رواية مالم يسمع » .
وهذا صحيح لو أذن له في رواية مالم يسمع مع تصريح الرواي بالسماع ، لأنه يكون كذباً حقيقة ، أما إذا كان يرويه عنه على سبيل الإجازة فلا » .
وقال ابن حزم : « إنها بدعه غير جائزة » ومنع الظاهريه من العمل بها ، وجعلوها كالحديث المرسل ، وهذا القول يعني إبطالها- ضعفه العلماء وردوه .
وتغالى بعضهم فزعم أنها أصح من السماع ، وجعلها بعضهم مثله ، والذي رجحه العلماء أنها جائزة ، يروى بها ويعمل ، وإن السماع أقوى منها ، قال ابن الصلاح ص ١٥٢ : « إن الذي استقر عليه العمل وقال به جماهير أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم - القول بتجويز الاجازة وإباحة الرواية بها . . . الخ » الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ، للشيخ أحمد شاكر ص ١١٦ وقد ذكر الخطيب بعض أسماء وأقوال من ردها ولم يعمل بها ومن كان يقول بها ويستعملها في الكفاية من (٤٤٦ - ٤٦٥) وانظر حجج وبراهين ودوافع كل من الفريقين في فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢١٧ - ٢٢٩ .

(٢) الكفاية ص ٤٥٠ ./

(٣) الوجازة في الإجازه ص ٢٥ .

(٤) الضعفاء وأجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٢/ ٧٤٦ .

وهذا الاستدراك من الإمام الذهلي . . " إلا أنه كان يقول : حدثنا أبي " يَشيْ بالتوقي والتحفظ وتخصيص كل طريقة بما يناسبها من الالفاظ . . وبشر بن شعيب رُوِيَ في تحمله عن ابيه شعيب عدة روايات .

" فبينما يقول أبو زرعة " إن سماعه كسماع أبي اليمان ، إنما كان إجازة " (١)

نجد أن أبا اليمان يعارض ذلك النقل بقوله : " سمعنا من شعيب وقد احتضر يقول : من أراد أن يسمع هذه الكتب فليسمعها من ابني ، فانه قد سمعها مني " (٢)

وفصل في أمره ابن حبان فقال : " كان متقناً ، وبعض سماعه من أبيه مناولة وسمع نسخة شعيب سماعا " (٣)

وكان رد الإمام الذهلي على سؤال البرذعي في ذلك مثل رد الإمام أحمد ابن حنبل على ابنه عبد الله لما سأله نفس السؤال :

قال عبد الله بن أحمد : " سألت أبي : كيف سماع شعيب من الزهري ؟ قال : حديثه يشبه حديث الإملاء ثم قال أبي : الشأن فيمن سمع شعيب، كان رجلاً ضيقاً في الحديث : قلت : كيف سماع أبي اليمان منه قال : كان يقول : أنبأنا شعيب . قلت (فسماع ابنه بشر ؟ كان يقول : حدثني أبي) . . الخ (٤)

(١) تهذيب الكمال ٤/ ١٢٨ ، ميزان الإعتدال ١/ ٣١٨ .

(٢) ميزان الإعتدال ١/ ٣١٩ ، الكفايه ص ٤٦٢ ، تهذيب الكمال ٤/ ١٢٨ ، وقد استدل الحافظ ابن حجر برواية أبي اليمان هذه على أن تحمل بشر عن أبيه كان سماعاً ، وذلك بمباشرة سماع أبي اليمان من شعيب ، بخلاف الرواية التي أوردها ابن أبي حاتم المنقطعة التي تعارض ذلك حيث قال : سئل أبي عنه فقال : ذكرلي . أن أحمد بن حنبل قال له : سمعت من أبيك؟ قال : لا . قال : فقرىء عليه وأنت حاضر؟ قال : لا ، قال : فقرأت عليه؟ ، قال : لا ، قال ، فأجاز لك ، قال نعم ، قال : فكتب عنه على معنى الاعتبار ولم يحدث عنه . قال ابن حجر : ومما يؤيد ذلك أن أبا حاتم قال في تلك الحكاية إن أحمد لم يحدث عن بشر وليس الأمر كذلك بل حديثه عنه في المسند . تهذيب التهذيب ١/ ٣٩٥ .

(٣) الثقات ٨/ ١٤١ .

(٤) السير ٧/ ١٨٨ .

والذي أميل إليه أن قول الإمامين أحمد والذهلي : " كان يقول حدثني أبي " المقصود منه أنه سماع ، لا إجازة (مع إمكانها) ، وذلك لما عرف عنهما من التشديد في ألفاظ الأداء [١] ووجوب مطابقتها لحالة التحمل ولتضافر الاقوال على سماع بشر بن شعيب من أبيه سواء النسخة التي سمعها أيضا أبو اليمان أو غيرها . . . . والله اعلم .

الوجه الرابع : المناولة :

وهي لغة : العطية ، ومنه حديث قصة الخضر مع موسى " فحملوها بغير نول[٢] " أي إعطاء .

واصطلاحاً : إعطاء الشيخ الطالب شيئاً من مرويِّه مع إجازته به صريحاً أو كتابة " [٣]

قال القاضي عياض : وهي أيضا على أنواع . [٤]

وقد سرد الحافظ ابن رجب أنواعها وصورها وذكر الذهلي فيمن فعل النوع الثاني فقال : " ومن أنواع المناولة أن يأتي الطالب إلى العالم بجزء من حديثه قد كتبه من أصل صحيح ، فيدفعه إلى العالم ويستجيزه إياه ، فيجيزه له ، ويرده إليه ، إلا أنهم اشترطوا أن ينظر فيه العالم إن كان يحفظ ما فيه ، وأن يقابل به

---

(١) انظر ذلك في حاشية ص٦٦٨ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم باب مايستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ ١/ ٤٤ . ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام ٤/ ١٨٤٧ ، وأحمد ٥/ ١١٨ .

(٣) فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢٨٥ .

(٤) انظر هذه الأنواع بالتفصيل في الالماع للقاضي عياض ص ٧٩ .
والكفاية للخطيب ص ٤٦٦ ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ص ١٦٢ ، وشرح علل الترمذي لابن رجب ١/ ٥٢١ .

أصله ، إن كان لا يحفظه وقد فعل ذلك مالك [١] ، وأحمد [٢] " ومحمد بن يحيى الذهلي " واشترطه أحمد بن صالح المصري " [٣]

وهذه صورة إجازة الإمام الذهلي على هذا النمط لبعض طلبة العلم الأصبهانيين ويلاحظ فيها دقته في كتابتها وإتيانه بشرطها وهو النظر فيما يجيزه والاقرار بأنه حديثه ، ويختمها بلفظ الإجازة لمجموعهم وأفرادهم . ويؤكدها بأنها بخطه .

قال الخطيب : أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب قال أنا محمد بن نعيم الضبي قال : قرأت بخط محمد بن يحيى يعني الذهلي اجازة كتبها للاصبهانيين :

بسم الله الرحمن الرحيم

أتاني سعيد بن عمرو أبو عثمان البرذعي [٤] بهذه الاحاديث المتضمنة هذه الرقعة[٥] وسألني أن أجيزها ليوسف بن زياد[٦] ، ومحمد بن مهدي [٧] ،

---

(١) صورة مناولة الإمام مالك : جاءه رجل فقال : ياأبا عبدالله ! الرقعة ، فأخرج رقعة ، وقال : قد نظرت فيها وهي من حديثي فاروها عني . فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢٩٠ .

(٢) صورة مناولة الإمام أحمد : جاءه رجل بجزئين وسأله أن يجيزه بهما ، فقال : ضعهما وانصرف . فلما خرج أخذهما فعرض بهما كتابه وأصلح له بخطه ثم أذن له فيهما ، فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٢٩٠ .

(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب ١/ ٥٢٢ .

(٤) سبقت ترجمته ص ٩٤ .

(٥) سيأتي ذكر أن أهل خراسان يسمون البطاقة رقعة ص ٨١٧ .

(٦) يوسف بن زياد لم أجد ترجمته .

(٧) هو محمد بن مهدي أبو صالح ، من الرَّحالة ، كتب بمصر والشام ، والعراقيين ، ومات قديماً ، حدث عن الحارث بن مسكين ، روى عنه محمد بن يحيى بن منده ، أخبار أصبهان ٢/ ٢٠٢ . لأبي نعيم الأصبهاني .

ومحمد بن يحيى بن منده [(١)] ومحمد بن هارون [(٢)] . وأحمد بن علي بن الجارود[(٣)] ، ومحمد بن عبد الله ابن مَمَّك[(٤)] ، وعلي بن الحسن بن سلم [(٥)] ، وهذه أحاديثي قد سمعتها من هؤلاء الرهط المسمين في هذه الرقعة، فقد أجزتها لهم ، فليرووها عني إن أحبوا ذلك ، وأحب كل واحد منهم على الانفراد فقد أبحت [(٦)] لهم ذلك ، وكتبه محمد بن يحيى بخطه " [(٧)]

والإمام الذهلي قد حقق بهذه الكلمات معنى الإجازة ومعنى المناولة التي هي أعلى أنواع الإجازة ، وذلك بتعيينه المجاز وهو ما في الرقعة من الاحاديث ، وتعيينه للمجاز له وهم الرهط الأصبهانيين .

وجدير بالذكر إن إتيان البرذعي بالرقعة المتضمنة لأحاديث الذهلي إليه وطلبه منه إجازتها يسمى عند أئمة الحديث عرضاً، ولكي يميزوه عن عرض السماع الذي هو القراءة على الشيخ قُيِّد بقولهم (عرض المناولة) . [(٨)]

---

(١) هو محمد بن يحيى بن منده بن سَنْده، أبو عبدالله العبدي جدّ صاحب التصانيف محمد بن إسحاق بن منده، مات سنة (٣٠١). السير ١٤/ ١٨٨ .

(٢) هو محمد بن هارون بن هاشم الأصبهاني، حدث عنه محمد بن النضر الجارودي ، وأثنى عليه وقال: كان صاحب حديث . أخبار أصبهان ٢/ ٣٠٥ .

(٣) هو أحمد بن علي بن الجارود الأصبهاني، له رحلة وهمَّة، ومعرفة تامة، توفي سنة (٢٩٩). السير ١٤/ ٢٣٩ .

(٤) هو محمد بن عبدالله بن ممك . لم أجد ترجمته .

(٥) خرج إلى الري، ومات بها، روى عن العراقيين والأصبهانيين . أخبار أصبهان ٢/ ٩ .

(٦) لفظ الاباحة قسيم للإجازة كما بيَّنه السخاوي في فتح المغيث ٢/ ٢١٤ .

(٧) الكفاية في علوم الرواية للخطيب ص ٤٦٨ .

(٨) قال ابن الصلاح : « وقد سبقت حكايتنا في القراءة على الشيخ أنها تسمى عرضاً فلنسم ذلك عرض القراءه وهذا عرض المناولة، علوم الحديث ص ١٦٠ ، فتح الباري ١/ ١٤٩ .

الوجه الخامس : المكاتبـــة

وهي أن يكتب الشيخ شيئاً من حديثه بخطه ، أو يأمر غيره فيكتب عنه بإذنه ، سواء أكتبه أم كتب عنه إلى غائب عنه ، أو حاضر عنده، وهذا الوجه من أوجه التحمل ينقسم إلى قسمين :-

١ - مكاتبة مجردة عن الإجازة .

٢ - مكاتبة مقرونة بالإجازة بأن يكتب إليه ويقول : " أجزت لك ما كتبته لك ونحو ذلك من العبارات التي تؤدي الغرض "

والقسم الأول وهو المكاتبة المجردة عن الإجازة صححها وأجاز الرواية به كثير من المتقدمين والمتأخرين وهي عندهم معدودة في المسند المتصل . . ومنهم أيوب السختياني ومنصور، والليث وغير واحد من الشافعيين منهم أبو المظفر السمعاني الذي جعلها أقوى من الإجازة وإليها صار جماعة من الأصوليين .

ولم يصححها قوم آخرون كالماوردي في الحاوي ،و الآمدي وسواهم (١)

قال الحافظ ابن حجر : " منع منها قوم إذا تجردت عن الإجازة ، والمشهور الجواز . (٢)

والإمام الذهلي ممن تحمل عن مشايخه بهذا الوجه وقد كاتب عدداً منهم وعندما أدى عنهم كانت صفة أدائه هي الصفة التي اختارها كبار المحدثين كابن الصلاح والنووي والعراقي وابن حجر وصححوها ووصفوها بأنها اللفظ اللائق

---

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٦٥ ، التقريب للنووي ٢/ ٥٥ وشرحه تدريب الراوي للسيوطي، وفتح المغيث للعراقي ٢٢٥، وانظر اختصار علوم الحديث لابن كثير ١٢٠ وشرحه الباعث الحثيث للشيخ أحمد شاكر .

(٢) فتح الباري ١٣/١٣٨ .

بأهـل التحري والنزاهــة . وهـي قول : كتب إليّ فلان " أو " فيما كتب إلى فلان " (١)

واختيار الذهلي لهذه الصيغة جاء أيضا موافقا لما حبذه كبار الأئمة أن يؤدي الراوي علمه بمثل الحالة التي تحمل بها .

ومنهــم يحيى بن سعيـد قــال : ينبغــي للرجـل أن يحدث الرجل كـما سمع (فـان سمع يقول - ثنا ، وان عرض يقول : عرضت وان كان إجازة يقول اجاز لي " وأثر مثل قوله عن الأوزاعي وأحمد بن حنبل وقال : " وأحب إليّ أن تبين كما كان . . . " ويحيى بن معين وسواهم (٢)

وقد سئل أحمد بن بن منصور عن الاخبار عن المكاتبة ، فقال : " أحبه إليّ أن يقول " كتب إليّ فلان - حدثنا فلان ، وهذا هو مذهب أهل الورع والنزاهة والتحري في الرواية وكان جماعة من السلف يفعلونه " (٣)

وهذه أمثلة على تأديته للمكاتبة بهذا اللفظ المختار الدقيق.

١ - تأديته مكاتبة أبي نعيم :

في ترجمة جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري : قال الذهلي : قال يحيى بن بكير ، مات سنة ٧٨ وسنّه يومئذ أربع وتسعون ، وصلى عليه أبان بن عثمان

(١) وقد ذهب الليث بن سعد ومنصور إلى جواز إطلاق حدثنا، وأخبرنا ، والذي اختاره المحققون من المحدثين تقييد ذلك بالكتابة ، فيقول : حدثنا أو أخبرنا كتابة ، أو أخبرني في كتابه ، انظر فتح المغيث للعراقي ص ٢٢٤ وعلوم الحديث لابن الصلاح ١٦٥ ، وفتح الباري ١٣/ ١٣٨ ، وقد أورد الخطيب أمثله من تجويز الليث ومنصور وغيرهما لاطلاقها . الكفاية ص ٤٨٩ - ٤٩٢ ، وانظر استجازة ابن جريج لذلك في فتح الباري ٨/ ٦٦٧ .

(٢) الكفاية للخطيب البغدادي ٤٣٠ ، ٤٣١ ، باب ذكر الرواية عمن قال« يجب البيان عن السماع كيف كان» .

(٣) ومن أمثله ذلك مكاتبه نافع مولى ابن عمر إلى أيوب السختياني ، ومكاتبة هشام بن عروة إلى جعفر بن ربيعة ، ومكاتبة كثير بن عبدالله المزني للإمام مالك ، في الكفاية ٤٤٨ ، ٤٨٩ باب ذكر كيفية العبارة بالرواية عن المكاتبة .

ابن عفان والي المدينة ، قال الذهلي : " وفيما كتب إليَّ أبو نعيم قال : وجابر بن عبد الله سنّه تسع ، قال الذهلي : أراد عندي وسبعين فحذف وسبعين لأن أبا نعيم لا يهم هذا الوهم " (١)

٢ – تأديته مكاتبة ابن نمير :

في ترجمة عبد الله ابن أبي أوفى ، قال الذهلي : . . . . وفيما كتب إليَّ ابن نمير مات سنة ثمانين . (٢)

٣ – تأديته مكاتبة أبي بكر ابن أبي شيبة :

في ترجمة عمر بن الخطاب : قال الكلاباذي : تولَّى الخلافة من لدن مات أبو بكر يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة إلى أن طعن . . . وقال الذهلي : كتب إليَّ أبو نعيم وأبو بكر ابن أبي شيبة يوم الأربعاء لأربع بقين سنة (ثلاث عشر) . . . الخ) (٣)

الوجه السادس : الإعلام

قال القاضي وهو : " إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث من روايته وأن هذا الكتاب سماعه فقط ، دون أن يأذن له في الرواية عنه ، أو بأمره بذلك ، أو يقول له الطالب هو روايتك أحمله عنك ؟ فيقول له : نعم ، أويقره على ذلك ولا يمنعه " (٤)

---

(١) رجال صحيح البخاري للكلاباذي : ١/ ١٤١ وجدير بالذكر أن الكلاباذي نقل في كتابه الآنف الذكر صوراً متنوعة لمكاتبة أبي نعيم للذهلي وقد سردت طرفاً منها في مطلب تواريخ الرواة والوفيات.

(٢) رجال صحيح البخاري ١/ ٣٩٣.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٠٦ .

(٤) الإلماع ص ١٠٨ وانظر علوم الحديث ص ١٦٦، وتنقيح الأنظار للحافظ محمد بن إبراهيم الوزير ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٢/ ٣٤٣ وشرحه توضيح الأفكار للصنعاني ، واختصار علوم الحديث لابن كثير ص ١٢١ ، وشرح ألفية العراقي في الحديث المسمى فتح المغيث له ص ٢٢٥ وللسخاوي ٣/ ١٣ .

وقد اورد البرذعي ذات مرة لشيخه الذهلي حديثا في إحدى مذاكراتهما للحديث فقال: -

قلت لمحمد بن يحيى في حديث أنس ، عن أم حبيبة ، حديث شعيب ابن أبي حمزة، حدثكم به أبو اليمان وقال : عن ابن أبي حسين ؟ فقال محمد بن يحيى : نعم حدثنا به من أصله عن ابن أبي حسين (١) »(٢)

قال القاضي عياض : « فهذا أيضا وجه وطريق صحيح للنقل والعمل عند الكثير ، لأن اعترافه به وتصحيحه له أنه سماعه ، كتحديثه له بلفظه وقراءته عليه إياه وإن لم يجزه ، وبه قال طائفة من المحدثين ونظار الفقهاء المحققين . . . . الخ » (٣)

الوجه السابع : الوجاده :*

وقد نعتها القاضي عياض بالخط وعرَّفه فقال : "وهو الوقوف على كتاب بخط محدث مشهور يعرف خطه ويصححه ، وإن لم يلقه ولا سمع منه ، أو لقيه ولكن لم يسمع منه كتابه هذا وكذلك كتب أبيه وجده بخط أيديهم " (٤)

وقد يكون الموجود حديثاً واحداً " وتبليغ الوجاده يتأدى بصيغ منها : وجدت بخط فلان ، أو في كتاب فلان ، أو قرأت بخط فلان عن فلان ، وقد

---

(١) في تهذيب التهذيب : « قال حدثنا به من أصله عن شعيب عن ابن أبي حسين » ٢/ ٣٨٠ .

(٢) الضعفاء، وأجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي ٢/ ٧٤٦.

(٣) الالماع ص ١٠٨ ، وتوضيح الأفكار ٢/ ٣٤٣.

(*) لم أجد هذا المصدر ضمن مصادر كلمة وجد في معاجم اللغة، والذي ذكره ابن منظور من مصادرها مايلي: «وَجْداً، وَجدةً، وَوُجْداً، وَوُجوداً، ووجداناً، وإجداناً» لسان العرب ٣/ ٤٤٥، وقد أشار ابن الصلاح إلى أن هذه اللفظة مصدر لوجد يجد مولد غير مسموع من العرب، ثم قال: رَوْينا عن المعافى ابن زكريا النهرواني العلامة في العلوم أن المولدين فرعوا قولهم وجادةً فيما أخذ من العلم صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولامناولة من تفريق العرب بين مصادر وَجَد للتمييز بين المعاني المختلفة يعني قولهم وجد ضالته وجدانا ومطلوبه وُجودا، وفي الغضب مَوْجدة وفي الغنى وُجْداً، وفي الحب وَجْداً. انظر علوم الحديث ص ١٦٣ .

(٤) الالماع ص ١١٦.

يجري التدليس على الوجادة فيقال : عن فلان أو قال فلان . ووصفه ابن الصلاح بأنه تدليس قبيح ، والوجادة كما قال ابن كثير : ليست من الرواية وإنما هي حكاية عما وجده في الكتاب ، أما من حيث اسنادها فهي من قبيل المنقطع والمرسل غير أنها تأخذ شوباً من الاتصال إذا قيدت بخط فلان ، وجازف بعضهم فأطلق عليها حدثنا واخبرنا واعتبر هذا كذباً صريحاً وأنكره العلماء . [١]

وللشيخ أحمد شاكر تلخيص مهم عن حكم العمل بها، نقل فيه ما اختاره ابن الصلاح من وجوب ذلك خاصة في الأعصار المتأخرة، لأنه لو توقف العمل فيها على الرواية لانسد باب العمل بالمنقول لتعذر شرط الرواية فيها [٢]

ويحكي لنا الإمام الذهلي إحدى وجاداته ، وهي وجادة منقطعة لانه وجدها في كتاب شيخه أيوب بن سليمان [٣] وليست في كتابه أو أصله عنه ، وهي مع ذلك موقوفة ولا ضير في ذلك . . . . فقد رواها سماعًا من نفس الشيخ متصلة السند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. وعلى ذلك فإن إخباره بها يدل على معرفته بهذا المصطلح الحديثي ، واستعماله له .

وهذا سياق سنده المتصل . . . ثم وجادته الموقوفة .

قال ابن خزيمة رحمه الله : " نا محمد بن يحيى ، ثنا إسماعيل ابن أبي أويس، حدثني أخي ح : ثنا محمد أيضا ثنا أيوب بن سليمان حدثني أبو بكر ابن أبي أويس عن سليمان ابن بلال عن عمر بن محمد - وهو ابن زيد - عن

---

(١) بتصرف علوم الحديث ص ١٦٨ ، اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ١٢٣ ، وتقريب النووي، وتدريب الراوي ٢/ ٦١ ، وفتح المغيث للعراقي ص ٢٢٥ .

(٢) انظر الباعث الحثيث ص ١٢٥ .

(٣) سبقت ترجمته ص٤٦٧ .

سالم بن عبد الله عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا صلى أحدكم ، فلا يدري كم صلى ثلاثاً أو أربعا فليركع ركعة يحسن ركوعها وسجودها ويسجد سجدتين " (١)

قال محمد بن يحيى : " وجدت هذا الخبر في موضع آخر من كتاب أيوب موقوفا "(٢)

وذكره الوجادة بهذه الصيغة جاء موافقا لما قعّده ائمة الحديث في هذه المسألة وهو أن يقول : وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتابه بخطه حدثنا فلان ويسوق الاسناد والمتن (٣) . فقد ذكر أنها في كتاب شيخه وهذا توثيق لنسبته إليه ثم بين أن الإسناد متصلاً موقوفاً ، وليس على الإتصال والرفع كالإسناد الذي سبقه ، وفي هذا دقة منه في العبارة كالذي عهد عنه في سائر الانواع . . والله اعلم .

---

(١) قال الحاكم أبوعبدالله : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، المستدرك ١/ ٢٦٠-٢٦١ ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٢/ ١١٢ .

(٣) انظر في ذلك تقريب النووي وشرحه التدريب ٢/ ٦١ ، وقد بيّن السيوطي أن مثل ما ذكره الذهلي يعتبر من باب الوجادة المنقطعة وهي أن يجد في كتاب شيخه لا كتابه . تدريب الراوي ٢/ ٦٢ . . . . . وهي على هذا النحو لاتأخذ شيئاً من الاتصال على الاطلاق .

المبحث الرابع
أثر الإمام الذهلي في كتابة الحديث

تمهيــــــد

بعد الحديث على طرق تحمل الحديث وأدائه ، تأتي مرحلة تالية وهي كيفية تدوين وكتابة ما جمع وتلقي من أي وجه كان .

وكتابة الحديث كان النهي والاباحة فيها كفرسي رهان منذ عهده صلى الله عليه وسلم. وممن أثرت عنه كراهتها من الصدر الأول . . . عمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى وأبو سعيد الخدري وسواهم من الصحابة والتابعين .

فقد روى أبو سعيد الخدري قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تكتبوا عني شيئاً ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه " [(١)]

وأثرت الاباحة عن علي بن أبي طالب وابن الحسن وانس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وسواهم .

ومما اعتمدوا عليه في الإباحة حديث أبي شاه [(٢)] اليمني في التماسه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له شيئاً سمعه من خطبته عام فتح مكة وقوله صلى الله عليه وسلم : " اكتبوا لابي شاه " [(٣)]

وعلل العلماء : الاذن بالكتابة لمن خشي عليه النسيان، والنهي عنها في حق من وثق بحفظه مخافة الاتكال على الكتاب ، وقيل نهي عنها خيفة اختلاط القرآن بالحديث ، وأذن حين زال ذلك الخوف .

---

(١) انظر علوم الحديث ص ١٧٠ ، تقيد العلم ص ٣٢، جامع بيان العلم، والحديث أخرجه مسلم في الزهد (٣٠٠٤) باب التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم ٤/ ٢٢٩٨ . والدارمي في مقدمة سننه (٤٢) باب من لم ير كتابة الحديث ١/ ١٣٠ .

(٢) رجل من أهل اليمن ، يقال إنه كلبي، ثبت ذكره في الصحيحين ، حضر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح، الاستيعاب في معرفة الأصحاب للإمام ابن عبد البر النمري، تحقيق طه محمد الزيني (١١/٣١٨) ، الإصابة ١١/ ١٩٠ .

(٣) انظر علوم الحديث ص ١٧٠ .

ثم جاء وقت زال فيه الخلاف وأجمع [1] المسلمون على أهميتها وضرورتها، خوفاً من دروس العلم بالاعتماد على حفظ الرجال الذين قد تتغير أذهانهم ، بل ويفارقون الحياة ، والكتاب فيه صون للعلم ، وضبط له مع البقاء آماد تصل إلى قرون متطاولة .

وقد خصص الحافظ المؤرخ الخطيب البغدادي كتابه « تقييد العلم » لجرد وسرد الروايات والأقوال والآثار والأخبار في كراهة كتابه العلم وإباحتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، مع ذكر الأسباب والعلل في كل حالة ، ثم ختمه بفضل الكتب ومنافعها [2]

ومما أثر في فضل الكتاب قول ابن المبارك : لولا الكتاب ما حفظنا ، وقول الخليل ابن أحمد : " ما سمعت شيئاً إلا كتبته، ولا كتبت شيئاً إلا حفظته ، ولا حفظت شيئاً إلا انتفعت به " [3]

وسأل إسحاق بن منصور الإمام أحمد : من كره كتابه العلم ؟ قال : كرهه قوم كثير، و رخص فيه قوم ، قال إسحاق : لو لم يكتب ، ذهب العلم ، قال أحمد : " ولولا كتابته ، أي شيء كنا نحن " [4]

ويلاحظ من هذه الأقوال وسواها أن الكتاب له أهمية كبرى مع التعويل ابتداءً على الحفظ . . . وقد قال أحمد بن حنبل : " حدثونا قوم من حفظهم ، وقوم من كتبهم ، فكان الذين حدثونا من كتبهم أتقن " [5]

(١) قال القاضي عياض : « ووقع بعد هذا الاتفاق والاجماع من جميع مشايخ العلم وأئمته وناقليه» الالماع ص ١٤٧ . وقال ابن الصلاح : « وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة » علوم الحديث ص ١١٧ .

(٢) تقييد العلم ، وانظر في ذلك، جامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ ، ٧٧، علوم الحديث ص ١٧٠ . الإرشاد للنووي ١/ ٤٢٤ .

(٣) تقييد العلم للخطيب ص ١١٤ .

(٤) المصدر السابق ص ١١٥ .

(٥) تقييد العلم للخطيب البغدادي ص١١٥ .

لذا أوجب المحدثون على طلبة العلم صرف الهمة إلى ضبط ما يكتبونه ، وأهم اسباب ذلك طول الأسانيد وتشعبها وقلة الحفظ كلما تقدم الزمان ، وقد بلغ أسلافنا المحدثون في فن الكتابة وآدابها وضبط المكتوب بشتى الوسائل [(١)] شأواً عظيماً وشوطاً كبيراً جعلهم قدوة لطوائف العلماء في العلوم الأخرى.

والإمام الذهلي من العلماء الذين أولوا كتابة الحديث عناية واهتماماً بالغين ومن آثاره في هذا المضمار . . . .

أولاً : الاهتمام بشكل الحروف وتقييدها بالعلامات الاعرابية :

والشكل هو اعلام الحرف بالحركة، تقول شكلت الكتاب شكلاً إذ أعلمته بعلامات الإعراب وقد قيل : شكْلُ الكتاب يمنع من إشكاله ، والإشكال

(١) وهذا سرد موجز لهذه الوسائل والقوانين التي وضعت لضبط الكتاب أسوقها من علوم الحديث لابن الصلاح لشموله :

(أ) الإعتناء بضبط الملتبس من أسماء الناس .

(ب) تكرير ضبط الألفاظ المشكله في المتن والحاشيه .

(جـ) ورود الكراهة للخط الدقيق من غير حاجة .

(د) اختيار التحقيق في الخط دون المشق والتعليق .

(هـ) ضبط الحروف المعجمة بالنقط والمهملة بما يدل على إهمالها .

(و) تجنب الاصطلاحات والرموز الخاصة الا اذا بيِّن في كتابه ذلك .

(ز) الفصل بين كل حديثين بدارة للتمييز بينهما .

(ح) الكراهة في الأسماء المشتمله على التعبيد ان يكتب عبد في آخر السطر وبقيته في السطر التالي .

(ط) المحافظة على كتابه الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم السآمة .

(ي) مقابلة الكتاب بأصل السماع .

(ك) كيفية إثبات اللحق في الحاشية أو بين السطور .

(ل) العناية بالتصحيح والتضبيب والتمريض .

(م) العناية بكيفية الضرب والمحو والحك .

(ن) إذا اختلفت الروايات يجعل ضابطاً بالحمرة أو سواها عند مكان الاختلاف .

(س) معرفة اصطلاحات المحدثين في اختصار رموز التحديث ثنا .

(ع) كتابة اسم الشيخ بعد البسملة وسياق المسموع وذكر من سمعه معه وتاريخ السماع . علوم الحديث من ص١٧٢ -إلى ١٨٣ .

الإلتباس، واستحسان الضبط متفق عليه بين العلماء، الا انهم اختلفوا فيما يضبط : المشكل فقط ، أو هو وغيره ، فقال البعض : إنما يشكل ما يشكل ولا حاجة إلى الشكل مع عدم الإشكال ، وقال البعض الاخر : انما يشكل ما يشكل وما لا يشكل ، وذلك لعدم تمييز المبتديء غير المتبحر في العلم المشكل من غيره . . . . وعلى كلٍ فالشكل فيه أمان من الإلتباس حتى مع جودة الحفظ ، وقد يطول الزمن ويتغير الحفظ والعقل .[(١)]

المثال الأول :

قال الخطيب البغدادي : " باب ذكر الرواية عمن كان لا يرى رفع حرف منصوب ولا نصب حرف مرفوع أو مجرور وإن كان معناهما سواء [(٢)]

أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي قال ثنا محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي قال ثنا أبو داود سليمان بن الاشعث قال ثنا محمد بن يحيى بن فارس ومجاهد بن موسى – وهو أتم – [(٣)] قالا ثنا يعقوب بن إبراهيم قال ثنا أبي عن صالح قال ثنا نافع أن عبد الله بن عمر أخبره – : أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن والجريد ، وعَمَدَه – قال مجاهد وعُمُده – خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باللّبن والجريد واعاد

---

(١) توجيه النظر إلى أصول الأثر، تأليف طاهر بن صالح الجزائري الدمشقي ص ٣٥٢، ارشاد طلاب الحقائق للنووي ١/ ٤٢٨ .

(٢) الكفاية، ص ٢٧٩ .

(٣) يعني روايته لهذا الحديث أتم من رواية الذهلي، وقد أشار إلى حد روايته تلميذه إمام الأئمة ابن خزيمة فقال : قال محمد بن يحيى : وعمده خشب النخل، ولم يذكر القصة، صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٨٣ .

عَمَده (قال مجاهد عُمُده) خشباً ، وغيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وساق بقية الحديث . "(١)

" الشاهد هنا هو لفظ عمده وقد رواها الإمام الذهلي بفتح العين والميم ، ورواها مجاهد وعلي النسوي في رواية ابن خزيمة بضمهما وقد أشار ابن حجر إلى جواز ذلك في الفتح (١) والاطلاقين معناهما واحد وهو جمع كثرة لعمود البيت ، ولكن الخطيب استشهد باطلاق الذهلي على النصب وإطلاق مجاهد على الرفع يشير إلى وقوفهما عند لفظ السماع والتحري في الكتابة على ما سمع .

لذا ساق بعد هذا الباب باباً آخر وهو " إتباع المحدث على اللفظة وان خالف اللغة الفصيحة "

وروى فيه قول أبي عبيد : " لأهل الحديث لغة ، ولأهل العربية لغة ، ولغة أهل العربية أقيس ولا تجد بداً من اتباع لغة أهل الحديث من أجل السماع " (٢)

المثال الثاني :

" قال ابن خزيمة : حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا حجاج بن منهال الأنماطي ثنا حماد عن عمار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال : " يلقى في النار أهلها وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يأتيها ربها فيضع قدمه عليها (٣) ، فينزوي بعضه إلى بعض وتقول :

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب بنيان المسجد ١/ ١٣١ ، عن علي بن عبدالله ، وأبو داود كتاب الصلاة باب ماجاء في بناء المساجد ١/ ٣١١ ، عن الذهلي ومجاهد بن موسى . ومن طريقه أخرجه البغدادي في الكفاية باب ذكر الرواية عمن كان لايرى رفع حرف منصوب . . الخ ص ٢٧٩ ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه عن الذهلي أيضاً وعن على بن سعيد النسوي ، كتاب الصلاة باب صفه بناء المسجد ٢/ ٢٨٢ ، أربعتهم عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الخ السند به وألفاظهم متقاربة غير أن الذهلي لم يتم الحديث كما أشار إليه أبو داود وابن خزيمة . « وبقية متن الحديث بعد قوله عن عمر فزاد فيه زيادة كثيرة : وبنى جداره بالحجارة المنقوشه والقصة ، وجعل عمده حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج» انظر سنن أبي داود ، وصحيح ابن خزيمة في المواضع السابقة .

(٢) الكفاية ص ٢٨٠ .

(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب ١/ ٢٢٣ .

قَطِ قَطِ قطِ [(١)]

هكذا قال لنا محمد بن يحيى ثلاثاً ، قطِ ، بنصب القاف " [(٢)]

ومرادنا من هذا النقل هو تعليق ابن خزيمة الأخير وذكره نصب القاف عن الإمام الذهلي وسبق أن نقل الكلمة بخفض القاف في رواية جميل بن الحسن الجهضمي [(٣)]

---

(١) ساق ابن خزيمة هذا الحديث ضمن ماساق لاثبات الرجل لله عز وجل، وان رغمت أنوف المعطلة الجهمية (التوحيد ١/ ٢٠٢)، وهذه الصفه ثابته لله تبارك وتعالى وذكرها في مثل هذا الحديث امتحان وفتنة، فمن آمن بها وأمرَّها إمراراً ولم يؤلها ووكل كيفيتها إلى الله عز وجل. . . مع الايمان الجازم بها فقد سلك طريق سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن أولها وأقحم عقله وآلته من اللغة وسواها في تعيين هذه الصفة وسواها فذاك سبيل المؤولة. . . قال الحافظ بن حجر: « واختلف في المراد بالقدم فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو أن تمر كما جاءت ولايتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة مايوهم النقص على الله، وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك» فتح الباري ٨/ ٥٩٦، ومن ضمن تلك التأويلات في معنى القدم «إذ لال جهنم» و« الفرط السابق» و« مخلوق يسمى قدم» وقيل « قدم ابليس» وقيل « الجماعه» وقد بالغ ابن فورك، فجزم بأن الرواية بلفظ الرجل غير ثابتة وردَّ عليه لثبوتها في الصحيحين، انظر فتح الباري ٨/ ٥٩٦، ومشكل الحديث وبيانه لابي بكر بن فورك ص ٤٤ - ٤٥ - ٤٦. وانظر تأويلات الإمام محمد الأنصاري القرطبي في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٤٩٨

(٢) أورد الحافظ ابن حجر أوجه إطلاق هذه اللفظه في الروايات فقال: « في رواية سعيد « قط قط» وفي رواية التيمي عن قتادة «قد» بالدال، وعند أحمد « قدني، قدني» ومعنى قط، قط» أي حسبي حسبي، كما ثبت عن عبدالرزاق وذكر أن النطق بها على تخفيف الساكن وهو الطاء (قَطْ) ويجوز فيها الكسر بغير اشباع (قَطِ)، ووقع بالإشباع قطي، قطي، وقطني بزيادة نون مشبعة، وقدني» وكلها بمعنى يكفي. وقيل هي صوت جهنم والأول هو الصواب عند الجمهور» فتح الباري ٨/ ٥٩٥، وتفسير القرآن للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم ٢/ ٢٣٩.

(٣) انظر رواية جميل الجهضمي بخفض القاف في التوحيد١/ ٢١١، وانظر كلام الإمام الذهلي بنصب القاف في نفس الكتاب ١/ ٢٢٣، والحديث أخرجه البخاري في التفسير باب « وتقول هل من مزيد» ٦/ ٥٦ وفي الأيمان والنذور باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته ٧/ ٢٨٥، وفي التوحيد باب قول الله تعالى، «وهو العزيز الحكيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون» ٨/ ٢١٠، واخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣٨، والإمام عمرو ابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٣١، بتحقيق وتخريج الألباني المسمى ظلال الجنة في تخريج السنة.

ويحكي رحمه الله أنه لم يقف في أول الأمر على تقييد لهذه اللفظة فقال :
« ولم أجد في التصنيف هذه اللفظة مقيدة لا بنصب القاف ولا بخفضها » (١)

وكأنه وجد فيما بعد تقييدها فحكاه قائلا :

" اختلف رواة هذه الأخبار في هذه اللفظة في قوله (قَط ، قط) فروى بعضهم بنصب القاف وبعضهم بخفضها وهم أهل اللغة ومنهم يقتبس هذا الشأن .

ومحال أن يكون أهل الشعر أعلم بلفظ الحديث من علماء الآثار ، الذين يعنون بهذه الصناعة ، يروونها ويسمعونها من ألفاظ العلماء ويحفظونها و أكثر طلاب العربية إنما يتعلمون العربية من الكتب المشتراه او المستعارة من غير سماع .

ولسنا ننكر أن العرب تنصب بعض حروف الشيء وبعضها يخفض ذلك الحرف لسعة لسانها .

قال المطلبي رحمه الله عليه : " لا يحيط أحد علماً بألسنة العرب جميعاً غير نبي " فمن ينكر من طلاب العربية هذه اللفظة بخفض القاف على رواة الأخبار ، مغفل ساه ، لأن علماء الآثار لم يأخذوا هذه اللفظة من الكتب غير المسموعة ، بل سمعوها بآذانهم من أفواه العلماء . . . . الخ " (١)

ومفهوم منطوقه رحمه الله أن هناك من ينكر خفض القاف هنا من طلاب العربية، ومعناه أن الأغلب على نصبها والمعنى كفى ، وحَسْبْ ، أما إذا خفضت فقد ذكر ابن منظور من معانيها " النصيب " ومنه عجل لنا قطنا أي نصيبنا، والصَّك بالجائزة ، والصحيفة المكتوبة ، وثم لغة ثالثة برفع القاف " قُط " ومعناها الزمان ، حكاه ابن منظور عن ابن سيده " (٣)

---

(١) التوحيد ١/ ٢١٤.

(٢) التوحيد ١/ ٢٢٧.

(٣) لسان العرب ٧/ ٣٨١، ٣٨٢. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/ ٧٩.

ومن هذه المعاني ، نستشف أن ما ذكره الذهلي من نصبها أقرب للمعنى المراد في الحديث .

ثانيا : الاهتمام باعجام الحروف وتوقيه الشديد من تعديل النقط إلا بشروط

والاعجام هو النقط تقول أعجمت الحرف إذا أزلت عجمته وميَّزته عن غيره بالنقط والاستعجام الاستغلاق يقال "استعجم عليه الكلام واستغلق واستبهم إذا أرتج عليه فلم يقدر يتكلم» (١)

وهذا التحري والتوقي فيما كتب هو الذي جعل للكتاب مكانته وحفظ له حرمته من العبث ، وقد أوصى معاوية رضي الله عنه كاتبه عبيد بن أوس الغسَّاني بنقط الكتاب : فقال : يا عبيد أُرْقُش كتابك ، فاني كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً رقشته . قال عبيد : قلت : وما رقشه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أعط كل حرف ما ينوبه من النقط . (٢)

وبعض الحروف في الكتب قد تكون منقوطة ويكون في نقطها خطأ وقد لا تنقط اصلا لسهو او غيره والنقط كما هو معلوم له أهمية كبرى في إيضاح اللفظ فما العمل في مثل هذا الحال ؟

هذان مثالان لمنهج الذهلي في ذلك .

المثال الاول : اثبات ما قيده من النقط وان خالف الصحيح مع الاشارة للصحيح خارج النص

قال الخطيب البغدادي (٣) : " أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد الحيري قال انا حاجب أحمد الطوسي قال ثنا محمد بن يحيى - يعني أبا

---

(١) توجيه النظر لأبي طاهر الجزائري ص ٣٥٢ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٢٦٩ .

(٣) الكفاية باب ذكر الرواية عمن لم يجز إبدال حرف بحرف وإن كانت صورتهما واحدةص ٢٧٥ .

عبد الله الذهلي - قال ثنا يزيد بن هارون قال أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، وبينا أنا نائم إذ أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فَتُلَّتْ في يدي . . . » .

قال محمد بن يحيى : " هكذا قيدنا عن يزيد بن هارون وانما هي " فَتُلَّتْ[1] في يدي "

واثبات الإمام الذهلي للمرجوح حسب السماع مع علمه بالراجح والاصح . . . فيه دلالة على تشدده في الرواية وعدم إبدالها وان كانت الفوارق فيها حروفا " . . . وتزداد معرفتنا بمنهجيته السليمة واحترامه للنصوص والمتون من خلال قوله بعد الحديث : " هكذا قيدنا عن يزيد بن هارون وإنما هي فَتُلَّتْ في يدي » . . وهذه التعليقة الموجزة تعتبر تقعيداً وتأصيلا لمناهج التحقيق عند المتأخرين وفي عصرنا الحاضر . [2]

---

(١) قال ابن الأثير في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « فَتُلَّتْ : أي أُلقيت ، وقيل : التَلُّ الصَّب ، فاستعاره للإلقاء ، يقال تَلَّ يَتُلُّ إذا صبَّ ، وتَلَّ يتِلُّ إذا سقط ، وأراد مافتحه الله تعالى لأمته بعد وفاته من خزائن ملوك الأرض أ . هـ النهاية في غريب الحديث ١/ ١٩٥ ، وقال ابن منظور : (وقال ابن الاعرابي : صُبَّت في يدي ، والمعنيان متقاربان ، وقال أبو منصور : وتأويل ذلك ، هو مافتحه الله تعالى جَلَّ ثناؤه لأمته بعد وفاته من خزائن ملوك الفرس ، وملوك الشام وماستولى عليه المسلمون من البلاد ، حقق الله رؤياه التي رآها بعد وفاته من لدن خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إلى يومنا هذا ، هذا قول أبو منصور ، رحمه الله ، والذي نقوله نحن في يومنا هذا ، إنا نرغب إلى الله عز وجل ونتضرع إليه في نصرة ملته واعزاز أمته واظهار شريعته ، وأن يبقي لهم هبة تأويل هذا المقام وأن يعيد عليهم بقوته ماعدا عليه الكفار للإسلام . لسان العرب١١/ ٧٨ .

(٢) يقول الدكتور عبدالسلام هارون في كتاب تحقيق النصوص ونشرها تحت مبحث الزيادة والحذف ص٧٦ : وهما أخطر ماتعرض له النصوص ، والقول ماسبق« أن النسخة العالية يجب أن تُؤَدى كما هي دون زيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل» وتحت مبحث التغيير والتبديل ص ٧٧ قال : لاريب أن إحداثهما في النسخة العالية يخرج بالمحقق عن سبيل الأمانه العلمية ، ولاسيما =

المثـــال الثاني : تجويزه التدخل في النص بشرط أن يكون المكتوب (غير مقيد) بنقط فله روايته على الصحيح .

وقال الخطيب أيضا [1] : " إذا كان قد حصل في الكتاب بعض الحروف مضبوطاً على الخطأ كالباء بنقطة من فوقها وتجعل نونا وكالسين المهملة بنقط ، وما أشبه ذلك فقد اختلف أهل العلم فمنهم من قال : " لا يجوز تغييره ومنهم من قال ذلك جائز [2]

ثم ساق سنده إلى " حيكان " أبي زكريا يحيى بن محمد يحيى قال : سمعت أبي يقول : " اذا وجدت في كتابك شيئًا غير مقيد فلك أن تقوله على الصحيح ، وإذا وجدته مقيداً ولم يكن على الصواب ، فليس لك أن تقول غير ما في كتابك من التقييد إلا بالشك " .

وهذا التدخل في النص الذي أجازه الذهلي في حالة خلو المكتوب من التقييد بالنقط ويكون محتملا لأكثر من وجه ، وعليه أجاز للراوي روايته على الصحيح (هو التدخل المستساغ) أما إذا كان مقيداً بنقط ولم يكن صواباً فلم

= التغيير الذي ليس وراءه الاتحسين الأسلوب، أو تنميق العبارة أو رفع مستواها في نظر المحقق، فهذه تعد جناية علمية صارخة إذا قرنها صاحبها بعدم التنبيه على الأصل، وهو أيضاً انحراف جائر عماً ينبغي إذا قرن ذلك بالنية . إ. هـ.

وخلاصة هذا القول: التحذير من التصرف في النسخه : «الأصل - أو المتن» سواء كانت له أو لغيره ، ووجوب تأديته للألفاظ كما هي عليه، وإن كانت خطأ والإشارة في النهاية أو في الحاشية لذلك الخطأ وإيراد الصواب .

والوقوف عند هذه القاعده لانجده مطرداً عند الإمام الذهلي، فقد يسمح بالتدخل في النص، ولكن في نطاق ضيق ومنطقي أيضاً: كما سيأتي عرضه في المثال الآتي .

(١) الكفاية باب (ماجاء في تغيير نقط الحروف لما في ذلك من الاحالة والتصحيف» ص ٣٦٤ .

(٢) ومن هؤلاء عبدالله بن داود (لعله الخريبي شيخ الذهلي ومسدد) فإنه قال: اذا كان كتابي مقيداً لم ألتفت إلى ما يقول أصحاب الحديث واذا لم يكن مقيداً واتفقوا على شيء انتهيت إلى قولهم، الكفاية ص ٣٦٤ وكأن الذهلي كان متأثراً بمنهجه .

يجوز رواية غيره . . . (إلا بالشك) أي يروي ما يراه صواباً مع ذكر شكه في صحة المكتوب . . ليوقف القاريء على الاطلاقين فقد يكون ما رآه صواباً في حقيقة الأمر خطأ ، وإما إذا كان جازماً بصحة روايته فليبين بشرط أن يكون البيان خارج النص [1] كما في المثال الأول . و هذه المرونة والمسايرة المتأنية الحذرة مع النصوص بغية إبرازها أقرب ما تكون من الصحة ، هو الواجب فيمن يتصدى لهذه الميادين .

ثالثا : الحرص على ابقاء الكتب سليمة من الحك والضرب والتغيير :

وهذا من قواعد النقد العام عند المحدثين قبل النقد الخاص للأسانيد والمتون . . . فإن المحدثين في نقدهم للأحاديث المروية لم يقفوا عند حدود معرفة ضبط الراوي وعدالته ، أو مقابلة ومعارضة الأحاديث بعضها ببعض ، بل تشعب وتنوع إلى درجة اختبار وفحص المواد الكتابية من كاغد وحبر وسواهما ، وبالأخص إذا دارت الشكوك حول راو بأنه يسرق الحديث أو يغير ويبدل .

---

(١) يقول الحافظ ابن كثير : (وأما إذا لحن الشيخ ، فالصواب أن يرويه السامع على الصواب وهو محكي عن الأوزاعي وابن المبارك والجمهور ، وحكى عن محمد بن سيرين وأبي معمر عبدالله ابن سخبرة أنهما قالا : يرويه كما سمعه من الشيخ ملحوناً ، قال ابن الصلاح : وهذا غلو في مذهب اتباع اللفظ . وعن القاضي عياض : أن الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياخ : أن ينقلوا الرواية كما وصلت اليهم ، ولايغيروها في كتبهم ، حتى في أحرف من القرآن ، استمرت الرواية فيها على خلاف التلاوة ، ومن غير أن يجيءَ ذلك في الشواذ ، كما وقع ذلك في الصحيحين والموطأ ، ولكن أهل المعرفة منهم ينبهون على ذلك عند السماع وفي الحواشي ، ومنهم من جسر على تغيير الكتب وإصلاحها ، ومنهم أبو الوليد هشام بن أحمد الكناني الوقش لكثرة مطالعته وافتنانه قال : وقد غلط في أشياء من ذلك ، وكذلك غيره ممن سلك مسلكه . قال : والأولى سد باب التغيير والإصلاح ، لئلا يجسر على ذلك من لايحسن ، وينبه على ذلك عند السماع . إ.هـ. اختصار علوم الحديث ص ١٤٠ ، وانظرعلوم الحديث ص ١٩١ تحت التاسع من تفريعات صفة روايه الحديث ، و الالماع للقاضي عياض ، ص ١٨٥ .

وهذا مثال يدل على اعتناء الإمام الذهلي بنقد ظواهر الكتب قبل بواطنها .

قال سعيد بن عمرو البرذعي : قال أبو عبد الله محمد بن يحيى النيسابوري أخذت كتاب قيس [١] ، من يحيى الحماني [٢] فرأيت على ظهره شيئاً مضروبا عليه ! قال محمد بن يحيى : فبلغني أنه كان كتاب محمد بن الصلت [٣] ، وأنه كان ضرب على اسمه » [٤]

وقد سبق قول الإمام الذهلي في ابن الحماني ، وانه لا يستحل رواية حديثه [٥] وأرجيء ذلك لما اشتهر عنه من التغيير والتبديل في كتب غيره وسرقة االأحاديث [٦] وإنَّ تنبه الإمام الذهلي إلى موضع الضرب أو الحك ومعرفته تعليل ذلك ، ليدل على اهتمامه البالغ بالمحافظة على الكتب والحرص على سلامتها من امتداد يد العبث إليها .

---

(١) هو قيس بن الربيع الكوفي الأسدي، أبو محمد ، قال شعبة : ما أتينا شيخاً بالكوفة إلا وجدنا قيس قد سبقنا إليه، وجوَّد حديثه سفيان بن عيينة . الجرح والتعديل ٧/ ٩٧ .

(٢) يحيى بن عبدالحميد سبقت ترجمته ص ٤٥٧ .

(٣) هو محمد بن الصَّلْتْ أبو جعفر الأسدي الكوفي، قال أبو زرعة : ثقة . الجرح والتعديل (٧/ ٢٨٨).

(٤) الضعفاء لأبي زرعة وأجوبته على أسئلة البرذعي ٢/ ٧٤٦، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٧٥ .

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٥، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٣٤ .

(٦) ومما يروى عنه في ذلك ماساقه الخطيب البغدادي بسنده إلى أحمد بن سعيد المروزي قال : سمعت أبي يقول : سمعت عبدالله بن عبدالرحمن السمرقندي يقول : قدمت الكوفة فنزلت بالقرب من يحيى الحماني فذاكرته بأحاديث سمعتها بالبصره من أحاديث سليمان بن بلال، وكان يستغربها ويقول : ماسمعت هذا من سليمان . ثم أردت الخروج إلى الشام فأودعت كتبي وختمت عليها، فلما انصرفت وجدت الخواتيم قد كسرت . فقلت ماشأن هذه الكتب وهذه الخواتيم؟ فقال : ماأدري . ووجدت تلك الأحاديث التي كنت ذاكرته بها عن سليمان بن بلال قد أدخلها في مصنفاته، فقلت له سمعت من سليمان بن بلال؟ قال : نعم! . تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٤ .

وقد روى الذهلي عن شيخه السمرقندي قصة أخرى في ذلك : ومفادها أنه أودع كتبه إلى يحيى الحماني وكان فيها أحاديث خالد الواسطي عن عمرو بن عون، وفيها أحاديث سليمان بن بلال عن يحيى بن حسان، ولم يكن منها عند الحماني حديث واحد فيما سمعه منه السمرقندي =

= من قبل، فلما عاد وجد كتبه قد تغيرت، واذا الحماني قد نسخ حديث خالد وسليمان ووضعه في المسند.

قال الذهلي بعد روايه هذه الحكاية: ماأستحل الروايه عنه. تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٤، وقد نقل ابن الصلاح عن ابن خلاد عن أصحابه «أن الحك تهمة» علوم الحديث ص ١٨٠.

وقد ساق الخطيب أيضاً رواية ثالثة للدارمي السمرقندي مع الحماني في هذا الأمر قال: قدمت الكوفة حاجاً فأودعت يحيى بن عبدالحميد كتباً لي وخرجت إلى مكة، فلما رجعت من الحج، أتيته فطلبتها منه فجحدني وأنكر، فوقفت به فلم ينفع ذلك، فصايحته فاجتمع الناس علينا، فقام إليّ ورّاقه فأخذ بيدي فنحاني وقال لي إن امسكت تخلصت لك الكتب، فامسكت فإذا الورّاق قد جاء بالكتب وكانت مشدودة في خرقة ولبد، فإذا الشدّ متغير، فنظرت في الأخرى فإذا فيها علامات بالحمرة ولم يكن نظر فيها أحد، واذا أكثر العلامات على حديث مروان الطاطري عن سليمان بن بلال، وعبدالعزيز بن محمد الدراوردي، فافتقدت منها جزئين، تاريخ بغداد١٤/ ١٧٥.